

الإنسان رُوح لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْجَدِيدِ

تأليف

الدكتور رُؤف حميد

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة عين شمس

طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

المجلد الثاني

ملقنم الطبع والنشر
دار الفكر العسزني



اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد كديـاب
جراح بالمستشفى الملكي المصري

صورة الغلاف

جنة عدن من خيال رسام

- فهل هي حقيقة أم خيال ؟
- وهل هي في الأرض أم في الأثير ؟
- وهل يعود إليها أحفاد آدم أم لا يعودون ؟
- وإلى أين الركب يسير ؟

مطبوعة نهرية مصر بالبريد

الإنسان رُوحٌ ولا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْجَدِيدِ

تأليف

الدكتور رؤوف عيسى

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة عين شمس

طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

المجلد الثاني

مطبعة الطبع والنشر
دار الفكر العربي

القاهرة

١٩٦٦

طبعة نهضة مصر بالجمهورية

س : كيف يتأتى لطفلة من عمر ك ألا تصدر منها أية شكوى خلال أربعة أعوام من الألم ؟

ج : لأن الألم الجثمانى كان خاضعاً لسيطرة قدرة أقوى منه هى قدرة ملاكى الحارس الذى كنت أراه دوماً بالقرب منى . وكان يعرف كيف يخفف عنى كل ما كنت أشعر به ، وبفضله أصبحت إرادتى أقوى من الألم .

س : كيف أخطرت بلحظة وفاتك ؟

ج : أخطرتى بها ملاكى الحارس الذى لم يخدعنى أبداً .

س : لقد ذكرت لوالدك ، تعز ، فسأحضر لزيارتكم ، فكيف — مع المشاعر الطيبة التى كانت تغذيك نحو والدك — حضرت بعد موتك لإقلاقهم عن طريق الشغب فى المنزل ؟

ج : لقد مررت بتجربة بلا ريب ، أو بالأدق أنه كان لى مهمة على أن أودعها . لقد حضرت لمشاهدة والدى فهل تعتقد أن ذلك ينبغى أن يمر عبثاً ؟ فهذه الضوضاء ، وهذا الشغب ، وهذا النضال الذى كان يجرى بسبب وجودى ، كل ذلك كان بمثابة تنبيه لهم ، وكانت تساعدنى أرواح أخرى كان لها هدفها من وراء هذا الشغب ، كما كان لى أنا أيضاً هدفى من الظهور لشقيقتى ، ففضلنا كم من أشخاص سيقتنعون ! ولقد كان على ذوى تجربة ينبغى عليهم أن يقاسوها ، وهى ستتوقف قريباً ، ولكن بعد أن تكون التجربة قد حملت الاقتناع إلى الكثيرين .

س : إذا فلست وحدك مصدراً للشغب .

ج : لقد ساعدتنى أرواح أخرى اشتركت فى المحنة المدخرة لوالدى العزيزين .

س : وكيف تأتى لأختك أن تتعرف عليك ، إذا لم تكونى مصدر هذه الظواهر .

ولم يسمع منها أى ضجى ، ولم تصدر منها أية علامة على ضيق أو تهرم ورغم أنها كانت محرومة من التعليم فكانت هى التى تعزى أسرتها الجريحة ، وتمنيها بالحياة المستقبلية وما يوجد فيها من نعيم .

وتوفيت فى شهر سبتمبر سنة ١٨٦٢ بعد أربعة أيام من آلام قاسية ومن تشنجات لم تتوقف أثناءها عن الابتهاال لله ، وكانت تقول فيها : إني لا أخشى الموت لأن حياة السعادة محفوظة لى بعده . . . كانت تقول لآيها الباكي : تعز لآنى سأعود لزيارتكم ، إني أشعر بأن ساعتى قريبة ، ولكنها عندما تأزف سأعلم بذلك وسأخطر موقداً . وعندما كانت اللحظة الحاسمة على وشك الخلول دعت جميع ذريها قائلة لهم : لم يتبق لى فى الحياة سوى خمس دقائق فأعطوني أيديكم ، ثم أسلمت الروح كما قدرت من قبل .

ومنذ ذلك الحين حضرت روح مشاغبة لزيارة منزل أسرتها ، حيث عمدت إلى أن تقلب كل شىء ، وإلى أن تحدث طرقات على المائدة كما لو كانت تحمل هراوة ، وإلى أن تحرك الأغطية والستائر والآنية ، وظهرت هذه الروح فى صورة كلارا لشقيقتها الصغيرة التى كانت فى الخامسة من عمرها ، والتى كانت تقول إن شقيقتها تتحدث إليها كثيراً ، وكان ظهورها لها مبعث صيحات فرح ، فكانت تقول : انظروا كيف أن كلارا جميلة ! . .

حضور روحها : انى بالقرب منكم مستعدة للإجابة .

س : من أين جاءتك هذه الأفكار العالية التى كانت تصدر منك عن الحياة المستقبلية قبل موتك ، رغم أنك كنت صغيرة إلى هذا المدى وغير متعلمة ؟

ج : من الوقت القصير الذى أمضيته على كوكبكم ومن تجسدى السابق فقد كنت وسيطة عندما غادرت الأرض ، وكنت وسيطة عندما عدت إليكم ولقد كان هذا هو قدرى ، وقد كنت أشعر بما كنت أقوله وأراه .

وقضيتهمما بلا تضحيات لأنى كنت غنية ، وتبينت أنى كنت أتقدم تقدماً بطيئاً فطلبت أن تكون عودتى إلى الأرض فى مركز أكثر تواضعاً حيث يكون على فيه أن أكافح بنفسى ضد الحرمان . وأعددت نفسى لذلك خلال زمن طويل . وقد أيد الله شجاعتى وأمكننى أن أصل إلى الهدف الذى تخيرته ، بفضل ما منحنى الله من معونات روحية .

س : هل شاهدت سادتك السابقين ؟ اذكرى لنا - إذا تفضلت - ما مركزك إزاهم ، وهل مازلت تعتبرن نفسك تابعة لهم ؟

ج : نعم لقد شاهدتهم ، ولقد كانوا فى استقبالى عند حضورى إلى هذا العالم . وبكل تواضع يمكننى أن أقول إنهم أصبحوا يعتبروننى كالأولاد فى أعلى منهم .

س : وهل كان لديك سبب خاص للارتباط بهم دون غيرهم ؟
ج : لم يكن هناك أى سبب ملزم ، وكان من الممكن أن أحقق هدفى فى أى مكان آخر ، ولقد تخيرتهم كيما أبرى ذمتى نحوهم من دين الإقرار بالمعروف ، إذ كانوا فيما مضى كرماء نحوى ، وسبق أن قدموا لى خدمة .
س : وما هو المستقبل الذى تؤملين فيه ؟

ج : أوئل أن أنجسد فى عالم بلا ألم . ولعلكم تتجدوننى بذلك أوئل فى المحال ، ولكننى أجيئكم بما فى قلبى ، وفى النهاية إلى مستسلمة لإرادة الله .
س : نشكرك لحضورك بناء على طلبنا ، والله قادر أن يصدق عليك نعمه .
ج : شكراً ، والله قادر أن يبارككم وأن يتمم جميعكم فى لحظة الموت بنفس مشاعر السعادة النقية التى كانت من نصيبى .

(و) مع كلارا ريفيه Clara Rivier

كانت هذه الفتاة ذات العشرة الأخوام تنتمى إلى أسرة من العمال فى قرية من قرى جنوب فرنسا ، وأصبحت عاجزة تماماً منذ الرابعة من عمرها

من عمرها دخلت في خدمة أسرة غنية تقوم بتربية الأغنام ، وبعد سنوات قليلة حدث فيضان في نهر السين أغرق جميع أغنامها ، ثم حدثت نكبات أخرى أقرت أولئك المخدومين ، ولكن أدبلايد ربطت مصيرها بمصيرهم ، وأخفت نداء الأنانية ، فلم تعد تستمع إلا إلى صوت قلبها الوفي ، وجعلتهم يتقبلون منها خمسمائة فرنك كانت قد ادخرتها لنفسها ، وظلت في خدمتهم بلا راتب ، وبعد وفاة مخدومها ظلت مرتبطة بابتئها التي أصبحت أرملة وبغير موارد ، فكانت أدبلايد تعمل في الحقول ، وتعرض ما تكسبه إلى المنزل . ثم تزوجت ، وصار الزوجان معاً يعاوانان السيدة الفقيرة ، ودامت هذه التضحيات النبيلة لمدى نصف قرن .

ولم تتجاهل ، جمعية المباراة على البر ، بمدينة روان Rouen هذه السيدة النبيلة والجديرة بكل احترام وتقدير فنحتها ميدالية شرفية ومكافأة نقدية .

وفي لحظة واحدة انتزعت نوبة شلل هذه المخلوقة البارة بدون ألم من على الأرض (وفي الجلسة الروحية جرى الحديث معها كالآتي) : —
س : إننا نسأل الله للقادر على كل شيء أن يسمح لروح مارجریت جووس أن تحصل بنا .

ج : نعم إن الله قد أنعم على بذلك .

س : يسعدنا أن نعلمك عن إعجابنا بسلوكك الذي حافظت عليه أثناء وجودك الأرضي ، ونرجو أن يكون الله قد أثابك عن نبلك .

ج : نعم لقد كان الله مقدماً حبه ورحمته على خادمته ، وما صنعتها بما تجدره مرضياً ، كان أمراً طبيعياً جداً .

س : هل يمكنك — لإنارتنا — أن تذكرى لنا علة المركز المتواضع الذي كنت تشغليه على الأرض ؟

ج : لقد شغلت خلال وجودين سابقين مركزاً عالياً ، فكان المال موفوراً ،

الظواهر ، وكان الإنسان القوى البنية قد يرى نفسه وقد هزل بسبب بعض تجارب هذا الطبيب عند ما كان يرغب في مراقبة أثر بعض العقاقير والمشروبات في الأجسام ، وهكذا كان يجري تجاربه بغير حذر على البائسين من مرضاه .

وكان الهدف من سلوكه هذا هو إرضاء جشعه وكبريائه وتعطشه للبال وللشهرة وقد اقتضى ترويض هذه الروح المتكبرة الطموحة انقضاء عدة قرون ، ومرورها بتجارب مريرة . وبعدئذ بدأت التوبة تلعب دورها في التجديد ، وأوشك الإصلاح على التمام ، لأن تجارب هذا الوجود الأخير هيئة بجانب التجارب التي تحملتها فيما مضى . فشجاعة إذاً ، ولئن كان الألم طويلاً وقاسياً ، فإن الثواب سيكون عظيماً بعد الصبر والاستسلام وذل الألم .

فشجاعة يا جميع من تعاون ، وفكروا في الوقت القصير الذي يبقاه وجودكم المادى ، وفكروا في متع الأبدية ، متوسلين بالأمل ، هذا الصديق الوفى لكل قلب يتألم . ومتوسلين أيضاً بالإيمان شقيق الأمل ، الإيمان الذى يقدم لكم السماء التى يدفعكم الأمل إلى دخولها قبل الأوان . وتوسلوا أيضاً بهؤلاء الأصدقاء الذين منحكم الله إياهم كي يحيطوا بكم ويؤازروكم ويحبوكم ، وعن طريق النوسل إليهم ترجعون إلى الله الذى تعدىتم عليه بخرق قوانينه .

وبعد موتها أعطت مدام «ب» إلى كريمتها فى الجمعية الروحية بهاريس ، رسائل تنعكس فيها أرفع الصفات ، ومؤيدة فيها ما سبق ذكره آنفاً عن ماضيها .

(هـ) مع أديليد مارجريت جوسه Adélaïde Marguerite Gosse

كانت أديليد خادمة متواضعة فقيرة من مقاطعة نورماندى Normandie بالقرب من هارفليور Harfleur ، وعند ما بلغت الحادية العشرة

تطلب منها فحسب أن تطلب لأمها أن تعطى القدرة على أن تتحمل آلامها
بصبر واستسلام . وأملت عليها البيانات الآتية :

لكل شيء علته في الوجود الإنسانى ، فما من ألم تتسببون في إحداثه
إلا وله صدهاء في ألم تقاسونه ، وما من شطط ترتكبونه إلا وله مقابله في
حرمان تعانونه ، وما من دمة تنسكب من عيونكم إلا كيما تمحو خطأ
صدر عنكم ، بل ربما جريمة أحياناً .

فتحملوا إذاً بصبر واستسلام آلامكم الجسدية والنفسية ، مهما بدت لكم
قاسية ، وتأملوا في الزارع الذى يحطم الإجهاد أعضائه ، ولكنه يواصل
عمله بغير توقف ، لأنه يتربح أمامه السنايل الذهبية التى ستكون من ثمار
عزيمته . فهذا هو شأن البائس الذى يقاسى على أرضكم ، فإنه يتربح النعيم
الذى ينبغى أن يكون ثمرة صبره ، والذى يقويه في وجه الآلام العابرة لبني
الإنسان .

هكذا كان الشأن مع أمك ، فكل ألم تتقبله ككفارة هو عبارة عن وصمة
تمحى من ماضيها . وبقدر ما تمحى الوصمات سراعاً بتدريج تسرع نحوها
السعادة ، وعدم الاستسلام يجعل الألم مجدياً ، إذ يتعين عندئذ البدء من جديد
في تحمل التجارب ، فأنفع شيء لها هو الشجاعة والخضوع ، وهذا هو ما ينبغى
أن نسأل الله أن يمنحها إياه ، بمعونة الأرواح الطيبة .

لقد كانت أمك فيما مضى طبيباً ناجحاً معروفاً لدى الطبقات الغنية التى
أغدقت عليه الكثير من العطايا ومن صور التكريم . وكان الطبيب طموحاً
إلى المجد والمال راغباً في الوصول إلى ذروة العلم ، لا كيما يخفف من آلام
إخوته ، لأنه لم يكن عطوفاً ، بل كيما تزداد شهرته ، وبالتالي زبائنه . فلم يدخر
وسعاً في الوصول بعلمه إلى غايته . وكان يتعبد مثلاً لإحداث تشنجات في
أرجل أمه قد تقاسى الأهوال من التشنج العصبي على فراش الألم كيما يدرس هذه التشنجات ،
وكان يخضع طفلاً لتجارب مؤلمة عساها أن تعطيه مفتاحاً لدراسة بعض

ج : بلا ريب أن هذه بالأقل هي الحالة الاعتيادية ، وهؤلاء الخدم هم أحياناً أعضاء في نفس الأسرة ، أو - مثلى - هم مدينون بمعروف سابق يسددون دينهم ويساعدونهم تفانيهم على التقدم . إنكم لا تعرفون جميعكم آثار الحب أو الكراهية التي تحدثها هذه الصلات القديمة في العالم . فالمرتبة لا يفهم هذه الصلات التي تخلد عادة من قرن إلى قرن .

س : ولماذا تبدو هذه الأمثلة من إخلاص الخدم نادرة الآن ؟

ج : يلغى تحميل روح الأمانة المسئولية ، وكذلك الكبرياء المتفشية في عصركم والتي غذاها عدم التصديق ، والأفكار المادية . فالإيمان الصحيح يبدده الجشع ورغبة الكسب ، ويبدد معهما صور الإخلاص المتفاني . والروحانية عندما تعيد الناس إلى الإحساس بالحقيقة تحيي من جديد الفضائل المنسية .

وعلق المؤلف على هذا الاتصال الروحي قائلاً إنه لا شيء مثله يوضح موايا نسيان حالات الوجود السابقة ، فلو أن الخدم ، ج ، كان يذكر ماذا كان عليه خادمه في وجوده السابق لوجد حرجاً كبيراً في علاقته معه ، ولما قبل أن يستبقيه في هذه الحالة ، ولعاق بالتالي نجاح هذه التجربة التي كانت مفيدة للآتين معاً .

(د) هذه عالم لمروج

لم تقاس مدام ب ... من مدينة بوردو Bordeaux من الضيق أو الفاقة . لكنها كانت طيلة حياتها ضحية آلام جثمانية من جراء أمراضها الخطيرة التي لا تحصى - والتي أصابتها منذ كان عمرها خمسة شهور إلى أن توفيت في الخامسة والستين من عمرها - وكانت ابتليها وسيطة روحية ، وما أكثر ما تعرضت إلى الله أن يخفف من آلام أمها ، ولكن كانت روحها المرشدة

س : ولما ذا متّ صغيراً إلى هذا الحد ؟

ج : لقد قدر الله أن تجربتي كانت كافية .

س : وكيف أمكنتك أن تستفيد من هذه التجربة ما دمت كنت لا تذكر
السبب الذي دعا إليها ؟

ج : في مركزي المتواضع كانت متبقية لدى غريزة الكبرياء التي كنت
سعيداً بالقدرة على السيطرة عليها ، وهو الأمر الذي جعل التجربة مفيدة
لي ، وإلا لتعين علي أن أبدأها من جديد . وكانت روحي تذكرها في لحظات
تحررها ، وكانت متبقية لدى في يقظتي حاجة فطرية لمقاومة اتجاهاتي التي
كنت أشعر برداءتها . وكان فضلي في المقاومة على هذا النحو أكثر مما لو
كنت متذكراً ماضى بوضوح ، فإن تذكر ماضى السحيق كان سيستثير
كبريائي ويثير اضطرابي ، حين لم يكن علي إلا أن أ كافح مقتضيات مركزي
الجديد (كخادم) .

س : لقد تلقيت تعليماً لائماً ، فقيم أفادك التعليم في وجودك الأخير
مادمت كنت لا تذكر المعلومات التي حصلت عليها ؟

ج : هذه المعلومات كانت ستكون غير مجدية - بل لعلها ضارة - في
مركزي الجديد ولكنها ظلت خاملة ، والآن عثرت عليها ، ومع ذلك فلم
تكن عديمة الجدوى (حتى في الحياة الأرضية) لأنها أدت إلى نمو عقلي ،
وكننت أتذوق المعاني السامية بطريقة غريزية ، وهي المعاني التي كانت تلهمني
كراهية الأمور المبتذلة غير السكريمة التي كنت أراها تحت عيني ، فبدون
التعلم كنت سأصبح مجرد خادم طأدي .

س : هل للخدمة الوفية للخدوم ، التي قد تصل إلى حد التغاضي ، من أسباب
سابقة (أي ترجع إلى حيوات سابقة) ؟

(ح) قصة فادس

في أسرة من طبقة عالية كان يعمل خادم شاب ذو ملامح ذكية وقيمة وفي تفان يسترعى الانتباه ، ولم يكن في أساليبه الذكية ما يحمل على الاعتقاد بأنه ينتمى إلى طائفة الخدم . وبعد عام ذهب لقضاء بضعة أيام في بلدته حيث توفي هناك . وقد جاءنا خاطر بأن نطلب روحه ، وها هو ما ذكره لنا :

« في تجسدي قبل الأخير كنت من أسرة كريمة جداً ، بحسب التعبير الأرضي ، ولكنها أفلست بسبب تبذير الأب . ثم تليت صغيراً فأصبحت بغير موارد ، وقد تبناى صديق لوالدي فكيفاني كما لو كنت ولده وهياً لي تعليماً طيباً أعدني لدرجة من الغرور أكثر مما ينبغي ، وهذا الصديق هو الآن السيد « ج » الذي شاهدتموني أعمل خادماً عنده .

ولقد أردت في تجسدي الأخير أن أكفر عن غروري بأن أولد في ظروف تقتضى العمل كخادم ، وقد وجدت فيها المناسبة التي أعبر بها عن وفائي نحو الشخص الذي أحسن إلي ، بل لقد أنقذت حياته بغير أن يرتاب في ذلك بالمرّة . وكانت تلك في نفس الوقت تجربة خرجت منها رابحاً ، إذ مكنتني العمل من عدم الفساد عن طريق الاختلاط بوسط يكاد يكون غارقاً في مبادئه دائماً . ورغم الأمثلة السيئة التي مرت بي فقد ظلمت نقياً ، والشكر لله الذي أثابني بالسعادة التي أنعم بها الآن علي .

س : في أي ظروف أنقذت حياة السيد « ج » ؟

ج : في أثناء نزهة على ظهور الجياد ، حيث كنت أتبعه بمفردي عندما شاهدت شجرة ضخمة على وشك السقوط دون أن يشاهدها فناديت عليه صارخاً مذعوراً فارتد بغتة ، وعندئذ سقطت الشجرة عند قدميه ، ولولا الحركة التي أحدثتها لسكانت الشجرة قد هشمته .

(وقد تذكر السيد « ج » هذه الواقعة المتعلقة به تذكراً تاماً) .

، شكراً لأنكم قبلتموني في اجتماعكم أيها الرئيس العزيز ، لقد شعرتم تماماً أن حالات وجودى السابقة كانت أ كثر ارتفاعاً فيما يتعلق بمركزي الاجتماعى ، وإذا كنت قد عدت للأرض كما أقاسى من محنة الفاقة فذلك كان لعقابي عن كبريائى الزائفة التى كانت تدفعنى فيما مضى لأن أتسكّر لكل مسكين وبائس ، ولذا تحملت هذا القانون العادل وهو قانون الجزاء من جنس العمل ، الذى جعل منى أكثر الناس فاقة فى هذه المنطقة . ومع ذلك فكان رحمة الله أرادت أن تكشف لى عن وجودها فلم يتسكّر لى الجميع ، وقد كان كل خوفى من ذلك ، وهكذا تحملت محنتى بغير تذمر فى توقع الوصول إلى حياة أفضل لا ينبغي أن أرجع منها إلى أرض المنفى والتعاسة هذه .

آية سعادة هى سعادة اليوم الذى يمكن لأرواحنا التى لا تزال شابة أن تدخل فيه إلى الحياة الروحية كما ترى من جديد السكائن المحبوبة . فأنا أيضاً أحببت ، وأشعر بنفسى سعيدة لأنى عثرت على من سبقونى . وشكراً لهذا السيد م.م. ا ، الذى فتح لى باب التعبير عن العرفان بالجميل ، فبدون وساطته ما كنت لأقدر على شكره أو إثبات أن روحى لن تنسى التأثيرات السعيدة لقلبه الطيب ، ولا على أن أوصيه بنشر رأيه المقدس (فى الروحية) الذى يهدف إلى هداية الأرواح الضالة ، فليشئ تماماً من تعصدي . نعم يمكننى أن أقدم له مائة ضعف أكثر مما فعل لأجلى عندما أزوده بالمعرفة فى الطريق الذى تتبعونه .

فاشكروا الله لأنه سمح للأرواح أن تقدر على أن تزودكم بالمعرفة التى تشجع الفقير فى آلامه وتمنع الغنى من التماذى فى كبريائه . حاولوا أن تفهموا مدى الخزي فى التسكّر لإنسان بائس ، وذلك حتى تنفادوا أن تعودوا مثلى إلى الأرض كما تكفروا عن أخطائكم ، بل هذه المراكز الاجتماعية الآلية الوضيعة التى تجعل منكم نفاية فى المجتمع . . . وتلى ذلك رسالة ثالثة من نفس الروح لا تخرج فى جملتها عن هذه المعانى :

« إن الروحية تفسر لك لهجتي كروح ، ولست بحاجة للدحول في تفاصيل ما في هذا الشأن ، كما أعتقد أنه من غير المجدي أن أشركك في وجودي السابق ، فإن الوجود الذي عرفتني فيه على هذه الأرض لا بد أن يجعلك تعرف وتقدر حالات وجودي الأخرى التي لم تكن دائماً فوق المآخذ ، والتي وهبتني (في هذه المرة) الحياة البؤس والعاهة والعجز عن العمل ، والتسول طيلة حياتي . ولم أدر شيئاً لا يام شينخوختي لأن مدخراتي كانت مقصورة على مائة فرنك احتفظت بها لليوم الذي تعجز فيه ساقاي عن حمل . وعندما قدر الله أن تجربتي وتكفيرى كانا كافيين وضع حداً لهما وانتزعتني بغير آلام من الحياة الأرضية ، فأنا لم أنتحر البتة كما اعتقدتم في مبدأ الأمر ، بل مت بالسكينة على شاطئ المستنقع عندما كنت أتحج بصلاقي الأخيرة نحو الله فأنحدر جسدي إلى الماء بسبب انحدار الأرض ، ولذا عثرتم على في الماء .

لم أنالم ، وإني سعيدة لأنى تمكنت من إنجاز مهمتى راضية وبغير عقبات ، فكنت مفيدة في حدود قدرتي ووسائلتي ، وتحاشيت أن ألحق ضرراً بإنسان ، والآن أتاب على ذلك وأشكر الله السيد السماوى الذى يخفف عنا مرارة التجارب عندما يجعلنا ننسى أثناء الحياة حالات وجودنا السابقة ، واضعاً على الطريق نفوساً خيرة كيما تساعدنا فى تحمل أثقال أخطائنا .

فأذكر ذلك أنت أيضاً ، وستتاب مثلى ، وأشكرك لصلواتك الطيبة وللخدمة التي أديتها لى ، فلن أنساها أبداً ، وسنلتقى يوماً ، وستشرح لك أشياء كثيرة ، لا لزوم لها الآن واعلم بحسب أنى وفيه لك جداً وأنى سأكون قريبة منك عندما تحتاج إلى التخفيف عن يتالم .

السيدة الفقيرة المسكينة جوليين مارى

ثم طلبت الروح من جديد فى جمعية باريس بتاريخ ١٠ يولييه سنة ١٨٦٤ فأملت الرسالة الآتية : -

كانت توجد سيدة عجوز عاجزة تدعى جوليين ماري تعيش على الإحسان العام . وفي يوم سقطت في مستنقع ماء فأخرجها منه أحد الأشخاص ويدعى د. أ. وكان معتاداً على الإحسان إليها . وبعد نقلها إلى منزلها بفترة قصيرة قيل إنها توفيت من جراء الحادثة ، وكان الاعتقاد السائد أنها قد تعمدت الانتحار ، وفي يوم وفاتها شعر الشخص الذي أنقذها - وقد كان روحياً ووسيطاً - بوجود شبح بالقرب منه يحاول أن يشعره بوجوده ، ولم يكن قد علم بعد بأنها قد أسلمت الروح ، فلما علم بذلك اعتقد أنها ربما تكون قد جاءت لزيارته .

وبناء على رغبة هذا الصديق ، وقد كان عضواً في الجمعية الروحية بباريس قام بطلبها بهدف مساعدتها ، لكنه ابتداء طلب مشورة أرواحه المرشدة التي تلقى منها الجواب الآتي :

« يمكنك استدعاؤها ، وذلك سيسرّها رغم أن الخدمة التي تفكر في إسداؤها إليها لن تفيدها، لأنها سعيدة ووفية تماماً لمن عطفوا عليها ، وأنت واحد من أصدقائها الطيبين وهي لا تغادرك أبداً وتحاول الحديث إليك على غير علم منك ، فكل خدمة يؤدي عنها ثوابها إن عاجلاً أو آجلاً إن لم يكن بواسطة المدين بهذه الخدمة فبواسطة من قد يهمهم أمره ، سواء قبل موته أم بعد الموت . فإذا لم يكن لدى الروح وقت كاف لتعرف أمرها ، فإن أرواحاً أخرى تعبر نيابة عنها عن كل امتنانها ، وهذا هو ما يفسر ما شعرت أنت به في يوم وفاتها . والآن هي التي تساعدك في الخير الذي تريد إسداؤه »

ثم تلقى من الروح رسالة مطولة كان من ضمن ما ورد فيها : « إنك أحسنت صنعاً إذ لم تحتقر المساكين ، فإن صوت المتألم الذي تحمل راضياً بؤس هذه الدنيا مسموع دائماً ، وكل خدمة تؤدي تتلقى ثوابها دائماً كما ترى . والآن فلا ذكر لك كلمة عنى تويد لك ما سبق أن ذكره . »

أيضاً لأولئك الذين لم تكن لديهم الشجاعة مثله كي يتحملوا آلامهم ،
وخصوصاً لأولئك الذين كانوا يجدفون على السماء ، بدلا من أن يتوجهوا
إليها بصلاتهم .

وإن كان الاحتضار طويلا فإن ساعة الموت لم تكن مخيفة على الإطلاق ،
ولاريب أن الأعضاء المتشنجة كانت تتلوى ، وكان يبدو للحاضرين كما لو كان
الجسد نائرا ضد الموت ، وضد قانون اللحم الذي يرغب في البقاء رغم كل
اعتبار . ولكن ملاكاً كان يطوف عندئذ فوق فراش المحتضر ، فأخذ
يشق قلبه ، ثم حمل على جناحيه الأبيضين هذه الروح الجميلة التي أفلتت من
إسار الجسد المشوه قائلة هذه الكلمات : ليكن لك المجد يا إلهي ! وعندما
صعدت هذه الروح نحو بارئها القدير صرخت هائلة : هاأنذا أيها السيد ، لقد
كلفتني بمهمة تعليم الألام للآخرين ، فهل تحملت التجربة بجدارة ؟^(١)

والآن لقد استردت روح الفتى البائس إمكانياتها ، وهي تحلق في الفضاء ،
متنقلة بين الضعيف والصغير قائلة للجميع : آملا وشجاعة . وبعد أن تخلصت
من كل مادة ومن كل دنس هاهي بالقرب منكم تتحدث إليكم ، لا بصوتها
المتألم الباكي ، بل بعباراتها القوية قائلة لكم : إن أولئك الذين نظروا إلى
قد شاهدوا في الطفل الذي لم يكن يثن ، فاستمدوا منه الهدوء لآلامهم
والسكينة لقلوبهم في ثقة عذبة بالله ، وهذا هو هدف مديري القصير على
الأرض . .

سانت أوغسطين

(ب) مع السيدة الفقيرة جوليين ماري Julienne-Marie

في مركز يدعى فيلات Villate بمديرية اللوار الأدنى Loire-Inferieure

(١) جلي أن الصورة الرائعة التي رسمتها الروح المرشدة للحظة انتقال هذا الفتى صورة
رمزية برمتها للابانة والتوضيح لحسب ، فلا محل لإعطائها معنى حرفياً كما يحاول الكثيرون عند
تفسير بعض النصوص .

فالروحية ستصبح بمثابة علامة الطريق للتأملين الذين سيجدون فيها المثال .
وسيسمعون منها الصوت ، وعندئذ ستتحول أنات الألم إلى صرخات للبهجة
وإلى دموع للفرح . .

س : إنه يبدو مما ذكرته الآن أن آلامك لم تكن بالمرة تكفيراً عن
أخطاء سابقة ؟

ج : لم تكن تكفيراً مباشراً ، ولكن كونوا متأكدين من أن لكل ألم
سببه العادل . إن ذلك الذى عرفتموه تعيساً إلى هذا المدى كان فيما مضى
جميلاً وعظيماً وغنياً ، وكان له من يتملقه ويتودد إليه ويثنى عليه ، وكنت
أفخر لذلك وأتكبر . كنت فيما مضى آثماً تماماً ، حتى لقد أنكرت الله
وأسأت إلى القريب ، ولكنى كُفرت عن كل ذلك بقسوة ، أولاً فى عالم
الأرواح ، ثم على الأرض . وما تحمّلته من آلام أثناء سنين قليلة لحسب
فى هذا الوجود القصير الأخير تحمّلت مثله خلال حياة كاملة سابقة حتى
بلغت من العمر أرذله . وعن طريق الندم عرفت سبيل مغفرة الله الذى
تفضل فعهد إلى بمهمات كثيرة تعرفن الأخيرة منها . ولقد توسلت إليه
كما أتم تطهيرى .

فوداعاً أيها الأصدقاء ، وسأعود إليكم أحياناً ، ومهمتى هى أن أعزى
لا أن أعلم ، ولكن يوجد هنا كثيرون من ذوى الجراح الدفينة يسرهم
حضورى .

مارسيل

بيان من المروح المرشدة للوسيط

د أيها الكائن الصغير المتألم الرقيق الجريح المشوه : كما من أنات سمعت
منه فى ماجأ التعاسة ذلك والدموع ! ورغم عمره الصغير كم كان مستسلياً ،
وكم كانت روحه واعية للهدف من آلامه منذ ذلك الحين ! فكان شاعراً
تماماً أنه كان ينتظره بعد القبر الثواب عن هذه الأنات المكبوتة : وكم صلى

قضى الله عليه بأن يحيا حياة تعيسة وألمية إلى هذا المدى ، إذا ما افترضنا أنه تعالى قد خلق هذه الروح في نفس الوقت مع هذا الجسد ، الذي كان أداة لآلام رهيبة كهذه ؟

إما ينبغي أن ننكر رحمة الله ، وإما ينبغي أن نفترض وجود سبب قديم لذلك وهو الوجود السابق للروح على الجسد ، وتعدد حيوات الإنسان . وأخير آيات الصبي وكانت أفكاره الأخيرة متجهة إلى الله وإلى الطبيب البار الذي كان يعطف عليه . وبعد مضي وقت على وفاته طلبناه في « جمعية باريس الروحية » ، حيث أعطى في سنة ١٨٦٣ الرسالة الآتية :

« لقد استدعيتني ، ولقد جئت كما أسمعكم صوتي في هذا المكان لعله يمس كل القلوب ، ولعل صداه يصل إلى كل متألم في وحدته كيما يذكره بأن احتضار الأرض يمهّد الطريق لمتع السماء ، وأن الألم ليس إلا القشرة المرة لفاكهة حلوة تمنح أكلها الشجاعة والترفيع . إن صوتي سيقول لهم إنه على الحصيرة التي تستلق عليها التعاسة يوجد مبعوثون من الله رسالتهم أن يعلموا الإنسانية أنه ليس هناك ألم يعجز الإنسان عن تحمله بمعونة الله القادر على كل شيء ، وكذلك بمعونة الأرواح الراقية . وسيقول لهم أيضاً أن يستمعوا إلى الآفات عند ما تختلط بالصلاة ، وأن يتفهموا ما فيها من تناسق متعبد ، مختلف تماماً عن عبارات الآئين الأئمة المختلطة بالتجديف على الله .

« لقد تفضلت روح من أرواحكم الراقية — وهي روح مبعوث عظيم للروحية — أن تترك لي مكانها هنا هذه الليلة^(١) . ولذا فن واجب بدوري أن أقول لكم كلمات قليلة عن تقدم فقهكم الروحي . فإنه ينبغي أن يساعد في أداء رسالتهم أولئك الذين يتجسدون بينكم كي تعملوا كيف يتألمون .

(١) يقول المؤلف إنها روح سانت أوغستين St. Augustin وهي الروح المرشدة التي كانتهم الاقضية أحياناً عن طوبىهم بالأرواح الأخرى .
(م ٢١ — الإنسان روح: ج ٢)

ليست أقل شقاء من سابقتها ، بل يزيد في هذا الشقاء لديها أنها لا تجد تعويضاً لها عن خمولها في ملذات كلذات هذه الدنيا ، كما أن احتمالات المستقبل غير المحدودة تجعل حالتها لا تطاق . وذلك بغير أن تكون لديها القدرة والإرادة على الخروج من هذه الحالة . ومن هذا الصنف الأرواح التي تلتهج أثناء تجسدها على الأرض حياة خاملة بلا جدوى لها أو لغيرها ، وقد يعتمد أصحابها إلى الانتحار بدون أسباب جدية . وتكون إعادة هذه الأرواح إلى طريق الخير أكثر مشقة في المعتاد من إعادة الأرواح الصريحة في الشر ، لأن هذه الأخيرة لا يعوزها النشاط فإذا ما أضىء أمامها السبيل اندفعت في طريق الخير بنفس النشاط الذي كان يدفعها في طريق الشر

المبحث السابع

انصاف بارواح كُفرت عن سيئاتها في الأرض

(١) مع مارسيل Marcel (الطفل رقم ٤)

في ملجأ من ملاجئ الأرياف كان يوجد صبي بين الثامنة والعاشرة من عمره تقريباً ، في حالة يصعب وصفها ، ولم يكن يعرف فيه إلا بأنه «رقم ٤» ، إذ كان مشوهاً تشويهاً تاماً إما بطبيعته وإما بسبب أمراضه . وكانت ساقاه ملتويتين حتى كادت أن تلامس رقبته ، وكان من النحافة على درجة يبدو معها جلده تحت رحمة عظامه ، فكانت آلامه رهيبية . . . وظل على هذه الحال لمدة أربع سنوات .

ومع ذلك كان ذكاؤه ملحوظاً بالنسبة لسنه ، وكان على درجة رائعة من الحنان والصبر والاستسلام للبقاير ، وكانت روحه نبيلة ، فما أكثر ما عبر عن عدم رغبته في الأبن ، حتى لا يقلق راحة باقي المرضى الذين كانوا إلى جواره . . . فمن أين استمد مشاعره النبيلة هذه ؟ إن ذلك لا يمكن أن يكون في الوسط الذي تربى فيه ، ولا في السن التي بدأ يئن فيها ، كما لم يكن بمقدوره أن يعي أي أمر ، فكانت هذه الصفات النبيلة إذاً فطرية فيه ، ولكن لماذا

س : (بعد صلاة من الوسيطة) هل أنت راض ؟

ج : ليس كما كنت أريد .

س : إن الدواء لا يمكن أن يشفي مرضاً عضالاً عند تعاطيه لأول مرة !

ج : من الممكن ذلك .

س : هل ترغب في العودة إلينا ؟

ج : نعم إذا ناديتني ...

الروح المرشدة للوسيطة : « ستعانين يا ابنتي من هذه الروح العنيدة . لكن ما من فضل هناك في إنقاذ أولئك الذين لم يقودوا أنفسهم إلى التهلكة فشجاعة وجلدأ ، وستصلين إلى هدفك . لا يوجد أئمة — حتى إلى هذا المدى — إلا ويمكن هدايتهم بالإقناع وبالقدوة الحسنة ، لأن أشد الأرواح التواء تنتهي مع طول الوقت بإصلاح نفسها بنفسها . وحتى إذا لم نفلح في أن نصل بها بغتة إلى طيب الأحاسيس ، وهو ما يكون في المعتاد أمراً مستحيلاً ، فإن ما نبذله من جهد ليس ضائعاً . كما أن ما نلقى به إليها من أفكار لا بد وأن يهزها ويجعلها تفكر رغم أنها ، لأن هذه الأفكار تكون بمثابة بذور طيبة ستعطى ثمرها إن آجلاً أو عاجلاً ، ولا يحطم المرء صخرة بأول ضربة من معوله .

« وهذا الذي أقوم لك يا ابنتي يصدق على المتجسدين أيضاً . وإذا يمكنك أن تفهمي لماذا لا تخلق الروحية حتى لدى أشد الناس اقتناعاً بها أشخاصاً كاملين على الفور . بل إن الاقتناع بها هو مجرد خطوة أولى يعقبها الإيمان ثم يأتي دور التحول . ومع ذلك فإن الكثيرين يلزمهم أن يأتوا كيما يندمجوا في عالم الروح أولاً . »

وقال المؤلف تعليقاً : « لا يوجد بين العنيدين سوى أرواح ملتوية وشريرة . ومع ذلك فإن هناك أرواحاً أخرى كثيرة العدد تبقى متأخرة رغم أنها لا تعمل شراً بدافع من كبريائها أو هدم اكتراثها أو بلادتها . وهي

المنهارة لم تكن تتوقع أجوبة ذات عمق بالنظر إلى نوع تعليم سيدات هذه البلاد . لكننا كنا نتوقع أن نقابل لديها بالأقل شعوراً أصدق عن الواقع وفكرة أصح عن تفاهة مطامع وجاه عالمنا هذا . لكنها بعيدة عن ذلك ، وما تزال جميع الأفكار الأرضية محتفظة لديها بكل قوتها لأنه شعور الكبرياء لم يفقد شيئاً من تضليله لها وهو يجعلها تقاوم ضعفها ، كما يفرض عليها أن تعاني كثيراً من عجزها . .

(٥) اكزيمين Xuméne . بوردو سنة ١٨٦٢ .

تقدمت روح بهذا الاسم إلى الوسيطة التي كانت قد اعتادت هذا الصنف من الظواهر ، لأن مهمتها كانت فيما يبدو مساعدة الأرواح السفلى التي قد يأتي بها إليها مرشدها الروحي لتحقيق غرض مزدوج هو تعليم الوسيطة ، وفي نفس الوقت تقدم هذه الأرواح .

س : من أنت وهل هذا الاسم لرجل أم لسيدة ؟

ج : رجل بئس على قدر ما يكون البؤس . . .

س : ألا تدخل الأنانية في عداد ما قد يؤلمك من أسباب ؟

ج : ربما .

س : إذا كنت ترغب في المعونة فابدأ بنذ ميولك الرديئة .

ج : لا تشغل نفسك بذلك فإنه لا يخصك وابدأ بالصلاة لأجلي كما

للآخرين وسنرى فيما بعد .

س : لكن الصلاة ضعيفة الأثر ما لم تساعدني بالتوبة .

ج : إذا كنت ستعتمد إلى الكلام بدلا من الصلاة فلن تفيدني في تقدمي .

س : وهل تريد إذاً أن تتقدم ؟

ج : ربما ... لا أعلم ... لكن لنر ما إذا كانت الصلاة تخفف من

الآلام ، وهذا هو الأمر الهام .

س : فلنتعاون بعزم ثابت للحصول على إزاحة بعضها ؟

ج : هيا دائماً .

س : ماذا كان شعورك نحو سراسيم التكريم الجنائزية التي عملت لجثمانك ؟
ج : كانت غير كافية ، فقد كنت ملسكة ولم يركع الجميع أمامي ، ولا أريد أن تعلقوا ما أنا عليه وإنما اعلبوا جيداً أنى كنت ملسكة .

س : إنا مع احترامنا لمقامك نرجوك التفضل بالإجابة وذلك لتعليمنا ، فهل تعتقدين أن ابنك سيسترد يوماً ملك والده ؟

ج : نعم إن دى هو الذى سيسود وهو أهل لذلك .

س : وهل تعلقين على عودة ابنك للملك نفس الأهمية التي كنت تعلقينها على ذلك أثناء حياتك (الأرضية) ؟

ج : إن دى لا يمكن أن يختلط بدم الغوغاء .

س : لم يمكن قيد اسم المسكان الذى ولدت فيه في شهادة وفاتك فهل يمكنك ذكره لنا الآن ؟

ج : إنى ولدت من أعرق دم في الهند وقد ولدت في دلهي .

س : يا من عشت في مظاهر الترف وكانت تحوطك أسباب التكريم ماذا ترين في ذلك الآن ؟

ج : ذلك ما كان ينبغي نحوى .

س : هل يعطيك المقام الذى كنت تحتلينه على الأرض الحق في مقام أعلى في العالم الذى أنت فيه الآن ؟

ج : إنى ملسكة دائماً فلترسلوا عبيداً لخدمتى ... إنى لا أعلم لماذا يبدو عليهم الآن عدم الاكتراث بى ، ومع ذلك فأنا دائماً أنا ...

وهكذا دار الحوار بين الموجودين وبين هذه الروح التي ما تزال تتصور أنها من طبيعة أخرى غير طبيعة البشر إلى أن قالت لهم : « لو تمكنت من عدم الحضور لما حضرت لأنكم تعاملوني بما هو دون القدر الواجب من الاحترام » . فقال القديس لويس لهم : « اتركوا هذه الهاهمة المسكينة مترفين بها في غشاوتها ، ولتكن نموذجاً تدركون منه كم تقاسى الروح من كبريائها » .

ثم كتب آلان كاردك تعليقاً على هذا الحوار : « باستدعاء هذه العظيمة

الفراغ في قلبها . وكما كانت بلا رذائل خطيرة كانت كذلك بلا فضائل . فسببت تعاسة لزوجها ، وأضاعبت مستقبـل أولادها وهدمت سعادتهم بخمولها وبعدم اكتراثها ، بل ذيفت قلوبهم وحكمهم على الأمور . أولاً بأن كانت لهم القدوة ، وثانياً بأن تركتهم لعناية الخدم الذين لم تسكف نفسها حتى عناء حسن اختيارهم .

كانت حياتها عديمة الجدوى للخير ، وفي ذلك إثـمها لأن إهمال الخير يولد الشر ، فلتفهموا ذلك جميعاً : أنه لا يكفي مجرد الامتناع عن الأخطاء ، بل ينبغي أيضاً عمل الفضائل .. فالشر مقابل للخير ومن يريد تفاديه عليه أن يسلك السبيل المضاد وإلا أضحت حياته عبثاً وأعماله ميتة ، وإلهنا الأب ليس إله اموات بل إله أحياء ...

« اعملوا واعملوا بلا توقف وأتمموا واجباتكم بغير استثناء ، أتموها بحماسة وشجاعة وإصرار لأن إيمانكم سيقويكم . ومن يؤد بضمير يهـظ أكثر الأعمال جحوداً لأسمى مائة مرة في عين العلي ، من يفرض ذلك على الآخرين ولا يقوم به . فكل هذه درجات سلم للوصول إلى السماء فلا تحطموها تحت أقدامكم ، وقدرُوا أنكم محطون بأصدقاء يمدون إليكم أيديهم ويساعدون من يستمدون قوتهم من الله .. »

(ح) ملكة أور La Reine Oude

(ملكة هندية سابقة توفيت في فرنسا في سنة ١٨٥٨ ودفنت بها) .

س : بماذا شعرت عندما غادرت حياتك الأرضية ؟

ج : لا أعلم وإن كنت أشعر باضطراب .

س : هل أنت سعيدة ؟

ج : إنى أسفة على الحياة ... لا أعلم ... لكنني أشعر ألماً قوياً . كانت

ستعفيني منه الحياة (الأرضية) . . كم كنت أريد أن ينهض جسدي من قبره .

س : هل تأسفين لأنك لم تدفني في بلادك ؟

ج : نعم فأرض الهند كانت ستكون أكثر رفقا بجسدي .

س : وكيف أمضيت أيامك ؟

ج : في اللهو عندما كنت آنسة ، وفي الضجر عندما كنت سيدة شابة .

س : وماذا كانت مشاغلك ؟

ج : لا شيء .

س : ومن كان يعنى بمنزلك ؟

ج : الخادمة .

س : أليس انعدام الجدوى منك على الأرض يجيب عن سبب أسفك
ومخاوفك ؟

ج : لعالك محق .

س : لا يكتفى التسليم بذلك ، بل ينبغي لتصحيح حياتك غير المنتجة أن
تساعدى الأرواح الآئمة التى تتألم من حولنا .

ج : وكيف ذلك ؟

س : بأن تساعدوها على التقدم بإرشادك وصلاتك .

ج : كلا .

س : ولماذا ؟

ج : من التعب .

تم أملت الروح المرشدة للوسيط وكانت تحمل اسم مونو Monod شرحاً
لحالتها جاء فيه : وكانت أنجيل Angéle عاجزة عن الابتكار وحياتها بلا جدوى
لها أولغيرها . فكانت لا تحب سوى اللهو ، ولا يجد فى الدرس أو فى إتمام
واجباتها العائلية أو الاجتماعية إشباعاً لمطالب قلبها ، وذلك مع أن هذه المطالب
هى التى يمكنها دون سواها أن تمنحها بهجة الحياة لأنها عامة على كل العمر .
أما هى فلم تستخدم سنى حياتها إلا فى متع رخيصة ، وعندما حان وقت
الواجبات الجدية أحسست بفراغ الدنيا من حولها لأنها هى التى وضعت هذا

س : ولم تتقدمين نحوى ؟

ج : كىما أحاول .

س : ألسـت سعيدة إذا ؟

ج : كلا .

س : وهل تتألـمين ؟

ج : كلا .

س : وماذا ينقصك إذا ؟

ج : السلام (بعض الأرواح لا تعتبر آلاماً إلا ما يذكـرها بآلامها
الجسدية ، وذلك رغم تسليمها بأن حالتها المعنوية ليست على ما يرام) .

س : وكيف ينقصك السلام فى الحياة الروحية ؟

ج : من الندم على الماضى .

س : لكن الندم على الماضى تأنيب فهل تشعرين بالتوبة ؟

ج : كلا بل بدافع الخوف من المستقبل .

س : ومم تخافين ؟

ج : من المجهول .

س : هل بمقدورك أن تصفى لى حياتك الأخيرة ؟ فـلعل ذلك يساعـدنى

على تنويرك .

ج : لم تكن شيئاً .

س : فى أية حالة اجتماعية كنت ؟

ج : فى حالة متوسطة .

س : هل تزوجت ؟

ج : كنت زوجة وأما ؟

س : فهل أتممت بنشاط واجبات هذا المركز المزدوج ؟

ج : كلا بل أضـجرتى زوجى وأولادى .

ترفعه إلى ما فوق المستوى الكثيف لأجواء الطبقات السفلى . لذا كانت المفارقات كثيرة في عصور المادية وفي فترات الانتقال نتيجة لانعدام التعادل أو التوازن بين التقدم الخلق والتقدم العقلي .

فالضوء الذى يعذب الروح الأتمة هو إذا بمثابة الشعاع الذى يغمر تراجع كبرياتها خلصة ، كاشفاً لها عن تفاهة ذاتها العديمة التناسق . وهذه هى أولى أعراض الاحتضار الروحي التى تبشر بانحلال العناصر العقلية والمادية المكونة للازدواج النفسى الأول، وذوبانها ، ثم باندماج هذه العناصر التى ينبغى أن تتلاشى بعدئذ فى الوحدة العظمى للسكان بعد تمامه .

هـ — وبعدئذ عاد آلان كاردك يقول : هذه هى الرسائل التى حصلنا عليها فى وقت واحد ، وهى يكمل بعضها البعض الآخر ، وتوضح العقاب فى مظهر فلسفى ومنطقي إلى أبعد الحدود . ومن المحتمل أن هذه الأرواح — وقد أرادت معالجة الموضوع بناء على نموذج — هى التى هيات لهذا الغرض الاتصال الذى حدث تلقائياً من روح ذلك المجرم .

وللمقارنة فقط أعطى صورة لجحهم كما يراها واعظ فى بلدة مونترى سير مير Montreuil Sur Mer فى موعظة له نشرت فى « المجلة الروحية » فى عدد يوليه سنة ١٨٦٤ « إن نار جهنم أقوى ملايين المرات من نار الأرض ولو تمكن أحد الأجساد التى تحترق فيها من الإفلات قبل تمام احتراقه ، والحرب إلى كوكبنا فإنه يحمله خراباً من أقصاه إلى أقصاه ! إن جهنم عبارة عن كهف واسع ومظلم مزود بمسامير رفيعة وخناجر مسنونة وأمواس حادة . حيث تهوى فيها أرواح من تحل عليهم اللعنة ! »

(ب) أنجيل Angèle — حياة لغو وبطلان . تقدمت روح من تلقاء نفسها إلى الوسيط تحت اسم أنجيل .

س : هل تتدمين على أخطائك ؟

ج : كلا .

حيث تمنحني تحت وطأة وخز الضمير ، وحينما تخر جبهته الشاحخة أمام ضحاياه بعد صفحهم عنه ، وكذلك أمام أرواح العدالة ، فلا حظوا المنطق الأسنى للقوانين الأبدية . وفي هذا النطاق أيضاً ستتم هذه الروح ما كتبه في رسالتها المتكبرة الواضحة القوية والمليئة للأسف بذاتها ، والتي أعطتها لكم يوم الجمعة مساء عند ما تخلصت بعمل من أعمال إرادتها الخاصة .

٦ - وبعدئذ قامت روح جان رينو Jean Reynaud ^(١) بكتابة ما يلي :

« إن العدالة البشرية لا تراعى فردية العقوبات التي تطبقها بل تقيس الجريمة على نفسها ، وتضرب بغير تفریق بين من ارتكبوها . فذات الحقوية تنال الفاعل بغير ما يميز من ناحية الجنس أو درجة الثقافة ، أما العدالة الإلهية فتلتجس سبيلاً آخر ، لأن عقوباتها تتناسب مع درجة تقدم الأرواح التي تؤخذ بها بغير أن تترتب على المساواة بين الأفعال المساواة بين الفاعلين . فقد يميز بين اثنين ارتكبا نفس الفعل مدى تجارب كل منهما . فأحدهما قد يكون ضارفاً في بلادة ذهنية كبلادة الجماعات البدائية الأولى ، حين يكون الآخر قد تجاوز هذه المرحلة وصار لديه من التمييز ما يعنى روحه من التخيّل ، فينبذ يكون عقابه بواسطة حدة نور الروح الذي يخترق ذكاه الأرضي ، ويجعله يشعن بمضايقة كمضايقة الجرح إذا ما ثلم .

إن الكائنات غير المتجسدة - التي يطاردها التصوير المادى لجرائمها - تتحمل صدمة بدنية كصدمة الكهرباء كما تتألم بحواسها . أما من تحررت روحهم من المادة فيعانون ألماً أقسى من ذلك بكثير ، حتى يمحو هذا الألم بلفحاته المرة ذكرى الحوادث غير تارك للنفس سوى الإلمام بأسبابها . فالإنسان رغم أفعاله الإجرامية يمكن أن يكون حائزاً لرقى داخلي بحيث أنه - وإن كانت تدفعه عواطفه إلى التصرف بحماقة ، إلا أن ملكاته الرقيقة قد

(١) سياسي فرانسى عاش من سنة ١٨٠٦ - ١٨٦٣ ويعد من مفكرى عصره ، ومن كتبه : « الأرض والسماء » La Terre Et Le Ciel .

قالت : أو اه إني سأخلص تماماً من هذا الضوء السكريه ، إذ أنه في الواقع ضوء مخيف ورهيب على قدر ما يخترق الروح تماماً جاعلاً أدق خبائياً أفكارها مرئية ومكشوفة . وعندما تجد الروح أنها أضحت سجينه منزل زجاجي كذلك الذى كان يطلبه سقراط ، فإن ذلك يكون من أسمى صور عقابها الروحي ، كما يكون أيضاً بمثابة درس لها ، لأن النور — والمفروض أن يكون جزاء العاقل وعزاه — يصير قصاصاً مشيناً للشرير وللشقي ولقاتل والده الذى يصبح ذعراً من شخصيته الخاصة .

فلفتمهموا هذا يا أولادى . إن الألم والخوف ينبغي أن يأخذا برقاب من كان يحلوه أثناء حياته المشؤومة أن يتواطأ وأن يدبر أسوأ أنواع الشرور في أعماق نفسه حين كان يختبئ كما يختبئ حيوان مفترس في كهفه . وعندما يجد نفسه الآن مطروداً من ذلك الكهف الأمين ، فأين يختبئ من نظرات مواطنيه وتعقبهم له ؟ بعد إذ نزع عنه حجاب الكهف وصارت تنعكس على جبينه كل فكرة من أفكاره المتتابعة .

نعم فنذا الآن ليس لهذا المجرم الأثيم من راحة ولا ملجأ ، لأن كل فكرة شريرة لديه — والله يعلم ما يخفى صدره منها — تخونه من الخارج والداخل كصدمة تيار كهربى قوى . إنه يريد الانسلاخ عن الناس ، لكن ضوء النهار السكريه يخترقه على الدوام ، إنه يريد الهرب بل يهرب بسرعة جنونية يائسة خلال فضاء لا يمكن قياسه ... ومع ذلك فالضوء في كل مكان ... ودائماً تخترقه النظرات فيندفع من جديد سعياً وراء الظلام وبحثاً عن الليل . ولكن لم يعد الظلام والليل له شيئاً . إنه يستجير بالموت لمعونته ، لكن الموت أصبح لفظاً بلا معنى ، فيهرب المسكين باستمرار سائراً نحو الجنون الروحي حيث يصارع نفسه كيما يتخلص منها ، فهذا هو القانون الاسمى لما بعد الأرض : أن يصبح المجرم جلاد نفسه الذى لا يرحم !

وإلى متى تدوم هذه الحال ؟ . إلى الساعة التى تنهار فيها إرادته في النهاية

التكفير - أو بالأدق الألم المحتوم الذى يحقق به - إلى الإفادة منه والإحساس بالمعنى العميق لآلامه ، إذ به يدفعه إلى التردد وبعث ذلك الأنين الذى سماه الإنجيل فى بلاغة شعرية « بصيرير الأسنان » ، وما هو سوى صورة نموذجية تبين التعذيب ينزل على الروح دون أن ترضخ له ، وتبين الألم وهى تفضل فى يدياته ، ولكنها تتمرد عليه تمرداً عنيفاً إلى المدى الذى يحملها على رفض التسليم بحقيقة العقاب والثواب معاً .

« إن الإخطاء الجسيمة والنفوس البالغة الإجرام تبقى عادة - وفى كل الأحوال تقريباً - حتى فى عالم الروح . لكن هل نكون كما كنا رغم كل شيء ونبقى هكذا متنقلين أمام اللانهاية ؟ .. كلا إنما يشبه ذلك غشاوة الشخص الذى يتأمل النجوم على حساب أنها نقوش فى السقف ، كما كان يحسبها أهل الغال فى أيام الاسكندر .

« إن هناك خلقاً متطوراً ، ومن لا يرى فى العالم الآخر إلا ما يراه لديكم يكون بائساً وتافهاً وراغباً فى مواصلة صراعه الدنيوى والجري وراء عبثه الصغير ، وأقل ما يستحقه مثله هو الغشاوة واحتقار الآخرين ودوام شخصيته الانانية الدليلة ، بل ووقوف التقدم لديه كم من صلة خفية تربط - أيها الإنسان - بين خلود الذكر النقى الذى تخلقه على الأرض وبين الخلود الذى تحافظ عليه الأرواح بالفعل فى تجاريبها المتتابعة . »

٣ - وكذلك أملت روح إراست^(١) Eraste البيان الآتى :
« سيان أن يلقى الإنسان فى الظلمة أم فى أمواج من الضوء ، أليست النتيجة واحدة ، وفى هذه الحالة أو تلك لا يرى الشخص شيئاً مما يحيط به ، وقد يعتاد على الظلمة أسرع مما يعتاد على الضوء الكشيف الذى يغمره . فالروح التى اتصلت بكم فى الجلسة الأخيرة أجادت التعبير عن حقيقة حالها عندما

(١) هو توماس ليبير إراست Thomas Liebere Eraste وكان من مفكرى القرن السادس عشر .

من فوقكم . أريد أن أبقى ، ولأن ذهني قوى فإنني أحتقر ما يدوي حولي من تحذيرات . إنني أرى بوضوح ! ، وما هي الجريمة ! إنها كلمة . . الجريمة توجد في كل مكان وعندما يرتكبها جماعة من الناس تكون عملاً مجيداً ، أما إذا كان الفاعل لها فرداً فيها من أجلبها ، فأية سخافة هذه . لا أريد من أحد أن يشكرني ولا أطلب شيئاً من أحد ، بل إنني أكون نفسي بنفسي ، وسأعرف كيف أقاوم هذا الضوء السكريه .

الإمضاء . هذا الذي كان بالأمس رجلاً

١ — وقد كتب آلان كاردك تعليقا على هذه الرسالة الفريدة يقول فيه :

« في الجلسة التالية عندما حللنا هذه الرسالة علينا من اتفاق أسلوبها صورة جديدة من صور العقاب التي تنتظر الأشرار . نحن يغرق البعض في الظلمة أو العزلة التامة ، إذ بالبعض الآخر يتحمل لمدي سنين طويلة آلام ساعته الأخيرة ، أو يعتقد أنه ما يزال في هذا العالم . وأما هذا الشخص فإن روحه تتمتع بكامل ملكاتها فيعلم جيداً أنه مات ، ولا يشكو شيئاً ولا يطلب مساعدة من أحد ، بل لا يزال يتحدى القوانين الإلهية والبشرية ، فهل معنى ذلك أنه بمنأى عن العقاب ؟ . . . كلا إنما هي العدالة الإلهية تتخذ طريقها في صور شتى ، فما قد يكون متعة للبعض قد يصير عذاباً للبعض الآخر . والضوء هو عذاب هذا الشخص الذي يكابد منه ويجعله يقول رغم كبريائه : « إنني أكون نفسي بنفسي وسأعرف كيف أقاوم هذا الضوء السكريه ، كما يقول والضوء يهرعيني ويحترق ذاتي الشفافة كسهم حاد » .

٢ — كما أعطت روح لامينيه Lamonaie^(١) تعليقا نقنطف منه ما يلي :

« لديكم أنموذج رهيب من رسالة هذا الشقي العنيد وهو يتخبط ضد عدالة الله التي تطارده بعد عدالة البشر ، نحن كان بالأحرى أن يدفعه

(١) مفكر ديني فرنسي (١٧٨٢ — ١٨٥٤) ومن مؤلفاته « بحث في عدم الاكتراث الديني » و « أقوال مؤمن » .

المبحث السادس

اتصالات بأرواح غريبة

هذه طائفة سادسة من الأرواح تميزها صفة خاصة وهي درجة واضحة من العناد الذى كان هو سبب شقاها هنا وهناك ، والعناد ابن الكبرياء التى هي مصدر رذائل كثيرة فى الإنسان . وقد اخترنا من الاتصالات التى تمت معها الناذج الآتية :

(١) لا بوميراي La Pommeray (العقاب بالضوء) : أثناء جلسة فى جمعية باريس — وقد كان الأعضاء يتناقشون فى حالة الاضطراب التى تعقب الموت عادة — حضرت روح من تلقاء نفسها وبغير أن يرد ذكرها على لسان أحد ، وأعطت الرسالة الآتية التى لم تضع توقيعها عليها ، لكن عرف الحاضرون بغير عناء أنها من روح مجرم خطير كانت العدالة البشرية قد اقتضت منه حديثاً :

« ماذا تقولون عن الاضطراب ؟ وما هذا الكلام الباطل ؟ إنكم حالمون خياليون وتجهلون تماماً الأمور التى تدهون أنها تشغلكم ! كلا ياسادة إن الاضطراب ربما لا وجود له إلا فى أذهانكم . فقد مت بقدر ما يكون الموت جلياً ، وأشهد كل شيء واضحاً فى وحول وفى كل مكان .. ما الحياة سوى مهزلة كئيبة . ومن ينسحب من فوق خشبة المسرح قبل نزول الستار هو عديم التوفيق . والموت يكون فرحاً كما قد يكون عقاباً أو رغبة طبعاً لضعف أو لقوة من يهابونه أو يتحدونه أو يتلبسونه — ولكنه للجميع سخريه مرة — فالضوء يبهري عيني ويخترق ذاقى الشفافة كسهم حاد . إنهم عاقبونى بظلمة السجن ، كما اعتقدوا أنهم سيعاقبونى بظلمة القبر ، أو بنار جهنم ، ولكن ها أنتم أيها السادة تتحملون الظلام ، أما أنا طريد المجتمع فأحوم

الشعور به تهيأت على غير علم من الظروف التي أدت إلى حضوري ، وهي التي أنا مدين لها ببدء خلاصى فشكراً لكم يا من عطفتم على ونورتموني .

وعما قاله المؤلف تعليقاً على هذه الحالة :

« إنه نظراً لأن الغرض من حضور هذا الشقي كان إفادته ، فلم يكن حضوره مصادفة ، بل إن الأرواح الساهرة عليه ، عندما رأت أنه بدأ فى إدراك جسامته جرائمه قدرت أن اللحظة قد حانت لتقديم مساعدة فعالة له ، ومن ثم هيأت له الظروف المؤاتية للحضور ، وهو ما شهدنا حدوثه عدة مرات .

وقد استفسرنا عما كان سيؤول إليه مصير هذه الروح لو أنها لم تحضر ، وكذلك مصير الأرواح الأخرى المتألمة التي لا يمكن حضورها أو تلك التي لا يفكر فيها أحد فأجيب على استفسارنا بأن الوسائل الإلهية لنجدة مخلوقاته لا تحصى . وما مناجاة الأرواح سوى وسيلة منها ، وهي — ييقين — ليست الوسيلة الوحيدة لذلك ، فإن الله تعالى لا يترك روحاً منها طي الدسيان ، كما أن صلاة الجماعة لا بد وأن تؤثر فى الأرواح القابلة للتوبة .

وقد أراد الله أيضاً بهذه الطريقة إظهار التضامن الموجود بين جميع كائنات الدنيا وإعطاءها قانوناً طبيعياً كأساس لمبدأ الإخاء فيما بينها ، فضلاً عن أنها فتحت سبيلاً جديداً لعمل البر تظهر منه الناحية النافعة بحق والجدية من عملية الاتصال بالأرواح التي حولها الجهل والخرافات عن الهدف الذي رسمته لها العناية الإلهية . . فالأرواح المعذبة لم يكن ينقصها سوى المساعدة فى أى عصر من العصور ، وإن كان الاتصال بها قد فتح لها باباً جديداً من أبواب المعونة ، ولعل الأحياء أكثر استفادة من هذا الباب ، لأنه أتاح لهم فرصاً جديدة لفعل الخير ، فى نفس الوقت الذى يدرسون فيه الحياة المستقبلية على حقيقتها .

ج : إني ألعنه ، وقد أعفاني الله من منظره .

س : هل إذا عاد السيد د ، إلى المنزل نلحق به سوءاً ؟

ج : كلا لاني نائب .

س : ولو أراد تحديك مرة ثانية ؟

ج : لا تطلبوا مني هذا فقد لا أتمكن من السيطرة على نفسي ، لأن

ذلك فوق مقدوري . . . فأنا لست سوى بئس .

س : هل ترى نهاية لآلامك ؟

ج : كلا وإن هذا أكثر بكثير مما يستحق أن أعرفه ، ويكفييني أني علمت

بفصل تدخلكم أنها لن تستمر هكذا .

س : هل تتفضل بوصف حالتك قبل أن نستدعيك للمرة الأولى ؟

وأنت تعلم أننا لانفعل ذلك بدافع من حب الاستطلاع ، بل لعله يكون في مقدورنا أن نفعلك .

ج : ذكرت لكم أنه لم يكن لدى إدراك أي شيء في العالم سوى

جريمتي ، ولم يكن بمقدوري مغادرة المنزل الذي ارتكبتيهما فيه إلا للتحقيق

في فضاء ليس فيه من حولى غير الوحدة والظلام . ولست بقادر أن أعطيكم

فكرة عن ذلك ، ولم أكن أعلم عنه شيئاً ، بل عندما كنت أرتفع في الهواء

كان من حولى السواد والفراغ ، ولا أعلم ماذا كان هذا . واليوم أشعر

بتأنيب أكثر بكثير ولست مكرهاً على أن أألمح حتماً هذا المنزل . بل لقد

صار لي أن أهتم على الأرض وأن أستشير عن طريق الملاحظة . ولكنني

أعرف مع ذلك جسامه أخطائي بصورة أشد عنفاً . فإذا كانت آلامي

قد نقصت من ناحية فإنها قد زادت من ناحية أخرى بفعل تأنيب الضمير ،

لكن لدى الأمل بالأقل .

س : وهل كنت تشعر أثناء عزلتك بأى تأنيب للضمير ؟

ج : كلا على الإطلاق ولذا تعذبت كثيراً ، وإنما عندما بدأت في

مرتفعة جداً من الرقي ، لكن الوقت يكون أحياناً للأرواح السفلى طويلاً جداً خصوصاً عندما تكون متألمة .

س : ومن أين أتت هذه الروح قبل تجسدها ؟

ج : كان لها وجود بين أشد الشعوب همجية وتوحشاً ، وقبل ذلك حضرت من كوكب دون الأرض .

س : هذه الروح تعاقب بقسوة عن الجريمة التي ارتكبتها ، فلو كانت قد عاشت بين الشعوب الهمجية ، وعمدت حينئذ بالضرورة إلى ارتكاب أفعال لا تقل قسوة عن هذه الأخيرة ، فهل كانت ستعاقب بنفس الطريقة ؟
ج : كان عقابها سيكون أخف لأنها بحكم جهلها كان فهمها سيكون أقل قدراً لمدى أعمالها .

وبعد اتصالات متعددة مع هذا الشخص لاحظ المؤلف تقدماً محسوساً في حالته ، وها هي بعض أجوبته : —

س : لماذا لم تتمكن من الكتابة عندما استدعيناك لأول مرة ؟

ج : لم أكن أرغب في ذلك .

س : ولماذا ؟

ج : جهل وتوحش .

س : هل يمكنك أن تغادر منزل كاستلنوداري عندما تريد ؟

ج : نعم يمكنني ذلك لأنني استفدت من نصائحكم الطيبة .

س : هل أشعر بتخفيف ؟

ج : بدا لي الأمل .

س : في أي مظهر كنا سنراك لو أمكننا ذلك ؟

ج : كنتم سترونني بقميص وبلا خنجر .

س : وأين ذهب خنجرك ؟

في هذا المنزل . وقد شاهده وسيط الجلاء البصرى في الجلسة الأولى لحضوره وهو يهز بعنف ذراع الوسيط في اللحظة التي أريد فيها دفعه إلى الكتابة، وكان شكله مخيفاً ، كما كان يلبس قميصاً ملوثاً بالدماء ويحمل في يده خنجرأ .

س : إلى القديس لويس : هل تتكرم بوصف نوع العذاب الذي تعانيه روح هذا الشخص ؟

ج : إنه عذاب قاس له فقد قضى عليه بالإقامة في هذا المسكن الذي اقترف فيه جرائمه دون أن يتمكن من توجيه فكره إلى شيء آخر سوى هذه الجرائم ، فهمى أمام ناظره دائماً . ويعتقد أنه محكوم عليه بهذا العذاب الأبدى ، كما يشعر بنفسه كما لو كان يعيش على الدوام في اللحظة التي ارتكب فيها جريمته ، وقد سلبت منه كل ذكرى غيرهما ، كما منع من الاتصال بأية روح أخرى . فطالما هو في الأرض لا يغادر هذا المنزل ، أما إذا كان في الفضاء فإنه يعيش منفرداً في ظلام .

س : وهل من وسيلة لإخراجه من هذا المنزل ؟ وما هي ؟

ج : إذا أردتم التخلص من مضايقات الأرواح التي تماثلها فإن ذلك متيسر بالصلاة لأجلها ، وهو ما يهمله الإنسان عادة مفضلاً إرهابها بعبارات للطرده تلهو هي كثيراً بالاستماع إليها .

س : ما قد مضى عليها قرنان من الزمان وهي على هذه الحالة ، فهل يبدو لها هذا الوقت طويلاً كما لو كانت تعيش على الأرض ؟

ج : إنه يبدو لها أكثر طولاً فليس للنوم وجود بالنسبة لها .

س : قيل لنا إنه لا يوجد زمن بالنسبة للأرواح وإن قرناً بالنسبة لها هو عبارة عن نقطة في الأبدية ، أفليس هذا هو الوضع بالنسبة للجميع ؟

ج : كلا لأن هذا هو الوضع بالنسبة للأرواح التي وصلت إلى درجة

غريبة وظواهر جعلت الناس يعتقدون أن روحاً شريرة تسكن هذا المنزل . وكان السيد « د » يريد أن يسكنه ولكنه توفي فجأة بعد بضع سنوات . ولما أراد ابنه أن يسكنه تلقى أثناء دخوله فيه صدمة قوية من يد مجهولة ، ولما كان حينئذ وحيداً فلم يساوره شك في مصدرها الخفي وصمم نهائياً على مغادرة المنزل . وقد طلبت هذه الروح في جمعية باريس في سنة ١٨٥٩ فأحضرت وظهرت نفسها بحركات عنيفة بحيث عجز عن تهدئتها جميع ما بذل معها من جهود . وعندئذ طلب بعض أعضاء الجمعية بياناً من القديس لويس Saint Louis عن موضوعها فأجاب :

« إنها روح من أردأ نوع ، بل روح مارد حقيقى جعلناه يحضر لكتنا لم نقدر على إكراهه على الكتابة رغم كل ما قلناه له .. إن للسكينة حريته في الاختيار وهو يسىء استعمالها » .

س : وهل هذه الروح قابلة للتقدم ؟

ج : ولم لا ؟ أليس هو والآخرون جميعاً قابليين للتقدم ؟ لكن علينا أن نتوقع أن تلاقى صعاباً . ومهما كانت درجة التوائه فإن مقابلة الشر بالخير ستنتهى بالتأثير فيه . فلنرجه أولاً ، ثم فلتطلبوه في بحر شهر حتى يمكنكم أن تحكموا على التغير الذى سيطرأ عليه .

وقد أعيد طلب الروح في نفس الدائرة الروحية فبدت أسلس قياداً ثم استسلمت وابتدأت في التوبة ، واتضح من البيانات التى تلقتها الدائرة أنها لشخص كان في سنة ١٦٠٨ يقطن نفس هذا المنزل ، وفيه اغتال شقيقه بأن طعنه بسكين أثناء نومه بدافع من الشك والغيرة اللذين سببتهما المنافسة بينهما في الحب ، كما اغتال فيه أيضاً السيدة التى تزوجها بعد بضع سنوات من اغتيال شقيقه . وأخيراً توفي في سنة ١٦٥٩ عن ثمانين عاماً دون أن يعاقب على جرائمه التى كانت تثير قليلاً من الانتباه في أوقات الفوضى هذه . ومنذ وفاته لم ينقطع عن عمل الشر ، وتسبب في ارتكاب كثير من الحوادث التى وقعت .

س : هل بهم حقداً ورغبة في الانتقام ؟
ج : كلا بل هم يطلبون لي المغفرة ، لأنه ليس بمقدورك أن تتصوروا مطلقاً أى تعذيب رهيب ينبغي أن يؤديه المرء نحو من يكرهه .
س : هل تأسف على حياتك الأرضية ؟
ج : لست أسفاً إلا على جرائمى ، ولو عاد الأمر بيدي من جديد لما سقطت بعد الآن .

س : هل كان الميل إلى الشر طبيعة فيك أم دفعك إليه الوسط الذى عشت فيه ؟

ج : كان الميل إلى الجريمة فى طبيعتى إذ كنت روحاً سفلية وأردت أن أرتفع بغتة فتطلعت إلى أكثر مما تتحمل طاقتى ، حسبت نفسى قوياً فاخترت محنة قاسية واستسلمت إلى غواية الشر .

س : هل كنت تترك حياة الإجرام لو أنك تلقيت مبادئ تعليمية طيبة ؟

ج : نعم ولكنى اخترت الوضع الذى ولدت فيه .
س : هل كان بمقدورك أن تكون إنساناً صالحاً ؟
ج : بل إنساناً ضعيفاً وعاجزاً عن الخير والشر معاً . ولئن كان بمقدورى إصلاح طبيعتى الشريرة أثناء وجودى ، فإنه لم يكن بمقدورى السمو إلى حد فعل الخير .

س : هل كنت تؤمن بالله أثناء حياتك ؟
ج : كلا .

س : ومع ذلك يقال إنك ندمت ساعة التنفيذ ؟
ج : بل آمنت بالله منتقم وخشيت عدالته .
وهكذا يسترسل الحوار حتى نهايته .

(ب) روح كانت ترتاد بلدة كاستلنودارى Castelnau-dary .
فى منزل صغير بالقرب من قرية كاستلنودارى كانت تحدث ضوضاء

ج : شاهدت شيئاً ليس له شكل محدد بدالى كأنه لم يغادرنى ، ومع ذلك أحسست بذاتى كاملة وأنى أنا نفسى .

س : وما هو الأثر الذى تركه فيك هذا المنظر ؟

ج : أحسست بألمى رهيباً واستغرقت فيه .

س : هل من الصحيح أن الجسد يحيا لبضع لحظات بعد فصل الرأس وأن من يقتل يحتفظ بإدراكه ؟

ج : الروح تنسحب تدريجياً ، وبقدر ما تقيد أواصر المادة بقدر ما تطول لحظة الانفصال .

س : قيل إنه لو حظ أنه بدت على وجوه بعض من نفذ فيهم الإعدام تعابير الحنق وحركات معينة كما لو كانوا يريدون أن يتكلموا ، فهل ذلك نتيجة تقلص عصبى أم هو عمل إرادى ؟

ج : إرادى لأن الروح لا تكون قد انسلخت بعد .

س : ماذا كان إحساسك الأول عند ما دخلت فى وجودك الجديد ؟

ج : ألم لا يطاق ونوع من وخز الضمير كنت أجهل سببه .

س : هل اجتمعت بشركائك الذين أعدموا معك فى نفس الوقت ؟

ج : كان اجتماعنا للأسف تعذيباً مستمراً لنا ، فكل منا كان يسند إلى الآخر جريمته

س : هل ترى ضحاياك ؟

ج : أراهم وإنهم سعداء وتطاردنى نظراتهم كما أحس بها تنفذ فى أعماق نفسى وأحاول عبثاً الهرب منها .

س : وبماذا تشعر عند مرآهم ؟

ج : خزيًا وقأنيباً فى الضمير ، فقد قتلت بتريبتهم يدي ، ومع ذلك فما زلت أمقتهم .

س : وبماذا يشعرون عند مرآك ؟

ج : بالإشفاق .

التي ترى توقيعها على المسئول عن نشوب الحرب العالمية الأولى بحيث تكون
أشد إيلاماً وردعاً من عقوبة الموت ، فأجابت الروح : بل عقوبة الحياة ،
وفيما يلي بعض هذه الاتصالات . : —

١ — ليمير Lemaire

حكم عليه بالإعدام من محكمة جنائيات الإين L'Aisne ونفذ فيه في
١٨٥٧/١٢/٣١ وحضر في ١٨٥٨/١/٢٩ ثم قال : إني هنا .

س : ما شعورك لدى رؤيتنا ؟

ج : الخجل .

س : هل حافظت على إدراكك حتى اللحظة الأخيرة ؟

ج : نعم .

س : وهل أدركت وجودك الجديد عقب تنفيذ الحكم مباشرة ؟

ج : غمرني اضطراب كثيف لم أخرج منه بعد ، كما شعرت بألم هائل
وخيل إلى أن قلبي تألم منه . ثم رأيت شيئاً لا أعرفه يتدحرج تحت قدم المقصلة
ودما يسيل . وأصبح ألمي أشد قوة .

س : وهل كان هذا الألم جثمانياً مثل الألم الناجم من جرح كبير ، كبت
عضو مثلاً ؟

ج : كلا بل تخيلوا تأنيب الضمير لأنه ألم معنوي عظيم .

س : متى بدأت في الإحساس بهذا الألم ؟

ج : بمجرد أن تحررت .

س : هل الروح أم الجسد هو الذي أحس بالألم المادي الناجم
عن التنفيذ ؟

ج : كان الألم المعنوي في روحي ، وأما الجسد فقد أحس بالألم الجسدي .
مع أن الروح رغم انفصالها أحست به أيضاً .

س : هل شاهدت جسدك وهو مبتور الرأس ؟

بغير ريب ، وستوضع موضع الاعتبار فيما بعد ، ولكن كان فضلها الحقيقي سيكون في مقاومة الغواية ، حين آثرا أن يتصرفا كالجندى الهارب من الميدان في لحظة الخطر ...

ومدة عقابهما ليست مطلقة ، وستتوقف على الطريقة التي بها يتحملان تجاربهما المستقبلية ، وهو ما يمكن مساعدتهما فيه بالصلاة ، وسيكونان — ككل الأرواح المذنبة الأخرى — هما الحسبان في مصيرهما الخاص .
والأفضل ذلك الاعتقاد باللعة الأبدية بغير أمل ولا نهاية للمستحرين ؟

المبحث الخامس

اتصالات بأرواح فنند

هذه طائفة خامسة من الأرواح التي تم الاتصال بها في نفس الجمعية . وهي أرواح شقية لأنها أرواح قتلة ممن ماتوا على المقصلة . وفي الواقع لقد تباينت آراء الأرواح الراقية حول عقوبة الإعدام . فلهذه العقوبة أنصارها كما أن لها أعداءها حتى في عالم الروح . ويضيف أعداؤها حجة جديدة لمعارضتها تضاف إلى الحجج القديمة التي يثيرها المعارضون لها ، وهي أن الإعدام كثيراً ما يحرر أرواحاً شريرة مرتبطة بالأرض بصورة ما earthbound ويلقى بها إلى خارج عالم المادة قبل تطورها المطلوب حيث تكون أكثر حرية ومقدرة على الإساءة ، ولو في صورة مس روحى ، كما قد يحدث أحياناً . وهذا الاعتراض يصدق بطبيعة الحال على من أعدموا عن جدارة واستحقاق ، ولا يصدق على الأبرياء الذين قد يروحوون ضحية خطأ القضاء ، أو على المجاهدين وأصحاب الرسائل الراقية الذين راحوا ضحايا الجهل والاستبداد من أمثال سقراط وجاليليو وجان دارك .

أما بالنسبة للأشقياء والأثمة الكبار فلا يزال لعقوبة الإعدام أنصارها وأعداؤها . ففي رسالة نشرتها جريدة الفيجارو الفرنسية في ١٥ من يناير سنة ١٩١٩ سئل روح الشاعر والأديب العظيم فيكتور هيجو V. Hugo عن العقوبة

س : أكرر لك أن آلامك تنتهى عندما يمكنك أن تتعجل التوبة ،
وسنساعدك بالصلاة .

ج : لاني لم أسمع سوى كلمة واحدة وأصوات غامضة وهذه الكلمة هي
العفو ، فهل كنتم تتحدثون عن العفو ؟ لا ريب أنكم كنتم تتحدثون عن
العفو إلى الروح التي بجوارى وهي لطفل بأنس ينوح ويؤمل .

(هنا قالت سيدة من الجمعية إنها كانت تصلى لأجل هذه التعيسة ،
ولا ريب أن هذه الصلاة هي التي شعرت بها لأنها كانت تطلب لها العفو
من الله) .

س : إنك تقولين إنك في ظلام ، أفلا تريننا ؟

ج : بمقدورى أن أستمع إلى بعض الكلمات التي تنطقون بها ، ولكنى
لا أرى إلا نقاباً أسود ترسم عليه أحياناً صورة رأس تبكى .

س : إذا كنت لاترين حبيبك ، أفلا تشعرين به حاضراً بالقرب منك
لأنه هنا .

ج . اه لا تحدثوني عنه ، إذ ينبغي أن أنساه الآن ، إذا كنت أريد
أن تمحى من هذا النقاب الصورة التي أراها مرسومة عليه .

س : ما هي هذه الصورة ؟

ج : صورة رجل متألم ، قضيت على كيانه الأدبى على الأرض لأمد
طويل (تقصد زوجها) .

ثم يعلق آلان كاردك على هذه القصة قائلاً : -

« بقراءة هذه القصة قد يميل الإنسان بأذى ذى بدء إلى أن يجد في هذا
الانتحار ظروفاً مخففة ، بل قد ينظر إليه كعمل بطولى إذ كان الدافع إليه
هو الإحساس بالواجب . ولكن يرى القارئ كيف أن الحكم كان غير
ذلك ، وكيف أن عقاب المذنبين طويل ومخيف لأنهما لاذا بالموت هرباً
من الصراع . وفكرة عدم خيانة واجباتهما الزوجية كانت فكرة مشرقة

حيث ستبحث روحاهما المنعزلتان إحداهما عن الأخرى . وسيعاقبان عقاباً مزدوجاً من القلق ومن الرغبة إلى أن يتم التكفير ، فيجمع بينهما لقاء دائم في ظل حب خالد .

وبعد ثمانية أيام ، أى في جلستكم المقبلة يمكنكم طلبهما ، وسيحضران ولكن لن يشاهد أحدهما الآخر ، بل سيفصل بينهما ليل بهيم وذلك لأمد طويل . . . وقد تحقق فعلاً الاتصال بروح السيدة ودار نقاش بينهما وبين بعض الحاضرين كالآتى : —

س : هل ترين حبيبك الذى انتحرت معه ؟

ج : لا أرى شيئاً ، ولا أرى حتى الأرواح التى تقيم معى فى المقر الذى أنا فيه ، فأى ليل هذا ! أى ليل ! وأى حجاب كشف على وجهى !

س : أى إحساس شعرت به عندما استيقظت بعد موتك ؟

ج : إحساس غريب ، كنت أشعر ببرودة وبحرارة شديدة . فالبرودة تجري فى عروقى ، والحرارة تشتعل فى جيبى ، شئ عجيب وخليط لا يطاق ، فالثلج والنار معاً يبدران قابضين على ، وخيل إلى أنى سأموت مرة ثانية .

س : هل تشعرين بألم جثمانى ؟

ج : كل ألى هنا وهنا .

س : ماذا تقصدين بذلك ؟

ج : هنا فى رأسى وهنا فى قلبى .

س : هل تعتقدين أنك ستكوين دائماً فى هذه الحالة ؟

ج : نعم دائماً دائماً ! وإنى أسمع أحياناً ضحكات جهنمية ، وأصواتاً كريهة تزجر بهذه الكلمات « هكذا دائماً ! »

س : حسناً ولكن يمكننا أن نقرر لك بكل تأكيد بأن الحال لن تكون كذلك دائماً ، وأنت عند التوبة ستحصلين على المغفرة .

ج : ماذا قلتم ؟ فإنى لا أسمع .

من السيد د د ، لما بدا لهما من تفوق مركزه الاجتماعي على مركز منافسيه .

وكان د ب ، و د د ، مع ذلك صديقين حميمين يجتمعان كثيراً ، ولم يضعف الحب المتبادل بين د ب ، والأنسة بالمير التي أصبحت زوجة لصديقه د د ، بل ازداد الحب بينهما على مر الأيام بسبب العنف الذي حاول الحبيبان أن يقاوماه به . وقد تزوج د ب ، من جانبه بسيدة صغيرة على صفات رقيقة كثيرة محاولاً بذلك إطفاء نار حبه وباذلاً جهده كيما يحب زوجته ، إلى أن تبين له أن هذه الطريقة قصرت أيضاً عن شفائه من هواه ، ومع ذلك ظل الحبيبان خلال أربعة أعوام دون أن يخونا واجباتهما مؤثرين على ذلك تحمل آلام يحل عنها الوصف ، خصوصاً وأن د د ، الذي كان يحب صديقه حباً جماً كان يدعو كثيراً إلى منزله ويرغمه على البقاء معه .

و ذات يوم وقد جمعت المصادفة البهجة بين الحبيبين تطارحا الوجدوا استقرار رأيهما على أن الخلاص من الحياة قد يكون هو العلاج الوحيد لما يقاسيانه من آلام الهوى ، واتفقا على الانتحار معاً ومجتمعين في اليوم التالي ، حيث كان د د ، سيتغيب جزأ كبيراً من النهار . وبعد أن تما إعداد العدة حرراً خطاباً طويلاً ومؤثراً يبرران فيه السبب الذي جعلهما يؤثران الانتحار وهو رغبتهما في عدم التفريط في واجباتهما الزوجية ، وتوسلاً في نهايته المغفرة ، وطلباً أن يدفنا في قبر واحد .

وعندما عاد السيد د د ، إلى منزله وجد الحبيبين محتنقين بالغاز ، فاحترم رغبتهما وطلب ألا يفرق بينهما في القبر ، ... هذا ما ورد بالصحيفة .

وقد اقترح بعضهم أن تكون هذه الحادثة موضوعاً للدراسة في جمعية باريس الروحية ، فأجابت الروح المرشدة بما يلي : « العاشقان المنتحران لا يمكنهما بعد الإجابة ، فإنى أراهما وقد تملسكهما الاضطراب والخوف من جو الأبدية . وستعقبهما النتائج الأدبية لما أقدمنا عليه خلال حيوات متعاقبة

إلا عندما يلحقها الغفران الإلهي ، أو ما نعبر عنه بمحبة الله تعالى . وما سبب ذلك إلا استيلاء الكبرياء على روحنا البائسة ، فإنها تحيطها برداء يكاد يهلكها ، فيلزمنا وقت كاف للخلاص من هذا الرداء بمساعدة من يصلي لأجلنا من إخواننا .

س : هل ترغب في الحديث عن إخوانك الأحياء أو الأموات ؟

ج : عن هؤلاء وهؤلاء .

س : عندما كننا نتحدث مع شقيقتك قام أحد الموجودين هنا بالصلاة لأجله فهل أفادته الصلاة ؟

ج : ليست ضائعة . وحتى لو رفض المغفرة الآن فإنها ستقيدده عندما يكون في حالة تسمح له بالاستفادة من هذا الدواء panacée المقدس (وهنا يقول المؤلف ما ملخصه أن اللفظ الذي استعملته الروح للتعبير عن الدواء وهو panacée كان بمثابة لازمة لفظية عرفت عن المتوفى خلال حياته الأرضية ، وقد لاحظ ذلك أحد أقاربه ، وأرسل إلى المؤلف خطاباً بهذا المعنى . وهذا اللفظ نادر وغير مألوف الاستعمال في التعبير عن معنى الدواء ، وهو حرفياً يشير إلى ما يصلح من الدواء في علاج جميع الأمراض ^(١)) .

(٥) انحاء مزدوج بدافع الحب والروابط

بتاريخ ١٣ يونية سنة ١٨٦٢ نشرت إحدى الصحف القصة الآتية الآتية :

« كانت الآنسة بالمير Palmyre تشتغل عاملة للأزياء وتقيم مع والديها ، وكانت تمتاز بمظهر جذاب فضلاً عن خلقها المحبوب ، ولذا طلب يدها الكثيرون وقد فضلت من بينهم السيد د ب ، الذي كانت تشمر نحوه بعاطفة قوية ، ولكنها نزولاً على إرادة والديها اللذين كانت تحبهما قبلت الزواج من

(١) ولعله يقابل ما نعبر عنه باللغة العربية بالبلمس .

ج : ولماذا نجتمع بين آلامنا ؟ إن الشقاء يفرق للأسف أما السعادة

فتجتمع .

س : وهل يسرك أن ترى أخاك بجوارك ، إذ يمكننا استدعاه ؟

ج : كلا ، لأنني في حالة دنيا .

س : ولم لا تريد أن تستدعيه ؟

ج : لأنه هو أيضاً غير سعيد .

س : هل تخشى مشاهدته ؟ إن مشاهدته لا يمكن إلا أن تقيده .

ج : ليس الآن ، بل فيما بعد .

وبعد ذلك حضرت روح شقيقه الذي كان يشاركه آراءه ، لكنه لم يمت

منتحراً ، وكانت روحه أكثر منه هدوءاً وخطه أكثر وضوحاً .

الروح : لعل صورة آلامنا تكون درساً مفيداً لكم وتقنعكم بوجود

حياة أخرى يكفر فيها الإنسان عن خطاياہ وعن عدم إيمانه .

س : هل تبادل النظر مع شقيقك الذي كان هنا ؟

ج : بل يهرب مني .

س : بما أنك أكثر هدوءاً فهل تقدر أن تصف لنا آلامك بصورة

أكثر دقة ؟

ج : ألا يتألم الواحد منكم في كرامته وكبريائه عندما يضطر إلى التسليم

بأخطائه وهو على الأرض ، وألا تثور روحكم خشية المهانة أمام من يكشف

لكم عن أغلاطكم ؟ حسناً فإذا تعتقدون يمكن أن تكون آلام الروح

التي ثابرت خلال وجودها بأكملها على إقناع نفسها بعدم بقاء شيء بعدها ،

وبأن الحق في جانبها وإن كره الجميع ؟ ثم ألا يلحقها بعدئذ الخزي والتلاشي

عندما تجد نفسها وجهاً لوجه إزاء الحقيقة الصارخة ؟

فإذا أضيف إلى ذلك وخز الضمير لأنها تمسكت أثناء وقت طويل

إلى هذا المدى من إنكار وجود إله لطيف ورحيم كهذا ، فإن حالتها تصبح

لا تطاق ، كما يعز عليها الهدوء والراحة ، بل أنها لن تعثر على بعض الطمأنينة

الروح : إني أتألم والكل ينكرني .

س : طلب أقاربك استدعاءك لأنهم يرغبون في معرفة مصيرك ، فهل هذا الاستدعاء يرضيك أم يضايقتك .

ج : يضايقتني .

س : وهل مت بإرادتك ؟

ج : نعم (وهنا بدا عليه الاضطراب والغضب حتى حطم القلم ومزق الورقة) .

س : فلتكن أكثر هدوءاً وسنصلي جميعاً إلى الله لأجلك .

ج : إني مضطر إلى الايمان بالله .

س : وما الباعث الذي حملك على إهلاك نفسك ؟

ج : سأم من حياة بلا أمل .

س : هل تفضل بكتابة حالتك على قدر ما يمكنك ؟

ج : ما يؤلمني هو الاضطراب إلى الايمان بكل ما كنت أنكره ،

فتتعذب روحي عذاباً رهيباً كما لو كنت على جمر من النار . . .

س : ماذا كنت تعتقد عن مصيرك عندما أغرقت نفسك ؟

ج : لم تكن لدى أية فكرة عنه ، إذ كان ذلك بمثابة العدم في رأيي ،

لكنني تبينت بعدئذ أن علي أن أتألم كثيراً وأني أستنفد عقوبيتني بأكملها .

س : لكن هل أنت مقتنع تماماً الآن بوجود الله والروح والحياة

الآخري ؟

ج : نعم للأسف وذلك يعذبني كثيراً .

س : هل شاهدك أخوك .

ج : لا .

س . ولماذا .

ينبغي وهب نفسه للمسكر فنزل إلى أشد حالات اليأس ، ووضع حداً لمحتته القاسية بأن ألقى بنفسه من برج فرانسوا الأول في ٢٢ يولييه سنة ١٨٥٧ فلتعطفوا على أروحه البائسة التي لم تتقدم ، وإن كان لديها من المعرفة بالحياة المستقبلية ما يكفي مع ذلك لكي تتعذب وتطلب تجربة جديدة . فصلوا إلى الله حتى يهبها المغفرة تؤدوا لها عملاً طيباً .

* * *

ويقول آلان كاردك إنه بالبحث في الصحف اليومية وجد بالعدد الصادر بتاريخ ٢٣ يولييه سنة ١٨٥٧ من جريده الهافر النبأ التالي :

« أمس في الساعة الرابعة مساء روع المتزهون بحادث فظيع . ذلك أن رجلاً ألقى بنفسه من فتحة البرج وتحطم على الأحجار ... وقد تبين أن اسمه فرانسوا فيكتور سيمون لوفيه ، ثم نقلت الجثة إلى منزل إحدى بناته بشارع الكوردبرى Corderie ، وهو يبلغ من العمر سبعاً وستين سنة . »

ويلحق مشيراً إلى مرور ستة أعوام على وفاة هذا الرجل وكيف أنه لا يزال يرى نفسه مع ذلك كما لو كان يهوى من البرج ويتحطم على الصخور ومن ثم يفزع من الفراغ الذي تحته ... وكما سيستمر ذلك ؟ إنه لا يعلم ، وهو شك يضاعف من آلامه . ألا يساور هذا العقاب الجحيم ولهيبة ؟ ومن الذي كشف لنا هذه العقوبات ؟ هل اخترعناها ؟ أم نفس الذين يقاسونها يأتون ويصفونها ، كما يصف آخرون سعادتهم ؟ .. ولطالما قاموا بذلك من تلقاء أنفسهم ، وهو ما ينفي تماماً الزعم القائل بأننا ضحايا لأوهامنا الخاصة .

(ج) مع منور ملحد

كان السيد ج.ب.د. رجلاً ملحداً ، كما كان متشبعاً بالآراء المادية إلى أقصى مدى وغير مؤمن بالله ولا بالروح . وقد طلب بعض أقاربه حضوره بعد عامين من وفاته :

وهذا هو نفس الوضع بالنسبة للبيت حديثاً . فالموت كان عنده بمثابة القضاء على ذاته ، وما شأنه إلا كشأن المذموم مغناطيسياً ، فهو أيضاً يرى ويشعر ويتحدث ويكون في نظر نفسه كأنه لم يمت ، ويأخذ في القول بذلك حتى يلهم إدراك حالته الجديدة ...

(ب) رسالة من لوفيه فرانسوا سيمون Louvet François Simon

في اجتماع روهي عقد بمدينة الهافر Le Havre في يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٦٣ تقدمت روح من تلقاء نفسها وأملت الرسالة الآتية :

« لتكن لديكم شفقة على بائس مسكين يعاني منذ مدة طويلة آلاماً مرة . أواه من الفراغ ... من الفضاء ... إني أهوى ... إني أهوى (من عل) فهل من مغيث ...؟ يا إلهي لقد كانت حياتي تعيسة وكنت شيطاناً بائساً ... تأملت طويلاً من الجوع في شيخوختي ولذا أدمنت الشراب فمجت نفسي كل شيء ، إلى أن رغبت في الموت فألقيت بنفسي ... إيه يا إلهي أية لحظة هذه ، ولماذا أردت أن أنهى حياتي ما دام الأجل كان دانياً إلى هذا الحد ؟ فصلوا لأجلي حتى لا أرى بعد الآن هذا الفراغ دائماً من تحتي . أ كاد انحطم على هذه الأحجار واستحلفكم يا من تعرفون آلام من لم يعودوا بينكم ... وأتوجه إليكم رغم أنكم لا تعرفونني لأنني أتألم كثيراً ... ولماذا تريدون أدلة ؟ إني أتألم أليس في ذلك الكفاية ؟ . لو كنت جائعاً بدلاً من الألم الرهيب الذي أقاسيه والذي لا تشاهدونه — أ كنتم تترددون في التخفيف عني بكسرة من الخبز ؟ فأطلب منكم أن تصلوا لأجلي ... لا يمكنني المكوث هنا طويلاً ، واسألوا أحد هؤلاء السعداء الموجودين هنا تعلبوا من أكون . وصلوا لأجلي ، .

فرانسوا سيمون لوفيه

الروح المرشد للوسيط

هذا الذي فرغ من الاتصال بكم بائس مسكين قاسي محنة الفاقة على الأرض وتمسك السخط كما خائته شجاعته ، وبدلاً من أن ينظر إلى فوق كما كان

س : هل كانت لحظة انطفاء الحياة الية ؟

ج : كانت أقل ألماً من اللحظة التي تلتها . لقد تألم الجسد وحده .

س : إلى «القديس لويس» ماذا يعنى بقوله إن لحظة الموت كانت أقل ألماً من تلك التي تلتها ؟

ج : لقد تخلصت الروح من حمل كان يثقل كاهلها بعد أن كانت تشعر بشهوة الألم .

س : هل يحدث ذلك دائماً في حالة الانتحار ؟

ج : نعم ، فروح المنتحر تظل متصلة بجسده حتى نهاية حياته (الارضية) لأن الموت الطبيعى هو التحرر من هذه الحياة ، أما الانتحار فتحطيم لها برمتها .

س : هل هذه هي الحال بالنسبة لكل موت عارض إذا أدى إلى تقصير الأمد العادى للحياة ؟

ج : كلا وإلا فماذا تعنون بالانتحار؟ إن الروح لاتدان إلا بأعمالها .

ثم علق آلان كاردك على هذا الحوار بالآتى :

الشك في حدوث الموت أمر مألوف لدى من ماتوا حديثاً، خصوصاً لدى من لم يرتفع منهم بروحه فوق مستوى المادة خلال حياته الأرضية ، وهي ظاهرة تبدو غريبة لأول وهلة ولو أن تفسيرها يسير . فلو سألتنا شخصاً منوماً تنويمياً مغناطيسياً أثناء يقظة نومية حركية Somnambulisme عما إذا كان نائماً لأجاب في جميع الأحوال تقريباً بالنفى . وجوابه منطقي فالخطأ يقع على عاتق السائل الذى يستعمل في سؤاله لفظاً غير مناسب ، لأن النوم في لغتنا الدارجة مرتبط بتوقف جميع ملكات الحس ، أما من يكون في حالة يقظة نومية حركية ، فهو يفكر ويرى ويشعر ويدرك حريته المعنوية ، ومن ثم لا يعتقد أنه نائم لأنه بالفعل ليس نائماً طبقاً للدلول الشائع لهذه الكلمة .

- س : من الذى كلفك بالحضور إلى هنا ؟
ج : لقد أحسست بشيء من التخفيف .
س : ما الذى حملك على الانتحار ؟
ج : وهل أنا ميت ؟ كلا ما زلت أقطن جسدى ولا تعرفون كم أنا لم وأختنق ، فلتحاول يد رحمة القضاء على .
س : لماذا لم تترك أى أثر يمكن به التعرف عليك ؟
ج : إني مهجور وهربت من الألم لأقابل العذاب .
س : هل لديك الآن نفس الأسباب كما تظل مهجوراً ؟
ج : نعم ولا تضعوا حديداً ساخناً على جرحى الدامى .
س : هل ترغب فى ذكر اسمك وسنك وعملك وعنوانك ؟
ج : كلا .
س : هل كانت لديك زوجة وأولاد ؟
ج : كنت مهجوراً ولم يحببني إنسان .
س : وماذا فعلت حتى لا يحببك أحد ؟
ج : كثيرون مثلى ، إن الإنسان يمكن أن يكون مهجوراً وهو وسط عائلته إذا لم يجد قلباً يحبه .
س : هل أحسست بأى تردد عند تنفيذ عزمك ؟
ج : كنت متعطشاً إلى الموت وباحثاً عن الراحة .
س : ألم يجعلك خوف المستقبل أتراجع عما شرعت فيه ؟
ج : لم أكن أو من بالمستقبل . كما كنت بلا أمل والمستقبل هو الأمل .
س : فِيمَ كنت تفكر فى اللحظة التى شعرت فيها بانطفاء شعلة الحياة ؟
ج : لم أفكر بل شعرت ، ولكن حياتي لم تنطفئ ، لأن روحى متصلة بجسدى وأشعر بالدود يقرضنى .
س : وماذا كان إحساسك عندما مت تماماً ؟
ج : وهل الأمر كذلك ؟

فإن الانتحار جريمة . وإنك انتقدم خدمة جليلة إلى كل من تحدى نفسه بالانتحار إذا ما أقنعته بأن ذلك لن يسبب أى تخفيف لآلامه . هناك هالة aura مظلمة حول الرقعة من الأرض التي تكون روح المنتحر مضطرة أن تبقى فيها ريثما تقضى ما كان سيكون نصيبها العادى من الحياة على الأرض (لوم تنتحر) ، وذلك قبل أن تتمكن من الدخول إلى عالم الأرواح .^(١) ويلاحظ إلى أى مدى بلغ التطابق بين الرسالتين مع تباين مصدرهما . وقد أثبتت اتصالات آلان كاردك في الجمعية الروحية ، بباريس صحة مضمون هاتين الرسالتين ، كما يتضح ذلك من المحاورات الآتية :

(١) حديث مع منظر الساماريين

في حوالي الساعة السابعة من مساء يوم ١٨٥٨/٤/٧ توجه رجل حسن المظهر في الخمسين من عمره إلى حمامات الساماريين Samaritaine بباريس وطلب إعداد حمام له ، ثم وجد منتحراً بأن ذبح نفسه بشفرة حلالة وظلّت شخصيته مجهولة . وقد أحضرت روحه في جمعية بباريس الروحية بعد ستة أيام من الحادث ودار معها الحوار الآتى :

س : أين أنت الآن ؟

ج : إني لا أعلم فقل لى أنت أين أنا ؟

س : إنك في جمعية مكونة من أشخاص مهتمين بالدراسات الروحية ويريدون العناية بك .

ج : قولوا لى ما إذا كنت لا أزال حياً لأنى أكاد أختنق فى الصندوق .

من المؤلف : إن روحه رغم انفصالها عن الجسد ما زالت غارقة فيما يصح تسميته بدوار المادة الجسدية . كما أن أفكاره الأرضية ما زالت على حالها ، فهو لا يتصور نفسه ميتاً^(١) .

(١) راجع ما سبق لى هاتين س ٢٢٩ و ٢٨٠ .

في إدراك ما ينقصها ، مع طول الزمن والتجربة وتقلبات الحياة والشقاء الذي تعانيه . وعندئذ تبدأ في بذل جهدها للحصول على ما يسمونها ، ومتى طرقت هذا الطريق فإنها تسير فيه بسرعة لأنها تكون قد تذوقت إحساساً يظهر لها امتيازها ، وتعد حقيرة بجانبه كل المتع الأخرى التي لا تلبث أن تستذكرها .

المبحث الرابع

انفصالات بمفهومين

أجمع البحوث في الروحية على أن الانتحار لا يعد وسيلة للخلاص من الآلام الأرضية بالغاً ما بلغ مداها . وأن الوسياتين الوحيدتين للخلاص منها هما الصبر والصلاة ، وقد أملت روح راقية كتباً عنوانه « دروس مختصرة في الروحية »^(١) على وسيط يدعى ج . ف . J. F. جاء فيه عن الانتحار . « إنه في جميع الأحوال — إلا فيما ندر — يكون المنتحر بأية طريقة كانت ولاى سبب كان ، قد اخنزل لمدة متفاوت في مداها أمد وجوده الأرضي ، فيبقى في حالة اضطراب ، وغالباً يظل بالقرب من جثته طيلة الوقت الذي كان عليه أن يحياه على الأرض . وعند انتهاء هذه الحالة — التي تتراوح من ناحية الطول ومن ناحية الألم تبعاً للأحوال والظروف ولعدد السنين التي كانت متبقية المنتحر على الأرض — يجد المنتحر نفسه وقد عاد إلى بيئته الروحية . »

وقد أعطت روح البحثة دينز برادلي Dennis Bradley جواباً في شأن الانتحار عن طريق الوسيطة مسز بيركل Berkel جاء فيه^(٢) .

Cours Abrégés de Spiritisme.

(١)

(٢) جريدة الصنعاى اكسبريس عدد ٦ يناير سنة ١٩٣٥ والمجلة الروحية الفرنسية عدد

مارس ١٩٣٥ .

أكثر الجوانب شيوعاً في الحياة ، وهو جانب الأنانية . فهنا لا توجد هذه الجرائم التي تشمئز منها أشد النفوس انحرافاً عن الصواب ، وإنما هي حالة فريق من الناس يحيا في العالم مجداً مرموقاً ، لأن له طريقاً خاصاً ... ففي عالم الروح لا يقاس هؤلاء عقاباً استثنائياً تشعر منه الأبدان . وإنما هم في وضع بسيط وطبيعي بسبب أسلوبهم في الحياة .

فكثير كما رأينا كانت روحاً ذكية جداً ، لكن قلبها كان غاوياً . وكان مركزها الاجتماعي وثروتها ومزاياها الجسدية سبباً في منحها الإعزاز الذي ارضى غرورها ، وكان فيه كفايتها . لكنها لا تقابل هناك سوى عدم الاكتراث ، يحوطها الفراغ وهو عقاب ألم لها من أى ألم . بل إنه قاتل لأن الألم يستثير العطف والإشفاق ، كما أنه وسيلة للفت الأنظار إليها وشغل الآخرين بها وجعلهم يهتمون بمصيرها !

أما عن الرسالة السادسة فهي تحوى فكرة سليمة تماماً في أنها تشرح عناد بعض الأرواح في الشر ... فهذه الأرواح تعيش هناك إلى حد ما في بيتهم لا تتصور المتع النقية ، وتفضل أرديتها الملوثة على الملابس النظيفة الأنيقة ، كما تفضل أعيادها المماجنة على متعة المصاحبة الحسنة . لقد عود أصحابها أنفسهم على هذا النوع من الحياة فصار لهم طبيعة ثانية . بل لقد صاروا يعتقدون أنهم عاجزون عن السمو فوق محيطهم ، ولذا يظلمون فيه ، حتى يفتح التغير أذهانهم ، وينمو فيهم الإحساس الخلقى فيصبحوا أكثر قابلية لمشاعر أجدى لهم .

فهذه الأرواح لا تحصل فور تخليها عن أجسادها على رقة الإحساس . ويتعين عليها أن تبقى وقتاً طويلاً وقد يقصر في المناطق السفلى من عالم الروح ، كما شغل أصحابها هذه المناطق في عالم المادة . وستثبت بها طالما ظلت نائرة على التقدم . لكن سيأتي عليها وقت تتطلع فيه إلى ما هو أسهى وتبدأ

٧ — ولقد أتيت إليك يا من تركتني طي النسيان منذ زمن طويل ،
لكنني تعلت الصبر ولم أعد يائسة ، أنك تريد أن تعرف مركز فليكس
البائس (زوجها وكانت قد تألمت منه كثيراً أثناء حياتها الأرضية) إنه يهيم
في الظلة فريسة لتدهور روحه العميق وذاته السطحية المستخفة التي
لوثها الإقبال على الجسد . كان يحمل معنى الحب والصدقة ، ولم تلق العاطفة
عليه شيئاً من ضوئها الساطع . إنني أشبه حالته بحالة طفل أحرق إزاء حوادث
الأيام وهو محروم من معونة من يعاونه . إن فليكس يهيم مذعوراً في
هذا العالم الأجنبي حيث يسبح كل شيء بنور الله الذي كان ينكر هو
وجوده . . .

ثم توقفت الروح بغتة وتدخلت الروح المرشدة للوسيط واسمها جورج
Georges على النحو الآتي : : لقد كان فليكس سطحيّاً في آرائه وإحساساته ،
عنيفاً لأنه كان ضعيفاً ، شهوانياً لأنه كان فاجر العاطفة ، فدخل إلى عالم الروح
عاري النفس كما كان في عالم المادة الذي لم يستفد منه شيئاً ، فعليه أن يستأنف
كل شيء من جديد . وكأنسان يستيقظ من حلم طويل كيما يرى كم كان
مضطرب الأعصاب ، فإن هذا البائس سيعرف — عند خروجه من —
اضطرابه — أنه عاش في الأوهام التي ضللت حياته ، فيلعن المادية التي جعلته
يتمسك بالأجوف من الأمور معتقداً أنه على حق كما يلعن الواقعية التي كانت
تجعله يسمى الحياة المستقبلية حلاً ، والتطلع إليها جنوناً ، والإيمان بالله
ضعفاً . . . سيرى المسكين عند يقظته أن هذه الأسماء التي استبعدتها كانت
أسماء الحقيقة ، وأن صيد الفريسة كان أقل نفعاً له من صيد الظلال ، على
عكس ما هو وارد في الأسطورة . . .

* * *

وقد علق آلان كاردك على هذه الرسائل ذات القيمة التعليمية
التي تبرز في موضوع الثواب والعقاب قائلاً إنها تكشف لنا عن جانب من

ملكوت السموات ، . الخلق الإلهي يتقبل كل توبة ويغفر كل خطيئة يعترف صاحبها حين ترفض ذلك أخلاق البشر التي تتقبل رغم ذلك الخطايا المستورة وتغضى عنها نصف إغضاة . الأول يمنح المغفرة أما الثاني فيشجع الرياء . فاخترى أيتها الأرواح المتلطفة على معرفة الحقيقة بين السمات المفتوحة للتوبة وبين تسامح البشر الذي يقبل الشر طالما كان لا يكشف عن كبرياتنا وتدبيراتنا لزائفة ، لكنه تسامح يستنكر مع ذلك العاطفة ونزوات الأخطاء إذا اعترفنا بها في وضع النهار . فتوبوا يا جميع الخطاة وارجعوا عن الشر . لكن ارجعوا بوجه خاص عن الرياء الذي يغطي قبح نفوسكم وانبدوا هذا القناع الضاحك الخداع الذي تواضعتم عليه ، . كبير

٦ — داني الآن هادئة وقد استسلمت للتكفير عن الخطايا التي ارتكبتها . الشر في وليس فيما يحوطني . فانا التي ينبغي أن أتغير لا الأشياء الخارجية ، فانا نحمل في نفوسنا جنتنا ونارنا ، كما أن أخطائنا المسجلة في ضمائرنا نقرأها عادة في يوم بعثنا ، ونصبح قضاة أنفسنا . وحالة روحنا هي التي ترفعنا أو تهوي بنا . ولافسر ذلك أقول إن الروح غير النقية تثقلها أخطاؤها فلا يمكنها أن تصور ارتفاعاً لا تقدر على تحمله ، ولا ترغب فيه .

اعلموا هذا جيداً فكما أن الأنواع المختلفة من الكائنات يعيش كل منها في محيط خاص به ، فكذلك كل نوع من الأرواح يتحرك بحسب مدى تقدمه ، وفي الجو الذي تعد له ملكاته ، ولا يمكن أن يتصور غيره إلا إذا التزع الارتقاء — وهو الوسيلة البطيئة للنحول — هذه الأرواح من ميولها الرديئة وجردها من مصدر الخطيئة فيها ، فتتمكن من الانطلاق محقة بسرعة نحو الله الذي يصبح هدفها الوحيد الذي ترغب فيه . أما أنا فما زلت للأسف أجبو . لكن لم أعد أحقد على إنسان ، متصورة السعادة التي قد تمنحني إياها حبة الإله ، فصلوا لأجل دائماً فاني أرجو وأنتظر .

يتم بي أيضاً . إنى لا أجد ألفاظاً أعبر بها عن ضيق هذا الزمن الذى انقضى دون أن تحدد الساعات ، لكنى أرى بصيصاً من أمل أعطينى إياه فلا تهجرني إذن . .

٤ — وهنا أملت روح القديس لويس Saint Louis البيان التالى عن روح هذه البائسة : « هذا تصوير صادق لازيادة فيه ، ولعل المرء يتساءل عما فعلت هذه المرأة حتى تصبح بائسة إلى هذا الحد ، فهل ارتكبت جريمة نكراء من سرقة أو اغتيال ؟ كلا لأنها لم تأت ما يستحق عدالة البشر بل كانت تتمتع على العكس من ذلك بما تسمونه السعادة الدنيوية : جمال وثروة ومباهج واستهتار . لم يكن ينقصها شيء . بل كان السكل يرمقها ويحسدها على حالها ، قائلاً كم هي سعيدة هذه المرأة ، فماذا أتت ؟

لقد كانت أنانية ، كان لديها كل شيء عدا القلب الطيب ، فإذا كانت لم تنتهك قانوناً بشرياً فإنها انتهكت ناموس الله بأن أنكرت أولى الفضائل وأقصده البر . لم تحب سوى نفسها فلا يحبها الآن أحد . لم تعط شيئاً فلا تعطى الآن شيئاً . إنها منفردة ووحيدة ومهجورة يغمرها الفضاء ، لا يفكر فيها أحد ولا يشغل نفسه بها وهذا هو عذابها .

ولأنها لم تبحث إلا عن المتع الدنيا ، وهى لا توجد الآن ، فإنها تشعر من حولها بفراغ ، ولا تشاهد سوى العدم والعدم يبدو لها كأنه الأبدية . فهى لا تحس تغذية أبدياً يقوم به الأبالة ، كلا لأن ذلك لا ضرورة له ، بل هى تعذب نفسها بنفسها فتتالم أكثر فأكثر ، لأن هذه الأبالة كانت ستكون كائنات وكانت ستفكر فيها . كانت الأنانية نعيمها على الأرض ، لكنها تطاردها الآن وأصبحت لها بمثابة الدود الذى يأكل قلبها ولا يلبسها الحقيقى . .

٥ — « سأحدثكم عن الفارق الكبير بين الخلق الإلهى والخلق الإنسانى . الأول يساعد المرأة الساقطة فى عزلتها ويقول للخطاة « توبوا تفتح لكم

هذا ، وأين أجد الشجاعة والأمل ؟ فلتحاول أيها العقل المحدود ان تفهم ما معنى يوم لانهاية له ، أهو يوم أم عام أم قرن ! إني لا أعلم شيئاً عن ذلك لأن الساعات لا تجزئه ، والفصول لا تغير منه ، بل هو أبدي وبطيء كالساعة الذي يخرج من الصخر ... إني أتألم ولا أرى شيئاً حولي سوى ظلال صامتة وغير مكترثة بي . إني أتألم ... ولكنني أعلم مع ذلك أنه فوق كل هذا الشقاء يحكم الله الأب الذي يتجه إليه كل شيء . إني أريد أن أفكر فيه وأن أبتهل إليه .

٢ — إن شقائي يزداد يوماً فيوماً بقدر ما تزداد معرفتي عن الأبدية . تباً لك أيها الشقاء ! كم ألعنك أيتها الساعات الأتمة ، ساعات الأناية والفسيان التي تجاهلت فيها كل بر وكل إخلاص ، ولم أفكر إلا في هنائي الشخصي . كم أنت جديرة بالاحتقار أيتها التدايير البشرية وأيها المشاغل المادية التافهة . عليكم اللعنة أنتم الذين غررتم بي وأعميتموني ، لكم يحزن في نفسي ندم لا ينقطع كلما تذكرت الزمن الذي أمضيته ... ماذا أقول لك يا من تصغي إلى ؟ أسهر على نفسك بنفسك بلا انقطاع وأحجب الآخرين أكثر من نفسك ، ولا تتسكأ في طريق الخير ، ولا تغدر جسديك على حساب روحك . اسهر كما قال السيد لنلاميده . لا تشكرني على هذه النصائح فإن روحي تدركها ولكن قلبي لم يصغ إليها أبداً .

٣ — ها قد حضرت أبحث عنك في هذا المكان لأنك نسيتني . أعتقد أن صلوات متقطعة ينطق فيها باسمي تكفي لتخفيف ألمي ، كلا وألف كلا . إني أذوب هماً ، وأهيم بلا راحة ولا مأوى ولا أمل ، شاعرة بسيف العقاب الأبدي مصلتاً على روحي النائرة . إني أضحك عندما أسمع شكواكم وعندما أراكم مغلوبين على أمركم ! ماذا تعد أحزانكم الباهتة ودموعكم . وماذا تعد متاعبكم التي تنقطع أثناء النوم ، وأنا هل أناام ؟ إني أريد — هل تسمعي ؟ أريد أن تتركوا بحوثكم الفلسفية وأن تهتموا بي وأن تجعلوا الخير

« سبق أن نشرنا أنه قد عثر في يوم ٦ الجاري على بقايا جثة القاهما اليم بين بلليفيل Belleville ولاهيف La Hève وقد فقد منها الرأس والصدر والذراعان ، ومع ذلك فقد أمكن التعرف على شخصية صاحبها من الخذاء الذى كان لا يزال عالقا بالقدمين ، وقد تبين أنها للبحار لافيك Lavie الذى غرق في يوم ١١ ديسمبر على الباخرة لا ليرت L'Alerte التى انتزعها هياج البحر أمام تروفييل Trouville . وكان عمر لافيك تسعة وأربعين عاماً وهو من مواليد كاليه Calais وقد تعرفت عليه أرملته . »

ثم عادت روحه مرة أخرى في يوم ١٢ أغسطس أثناء الحديث في موضوعها في الدائرة الروحية التى ظهرت فيها لأول مرة وأكدت شخصيتها من جديد للحاضرين ، كما أعادت وصف محتتها بما لا يخرج عما تقدم ذكره .

(ح) السيدة كلير Claire : دراسة يشترك فيها الأحياء والأموات .

هى سيدة عرفها الوسيط أثناء حياتها الأرضية ، وكان خلقها وسلوكها يبرران كل التبرير ما احتملته من آلام . فقد كانت من صفاتها الانانية المفرطة وكانت شخصيتها تنعكس في رسالتها الثالثة التى طلبت فيها من الوسيط ألا يشغل نفسه بأحدسواها . وقد وردت رسائلها في أوقات مختلفة ، وكانت الثلاث الأخيرة منها تشير إلى تقدم محسوس لديها في صفاتها كروح بفضل اهتمام الوسيط الذى أخذ على عاتقه عناية العناية بها : —

١ — وهأنذا كلير الشقية فإذا تريدون أن تتعلموا منى ؟... (١) إن القناعة والأمل لفظان أجوفان لمن يعلم أن آلامه ستطول على مر القرون ، ولانهاية لها . وتقول مع ذلك إنه يمكننى أن أخفف منها ، فأى لفظ غامض

(١) كان بعض الأرواح يحضر طاماً بالفرض من حضوره ، وهو تحقيق رغبة الموجودين في التعلم والدراسة . ويبدو أن الأرواح المرشدة كانت تشترك في اختيار الأرواح التى تحضر وكانت تبين لها مقدما الفرض من الحضور لإشغاله ، ولساعدتها على التخلص من آلامها إن كانت بحاجة إلى المساعدة مثل روح كلير هذه .

(ب) من باسكال لافيك Pascal Lavie .

هذه روح حضرت من تلقاء نفسها وأملت ما يلي :

« إني أومن بعدالة الله الذي سيشمل برحمته روحى البائسة . لقد تألمت وتألمت كثيراً . كما هلك جسدى فى البحر وظل لمدة طويلة طافياً على الأمواج ، ولكن الله ... » (ثم توقفت الروح فجأة ، وفى اليوم التالى أتت رسالتها قائلة) « قد شاءت إرادته أن تجعل من صلاة من تركتهم على الأرض سبباً لانتزاعى من حالة القلق والشك التى كانت تغمرنى . لقد انتظرونى طويلاً وتمكنوا من العثور على جسدى وهو يرقد الآن . وحالما تخلصت روحى رأت الأخطاء التى ارتكبتها والمحنة التى تحملتها . إن الله يحكم بعدالة وبمحبة تمتد إلى التائبين . وإذا كانت روحى قد ظلمت تهيم أمدأ طويلاً على جسدى فذلك لأنه كان على أن أكفر عن أخطائى . اتبعوا الطريق المستقيم إذا كنتم تريدون من الله أن يحرر أرواحكم سريعاً من غلافها . وعيشوا فى محبة لأن الموت الذى يبدو رهيباً للبعض يصبح هيناً لكم إذا عرفتم الحياة التى تنتظركم . إني تأمب وأرجو أن يغفر الله لى ... لقد عثروا على جسدى يوم ٦ أغسطس ، وكنت بحاراً بائساً ثم هلكت منذ مدة طويلة . »

باسكال لافيك

س : وأين عثروا عليك .

ج : قريباً منكم .

وهنا يقول المؤلف أنه قرأ فى جريده الماهر فى عدد ١١ أغسطس سنة

١٨٦٣ النبأ التالى الذى لم يكن بمقدور الوسيط أن يعرف عنه شيئاً : —

== المبالغتة — كما كانت الحال هنا — لا ينقص الجبل الأثيرى فوراً ، بل قد تتوقف الحياة فى الجسد المادى بسبب الصدمة المبالغتة التى تلقاها من الحادث ، أو من العدوان أو من الانتحار أو ما أشبهه ويظل الجبل الأثيرى على حاله ، فلا ينقطع إلا بعد فترة قد تطول وقد تقصر . ويكون ذلك سبباً لآلام الروح وهى تشاهد جسدها أثناء تحلله ، وقد يساعد على ذلك جهل الروح بصيرها وبحقيقة الحياة الأخرى (وقد وضع ذلك الأديب الكبير شو دزموند Shaw Desmond فى مؤلفه « كيف نحيا عند ما نموت » وراجع ما سبق فى الجزء الأول س ٤٣١ ، ٤٣٢) .

أرى الآن كم كانت حياتي على نقيض ما كان ينبغي أن تكون عليه .
كما أرى الأخطاء التي ارتكبتها . لقد كنت مخلوقاً عديم الجدوى في العالم
فلم أستخدم مواهبى ولم أنتفع من أموالى إلا في إرضاء شهواتى ونزوات
الترف والغرور . لم أكن أفكر إلا في متعة الجسد دون الروح .. فيا أيها
الروح البائسة التي تتألمين من أخطائك الأرضية ، هل ستشملك رحمة
الإله ؟ ... فصلوا كيما يغفر الله لى وأخبر من الآلام التي مازلت أعانيها ،
ولاني أشكركم لأنكم فرغتم من الصلاة لأجلي ..

٥ - رسالة خامسة في ٨ يونية :

« إن بمقدورى محادثتكم وشكراً لله الذي سمح لى بذلك . ولقد رايت
أخطائي وأرجو أن يغفرها لى الله . سيروا في حياتكم دائماً طبقاً للحقيقة
التي تملأكم لأنها ستحقق لكم في المستقبل راحة لم تحصل عليها بعد . شكراً
لصلاتكم وإلى اللقاء .. »

وهنا يقول آلان كاردك تعليقاً على رسائل هذه الروح « إن إلحاح الروح
في الصلاة على قبرها خاصية جديدة بالذكر ، وإن كان سببها واضحاً وهو الصلة
الشديدة التي كانت تقيد الروح بالجسد ، إذ كان الانفصال بطيئاً وصعباً بسبب
مادية المعيشة التي عاشها صاحبها . ومن ذلك يمكن أن نعرف أن الاقتراب
من جثة الميت يهيء للصلاة أن تحدث نوعاً من تأثير مغناطيسي قوى لمساعدة
الروح على التخلص من الجسد . أليس العرف المألوف من الصلاة بالقرب
من أجساد الموتى مصدره نوع من الإلهام غير الواعي عن هذا التأثير ؟ ...
إن قوة الصلاة في هذه الحالة يكون لها أثران : أثر مادي وأثر معنوي
في وقت واحد ، (١) .

(١) الأمر الطبيعي ، هو أن الحبل الأثيري الذي يربط الجسد الأثيري بالجسد المادي ينقسم
تدريجياً أثناء الاحتضار ويقب انفصامه التام توقف النبض والتنفس ، وبالتالي حدوث الوفاة
والانطلاق الجسد الأثيري إلى عالم الروح . إلا أنه لوحظ أنه في بعض حالات قليلة من الموت =

الذى تحمله جسدى لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب القلق الذى أنا فيه . صلوا
كيما يغفر الله لى . أواه من الألم . الرحمة يا إلهى . أواه من الألم وداعاً .

٢ — رسالة بتاريخ ١٨/٣/١٨٦٣ :

« لقد حضرت عندكم مرة قبل الآن ، ولكنى لم أتمكن من محادثكم إلا
بصعوبة . والآن أيضاً أحادثكم بصعوبة . أنت الوسيط الوحيد الذى يمكن
أن أطلب منه أن يصلى حتى تنتشلنى رحمة الله من الاضطراب الذى أعانيه .
لماذا أتألم أيضاً مع أن جسدى لم يعد يتألم ؟ لم هذا الألم الشديد ؟ هل سيستمر
أبداً هذا الضيق العظيم ؟ صلى وصلى دائماً كيما يهينى الله الراحة . أواه
ما هذا الشك الرهيب الذى ما زلت متصلاً بجسدى ولا يمكن أن أرى إلا
بصعوبة ، أين يمكن أن أكون ؟ إن جسدى هنا ، ولماذا أنا هنا دائماً ؟
تعالوا وصلوا بجواره حتى أنخلص من هذا القيد الفظيع . إنى أرجو أن
يغفر الله لى ، أرى الأرواح القريبة منكم ويمكن أن أحادثكم عن طريقها .
صلوا لأجلى . »

٣ — رسالة بتاريخ ٦ أبريل :

« ها قد حضرت كيما أطلب منكم أن تصلوا لأجلى . إن عليكم أن تأتوا
حيث يوجد جسدى لتصلوا إلى الله القادر أن يخفف من آلامى . كم أتألم
فأذهبوا إلى هذا المكان واطلبوا من الله أن يمتحنى المغفرة . إنى أرى أنه
من المحتمل أن أصبح أكثر اطمئناناً ، ولكنى أعود بغير انقطاع إلى المكان
الذى وضع فيه هذا الذى كنته (يقصد جسده) . »

٤ — ورشالة رابعة بتاريخ ١١ مايو :

« لقد انتظرتكم وكنت أومل فى الساعة التى تحضرون فيها إلى حيث
يبدو أن روحى لا تزال ملتصقة فعلاً كيما تبهتموا إلى إله الرحمة أن يخفف
من آلامى . إن صلاتكم يمكن أن تفيدنى فأرجو ألا تتوانوا عن أدائها . »

لأنما المستقبل هو في البر والنية الخاصة في جميع الأعمال . هو في الإيمان بأن جميع الأرواح إخوة ، هو في الإنكار الدائم لجميع الصديانبات التي نزهو بها . يا أسرتي المحبوبة ستلاقين محناً كثيرة ، لكن تعلني أن تقابلها بشجاعة وبقين أن الله معك وصلي دائماً هكذا : —

يا إله المحبة والبر الذي يهبنا دائماً كل شيء ، امنحنا هذه القوة التي لا تنقهر أمام أي ألم . امنحنا أن نكون طيبين ورحماء وأبراراً ، قليلة أموالنا وكبيرة قلوبنا ، وأن نكون روحيين على الأرض حتى نكون أكثر لك فهماً ومحبة . وليكن اسمك أيها الإله شعاراً للحرية ، وغاية معزية لجميع الخزان ، وأيضاً لمن يعوزهم المحبة والمغفرة والإيمان ، . كاردون

المبحث الثالث

انصافات بأرواح تشكو آلاماً شتى

(١) من أوجست ميشيل Auguste Michel .

كان شاباً غنياً مقبلاً على الحياة ، نعم بحياة المادة وحدها ، وكان عدم الاكتراث بالأمور الجدية من صميم أخلاقه وذلك رغم ذكائه . كما كان محبوباً من رفقاء المتعة ومعروفاً في الأوساط الراقية كإنسان اجتماعي . لم يكن شريراً ، بل كان أقرب إلى الطيبة ولو أنه لم يفعل خيراً على الإطلاق . مات من سقوط سيارته أثناء الزهرة . حضرت روحه عن طريق وسيط كان يعرفه معرفة غير مباشرة ، وذلك بعد بضعة أيام من وفاته فأعطت الرسائل الآتية :

١ — رسالة بتاريخ ١٨٦٣/٢/٨ بمدينة الهافر Le Havre .

لقد تخلصت منذ برهة وجيزة من جسدي ، ولهذا فإن بمقدوري مخاطبتكم لكن بصعوبة . إن السقطة الشنيعة التي أودت بحياتي سببت لروحي اضطراباً عظيماً . إنني قلق قلقاً شديداً من ناحية ما سأكونه . وإن الألم الخفيف

متى أفهم ماذا أحل بي . . . ينبغي أن أذهب إلى هناك حيث ذاتي الثانية . لماذا سيحل بهذه الذات الغائبة . . . وداعاً .

وعند استدعائها بعد بضعة أيام أخرى قالت : « أشكركم لأنكم صليتم لأجلي ، وإني أومن برحمة الله التي وفرت علي الألام ، وكذلك الإحساس بال لحظة التي انفصل فيها جسدي عن روحي . إن والدتي ستتحمل عنه كثيراً حتى تستسلم لإرادة الله . لكن هناك من سيساعدها . وما يبدو لها الآن مصيبة كبرى (هي وفاتي) كان أمراً لا مفر منه حتى تكون إرادة الله بالنسبة لها ما ينبغي أن تكونه . سأكون بجانبها حتى نهاية محنتها الأرضية وسأساعدها على تحملها . لست شقية لكن علي أن أفعل الكثير حتى أتقدم نحو المقر السعيد . سأصلي إلى الله حتى يأذن لي بأن أعود إلى هذه الأرض لأن علي أن أعوض ما فقدت من وقت في هذا الوجود . ليقوم الإيمان أيها الأصدقاء . ولتكن لديكم ثقة في قوة الصلاة إذا صدرت من القلب ، قاله كريم ، هيلين ميشل .

(ح) من الدكتور كاردون Cardon .

« إن الله قدر لي صلواتي وإيماني التام به . إنني في طريق التقدم وسأصل إلى الهدف الذي سمح لي برؤيته . صلوا أيها الأصدقاء لهذا العالم الغير المنظور الذي يتحكم في مصائركم ، فإن هذا التعاون بين الإخوة هو من عمل الله . إنه وسيلة قوية لتواصل الأرواح من جميع الأكوان .

إنني أرجو جميع معارفي أن يؤمنوا بالله القوى العادل الصمد . وأن يؤمنوا بالصلاة التي تقوى وتعزى ، وبالبر الذي هو أنقى ما تعمله الروح في تجسدها ، ولينذروا أن ما يمكن أن يعطيه الإنسان قليل ، لكن صدقة الفقير هي الأكثر استحقاقاً عند الله . فما دام أن الفقير يعطى كثيراً إذا أعطى قليلاً فعلى الغنى أن يعطى كثيراً حتى يستحق مثله .

كذلك أن يحب خالقه في كل خليقته، وأن يطبق بالفعل هذا الملخص الصغير الكبير لو اجبات الإنسان ؛ أن تحب ربك قبل كل شيء وأن تحب قريبك كنفسك .

هذا هو يا طفلى العزيزة ما ينبغى أن يكونه بوجه التقريب الإنسان الشريف أمام الله . فهل حققت أنا كل ذلك ؟ . . . كلا لقد قصرت في الكثير من هذه الواجبات وهو ما أبوح به بلا خجل ، فلم يكن لدى النشاط الذى ينبغى أن يكون عليه الإنسان . ولطالما قادنى نسيان الإله إلى نسيان واجبات أخرى ، وإن كانت غير معاقب عليها فى شريعة البشر ، فإنها لا تغلت من العقاب فى ناموس الله ، ولقد تأملت كثيراً عند ما أحسست بذلك . ولذا أوّل الآن أملاً هو عزائى فى رحمة الله الذى يرى توبى .

قولى ذلك يا طفلى وكرريه لكل من أرفقتهم ضمائرهم : أن يشتروا أخطائهم بالأعمال الصالحة . لأن الرعاية الإلهية ستوقف عند السطح ، لكن نظراته الأبوية ستحصى كل ما يفعلونه للتكفير عن أخطائهم فتمحو يده القادرة هذه الأخطاء . .

(ب) من السيدة هيلين ميشيل Hélène Michél .

هى سيدة صغيرة السن توفيت فجأة فى الخامسة والعشرين من عمرها . كانت غنية ، فارة الإحساس نوعاً ، كما كان اهتمامها بالأمور التافهة أكثر من اهتمامها بالجاد منها . ورغم ذلك فقد كانت طيبة القلب رفيقة سليمة الطوية ومحسنة ، قالت بعد ثلاثة أيام من وفاتها : لا أعرف أين أنا ، ولا ما هذا الاضطراب الذى يحيط بى : لقد طلبتمونى فحضرت ولا أعرف لماذا لست بمنزلى الآن . سيكونى لأننى غائبة مع أنى هنا ولا أقدر أن أشعرهم جميعاً بوجودى . إن جسدى أصبح لا ينتهى ، إلى ومع ذلك أشعر به بارداً مثلاً . إنى أريد أن أغادره . . . وقد حضرت إلى هنا . إنى شخصان . . . أوأه

لهول المفاجأة، اذ كانت تعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة الأرضية، فهدأ من روعها. ولما استعادت غيوبتها الوساطية تصالحاً بجملة وشفيت الوسيطة .

المبحث الثاني

الاتصال بأرواح في مارة وسط بين السعادة والشقاء

(١) من السيد جوزيف بريه Joseph Bré .

توفي في سنة ١٨٤٠ وطلبت حفيده له الاتصال به بحاسة بمدينة بوردو Bordeaux في سنة ١٨٦٢ فقال لها : إنى اتألم بصورة لا يمكنك أن تفهمها ندماً على أنى لم احسن استخدام وقى على الأرض . هناك هوة بين الإنسان الشريف أمام الناس والإنسان الشريف أمام الله . إنك تريد أن تتعلّى يا ابنتى العزيرة وسأحاول أن أجعلك تحسّين بالفارق العظيم بين الاثنين .

يعد الإنسان شريفاً بينكم إذا احترم قوانين بلاده احتراماً قد يكون مرناً للكثيرين ، وذلك بالألا يلحق أذى بجاره فلا يسرق ماله ، لكن كثيراً ما يختال الإنسان بلا وازع شرف هذا الجار وهناك فلا يتمكن القانون أو الرأى العام من الوصول إليه لأنه جمع إلى الإثم الرياء .

إنما الإنسان الشريف أمام الله هو الذى يخصص حياته بكل محبة وإخلاص لعمل الخير ولتقدم أمثاله ، هو الذى يقضى حياته مستعداً لأن يؤدى واجبه المادى المفروض عليه فى حماسة ونشاط ، لأنه ينبغى أن يعلم لإخوته حب العمل . هو النشيط فى الأعمال الصالحة لأنه لا ينبغى أن ينسى أنه تابع مطالب يوماً بتقديم حساب لمتبوعه عن استخدام وقتته ، نشيط حتى الغاية ، لأن عليه أن يكون القدوة الصالحة فى محبة الله والقريب معاً .

الإنسان الشريف أمام الله يجب أن يصم أذنيه عن أى نداء للكبرياء أو للحسد أو للطمع ، ويجب عليه أن يكون صبوراً وليناً مع من يهاجمه ، وأن يغتفر من أعماق قلبه — بلامكابدة ولا عناء — إساءات الغير . وعليه

وقد أعطت الروح بعد ذلك رسالتين بتاريخ ٢١ فبراير وكاتبته بخصوص مرض المؤلف وقد تضمنتا عدة نصائح في شأن علاجه

وأما الرسالة الآتية فقد أملتها نفس للروح بتاريخ ٢٦ يناير أى غداة يوم وفاة صاحبها في دائرة روحية انعقدت من بعض أصدقائه بمدينة منتوبان Montouban وقالت فيها : « أنا أنطوان ديمير Antoine Demeure لم أمت بالنسبة لكم يا أصدقائي الطيبين ، إنما مت بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون مثلكم هذا الفقه الكريم الذى يجمع من تحابوا على الأرض ، ومن كانت لديهم نفس الأفكار ونفس عواطف المحبة والبر .

إني سعيد ، بل أسعد مما كنت أتصور لأنى أشاهد بوضوح ، وهو أمر نادر الحصول لدى الأرواح التى تخلصت من المادة منذ وقت قليل كهذا . فتشجعوا أيها الأصدقاء الطيبون ، وسأكون قريباً منكم ولن أتوانى عن إرشادكم إلى أشياء كثيرة نجهلها عندما نكون متصلين بمادتنا البائسة التى تخفى عنا روائع وامتعا كثيرة ، فصلوا لأجل المحرومين من هذه السعادة لأنهم لا يعرفون ما يسببونه لأنفسهم من أحزان .

إن أسترسل اليوم كثيراً ، وإنما أكتفى بأن اذكر لكم أنى لأجد نفسى غريباً على الإطلاق فى هذا العالم غير المنظور منكم ، ويبدو لى أنى كنت دائماً مقيماً به ، وإنى به جد سعيد وأشاهد هنا أصدقائى ويمكننى الاتصال بهم كلما أردت ذلك . لا تحزنوا أيها الأصدقاء لئلا تجعلونى أسفا على معرفتكم ، وإنما دعوا الهم من يفعل فعله ، والله سيقودكم إلى هذا المقر حيث ينبغي أن نلتقى جميعاً ، أسعدتم مساء ، والله يعزيكم وإنى قريب منكم .

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك قصة طريفة عن روح هذا الطبيب المشبع بالإنسانية فقال إن وسيطة كان يعرفها وقت حياته الأرضية مرضت بساقها وكانت تجهل وفاته ، لحضر وطالها من مرضها أثناء جلسة روحية بالتدليك دون أن يسمح لها برؤية وجهه ، لكنها تعرفت عليه فصرخت مذكورة

ما يعرفه الكثيرون منكم ، إنما سأتعلم سريعاً هنا حيث لا يعوقني عائق وحيث ليس من عمر يهد من قواى . هنا نحيا ونتقدم بخطوات واسعة لأننا نرى أمامنا آفاقاً بلغ من جلالها أننا لا نصبر على رغبة ارتيادها . ولأنى أغادركم فوداعاً ثم وداعاً .

(و) من الدكتور ديمير Demeure .

كان طبيبياً بمدينة آلبي Albi وتوفى بها فى ٢٥ من يناير سنة ١٨٥٦ ، وقد كفلت له معلوماته وأخلاقه احترام مواطنيه وتبجيلهم ، كما كان معين بره وطيبته لا ينضب . علم المؤلف بوفاته يوم ٣٠ يناير فاتجه تفكيره على الفور إلى الاتصال به فقال : « ها أنذا وقد وعدتكم منذ حياتى أن أحضر به مجرد وفائق لأصافح يد أستاذى العزيز آلان كاردك . لقد سبب الموت لروحي هذه الإغفاءة العميقة التى نسميها بالغيوبة ولكن كان عقلى متيقظاً ، فنفضت عن نفسى هذا الغشيان السكرى الذى يطيل ما يعقب الموت من اضطراب وسرعان ما استيقظت وقت برحلتى إليكم .

كم أنا سعيد لأنى لم أعد كهلاً محطماً ، إذ لم يكن جسدى سوى قيد مفروض على . لقد صرت صغيراً ووسيماً وسامة الشباب الذى هو للروح صفة لازول ، هذا الشباب الذى لا تملو وجهه التجاعيد ولا يبيض شعره تحت وطأة الزمن . لى أشعر بخفة الطير الذى يخترق السماء بقفزة سريعة وأتعجب ، وأنا كذرة فى الوجود ، كما أتأمل وأبارك وأحب وأنحنى احتراماً أمام عظمة فن الخالق وحكمته ، وأمام ما يحوطنى من إبداع .

لنى فى سعادة ومجد . أوام من يقدر يوماً أن يصف ما فى أرض المختارين من روائع زاهية ، وأن يصف العوالم والشموس ودورها فى مضمار هذا التوافق العام . حسناً لنى سأحاول يا أستاذى أن أدرس ذلك وسأحضر كما أضع تحت تصرفك أعمالى فى الروح — كعلامة ولاء — وأهديها لك مقدماً وإلى اللقاء . ديمير .

وأن تظل صلتنا وثيقة بها ، ومع ذلك نعجز عن استخدامها ، أن نرى من كنا نجبهم وأن نحس مع ذلك بانطفاء شعلة الفكر التي تربطنا وإياهم .

لكم هذا مؤلم ولكم قاسية هذه اللحظة . . . هذه اللحظة التي يستولى علينا فيها الدوار كيما يصرعنا وبعد فترة نرى ظلاماً دامساً ، أن نحس ثم نفق ثم نريد أن يكون لنا الإحساس بالذات فلا نقدر على استرداده . لم نعد كما كنا ، ومع ذلك نشعر بأننا لازلنا كما كنا . كلا بل إنه اضطراب عميق ، وبعد وقت لا يمكن تقديره ، وقت مضايقات ممتدة لأنه لم تعد لنا القدرة على الإحساس به ، بعد هذا الوقت الذي يبدو غير متناه نولد ثانية في الوجود مخلقين في عالم جديد ليس فيه جسد مادي ولا حياة أرضية بل حياة خالدة . .

لم تعد الأجسام من لحم ودم بل صارت أشكالاً لطيفة ، أرواحاً تناسب من كل جانب تحيط بنا ، ولا يستطيع النظر أن يحيط بها كلها لأنها تحلق في اللانهاية . . . أن نرى الفضاء وأن نستطيع اجتيازه بالإرادة وحدها ، وأن نتصل بالفكر بكل من يحيط بنا آية حياة جديدة ومشرقة هذه يا صديق ، بل أي نعيم وأي سلام هذا أيتها الأبدية التي احتويتني في أحضانك .

وداعاً أيتها الأرض التي احتجزتنى وقتاً طويلاً بعيداً عن العنصر الطبيعي لروحي . ما كنت أريد منك أكثر من ذلك . كلا لأنك أرض منفي وأكبر ما فيك من سعادة لا يعد شيئاً مذكوراً .

لكن لو كنت أعلم ما تعلبونه أنتم الآن لكان وصولي إلى الحياة الأخرى سهلاً ولذيذاً ، إذأ لعلبت قبل أن أموت ما تعين على أن أعليه بعد ذلك وقت الانفصال ، ولتخلصت روحي من جسدي بسهولة عما جرى . إنكم على الطريق لكن لن تذهبوا إلى أبعد من ذلك أبداً . قولوا ذلك لو لدي حتى يؤمن به ويتعلبه ، وحتى لا ينفصل أحداً عن الآخر عند حضوره إلى هنا . وداعاً أيها الأصدقاء جميعاً وداعاً ، وإني أثناء الوقت الذي ستمكنونه على الأرض سأحضر إليكم كيما أتعلم بالقرب منكم ، لأنني لا أعرف بعد قدر

لنا عنها عقائدنا العزيزة علينا . لقد صرت طليقاً ورقد جسدى خاملاً .

« ليه أيها الأصدقاء الأعزاء ، كم هو مبهج أن نعانق الفضاء ، لكن لا تحسبوا مع ذلك أنى قد صرت فجأة مختاراً عند الله . كلا بل أنا بمن ألمات بالقليل لكن ينقصهم الكثير كيما يتعلموه . لم يلزمنى وقت طويل لكى أتذكركم أيها الإخوة الذين فى المنفى ، ولنى أؤكد لكم أن محبتى وجميع أمانى كانت محيطة بكم .

« إنكم تريدون أن تعرفوا أرواح من هى التى استقبلتنى ، وماذا كان شعورى إزاءها ؟ لقد كان أصدقائى من بينهم هم الذين كنا نتصل بهم ، وكذلك الأخوة الذين كانوا يشاركوننا فى أعمالنا .

« لقد رأيت روعة لكن هيبات أن أقدر على وصفها ، فانصرفت إلى تمييز ما كان صحيحاً فى الرسائل استعداداً لكى أصحح لكم كل بيان خاطئ منها ، حتى أكون غادماً للحقيقة فى العالم الآخر كما كنت فى عالمكم ، جوبار . وبلى ذلك حوار طويل بين الروح وبين الجالسين من أعضاء الجمعية الروحية عن بعض حقائق عالم الروح التى أصبح الكثير معروفاً منها الآن ، والتى عرضنا لأهمها فى الباب السابق .

(ح) من السيد فان دروست Van Druet

كان موظفاً وتوفى فى أنفرس Anvers (بيلجيكا) فى عام ١٨٦٣ عن ثمانين عاماً ، وأملى الرسالة الآتية بعد أربعة أيام فقط من انتقاله : « أيها الصديق ، لقد كانت حياتى ثقلاً ثافهاً فى ميزان الأبدية ، ومع ذلك فلست الآن شقياً ، بل لنى فى مركز متواضع كإنسان عمل قليلاً من الشر دون أن يرقى مع ذلك إلى السكال ، وإذا كان هناك سعاداء فى محيط ضيق فأنا أكون منهم . لست نادماً إلا على شىء واحد فقط ، وهو أنى لم أعرف ما تعرفونه أتم الآن ، وإلا لأصبح اضطرانى أقصر أمداً ، وألى أخف وطأة ، لقد كان هذا الاضطراب فى الواقع عظيماً . . . أن نحيا وألا نحيا ، أن نرى أجسادنا

ويريحها . وقد كان لديكم الدليل المقنع عندما آمنت بغتة روح السيد برنارد Bernard^(١) الذى أثرت فيه الصلوات الروحية التى قُتِمَ بها على قبر هذا الإنسان الخير الذى كنتم تستجوبونه الآن (السيد سانسون) والذى يرغب فى أن يراكم تتقدمون فى الطريق المقدس . فليس للحب من حدود ، وهو يملأ رحبات الفضاء ، معطياً أسباب الطمأنينة والعزاء ومتقبلاً إياها .

فنحن نشاهد البحر فى منظر لا ينتهى ، ويبدو فى نهايته الأخيرة متصلاً بالسماء ، فيصيب هذا المنظر الرهيب لعظمة البحر والسماء بالذهول الروح التى تتأمله . وكذلك الحب فهو أعمق من الأمواج ، وأرحب من الفضاء وينبغى أن يجمع شملكم جميعاً ، إن كنتم بشراً أم أرواحاً فى شركة برّ واحدة فيتحقق به الاندماج الرائع بين ما انتهى أسره وبين ما هو خالداً ينتهى .

جورج

(ب) من السيد جوبار Jobard .

كان مديراً للتحف الزراعى فى بروكسل وتوفى فى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٨٦١ عن تسعة وستين عاماً ، وكان فى حياته رئيساً فخرياً للجمعية الروحية فى باريس ، وقد حضرت روحه من تلقاء نفسها فى جلسة ٨ نوفمبر سنة ١٨٦١ فى مقر نفس الجمعية وأملت الرسالة الآتية : —

« هأنذا الذى كنتم تريدون حضوره وقد أردت إظهار نفسى أولاً لهذا الوسيط الذى كنت أبحث عنه عبثاً حتى الآن . أريد أولاً أن أقص عليكم إحساسى ساعة انفصال روحى . لقد أحسست حينذاك اهتزازاً عنيفاً ثم تذكرت بغتة ولادى وسنى شبابى ، فسنى نضوجى ، وعادت جليلة إلى ذهنى ذكريات حياتى . وأحسست رغبة فى أن أجد نفسى فى المناطق التى تكشف

(١) كانت روحه قد حضرت من تلقاء نفسها فى يوم جنازة سانسون . (راجع المجلة الروحية عدد مايو سنة ١٨٢ ص ١٣٢) .

أصبحت كالو كنت مذهولاً ، ولم أكن مدركاً تماماً ما جرى لأن التمييز الواضح لا يسترد بغتة ، ولكن الله الذى منحني علامة عميقة عن رأفته قد سمح لي بأن استرد ملكاتي وأشاهد نفسي محوطة بأصدقاء مخلصين كثيرين ، لجميع الأرواح التي تحمينا وتساعدنا كانت محيطة بي باسمته تغذيها سعادة لانظير لها ، بل إنني نفسي تمسكنت بعد أن أصبحت قوياً معافى من الانتقال بغير جهد خلال الفضاء ، وما شاهدته لا يمكن التعبير عنه بلغات الأدميين .

وبالإضافة إلى ما تقدم سأجيب كما أحدثكم حديثاً أكثر استفاضة عن مواطن سعادتي بغير أن أتجاوز مع ذلك الحد الذى يتطلبه الإله . فلتعلموا أن السعادة كما تفهمونها عندكم مجرد خرافة . فعيشوا في حكمة وفضيلة وفي روح البر والمحبة وعندئذ تعدون لأنفسكم مشاعر يعجز عن وصفها أحسن شعرائكم

هذا وقد أملت إحدى الأرواح المرشدة وتدعى جورج Georges السكيلة الآتية بمناسبة الاتصال بروح السيد سانسون هذا : —

« إن موت الشخص الذى يشغلكم الآن هو موت العادل ، أى الموت المقترن بالسلام وبالأمل . فكما يعقب النهار قدوم الفجر ، كذلك أعقبته حياته الروحية حياته الأرضية بدون صدمة ولا أسى ، ولفظ أنفاسه الأخيرة في نغم من الإحساس بالوفاء والمحبة ، وما أقل من يجتازون على هذا النحو هذا الممر الوعر ، فما أقل من يدركون أنغام الأجواء المتناسقة بعد ما في الحياة الدنيا من ترخ ومن خيبة . فكما أن الإنسان الذى تصيبه قبلة يتألم من موضع الأعضاء التي نزعته عنه حتى بعد أن يشفى منها ، فكذلك روح الإنسان الذى يموت خلواً من الإيمان ومن الرجاء ، يمزقها الألم والتخبط عندما تفلت من الجسد منطلقة في الفضاء غير واعية لنفسها .

فصلوا لأجل هذه الأرواح المضطربة ، وصلوا لكل من يتألم ، فليس البر محصوراً في الإنسانية التي ترونها ، بل إنه يعين الكائنات التي تعمر الفضاء

كيف تقضون حياتكم على صورة حسنة فالموت سعادة متى استحققت ذلك
بجدارة ، وأحسنت اجتياز تجاربكم . وأكرر لكم القول : لتسكن لديكم شجاعة
ونية طيبة ، ولا تعطوا إلا قيمة تافهة لمتاع الأرض وستعوضون عنه ،
ولا يمكن للإنسان أن يتمتع أكثر مما ينبغي إلا على حساب هناة
الآخرين ، وإلا بأن يحدث بنفسه ضرراً أدياً جسيماً ، فالتتفرق الأرض
بجسدى .

وبعد ذلك بيومين أعيد طلب الروح داخل « الجمعية الروحية بباريس »
أى بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٨٦٢ .
فقلت : أيها الأصدقاء إني بجواركم .

س : نحن سعداء جداً للحديث الذى جرى معك فى يوم الدفن ،
ويسعدنا أن نتمم الحديث — إذا سمحت — لتعليمنا .
ج : إني مستعد وسعيد لأنكم فكرتم فى .

س : إن كل ما يثيرنا حول حالة العالم غير المنظور ويفهمنا إياها ذوقية
تعليمية عظمى ، لأن الفكرة الزائفة عن هذا العالم هى التى قادت الناس
غالباً إلى عدم الإيمان ، فلا تتعجب إذاً من الأسئلة التى قد نوجهها
إليك .

ج : إني لن أتعجب منها ، وفى انتظار أسئلتكم ... (١)

س : هل تفضل بأن تذكر لنا ماذا شاهدت فى اللحظة التى تفتحت فيها
عينك من جديد على الضوء ؟ وهل تفضل بأن ترسم لنا صورة الأشياء
كما بدت لك إذا كان ذلك فى المقدور ؟

ج : عندما تمكنت من أن أسترجع نفسى وأشاهد ما هو أمام ناظرى

(١) استبعدنا محاورات كثيرة مع الروح ، لأنه ليس فيها معان جديدة غير ما تقدم فى بعض
صفحات هذا المؤلف .

س : هل احتفظت بأفكارك حتى آخر لحظة ؟

ج : نعم احتفظت بروحي بمساكنها . لقد فقدت القدرة على النظر ولكن كان عندي إحساس بما سيقع ، وجرت حوادث حياتي أمام ذاكرتي ، وكان آخر أفكارى ورجائى هو التمكن من الحديث إليكم ، وهذا هو ما أفعله الآن ، وبعد ذلك طلبت من الله أن يحميكم حتى يتحقق حلم حياتي .

س : هل كنت مدركاً في اللحظة التي لفظ فيها جسدك آخر أنفاسه ؟ وما هو الإحساس الذي أحسست به ؟

ج : كانت الحياة تنطفئ ، والنظر — أو بالأدق نظر الروح — كان ينطفئ ، وبعد العثور على الفراغ والمجهول يجد الإنسان نفسه محمولا على رهبة لا أعرف ماهيتها إلى عالم كل ما فيه يمثل النعيم والعظمة . لقد فقدت الإحساس والإلتفات ، ومع ذلك فقد امتلأت نشوة لا توصف ، ولم أعد أشعر بعد بسطوة الألم .

س : هل تعلم بما أنويته ؟ (من العزم على إلقاء كلمة رثاء على قبرك^(١)) .

ج : نعم يا صديقي إني أعلم ذلك ، لأنى رأيتك بالأمس وأراك اليوم ، وسرورى عظيم فشكراً وشكراً ، وقلها حتى يفهمنى الناس وحتى يقدرورك ولا تخش شيئاً ، لأن الناس يحترمون الموتى ، فقلها إذأ حتى يؤمن غير المصدقين ، فوداعاً وقلها ، وشجاعة وثقة ، ولعل أولادى يتحولون إلى الإيمان الذى لا يتزعزع .

ج . سانسون

وأثناء مراسيم دفن الجثة أملت الروح الكلمات الآتية على لسان الوسيط :

« أرجو ألا يكون الموت محنة لكم يا أصدقائى . إنه خطوة لكم ، وإذا عرفتم

(١) بمجرد النطق بالكلمات الأولى للسؤال أجابت الروح فوراً ، ولمى تجاوب هنا بدون توجيه سؤال لها عن مناقشة أثبتت بين الحاضرين حول مدى ملائمة إلقاء هذا الاتصال الروحي في المقبرة (عند القيام بمراسيم الدفن) لاحتمال وجود أشخاص قد لا يشاركون الحاضرين هذه الآراء التي كانت حينئذ جديدة على العالم .

القديمة ، لقد رجعت معافى ووجديداً ، كما تعبرون عنكم . لقد جعل الانتقال من الحياة الأرضية إلى حياة الأرواح كل شيء في مبدأ الأمر غير مفهوم لي إذ أننا قد نظل حيناً بدون أن نسترد التمييز الواضح *lucidité* ، ولكنني قبل أن أموت توجهت إلى الله بالصلاة كما يمكنني من القدرة على الحديث إلى أولئك الذين أحبهم ، وقد استجاب لي .

س : بعد كم من الوقت استرجعت التمييز الواضح لأفكارك ؟

ج : بعد ثمانى ساعات ، إذ أعطاني الله علامة من علامات عطفه التي قدر أني استحقها ، ولا أعرف كيف أشكره .

س : هل أنت متحقق أنك لم تعد بعد من سكان عالمنا ، وما حكمك على ذلك ؟

ج : بالتأكيـد لم أعد من سكان عالمكم ، ولكنني سأظل دائماً قريباً منكم كما أحبيكم وأؤيدكم في رسالة الدعوى إلى البر والتسامي التي أرشدتني في حياتي ، كما سأعلم الإيمان الصحيح ، الإيمان الروحي الذي ينبغي أن تنبع منه عقيدة الإنسان العادل الطيب . لقد أصبحت قوى البنية ، بل قوياً جداً ، أي في كلمة تغيرت ، فلن تتعرفوا في علي السهل القعيد الذي كان عليه أن ينسى كل شيء ، وأن يدع بعيداً عنه كل متعة ومرح . فأنا الآن روح وطني هو الفضاء ، ومستقبلي هو الله الذي يشرق في الفضاء الشاسع . إنني في لحظة لأن أتحدث إلى أولادي كما أعلمهم هذه الأمور (الروحية) التي رفضوا بعناد الاقتناع بها .

س : ما هو الأثر الذي يحدثه فيك منظر جسدك بجانبنا هنا ؟

ج : أي جسد البائس التافه . . . ينبغي أن تعود إلى التراب كما احتفظ بالذكرى الطيبة التي أحملها لكل من كانوا يقدروني ، أما هذا اللحم المشوه الذي كان موطناً لروحي فقد كان محنة طالت لسنين كثيرة . شكراً لك يا جسد البائس لأنك طهرت روحي ، وقد أعطاني الألم المقدس للغاية مكاناً استحقته بجداره ، إذ أجد على الفور المقدرة على الحديث إليكم .

والأدباء والمفكرين ، وكانت تدون في محاضر دقيقة ، منظمة ، مؤرخة ، موقع عليها من الحاضرين ، ولم يكن لأى إنسان مصلحة في تخيل وقائع لم تحصل ، ويعجز عنها خيال المتخيلين ، الذين لا وجود لهم إلا في صفوف الجبهة من المكابرين . وهذه البيّنات يمكن بسهولة أن تضاف إلى البيّنات الكثيرة التي تضمنتها الأبواب السابقة ، والتي تقف كلها متساندة كما تثبت أن الحياة العلمية تواجه الآن فقهاً جديداً متكاملًا في الموضوع الأول للإنسان — الذى يتوقف عليه هناؤه أو شقاؤه في الدارين معاً — وهو موضوع الروح .

المبحث الأول

اتصالات بأرواح سعيدة

(١) مع السيد سانشون Sanson

كان عضواً قديماً في « الجمعية الروحية » بباريس وتوفى في ٢١ أبريل سنة ١٨٦٢ بعد عام من آلام سرطانة قاسية . وقبيل انتقاله حرر خطاباً للوئلف (كاردك) كما يحاول الاتصال بروحه بعد « وفاته » مباشرة . وفعلًا تم الاتصال معه في ٢٣ أبريل في نفس الغرفة التي كان جسده لا يزال مسجى فيها لم يدفن بعد ، وجرى الاتصال على النحو الآتى : —

— لقد استجبت لندائكم حتى أنى بوعدى .

س : إننا أيها السيد العزيز سانشون نؤدى واجباً ، ونحقق متعة بمناجاةك في أقرب وقت ممكن بعد موتك استجابة لطلبك .

ج : إنه فضل خاص من الله أن يسمح لروحي أن تقدر على الاتصال بكم فاشكركم على طيب سريرتكم

س : لقد تأملت كثيراً إلى الحد الذى يدفعنا إلى أن نسألك عن حالك الآن ، فهل ما زلت تشعر بألامك ؟ ، وما هو شعورك الآن بالمقارنة مع شعورك منذ يومين ؟

ج : إن حالتي الآن سعيدة جداً لأنى لا أشعر بعد بأى قدر من آلامى

الفصل الثاني

اتصالات بأرواح شتى

لتوضيح مبادئ الشواب والعقاب

أتينا فيما تقدم على ملخص سريع للمبادئ العامة التي تحكم الشواب والعقاب - كما استخلصها بعد بحوث طويلة في الروحانية الفيلسوف آلان كاردك Allan Kardec - نقلا عن القسم الأول من مؤلفه «الجنة والنار» Le Ciel Et L'Enfer . أما في الفصل الحالي فنقدم نماذج عملية من اتصالات تمت في «الجمعية الروحانية» بباريس وفروعها بالأقاليم مع أرواح في درجات متفاوتة من السعادة والشقاء ، وقد وردت في القسم الثاني من الكتاب المذكور ، مراعين اختيار نماذج متنوعة من رسائل كل نوع من أنواع هذه الأرواح . وسنراعى هنا أيضاً الإيجاز على قدر الإمكان ، وهو الأمر الذي يفرضه علينا - إلى حد ما - ضيق المقام : -
وهذه النماذج العملية من الاتصالات بأرواح في درجات متفاوتة من السعادة والشقاء سنقدمها في سبعة مباحث متتابعة على النحو الآتي : -

المبحث الأول : اتصالات بأرواح سعيدة .

المبحث الثاني : « » في حالة وسط بين السعادة والشقاء .

المبحث الثالث : اتصالات بأرواح تشكو آلاماً شتى .

المبحث الرابع : « » بمنتحرين .

المبحث الخامس : « » بأرواح قتلة .

المبحث السادس : « » عنيدة .

المبحث السابع : « » بأرواح كفّرت عن سيئاتها على الأرض .

ونرجو أن يكون في هذه النماذج بينات جديدة على صحة موضوع الأرواح ، فقد تمت هذه الاتصالات في جمعية روحية كانت تضم صفوة من العلماء

جميع الأرواح ، فكلها تبدأ من نفس نقطة البدء دون أن يكون لإحداها عند خلقها ملكات أكثر من غيرها ، ودون أن يتيسر لبعضها سبل الارتقاء بطريق الاستثناء ولا يتيسر ذلك للبعض الآخر . كلا وإنما يصل منها إلى الهدف من يجوز الطريق الوعر بنجاح متخطياً عثرات المحن ، ومتحدياً دواعي الانحطاط .

فإذا قبلنا ذلك فإذا يكون هناك أعدل من حرية الاختيار التي تركت لكل منا ؟ إن طريق السعادة مفتوح أمام الجميع ، والهدف واحد للجميع ، والظروف للوصول إلى هذا الهدف واحدة لهم ، والقانون المنقوش في ضمير البشر أعطى للجميع . فآله تعالى جعل من السعادة ثمناً للعمل لا للحظوة لديه كيما يكون لكل منا فضل اكتساب هذه السعادة . فكل منا حر في أن يعمل أو لا يعمل شيئاً في سبيل ترقيه . لكن من يعمل كثيراً وبسرعة يلاقى جزاء أوفى وأسرع . أما من يضل الطريق ويضيع وقته عبثاً فهو يعوق نفسه ولا يلو من إلأى أياها . فالخير والشر إراديان واختياريان ، لأن الإنسان حر لا يدفعه قدر محتوم إلى جانب أو إلى آخر .

٣٣ — يمكن تلخيص قانون العقاب للحياة المستقبلية — رغم تعدد أنواع العقاب ودرجاته — في هذه المبادئ الثلاثة : —

(أ) أن الألم مرتبط بالنقص .

(ب) أن كل نقص وما يستتبعه من خطيئة ينطوى بنتائج الطبيعة المحتومة على عقابه الخاص به ، كالمريض نتيجة الإفراط ، أو كالمثل نتيجة الكسل ، دون ما حاجة لحكم يصدر بالإدانة ضد أي عمل أو ضد أي شخص كان .

(ج) أن كل إنسان يمكنه أن يتخلص — عن طريق إرادته — من نقائصه موفراً على نفسه المتاعب ومحققاً بذلك سعادته المستقبلية ، إذ أن هذا هو في كلمة ناموس العدل الإلهي : أن لكل بحسب أعماله ، كما في السماء كذلك على الأرض .

يساعد على التثام جروح المريض . فالأرواح التي تحت العقاب ليست كحكوم عليهم بالسجن لأمد محدود ، إنما تعامل كمرضى يعانون في مستشفى مرضاً نجم في الأغلب عن خطيئهم ، كما يعانون من سبل العلاج العاجلة المؤلمة ، لكن لديهم الأمل في الشفاء وسيحصلون عليه سراعاً كلما كانوا أكثر اتباعاً لتعليمات الطبيب الذي يسهر على راحتهم . أما إذا أطلوا آلامهم بأخطائهم فليس للطبيب من حيلة لإزاءهم .

٣١ — يضاف إلى الآلام التي قد تقاسيها الروح في حياتها الروحية آلام حياتها الأرضية التي هي نتائج نقصها وانقيادها لشهواتها ، وسوء استخدامها للمساكنات للتكفير عن أخطائها الحاضرة والماضية . ففي الحياة الأرضية تصلح الروح شرور حيواتها السابقة . وتنفذ ما كانت قد اعتزمت عمله في حياتها الروحية . وعلى هذا النحو يفسر البؤس وصروف الدهر التي تبدو لأول وهله بلا سبب مفهوم ، مع أن مصدرها عادل كل العدالة مادام هو سداد ديون ماضينا ، ومادام أنها تخدمنا في ترقينا .

٣٢ — ربما سأل سائل ألم يكن بمقدور الإله تعالى أن يظهر محبة أعظم لمخلوقاته بخلقها معصومة من الخطأ منذ البداية ، وبالتالي معفاة عما تجلبه عليها نقائصها من تقلبات الحياة ؟ ... إنه كان ينبغي تحقيقاً لهذا الغرض خلق كائنات ليست بحاجة لأن تكتسب شيئاً من المعرفة أو الفضيلة ... وبلا ريب كان في مقدوره تعالى ذلك ، فإذا كان لم يفعل فلأنه بسامى حكمته أراد أن يجعل من التطور والارتقاء قانوناً عاماً . فالإنسان ناقص وهو هدف بالتالي لتقلبات في حياته تنفاوت قوة وضعفاً . هذه حقيقة ينبغي أن نتقبلها لأنها موجودة فعلاً ، وأما القول بأن الله غير رحيم ولا عادل فهو ينطوي على الثورة عليه . وإنما كان يتحقق الظلم لو أنه خلق كائنات مختلفة ، ويميز بعضها على البعض الآخر ، فأعطى بعضها — دون أي عمل — النعيم الذي قد يحصل عليه البعض الآخر بعد السكد والعناء ، أو الذي لا يمكن أن يحصل عليه البعض الثالث مطلقاً . لكن عدالته تبدو واضحة للعيان في المساواة المطلقة التي سادت خلق

إخفائها أو على إخفاء نفسه . ومن تعذيب الشهواني ألا يستطيع إشباعاً
لشهواته ، ومن تعذيب البخيل أن يرى ذهبه ينتزع منه ولا يستطيع له
إمساكاً . ومن تعذيب الأناني أن يجد نفسه مهجوراً من الناس وحيداً ،
وأن يقاسى ما قاساه الآخرون منه . فسكاً أنه لم يفكر إلا في نفسه أثناء حياته
الأرضية فإن أحداً لا يفكر فيه ولا يرثى لحاله بعد مماته .

٢٧ — الطريقة المثلى لتفادي آثار نقائصنا في الحياة المستقبلية أو تخفيفها
هي في التخلص منها على قدر الإمكان في الحياة الحاضرة . هي في إصلاح
أخطائنا حتى لا يكون علينا بعدئذ أن نصلحها بطريقة أشد قسوة علينا ،
لأننا بقدر ما تتأخر في إصلاح عيوبنا بقدر ما تكون العواقب أكثر سوءاً ،
وبقدر ما تكون الجهود لإصلاحها أشد عناء .

٢٨ — مركز الروح عند دخولها إلى عالم الروح يتوقف على ما أعدته
لنفسها في حياتها الجسدية . وقد تعطى الروح فيما بعد حياة أخرى للتكفير
وإصلاح أخطائها عن طريق محن جديدة ، وتستفيد الروح من ذلك بدرجة
تفاوت طبقاً لملكاتها في التمييز ، فإن لم تستفد من ذلك ، فعليها أن تبدأ
العمل من جديد في ظروف أشد قسوة ، بحيث أن من يتألم أكثر من غيره
على سطح الأرض يمكنه أن يقول لنفسه إنه كان عليه أن يكفر عن الكثير .
أما أولئك الذين يتمتعون بنعيم زائف رغم مساوئهم وانعدام الجدوى منهم ،
فليكونوا على يقين من أنهم سيدفعون ثمن ذلك غالياً في حياتهم اللاحقة ،
وهذا هو المعنى الذي قصده المسيح بقوله « طوبى للحزاني لأنهم يتعزون » .
٢٩ — أن رحمة الله — ولو أنها غير محدودة — إلا أنها ليست عمياء .
فالمجرم لا يغفر له ما لم يمح آثار جرمه ، وإلا فليتحمل نتائجها ، لأن رحمة الله
غير المتناهية ينبغي أن يفهم منها أن الله غفور رحيم ، وأنه يفتح بابه دائماً
لمن يريد العودة إلى الصراط المستقيم .

٣٠ — العقوبات مؤقتة ومتوقفة على التوبة والإصلاح ، والتوبة رهينة
بحرية الاختيار لدى الإنسان . وهي في نفس الوقت قصاص وبلسم شاف

السبيثة ، أو لأنها لم تمنعها عنها إذا كان في مقدورها ذلك . فالانتحار معاقب عليه ، فإذا دفع إنسان بقسوته إنساناً آخر إلى اليأس من الحياة فإهلاك نفسه ، فإنه يتحمل وزراً أشد منه .

٢٢ — رغم تباين صور العقاب إلى مدى غير محدود ، فإن هناك طريقاً ينجم عن انحطاط الروح وتشابه نتائجها بوجه عام : ذلك أن العقاب العاجل لأولئك الذين يتعلقون بالحياة المادية مهملين تقدمهم الروحي هو في بطلان انفصال أرواحهم من أجسادهم أثناء الاحتضار ، وفي بطلان استيقاظ حواسهم في الحياة الأخرى ، وهي لديهم فترة قد تطول أشهراً أو أعواماً . وعلى العكس من ذلك يكون الانفصال سريعاً وبدون أى قلق ، كما تكون اليقظة مطمئنة والاضطراب لا أثر له تقريباً لمن كان نقي الضمير قد أعد نفسه لحياته الروحية أثناء حياته الأرضية متحرراً من اغلال المادة وقيودها .

٢٣ — كثيراً ما يتوهم بعض الأرواح الدنيا أنه لا يزال على قيد الحياة الأرضية ، وقد يمتد وهمه إلى سنين يعاني أثناءها كل احتياجات الحياة الأرضية وآلامها ومتاعبها .

٢٤ — تكون صور الضحايا ، وكذلك ظروف ارتكاب الجريمة ، ماثلة بغير انقطاع في ذهن المجرم . وفي ذلك له عذاب أليم .

٢٥ — تغمر بعض الأرواح ظلمة كثيفة ، حين يشعر بعضها بعزلة تامة في الأفق يعذبها جهلها التام بحالها ومصيرها . وأشدّها إثمًا يشعر باللام يضاعف من قسوتها أنه لا يرى نهاية لها . كما أن البعض منها محروم من أعزائه والأرواح تقاسى من الآلام على قدر ما سببته لغيرها إلى أن تخفف منها في النهاية توبتها ورغبتها في الإصلاح ، فتري أن نهاية آلامها تتوقف عليها هي نفسها .

٢٦ — من تعذيب المتكبر أن يرى أن من كان يحتقرهم على سطح الأرض أصبحوا أعلى منه مكانة تحوطهم أسباب المجد والنعيم ، حين يرى أن مكانه في المؤخرة . ومن تعذيب المنافق أن يرى الضوء يكشف للناس أجمعين عن خبيثة صدره ، وبذلك يقرأون أفكاره دون ما قدرة منه على

إكرام عليها . فهي تتصرف تصرفاً حسناً أو قبيحاً طبقاً لحريرتها في الاختيار ،
ودون أن يدفعها القدر في اتجاه أو في آخر ، فإذا اقترفت إثمًا تحملت نتائجها
طالما ظلت في طريق الاعوجاج . أما إذا خطت نحو الخير خطوة واحدة
أحسست على الفور بطيب النتائج .

ملحوظة

من الخطأ الاعتقاد بأنه طبقاً لقانون الارتقاء يصبح يقين المرء من
الوصول إلى السكال فالسعادة عاجلاً أو آجلاً سبباً لتشجيعه على التماس في
غيه ، أو إرجاء وقت التوبة إلى ما بعد . وذلك أولاً لأن الروح الدنيا
لا ترى نهاية لعذابها ، وثانياً لأن الروح — وهي صانعة شقاءها بيديها —
تنتهي بأن تفهم بأنه يتوقف عليها هي أن تضع حداً لهذا الشقاء ، وأنه بقدر
ما يطول إصرارها على الشر بقدر ما يطول شقاؤها ، وأن آلامها ستطول
إلى ما لا نهاية إذا لم تحدد هي أجل انتهائها ، وبالتالي يكون ذلك من جانبها
حساباً خائباً هي ضحيته الأولى .

وعلى العكس من ذلك إذا كان كل أمل في المستقبل مغلقاً في وجهها ،
كما تقول بذلك نظرية الخلود في العذاب فإن تكون للروح فائدة من العودة
إلى طريق الخير ولا سبيل لها إلى ذلك .

وأمام هذا القانون — قانون الارتقاء — ينهار الاعتراض المؤسس
على فكرة القدر الإلهي *prescience divin* فإن الله بخلقه روحاً يعلم مقدماً
أن هذه الروح لها كما تشاء — طبقاً لحريرتها في الاختيار — أن تسلك
سبيل الخير أو الشر . فإذا ما تسكبت الطريق ستلقى عقاباً مؤقتاً ، وهذا
العقاب مجرد وسيلة كيما تدرك خطأها وتعود بذلك إلى الطريق السوي حيث
تصل إلى الكمال إن عاجلاً أو آجلاً . أما طبقاً لنظرية الخلود في العذاب
فإن الله يعلم أنها ستخطئ . وأنه محكوم عليها مقدماً بسعير لا آخر له .

٢١ — كل امرئ مسئول عن أخطائه الخاصة ، فلا تحمل نفس وزر
أخرى إلا إذا كانت هي السبب في خطيئتها بأن دفعتها إليها عن طريق القدوة

جزءاً من عقيدة الجماهير ، فإن ذلك سيصبح حائلاً دون الخطأ أقوى من الاعتقاد في نار الجحيم والعذاب السرمدي لأنه مستمد من صميم حياتنا الحاضرة ، ولأن الإنسان سيدرك حينئذ أسباب ما قد يصيبه من ظروف أليمة .

١٨ — أن الأرواح البعيدة عن الكمال تظل بعيدة عن المناطق العالية حتى لا تفسد تناسقها ، بل تبقى في مناطقها الدنيا إلى أن تجعلها ظروف الدهر تكف عن أخطائها وتخلص من نقائصها فتستحق الانتقال إلى عوالم أرقى معنوياً ومادياً . ولو كان لنا أن نتصور مكاناً معيناً للقصاص فلن يكون هذا المكان إلا في مناطق التكفير عن الأخطاء ، لأنه في هذه المناطق تهيم الأرواح السفلى في انتظار وجود جديد يمكنها من إصلاح أخطائها ويساعدها بالتالي في تقدمها .

١٩ — نظراً لأن الروح تملك دائماً حرية الاختيار فقد يحدث أن يكون تقدمها بطيئاً وعنادها في الشر شديداً ، بل يمكنها أن توغل فيه سنوات وقروناً . لكن يحل دائماً وقت ينهار فيه إصرارها على تحدى العدالة الإلهية ، وذلك تحت وطأة شدة الألم فترغم رغم مكابرتها إلى التسليم بالقوة العظمى التي تحكمها . وبمجرد ما تبدو عليها أولى دلائل التوبة ، فإن الله يلهمها أن تلبح بصيصاً من الأمل . فما من روح في حالة تمنعها من التقدم أبداً ، وإلا لأصبحت موهوبة إلى انحطاط أبدى ، ولشدت عن قانون الارتقاء الذي يسود — لحكمة إلهية — جميع الكائنات .

٢٠ — أنه مهما بلغ من مقدار انحطاط بعض الأرواح وانحرافها عن الصواب فإن الله تعالى لا يتخلى عنها أبداً ، بل يهيئ لها دائماً أرواحاً تحميها وترشدها وتسهر عليها مترصدة خلجات نفسها ، ومحاولة أن تثير فيها نزعة الخير والرغبة في التقدم ، كيما تصلح في وجودها اللاحق ما اجترحته من آثام في وجودها السابق . ومع ذلك فالروح المرشدة تعمل بطريقة غير منظورة دون ما ضغط ، لأن كل نفس ينبغي أن تتقدم بمحض إرادتها ودون أي (١٧م — الإساوروح : ج ٢)

الإصلاح فيكون بالعمل الصالح لمن نكون قد أسأنا إليهم ، ومن لا يصلح أغلاطه في حياته الحاضرة بسبب عجزه أو سوء نيته سيجد نفسه في حياته الأخرى على صلة بمن يكون قد آلامهم . وذلك إلى أن يثبت تقاينه نحوم ، وإلى أن يقدم إليهم خيراً على قدر ما قدم إليهم من شر .

جميع الأخطاء لا تنتج ضرراً فعلياً ومباشراً . ولذلك فإن الإصلاح يتم بفعل ما كان ينبغي أن نفعله وأغفلناه ، وبإلقيام بالواجبات التي أهملنا القيام بها أو تجاهلناها ، وبإداء الرسالة التي قصرنا في أدائها ، وبفعل الخير المضاد لما فعلناه من شر ، بمعنى أن يصبح متراضعاً منا من كان متكبراً ، ورحيماً من كان قاسي القلب ، وباراً من كان أنانياً ، وطييب الطوية من كان خبيثاً ، ونشيطاً من كان خاملاً ، ومفيداً من كان عديم الجدوى ، ومعتدلاً من كان متطرفاً ، وقدوة حسنة من كان قدوة سيئة ، وعلى هذا النحو تتقدم الروح في ترقيا متخذة العبرة من ماضيها .

وضرورة إصلاح الضرر مبدأ مبني على العدالة المطلقة ، ويمكن اعتباره القانون الحقيقي لإمكان استرداد الروح لاعتبارها ومكائنها ، وهو من هذه الوجهة ضرورة لم يعلنها أحد من قبل لإمكان التوبة ، ومع ذلك يرفض بعض الأشخاص هذا المبدأ واجدين أن من الأيسر لهم أن يعتقدوا أن بمقدورهم محو آثار ذائلهم بعبارة ندم بسيطة لا تكبدهم شيئاً ، تسكني كما يحسبوا أنفسهم بعد تلاوتها أنهم قد سددوا دينهم بالكامل .

هؤلاء سيرون فيما بعد إن كان ذلك يجديهم قليلاً . ألا ينبغي أن نسألهم لماذا فرض قانون البشر مبدأ إصلاح الضرر ، وهل القانون الإلهي أقل من قانون البشر ؟ وهل الندم مهما بلغ مدام يكفي لتعويض إنسان لحقه خراب من جراء أى عمل من أعمال الخيانة ، ولماذا نتراجع أمام التزام يعتبره كل إنسان حقاً مقضياً ، عليه أن يؤديه في حدود طاقته ؟

وعندما يصبح هذا الإيمان بضرورة إصلاح كل ضرر نسبيته للآخرين

ومن ثم فالروح هي صانعة مصيرها الخاص ، فيمكنها أن تطيل آلامها بإصرارها في طريق المعصية ، كما يمكنها أن تخففها أو تختصر أمدتها بجهودها لعمل الخير . فكل حكم بالإدانة لوقت محدد أياً كان ، يكون عيبه مزدوجاً : فهو إما أن يؤدي إلى استمرار تعذيب روح تكون قد تهذبت ، أو ليعاقب تعذيب روح ما زالت في طريق الإثم . فالله العادل يعاقب الشر طالما كان موجوداً ويوقف العقاب عندما يقف الإثم . أو بعبارة أخرى أنه طالما كان الشر الخلق هو مصدر تعذيب النفس ، فلا يطول هذا التعذيب إلا بقدر ما يطول الشر . وتضعف حدته بقدر ما تضعف حدة هذا الأخير .

١٤ — أنه ما دام أن مدة القصاص متوقفة على تقدم الروح الآثمة ، فإن توقف الروح عن التقدم يؤلمها ، ويبدو لها قصاصها أديماً (بمعنى أنه يصبح غير محدد الأجل ، ولا يمكن للروح أن ترى نهايته ، حين أنه ليس سرمدياً إذ ما من عقاب سرمدى على ما وضحه المؤلف في مكان آخر) .

١٥ — أن من نتائج حطة الروح أنها لا ترى نهاية لآلامها وتعتقد أنها ستتألم دائماً ، ومن ثم يبدو لها عذابها أديماً .

١٦ — أن التوبة هي الخطوة الأولى نحو التقدم ، لكنها لا تكفي وحدها ، بل يتعين دائماً التكفير عن الخطأ وإصلاح نتائجه . فالتوبة والتكفير والإصلاح هي الشروط الثلاثة الضرورية لمحو بقايا الخطأ ونتائجه المحتومة .

فالتوبة تخفف آلام التكفير من ناحية أنها تمنح صاحبها الأمل وتمهد السبيل لرد اعتباره ، لكن إصلاح الخطأ وحده يمكنه أن يبطل هذه الآلام بإزالة دواعيها . فالمغفرة تصبح بالتالي عفواً عن الخطأ وليست محواً لعواقبه ،

١٧ — أن التوبة ممكنة دائماً في كل مكان وزمان ، فإذا ما تأخرت تأملت الروح لمدة أطول . والتكفير يكون بالآلام الحسية والمعنوية التي هي نتائج أي خطأ يرتكب سواء في الحياة الحاضرة أم بعد الموت ، وسواء في أي وجود جسدي جديد ، وذلك إلى أن تزول آثار هذا الخطأ . وأما

٨ — لأن عداله الله غير محدودة فكل ما فينا من خير أو من شر موضع حساب دقيق . فما من عمل سيء واحد ، بل ما من فكرة سيئة واحدة إلا ولها عواقبها المحتومة . كما أنه ليس من عمل صالح بل ما من حركة طيبة من الروح ، بل ما من فضل مهما كان شأنه ضئيلاً يضيع على صاحبه ، حتى ولو صدر عن أشد الناس انحرافاً عن الصواب ، لأنه يشير إلى بدء التقدم عنده .

٩ — أن كل معصية ارتكبت هي دين علينا مستحق الوفاء إن لم يكن في حياتنا الأرضية ففي حيواتنا الأخرى لأنها كلها متضامنة معاً . وحين يوفى الدين مرة لا يوفى ثانية .

١٠ — أن الروح تتحمل قصاص سيئاتها سواء في عالم الروح أم في عالم المادة . فكل ما نقاسيه من عناء ومن تقلبات في حياتنا الأرضية إن هو إلا نتائج نقائصنا الخلقية ، أو تكفير عما ارتكبناه من أخطاء سابقة في حياتنا الحالية أو السابقة . ومن طبيعة هذه الآلام وتقلبات الحياة التي نقاسيها في حياتنا المادية يمكننا أن نحكم على الأخطاء التي ارتكبناها فيما مضى ، وعلى نقائصنا التي دفعتنا إليها .

١١ — أن التكفير عن الخطأ يخفف طبقاً لطبيعة هذا الخطأ ومدى خطورته . وبالتالي إن نفس الخطأ قد يولد طرقاً مختلفة للتكفير عنه طبقاً لما أحاط بارتكابه من ظروف مخففة أو مشددة .

١٢ — أنه لا توجد فيما يتعلق بطبيعة القصاص ومدته قاعدة عامة وموحدة ، إنما الناموس العام الوحيد هو أن كل خطأ يلاقى قصاصه ، كما أن كل عمل صالح يلاقى جزاءه بحسب أهميته .

١٣ — أن مدة العقاب متوقعة على تقدم الروح الآئمة . فليس هناك من حكم بالإدانة لأجل محدد يصدر ضدها . بل إن كل ما يتطلبه الله تعالى كيما يضع حداً لآلامها هو تقدم وارتقاء جادان وحقيقيان ، وعودة مغلظة إلى طريق البر .

فالروح التي لها عشر رذائل مثلاً تتألم أكثر من تلك التي ليس لها سوى ثلاث أو أربع منها. وحينما تتخلص الروح من ربع هذه الرذائل أو نصفها يصبح ألمها أخف وطأة، ويزول هذا الألم وتصبح الروح سعيدة تماماً عندما تتخلص منها كلها، فمثلها مثل من لديه أمراض متعددة، فهو يتألم أكثر من لديه مرض واحد أو من ليس مريضاً على الإطلاق. ولنفس السبب أن للروح التي لديها عشر فضائل قدرة على التنعم أكثر من تلك التي لديها أقل من ذلك.

٤ — أن كل روح تملك طبقاً لقانون التطور والارتقاء المقدرة على استكمال ما ينقصها من خير، وعلى التخلص مما يشوبها من شر طبقاً لجهودها الخاصة ولقوة إرادتها، الأمر الذي ينتج منه أن يكون باب المستقبل خير مغلق في وجه أى مخلوق، فالله تعالى لا يطرد أحداً من رحمته، بل يفتح لعباده أبوابها بقدر ما يحصلون عليه من تطور نحو الكمال، تاركاً بذلك لكل منهم فضل أعماله.

٥ — طالما أن الألم مرتبط بالنقص، كما أن التنعم مرتبط بالرقى الخلقى والعقلى، فكل روح تطوى بين جنديها جزاءها الخاص حيثما وجدت دون ما حاجة لوضعها في مكان خاص. فالجحيم يوجد في كل مكان توجد فيه أرواح متألمة، كما أن الجنة توجد كذلك في كل مكان توجد فيه أرواح سعيدة.

٦ — أن ما نقدمه من حسنات أو من سيئات إن هو إلا ثمار ما نحوزه من صفات حسنة أو رديئة، وحتى مجرد الامتناع عن فعل الخير الذي يمكننا فعله إن هو إلا نتيجة نقص فينا. ومن ثم فالروح تشقى بما أقدمت على ارتكابه من سيئات، وأيضاً بما أحجمت عنه من حسنات كان في مقدورها إتمامها أثناء حياتها الأرضية.

٧ — أن الروح تتألم من نفس الإثم الذي أقدمت على ارتكابه، فيصير التفاتها موجهاً إلى عواقب هذا الإثم مدركة بذلك أكثر من غيرها سوء هذه العواقب ومدفوعة بالتالى إلى إصلاحها.

والفضائل التي تتطلبها الفلسفة الروحية في الإنسان ، حتى يستكمل أسباب سعادته ، تكاد تنحصر إجمالاً في فضيلة المحبة وشقيقتها التواضع ، حين تنبع الرذائل عن الأنانية وشقيقتها الغرور ، لذا كانا مجتمعين العدو الأول للإنسان والمستول الأوحى عن تعاسته حيثما وجد .

وقد اتفق الباحثون في الأرواح على أن المحبة ليست مجرد عاطفة موقوتة بظروفها ، بل هي طاقة حقيقية من شأنها أن تؤثر في اهتزاز الجسد الأثيري وترفع منه وتحافظ على تناسقه ، وتعطي الإشعاعات التي تنبعث منه جمالاً خاصاً . وتجعله بالتالي جديراً بعوالم أرقى طبقة لقانون التوافق ، وهو القانون الطبيعي الذي يحدد للجسد الأثيري مكانه بعد تخلصه من مقابله المادي^(١) . وهذا الرأي أصبح شائعاً ، بل مجعاً عليه في الفقه الروحي ... أليس الله محبة ؟

مبادئ الثواب والعقاب عند كاردك

أما المبادئ التي لخص بها آلان كاردك قواعد الثواب والعقاب — والتي أساسها جميعها حيازة الروح لقدر كاف من الإرادة وحرية الاختيار — فهي : —

١ — أن الروح تتحمل في حياتها الروحية نتائج كل مالم تتخلص منه من رذائل أثناء حياة الجسد . فخالها من ناحية السعادة أو الشقاء يتوقف على درجة نقائها أو عدمه .

٢ — أن السعادة المطلقة متصلة بكال الروح أي بنقائها المطلق . فكل رذيلة هي بذاتها مصدر للعذاب وللحرمان من النعيم ، كما أن كل فضيلة اكتسبت هي بذاتها مصدر للنعيم ولتخفيف هذا العذاب .

٣ — أنه لا توجد في الروح رذيلة واحدة لا تحمل بذاتها نتائجها الآتية التي لا مفر منها ، كما أنه لا توجد فيها فضيلة واحدة ليست بذاتها مصدراً للنعيم . فعلى قدر الرذائل يكون القصاص وعلى قدر الفضائل يكون التمتع .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٢٧ - ٤٥٥ وفي الجزء الحالي ص ١٥٠ - ١٥٢ .

كل علماء الروح هي نتائج محتومة لمقدمات طبيعية ، تحدث طبقاً لرابطة العلة بالمعلول، وهي الرابطة الفلسفية التي تربط كل نتيجة بأسبابها Lien de Causalité ou de cause à effet. في نطاق أى علم من العلوم ، وذلك من تلقاء نفسها وبغير ما حاجة إلى إرادة إنسان معين كيما يتولى تطبيقها بأساليب مادية ، وهذه الرابطة في نطاق ثواب الروح وعقابها يطلق عليها عادة وصف قانون الكارما Law of Karma ، وهو تعبير هندي الأصل وشائع الاستعمال في هذا الصدد ، ويشير إلى قانون عادل طبيعي هو قانون « ماتزرع إياه تحصد ، أو » الجزء من جنس العمل » .

فدراسة مبادئ ثواب الروح وعقابها تكون على هذا الوضع جزءاً لا يتجزأ من دراسة قوانين الطبيعة، وهي بحث فلسفي بحسب أصله . ولو أن هذه الدراسة تكون قد انتقلت بنا إلى ما وراء الطبيعة La Métaphysique مع فارق هام، وهو أنها في نطاق البحث في الروح دراسة مستمدة من بحوث عملية لا من نظريات لاهوتية على طريقة أرسطو، وهو مؤسس علم ما وراء الطبيعة على أسس فلسفية جعلت منه نوعاً من اللاهوت . وهذا هو الاعتبار الذي دفع العالم الألباني شارل هنري Ch. Henry أن يقرر أنه إذا كانت دراسة الروح قد اعتبرت فيما مضى جزءاً مما وراء الطبيعة فإنها ستعتبر في المستقبل جزءاً من علم الأحياء .

وأساس الناموس الخلقى عند آلان كاردك هو أن جميع الأرواح خلقت في البدء متساوية وعلى درجة واحدة من الجهل والبساطة ، وأنها أعطيت حرية الاختيار ، كما فرض عليها منذ البدء أن تتطور كلها طبقاً لقانون التطور والارتقاء ، خلال حيوات عدة متصلة ومتعاقبة هنا وهناك ، حتى تستكمل سعادتها باستكمال أسباب رقيها العقلي والخلقى . وبقدر نموها في المعرفة وفي الفضيلة بقدر ما تنمو إرادتها وبالتالي حريتها في الاختيار، وهو ما عني أيضاً بشرحه في مؤلفه الآخر وهو « كتاب الأرواح ، على ضوء ما تلقاه من ميانات في هذا المعنى من أرواح راقية .

والاعتقاد بإمكان العودة إلى التجسد الأرضي أو بعدمها ليس من شأنه البتة أن يؤثر شيئاً في قيمة مبادئ الثواب والعقاب كما استخلصها آلان كاردك . لأن من مبادئ العلم الروحي أن حياة الإنسان — على أية حال — عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الوجود في عوالم مختلفة بين أرضية وأثيرية، وأن هذه الحيات متضامنة معاً في إسعاده أو إشقائه بحسب النهج الذي قد يلتزم به من خير أو من شر .

أساس الثواب والعقاب ارتباط النتائج بمقدارها

كما تنبغى الإشارة هنا إلى أن مبادئ الثواب والعقاب التي أشار إليها

= Annie Besant : Reincarnation.

H. P. Blavatsky : Isis Unveiled.

وله ترجمة فرنسية بعنوان :

Isis Devoilée.

William Walker Atkinson : Reincarnation And The Law Of Karma (1908).

F. Bligh Bond : 1— Gate of Remembrance.

2— The Company of Avalon.

وراجع بحثاً للأستاذ ج. آرثر هيل G. Arthur Hill في مضابط « جمعية البحث الروحي » بلندن (المجلد الثامن والثلاثين) عنوانه :

Some Reincarnationist Automatic Scripts.

وقد أمارت روح عالم النفس المعروف فرديريك مايرز بياناً من هناك عن صحة العودة للتجسد في مؤلف

لوسيفة جير الدين كامينز عن « الطريق إلى الخلود » The Road to Immortality

L. Stanley Jast : What It All Means, 1941.

وبالفرنسية راجع :

Papus (Dr. G. Encausse) : La Réincarnation.

G. Delanne : Documents Pour Servir à l'Étude de la Réincarnation (J. Meyer, Paris 1924).

Ch. Lancelin 1— La Vie Posthume,

2— La Réincarnation.

A. De Rochas 1— Les Cas Profonds De L'hypnose.

2— Les Vies Successives.

Gustave Geley : De L'inconscient Au Conscient.

ويلاحظ أن من بحثوا موضوع تطور الروح الانسانية تعرضوا حتماً لموضوع احتمال العودة للتجسد

الأرضي . ويمرّ عدد كبير من المراجع والمجلدات المبينة في الباب الثالث من الجزء الأول لمصنوا

أو مقالات عن موضوع العودة للتجسد هذا .

وفي كل تجسد جديد من المفروض أن يكتسب الإنسان خبرة جديدة وخلقاً متزايداً ، ولعل ذلك يعطى تفسيراً مقبولا لحكمة بارىء هذا السكون التي سمحت بتعدد الأجناس والألوان والأشكال والأديان على النحو المعروف لزيادة فرص التعلم والاختبار، ولتحقيق رسالة التطور، ومعها رسالة المحبة والتسامح التي لنا إليها عودة تفصيلية فيما بعد .

بل إنه قد يكون من آثار الاعتقاد بالعودة إلى التجسد تخفيف حدة التعصب حتى بين الذكور والإناث : فهي بما قد تسمح به من احتمال التجسد مرة في الذكورة وأخرى في الأنوثة ، تحمل الإنسان خصوصاً الرجل على ألا يحتقر الجنس الضعيف لمجرد ضعفه ..! إن الفروق بين الجنسين — إذا استبعدنا ما يستند منها إلى طبيعة الجنس Sex الذى ينتمى إليه الإنسان — ليست قوية ، بل ضئيلة عند من تعودوا أن يتعمقوا في بحث انفعالات الروح ودوافعها وغرائزها بعيداً عن الارتباط بتجسد من نوع معين .

فبين الشقيق وشقيقته أو الأم وإبنها أحياناً من وجوه التشابه في الشكل وفي الوعي ما قد يسترعى الأنظار ويحير الألباب، وما قد لا تجدده بين شقيقين كليهما من الذكور أتم إن للجنسين معاً ميلاً للتقارب أشار إليه فيكتور هيغو عندما لاحظ أن أول أعراض الحب الصادق في الرجل هو الخجل ، وفي الفتاة الجرأة ... فالجنسين ميل غريزي للتقارب وكل منهما قد يتخذ صفات الآخر .

* * *

ولنسكتف الآن بهذا القدر عن موضوع العودة للتجسد ، فهو موضوع عويص ، وحتى لا نخرج عن موضوعنا الأصلي وهو الثواب والعقاب ، وإنما يتعين أن نبين للقارئ بعض المراجع ، إذا كان يرغب في المزيد من الاطلاع فيه (١) .

Shaw Desmond: Reincarnation For Everyman.

(١)

E. D. Walker : Reincarnation : A. Study Of Forgotten Truth (1919).

Annie Besant & C. W. Leadbeater : The Lives Of Aleyone : 2 Volumes (1924).

=

فهو بما يقيمه من فقه عن التكفير والتطهير المتتابع مرة بعد الأخرى يفسر التفاوت بين إنسان وآخر في الجسد وفي العقل ، كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبدو من مظالم صارخة في المصائر . ولكن مزايا أي اعتقاد ليست دليلاً على صحته . وبالرغم من أن هذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر^(١) فهو أقربها إلى تفسير الأصول الخفية ، ولعله التفسير الوحيد الذي لا يثير الامتعاض ، ولا يبدو بعيداً عن التصور ، وينبغي أن يلقي من العناية في دراسته أكثر مما يلقيه غيره ، وأن يقدم لنا الباحثون فيه أدلة لا تدحض ، أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل سنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظلال أولية لأدلة لاتزال في مبدئها ،^(٢)

كما يقول أيضاً « إنه حتى لو ثبتت نظرية العودة إلى التجسد علمياً ، ومعها حياة الإنسان بعد الموت ، فإن ذلك لا يكفي لحل مشكلة التساؤل الهام عن الأصل وعن المصير ، وهما المشكلتان الأساسيتان للإنسان ، بل إن ثبوت ذلك يؤدي فحسب إلى تراجع المشكلتين للوراء لعدة قرون ، أو لعدة آلاف من السنين بأمل أن نفقد المشكلتين أو نساهما في الصمت أو في الفضاء ... »^(٣)

* * *

ثم إن لعقيدة العودة إلى التجسد — إن ثبتت علمياً — مزية أخرى في تقديرنا ، وهي تخفيف حدة الفواصل الصناعية التي قد تفصل بين شتى الأجناس والأديان والألوان . فبحسب هذه النظرية قد يتعاقب الشخص الواحد على التجسد في أجناس مختلفة ، وفي أديان متنوعة ، وذلك وحده يدعو حتماً إلى أن ينظر بعين الوداعة والتسامح إلى باقي الأجناس والأديان الأخرى ، إذ من الجائز أنه كان بين اتباعها يوماً ما ، أو سيكون يوماً ما من هؤلاء الاتباع ، في تجسد لاحق عندما تشاء ذلك مشيئة الله . فعلام هذا الاعتقاد المفرط بالانتماء إلى جنس دون آخر أو إلى دين دون غيره في مرحلة التجسد الحالي ؟ ...

(١) يشير إلى ذبوع هذا الاعتقاد في بلاد الشرق الأقصى بوجه خاص .

(٢) La Mort من ١٦٨ — ١٧١ .

والحياة ذاتها، وفي كل مكان وزمان، ليست أكثر من تطور بطل للروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة، وانتقال من حالة سابقة إلى حالة لاحقة أتم منها وأفضل. وهذه هي بعينها سنة النشوء والارتقاء التدريجي البطلية الذي لا يعرف الطفرة، كما لا يعرف التطرف إزاء ارتباط النتائج بمقدماتها ارتباطاً محتوماً.

هذا وقد كان من أنصار العودة للتجسد في فرنسا قبل آلان كاردك-سان سيمون Saint Simon وسان مارتين Saint Martin وهما من وسطاء الإلهام. وفورييه Fourier وبيير ليرو Pierre Leroux وجان رينو Jean Reynaud وهم من الفلاسفة.

وبعد كاردك دافع عن مذهب العودة للتجسد من الباحثين الروحيين ليون دينيز Léon Denis ثم جابريل ديلان Gabriel Delanne ثم الدكتور جيل G. Geley مدير المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس، ثم خلفه الأستاذ رينيه فاركوليه René Warcollier، حتى لقد أصبح الاعتقاد بمذهب العودة للتجسد هذا من خصائص المدارس الروحية بوجه عام، والمدارس الفرنسية بوجه خاص، ومحوراً رئيسياً من محاور الحركة الثيوصوفية، حين أنكره عدد لا يستهان به من الباحثين الروحيين.

وعلى أية حال فإنه حتى مع التسليم بتوافر عدد من الشواهد العلمية على احتمال صحة نظرية إمكان عودة الإنسان للتجسد على المستوى الأرضي، فلا محل للجزم بأنها قد ثبتت علمياً بقدر ثبوت دوام حياة الإنسان بعد الموت. هذا وقد قال في شأنها الفيلسوف والأديب الكبير مورييس ماترلنك Maurice Maeterlinck إنه حتى مع عدم اقتناعه بثبوتها علمياً يأسف جداً لأن يجد حبيج الثيوصوفيين والروحيين الجدد غير حاسمة بشأنها، يأسف لأنه لم يوجد قط من قبل اعتقاد أكثر جمالاً وعدالة وثقاً، وخلقاً، وغنى في نتائجه، واعمزية، وقرباً إلى التصور من هذا الاعتقاد.

بإمكانية ظاهرة المس والاستحواذ الروحي obsession and possession التي تصدى لبحثها الفيلسوف المعروف وليام جيمس William James (١)، وأخضعها أيضاً للبحث الدقيق لمدي عشرات من السنين الدكتور تيتوس بول (٢) Titus Bull ثم كارل ويكلاند (٣) Carl Wickland ووصلوا في بحوثهم إلى نتائج إيجابية محددة واضحة في دلالتها .

موقف بعضه الآراء من العودة للتجسد

وهذا الاعتقاد في تناسخ الأرواح Métémpsychose يغير تماماً الاعتقاد في إمكان تقمص بعض أرواح الأدميين لأجساد الحيوانات ، فهذا الاعتقاد الأخير ينكره علم الروح ولم يقم عليه أى دليل ، ولم يرد له ذكر على لسان أية روح راقية . أما تناسخ الأرواح أو العودة للتجسد فعناه مجرد إمكان عودة الروح إلى الحياة الأرضية في صورة آدمية تشبه إلى حد ما صورتها السابقة .

وهو ليس عقيدة جديدة جاء بها علم الروح الحديث ، بل هو اعتقاد قديم قدم الفلاسفة ، وجد سبيله إلى أذهان عدد ملحوظ من فلاسفة الإغريق (٤)، كما عرف سبيله من بعدهم إلى عدد أقل منهم من فلاسفة المسيحية ، ثم الإسلام . وأيده بعض هؤلاء وأولئك ببعض الشواهد والأدلة الدينية .

ولكن هناك منهم من أنكره وقاومه تأسيساً على اقتناعه بأن الحياة التالية للموت هي الخلود رأساً في النعيم أو في الجحيم ، فلا محل فيها لعودة ثانية إلى الأرض . وفاتهم أن تلك الحياة التالية قد تكون أيضاً حياة برزخية ، أو انتقالية ، على النحو الذي فهمه الكثيرون من شراح الآيات الدينية ، وقد تفتح هذه الحياة البرزخية بالتالى الباب واسعاً لجميع الاحتمالات ، بما في ذلك « احتمال » العودة إلى التجسد من جديد في صورة آدمية .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ١٦٠ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ١٧٢ .

(٣) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٠٧ .

(٤) بل كان فيثاغورس عالم الطبيعة المعروف يؤمن به ويقول إنه كان في تجسده السابق يدعى أوفورباس Fuphorbus .

رابعا : وهناك أيضاً حقيقة علمية سائدة الآن حتى في علم النفس ، وهي أن العقل الباطن أعمق وأعم من العقل الواعي . فهذا الأخير ليس سوى جزء ضئيل من العقل يطفو على سطح الماء حين يختفي الجزء الأكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الأرضية .

ويقول عدد كبير من الروحيين إن علة ذلك هي أن الوعي الإنساني لا يتجسد كله في المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه في المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذي يتحكم بدوره في الجهاز العصبي للإنسان ، ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التي ينبغي أن يتجسد فيها الوعي للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافي بين شتى أجزائه ، وهذا التناسق هو الذي يحقق للإنسان قدراً أوفر من السعادة^(١) .

وقد أيدت أرواح متعددة صحة هذا النظر . بل منها من علل بعض الأمراض العقلية بعدم حدوث التجسد الأرضي على النحو الطبيعي . فإذا لم يكن الجانب المتجسد من الوعي كافياً كيما يحقق السيطرة المطلوبة للمخ — ومن ورائه العقل — فقد المخ سيطرته على وظائف الأعضاء ، وبدا صاحبه ناقص الإدراك عديم الاتزان في حركاته وسكناته ، ومثل هذا المرض العقلي — الذي تعودنا أن نصفه بالبله أو بالعتة أو غير ذلك من أوصاف — سرعان ما يختفي بالوفاة عندما يندمج الجزء الضئيل الذي كان متجسداً في باقي أجزاء الوعي فيبدو الإنسان « المعتوه سابقاً » ، إنساناً طبيعياً في ذكائه ، وأحياناً إنساناً على درجة ممتازة من الذكاء أو الألمعية مؤدياً على أتم وجه وظائف حياته الجديدة .

وقد فتح علم الروح بذلك آفاقاً جديدة في دراسة أسباب الأمراض العقلية لم تكن معروفة من قبل ، بجانب الآفاق التي فتحتها من ناحية التسليم

(١) راجع ما سبق في ص ٩٩ — ١٠١ على لسان الدكتور جيل Geloy مدير « المعهد الدولي لما وراء الروح » بباريس .

Albert De Rochas مدير مدرسة الهندسة العسكرية L'Ecole Polytechnique
بباريس وشرحها في مؤلفاته المعروفة في التنويم المغناطيسي^(١)، ثم واصلها
غيره في عدة بلاد .

ثانياً : وأمكن لعدد من الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية
« بالوفاة » أن تتذكر شطراً من حياة سابقة لها أو أكثر، ذلك أنه بحسب
الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين
في بطن أمه فلا يتبقى لها من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التي وصلت
إليها النفس ، والتي تنزلق إلى عقلها الباطن كيما تمهد لها طريقها في حياتها
المستقبلية . ولذا كان العقل الباطن مخزناً لدروس الماضي وخبراته ، مخزناً
مليئاً بصنوف التجربة التي أصبحت — بحسب الظاهر — في طي النسيان
من العقل الواعي .

وهذا النسيان يحصل لحكمة إلهية سامية ، وهي دفع عجلة التطور للأمام
وحتى لا يكون ماضي الروح السحيق عائقاً يعوقها في تقدمها ، بما قد يكون فيه
من أخطاء ووصمات وآلام وأهوال . فهو رد اعتبار من الطبيعة للروح
يسلبها مخازيها السابقة ، ولا يسلب النفس حقها في الاحتفاظ بالمرحلة التي
وصلت إليها في التطور عن طريق الألم والاختبار المتكرر .

وسنقابل في المبحث الأخير من الفصل المقبل اتصالات وساطية بعدد
من الأرواح التي أمكنها أن تتذكر — استثناء من ذلك — شطراً ولو غامضاً
من ذكريات حياة سابقة لها أو أكثر طفت إلى السطح — بعد الموت —
من عقلها الباطن إلى عقلها الواعي ، وأن تربط بين ذكرى هذه الحياة
السابقة وصنوف التجارب القاسية التي تعرضت لها في حياتها الأخيرة
للتكفير — في صور شتى — عن ذنوب اقترفتها في حياتها السابقة على الأرض .

(١) راجع بيانها في الجزء الأول من ٢٧١، ٢٧٢ .

الرجولة الطيبة ، مثل الشجاعة والعزيمة والإقدام والحكمة والتواضع والصدق والتسامح . وتجسدها في الأنوثة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم في الصفات الطيبة للأنوثة مثل قوة الاحتمال ورقة الشعور وعمق العاطفة والتضحية والحنان والحياء ، كما قد تكون الأنوثة ترويضاً للروح على العفة وضبط النفس ... وهكذا حتى تتكامل الفضائل المطلوبة في الروح فلا تعود بحاجة للتجسد بعد على المستوى الأرضي ومعاناة دروسه وآلامه ، بل قد تستحق عندئذ مكاناً أرقى في مستوى آخر من المستويات الراقية في عوالم الأثير .

بعض تجارب معملية في جانب هذه النظرية

هذا عن بعض النواحي النظرية ، أما عن النواحي العملية فيستند أنصار العودة للتجسد Reincarnationalistes إلى بعض تجارب معملية منها :

أولاً : بعض حالات نادرة من عودة الذاكرة القديمة فجأة ، التي حققها علماء ثقة عند أشخاص أمكنهم أن يتذكروا أحياناً قليلة ماضياً معيناً لهم سابقاً على حياتهم الحالية ، ويقيموا بعض الأدلة عليه مثل الإرشاد الصحيح عن بعض الوقائع ، أو بعض الأماكن ، أو بعض الذكريات الدفينة . وهذه الحالات خضعت للبحث في نطاق علمي السيكولوجي والباراسيكولوجي .

وهذه الظاهرة يطلق عليها ظاهرة «رؤى من قبل» Déjà vu . أو «سمع من قبل» Déjà entendu . ومنها صور ثبتت صحتها ، وصور أخرى تنتمي إلى تخيل موهوم للرؤية أو للسمع من قبل ويطلق عليها وصف Paramnesie .

ثانياً : كما أمكن أحياناً عن طريق بعض الحالات العميقة للتنويم المغناطيسي إرجاع ذاكرة المنوم مغناطيسياً إلى ما قبل ولادته ، فروى بعضهم ذكريات عن وقائع معينة وبأسماء محددة في الذكورة وفي الأنوثة معاً ، وقد أخضعت بعض هذه الحالات للتحقيق العلمي . وقد بدأ هذه التجارب منذ مطلع القرن الحالي الكونت كولونيل ألبير دي روشا

ويجد أنصار هذا المذهب — من الأرواح ومن الروحيين — تعليلاً لما يبدو في البشر من تفاوت ضخيم في المواهب وفي الملكات العقلية والخلقية والروحية . وهو تفاوت لا يتناسب في مداه مطلقاً مع سنى الحياة الأرضية القصيرة وما يحدث أثناءها . من تطور ضيق النطاق محدود المدى . بل إن هذا التفاوت قد يظهر منذ سنى الحياة الأولى على الأرض ، فنذ الطفولة المبكرة قد تظهر على طفل معين مخايل الذكاء والنجابة ، وجمال الأخلاق أيضاً ، حين قد تظهر على طفل آخر — وقد يكون شقيقاً له — مخايل البلاهة أو الغباوة أو شراسة الطباع .

ويجدون فيه أيضاً تعليلاً لما قد يبدو على بعض الذكور من عراقة في الذكورة ، وعلى بعض الإناث من عراقة في الأنوثة ، وعلى البعض الثالث من حالة مشتركة قد تجمع إلى صلابة الرجولة واعتدادها برأيها قدراً واحداً من رقة الأنوثة وابن عريكتها ، وعلى البعض الرابع من انحراف نحو نفس الجنس . فيقولون إن ذلك كله راجع إلى التجسد المتكرر في أحد النوعين دون الآخر ، أو فيهما معاً مرة بعد مرة ، بل يحاول بعض الروحيين تفسير بعض صور الشذوذ بأنها قد تتضمن نوعاً من الحنين غير الواعي للماضي السحيق في صورة أو في أخرى .

ويقولون أيضاً إنه إذا كان التجسد على المستوى الأرضي مفيداً في فضح الروح ونمو ملكاتها ومواهبها عن طريق الألم فإن التجسد لمرة واحدة قد لا يكون كافياً ، خصوصاً إذا كانت فترة التجسد الأرضي قصيرة بسبب حلول الأجل المحتوم في طور الطفولة أو حتى في الشباب . وإن تعدد مرات التجسد على هذا المستوى يفسح للروح مجالاً أكبر للحصول على مزيد من المعرفة والاختبار ، وبالتالي على مكانة أسمى في العالم الذي تستحقه الروح - بحسب مرحلة تطورها - من عوالم ما وراء المادة .

فثلاً تجسد الروح في الرجولة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم في صفات

والاختلاط بهم. وتكون الروح في هذا الشأن كإنسان راق يقبل السفر إلى بلاد نائية متخلفة حضارياً ، ويقاسى أهوالاً من سوء المعاملة ومن الظروف الطبيعية القاسية في سبيل أداء رسالة علاجية نبيلة ، أو رسالة لتخفيف ويلات مجتمعه الجديد ، أو تعريفه ببعض أسباب التقدم والرفاه اللازمة له .

كما يقولون إن العودة للتجسد قد تكون - أحياناً أخرى - وسيلة لتكفير الروح المتجسدة عن أخطائها السابقة ، أى لسداد ديون الماضي بصورة ما ، أو كما تحصل هى نفسها على مزيد من التطور والارتقاء تحت تأثير قسوة ظروف الحياة فى هذا الكوكب الحزين المليء بصنوف الشقاء ، وبدواعى الكفاح المرير . ويعد عندئذ يوم ميلاد الروح على هذا المستوى الأرضى من أتعس أيام حياتها ، كما يعد يوم انطلاقها من أسر هذا المستوى السكتيب هو يوم الإفراج المرتقب بعد طول الاعتقال فى المنفى السحيق .

ويجد عدد ضخم من الروحيين فى نظرية العودة للتجسد هذه تفسيراً لأمور كثيرة يتعذر تفسيرها تفسيراً مقبولاً بغيرها : ومنها ولادة بعض الأطفال عمياناً أو مشوهين أو عاجزين ، مع أن الله تعالى عادل ورحيم ولا يتصور أن يكون قد فرض على هؤلاء الأبرياء آلاماً رهيبية لغير ذنب جنوه ، أو لذنب اقترفه أحد آبائهم أو أجدادهم . أما مذهب العودة للتجسد فيقول إنهم قد اقترفوا فى حياة سابقة لهم ما اقتضى ولادتهم على هذا النحو للتكفير عن طريق الألم عما اقترفوه .

وكذلك الشأن فى تعليل كل تعاسة قد تصيب إنساناً ما . وقد لا تبدو مسئوليته عنها واضحة فى سلوك حياته الحاضرة ، فهم يقولون إن سبب تعاسته كامن فى حياته أو فى إحدى حيواته السابقة ، وإن هذه التعاسة تعد نتيجة محتومة لقانون الكارما Karma أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوماً بأسبابها ، بقدر اتصال هذا الارتباط بحياة الروح التى لا تتوقف . فهذا القانون يعلل التعاسة ، كما يعلل السعادة الراهنة على نفس النحو .

الفصل الأول

في مبادئ الشواب والعقاب بوجه عام

قبل أن نبين المبادئ التى تحكم الشواب والعقاب كما استخلصها العلامة آلان كاردك من بحوثه نبادر إلى القول بأن المؤلف قد أشار فى أكثر من موضع منها إلى فكرة عودة الروح إلى التجسد الأرضى بعد الخروح منه بمدة طويلة أو قصيرة . ونظرية العودة إلى التجسد الأرضى Reincarnation, Métémpsychose سائدة جداً فى الفقه الروحى ، ويؤمن بها أغلب الباحثين فى الروح إلا أنه لا يمكن القول مع ذلك بأنها تلاقى قبولا عند إجماعهم .

وقفه عند نظرية العودة للتجسد

فنظرية العودة للتجسد هذه نظرية قوية لها أنصارها الكثيرون . كما قلنا - دون أن يمكن القول بأنها حقيقة علمية قد ثبتت بمقدار ثبوت الحياة بعد موت الجسد فى تقدير هؤلاء الباحثين أنفسهم . وذلك لسبب هام يجعل إثباتها بالبراهين العملية أمراً شاقاً ، وهو أن العودة إلى التجسد الأرضى تؤدي إلى فقدان ذاكرة العائد الواعية تماماً فيما يتعلق بحياته الأرضية السابقة . ومن الأمور محل النقاش فى هذا الميدان بحث عدد مرات العودة ، والفواصل الزمنية بين كل حياة أرضية وأخرى ، وما إذا كانت العودة اختيارية أم مفروضة على كل إنسان كقاعدة عامة ، وبواعثها وظروفها ... وغيرها من أوجه النقاش بين المدارس الروحية المختلفة على النحو الموجود فى كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية معاً .

وتنادى غالبية الأرواح المعلة أيضاً بإمكان العودة للتجسد على المستوى الأرضى ، وذلك كوسيلة تتخذها روح راقية - أحياناً - لأداء رسالة مامنة الخدمة الراقية على هذا المستوى قد لا تؤدي إلا عن طريق العيش بين البشر

« لجنة والنار، (١) موجهين النظر إلى أنها ليست آراء شخصية له ، بل هي خلاصة أبحاث طويلة مع أشخاص انتقلوا إلى عالم الروح في درجات متفاوتة من العلم والإدراك ، وقد عاشوا حياتهم الأرضية خلال عصور مختلفة من التاريخ ، وكان بعضهم معروفاً من المؤلف معرفة شخصية والبعض الآخر مجهولاً منه . وكان يحضر من تلقاء نفسه أو بتأثير من الأرواح المرشدة للجلسات بهدف إنارة الموضوع في أذهان الحاضرين في مقر الجمعية الباريسية للدراسات الروحية، التي كانت تنشر محاضرها أحياناً في « المجلة الروحية » مع أسماء هؤلاء الحاضرين .

وقد نشر المؤلف في القسم الأول من مؤلفه هذا — في الفصل السابع منه — ما أسماه « قانون العقوبات في الحياة المستقبلية » في ثلاث وثلاثين قاعدة لخص فيها في عبارات سريعة القواعد العامة للثواب والعقاب ، وذلك بعد أن استعرض في الفصول السابقة لذلك الفصل النظرية الروحية بالمقارنة مع النظريات الأخرى في شأن « الجنة والنار » بما يضيّق عنه المقام .

ولنما نكتفي بأن نعرض هذه القواعد العامة — وعددها ٣٢ كما قلنا — في فصل أول . ثم نقدم بعض نماذج من الاتصالات التي تمت مع الأرواح ، وسنختارها من فئات مختلفة منها تتفاوت بين السعادة والشقاء في فصل ثان ، وذلك كله لإعطاء فكرة عامة عن النظرية الروحية في شأن الثواب والعقاب أما من يريد المزيد فعليه بالرجوع إلى المؤلفات التي تناولت شرح هذا الموضوع . والفقه الروحي في شأن الثواب والعقاب لا يستمد قوته — كما لاحظ المؤلف — « من سلطان الروحية الخاص في إنشاء قانون كيفما اتفق بل من أن قانونها فيما يتعلق بمستقبل الروح مستقى من مشاهدات مبنية على وقائع » ، إذ أن ذلك هو ما يميز في الواقع جوهر البنيان الروحي في شتى جوانبه ، هو أنه مستمد من تجارب عملية ومشيد على وقائع محددة ، وهو ما كفّل له القدر المطلوب من الترابط في كل بحث علمي يستحق هذا الاسم .

حرق ذات مرة في مدينة برشلونة علناً بحجة منافاتها للعقيدة ، وكان آلان كاردك قد أرسل منها أربعمئة نسخة هدية مجانية منه إلى مكتبة المدينة ، فقابل ذلك بهدوء ولم يخرج عن طريقته العلمية في الحاجة المنطقية المنزلة حتى النهاية ، وفي الدفاع عن عقيدته الروحية وهي أنه « بغير البر لا يوجد خلاص ، فهل في ذلك ما يدعو إلى غضب إنسان ؟ ... وباعتداله هذا أمكنه أن يكسب المعركة ويضم للحركة الروحية أنصاراً جديداً من بين المتدينين ، ومنهم صفوة من المفكرين والأدباء والعلماء .

وقد وصفه العلامة شارل ريشيه Ch. Richet - عضواً أكاديمي في الطب والعلوم - في مطبوعته « فيما وراء الروح » (ص ٣٤) بأنه « بلا منازع أقوى من أحدث تأثيراً نفاذاً ، وقد رسم أعظم الخطوط في علم ما وراء الروح منذ تجارب وليام كروكس الشهيرة التي ترجع إلى سنة ١٨٧١ » . كما وصفه الأستاذ أندريه ديماس André Dumas بأنه تناول دراسة جميع الأنواع الكبرى للظواهر فوق العادية . وأحسن تقسيمها وشيد عليها خطر المبادئ العلمية الحديثة . وهذا الجانب العلمي في إنتاج آلان كاردك هو الذي تولى تكميته وإبرازه فيما بعد جابريل دي لان وكامى فلا ماريون بين آخرين ، مسيرين التيار العظيم الذي بدأه الإنتاج القوي لفردريك مايرز ووليام كروكس ، وعمداً بذلك الطريق أمام علم ما وراء الروح بمعناه الحديث...^(١)

وقد نقل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى في « كتاب الأرواح »^(٢) طرفاً من بحوث آلان كاردك مبيناً كيف أن ما بها من تعاليم خلقية سامية ، ومن تفاصيل دقيقة عن الثواب والعقاب ، تتفق مع التعاليم الدينية ، ومدللاً على ذلك بقدرة الفقيه المتبحر ، والعالم صاحب التفاسير القيمة التي ينظر إليها في العالم الإسلامى كله بعين التقدير التام .

ونحن نقدم هنا طرفاً من كتابات هذا الرائد الروحي الكبير عن مؤلفه

لوسيطتين قويتين ، وفي إحدى الجلسات الأولى طلبت منه روح مرشدة كانت ترمز إلى نفسها «روح الحقيقة» أن يستعير اسم آلان كاردك الذى كان اسمه السابق عند تجسده الأرضى أيام الدرويد Druides كما أخبرته ، طالبة منه أيضاً أن يواظب على جلساته الروحية . ومنذ هذا التاريخ اهتم بموضوع الأرواح هذا .

وقد ظهر أول مؤلف له وهو «كتاب الأرواح» (١) فى أبريل سنة ١٨٥٧ ثم ظهر له «كتاب الوسطاء» (٢) فى يناير سنة ١٨٦١ . ثم كتاب «الانجيل طبقاً للروحية» (٣) فى أغسطس سنة ١٨٦٤ . ثم كتاب «التكوين والمعجزات والنبوءات طبقاً للروحية» (٤) فى يناير سنة ١٨٦٨ . كما أسس «المجلة الروحية» فى نفس التاريخ وكان يطلق عليها أيضاً «جريدة الدراسات النفسية» .

تم أسس فى أبريل سنة ١٨٦٨ «الجمعية الباريسية للدراسات الروحية» (٥) تحت رئاسته وقد كان لها عدة فروع فى الأقاليم . وانتقل إلى عالم الروح بباريس فى ٣١ مارس سنة ١٨٦٩ عن خمسة وستين عاماً .

وكانت حياته فى ذروة النقاء والفضيلة متسمة بطابع التفانى فى أداء الواجب والخدمة المجانية ، فلم يجد أعداءه — وكانوا كثيرين — أية شائبة فيها أو أى مأخذ يأخذونه عليها ، كما كانت كتاباته مع ما فيها من تجديد — بل من ثورة فى الفكر الروحى الفرنسى — تتميز بالاتزان التام وبالهدوء فى عرض آراء الأرواح ومناقشة معارضيها .

فلم ينزلق لسانه بأية كلمة من العنف أو الاندفاع ، رغم أن كتبه

Le Livre Des Esprits. (١)

Le Livre Des Mediums. (٢)

L'Evangile Selon Le Spiritisme. (٣)

La Génèse, Les Miracles, Et Les Prédications Selon Le (٤)

Spiritisme.

La Société Parisienne d'Etudes Spirites. (٥)

والقديس أوغسطين St. Augustin . وكان في إسناده دقيقاً فكان يستند كل

فقرة أو لإيضاح أو لإجابة على سؤال معين إلى مصدره الروحي معيناً باسمه . وقد ذكر في كتاب الأرواح ، أن هذه الأرواح الراقية أنبأته أنها جاءت خصيصاً كيما تؤدي هذه الرسالة الهامة . وأن هذه التعاليم تقصد بها خدمة الإنسانية ودفعها إلى الأمام في طريق تفهم مستقبلها ومصيرها لأن العناية الإلهية تريد لها النجاة ولا تريد التخلي عن مساعدتها .



آلان كاردك

وقد ولد هذا الباحث الفيلسوف — وكان اسمه الأصلي هيبوليت ليون دنيزار ريفاي Hippolyte-Leon-Denizart Rivail — بمدينة ليون في ٣ أكتوبر سنة ١٨٠٤ من أسرة عريقة أنجبت كثيراً من القضاة والمحامين . واتجه إلى دراسة العلوم والطب والفلسفة . وقضى جزءاً من شبابه في سويسرا لإتمام تعليمه ، ثم عاد إلى بلاده واشتغل في التعليم ردهاً من الوقت وترجم إلى اللغة الألمانية بعض مؤلفات فرنسية في التعليم وفي الأخلاق ، بالإضافة إلى أعمال الفيلسوف فنيون Fénelon .

ثم اختير عضواً في بعض هيئات علمية راقية من بينها الأكاديمية الملكية بمدينة Arras التي منحتة جائزة أدبية عن أحسن بحث يوضع للإجابة عن السؤال الآتي : « ما هو أحسن نظام للتعليم وأكثرها التثاماً مع حاجيات العصر ، ؟ » ، كما وضع عدة كتب في مادة التربية Pedagogie لا تزال مراجع هامة حتى الآن في الجامعات الفرنسية .

وقد نظم دروساً بمعاونة زوجته — وكانت مثقفة مثله — في الفيزياء والفلك والتشريح . ثم بدأ ببحوثه في موضوع العلم الروحي الحديث منذ أوائل العهد به في سنة ١٨٥٤ عن طريق أحد أصدقائه الذي كان والدأ

إنكاره ، لا سيما وأن الروحية الحديثة أيدت هذا الأمر كل التأييد...»^(١)
ثم يستشهد في موضع آخر بآيات كريمة كثيرة منها : —
« إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وكن كل شيء أحصيناه في إمام
مبين » (٣٦/٢١) .

— « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل : بلى وربى لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (٦٤/٧) .
— « يوم يبعثهم جميعاً فينبئهم بما عملوا . أحصاه الله ونسوه . والله على
كل شيء شهيد » (٥٨/٦) .
— « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً
يلقاها منشوراً ، اقرأ كتابك . كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً »
(١٧ ، ١٤ / ١٧) (٢) .

وإذا كنا نعتمد هنا بوجه خاص على نتيجة أبحاث العالم الروحي
آلان كاردك Allan Kardec ، فلأن محور بحثنا في المؤلف الحالي هو العلم
الروحي الحديث . وقد اخترنا آلان كاردك بالذات لأن إنتاجه لا يزال
يمثل حتى الآن مستوى من أرفع مستويات الإنتاج الفلسفي في نطاق علم
الروح ، إلى حد أن غالبية من خلفوه في فلسفة الحركة الروحية الفرنسية
لم يضيفوا إليه شيئاً يذكر ، فلا زال معتبراً زعيماً للفلسفة الروحية الفرنسية ،
بل اللاتينية بوجه عام . ولا تزال بحوثه معتبرة المراجع التقليدية لمن يريد
أن يحيط من علم الروح بجوانبه الفلسفية التي أولاها عناية خاصة .
وقد اسند فلسفته إلى أرواح راقية كثيرة ، مثل أفلاطون فيلسوف
الإغريق ولا منيه Lamneais الفيلسوف الفرنسي وفيلون Fénélon ، وإلى
عدد من القديسين مثل القديس بولس St. Paul والقديس لويس St. Louis

(١) مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٤٨ (عدد ٥ سنة ١) ص ٢٥ ، ٢٤ .
(٢) مجلة « عالم الروح » عدد أغسطس سنة ١٩٤٩ (عدد ١٠ سنة ٢) ص ٣٢ ، ٣١ .

الرجل نعمه على عبده يغضب ... فلا تظن أن الله يغضب عليك فيعاقبك انتقاماً ، ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول : لم يعذبنى ولم يضره معصيتي ، بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم . فالعذاب بعد الموت عند الإمام الغزالي إنما هو نتيجة طبيعية لمقدمات معينة . أى أن قانون السببية يحدث أثره في عذاب الروح وهنائها من تلقاء نفسه ، كما أشرنا إلى ذلك في جملة مناسبات ، وكما سنبين ذلك مؤيداً بأسانيد فيما بعد .

وقد بدأنا باب الثواب والعقاب بهذه الفقرات نضعها تحت بصر القارىء ، كيما يدرك كيف أن العلم الروحي الحديث يوضح هذه المعاني العامة ويحددها ويعطي أمثلة عملية لها مأخوذة من واقع التجربة العملية لا الاجتهاد النظري ، أما المبادئ فلا زالت على حالها دون أى تغيير ، وفي ذلك وحده ما يدل على أن الإمام الغزالي كان ملهماً عظيماً من الأثير ولم يكن فحسب من أصحاب التفاسير . وكل من قرأ للغزالي وتعمق فيه يقدر تماماً روحه الشفافة ، هذه الشفافية التي هي العلامة المميزة لكل عمل جليل على مر الدهور .

وفي شأن الثواب والعقاب بعد الموت مباشرة كتب الأستاذ رابع لطفى جمعة - القاضي حالياً - يقول إن هذا ما « يؤيده القرآن الكريم حيث يقول « وهو الظاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق إلا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » فإن هاتين الآيتين تؤيدان حصول الحساب بعد الموت مباشرة كما هو واضح من معنيهما » .

ثم يضيف قائلاً ، وعلى ذلك قال إخوان الصفاء « إن النفس إذا فارقت هذا الهيكل فليس يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد إلا ما استفادت من المعارف الربانية والأخلاق الجميلة . فإذا رأت تلك الصورة فرحت بها وذلك ثوابها ونعيمها » (ص ٦٥ عن فلاسفة الإسلام) . وخلاصة القول إن ثواب الإنسان وعقابه بعد الموت مباشرة أمر محقق ولا سبيل إلى

الباب الثالث في الثواب والعقاب

نمبر

يعد الثواب والعقاب من أهم الموضوعات الفلسفية التي عني بها الباحثون في الروح ، الأقدمون منهم والمحدثون . ومن أفضل من كتب فيها بالعربية من الأقدمين الإمام الغزالي في كتاب « الأربعين في أصول الدين » الذي يقرر فيه أن الروح لا تنفى البتة ولا تموت ، بل تبدل بالموت حالها فقط ، ويتبدل منزلها فترقى من منزل إلى منزل ، كما يقول « فأما الحقيقة التي أنت بها أنت فلا تنفى بالموت أصلاً بل يتغير حالك فقط ، فيبقى معك جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة وشهواتك » ، ويقول أيضاً « المشهور عند أهل العلم أن الإنسان يعدم بالموت ثم يعاد . . . فاعلم أن من قال إن الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويفاع الاستبصار جميعاً » .

ثم يذكر الأسباب الرئيسية للعذاب بعد الموت فيقول إنها على ثلاثة أصناف : الأول — العذاب الناجم عن حرقة فراق المشتهمات الدنيوية . الثاني — العذاب الناجم عن انكشاف فضائح الميت بعد موته . الثالث — العذاب الناجم عن الحسرة على ما فاتته من الدرجات العالية عندما يرى أن غيره قد نال تلك الدرجات .

وهو يقرر أن هذه الأنواع الثلاثة من العذاب تصيب الميت بالتدريج ، وعلى الترتيب المذكور . كما يقرر أن عذاب فراق الشهوات الدنيوية وعذاب الحزى والفضيحة ربما يخففان عنه بمضى الزمن وبعد العهد عن الدنيا ثم تبقى حسرة الفوت آخرأ ، ويشبهه أن يكون ذلك لا آخر له .

كما يبين أن تحريم اللذات على أهل العذاب « ليس من جنس تحريم

وفي وصف هذه المناطق غير الراقية يقول سويدنبرج الوسيط الفيلسوف : لا ينقطع النقاش بين النفوس الزائفة ، ولا الصراع فيما بينها لأنها تحيا في زيف الحياة ، فلا ينقطع أيضاً الاحتتار المتبادل فيما بينها والبغضاء والكبرياء والإلحاد . وكل يدافع عن زيفه قائلاً إن هذه هي الحقيقة بعينها^(١) .

وذلك يكشف عن وجود قوانين طبيعية للكون تحكم التطور الخلقى للحياة بنفس الصرامة التي تحكم بها تطورها المادى . قوانين أخذاً العلم الروحى في الكشف عنها تدريجياً ، ولكن بمشقة بالغة ، لأنها تحكم مستوى آخر للوجود مختلفاً تماماً عن مستواه المادى ، الذى لم يستكشف الإنسان بعد سوى قدر لا يكاد يذكر من قوانينه ، رغم خضوعه لحواسه ولوسائل اختباره المألوفة .

فإذا كانت حقائق علم الروح قد تطمئن الإنسان على قدره ومصيره ، فإنها قد كشفت أيضاً عن قوانين كانت مجهولة للألم وللحرمان لا تفريط فيها ، من شأنها تعزيز ثقة الناس في قيمة الفضيلة والإيمان بالله ، وتنبيه الغافلين ، المستسلمين لسلطان النفس الامارة بالسوء ، أو لدعاوى التشكك والإلحاد ، والتي لم تقف في وجهها قوة في هذا العصر العلمى أقوى من قوة هذا البحث الجديد ، الذى يمثل في نفس الوقت بعثاً لأقدم معارف الإنسان .

وذلك كله يتطرق بنا إلى الباب الثالث الذى خصصناه للكلام في موضوع « الثواب والعقاب » بوصفه أخطر مشكلة فلسفية يقدم فيها علم الروح الحديث نظرية وضعية جديدة — مستمدة من محض تجارب واقعية — مأسايب علمية لم تكن معروفة من قبل ، ومؤيدة تماماً لما نادى به جميع العقائد منذ أقدم الأزمنة عن وجود نوااميس طبيعية ثابتة أزلية للثواب وللعقاب .

(١) « الفردوس والجحيم » من الفرنسية فقرة ٧٥ ص ٤٤٢ .

أو بالأدق مستوى من حالة نفسية يهيم أمره كل إنسان من ساكني هذا الكوكب الضائع في اتساع الأبدية ، كما تضيع ذرة من الرمال في الصحراء الكبرى .

والمستوى الثالث هذا مستوى راقٍ تماماً كما ظهر للقارىء بغير ريب خلال الأوصاف التي أسلفناها ، ومن باب أولى المستويات التي تليه ارتفاعاً بكل ما تحتوى عليه من مناطق لا تنتهى في تنوعها عند حد ، وبالتالي في تنوع أساليب الحياة فيها . وإذا كانت الحياة متنوعة جداً هنا في هذا الكوكب الضئيل الحجم فما بالك بالحياة الكوكبية في اتساعها غير المحدود .

فهناك مستويات كوكبية للحياة غير راقية ولا سعيدة يشير إليها الباحثون أحياناً بوصف اصطلاحى هو « الظلمة الخارجية » ، ومثله وصف « وادى ظل الموت » وغير ذلك من الأوصاف الاصطلاحية المتعددة .

ففي هذه المناطق غير الراقية يقاسى الإنسان حتماً من مظاهر « فاقة الروح » التي قد يتصف بها . كما قد يقاسى أحياناً من الانفراد والعزلة ، وأحياناً أخرى من الضوء النفاذ الذى يؤلمه ويكشف عيوبه للناس ، أو من الظلام ، أو من عشرة الأرواح الجاهلة أو الشريرة التي تعكس له في الواقع رذائله الخاصة ، وأنايته التي قد يتصورها دفينة بين جنبيه ، وهي ظاهرة في كل تصرفاته وأفكاره .

وهذه العشرة المؤلمة تكون للإنسان بمثابة المرآة التي تعكس له أخلاقه الخاصة فيقاسى منها بنفس المقدار الذى قد يفرضه على الآخرين في حالته الجديدة ، والذى سبق أن فرضه عليهم في حياته الأرضية . فقانون التوافق أو التجانس يمثل حكمة الله تعالى في عدله وفي رحمته معاً ، أو هو بالأدق يمثل الإنسان عدل الله إلى أن تدركه رحمته التي لن تتخلى عنه — في النهاية — أو تنساه ، مهما تخلى هو عن نفسه واستسلم لمصيره التعيس الذى جلبه على نفسه ، وعلى ذلك أجمع البحوث في كل مكان .

إن الحواجز تتداعى . . . وإن عالمنا الصغير ينتقل الآن من مراقبة الكراهية إلى النضج الكامل للحب . وعندما نتحقق أن الرجل وشريكه المرأة خالدين غير قابلين للفناء وأن « القتل » مستحيل فإن حروبنا ستبطل تدريجياً من أرضنا الدامية ، وسندخل إلى العصر الذهبي للحب الذى تحدث عنه كل شاعر .

ولكن الحواجز ستتداعى لحسب بقدر ما نقدر على تحمل الكشف الكامل والضوء الباهر . فالانحسار المباغت للحجب التى تحجب الروح عن مادتنا العاجزة قد يقود إلى العمى المباغت ، وإلى التقهقر للوراء ، لأن البشر كلقطط الصغيرة تتحمل الضوء بصعوبة .

إن أرضنا تتطور ، وإننا نتعلم كيف نتحمل تدريجياً هذا الضوء الذى فرض نفسه علينا خلال السنين الأخيرة . إن الضوء يلقي شعاعه على شواطئنا الحزينة . لقد طلع الفجر ، وولد الحب من الموت . . .

خاتمة

هذه هى بعض الجوانب الهامة فى النظرية العامة التى وصل إليها علم الروح الحديث بعد بحوث قرن ونيف من الزمان عن أسلوب الحياة فى بعض عوالم ما بعد المادة استعرضناها فى هذا الباب من أهم زواياها — إجمالاً — ومستندين إلى أعمال لفيف من أبرز العلماء والباحثين ومستبشرين تماماً ما عداها ، لأننا نعلم أن هذه الناحية بالذات من نواحي البحث هى أشدها دقة وأكثرها وعورة . فينبغى أن يكون الإنسان فيها أكثر تحفظاً من غيرها ، ولو أن التحفظ فى كل مقام صفة محمودة .

وقد كان اهتمامنا موجهاً بوجه خاص إلى بعض جوانب أسلوب الحياة فى ذلك المستوى من عوالم ما بعد المادة الذى اصطاح الباحثون على وصفه بالمستوى الثالث « أو بالسمرلاند » لأنهم اتفقوا أيضاً على أنه هو المستوى المخصص للغالبية العظمى من الأرواح الأرضية السعيدة . فهو « مكان ،

إن الحواجز تتداعى ، وقبل مضي سنين كثيرة من الآن سيكون عندنا زائرون من السماء واقفين على المنصات العامة من يوم إلى يوم للحديث إلينا بأصواتهم الخاصة^(١) ، في وقت لا يجرؤ عالم يستحق هذا الاسم على إنكار حياة الإنسان بعد موت الجسد ، ولا إنكار أن أدلة دوام الحياة وخطوطها هي أخطر موضوع على الأرض ... بل الموضوع الحقيقي الوحيد الذى ينبغى أن يعنينا جدياً ..

إن الحواجز تتداعى وكراسى الأستاذية ، وجمعيات البحث الروحي ، لم تؤسس فحسب فى اكسفورد وكامبردج بل أيضاً فى الولايات المتحدة ، وفى أمريكا الجنوبية ، وفى كل مكان آخر على هذا الكوكب ، وكلها تعلن انهيار الحواجز ، وإن يمكن أبدأ بعد الآن ، وفى أى ظرف لآى إنسان مادى أن يغاق النوافذ .

« ويرى شبابكم رؤى ويحلم شبوخكم أحلاماً ، فى حالة الانتقال هذه من المنظور إلى غير المنظور ، تظهر رؤى وأحلام لم يحلم بها أحد من قبل ... إن الدين نفسه هنا وهناك — وبالتدريج — ينسى نظرياته اللاهوتية كيما يعثر على « حبه » لأن الدين هو الحب والحب هو الدين ، وبسقوط الحواجز عن الاعتقاد المصنوع نجد الحواجز تسقط أيضاً عن الخرافات وعن الأوهام حول الحب والزواج .

فالحب ينبع من الروح ، والزواج ينبع من الحب لا من مجرد التراضى أو الادعاء ، ونيل المرام يكون فى هذا الحب الذى هو الحرية الكاملة ، وإن يمكن بعد الآن لآى كاهن أو سياسى أو لاعب بالألفاظ أن يقيّد وثاقه برياء الماضى .

(١) تحققت فعلاً هذه النبوءة فأصبحت القاعات العامة فى الخارج تمقد الجلسات العلنية للاستماع إلى الأرواح ومضى تخطب بأصواتها المباشرة ، وتناظر ، وتعالج الأمراض المستعصية وسط جمهور غفير من الخاصة والعامة (راجع ماسبق فى الجزء الأول من ١٤٤ ، ٣٨٩ ، ٤١٦) .

علم الحقيقة لذهبت مخاوفه أدراج الرياح ، لأن خطر انتزاع ردائه، أى انتزاعه من أولئك الذين يحبهم لا أساس له ، ولا جوهر صحيح فيه ، فحيثما ذهب الإنسان بعد الموت فسيجد دائماً أرواحاً آدمية قد ارتبطت بحياته الأرضية وأحبها بعمق — وربما حباً أعشى أو شريراً — فى تلك الأيام الخوالى وذلك مهما كانت غفلته الوقتية الآن ، أو مهما تنوعت تجاربه ، .

وهذا القول الأخير (من روح مايرز) صحيح بقدر صحة دوران الأرض حول الشمس . فقد كررته مراراً الى ولآخرين خلال سنين كثيرة ، وبكل الوسائل وفى كل الظروف ، هذه الكائنات غير المتجسدة من الملائكة ومن الأرضيين المنتقلين . وهو يعطى أملاً و يقيناً إلى أولئك الذين لم يموتوا روحياً أنه فى مكان ما وفى وقت ما سيعثرون هناك على أحبائهم ، ومعهم التحقيق الكامل لحياة الروح ...

إن كل شىء يتوقف على مستوى الوجود The Plane . فعشاق الأرض يذهبون إلى المستوى الذى أعدوا أنفسهم له خلال حياتهم الأرضية ، كما نفعل كلنا . فإذا ما عشنا حياة لبقة وجميلة على قدر إمكاننا فسنجد أنفسنا فى ذلك المستوى من الحياة السكونية الذى يمكن تشبيهه بسهولة بعالم الفردوس . أما لو عشنا معيشة الوحوش فسنجد أنفسنا إلى حين فى واحد من جحيم الكواكب ولكن فحسب إلى حين ، لأنه حتى الأبالسة يمكنها أن تخلص نفسها من نفسها ، بل إن رئيس الأبالسة نفسه ستدركه يوماً رحمة الله .

الخواجز تتداعى

ويختتم دزموند مؤلفه الرائع هذا عن «الحب بعد الموت» بالفصل الرابع والخمسين وموضوعه «الخواجز تتداعى» ، قائلاً فيه : إن العصر الذى ولدنا فيه عصر مجيد، فينبغى أن نشكر الله على ذلك ، فهذا العصر الذى نمر به هو عصر برج الدلو Aquarian Age للحب وللحكمة .

بل « إنى » ميال حتى للاعتقاد أنه بتركيز باثولوجى شديد للعقل قد يكون الإنسان الشهوانى القادم حديثاً إلى العالم السكوكبى قادراً على صنع جسد فيزيقى بديل مزود بأعضاء جنسية وكفيل بإشباع المتعة المطلوبة ولكن إلى حين فحسب ، فكما تقضى الخطيئة على نفسها بنفسها ، فكذلك جسد الرغبة المنحطة سرعان ما يتلاشى تاركاً النفس الشقية بشهوتها عارية أمام عالم التجربة. أو ليست هذه تجربة إباحيين كثيرين حتى فى عالمنا الأرضى ، وهى أنهم بقدر ما يجرون وراء شهوة الجسد بقدر ما تقلت هذه منهم ؟ . .

ولكن فى يوم من الأيام ، وربما بعد قرون من التعاسة فى الظلمة الخارجية ، قد تجد هذه الروح البائسة المحطمة مهرباً من أسرها ، وقبل كل شئ من رفقاتها السكريهين الذين اجتذبهم نحوها باهتزازتها المظلمة . لأنه حتى فى مملكة الجحيم التى تقع فى المستوى السكوكبى المنخفض ، والتى وصفها الإنجيل وغيره ، فإن الحب هو الحاكم والأمر الناهى ، ، ولكن شتان بين حب الشهوات السفلى ، وبين حب الروح الذى وصفه والتر سكوت W. Scott قائلاً « الحب هو الفردوس والفردوس هو الحب ، .

لا شئ أبداً فى لغز هذا الحب قابل للزوال ، إنه حقيقى كالبارود أو كمنسج العنكبوت ، وهو قوى وجبار شأن كل قوى الحياة العظمى الجبارة سواء أعشنا فى الأرض أم فى السماء . فانصت إلى روح مايرز وهى تقول « وراء الطموح ، ووراء كل صور الأنانية فى الإنسان ووراء الصراع ، ووراء الرغبات التى ينبغى أن نسوى حسابها فى حذر ، توجد العاطفة ، يوجد الحب : القوة المحسوسة التى تربط بين الأرواح المتآلفة . فهو أقوى من الموت ، وهو يغزو اليأس ، ويمكن أن يغزو كل مستويات الوجود المتناهية ، فينبغى أن يعتبر مبدأ كونياً ، ويعرف بوصفه القوة الكائنة الموجودة وراء الرداء الذى يحاك لكم ، على مدى الزمن ، .

« إن الموت يبدو رهيباً للإنسان العادى بسبب الانفراد الظاهرى . فلو

الجسد المادى؟ أجابت روح مايرز كما فعل علماء آخرون من العالم السكوكي .
« إنه لا يختفى ولكنه يتغير ، . وعن هذا التغير أحاول أن « أعطى ، الآن .
أفكارى وتجاربى الروحية واضحة بقدر الإمكان .

إن ما « أسميه ، « جحيم الحب ، ليس مكاناً وهمياً ، فهو جحيم الرغبة التى
تفتقر إلى الإشباع . هو جحيم الشخص الإباحى الذى شيدته لنفسه على الأرض .
خلال الاندماج وراء رغبته غير الآمنة ، وعقابه هو أنه بعد إذ فقد جسده .
الفيزيقي ، ومع ذلك فإن أفكاره لا تزال متركزة فى إشباع شهوته السفلى ،
فإنه يقع على اكتشافه الرهيب أنه لن يمكنه بعد الآن إشباعها فى المعنى اللحمي .
الذى ، لأن نشوة الجسد الأثيرى مختلفة عنها تماماً إن الرغبة الضالة تدعو
للأسى ، ولكن الهاوية التى يسقط فيها أمثال هذا الشخص تجل عن التصوير .
كما أضاف روح مايرز قائلاً « إن المسيح عندما تحدث عن الظلمة الخارجية
بوصفها مقرأ للخطاة كان يقصد ظلمة الروح وأسى العقل ، وضلال الرغبات .
التي لن تجد لها إشباعاً ، .

وبحسب ما « سمعته ، من روح مايرز وما « تعلمته ، من أرواحى المرشدة إن .
أولئك الإباحيين يحاولون عن طريق بائولوجية التخيل أن يقيموا لأنفسهم
« جنات للجنس ، تصبح مع الوقت « جحيماً للجنس ، . وفى هذه الجنات
يحاولون عن طريق الفكر التخلي عن شهوة الجنس عن طريق إشباعها .
ومع الوقت ينجحون لحسب فى الوصول إلى إنهاك قوة العقل الغارق فى
الخطيئة ، المجرّد حتى من القدرة على إشباع الرغبة الجسدية البائسة ، وبالتالي
يتروكون فى « الظلمة الخارجية ، التى تحدث عنها المسيح ، أو المطهر الذى
يعرفه بعض العقائد .

ولا محل لأن أؤكد أن تجارب أى اثنين من الإباحيين قد لا تتشابه
كما لا تتشابه تجارب أى اثنين من الأرضيين الذين وصلوا إلى العالم الأثيرى
أو السكوكي ولو كانا عالمين علويين .

لماذا تكون صداقة عذرية كهذه شيئاً حراماً في مجتمعنا المتحضر ذى العقل المتشكك الذى لا يمكن أن يتصورها ؟ إنه - بحسب - عن طريق الحرية الكاملة في الاجتماع وفي الصداقة بين الرجل والمرأة ، سواء أكانا عاشقين أم لا ، يمكننا أن نحصل على نصف بديل لسلطان عشق الجنس ، ومع هذا البديل قيم خلقية صحيحة .

ولا توجد قاعدة للحب ، ولا للعمر . فالحب ليس له عمر وهو كائن خارج الزمن . فقد كانت جاذبية الكاردينال ريشيليو Richelieu لا تقاوم وهو في الثمانين من عمره ، وفي وقت لم يكن بمقدوره أن يقف على قدميه . وغرق جوته Goethe في الحب وهو في السبعين من عمره وكان بدوره لا يقاوم . ولقد سمعت شخصياً عن فتاة رائعة صغيرة في الثامنة عشرة من عمرها وقعت في غرام عنيف مع رجل يكبرها بمقدار ثلاثة أضعاف عمرها ، وظلت وفية لحبها على مر السنين رغم ممانعة الرجل في إصرار المذهول السعيد ، فلا توجد قاعدة في الحب .

مهمم الحب وحنانه

وفي الفصل السابع والأربعين يتحدث دزموند عن «جسيم الحب وحنانه» في ضوء معلومات تلقاها أيضاً من روح عالم النفس الشهير ف. و. ه. مايرز ، وهي تمثل وجهات نظر وثيقة صلة بالتجارب الأرضية والكوكبية التي جمعتها «أنا» وآخرين خلال أكثر من ربع قرن . وبين جميع المتشككين أعتقد «أنى» أصعبهم مراساً لأن التجربة الطويلة علمتني أن أكون حذراً حتى مع الأمر الواضح ، وألا أتقبل أمراً إلا بعد تجارب وتأكيدات متكررة ، ولذا «على» أن أقول إن ما سأدونه هنا ينبغي قبوله بالأقل في أسسه . . .

فعندما «تساءلت» ، «هل يختنق الجوع الجنسي أيضاً بالانفصال عن

الواجب تفانياً فادراً ، وبالتالي متفان نحو زوجته ومنزله وأولاده الذين يمثلون مجتمعه الذى هو تعذيبه اليومي ، كما هى الحال بالنسبة لآلاف من الرجال من أمثاله . . .

وذاث يوم شاهد هذا الرجل معصادة تلك السيدة ذات الستين عاماً بعد أن أثقلت السنون كاهلها دون أن تثقل عقلها ، وكانت إلى هذه اللحظة صلبة الرأى مرضوعية فى تفكيرها ، وأدرك الرجل على الفور أنها تشبه له توأم الروح، إذ شعر لأول مرة فى حياته . كما قال . بأنه سعيد تماماً بالقرب من كائن إنسانى من الجنس الآخر ، رغم أنه لم توجد أبداً أية صلة مادية بينهما ، وشرع على الفور فى التودد إليها .

وذهلت السيدة العجوز ، بل فرحت من هذا التدخل فى حياتها الرتيبة فى العزوبة ونظرت بعين الريبة إلى الرجل ، وكما قالت لم يمكنها أن تفهمه بل ظنته مجرد مجنون عندما صارحها بأنها بالنسبة له كل شيء ، وبأنه لا يريد منها شيئاً إلا صداقتها وحبيبها . إذ ليس دائماً يكتشف أحد التوأمين شقيقه من أول نظرة ، رغم أنه قد يحدث هذا « الوقوع فى الحب » من النظرة الأولى التى هى عادة « تمغة » الحب عند توأم الروح .

وظلت السيدة لمدى شهر أو شهرين تسخر آسفة من عاشقها ومن متابعاته الفجة . وفى عدة مرات طلبت منه أن ينصرف إلى أعماله وأن يعود إلى زوجته ، ولكنها ذات يوم جاءها الإلهام يرفع عنها الحجاب ، وتعرفت فى هذا الرجل الذى كان فى نصف عمرها الأرضى العاشق القديم الذى فقدته فى تجسد بعد آخر . وهى — التى كانت من المتعصبين لمذهب اللا أدريّة Agnostic ومادية فى نفس الوقت — أحست فى تلك اللحظة من التحقيق شيئاً يشبه الإيمان فى الحياة ، وفى حب هجرته منذ زمن بعيد . وأصبحت كما لو كانت طفلاً صغيراً ، على ما لاحظته معارفها ، وهى الآن سعيدة تماماً مع صديقها الذى أنشأت معه علاقة أفلاطونية نقية ، وأصبحت تحيا مع زوجته وأولاده دون أن تخفى عنهم قرابتها الأخرى له . فالصراحة معناها الحرية .

الشخصي الصرف purely personal بل أيضا الحب غير الشخصي impersonal ، إن أمكن للحب أن يكون أبداً كذلك . ومع ذلك ففي هذا المعنى الذي يتضمنه ، الحب الأفلاطوني ، يوجد مثال واحد من الحب الإنساني الذي يقع بين الحب الشخصي الصرف الذي ينفي ما عداه ، وبين الحب غير الشخصي الأعظم منه الذي يعرف « بالعفة » التي تحدث عنها بولس الرسول . وصلات عفيفة كهذه قد تعزى عادة إلى روابط كارمية (نسبة إلى قانون السكارما أو ارتباط العلة بالمعلول في نطاق حياة الروح) ترجع إلى تجسيدات سابقة مشتركة ، تعدن بين أئمن اختياراتنا الأرضية .

والحب الأفلاطوني عبارة عن حب بين رجل وامرأة لا يرغبان في معيشة جنسية مشتركة ، ولا حاجة بهما لإشباع الجسد ، أو يقاومان هذه الرغبة بعزم إذا كانت موجودة ، وهو أمر لا يمكن لأحد من أتباع فرويد Freud أن يفهمه أو أن يصل إلى فهمه ...

لقد «عرفت» عدداً وفيراً من صداقات كهذه تقوم على الجمال والالتزان بين رجال ونساء كانوا أصدقاء أفلاطونيين . ومن «هذه الأمثلة سأذكر مثالا واحداً» كما أوضح به معاني «السمائية» ، فالآن تجد أن مستوى المادة والروح مترابطان ومتداخلان ، وليس بمقدورك أن تفصل أحدهما عن الآخر وإني أعلم عن اثنين راقين ، عرف أحدهما الآخر عن طريق لقاء من لقاءات الصدقة كما نسميها ، ووجد كل منهما في أخيه توأم الروح . فلا العمر ولا المظهر ولا الارتفاع ولا العمق يمكنه أن يحول بين توأم الروح وبين العنور على توأمه في النهاية ، ومن ثم اندفع كلاهما إلى هذه الشراكة بين الأرواح التي نتحدث عنها بطلاقة وعن غير فهم .

وأحد هذين «التوأمين» عبارة عن سيدة غير متزوجة في الستين من عمرها الأرضي ، أما الرجل فهو شاب متزوج له عدة أولاد لا يقتضى أحد منهم بميوله إليه كما قد يعبر هو نفسه . وهذا الشاب مهذب ومتفان في أداء

لا تخرج عما سبق أن ذكرناه عن أسلوب الحياة هناك وبخاصة عن سلطان التفكير في صياغة جميع مظاهر هذه الحياة من الأثير وحده حتى يصبح كل شيء مادياً بالنسبة لحواسهم بما في ذلك مساكنهم^(١).

ثم يقول المؤلف إننا نعرف أن هذه الأرواح المرشدة ، التي هي مخلوقات أرضية واهنة يمكنها أن تبعث — كما تبعث محطات الإرسال — بعواطفها وبأفكارها المحبة إلى آلاف من «القائمين» في وقت واحد . . . فلماذا يكون من المحال على مخلوقات الله الصغيرة أن تظهر بالإرادة وحدها في صورة أى عمر قد تراه وأن تشكل رغبتهم إلى المدى الذى يمكننا من أن نتذكرهم ، وإذا شاءوا أن يكونوا موجودين على الأرض أو في السماء .

إن ابن محبتنا يختلف عن ابن كراهيتنا في أنه لا ينسانا ولا يتركنا أبداً . إن هناك آلافاً عديدة من الأمهات ذوات القلوب الكسيرة اللاتي عندما يقرأن هذه الكلمات يشعرن تماماً بمدى النعمة والراحة اللتين يجيئان من التجارب الحالية التي يقوم بها وسطاء الجلاء البصرى وغيرهم . ويجيئان عندما أقول لمن «حتى الآن وأنتن تقرأن تقف طفلتكن المنتقلة أو طفلاتكن بجانبكن ، يتطلع إليكن بعين مشرقة بالحب ، متلهفاً إلى الحديث معكن لإخباركن بكل شيء عن مسكنه الكوكبي الجديد ، وبأنه لا يوجد أى حاجز بين العالمين . وبأنه لا موت ،

الحب الأنطوطورى

وعن الحب الأفلاطونى يتحدث المؤلف في الفصل الخامس والأربعين متسائلاً هل هذا الحب يمكن أن يوجد ؟ وجيباً أنه قديمين من الصفحات السابقة أن وجهة النظر الأثيرية عن الحب تتضمن ليس لحسب الحب

(١) راجع ما سبق في ص ١١٣ - ١٢٥ .

الاقتناع بأن البيانات الواردة من العالم الكوكبي — عن طريقتهم في تشييد مساكنهم — بيانات صادقة .

وقد بدأ (هذا المهندس الكوكبي) حديثه بالقول بأن هدف كل تطور إنساني هو الوصول إلى الإدراك الواعي ، ومعه تأثير العقل في المادة ^(١) . وقال بأن أرضنا هي الثانية من أسفل في ترتيب تطورها وتقدمها بين جميع الكواكب . وعندئذ أدرك بعضنا إلى أي مدى تبدو متخلفين بالمقارنة مع الكائنات الكوكبية ، بل بالمقارنة مع ذواتنا العظمى Greater Selves على المستوى الكوكبي . ونحسب عن طريق الاتصال به يمكننا أن نقدر ضآلتنا وقله أهميتنا ، ومعهما حماقة فلسفاتنا — المشيدة بعناية — ومعها ادعائنا بأننا قد حزننا كل المعرفة وكل الحكمة فنحن بعد لا نزال أطفالاً نلهو على حبة رمال واحدة تمثل الكون الذي نحيا فيه ، ونقط من طريق التسليم بذلك يمكننا أن نتعلم فعلاً شيئاً ذا قيمة على حد قول الكوكبيين لنا مراراً .

وقال هذا المهندس الكوكبي : إنكم تشيدون مساكنكم بالفكر كما نفعل نحن ، وكل الفارق هو أنكم عندما تكون لديكم فكرة أولية عن تخطيط مساكنكم تستدعون مهندساً هو الذي يصنع لكم رسماً منتزعا من الفكر ، ثم يحيى دور البستاء وغيره . أما هنا فنحن لا نحتاج لأي رسم أو لاستدعاء بناء أو سبائك أو نقاش ، بل نحسب نتخيل مساكننا وحدائقنا وعندئذ تجيء إلى الوجود شيئاً فشيئاً ، كما يعتمد الفنان المبدع إلى رسم مشروع أولى بالقلم الرصاص ، وبعد ذلك يملأ أجزاءه ثم يجعله أكثر وضوحاً إلى أن تتكامل الصورة أمامه .

وبعد ذلك يسرد المؤلف مناقشاته مع هذه الروح بالتفصيل . وهي

(١) راجع ما ورد في هذا الشأن في الجزء الأول من ٤٦٤ — ٤٧٣ .

وفي أرضنا الحديثة نحن نبني مساكننا بالآلات ، فنحن نحيا حياتنا على أوسع مدى عن طريق الآلة ونتصرف كما لو كنا عبيداً لها ، ولكن عندما يسيطر الإنسان على الآلة نكون قد دخلنا حقبة في عصر «برج الدلو» الذي يتقدم فاتحاً ذراعيه للإنسانية المتعبة الشقية . وعصر برج الدلو هذا سيصبح في مرحلته الأخيرة العصر السعيد الذي سيصير هذا الكوكب البائس فيه كوكباً سعيداً ، أو بالأقل مسكناً محدوداً بين الكواكب التي تقدم إمكانيات للسعادة أعظم بكثير من السعادة التي نجدها في هذه الأيام .

فنحن نبني مساكننا بالآلات ، أما الكوكبيون فيبنونها بالفكر ، وهذا فارق من أهم الفروق الضخمة بين العالمين الأرضي والكوكبي ، وقد عالجت ، في عدة كتب أسلوب هذا « الخلق بالفكر » الذي يبدو لأول وهلة الإنسان العادي كما لو كان من قصص الجنيات ، فإذا تأملته عن قرب لم يبد لك بعيداً عن التصديق إلى هذا المدى ، ولا تنس في كل ذلك « أني » ما زلت أكتب — بوجه عام — عن المستوى الثالث .

وهاهو مستخرج من حديث شفهي جرى مع مهندس كوكبي عن الطريقة الغربية التي بها يشيدون مساكنهم في العالم الأثيري . وقد كان ذلك في محاضرة ألقاها هذا الكوكبي إلى مجموعة كانت تجتمع خصيصاً كيما تتلقى هذه المعلومات . وقد تلبسنا مراراً أن هذه البيانات قد دعمتها الحقائق التي تنتمي إلى عالمنا حتى ولو كان تصديقها من الصعوبة بمكان . وعن طريق الاختبار المتبادل Cross Checking^(١) مع كوكبيين آخرين أمكن للبعض منا أن يصلوا إلى

(١) يشير إلى طريقة التراسل المتبادل Cross Correspondence (راجع ما ورد فيها من الجزء الأول ص ٢٢١ ، ٢٩٦) .

مقدس . ولأن يتم في رقة وفي فهم للأمور حتى نهاية الحب ، إن كان للحب نهاية . وهذه هي الأسباب التي تجعل لغة الاقتراب الأول وطريقته حاسمتين في مصير ما قد يتبعه من صلات جسدية وعقلية وروحية .

بناء المسكن في العالم المثيرى

وفي الفصل الأربعين يلاحظ دزموند أن « الطفل ، معناه ، المسكن ، لأنه لا يمكن أن يوجد مسكن (بمعناه الجميل) بدون أطفال ولا أطفال بدون مسكن . وسنعرف الآن كيف يبنى الكوكبيون مساكنهم . وكلمة « مسكن » تتردد أثناء كل محادثة كوكبية كما تتردد أثناء المحادثات الأرضية ، لأن المسكن هو نواة الحياة الكوكبية والأرضية ، ولذا كانت الذكريات ، وذكريات الحنين إلى الوطن ، هي المنظم الإنساني للحياة على هذا الكوكب . وأغلبها يجد مصدره في « المسكن » ، ولم تجد أية أغنية في عالمنا صدى عالمياً مثل أغنية « مسكني أيها المسكن الجميل ، Home Sweet Home التي ظلت الألسنة تغنيها خلال أجيال كثيرة على كوكبنا ...

وعندما تنتقل إلى مسكننا الكوكبي ستصدم الحقائق تصوراتنا وتقديراتنا السابقة . إذ سنجد هناك أسلوباً للحياة العائلية والمسكن يتجاوز إلى مدى غير محدود كل ما تعرفه أساليبنا الأرضية الخائفة ..

فن الشائع الزعم بأن المسكن المتوسط للحياة في أرضنا هو المثل الأعلى ، ولكن الكوكبيين يعرفون أفضل منا ، بما لديهم من قدرة النظر إلى أرضنا وقلوبنا ، ويرون أن كل شيء ليس على ما يرام في الأسرة الأرضية ، وأن الأسرة السعيدة التي يتحدث عنها القصص الرخيصة نادرة نسبياً . وحتى الأسرة السعيدة يمكن أن تصبح بسرعة غير سعيدة في غمرة التطور وضغطه لأن المسكن — شأنه شأن الفرد الذي يشيده — يمكن أن يتقدم فحسب عن طريق حركة البندول عندما يهتز بين السعادة والشقاء ..

للأفراد الذين يكونونهم ، فكذلك الذات الجماعية للمستوى الكوكبي الأعلى .
تمثل الذات العظمى للعوالم الكوكبية .

وما أشد جبننا أهل الأرض عندما نخشى دائماً أن نغامر في مياه
أشد عمقاً حتى لا نفقد مواطناً . أقدامنا . ومع ذلك فإننا نحسب عن طريق
المغامرة والجرأة على اقتحام كل صعوبة نربح ، ونحصل على متع التحقيق
والوصول .

وكثيراً ما يتم الاتصال على الأرض بطريقة لا عاطفة فيها ، وحتى عندما
يتم على الوجه المطلوب فلا يشابه إلا نادراً ظل الاتحاد الكوكبي . فهو بالنسبة
للملايين مجرد متعة للجسد خالية من أية متعة للعقل ، فهو عمل حيواني . .
إن الحفاقة الأرضية تفترض أن الحب لا يحتاج إلى دراسة ولا إلى عناية ،
كما تفترض أن « أمننا الطبيعة ، التي لا نعرف عنها في المعتاد شيئاً البتة ، ستعلمنا
كيف نحب . . . »

ثم يتساءل دزموند عن الفارق الجوهرى بين الاتصال عند الأرضيين
وعند الكوكبيين قائلاً إن هذا الفارق هو — فيما يعتقد — أن الأعضاء
على الأرض لا تظل أعضاء بقدر ما تصبح مصادر طاقة موصلة Conductors
بسبب ارتفاع تردد الجسد الأثيرى ، وهذا موضوع لا يمكن أن يعالج
علاجاً صريحاً إلا فى مؤلف خاص عن « وظائف الأعضاء الكوكبية » .
وهو ما كان المؤلف مشغولاً به وقت كتابة هذه الكلمات .

ثم يضيف أنه حتى العاشق الأرضى يعرف متعة الاقتراب الأول من
المعشوق ، وقبل أن يتم أى تلامس بينهما . فهذا الاقتراب بالنسبة للملايين
العشاق يكاد يكون هو العمل الوحيد الذى لم يصددهم بخيبة الأمل . وهذا
سبب واحد من أسباب عديدة تدعو لأن يتم الاتصال فى روية على قدر
الإمكان ، ولأن يتم ارتياد معبد الحب فى خشوع كالوكان الارتىاد إلى مكان

هناك ، وهو الموضوع الذى طالما شغل عدداً كبيراً من الباحثين الروحيين ،
قائلاً : « إننا نعلم الآن شيئين وهما : أن لديهم أطفالاً هناك كما سبق أن ديننا ،
و بدون نزاع لديهم « حياة الأسرة » ، وأنا عندما نغادر المستوى الكوكبي
الثالث الذى تذهب إليه الغالبية منا بعد الموت ونعثر على بدء اهتزازات
المستوى الرابع سنشاهد تغيراً فى الشكل وفى الشخصية يمر مساً عميقاً
الأسرة والطفل على المستوى الرابع للوجود .

وقبل أن « نناقش » موضوع الطفل والمسكن اللذين هما نتاج التكاثر
ينبغي أن نطرق ونتأمل موضوع الحب الكوكبي الجنسى وأثره من زوايا
لا يزال مجهولة فى هذه الصفحات ، بما فى ذلك الميلاد ، والعودة للميلاد ،
واختيار الآباء بمعرفة الأبناء ، والأمومة ، ووجهة النظر الاثيرية عن رغبتنا
الجسدية .

وحسبما قادتنى إليه « بحوثى الخاصة » ، أظن أن على أن أقرر أن الجنس
موجود على كل مستوى من مستويات العالم الكوكبي إلى المستوى الرابع .
« فالواجب » ، و « السالب » ، وبمعنى أوسع الذكر والأنثى موجودان وبإفان
بلا نزاع إلى المستوى الرابع . ومع ذلك فالصلات بين الجنسيتين تتخذ هناك
شكلاً ونوعاً مختلفين عن « الجنس » فى المستويات المنخفضة لأرضنا ، حتى
ليبدو تعبير « الجنس » غير ملائم ولا يصلح للاستخدام .

وديمنى ، فى الابتداء أن أوضح أسراً ، وهو أن لاشئ ضائع البتة عند
تقدم الرجل وشريكته المرأة من مستوى إلى آخر . فالحب ليس بضائع ،
والحب ينمو بشدة فى قدرته وحساسيته ، ولا تضع الشخصية عندما تتشرب
المعاني والمفاهيم الأكثر اتساعاً للحب . فبقدر ما تتشرب بهذه المعاني
وترتوى ترجى الشخصية ربما يتجاوز القياس ، وتصبح هى « الذات
العظمى » ، الإنسان . وكما أن الأمة على أرضنا هى الذات العظمى بالمقابلة

إن الحب المعكربين الزوج وزوجته له أوجه عديدة ، ولكن ، الانسحاب من الحياة ، ، للتأمل في الأماكن النائية والخلوية كما كان يفعل النساك في سالف الأيام علاج شبه مضمون للنعاسة الشديدة التي يسببها تعكير الحب .. وإذا تأملنا الأمور تأملاً صحيحاً لتبين لنا أنه لا توجد مشكلة إنسانية من النوع العميق إلا وارتبطت ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بالحب . فشكلة الحب هي مشكلة الحياة ، واقصد مشكلات الحب ، لا مشكلات الجنس كما ذهب فرويد في نظرياته البالية .

وكل ذلك يعلمه الكوكبيون . وقد ذكرت دلي ، هذه الرابطة من الأرواح التي طالما راقبت وساعدت عشاق الأرض في منحهم وآلامهم « أننا نفعل ذلك لخدمته لحسب لسكان أرضكم ، بل نخدم أنفسنا لأننا على عكس أطبائكم نؤمن أن الوقاية أفضل من العلاج . ولذا فنحن نحاول أن نعالج الاضطراب في مصدره الأرضي قبل أن ينمو مع الوقت ، ويصل صاحبه إلى هنا في حالة متأخرة من المرض فمتى نعلم نحن الأرضيين ذلك؟ . ومتى نكبد أنفسنا مشقة تعليم مراهقيننا ، علم الحب ، كما نعلمهم غيره من العلوم ، لأن الحب علم شأنه شأن أقوى الفرائز قاطبة .

ولقد علمت من الأثريين أو الكوكبيين أن لديهم طريقة في مدارسهم لتعليم ما يصح وصفه بأنه فن أو « قلب الحب » تدخل فيها الموسيقى بصفة أساسية ، وكذلك فيما اعتقد التلبائي أو انتقال الأفكار . والأمر الحقيقي هو أن الشباب والفتاة الكوكبيين يتعلمان الحب من سنينهما الأولى ، لا من كتاب مدرسي بل من نفس كتاب الحياة والحب . وسيأتي اليوم الذي سنفعل نحن فيه نفس الشيء في مدارسنا الأرضية ، لأن الكوكبيين يؤكدون لنا أن الحب الكامل أمر مستطاع سواء على الأرض أم في السماء .

الطفل والأسرة بعد الموت

وفي الفصل الثامن والثلاثين يعالج المؤلف موضوع الطفولة والأسرة

وقد ذكر له روح ف . و . هـ . ما يبرز من المستوى الرابع للعالم السكوكي ما يلي : « إن الغريزة الخالقة جزء هام من طبيعة الإنسان ، واستخدامها بحكمة يجوز أن يكون أحد مشاغله الرئيسية . وهي تنبع جزئياً من الرغبة الجنسية العاجلة ، ولكنها تقدم أعظم سعادة في أوجه نشاطه المنعزلة تماماً عن الجنس . وكيفما كانت الحياة الجنسية للرجل أو للمرأة فإن أيهما يكون حكيماً إذا ما وجد بطريقة أو بأخرى متنفساً للبدا الخالق . وإذا لم يكن للرجل (أو للمرأة) عقل مبتسر أو قدرة على الذيل فيمكنه التعبير عن هذه الغريزة في التنعم بالجمال على وجه أو على آخر بالتسامح المقيد الحكيم ، مع ضبط الحواس ولكن ما أسعد الإنسان الذي يملك القدرة على ضبط النفس ، كما يملك القدرة على الابتكار الحقيقي مهما كانت متواضعة عنده وسائل التعبير عنها . »

وبعد ذلك علق روح ما يبرز منتقداً موقف داعية التبتل الذي قد ينسكرك إلهه عندما ينسكرك الاستخدام السليم للحواس « لأن الإيمان والأمل والبر بدون حكمة يجعلها أيضاً بدون ضوء . والأشياء التي نحجب عنها الضوء نمنعها من أن تصل إلى نموها الصحيح » . فتبا لأولئك العلماء الذين يرفضون تعليم الشباب الغافل كل شيء في هذه الأمور الحيوية . . .

إن لغز الحب بين الرجل والمرأة سيظل دائماً مجرد لغز رغم إمكانياته وتعقد صلاته . ولكن عندما تدخل المشكلات إلى منزل الزوجية فتباً للعاشق الذي لا يعرف معرفة أكيدة من أين جاء إلى هذا العالم ، وإلى أين سيذهب بعد الموت . لأنه بدون الوعي ، والراحة ، والاتزان الذي تضيفه هذه المعرفة على النفس ، فإن سفينة الحب قادرة على أن تنجح إلى الشاطئ الذي ينتظر دواماً كل عاشق غافل . فليست « مشاحنات الحب » كما نسميها هي وحدها التي تسبب جنوح سفينته إلى الشاطئ ، إنه دائماً شيء أعمق من ذلك ، شيء يدخل في حيوط النسيج نفسه كعيب قد يبدو تافهاً ، ولكن إذ أهمل أفسد نسيج الحب برمته ...

« هالاتهم ، يجدون أنفسهم وقد انتقلوا إلى عالم لا يمكن الوصول إليها
بغير ذلك . وحتى في أشجار الحب الأرضية نجد أحياناً مثل هذه التعابير
عن العشاق وهي « حملتهما أجنحة الحب ، أو « العشاق الذين أخرجوا من
أنفسهم ، أو « يفقد الإنسان نفسه في اللانهاية ، .

فالشاعر ليس هو فحسب العالم الحقيقي بل هو عادة — عن غير وعي
منه — رائد السماء . كما توجد هناك أيضاً « أشعار عليية ، كتلك التي نجدها
في أعمال ديون أو ادنيجتون أو جينز أو بوس Bhose ...

بل « يمكنني ، أن أقول لعشاق الأرض إنهم لو عرفوا كيف يصلون إلى
اتحاد الروح والعقل والجسد الذي يصل بهم إلى نشوة الحب ، فلن يكونوا
بعد نفس الأشخاص . ولا تدعوا أي إنسان يحتقر رباط الحواس التي تقود
الروح ، كما أن الروح هي مصدر إلهامها وعلة وجودها ... وفي العالم السكوكي
لا توجد أنصاف حلول في الحب ، فنحن نعبت بالحب ، أما هم فيحيون فيه .

في تعليم الحب

ثم ينتقل دزموند في الفصل السابع والثلاثين إلى الكلام في « تعليم الحب ،
متساءلاً متى سنعلم الحب ؟ متى سنعلم أولادنا في المدارس والجامعات كيف
يتحاشون عثرات العاطفة ويفهمون عقولهم الخاصة وأجسامهم للوصول
إلى هذه السعادة التي لا تحيى عن طريق التبتل ولا عن طريق الإباحية ، بل
عن خير الأمور وهو « الوسط بينهما ، مراعيّاً أن المسيح لم ينصح مرة
واحدة بتبتل الجسد ولا العقل للرجل ولا للمرأة ، لأن إشباع الجنس
إشباع للروح ومعه إشباع الغريزة الخالقة . بل إن بولس الرسول هو الذي
نصح بالتبتل وليس المسيح . وبمقارنة أعمال الرسل بالإنجيل الأربعة بين
بدون أدنى ريب أن تعاليم المسيح وبولس تمثل وجهتي نظر مختلفتين
تماماً لحياة الجسد والروح .

الحب والموسيقى في العالم الكوكبي

وفي الفصل الثاني والثلاثين عن « الحب والموسيقى في العالم الكوكبي » يقرر دزموند إن روح فردريك مايرز وأرواح أخرى حديثة كثير أ عن « موسيقى الأجواء » ، التي يتصور أنها تبدأ من الكون الرابع ، هذا الكون ذي الجمال الرائع حيث الرغبة معناها الحيازة ، وحيث يكون على الأرواح أن تراعى الاعتدال وضبط النفس أكثر مما زاعبهما على الأرض... (١)

والموسيقى الكوكبية غنية ومرحة ، قائمة بصفة أصلية على فكرة الحب بين جميع الشعوب ، وليست محصورة كونسيقانا في « الحب الجنسي » . وهي تنفذ هناك إلى كل ركن من أركان الحياة الكوكبية . . . فهناك تسام بالاحاسيس . . . ونحن نعرف حتى هنا كيف أن الموسيقى الجميلة يمكنها أن ترتفع بنا فوق المادة التي تربطنا فتجعلنا مشوقين إلى أن نكون إناساً أرق وأفضل مما نحن ، وتساعدنا في حبنا كما تساعدنا في موتنا ، لأن الحب والموت على الأرض لا يبعدان كثيراً عن بعضهما .

كما يقرر أن هناك « أحلاماً » في العالم الكوكبي تنقل العشاق — عادة مجتمعين معاً — إلى مستوى الاستماع إلى موسيقى الأجواء وعندما تتقابل

(١) السائد في المؤلفات الروحية هو القول بأن موسيقى الأجواء التي تتحدث عنها أرواح المستوى الرابع فما فوق لا يمزجها أحد ، بل تفرقها الطبيعة نفسها ، وهي تحدث من تحركات النجوم والكواكب ، كما تحدث من اهتزاز أثير الفضاء الذي يسكن منه الأجرام الكونية ، والذي يهتز في نغم رائم متناسق .

ومن الطريف أنه ورد في عدد السبت ٢٩ مايو سنة ١٩٦٥ من جريدة « أخبار اليوم » الخبر الآتي نقله بحروفه بدون ارتباط به : —

« استمع علماء الاتحاد السوفيتي إلى تغريد البلايل ساعتين أمس . كانوا يصغون في أكاديمية العلوم إلى أصوات صادرة من الشمس سجلوها بأجهزة التسجيل . سبب الأصوات ذبذبات الكتل — مغناطيسية تحدث في هالة الشمس ولا يمكن تفريقها عن تغريد البلايل . »
وهذه طبيعة الحال غير الموسيقى التي يمزجها سكان المستويات الأثيرية المختلفة بآلات منها ما يشبه آلات الموسيقى الدائمة ، ومنها ما قد يختلف عنها ، على ما ي بناء فيما سبق (راجع من ١٢٢ ، ١٢١) .

إشباع حواسه . ومع ذلك فن الجائز القول بأن شركة الأجساد والأرواح معاً ، التي تتم أحياناً حتى على المستوى الأرضي ، عبارة عن استباق ضعيف لما سيجري في المستوى الكوكبي .

فأول اكتشاف للرجل وللرأة العائدين ثانية إلى وطنهما هناك ، بعد غربيتهما في الكوكب الأرضي الحزين ، هو أن فتح نافذة الحب الأثيري يفتح أيضاً طريق الوصول إلى العوالم الأخرى ، هذه العوالم التي قد يشاهدها الإنسان أحياناً في أحلامه ، العالم بعد الآخر ، والتي تتلشى في الأبعاد الكونية ولكنها حقيقة أكثر من هذا العالم الذي اكتب فيه هذه الكلمات .

وهذا الاكتشاف المبدئي هو الذي يقود فوراً إلى أن نعي كيف أن أحلام الحب وأخيلته Romance تمثل وحدها في صورها العديدة خط الحياة الذي يجري خلال العوالم المختلفة ويربط بعضها ببعض الآخر كما يرتبط سلك رفيع من الفضة حبات المسبحة . ويمكنني أن أقرر - مثل كثيرين غيري - أن كل رسالة تلقيناها من الجانب الكوكبي للبوت تؤكد ماذكرته في جملة وتفصيله . فكل هذا ليس من ابتكارات الخيال ، بل هو حقيقة رائعة .

ويمكنني، عن اقتناع تام أن أقرر هنا أنه تقريباً على الدوام تقابل الأم ولدها بعد الانتقال والاب ابنته والصديق صديقه بمجرد الخروج من محارة الجسد الأرضي . وإذا كان حب الأم لوليدها هو أكثر صور الحب إنكاراً للذات ، فإنه ليس أكثرها ذكاء لأن الحب يعنى . وتعليم القادم الجديد قد يقتضى شهوراً أو سنين عديدة بحسب تقويمنا الأرضي ، لأن الزمن هناك لا وجود له . ولكن بقدر ما تستنير العين تدريجياً ويسقط عنها الحجاب فإن هذا القادم الجديد سوف يأخذ الذهول من الإمكانيات غير المحدودة لعالمه ولوجوده الجديدين . . .

إن ذلك لا يحدث على المستوى الكوكبي ، حيث يتم التحرر من الجسد المادى بالموت ومعه تحرر العقل من اللحم . وحيث يتبادل أولئك العشاق الممتازون لغة الحب بكلمات عقلية وروحية أكثر مما يتبادلونها بالغزل ، ويعامل الرجل المرأة وتعامل المرأة الرجل ككائن إنسانى أكثر منهما كذكر وكأنثى ، إلى الحد الذى يعدنا للقول بأن معاملة أحدهما للآخر مختلفة تماماً عن المعاملة كما تعرفها قصص الحب والحياة الإنسانية عندنا .

التأقلم المتبادل هناك

وفى الفصل الحادى والثلاثين يعالج دزموند موضوع التأقلم المتبادل هناك قائلاً إنه تلقى من مراسلين فى عالم الروح مثل فردريك مايرز (عالم النفس الشهير الذى انتقل إلى عالم الروح منذ سنة ١٩٠١) كما تلقى من غيره ما يفيد - ولو أن ذلك قد يبدو غريباً - أننا بعد وصولنا إلى العالم الكوكبى بفترة قد تطول وقد تقصر نشعر بالجوع وبالعطش وبالحنين إلى الأكل وإلى الشرب ، بل أيضاً بالحنين إلى التبغ وإلى الخمر كما ذكر ريموند لوالده سير أوليفر لودج . ولكن الحنين الأول للقادم حديثاً هو الرغبة الجارحة فى أن يلتصق جسمياً وعقلياً بمن يحبهم . والأطباء الكوكبيون ينظرون بعين التسامح الحذر لدوام الشهوات الأرضية ويحاولون التمسك بها تدريجياً ، وبذلك يمنحون أصحابها وقع الصدمة .

وفى ، التأقلم التدريجى ، يتعلم القادم حديثاً الذى قابل هناك من يعشق أن هناك أحاسيس أرق من التلامس ، وأن هناك تبادلاً لمشاعر روحية لا نعرفه بعد أثناء تجربتنا الأرضية . فالعشور على الذات فى داخل الشخص الآخر ، كما يصفونه ، كشف جديد بمعنى الكلمة يتجاوز فى أهميته كثيراً التلامس الأثيرى للأجساد الأثيرية بين أولئك الذين يجد كل منهم فى الآخر الإحساس بكيانه الروحى ، فضلاً عن الميل إلى

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٢٢١ ، ٢٢٢ عنه قبل انتقاله ، وما ورد فى الجزء الثانى فى ص ٦١ - ٦٣ عنه بعد انتقاله .

الجسماني بدون اتصال عقلي عبارة عن سراب بدون ماء . فالعشاق من الرجال والنساء يحاولون دائماً أن يشيدوا مسكن الحب بغير رباط من مادة العقل . وعندما يتحدث عاشق عن حبيبة الفؤاد فهو يبدأ الحديث دائماً عن مظهرها الخارجي ، وقلبا يتحدث عن عقلها ، مع أن الجسم بلا عقل محض طيف زائس عاجز ، أو منزل بلا ساكن ، أو جمال بلا مخ .

وليس من الأمور الجوهرية أن يتفق المرأة والرجل العاشقان أحدهما مع الآخر في اتجاهاتهما العقلية والذهنية ، فقد تكون بينهما فروق قوية في نظراتهما لجميع الأمور السياسية وغيرها ... ولكن الأمر الجوهرى هو أن يتوافر لهما نفس المستوى الروحي أو نفس المستوى الترددى . .

وتقارب العقل للعقل ينبغى أن يتم برقة . ومع مراعاة مشاعر الشخص الآخر . واذكروا أن الآراء العقلية والدينية لأى إنسان مقدسة ولا ينبغى أبداً تحديها ولا انتقادها . وإن كان انتقاد ما يحبه قلب الإنسان بمعرفة آخر من شأنه أن يساعد أحياناً - لا أن يجرح - ولكن بشرط أن يكون انتقاداً بناءً يهدف إلى الإعانة وإلى الراحة ، أما متى جاوز النقد هذا الهدف إلى المناقشات الغثة في السياسة أو في الدين التى نشاهد أمثالها كل يوم على المنصات ، فقد تعين طرحه جانباً ، لأن هذا النقد يجلب الشياطين لا الملائكة ، والفكر هو الذى يهم لا الكلمات . . .

وبين العشاق ينبغى أن تتوافر الصراحة حتى عندما تبدو الصراحة مستحيلة ، فعلى الصراحة تؤسس كل محبة ، بل كل زوجية ، فى العالم الكوكبى . فبغير صراحة لا توجد ثقة ، وبغير ثقة لا ينشأ حب . بل « لأذهب ، أبعد من ذلك فأقول إنه بالأقل بغير بعض التراسل العقلى لا يمكن أن يوجد حب جدير بهذا الاسم . إن ملايين من العشاق من يوم لقائهم إلى يوم فراقهم المحتوم ، لا يقيمون أبداً تلامساً عقلياً ، يحاولون عبثاً العثور على عش الغرام بغير توجيه العقل ، كما لو كانوا غزالين يغزلون بغير خيط على مغازل المصادفة . . .

قائلاً ، بعد أن بين صور التلامس بين عشاق العالم السكوكي ، إن هناك ابتداء
صوراً أربع للتلامس وهي : —

أولاً : تلامس التردد غير الواعي لنداء الحب^(١) ، أو العثور على
التردد Vibration

ثانياً : الاختلاط الواعي لهاتين العاشقين العقليتين^(٢) ، يتبادلان خلاله
الترددات لا الأفكار .

ثالثاً : الاختلاط المتعمد العقول واللهالات^(٣) الذي يتضمن عنصراً
فيزيقياً بداخله .

رابعاً : العثور الواعي على تلامس الأجساد^(٤) في المرة الأولى ، إذ أن
هذه الأجساد أثريه سواء هنا أم هناك . فالعاشق الأرضي له أيضاً جسده
الآثري الذي يستخدمه في العشق كما يستخدم جسده المادي .

وبعد إتمام التلامس المبدئي العقلي الذي يتم عن طريق الهالة ، والذي
تصح تسميته بتلامس « الموجة القصيرة » أو المسافة البعيدة ، وأخيراً تلامس
« الموجة الطويلة » ، أو « تلامس الأجساد الآثريه عن قرب » ، يحى دور
التلامس العقلي الثاني الذي مهد له تلامس الهالات ، وهذا هو تلامس
الأفكار . لأن اقتراب الهالات واختلاطها هو الذي يفتح الأبواب المخلقة
بين العقول الواعية للعشاق ، ويجعل تبادل الأفكار ممكناً فيما بينهم للمرة
الأولى .

والتلامس العقلي المباشر ، أو تلامس الأفكار ، هو أحد أساسين
هامين للحب الكامل ، وثانيهما هو تلامس الأرواح . بل إن الاتصال

Unconscious vibrational love - call. (١)

Cencious mixing of the mental auras. (٢)

Deliberate blending of the minds and auras. (٣)

Cencious finding of the contact of bodies. (٤)

ولا يمكنه بعد أن يعطى إجابة محددة عما إذا كان هذا الإنجاب يتم عن طريق الولادة كما هي الحال في أطفال الأرض ، بل كل ما يعمله على وجه التحديد هو أن الولادة هناك غير مؤلمة . وأنه لا يحدث أى تغيير فى شكل الأم فى فترة الحمل ، بل إن الحمل هناك روى أكثر منه مادي ، وأن فترة الحمل فى الراجح أطول كثيراً منها على الأرض لأنها متعلقة بحياة أكثر تطوراً من الحياة الأرضية^(١) .

كما يقرر أن جمال مواليد السماء يفوق كثيراً جمال مواليد الأرض خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين لم يولدوا من قبل على الأرض ، وأنهم يأتون لأبائهم وأمهاتهم لأنهم من نفس مستوى اهتزازهم أو ترددهم ، ولذا فلا يوجد فى المستويات العليا هذا المنظر المألوف عندنا لأطفال يتشاجرون مع والديهم بمرارة أو لأسر متصدعة ، وفى الجملة لسكافة مظاهر التعاسة التى تعرفها أسرنا الأرضية .

ثم يتوجه باللوم إلى أولئك الرجال والنساء ذوى الخيال المحدود العاجزين عن تصور أى شئ خارج حدود تجاربهم الأرضية ، وكيف سيسخرون مما تقدم بغير أن يقوموا ببذل أية جهود لدراسة مشكلة مفرطة فى تعقيدها ، بل هى عدة مشكلات فى الحقيقة . ولكن أولئك « الواقعيون الأرضيون » سيستيقظون يوماً فى العالم الكوكبي وسيعللون أن أحلامنا اليومية عن الحب والزواج والأولاد هى حقائق أرضية لكن مقرها فى السماء . فنحن الأرضيون قد بدأنا منذ عهد قريب فحسب نعرف عن طريق « التخيل الخالق » الله الذى هو فى تحليله الأخير محبة .

نومس الألفار

وفى الفصل الثامن والعشرين يعالج المؤلف موضوع « تلامس الأفكار »

(١) هذا رأى محل نقاش كبير بين الروحيين . ولا ينبغي أن يفوتنا أن الأرواح تنبع من مناطق شتى من مستويات هذا الوجود غير المحدود بين كوكبية وروحانية وعقلية ، مما يضاعف مشقة البت فى رأى حاسم فى هذه النقطة وغيرها .

الاهتزازية (أى اهتزاز الهالة وما قد ينبعث عنها من أضواء مختلفة^(١)) ،
وأنا عندما نعرف كيف نستخدمها فإن الصلات الزوجية ستتقدم روحياً
والعكس بالعكس .

وقد أظهرت «أحادىثى» مع مرشدى المصرى (روحه المرشد رد كلاود ،
وهو فرعون قديم) أن الكوكبيين أكثر رقة منافى أحاسيسهم ، ولذا يشعرون
بالمسحة وبالآلم شعوراً أعمق بكثير منا . . ولانى بين أولئك الذين يعتقدون
أننا حتى هنا فى الأرض بصدد بناء فردوس جديد — منذ الآن — وأرض جديدة
للعلاقات الزوجية و « لشركات المحبة » بين الأرواح المتطورة الراقية .

والآن ماذا يعنى ذلك الاتصال الكوكبى الفيزيقي المباشر ؟ إنه فيما أعتقد
تطويق وعناق متبادل للأجساد الأثيرية للعشاق ، فهو المقابل الفيزيقي
لعناق العقول والشخصيات فيه يجد كل عاشق رفيقه المكمل والنصف الآخر
له إذا كانت الطبيعة قد اختارت حقيقة كلا منهما للآخر . ولكن الاتصال
الفيزيقي هناك — كما فهمت من مراسلى الكوكبيين — ليس هو نفسه اتصال
الأجساد اللحمية على الأرض ، لأنه اتصال أثيرى فحسب . وهذا الاتصال
الأثيرى الكوكبى له مقابله على الأرض عندما تعرف الأجساد الأثيرية
للعشاق كيف تتلامس قبل أن تتلامس أجسادهم المادية . أما تلامس الأجساد
المادية قبل الأجساد الأثيرية — أى قبل أن يحدث الغزل الأثيرى أنره ،
فإنه يغلق الدائرة الكهرية للحب كما تكون النتيجة هى الفشل وخيبة
الآمل !

وأعتقد أنه فى هذا الاتصال المتبادل للأجساد الأثيرية لعشاق
الكواكب تعمل بعض مرا كز معينة منها كموصلات لقوى ليست فيزيقية
فحسب بل عقلية وروحية أيضاً . وهذه الموصلات هى المفاتيح التى تفتح
أبواب الروح وغيرها كما تكشف لمن يحملها عن كنوز لا يتوقعها ...
بل يقرر دزموند بأن «شركة الأرواح» هذه قد تنجب أطفالاً كوكبيين

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول عن الهالة والجسد الأثيرى فى ص ٤٤٠ — ٤٥٥ .

وهو اسم الممرضة كافل Cavell التي قالت الاميرة إنها شاهدها أثناء العمل . . .

وبما أننا لدينا الآن مواكب لاتقطع من نساء ومن رجال من العلماء وغيرهم يشهدون لهذه الأمور بعضهم من سكان الجانب الآخر للقبر وبعضهم الآخر لا يزالون على الأرض فإنه من حقنا أن نصيق ذرعاً بأولئك المغالطين المتشككين « العليين » الذين هم غالباً ليسوا عليين ، لأنهم ينكرون شهادة حواسهم الخاصة . . .

بل إن العقول العلية في نطاق البحث الروحي بدأت ترفض أن تضع وقفها هباءً عاماً بعد عام في مناقشات فجّة فيما إذا كانت الحياة تبقى بعد الموت أم لا ، وفيما إذا كان يوجد حقيقة « عالم آخر » أم لا . وإن طلاب دراسة الحياة والحب يتجهون نفس الاتجاه ويرغبون في أن يحرروا أنفسهم من المناقشة التي لا تنتهي عن وقائع يمكن أن تخضع للاختبار ولتناول اليد شأنها في ذلك شأن حقائق العلوم الأخرى حتى المادية منها . وقصتنا في الحب الكوكبي ليست مجرد أحداث ، بل هي عبارة عن تسجيل كامل لحقيقة عاطفية ، وهي واحدة من مئات القصص .

وبما يستحق الذكر هنا أن وصول حقائق كهذه من العالم الأثيري أو من المستوى الثالث يتم إما عن طريق وساطة « الصوت المباشر » الذي قد يتم أحياناً في ضوء النهار ، وإما يتم أحياناً أخرى خلال «نجرة الوسيط» الذي أصبح مساعداً للعالم الروحي .

الاتصال الكوكبي والمهور

وفي الفصل السادس والعشرين يعالج دزموند موضوع « الاتصال الكوكبي والميلاد » قائلاً إنه يعلم من مراسلين متعددين من العالم الكوكبي أن تجاربهم عن « رفقة الجسد والعقل » لاتتوقف وأنهم يعالجون استخدام الجسد الأثيري استخداماً حكيماً ، وأن أساس هذه المعالجة هو رابطة الذبذبة

الكوكبي الرابع ، ولكنهما على صلة بنا كيما يساعدانا بمعلوماتهم الكوكبية الرفيعة .

وقد قام هذا الزوج من الأرواح - الذى تكلم فى الحب وتزوج فى الخدمة - بتقديم الدليل على دوام الحياة بعد الموت ومعها دوام الحب من حياة إلى حياة . وهو ما يمكن أن يشهد به علماء الآثار المصرية Egyptologists بالنظر إلى اللغة المصرية القديمة التى اتصلوا بنا عن طريقها كما يشهد بذلك رجال الأدب هنا . وقد ذكرت شطراً من قصة الحب الكوكبية هذه فى روايتى المصرية عن العودة للتجسد التى عنوانها « إيزيس المتجسدة » (١) فى صورة خيالية .

ولكن هناك أكثر من ذلك ، وهو أن هذه الأميرة نفسها سجلت - خلال وساطة صديق من الأرضيين - على أسطوانة جراموفون عبارة بعد أخرى باللغة المصرية القديمة وبلهجة الأسرة المالكة التى عاشت فى ظلها منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وكان هذا التسجيل فى مقر جمعية راقية للبحث الروحى وتحت رقابة قاسية ، وقام بالترجمة عالم الآثار المصرية هوارد هيولم Howard Hulme ونشرت هذه الوقائع على العالم عدة مرات (٢) .

واذكر وصفاً شخصياً بمعرفة هذه السيدة العظيمة لمنزلها فى العالم الكوكبي وللحدائق وللزهور؛ فقد قالت عن منزلها إنه من مادة أرق كثيراً من الطوب والملاط لأنها مادة أثيرية ، وأن بناءه قد تم بالعقل لا باليد . وأن أحد هذه المباني قد تم تشييده عن طريق أفكار المحبة المنبعثة من مجموعة عظمى من الأرواح كان عملها الخاص هو إراحة المريض وتعزية البائس على أرضنا . وأنه كان من ضمن هذه المجموعة اسم لا يمكن أن تنساه الأرض ولا السماء

وهي ليست مجرد حلم أو أحذوثة ، بل حقيقة واقعة . فنذ حوالى ثلاثة آلاف سنة كانت تعيش في مصر بجوار النيل أجمل الأميرات المصريات ، وكانت حلوة لأن عقلها كان حلواً كجسمها ، وكان هذا الجسم مشهوراً حتى في عصر أمنحتب الثالث لفرط جماله ورقته .

وقد أحببت هذه الأميرة اقوى المصريين في أيامه ، ذلك الذى طالما نظرت أنا إلى تمثاله في المتحف البريطاني — وطالما اجتمعت به للذكرى — حيث يجلس هناك في الحجر الأصم ممثلاً قوة على نفس النحو الذى كان يعرف به في مصر القديمة التى كانت جزءاً من رمال الصحراء . . .

وهذا الخلق القوى المتلهف على الانتصار على الحياة ، وأحياناً المتلهف على الانتصار الأبل على الخطيئة والموت ، كما هو ربما الشأن بالنسبة لنا جميعنا ، وقع في حب أجنبية عن الصحراء ، ولكن حبه لها كان حباً أرضياً كحب أغلب الذكور ، أى كان حباً وصولياً لإرضاء الجسد ، أكثر منه حباً للحب نفسه ، فكان شركة للجسد لا للروح .

وكانت هي تمثل جزءاً من خطته في البحث عن القوة . أى كانت بالنسبة له شيئاً يكسبه الإنسان كما كان يريد هو أن يكسب معاركه ضد الشعوب والقبائل التى كان يخف إلى غزوها . . . وقد نسى هذا السياسى المحارب العظيم حبه لزوجته في غمار حبه للقوة . وحب الرجل للمرأة ظل باهت لمحبة الله ، أما حب الرجل للقوة فهو أحط صور الحب الذى سرعان ما يحطمه الفساد ، كما يحطم الفساد حب الإنسان للثروة ، ولا يمكن أن يكون أسلوب الرجل مع جارية هو نفس أسلوبه مع الله

وهكذا فقد أميرته في ذلك التجسد ، ولكن أثناء حياة بعد حياة . . . ظلت د أميرته ، في انتظاره على الجانب الآخر من الموت مترقة أوبته . كما يعد نفسه للعودة من نعيم السماء إلى جحيم الأرض . وأخيراً جاء اليوم الذى اجتمع فيه هناك . وهما الآن مجتمعان للأبد في المستوى .

كان الأمر فإن الحب هو القنطرة بين الحياة والموت ، قنطرة لا يقدر على عبورها إلا أولئك الذين عرفوا الطريق إلى الحب . وهو القنطرة الوحيدة بين البرزخ الذى يفصل ذلك الجزء من كل واحد منا الذى يتجسد على الأرض عن نصفه الآخر ، الذى قد يكون على الجانب الآخر من حجاب الموت . . . أى من توأم الروح الذى هو أنت وأنا ، أو النصف الذكر أو الأنثى بحسب الأحوال ، وفى ذلك يكمن لغز .

فعشاق الأرض يجتازون عدة قناطر من حياة إلى حياة ، لأنهم يعودون ثانية وثانية إلى الأرض كيما يتعلمون دروسهم (إذ المؤلف من المعتقدين الجازمين بالعودة المتكررة إلى التجسد الأرضى) إما فرادى وإما مجتمعين . فإذا ما عثر الإنسان فى مرة من مرات تجسده المتعددة على توأم الروح كان ذلك مفاجأة غير متوقعة شأنها شأن كل الهبات الحلوة التى يهبها الله لنا ، وذلك قد يحدث عندما يتجسد كلاهما على الأرض فى وقت واحد . ويحاول العالم الكوكبى الآن أن يحقق هذا التجسد للعشاق فى وقت واحد .

والمأساة فى الزواج تحدث فى عالمنا - أساساً - بسبب أننا قلما نعود إلى الأرض فى نفس الوقت مع توأمنا فى الروح ، لأن لكل واحد منا توأمًا للروح ينتظره إما على هذا الجانب من القبر وإما على الجانب الآخر ، وفى النهاية يعثر كل منا على الآخر دائماً .

وما « الوقوع فى الحب » الذى هو الأثسودة الرئيسية منذ أبعد الأزمنة للشاعر والفيلسوف وللقصصى ؟ إننا يمكننا أن ننظر إليه خلال العيون الكوكبية ، وبالتالى لعلمنا نتعلم لماذا يبدو غير مرض للأغلبية العظمى من الأرضيين . فمن منا ينكر أنه فى الحب الأرضى يكمن عادة من الأنين أكثر مما يكمن من النعيم ؟

وإحدى قصص الحب الكوكبية قصة المؤلف صلة شخصية بطلها

فأبغض منظرين على أرضنا : هما منظر الناسك الذى يعذب نفسه من جانب ، المشغول الآخر مدى بروحه الصغيرة المعذبة ، والذى يؤدب جسده ويمسح عقله فى محاولته لأن يقطع نفسه من الدنيا ومن تلك الحياة التى بدونها ما كانت لتوجد حياة ، ومن جانب آخر هو منظر الإباحى الذى يفترس جسده وروحه معاً فى سعيه لأن يجد متعته فى الإشباع والاختلاط الماجن ...

وقد قال السكوكيون لنا خلال الخمسين السنة الأخيرة من الاتصال بالأرواح مراراً وتكراراً ، نحن الأرضيين ما نرفض الإصغاء إليه وهو أنه ليس بالإشباع السريع للجسد النهم ندخل إلى مملكة الحب ، بل بالاعتدال وضبط النفس . وأن التودد الأثيرى ينبغى أن يسبق التودد إلى الجسد ، وأن سعادة الجسد ليست إلا مقابل يدعو للأسى لسعادة الروح التى لا تتم إلا باختيار الجنس الإنسانى ..

وإذا كان لديهم شىء آخر يقولونه لنا فهو أننا ما لم نتحقق من أن الرجال والنساء أرواح خالدة معتقلة مؤقتاً فى أجسادها فلن نفهم أبداً فن العشق وهدفه حتى العشق الجسدى . وأن أول سعادة عابرة للقاء هؤلاء العشاق لا ينبغى أن يعوقها عائق حسابى ، ومع ذلك فهناك كما يقول السكوكيون فن للحب كما يوجد فن لكل شىء رفيع فى الحياة . وأن الطريقة التى يتبادل بها اثنان عواطفهما ذات أهمية حيوية ، فن جنون الحب ينبغى أن يتوافر أيضاً طريقة للحب

فصل فى اثيرية

وفى الفصل الثانى والعشرين يقرر المؤلف أن الحب بين الرجل والمرأة مشكلة مركبة لا نهاية لها ، ونحن نعرف عنها أقل مما نعرف عن المشكلات الأخرى للحياة . وهى غالباً مشكلة الموت أكثر منها مشكلة للحياة . وكيف

العشق هو أنهم يحيون في الجسد الأثيرى — لافى المحارة الغليظة الفيزيقية — وذلك يجعلهم أكثر إحساساً منا بكثير بالحب وبما يقتضيه . ولاء أخطىء . إذ أقول إن انفعال العشاق على المستوى السكوكبى أعمق وأرق من محاولتنا في أقدم الفنون الأرضية ، بمقدار المسافة بين محاولتنا الأرضية في عمقها ورقتها وبين محاولات الحيوانات السفلى .

وكل طفل كوكبى يعلم منذ ولادته أن الحب فى شتى صورته هو سيد الحياة ، ويعلم كل شىء عن الحب ، وأن العشاق جميل ، وأن الجسد الأثيرى له جماله الخاص شأنه فى ذلك شأن العقل والروح اللذين يحملهما ، وأن الله وراء كل شىء وقد أعطانا هذه الأشياء كيما نستخدمها فى سبيل صحتنا ورضائنا وفى سبيل مجده . . . وفى هذا الشأن وحده يوجد فارق حىوى بين تعاليم الحب التى تعطى لأطفال الأرض وتلك التى تعطى لأطفال السماء .

وحياة الحب على الأرض نحيهاها محكومة بسلسلة من الطقوس ، أما حياة الحب فى السماء فهى الحرية الكاملة التى تحدث عنها المسيح وعاش بنفسه فيها فالمسيح لم يكن داعية تبتل ، ولم يهمس حرفاً عن التبتل فى كل أقواله المدونة بوصفه طريقاً مرغوباً فيه . وما نادى به فهو ضبط النفس وهو ذلك التحكم فى الحب وفى الحياة الذى يمكنه وحده أن يظهر جمال كليهما . وهو لم يتزوج ولم يعشق فى المعنى الجنىسى لهذه السكيلة لأن سادة الحياة والحب يجدون رضائهم الكامل فى اعتزازات للعقل وللروح أرفع من هذا الجسد الفج .

وكان يعلم قبل كل شىء أن الشهوانية والتبتل — الأمران المتناقضان بحسب الظاهر — هما العدوان للروح ، ومع ذلك فهما — كما يعلم كل فيسولوجى معاصر — وجهان لشيء واحد . فهناك شهوانية للتبتل تقود إلى انحلالات الروح تقابل انحلالات الجسد . وهناك أيضاً جمال روحى ، للاستخدام ، بغير إساءة لجميع ملكاتنا يقارن بما فى التحقيق والتنفيذ من جمال روحى . وعندما تتعلم أرضنا ذلك تكون قد قطعت نصف الطريق إلى السماء .

في الفصل الحالي فإنما « أتحدث ، عن العشق الروحي ، وأيضاً عن العشق في المعنى الجسدى الخالص .

و « لأتحدث ، عن الأخير أولاً ، فأقول إن السكوكيين — الذين سنلحق بصفوفهم يوماً ما بعد موت الجسد الارضى — يحيون خلال حيواتهم برمتها على المستوى الروحي بالحب وبالحب وحده . ولست أقول إنه لا توجد كراهية في ذلك « المستوى الثالث » — وهو عالم واحد من عوالم أخرى لا تحصى — تذهب إليه الغالبية منا نحن الأرضيين عند الانفصال عن المحارة الأرضية ، إذ أننا ننقل معنا إلى هناك كل عواطفنا من حب وكراهية . ولكن الحب على المستوى السماوى شريعة الحياة ، شريعة علينا أن نطبقها تطبيقاً ضمناً أو صريحاً ، بينما نخرج عليها في عالمنا الارضى كما نحيا في الكراهية على نطاق واسع جداً .

ولكن الإنسان السكوكي يدرك دائماً ضرر الكراهية وعجزها ، وهو ما ندركه نحن أيضاً — مغلفين بالجسد — من آن لآخر . ونحن نربط بين الجنس والمتعة ، كما نربط بين المتعة والخطيئة . وفي الحقيقة نحن نتحدث في قانون الطبيعة الاسمى الخاص ببقاء الأنواع عندما نبرر الجنس ، وهكذا نبرر على أسس نفعية صرف ، كما لو كان موضوع العشق ليس موضوعاً للحب بل للأطفال ، وليس موضوعاً للخلق بل للتكاثر ، وهكذا نبرىء خالق الحب والجنس كما نبرىء أنفسنا أيضاً .

أما حياة الإنسان السكوكي فهي حياة الحب مستخدمين هذا التعبير بمعنى أوسع بكثير من الجنس . ومع ذلك فإن الحب الجنسي يلعب هناك كما يلعب هنا دوراً أساسياً بل جذرياً . فالإنسان السكوكي بالأقل لا يسخر من الجنس ، ولا ينظر إليه كشيء غير حميد تماماً — يطوى جملة معان للخطايا وللخطاة ، كما نفعل نحن كثيراً على الأرض .

والسبب الثانى الذى يدعو السكوكيين أو « السماريين » ، لأن يقدروا فن

الحجب بين العوالم السكونية الدنيا والعليا مرفوعة دائماً ، أو بالأقل شفافة مهلملة ، وهى الآن فى عصر برج الدلو هذا آخذة فى الارتفاع بين الأرض والحياة السكونية على كوكبنا . فالاتصال الحر ، وفى أى وقت ، موجود بين المستويات السكونية ، رغم أنه توجد فترات — فيما أعتقد — يكون فيها على الكائنات الأعلى اهتزازاً أن تنزوى للراحة والتأمل ، حتى عن أحبائها ممن يقيمون فى المستوى الأثقل اهتزازاً ...

الموت نوم ونسيان . ١ . فهو نوم مؤقت حتى يتأقلم الجسد الأثيرى الذى تحرر حديثاً من الأرض عن طريق نوع من الميلاد السماوى ، وهو نسيان بمعنى أن الروح المتقدمة تواجه عن طريقه ذهولاً من مشاعر جديدة ، وحيرة إزاء إمكانيات جديدة ، ويقتنأ بأن ما قابلته الروح على الأرض من صور الفشل وخيبة الأمل ستصبح الآن — فى انطلاقة الزمن — الطريق إلى السماء ، وبذلك ينسى القادم الجديد مع مرور الوقت تعاسات الأرض وتفاهاتها .

أما الشيء الوحيد الذى لن ينساه أبداً الرجل أو المرأة القادمان إلى هناك فهو الشخص المحبوب الذى تركه أيهما خلفه . فهذه هى نشوة الموت بغير أن نخشى الخطأ . وهذه هى الذكرى السعيدة للوجود السكونى الجديد التى تظل أبداً بين توائم الروح عندما يرجع خط الحياة إلى الوراء فى الأيام الخاليات . وهذا هو نجم المشرق الذى يقود الحب فى المستقبل بغير حدود — هذا المستقبل غير المهدد بخوف ولا ياذلال .

فن العشق

وفى الفصل الواحد والعشرين يعالج المؤلف « فن العشق » ، قائلاً لعدة من نشوة الموت إلى نشوة الحب ، فإن فن العشق يقدره السكونيون ، ويقدررون فيه أسمى الفنون كلها ، لأنه الفن الذى به نحيا لسبيين : أولهما طارىء بالنسبة لتسكوينهم « الفيزيقي ، والعقلي ، وثنائهما لأنه بسبب هذا الفن يتحملون الآلام غير المحدودة التى تربط بينها وبين العبقرية . وعندما أتحدث عن العشق

على مايرام ، عندما ظهر بنفس العمر والمظهر والملابس التي عرفناه بها في الحياة .

وفي المعتاد يظهر الإنسان الأثيرى — أو كما نسميه الشبح — في مظهر العمر والملابس التي يمكننا أن نتعرف عليه بها . كما أخبرت أنه في الجانب الآخر من الموت ، يظهر الأثيريون عادة ، يظهر من لم يتجاوز الثلاثين من العمر ، مهما كان العمر الذي كانوا عليه عندما تخلوا عن أجسادهم المادية ، وسواء أتمخلوا عنها عندما كانوا أطفالاً أم شبوفاً .

كما ينبغي أن نقرر استناداً إلى البيانات التي حصلنا عليها عن طريق وسطاء كبار خلال نصف قرن بالأقل ، أن الأطفال يكبرون في المستوى الكوكبي ، وأنه في الأجواء المنخفضة ، للمستوى الكوكبي الثالث ، يولد الأطفال ، ولكن بغير الطريقة التي يولدون بها هنا ، وأنه بمقدور النساء والرجال أن يحملوا معهم مظهر العمر عندما يتقدمون نحو الموت الكوكبي ، الذي يحرزهم بدوره إلى مستويات أعلى ، كما يفعل الموت الفيزيقي عندما يحررنا إلى المستوى الكوكبي . لأن الموت من خصائص الحياة والحب سواء هنا أم هناك . ولكن على المستوى الكوكبي يقابلونه بالمرح كأسعد تحرر إلى حالات أسهى من الوعى .

ولا يفقد الكوكبيون القدرة على النظر إلى أعزائهم الذين انتقلوا عن طريق الموت الكوكبي إلى الممالك العليا من العالم الكوكبي ، بل تبقى الأبواب مفتوحة دائماً ، هذه الأبواب التي بدأنا الآن فقط في فتحها على هذه الأرض المتشككة . وفي العالم الكوكبي يحيا الحب بعد الانتقال كما يحيا هنا . والعاشق الذى تقدم إلى مستوى أعلى من الوجود يظل يترقب وصول المعشوق الذى تركه — أو تركها — خلفه على المستوى الكوكبي المنخفض .

ولا يوجد فارق آخر بين حياة الحب على المستوى الكوكبي عن مثيلتها على الأرض ، ولا بين الموت الكوكبي عن مثيله على الأرض ، وهو أن

يجذبه إليه قانون طبيعي مقتضاه أن كل شئيه منجذب إلى شئيهه ، سواء في دنيا الاهتزاز أم في دنيا الحب ، وكل حب صلة اهتزازية ...

إن الجسد دائماً — لا أحياناً — انعكاس صادق لعقل صاحبه ولروحه فالأفكار الجميلة تصنع وجوهاً جميلة ، بل وأجساداً جميلة كما بدأنا نجد في « رياضة العلاج الروحي »^(١) . وتغيرات الجسد والروح يمكن أن تستمر من الولادة إلى الوفاة ، وبمقدورنا إذا شئنا أن نصير أكثر جمالا حتى الموت ، لأن العمر خرافة ... فليذكر كل واحد منا أن كل فكرة تمر خلال شبكية المخ تغير تعبيرات الجسد إلى ما هو أكثر رقة أو نفاقة . وأصحاب العقول الفظة من الرجال والنساء سيحصلون مع الوقت على وجوه فظة ، وبعد وقت قصير على أجسام فظة أيضاً .

ولو أن هؤلاء النساء التعيسات المضطربات اللائي يمضين الساعات من كل يوم في وضع الأصباغ والمساحيق على أجسادهن التعيسة بذان عشر هذا الوقت في الأفكار الرفيعة وفي شرب الماء النقي ، وفي الرياضة التي جعلت من نساء أثينا أجمل نساء العالم ، لآخذهن العجب ، ولآخذ العجب من حولهن عندما يصبحن نساء جديدات بكل معنى الكلمة . .

وفيما يتعلق بالجسد الأثيري ، فإننا نعلم من الملاحظة المباشرة في العمل الروحي ، وفي غيره أن « الأثيريين » (أى الأرواح) لديهم القدرة حتى على أن يتشكلوا في العمر الذي يريدونه ، وأن يرتدوا أية ملابس أثيرية يرغبون فيها ، وبوجه عام يمكنهم بالفسكر أن يضيفوا ذراعاً إلى قامتهم إذا شاءوا . ومنذ ساعات قليلة من كتابة هذه الكلمات ظهر صديق لي توفي بالسرطان بعد بضع ساعات فقط من وفاته ، وعلى بعد مئات فقط من الياقات من منزله ، مرتدياً كما عهدناه زيه الخاص القديم وتحدث إلى صديق له بكلمات واضحة كأي صوت أَرْضَى قائلاً : كل شئ على مايرام بالنسبة لي ، كل شئ

الأطفال ، وبدلاً من التخطيط يحتفظ الرجل الحكيم والمرأة الحكيمة بالتخيل حراً ومبتدعاً ، فيحقق أيهما في لحظة أكثر مما تقدر على تحقيقه سنوات من التخطيط الحذر غير المتحرر ...

وهكذا نجد أنه ما لم يحمل الحب إلى فراش الزوجية وإلى الحياة الزوجية سعادة الجسد والعقل والروح فلا يمكن أن يحقق ثماره ، وتصبح ثمار الحب مرة في الفم دائماً . ودائماً يبحث ارتباط الجسد والعقل — بلا جدوى — عن الارتباط المثلث ، وهو ارتباط الجسد والعقل والروح ، وعندما يتحقق ذلك تفتح الهبة أبوابها ...

وإنى أعتقد أن كل ذلك يعرفه الكوكبيون ، أولئك الفانون الذين لامسوا الخلود . كما قد يشعر الطفل الراقص في غرفته المظلمة بلامسة جناح ملاك يطوف به . وهكذا نحن الفانون نرقد في غرفتنا الأرضية المظلمة ، ولكن هالاتنا ترتفع إلى الكواكب ، وقد نسمع من آن لآخر صدى أصوات الملائكة وهي ترفرف بأجنحتها ، ونعرف في هذه اللحظة السعيدة أن حبنا يصنع منا نسيج الخلود ، وأتينا في تلك الحياة الأخرى سنفهم الآخرين بقدر ما يفهموننا ، كيفما كانت هذه الحياة وأينما كانت .

الفكر والجمال والموت

وفي الفصل العشرين يعالج المؤلف موضوع « الفكر والجمال والموت » قائلاً إن الموت نفسه سواء بالنسبة للأجساد المادية أو الأثيرية مجرد تغير في الاهتزاز . فعندما يتحرر الجسد الأثيري من محارته الفيزيائية فذلك سببه أن اهتزازاته — بسبب اقترابها مما اعتدنا أن نصفه خطأ بالموت — وصلت إلى سرعة عالية إلى حد أن المحارة الفيزيائية للجسد لم تعد قادرة على احتوائه ، ويتعين عليها أن تطلق سراحه .

وهذا الانطلاق لا يحدث عند توقف نبضات القلب ، بل بعد بضعة أيام لاحقة يسافر بعدها الجسد الأثيري بسرعة الضوء إلى مسكنه الأثيري

وأعماق فلا يعثران عليه ، ولسنا نتذرع في ذلك بنظرية ما ، بل نستند إلى حقيقة لمستمها في عملية الحب الكائنات الإنسانية المتطورة الراقية ، فلسنا نتحدث هنا عن أولئك الذين تجمعهم رفقة الحيوانات ، فما الذي يعوزهما ؟

يعوزهما تاج الحب والعاطفة ، وهو ذلك الشيء الذي لا يُبلى والذي نسميه الروح . فبدون العنصر الروحي ، تصبح عملية الحب في أية صورة لها طبلا أجوف وصنجا يرن ، أو أوركسترا قبيحة للعواطف لا قائد لها ، فما هي هذه الروح ؟ إنها لا تقبل التعريف كالريح التي تهب حيثما تشاء ، ولا يمكن العثور عليها عن طريق الإرادة ولا عن طريق البحث ، بل يمكنها فحسب أن تجيء إلينا رجالا ونساء عندما لا نفكر فيها ولا نتوقعها ، حتى وإن كنا نريدها ... فهي تهب حيثما تشاء ، وتلفح العادل وغير العادل ، والفقير ، بل ربما الغنى أيضاً ، ويصح أن يعد الإنسان نفسه لها ، ولكن لا يمكن أن يخطط لها مقدماً .

وكل ما نعرفه عن روح الحب هذه هو أننا عندما نحوزها نشعر بها . وإذا كان الرجل والمرأة الراقيان يشتركان في عملية الحب بدون ذلك الشيء الذي يسرى خلالها ، والذي لا يمكن تعريفه ، فإتاما هما يفعلان ما يستحق الخجل والأسى ... فالروح هي الشعلة التي يمكنها أن تؤدي وحدها إلى اندماج العقل والجسد بين المحبين .

بل إن الصلاة نفسها يتوقف نجاحها على الطريقة التي بها نحسن استخدام قوس الصلاة بالروح ، وبشقيق الروح الوفي وهو الإيمان ، هذا الإيمان الذي هو جوهر كل عاطفة سعيدة ، لأنني لست أتحدث عن العاطفة غير السعيدة ، فلا الصلاة ولا العاطفة يمكن أن ينبغى تخطيطهما مقدماً . بل يمكن فحسب أن يتمنأهما الإنسان ، وفي الأمنية تكون الصلاة .

وفي الواقع سواء في الحياة العادية غير العاطفية ، أم في حياة الحب العاطفية ، فإن الإنسان الحكيم لا يخطط مقدماً . لأن التخطيط من عمل

أن تكون هناك قوة محرّكة وراء الجسد تدفعه للعمل المثمر بدونها يصبح
لا جدوى منه، شأنه شأن السيارة عندما تصبح عديمة الجدوى ما لم يكن فيها
الوقود الذى يمكنها من أن تؤدى وظيفتها. فالآلة لا يمكنها وحدها أن تحرك
العربة ما لم يغذيها الوقود .

وهذا الوقود تقابله هنا قوة العقل ، فبدون العقل لا يوجد شيء ...
فما هو العقل ؟ هو فى عبارة مبسطة التخيل الذى يمكن الرجل وشريكته
المرأة من أن يتوسلا أو ينضرا خارجاً إلى العالم اللانهائى ، ولا ينبغي
أن يختلط العقل بالمنح الذى هو جزء من الجسد ، والذى ليس أكثر
من آلة (١) .

فالتخيل أو العقل هو الذى يعطى لفن الحب قوته المحركة ، وكل رجل
وامرأة منا جميعنا قد ألف الحقيقة التى لا تقبل التحدى ، وهى أنه ما لم تكن
عقولنا قادرة على أن تناشد صورة المحبوب وتتوسل إليها أن تمنحها المباح
الذى تخفيها عنها فإن عملية الحب تصبح عبارة عن تراب ورماد فى فم الشهوة .
وكم من الرجال والنساء المتزوجين غير السعداء لم يرغب عنهم ذلك الإحساس ،
فراحوا يحاولون عبثاً أن يتخيلوا فى عملية الحب أن بين ذراعيهم شخصاً
آخر يحبونه جيداً غير الشخص الموجود فعلاً !

والحب هو الذى يحقق مناهج كهذه روحية وعقلية وجسدية بقدر
ما يمكنه من أن يتوسل خلال التخيل الخالق ، فالأفكار أشياء ...

إن الرجل والمرأة عندما يندفعان نحو « انتقال الحب » الذى نصفه
بالعاطفة ، ويبحثان غير واعيين عن الاندماج الأكل للروح قد ينجحان
معاً فى اندماج الجسد والعقل عن طريق قوة المتعة الخالقة التى قد يحققها هذا
الاندماج ، ومع ذلك يظلان باحثين غير واعيين عن اندماج للروح أتم

(١) راجع فى هذا الشأن الجزء الأول من ١٧٧ — ١٧٩ ، ١٨٣ و ٣٥١ — ٣٥٥ .

عندما تكون الاهتزازات على نفس طول الموجة ، أى على نفس مستوى السرعة ، وعندما يجد الشبيه شبيهه يشعر بالتعاطف نحوه سواء أ كان رجلاً أم امرأة ، وفي الحالات المتطرفة يحدث « الوقوع في الحب » ، فالعاطفة ليست سوى ضبط للاهتزازات ، وعندما تكون الاهتزازات ذات تردد عال تصبح العاطفة أشد اشتعالاً .

وبالتالى فإن قانون الحب يمكن أن يعرف بوصفه قانون التجاذب بين جسمين لهما نفس مستوى التردد أو سرعة الاهتزاز ، التى تنصهر أو تتلاشى خلال حرارة طول الموجة الأخرى وسرعتها ، وخصوصاً تماثلهما . فيجد كل منهما فى الآخر متعته الوحيدة ورضاءه . وهو ما يمكن للحب المشتعل وحده أن يعطيه للأدميين طالما كانوا لا يزالون مقيدين بوثق الجسد .

وإذا كان هذا هو الأساس الفيزيقي ، والفيزيقي - الروحي للعاطفة ، فماذا نحن قائلون عن الأساسين الآخرين للعاطفة وهما العقل والروح ، لأن الكوكبيين يقولون لنا إن كل عاطفة سعيدة تقوم على أسس مثثة من الجسد والعقل والروح ، وهذه هى العاطفة المجدية التى تقع على النقيض من العاطفة غير السعيدة وغير المجدية التى غالباً ما تمثل على الأرض تجربتنا الوحيدة فى الحياة .

العقل والروح فى العاطفة

وفى الفصل التالى يعالج المؤلف موضوع « العقل والروح فى العاطفة » قائلاً إن العاطفة فى جملتها عبارة عن «بطارية كهربية» مركبة من ثلاثة أشياء: وهى الجسد والعقل والروح . فالجسد من السهل أن نراه وأن نعرفه ، فلدينا كلنا أجساد مادية ، وعلة إغجاب الحب وخداعه واختفائه فى الأرض هى أننا غالباً ما ننظر إلى الجسد الفيزيقي بوصفه أداة الحب الوحيدة مع أن هذه النظرة تمثل مصرع الحب .

فبعض الأحيان يبدو لنا أن الجسد يمثل للحب مطيته ، ولكن ينبغي

ولا تبدى هذه الحالة أبداً مثل هذا التقاطع والتعدد ولا مثل هذا لإشراق الذى ينبعث منها عندما يقع صاحبها فى الحب . و « عملية الحب » ، تستثير أكثر ما فيها من إشراق ، وذلك يبين بوضوح تام أهمية هذه العملية فى كل صورها ... والمقابل لذلك هو ما يشاهد من إشراق ذكور الطيور فى موسم التزاوج .

وفى لحظات الحب العميق عندما يرتفع الرجل أو المرأة فوق نفسه أو فوق نفسها خارج هذا العالم الأرضى ويلبس العوالم السماوية ، وهى كثيرة ، فإن الصلة أو القنطرة تنشأ عن طريق الإشعاعات أو الأمواج الاهتزازية ذات التردد العالى ، وليس فى ذلك أى تخمين ، بل هذه هى المعلومات العامة فى العلوم ، كما وضعها « المرشد الشبح » فى محاضراته عندما قال : « إنه من الممكن لمحنة الجسد اللاسلكية أن تضبط نفسها مع أطوال الموجات ذات التردد العالى المنبعثة من اهتزازات العالم الكوكبى ، والتى تتخلل هذا العالم كما يرتفع بنفسه فى العالم الروحى الأسفى ، وبالتالى يلبس الاهتزازات السكاملة المنبعثة من مركز النواة الموجودة داخل الثمرة ، والتى لا تجىء من الخارج ، ...

وبعد أن استعرض دزموند فقرات أخرى من محاضرة هذا « المحاضر الكوكبى » ، فى الاهتزازات المنبعثة منا ، وأثرها فى تكييف الصلات بين الناس ، يقول إن هذا المحاضر استطرد قائلاً : عندما تقترب من إنسان تقول أحياناً « إني لا أحب هذا الشخص » ، ولا أعلم لماذا برغم أنه يبدو على مايرام ، ولكنى شعرت بعدم الميل إليه ، ، فبحسب الظاهر لا يوجد أى سبب منطقي لعدم الميل هذا ، ولكن يوجد سبب مخبوء .

كذلك الشأن عندما يكون الاهتزاز المنبعث من رجل ما أو من امرأة أعلى فى طول موجته أو أدنى من الاهتزاز الصادر من الشخص الآخر ، فيحصل تصادم بين طول الموجتين المنبعثتين عن الهاتين ، وبالتالى عدم انسجام بين اهتزازاتهما ... ونفس القانون يحكم الميل المباغت للآخرين ،

الذى يطلق عالمنا عليهم بجمالة وصف أشباح . وكما أفعل ذلك سأقدم مقتطفات من محاضرة شفوية عامة ألقاها مفكر من العالم السكوكي من على منصة قاعة كاكستون Caxton Hall ضمن سلسلة من محاضرات عن « الحياة بعد الموت »، عالجت فكرة الحب بعد الموت بطريقة ضمنية .

فأنا أذكر أنه بدأ محاضراته بأن قال المستعمية المذهولين هذه العبارة التي سمعتها يوماً من أحد اليوجيين وهي : لماذا لا تعلمون أنكم تحيون ؟ إنكم لا تعرفون حتى كيف تصلون إلى اهتزازات العوالم الثلاثة التي تحيون فيها في وقت واحد . ثم استطرد إلى شرح كيف أن كل واحد منا يحوز بداخله ابتداء اهتزاز المادة منبعثاً من الجسد اللحمي الذي يغلف الروح ، وثانياً اهتزاز العالم السكوكي منبعثاً من الجسد الأثيري ، أو إذا شئت من الشبح الذي يغادر الجسد اللحمي عند الوفاة كما يحصل على مقره في المستوى السكوكي ، وأخير نحن نحوز الاهتزاز الروحي الذي هو أعلاها كلها والذي نحوزه لأننا خالدون ، أو بعبارة أخرى لأننا قانون ذوو أرواح Souls .

« إنكم تعلمون إمكانيات الأمواج الضوئية واللاسلكية ولكن ماذا تعرفون عن الأمواج الأثيرية ذات التردد العالي ؟ إنكم تعرفون الأشعة دون الحمراء وفوق البنفسجية، ولكن ماذا تعرفون عن إشعاعات الاهتزاز المتداخل بعضها في البعض الآخر ، ؟

وكان العالم الشبح يعني بهذه العبارات التساؤل عما نعرفه عن إمكانيات أجسادنا الخاصة التي هي عبارة عن بطاريات كهربية ، أو إذا شئت محطات لاسلكية تنبعث منها على الدوام إشعاعات غير منظورة متعددة الصيغ والأشكال ؟ أو هي عبارة عن حالات قطبية تتقاطع فيما بينها وتمتددها، حالات يمكن أن يشاهدها ذور الجلاء البصري وتسجلها جزيئياً أجهزتنا الكهربية المادية (١) .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٤٠ - ٤٤٧ من المصاحفة وتصويرها بأجهزة مادية .

يسرغور غير المحدود ، حتى ولو كان هذا الغير المحدود مسوراً بدوره بأسوار منيعة بحسب معادلة أينشتاين عن الفضاء ، لأن العالم الغير المحدود الذى يعرفه الكوكبيون ما هو سوى امتداد ضئيل لفكرة المكان والزمان التى تسود أرضنا ذات الأبعاد الثلاثة .

والعالم الكوكبي يقسم العاطفة تقسيماً أساسياً إلى ثلاثة أقسام : عاطفة الجسد ، وعاطفة العقل ، وعاطفة الروح ، أو بعبارة أخرى يعرف العاطفة الجسدية ، والعقلية والروحية . وهم إذ يفعلون ذلك — يرفض قادة الرأى فيهم أن يضعوا أى حد فاصل بين الممالك الثلاثة وهى مملكة الجسد والعقل والروح ، لأنهم يعلمون أن كل واحدة منها تشكل جزءاً من الاثنين الآخرين .

ونحن سكان الأرض ما زلنا نتعثر فى آراء خاطئة وأساطير عن الكبت تجعلنا نخجل من الجانب الجسدى فى العاطفة . ومنذ جيلين كنا نخفى رؤوسنا هندما نتحدث عن العاطفة الجنسية ، وكنا نأبى أن نعرف أولادنا شيئاً عن « حقائق الحياة » ، كما كنا نسلك سلوكاً غيبياً فى شأن أمور الحياة والموت هذه . . .

أما الكوكبيون ، الذين يعالجون الأمور على أساس روحى بجمله الإنسان فى رذاته اللحمى ، فهم ينظرون دواماً إلى الجانب الجسدى فى الجنس والعاطفة بهدوء مقترن بهذا الإحساس العقلى الذى بدونه لا يوجد شىء ذو قيمة . ودعونا نلقى نظرة إلى رأى العالم الآخر فى العاطفة ، وهو نفس الرأى الذى سيكون يوماً ما رأينا عندما نصل إلى ذلك العالم ، والذى بدأنا نعرفه لأول مرة فى التطور ، حتى فى هذا العالم الأرضى الذى عرفنا أخيراً أنه ليس أكثر من مدرسة تعدنا لعالم الروح .

دعونا ابتداءً ننظر إلى الحقائق الفسيولوجية عن الجسد الإنسانى ، ونفس الحقائق عن العقل الإنسانى كما يراها الكوكبيون ، هؤلاء الكوكبيون

القوة المحركة للحب ، وذلك لا يتضمن فحسب التفاصيل الفسيولوجية لأدوات التعبير عن العاطفة وهى « أجسادنا » بل أيضاً التفاصيل النفسية ، ولن ننظر فحسب إلى عملية الحب بل إلى العقل الحكام وراء هذه العملية عند الاتصالات المختلفة بين العقل والجسد ، ومعها مشكلة « الضبط المتبادل ، وستؤمل أيضاً أن نجد جواباً لهذا السؤال وهو « لماذا تفشل الزيجات الأرضية ؟ »

ويمكننا أن نجد الجواب فحسب عندما ندين الفارق العجيب بين الأسلوب الأرضى فى النظر إلى الحب والعاطفة ، والأسلوب السماوى ، إذا كنا مصرين على تسمية العالم التالى بأنه « عالم السماء » ، رغم أنها ليست تسمية صحيحة من أى وجه ، لأنه حتى فى الجانب الآخر من « الموت » لا تزال للحب مشكلاته ، ولم يتقدم الخالدون أنفسهم سوى خطوة واحدة أكثر منا فى حل مشكلاتهم ، حتى وإن كانت هذه الخطوة حاسمة .

فعلينا أن نفهم معنى العاطفة قبل أن نبدأ فى العثور على أجوبة لاسئلتنا ، هذه الكلمة التى هى وراء الكثير من أمور حياتنا حتى فى عالمنا ، وسواء أكانت عاطفة للحب أم للكراهية إننا نتحدث دوماً فى عالمنا الأرضى عن « عاطفة الساعات » ، و « عاطفة العمر » ، و « عاطفة الموت » ، محتفظين للتعبير الأخير بنوع من الجوانب الأكثر من غيرها عمقاً وغموضاً فى معتقداتنا الدينية ، ومقرين بالتالى أنه يكمن وراء كل حياة وكل موت هذا الشئ ذو القوة المراوغة الذى نسميه العاطفة .

وبعد مضى سنوات كثيرة من الاتصال بالعالم الذى يلى الموت « وصلت » إلى نتيجة ، وهى أن الكوكبيين أو « الخالدين » ، يؤمنون بما ذكرته آنفاً . ولا يمكن أن يجرؤ إنسان على القول بأنه يعرف أو أن بمقدوره أن يعرف كل وجه من وجوه أفكارهم أو عواطفهم ، لأن المحدود لا يمكنه أن

أيضاً على صلة روحية . حتى المباشرة الجنسية ينبغي أن تكون متكافئة جسدياً وروحياً ، بل لعلها أكثر الأفعال إشباعاً للروح في الأرض ، ذلك الإشباع الروحي الذي ما أندر تحققه مع ذلك ...

أما الكوكبيون فإنهم — بقدر ما « تمكنت » من الحصول عليه من معلومات عن طريق اتصالاتي بهم — يواجهون بصراحة الحقيقة القائلة بأنه عندما يجد الرجل والمرأة أنه أصبح لدهما الانسجام العقلي والروحي بجانب الانسجام الجسدي ، فإنه ينبغي أن تجمعهم رابطة على مستوى النفس والجسد ، وأيضاً على مستوى العقل والروح وإلا كانا غير روحيين . .

ثم يقول إن عدداً من الأمور التي تبدو لنا خلقية تبدو لهم غير خلقية على الإطلاق . وإن كل حياة جنسية ، سواء أسبقها زواج أم لم يسبقها ، غير خلقية ما دامت بغير حب ولا تختلف في نظرهم عن الشهوة وما هو أسوأ من الشهوة من أمور . فالزواج ينبغي أن يكون « ارتباط الحب » ولا شيء يصنع هذا الارتباط سوى الحب .

هذه هي في سطور وجهة النظر الكوكبية عن الحب والزواج . فبقارن ذلك بآرائنا الفجة المفتونة عن الزواج والمباشرة الجنسية وسائل بعدئذ نفسك : أي وجهتي النظر هاتين الأرضية أم الكوكبية أصح وأجمل ؟ فإن هذا التساؤل سيمنح آلافاً ممن يقرأون هذه الكلمات فرصة البحث لا في موقفهم من الحب والزواج فحسب بل في موقف ضمائرهم منهما أيضاً . وإني أعتقد أنه من الملائم لنا أن نتزود من آن لآخر لا بالحياة بل بالحب أيضاً .

العاطفة

وفي الفصل السابع عشر يتحدث المؤلف عن العاطفة قائلاً إنها هي

ثم يقول دزموند إنه في المستويات العليا من العالم السكوكي عندما يجد العشاق أنهم لم تعد لهم مزايا روحية من العروة الوثقى التي تجمعهم فإنهم يتفقون على إنهاء هذه الصلة ، وإن كانوا يظنون مع ذلك كرفقاء وكأصدقاء بغير تبادل لوم ولا تقريع ، بل بالأكثر مع تبادل عرفان الجليل للنعيم وفهم الحياة ، والحب ، الذي كان لكل منهم فضل منحه للآخر . وأنه شخصياً عرف هنا عشاقاً كثيرين سابقين أصبحوا الآن أصدقاء وأنهم يشعرون بالتالي أنهم أكثر سعادة بكثير عن ذي قبل ، بل وأنهم أصبحوا إناساً أفضل بفضل التجربة التي قدمها كل منهم للآخر في الأيام الخالية ، فلا تصدقوا أبداً أن أية تجربة ضائعة ، لأن الاعتقاد بذلك مهانة نحو الله ونحو الحياة .

ومراسيم الزواج ، وحفلة القران لها نفس الأهمية عندهم ، وإن كانوا يجتمعون فيها تمجيداً للعاطفة لا للصخب وحب الظهور ، أو لإرغام من يتبادلون السكراهية على العيش معاً . إن ذوى الآراء الحرفية سيشعرون بصدمة من هول هذا القول الذي سيعتبرونه دعاية للتحرر ، ولانتفاء الأخلاق . ولكن إلى هؤلاء وجه هذا السؤال : ما هي الآن الحقائق الحالية للروابط الأرضية ؟ ألا تنهار منها عشرات الآلاف بعد فترة قد تطول وقد تقصر سواء أكانت هذه الروابط باسم الزواج أم الحب . . . إن الزواج في عصرنا الحاضر أصبح في كثير من الأحيان مرادفاً للبلل وللتعاسة ، أما الحب بكل نشوته وحرته فما أندر ما يوجد . فلم لا نواجه الحقائق ؟ .. إن السكوكيين يواجهونها .

والسكوكيون وأنا ، لا نشجع مع ذلك ، على الانفصال بين الأزواج ولكن نؤمن بكل جوارحنا أن الروابط الزوجية لا ينبغي أن تقام إلا بحذر وتدقيق ، وينبغي على الرجل والمرأة أن يختير كل واحد منهما الآخر نفسياً وعقلياً قبل المغامرة بإنشاء رابطة ينبغي أن تنطوى

وسواء أكانوا على صواب أم على خطأ ، فإن الكوكبيين لا يعتقدون أن من الإثم أو من الأمر غير الطبيعي أن يقع الرجل أو المرأة في الحب أكثر من مرة في الحياة الواحدة هنا أو هناك، بل على العكس من ذلك يرون أن مثل هذا « الوقوع المتكرر في الحب » حق وطبيعي . وخصوصا كإعداد وتمرين على الحب الأعمق « لتوأم الروح » . فإذا تحداهم إنسان في هذه النقطة، أو لو صدمته كل هذه الصراحة في التفكير، فإن ردهم سيكون كما أتوقع كالاتي : « إن تسع زيجات من عشر على أرضكم سبقتها تجارب حب منفرد أو متبادل إما من نوع « الوقوع المؤقت في الحب » بغير عمق في الشعور وإما - كما يحدث كثيراً - لمجرد الزواج والارتباط الجنسي .

فبالنسبة للكوكبيين كل حياة كوكبية أو غيرها نوع من اختبار للزواج . فإما تكن الحياة إعداداً لهذا الجانب الحيوي من الحياة الذي تسمونه الزواج والعشق فلم إذا هذا الإعداد؟، إن رجلاً وامرأة قد يتقابلان - يقول الكوكبيون - فيجد كل منهما في الآخر نعيم العقل والجسد ، وعندئذ يتوافقان على تبادل العاطفة تاركين لنتيجة التجربة أن تقرر ما إذا كانا يظلان شريكين مدى الحياة أم لا . وبعد فترة طويلة أو قصيرة يقرران فيها إذا كانا قد استنفدا ما يصح وصفه بأنه تجربة روحية شائقة كما تستنفد جميع الأشياء الأخرى أغراضها في كل مستوى .

إن من الأفضل لهذين الروحين الشابين اللذين ارتبطا تحت إحساس خاطيء بالولاء أن يقررا فصح هذه الرابطة الوثيقة كشخصين روحيين لبقين كما تحل محلها صلة من الصداقة العذرية . أليس هذا بالضبط ما تفعلونه أتم يا سكان الأرض في زواجكم العصري الذي يعطيكم الحق في الطلاق متى ظهر لكم أنكم أخطأتم؟ ولا أعتقد أن أي رجل أو امرأة أمين مع نفسه أو مع نفسها سيجد صعوبة كبيرة في الإجابة على هذا السؤال ...

وجهة النظر الكوكبية عن الزواج

وفي الفصل الرابع عشر ينتقل المؤلف إلى بيان « وجهة النظر الكوكبية عن الزواج » ، قائلاً إن ثمة مكيدة أنجلوسكسونية على أرضنا تميل إلى الهروب من مواجهة كل مشكلة « غير لائقة » ، عن الجنس ، إما عن طريق الزعم بأنها غير موجودة وإما عن طريق تفادى الإشارة إليها . أما الكوكبيون على الجانب الآخر فيواجهون بصراحة مشكلات العشق وبالتالي يحاولون حلها .

فنحن نرسم لأنفسنا أن كل إنسان محترم ينبغي أن يقتصر على زوج واحد ، وأنه ينبغي احترام رابطة الزوجية عند الخيانة والوفاء معاً ، وأنه لا ينبغي حدوث صلات جنسية بين الفتیان والفتيات قبل حفلة الزواج ما لم يكونوا على درجة كبيرة من الخبث والشناعة ، وأن الرجل أو المرأة يجب مرة واحدة في حياته حباً حقيقياً .

والكوكبيون يقرون من جانبهم ، كما أخبروني بأنفسهم ، جميع هذه المبادئ هنا وهناك . وفي حل هذه المشكلات العاجلة والقديمة لا يستشيرون فقط الشيوخ بل أيضاً الشباب في مملكتهم هي « مملكة الشباب » ، لأنه لا أحد يعلم أفضل من الكوكبيين أن هناك شيئاً اسمه « الشباب الكهل » ، و« عمر الشباب » .

فالعمر ليس خاضعاً لعدد السنين بل لنوع المشاعر كما يقولون . فثمة شابة في الخمسين وثمة كهل في التاسعة عشرة . والرجال والنساء « يقعون في الحب » ، لمائة سبب وسبب ، ومن ثم كان نادراً « الحب الواحد الأبدى » الذي لا يموت ، الذي يعرفه الشعراء إلى حد يمكن معه القول بأنه غير موجود .

وفي الحب الروحي ليس للعمر أي دور ، فأنا أعرف سيدة في الثانية والستين تتبادل الحب مع رجل دون الأربعين . وكاتب هذه السطور (دزموند) « غرق لشوشته » ، في حب روحي لسيدة في الخامسة والستين عندما جاوز السبعين « بالكاد » ، وظل هذا الحب موجوداً حتى بعد انتقالها ، فلا توجد قاعدة للحب .

والمرأة للرجل ، حتى في صورته الأرضية الدنيا . فهو الذى يبرز الشخصية وهو الذى يعلم الحياة فى الجسد ، وهو بسبب ما قد يحدثه من غصة أحياناً — لا رغماً عن هذه الغصة — قد يكون المعلم الأعظم لما فى ولادة الحب من جديد من معنى ميلاد الروح المتجدد على الدوام .

وقد ذكر « لى » مراسل من عالم الروح ما معناه « نحن ما نحن عليه بسبب ما كنا عليه من قبل ، فأفكارنا لا تتوقف فهى تجذب على الدوام قوى الحياة التى تحيط بنا وتدفعها وهى تملأنا بحاسة المغامرة وبقوة السيطرة على ما يحيط بنا ، وهو ما يقود إلى دوام الغبطة بالانتصار على الموت » . وبقدر ما خبرت بنفسى — وأنا لا زلت بعد مقيد الوثاق فى الجسد — هذه الغبطة لمدى أسابيع بل لمدى شهور فى وقت ما ، ومعها التحرر الكامل من المشاغل ومن الخوف ، فإن بمقدورى أن أقرر أن ذلك صحيح .

فلا يوجد أى خوف على المرأة أو الرجل الذى وصل إلى تحقيق سيطرة عقله على المادة ، سواء فى العالم الأرضى بسيطرته على جسده اللحمى أم فى العالم الكوكبى بسيطرته أيضاً على مادة الجسد الاثيرى ذى الذبذبة المرتفعة ، فلسنا بحاجة لأن نؤكد كثيراً أن الجسد الاثيرى سيظل عبارة عن جسد مادى فهناك فى « ملكة الحب » الكامل ليس من مكان للموت ولا للخوف ، والخوف والموت صنوان .

ونشوة الحب بين اثنين هناك تختلط بنشوة الخدمة ، لأنهما صنوان أيضاً . فلا يوجد حب حقيقى بدون خدمة حقيقية كما يعلم كل طفل كوكبى . والحب بدون خدمة حب أنانى بل كراهية مقنعة . وهذه الكلمات الأخيرة تفسر للآلاف علة تحول حبهم الخاص إلى كراهية — لانحو الشخص الذى كانوا يعتبرونه حبيباً فحسب — بل نحو كل العالم المحيط بهم . ومع الكراهية فقد انهم لشقتهم بقدرتهم الخاصة على الحب .

أن الشريك الجديد لم يخلق لك، وأن الشريك القديم الذى تخلت عنه لا يزال محتفظاً لك بذكرىات طيبة .

واذكروا أيضاً أن فى الزواج لغزاً لم يفهمه كائن إنسانى بعد ، وهو لغز روحيين آدميين قد تبادلا الوجود فيما بينهما ، فأصبح كل منهما جزءاً من الآخر ، حتى ولو لم تجمعهم سوى الكراهية . فاحذروا من أن تحطموا هذه المشاركة إلا إذا وثقتم تماماً أنكم قد وجدتم خارجها « توأمكم فى الروح » ، وحتى فى هذه الحالة لا تنسوا أن الشريك الذى تتركونه سيصبح جزءاً منكم فنحن الآدميون لا نتزوج للأشياء ، بل هناك سبب .

امهوم الحب والخدمة

وفى الفصل التاسع يتحدث عن « أحلام الحب ، Romance والخدمة ، قائلا إن التعرف إلى أوليات الحياة الكوكبية ووجهة نظرهم عن الحب والجنس يتضمن التعرف على أوليات الفلسفة المتعلقة « بأحلام الحب » . فلفل من أهم ما يسترعى أنظارنا أن نكشف أن كثيراً من إلهاماتنا ، خصوصاً ما يتعلق منها بأخيلة الحب وبأحلامه كما وصلت إلينا أثناء حياتنا الأرضية كان مؤسساً على حقائق .

فليست الأحلام الجميلة محصورة هناك فى أفق الجنس الضيق الذى نعرفه على الأرض بل تمتد إلى كل مجال آخر . ولكن هذه الأحلام الكوكبية عبارة عن إبراز لهذه الحقيقة وهى أن الحياة فى كل مكان عبارة عن مغامرة رائعة ، وأنها تستحق أن نحياها لذاتها ، وأن الحب فى هذه المغامرة هو القلب النابض ، وخصوصاً الحب بين المرأة والرجل الذى هو انعكاس مادى للحب المقدس الذى تحمله روح الله للإنسان . فهو الجذب والدفع للحياة ، والمد والجزر فيها ، وبدونه ربما ما كانت توجد حياة ، فهو الانتصار على الموت .

ولا تدع أى إنسان يجرؤ على التهوين من شأن حب الرجل للمرأة

فقد يحدث في فترات متباعدة أن نواجه بدهشة كبرى حالة زوجين يعيشان في أحلام الحب ، لا في مجرد هذا الشيء السكريه وهو تعود كل من الزوجين على الآخر ، بل أقصد الارتباط الذي لم تزل لديه ذخيرة لا تنفذ من أحلام الحب ، التي بدونها ينبغي أن يجاهد الإنسان حتى لا يقوم زواج ولا حب .

والزيجات التي يقابلها الإنسان في تجربته الأرضية والتي لا تزال بعد سنوات قليلة تستمد إلهامها من المصدر المخبوء لأحلام الحب ، يمكن أن تعد على أصابع اليدين . وبالنسبة « لتجربتي الخاصة » وبعد إحصاء حذر لقد عرفت لحسب أربع أو خمس حالات من هذا النوع ، « أنا ، الذي عشت في بلاد متعددة ، وبين أجناس متعددة ، وكانت لي فرص متعددة للملاحظة فوق مساحات متعددة من أرضنا . . . ومن هنا يحىء هذا التساؤل وهو هل من مخرج من هذا المأزق ، وهل من أى سبيل يمكن عن طريقه أن يجد النساء والرجال السعادة معاً . . . ولو في ظل رابطة الزوجية ؟

إنى أو من بكل إخلاص أن هذا السبيل موجود ، وأن « الخالدين » قد اكتشفوا هذا السبيل ، هؤلاء الخالدون الذين لا يختلفون عن « الفانين » شيئاً إلا في أنهم قد نفضوا عنهم هذه الكومة من اللحم . وينبغي أن نعلم أن المشكلة ليست في اكتشاف هذا السبيل أو الوصول إليه ، بل هي فيما إذا كان من الممكن أن تكون لدينا الشجاعة — والإلهام — لاتباع هذا السبيل ونحن بعد ما زلنا في ردائنا الجسدى ؟

ومع ذلك فإن « على » ، أن أوجه كلمة تحذير إلى الأشخاص المتزوجين وهي : أن احذروا الطلاق إذا كنتم تجدون بينكم أى تعاطف عقلى أو روحى مهما بدا ضئيلاً ، واذكروا أنه في تسع حالات من عشر تطليق الزوجة أو الزوج يكون إما للحصول على الحرية وإما للزواج من آخر ؛ ومعناه في أحسن الفروض الإساءة إلى الشخص الآخر ، وفي أسوأها معناه اكتشاف

كما يطلق عليه عادة . وما يجعل هذا الحب حراماً بالمقابلة ، للحب الحلال ، أصبح أمراً تحديده من الصعوبة بمكان . إذ بالنسبة لأحلام الحب التي نكتب هذا لأجلها ، أصبح هذا التحديد للأسف العظيم لا معنى له للملايين من الأشخاص الذين يتصورون أنفسهم عشاقاً .

أما المجرى الذى تجرى فيه السكثرة العظمى من الروابط الزوجية فهو مجرى عدم الاكتراث ، الذى هو فى ذاته أسوأ من الكراهية ، لأنه مع الإنسان غير المكثرت حتى الآلهة نفسها تجاهد هبناً . فعدم الاكتراث هو الخطيئة الوحيدة ، وإذا كنا على قدر من الأمانة مع أنفسنا فسيكون علينا أن نقر أن عدداً من الزيجات — وربما غالبيتها — تنتهى إلى فصيلة عدم الاكتراث ، وعدم الاكتراث المجرى من أحلام الحب ، المثقل بالتعود ، فللرجل نأديه أو مقاهيه ، وللزوجة صديقاتها .

وعدم الاكتراث يولد الملل ، والملل يولد عدم الارتياح ، ثم هذه البلبلة فى العقول التى كثيراً ما تقود الزوج إلى ذراعى امرأة أخرى ، والزوجة — وهى فى المعتاد آخر من يغادر منزل الزوجية — إلى ذراعى رجل آخر ، وإذا لم تعد بها جاذبية ما فى مائدة البريدج أو الشاي أو السينما . إن عالمنا عالم مجهد : مجهد من العمل ومن اللعب معاً ، مجهد من محاولة تفادى الإجهاد .

وعندما نعالج موضوع الحياة العظمى للروح فى العالم الذى ستذهب إليه الغالبية من بيننا فى نهاية مرحلتنا الأرضية ، التى ليست سوى نسمة منها ، سنتبين أنه لا مكان هناك لزواج الكراهية ولا لزواج عدم الاكتراث . وماذا عن الحالات النادرة جداً التى يدوم فيها الحب بين الأزواج التى سبق أن « أشرت » إليها ؟

واحد كما يبدو ذلك من تأمل الحب المشبوب عندما ينقلب إلى كراهية مشبوبة في الصلات الزوجية، وهي ظاهرة قد لاحظها الكثيرون، وإن كان عدد قليل فحسب حاول تفسيرها. وهذه هي الظاهرة الزوجية التي سنفحصها هنا بوجه خاص، لأن فحصها، وتفسيرها إن أمكن، قد يلقي ضوءاً على مشكلة الزواج برمتها، لأن الزواج مشكلة بقدر ما هو حالة.

وبالنسبة للرحلة الأولى في الكراهية فإن المرأة والرجل بحكم حبهما للحياة وللأوهام يفضلان أن يفعلوا أى شئ، إلا التسليم بأن كلا منهما يكره الآخر... وكبت الكراهية هذا قد يقود أحياناً إلى الأمراض النفسية الشائعة المتصلة بعصاب الحب، وربما إلى الاضطراب العقلي.

وبعد أن حل المؤلف حملة عنيفة على فرويد قال إنه اعتبر نبياً لعلم النفس في بعض البيئات والجامعات، ليس لحسب لأنه حمل دعوة الإباحية والمتع المحرمة، بل لأنه أيضاً بسّط الأمور أكثر مما ينبغي، ثم أضاف أن تلميذه العظيم يونج Jung وغيره قد تخلوا الآن لحسن الحظ عن أستاذهم فرويد الذي تجاهل دور أخيلة الحب التي تمثل قلب الزواج، والذي لم يكبد نفسه حتى أن يعرف ما تعرفه اليوجا الهندية عن العقل^(١)، وإن كان رغم ذلك قد وصل إلى كشف سيكولوجية لها أهميتها، وبخاصة العقد النفسية أو المركبات Complexes التي أصبحت حقائق.

ثم يستطرد دزموند قائلاً إن كبت الكراهية بمعرفة الأزواج يؤدي إن عاجلاً أو آجلاً إما إلى استخدام العنف وإما إلى «الحب الحرام»

(١) يقصد دزموند بهذه الإشارة التنويه بما تعرفه فلسفة المذهب اليوجي من أسرار العقل المذهلة مثل أثره المباشر في المادة وفي الصحة والمرض وقدرته في السيطرة على الجسد، وفي الإدراك من بعد، ودوره في الإلهام وعدم ارتباطه المحتوم بالمنح... وهو ما عرضنا له في عدة مناسبات في الجزئين الأول والثاني، وهو ما أعطى للفلسفة اليوجية قيمة خاصة في المدارس القائمة على البحوث الروحية.

رجالاً ونساء يتحدون — ليس الأصول لحسب — بل أيضاً أهداف هذه الأنظمة ونتائجها القائمة على الزواج بغير حب ، لأنها لم تعد تبدو لهم سماوية بل من مصدر آخر .

مراحل الزواج الثماني

وفي الفصل الخامس يتعرض المؤلف لمراحل الزواج قائلا إنها في المعتاد قد تتبع التسلسل الآتي : —

فالمرحلة الأولى هي مرحلة « الوقوع في الحب » ، وفيها يجد الفتى والفتاة ، أو الرجل والمرأة نفسيهما في « سماء زرقاء » ، أو في جنة يحاول كل طرف أن يصبح فيها جزءاً من الطرف المحبوب ولا يتصور أن أى خطأ يمكن الوقوع . وهذه المرحلة تمتد عادة حتى تبلغ الرابطة غايتها في حفلة الخطوبة وفي هذه المرحلة « الجنس » ، يعنى البصائر .

وبعد ذلك تيجى مرحلة العيش المشترك أو الزوجية ، وكثيراً ما تكون لأحد الزوجين أو لكليهما عبارة عن خيبة أمل مرة ، حتى أن شهر العسل بالنسبة للملايين يمثل بداية لنهاية السعادة . ومن المؤكد تقريباً أن الشهر التالى ، أو الثلاثة أو الستة الأشهر التالية تمثل فترة اختبار لغالبية الزيجات ، يتقرر فيها ما إذا كان مصير الزواج هو السعادة أو عدم الاكتراث ، أو اللعاسة . وكـم من زيجات تحطمت فى الأسبوع الأول وربما فى الليلة الأولى .

أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة « التأقلم المتبادل » ، mutual adjustment ، بافتراض أن الارتباط بين الزوجين قد قاوم المرحلة الثانية . وهذه المرحلة الثالثة هى مرحلة تعود كل من الزوجين على الآخر ، وفيها تستبعد عادة أحلام الحب romance . وهنا يأخذ الزواج مجرى من ثلاثة ، وهى مجرى الكراهية ، أو عدم الاكتراث ، أو فى حالات نادرة جداً مجرى الحب الزوجى .

وبرغم أنه من الصحيح أن الكراهية والحب ليسا سوى وجهين لشيء

بدورها سوى ظل للحب الخيالى الذى أبعدهنا عن حياتنا . وأخيلة الحياة بدأنا نشك فى أنها الباعث الأسمى لكل وجود ، حتى أن الحياة وهى ذاتها مغامرة مجيدة تجد نفسها داخل الزمان والفضاء أحياناً ، وأحياناً أخرى بدونها . وهى مغامرة تكن فى نهايتها السلامة ، ولا تكن فى مبدئها ، هذه السلامة الجبابة التى تكره كل قلب يكرهها ، فى بحثها العسير عن سعادة موهومة لا وجود لها اتخذها الجبن شعاراً له ...

لقد كنا «نتصور» أن الزواج ليس من صنع السماء بل من صنع الأرض عن طريق الموثق أو الكاهن ، مع أنه من غير الجائز أن يكون هناك زواج أو ارتباط بدون الحب ... وربما كان الشيء المحير فى كل ذلك هو ندرة الرجل أو المرأة الذى كان يبحث عن الزيجة غير المقدسة (وهى زيجة الحب) وبعبارة أخرى هذه الزيجة التى تباركها الملائكة من على الجانب الآخر من الحجاب ... وكان رعاتنا وأساتذتنا يقولون لنا إن أى ارتباط بين الرجل والمرأة ما دام يتم بمعرفة الكاهن أو الموثق يكون سعيداً عندما يجب الزوجان السعيدان أحدهما الآخر ، كما لو كان الحب أمراً مفروضاً عليهما . فإذا كان هذا الارتباط غير سعيد فهذه تكون غلطة « الطرفين المتعاقدين » .

ولكن أرقام الطلاق أصبحت فى صعود مستمر ... ولم تصمد على الاختبار لمدة خمس سنوات أو أكثر سوى نسبة قليلة .. وكما رأينا من حولنا رجالاً ونساء قد جمعهم وثاق هذه « الزيجة المقدسة » يتبادلون الكراهية والظنون وعدم الاكتراث من الجانبين . وكل ذلك لم يكن ليعنى شيئاً بالنسبة لنا . ويبدو أن السماء قد ألقت جانباً قانون الزواج بوصفه قانوناً للحياة ، من شأنه إنجاب الأطفال الذين عليهم استمرار الجنس الإنسانى على طريقة « كن فىكون » .

ولكن لحسن الحظ أو لسوئه لم يستمر ذلك ، ولأول مرة بدأ الشباب

شيئاً بالنسبة له ، بل سيكون عرضها عليه كعرض مشكلة رياضية عويصة على طالب في المرحلة الابتدائية لأخذ رأيه فيها .

وفي فصول الكتاب الأولى يعالج المؤلف مشكلات الحب والزواج قبل الموت كما يجعل منها تمهيداً ملائماً لتناول نفس المشكلات من زاوية عالم ما بعد الموت ، أو بالأدق هذا الوصف الخاطيء « للموت » ، لأن الحب لا يموت بالموت بل يحصل على حياة جديدة ، فهو يحيا بالموت ، لأنه لا يقبل الموت .

وسيبين بصدد ذلك البيانات الحاسمة لدوام الحياة بعد الموت والتي لا تقل في حسمها عن حقائق العلوم الأخرى . فلم تؤسس فحسب كراس للأستاذية في البحث الروحي في عدة جامعات في العالم ، بل إن عدداً متزايداً من الرجال والسيدات العليين أخذ أيضاً في تحويل أنظاره نحو هذا التساؤل الذي ينبغي أن يشغل بالفعل بال كل كائن إنسانى عاقل ، وهو التساؤل عما إذا كان الحب يحيا بدوره أم لا بعد الموت ، لأنه ما لم يوجد حب على الجانب الآخر من القبر فلا يمكن أن توجد حياة ، لأن الحب هو الحياة .

الحب والزواج عندنا

ففي الفصل الثالث يعالج دزموند موضوع « الحب والزواج عندنا » ، قائلاً إن الحب هو القطرة بين العالمين ، هذين العالمين الذين لا يفصلهما الموت بل يصل بينهما ، لأن الموت جزء من الحب . فالحب بصورة العديدة كائن وراء كل حياة أرضية ، كما هو كائن وراء حياة السماء ، حين فصلنا نحن — في تدهورنا الغير الواعي — الحب المقدس وخلطنا بينه وبين أحط العواطف الجسدية ، فعزلناه بالتالى عن أهدافه السماوية ، ومع ذلك فهذا لا ينال من تلك الحقيقة الغريبة وهى أن وراء كل حياة توجد أخيلة للحب Romance .

وهذه الكلمة المحبوبة التى جعلتها الشاشة والمسرح والقصة ، شائعة غير مخجلة توقع في شبا كها من الأفراد أكثر مما تفعل عاطفة الجسد التى ليست

النظر الكوكبية عن الحب في كل صورته ونشاطه ، سواء أكان جنسياً أم عبارة عن مجرد هذه « الرقعة العظمى » التي يعبر عنها قولنا إن « الله محبة » والتي سيعرض خلالها للصلة الإنسانية بين العشاق ، وبين الأب وولده والفرد والأسرة .

ويقول إن هذه المعلومات ثمرة عدة مراحل من الدراسة والتأمل في « المعمل الروحي » ، وفي غيره . وبمضئ خلاصة مجهودات شاقة قام بها بعض رجال العلم من ذوى الخبرة والمعرفة . وعندما يكتب من محض الخيال أو من محض الرغبة في الربط بين المعلومات فإنه يقرر ذلك صراحة . أما عندما يكتب عن اتصالاته المباشرة وغير المباشرة بذلك العالم الذي ستذهب إليه الأغلبية من بيننا فإنه يقرر ذلك أيضاً . ومع ذلك فقد لاحظ مراراً أن ما اعتقده مجرد خيال لازم للربط بين بعض المعلومات كان تأثيراً يجرى أحياناً عن طريق مرشديه وأصدقائه في العالم الكوكبي ، إلى حد أنه وصل إلى الاعتقاد بأن حتى الرجال والنساء العليين قد يجدون أن ثمة سيلاً للوصول إلى الحقيقة غير العقل والمنطق ، فقد يأخذ الإلهام بيدنا أحياناً إلى الحقائق المقدسة .

وإنه لا يعنيه كثيراً الوقوف عند انتقادات الماديين غير المطلعين على الموضوع سواء أكانوا من رجال العلم أم من غيرهم ، فقد وصل بعد سنين طويلة إلى الاقتناع بأنها ليست الكلمات وحدها ، بل الوقائع أيضاً قد تعنى أشياء مختلفة عند أناس مختلفين ، وأنه ما لم يصل الكائن الإنسانى إلى مستوى معين من سلم التطور الروحي فإن نظراته إلى هذه الأمور التي يعالجها في صفحات مؤلفه هذا لا ينبغي أن يحسب لها كبير حساب . لأنه إن كان من أمر قد برز خلال قرن كامل من البحث الروحي فهو أنه ما لم تصل نفس الإنسان إلى مرحلة معينة من التطور يصح وصفها بأنها « مرحلة الاشتعال » ignition فإن البيانات — مهما كانت قوية — لن تكون في متناول العقل وإن تعنى

جميلاً وجذاباً . وذلك سواء فيما يتعلق بالمستوى الجسدى أم العقلى أم الروحى^(١).

«ولست أعنى مطلقاً أن الزواج الناضج يحىء من التطابق التام والرضى المستمر أو الخضوع ، بل إنه فى الزواج كما فى كل رابطة ناجحة أخرى لا بد من وجود فروق . فإن الرجال والنساء مخلوقات مختلفة تماماً ، ولكل من الفريقين اتجاهات مختلفة فى التفكير وفى التصرف . ومن احتكاك هذه الاتجاهات على مستوى عال وبين أنداد يتمتعون بشخصيات متحررة يولد التطور كما يولد الأطفال من فراش الزوجية . وإذا سلم الرجال والنساء بهذه الفروق الجوهرية بينهم قلت أخطاؤهم وقلت فرص الزواج غير السعيد بينهم»^(٢).

عن « الحب بعد الموت »

وفى مؤلفه عن « الحب بعد الموت » يطالب شو دز موند قارئه أن يقرأ قراءة نقد لا قراءة تصديق ، لأنه يعترف بصالة ما نعرفه عن العوالم الرباعية الأبعاد التى تلى الموت ، وإنما تكون المعرفة عن طريق الإقرار المتواضع بالجهل ، كما يكون عن نفس الطريق الارتفاع عن هذا الكوكب الأرضى الضئيل الضائع هو نفسه وسط الأبدية . ومع ذلك يقرر أنه مقتنع بأن الصورة التى رسمها فى مؤلفه عن الحب والزواج فى العالم الكوكبى صحيحة فى أساسها ، ولكن للحق أوجه متعددة ، وبقدر ما يواصل علماء الروح دراساتهم فى الجامعات فإن الحقائق الباهرة — بقدر نموها — ستلقى أضواءها مبددة جوانب البهتان .

كما يقول إنه لا يعنيه إثبات وجود حياة كوكبية ولا حياة تلى موت الجسد ، لأنه يعتبر أن ذلك قد ثبت نهائياً وإلى الأبد ، ولكن تعنيه وجهة

(١) راجع ما سبق عن الجسد الأثيرى والمالة فى الجزء الأول من ٢٧٤ — ٤٥٥ .

(٢) طبعة خامسة من ١١٨ — ١٤٢ .

والنساء يتزوجون عادة على الأرض بسبب إحساسهم بتجاذب الأجساد ،
فبعد إشباع الجسد لا يتبقى تجاذب عقلى ولا روحى للإبقاء على رابطة
الزوجية . ومع ذلك فلا ينبغي إضعاف قيمة تجاذب الأجساد (أو التوافق
الجنسى) فإن له أهمية قصوى ، ولكن فحسب عندما يقتزن بتعاطف العقل
والروح

ثم يقول دزموند ما معناه إنهم هناك يتعانقون ويقبل بعضهم البعض ،
وأن الاتصال الجنسي الأثيرى ليس خيالاً بل حقيقة واقعة ، غاية ما هناك
أنه يصبح اتصال أرواح بعد أن كان اتصال أجساد ، وأن الأرواح تعرف
طريقها أفضل من الأجساد ، واختلاط الأرواح هو مقدمة السمو القدسى
للحب على الأرض ، وأن هذا الاتصال إن هو سوى اندماج كلى فى مجرى
كونى للحياة يبدو أنه موجود خارج الأرض .

كما يقول إنه يدعو كل رجل أو امرأة فشل فى حبه على الأرض ألا يياس
فقد يقابل فى العالم الآخر من أحبه ويتصل به ، لكن بشرط ألا يكون هذا
الحب عبارة عن نزوة طارئة للجسد ، بل ينبغى أن يكون حباً روحياً من
هذا النوع الذى يعنى أن صاحبه إنما يبحث عن توأم النفس ، فشل هذا
العاشق ليتأكد تماماً أنه سيقابل يوماً من أحب كما يرتبطاً برابط
وثيق ...

ويقول أيضاً إن الاقتران فى العالم الكوكبى يقوم على أسس مختلفة تماماً
عن أسس الزواج على الأرض . فهناك اقتران يحدث على أساس من تقارب
المستوى الاهتزازى ، أى مستوى الذوق والحياة والفكر ، ولكن
ماذا نعنى بالزواج الاهتزازى Vibrational marriage ؟ . إننا نعنى أن
الإنسان يعرف من اهتزازات هالته التى تبين مستوى صاحبها على سلم الحياة
فهم يعلمون أن لكل إنسان طول موجة ، أى سرعة اهتزاز توضحها الحالة
والتشابه فى طول الموجة هو الذى يجعل — حتى هنا على المستوى
الأرضى — شخصاً من جنس معين يبدو فى نظر شخص من الجنس الآخر

الآثيرى الذى هو اتصال غامض بينهما a mystical communion يستهدف ابتداءً أهدافاً روحية وأثيرية ، أما مجيء الأولاد فهو أمر عارض .

سادساً : وأخيراً - أن الأولاد ينمون على المستوى الكوكبى كما ينمون هنا ، وأن لكل واحد وواحدة منا أحباء الذين سيحدثهم بعد العبور إلى هناك ، وأن القول بأن « زيجات الأرض من صنع السماء » يمثل حقيقة حرفية . بمعنى أنها ليست الطقوس هى التى تصنع الزيجات الحقيقية ، بل هى العاطفة الروحية ، إذ أن الحب والحب وحده هو الذى يصنع الزواج على ما قال لى مراراً سكان العالم الكوكبى .

ففى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وفى حضور الدكتور طمسون Thompson وطبيب له خبرة روحية خاصة ووسيط روحى وأحد الاقتصاديين ورئيس هيئة دينية وجهت عدة أسئلة عن الجنس إلى شخص منتقل كان صديقاً لجميعنا وأظهر نفسه فى هذا اليوم فقال : « كل شئيه منجذب إلى شئيه فى العالم الكوكبى كما فى كل عالم آخر . . . » وأن هذا هو كل ما عناء السيد المسيح عندما تحدث قائلاً إنهم « لا يزوجون ولا يتزوجون فى السماء » ، لأنه الحب والحب وحده بين الرجل والمرأة هو الذى يمكنه أن يصنع الزواج الصحيح

ثم قالت الروح « إن شجار الزوجين على الأرض لا يعنى بالضرورة أن أحدهما لا يصلح للآخر ، فقد يعزى الشجار إلى تصادم شخصيتين قويتين . ومثل هذه المشاحنات ليست شراً بذاتها وإن كانت تحول دون إحساس الطرفين بهذه السعادة الغامرة التى قد تمنع بدورها كل تقدم مستقبل فى العقل والروح . إن السعادة إذا كانت من النوع الخاطيء قد تكون أشد خطراً على الروح من التعاسة التى كثيراً ما تكون عبارة عن الإنقاذ الديوى لها ...

ثم أضافت الروح قائلة « إن الخلافات الزوجية عندما تكون جديدة حقيقة تعزى غالباً إلى اختلاف فى مدى التطور عند الطرفين . . . إن الرجال

إن كل روح مرشدة عظيمة «تحدثت» إليها — وبغير استثناء —
على اتفاق في شأن الحياة الجنسية على النقاط الآتية : —

أولاً : أن الحب باق حتى في معناه الإنساني إلى ذلك المستوى الثالث
من مستوانا الأرضي .

ثانياً : أن العاشقين على مستوانا الأرضي قد يكونون أحياناً — ولكن
ليس دائماً — هم نفس العاشقين هناك ، وأن العشاق الحقيقيين عندما
يغادرون الأرض يرتبطون معاً في المستوى الثالث فيخلقون بطريقة
غريزية — إذا صح هذا التعبير — على نفس «المستوى الاهتزازي»
المتبادل بينهما .

ثالثاً : أنهم هناك «لا يزوجون ولا يتزوجون» كما قال السيد المسيح لأنه
لا توجد طقوس للزواج بالمعنى الأرضي الذي يقتضى أنه «حيث لا طقوس
فلا زواج» . ولأن العشق الجنسي بين الرجال والنساء لا ينبغي أن ينظر
إليه كشئ حميد وجميل إلا إذا باركه الحب المتبادل بينهما . فالحياة المشتركة
على أسلوب جنسي منفصل عن صلة العلاقة العذرية بين المتزوجين بعد ذهاب
الحب ينبغي أن تعتبر بمثابة «دعارة زوجية» كما ذكرت ، مرة في محاضرة لي
في كوين هول (قاعة الملكة) . وفي كلمة إن الزواج الحقيقي الوحيد كما تقول
الأرواح هو توافق الاهتزاز الزوجي الذي هو عبارة عن تفاهم وتعاطف
اهتزازي متبادل ، ليس فحسب على مستوى الأجساد بل على المستويين العقلي
والروحي أيضاً .

رابعاً — أن هناك اختلاطاً معيناً لاهتزازات العشاق على المستوى
الكوكبي تقابل الاختلاط الجنسي هنا ، لكنه اختلاط أسمى وأرفع بكثير
من كل اختلاط نعرفه على الأرض

خامساً — أن اختلاط الرجل والمرأة على المستوى الأرضي أو

بحرفية الألفاظ ، فستكون طريقتنا في هذا الشأن أقرب — أحياناً — إلى طريقة العرض والتلخيص منها إلى طريقة الترجمة الحرفية ، وذلك حتى نصل إلى إعطاء القارئ صورة واضحة وشاملة عن اتصالاته بالآرواح مضافة إلى آرائه الخاصة في الحياة العاطفية وفي الزواج ، غير مرتبطين من جانبنا بشيء منها ، ولكن بغير أن نغفل الإشارة إلى أن في آرائه كثيراً من النظرة الفاحصة لحقائق النوازع الإنسانية .

وفيها أيضاً كثير من الفهم الصحيح لطبيعة العلاقات بين الجنسين ولخطورة أثرها في إسعاد أيهما أو في أشقائه . ولذلك وحده فهو يضع العاطفة العميقة النقية في المقام الأول ، ويصل بذلك إلى نتائج هامة كثيرة لا يسع المنصف إلا تقديرها . والقارئ سواء اقتنع بها أم لم يقتنع سيجد أنه قد خرج بحصيلة وافرة من المعرفة المعروضة بطريقة مفرطة في تشويقها وفي اجتذاب انتباهه كما سيلحظ بنفسه .

وسنعرض ابتداءً بعض بيانات محدودة عن مؤلفه " كيف تحيا عندما تموت ؟ " (١) ، ثم نعرض بياناً لعدد كاف من صفحات مؤلفه عن " الحب بعد الموت " (٢) .

عن مؤلفه " كيف تحيا عندما تموت ؟ "

يقول الأستاذ ديموند في بعض صفحات مؤلفه هذا — وهو بحث عام يتناول عدة جوانب من حياة ما بعد المادة يصلح بحسب رأيه ليكون مرشداً يتزود به الإنسان قبل الانتقال ، كالمسافر إلى مدينة كبرى عندما يخشى أن يتوه في شوارعها وفي غمرة حيايتها الزاخرة بأسباب الحياة —

إلى عدة سنين ولا يوجد له إلا الصبر في الصبر ، وتفهم قانون المحبة ، الحل الشاق لكثير من المشكلات ... (١) .

المطلب الرابع

شوردموند العالم الأدبي

يعالج موضوع الحياة العائلية هناك

تحدثنا في الجزء الأول عن الأديب الإيرلندي الكبير شوردموند Shaw Desmond ، وعن بحوثه الروحية ، بما يغني عن التكرار هنا (٢) ، ويكفي هنا أن نقرر أنه من كبار مؤسسي « المعهد الدولي للبحث الروحي » ، بلندن ، وأنه طالما حاضر في هذه الموضوعات في جامعتي كامبريدج واكسفورد وفي عدة جامعات خارج بريطانيا في أمريكا واسكندناوة وغيرهما ، وقد انتقل إلى عالم الروح منذ سنوات قلائل بعد أن بلغ من العمر عتياً ، وله في معالجة موضوع الحياة العائلية هناك عدة جولات . ورد بعضها في مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت » ، وورد أغلبها في مؤلفه عن « الحب بعد الموت » . وبالنظر إلى قيمة الكاتب وقيمة كتبه من الناحيتين العلمية والأدبية ، وصدق تحليله للحياة العاطفية بين الرجل والمرأة هنا وهناك ، إلى المدى الذي لا يضارعه - في نطاق البحث الروحي - أي باحث آخر ، لذلك نسمح لأنفسنا أن نمر في كثير من الأناة على نتائج بحوثه التي دامت لعشرات من السنين - كما يقول - في « معمله الروحي » ، وخارجه في شأن هذا الموضوع الهام ، وهو محاولة رسم صورة تقريرية لأسلوب العلاقة بين الجنسين وطبيعتها في عالم ما بعد المادة .

وفي عرضنا لأرائه سنتوخى الدقة في المحافظة على المعاني قبل التقيد

(١) المراجع السابق ص ٤٨ .

(٢) في ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

الذى سبب لها غضباً وألماً شديدين ، وطلب منها أن تبلغ والدته أنه موافق على هذا الزواج ، رغم أنه لا يزال مغرماً بزوجته التى تركها على الأرض ، ولكنه تحقق الآن بأنها كان ينبغى أن تتزوج من منافسه السابق لأنه كان مناسباً لها أكثر منه ، وأنه عندما تغلب عليه فى الزواج منها قد أساء إليهما ، وأنه الآن يريد أن يرى الأمور توضع فى نصابها الصحيح ، وأنه يرى أن زوجته الآن تجد السعادة والرعاية فى ظل هذا الحب الجديد .

ثم أضاف لايتون فى رسالته ، وبالطبع لم يحدث هذا التحول عندى بغتة فقد تعودت أن أكره بيل Bill (اسم منافسه) كالسم ، ولعلنى كنت أقتله لو حاول الاقتراب من زوجتى ، ولكنى عندما فهمت الأمور أكثر مما كنت أفعل أدركت أنه فى طيب القلب ، ولم تعد بى غيرة نحوه ، بل أريد فحسب أن أراها سعيدة . كما أضاف لايتون أنه عندما تحول هذا التحول أخذ يرجو الأرواح المرشدة التى قابلها هناك كما تحاول أن تؤثر فى منافسه هذا ليكتب إلى أرملة خطاباً مقترحاً أن تقابله ، وبذلك استيقظت العاطفة القديمة فى قلوبهما ، وتم الزواج برغبته .

وتقول لورنس إن عدة حوادث من هذا القبيل قد مرت بها أثناء بحوثها الروحية ، وأنها صادفت أزواجاً كثيرين منتقلين كانوا يرجون من أرامهم على الأرض أن يتزوجن ثانية ، ومن عشاق كانوا يحاولون التأثير فى عشاقهم بأن يشغلوا الفراغ الشاغر فى قلوبهم ، أو يحاولون إقناعهم بالأى يتعلقوا بإحساس خاطئ . باحترام ذكراهم ، أو بالأى تصوروا خطأ بأنهم سيعتبرون ذلك من صور عدم الوفاء لهم .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن كل الأرواح عندما تنتقل إلى هناك تتخلى عن أنايتها أو غيرها فوراً ، بل قد يظل عدد منها متمسكاً بنفس إمشاعره القديمة فيتألم منها آلام الإنسان المريض العقل والنفس إلى أن يصل إلى مرحلة من التطور تسمح له بأن يفهم الآخرين ويحسن معاملتهم ، وقد يحتاج ذلك

الآخر من الحياة يتقابل هذان الزوجان لا كزوج وزوجة ولكن كصديقين
وفين فحسب تقاسما معا تجربة مفيدة لها ، كما يتقاسم مثلها أى صديقين
على الأرض .

ولكن هذان الصديقان سيدركان على الجانب الآخر أن رابطة الزوجية
التي جمعتهم في وقت ما على الأرض - رغم أنها كانت جميلة ومرضية إلى
حين - لكنها ليست من النوع الخالد ، وكل واحد منهما عليه أن يجد إن
عاجلاً أو آجلاً توأم الروح على ذلك الجانب الآخر من الحياة . ولأن
المزيد من النضج يعطى الإنسان مزيداً من الفهم فإنه لا يمكن لشخصين على
الجانب الآخر أن يحبا نفس الشخص بنفس الكيفية . أما على هذا الجانب
المادى من الحياة فقد تعودنا أن نخطئ الآخرين ونخلط في نفس الوقت
بين الحب الصحيح وبين سائر الانفعالات الأخرى .

كما نتحدث المؤلفة عن تجربة واقعية لها تبين كيف أن فهم الحب يصبح
أوسع أفقاً وأكثر تسامحاً عند بعض الأرواح عندما يصل إلى الجانب
الآخر ، وكيف أن الإنسان أنه قد يتخلى عن غيرته الأرضية وشهواته كما
يهمه فحسب أن يرى أن محبوبه القديم يعيش في أمن وفي رعاية ، فتقول إن
ضابطاً بحرياً (ولنسمه لايتون Layton رغم أن هذا ليس اسمه الحقيقي)
تزوج منذ عام أو عامين سابقين على انتقاله إلى عالم الروح ، ثم غرق أثناء
الحرب العالمية الثانية . وبعد وفاته بعام واحد تزوجت أرملته من رجل كان
منافساً من قبل لزوجها السابق في طلب الزواج منها ، وكان زوجها السابق
بالتالى شديد الغيرة منه . فأغضب هذا الزواج بطبيعة الحال حماتها السابقة
(أم لايتون) واعتبرته إساءة كبرى لذكرى نجلها العزيز الراحل .

وهنا تقول المؤلفة إنها أثناء جلسة مع وسيطة معينة لأموور بعيدة عن
هذا الموضوع الذى لم يكن أحد من الحاضرين يعلم عنه شيئاً ، قالت المرشدة
للسيطة إن ضابطاً بحرياً غريباً عن الموجودين يدعى الكولونيل لايتون
شديد الرغبة في الاتصال بوالدته كيما يبلغها رسالة معينة بخصوص هذا الزواج

الجنسية وسوف يصبح في مكان على في مملكة الله . . وقد يدهش بعض المتزوجات إذا قلت لمن إن النساء اللاتي عرفن الحب والصدق ليس هن من حاجة إلى العودة إلى الأرض كما يبحثن عنه ثانية ، وسوف يستمررن في التقدم في عالم الروح ، أما اللاتي لم يجدن الحب في الأرض فسوف يسألن عنه كما يمنحنه في عالم الروح .

وعلى هذا بمعرفتك لقوانين الله والإنسان حاولن أيتها النساء أن تساهمن مع أنفسكن الحقيقية ومع الخالق ، فإن الأرض هي بداءة الرحلة الأزلية للبحث عن الله .

ولينزل السلام على قلوبكن ، فالنظرة العقلية والروحية الجديدة سوف تحميكن من شرور الإنسان في الأرض . الحب سهاوى وقد أعطيته المرأة التي ترجمته للرجل كما تنقذه من الهاوية . . . (١) .

المطلب الثالث

من تجارب مارجرى لورنس

في شأن الحياة العائلية هناك

تتحدث الباحثة الروحية السيدة مارجرى لورنس Margery Laurence عن نتائج بعض تجاربها الخاصة في شأن الحياة العائلية هناك^(٢) قائلة إن زيجات كثيرة تتم على المستوى الأرضى بدافع غير دافع الحب الصحيح لكنها مع ذلك لا تخلو من فائدة لكل من الزوجين وهي الدراسة المتبادلة لدروس الحياة وللتعاون، ولتبادل مجرد الصداقة بينهما ولإنجاب أولاد ، قد يفيدهم هذا النوع من الصلة بين الوالدين . ولكن عند الانتقال إلى الجانب

(١) ترجمة الدكتور على عبد الجليل راضى في كتاب « أرواح مرسله » من ١٠٠-١٠٣

(٢) في كتاب لها عنوانه « ما هي هذه الروحية ؟ » What Is This Spiritualism?

ص ٤٤ وما بعدها .

من الأعضاء التي يعبر بها عن نفسه مؤقتاً على الأرض، (١) .

* * *

وفي نفس هذا الموضوع تتحدث الروح نعوى المرشدة للوسيلة راتيجان قائلة : « إن الزواج اتحاد يقوم على الحب . . . وهناك قوة علوية تبارك حقاً اتحاد المحبة ، ولا يمكن أن ينكر هذا إنسان ذاق حياة من هذا النوع . أما إذا كان الاتحاد خالياً من الحب فإنه يكون مسألة قد تساعد أو لا تساعد كلا من الاثنين .

إلى أن تقول : إن الرجال والنساء معاً توأمان من خلق الله جل وعلا، جاءا إلى الأرض وسوف يذهبان إلى عالم الروح ليتحدتا في هيئة فرد واحد لا اثنين . إنها حالة جديدة للخلق وسوف تكون هامة بالنسبة لكم عندما تأتون إلى هنا .

قد يظن بعض الناس أننا الناس القدماء قد نسينا الأرض (إذ ولدت هذه الروح في الكرة الأرضية سنة ١٠٠٩ قبل الميلاد كما قالت) . آه لا . لقد كانت الأرض مهدنا ولن ننسى أبداً من حياتنا الأرضية تلك الحوادث الشافهة التي كانت في الواقع علامات ساطعة في طرق تقديرنا للحياة . « إن الطهارة لازمة لكل امرأة تريد خدمة إلهها ، وأود أن أقول : -

١ - إنكن تردن أن تحبين والله يقول ويخلص الرجل في دنياكم بواسطة حب إمرأته تكون شريكة للرجل أو توأماً له ، بالنفس والروح .

٢ - لا يمكن لإمرأة استمعت للصوت الداخلي الخافت أن تخطيء لأن الله يمنحها السكال .

إلى أن تقول : الحب بركة إلهية والنساء اللائي كن طاهرات محفوظات في الأرض سوف يكافئن العلي على بقائهن وحيدات محرومات من العلاقة

(١) وهذه آخر رسالة بثت بها جوليا ومي. مؤرخة يوم الأحد ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٨ الساعة ١٠ و٢٠ دقيقة ليلاً ، فقد كان ستيد دقيقاً في تحديد تواريخ الرسائل وساعات وصولها .

نفسيطر على أفكارنا ، حتى وإن تعذر تغيير جسد الشهوة السكامن فينا والذي تقلت منا طبيعته .

إلى أن يقول أيضاً إن أكبر خطر يتهدد الإنسان هو الاندماج التام بين الروح وبين جسد الشهوة . لأن هؤلاء « المندمجين » سيعانون من عملية انتزاعهم من شهواتهم آلاماً لا يمكننا أن نقدر مداها . ومن يدري فقد تكون العاطفة أو الحب الرقيق مجرد فخ يدفع إلى هذا الاندماج الخطر بين الشهوة وبين الروح ، وما أسعد الإنسان الذي — بدلاً من تقديس الجسد — لا ينظر إليه إلا باعتباره مصدراً لمتعة عابرة تعرف الروح كيف تظل بمنأى عنها ، فلا تسمح لنفسها بأن تصبح أسيرة هذا الجسد^(١) .

المطلب الثاني

من أقوال بعض الأرواح

في شأن الحياة العائنية هناك

تقول في شأن الحب والزواج السماوي جوليا Julia الروح المرشدة لسير وليام ستيد « إنهم هنا لا يزوجون ولا يتزوجون ولـكـنـنا كـلـائـكـه في السماء في مقدورنا أن نختلط وأن نتحد بأي كائن تتوافق اهتزازتنا مع اهتزازاته بقدر ما يطول هذا التوافق . إن نشوة هذا الاتحاد تتجاوز نشوة الحب الجسدي على الأرض لأن نطاق الجسد الإنساني يتجاوز ذلك الجزء منه المعد للإنجاب .

فلا توجد قيود هنا على حرية الحب ، وإذا كان أي شخص يصل إلى هنا يجد أنه غير قادر على التزعم في انسجام إلا مع من كان زوجاً له على الأرض فيمكنهما أن يكرس كل واحد منهما نفسه للآخر كما كان يفعل كلاهما على الأرض ، ولكننا لا ننظر إلى هذه الأناية من الاثنين بوصفها تمثل أعلى مراحل التطور . نعم إن الجنس يستمر هنا . ولكن الجنس شيء أعظم

(١) عن مؤلفه (1939) Les Interventions Surnaturelles من ١٠٧-١٠٩

ومن ثم كان الميل للزنا ميلا لتحطيم اتحاد الخير بالحق الذى تصنعه السماء ، وكان هذا الميل هو الميل الجهنمى الذى يقع على النقيض من نعيم الزواج الذى هو نعيم السماء .

ومن ثم يقرر أن انتهاك حرمة رابطة الزوجية يغضب القوانين الالهية ، كما يعد انتهاكاً للقوانين المدنية فى جميع الممالك ، فهو مضاد للضوء الحقيقى المنبعث من العقل لأنه ليس فقط ضد النظام الذى وضعه الله بل هو أيضاً ضد النظام الذى وضعه الإنسان ، كما يقرر بأنه لما كانت كل حرية إنما تنحى من ناحية الحب فإن أعظم الحريات قاطبة تنحى من ناحية الحب الزوجى الذى هو الحب السماوى نفسه^(١) . . .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث أيضاً الأستاذ موريس ماجر Maurice Magre قائلاً ما مقتضاه إن العفة لاغنى عنها لمن يريد أن يرى أبعد مما يسمح به النظر العادى للعينين الفيزيقيتين ، ولمن يريد أن يحوز ظواهر آتية من ناحية قدرة مرتفعة نوعاً . فإن الشهوانية تخاق عوامل اضطراب الحياة التى تصيب من أوجدها ، وتصنع جواً كثيفاً يملأ حياته ويعزله عن الأرواح الراقية .

وضبط النفس عبارة عن عملية مبادلة مع الطبيعة لا خسارة فيها على صاحبها ، إذ ينبغي التنازل بمقتضاها عن بعض المتع حتى يمكن الحصول على متع أخرى أسمى وأغزر . والتجربة تثبت أنه لا يمكن لأى إنسان أن يتذرق جميع المتع فى وقت واحد ، بل تنبئ المبادرة بتضحية المتع السفلى للحصول على المتع العليا .

وهذه التضحية سهلة من ناحية المبدأ . ولكن تحقيقها من الصعوبة بمكان . وإذا ما وضعنا ذكاءنا فى مواجهة هذا الصراع فإنه بمقدورنا أن

(١) من « الفردوس والجحيم » : المرحم السابق فقرة ٣٦٦ من ٢٦١ إلى فقرة ٣٨٦ من ٢٧٥ .

فاؤلئك الذين يعيشون في زواج كهذا هم في تصادم وصراع متبادل ،
كصراع النقيضين ، حتى ولو حافظا على المظهر الخارجى هادئين في خدمة
السلام ، ولكن صراعهما الداخلى يظهر بعد الموت ، فإذا اجتمعا معاً فبحكم
الاعتياد فقط ولكنهما يتصارعان كهدين ، ويتصرف كل منهما بحسب
شعوره الحقيقى . . . أما فى الحياة الأخرى فتترك لكل إنسان حرية
الداخلية ، أما المظاهر الخارجية التى كان يحافظ عليها الزوجان على الأرض
لأسباب شتى ، فلا يعود أحد منهما يتمسك بها . وقد يوجد عند البعض
نوع من التظاهر بالحب الزوجى ، ولكنهما ما لم يتحدا فى حب الخير والحق
فلن يكون ذلك أبداً حباً زوجياً .

كما يقول سويندبرج أيضاً إن الزواج فى السماء يختلف عن الزواج على
الأرض فى أن وظيفة هذا الأخير هى بالأكثر إنجاب الأولاد ، أما وظيفة
الزواج فى السماوات فهى إنجاب الخير والحق ، لأن الزواج هناك اتحاد للخير
والحق كما بينا ، إذ فيه يجب كل إنسان فوق كل شئ آخر الخير والحق
 واتحاد الخير مع الحق . .

ومن ذلك يبين واضحاً أن الزواج فى السماء لا يماثل الزواج على الأرض .
ففى السماء توجد أفراح روحية لا ينبغى أن نسميها أفراحاً بقدر ما نسميها
اتحاداً للعقول بزفاف الخير للحق ، أما هنا فنسميها أفراحاً لأنها متعلقة
بالأجساد لا بالأرواح فحسب . والروحان المتحدان هناك لا يطلق
عليهما وصف زوج وزوجته بل كل منهما يسمى شريكاً ، أى المقابل
للطرف الآخر . وعلى هذا النحو ينبغى أن نفسر أقوال السيد المسيح
عن الزواج . . .

والأرواح عندما تسمع كلمة زنا ، تفر هاربة . فالإنسان عندما
يرتكب الزنا للمتعة يخلق فى وجهه أبواب السماء ، وإذا أغلقت أبواب
السماء أغلق فى وجهه الاتصال بالله والإيمان به . . .

عند الرجل يسود الذكاء وعند المرأة تسود الإرادة . فالسكان الإنساني ينتمى إلى أحد النوعين بحسب ما يسود لديه من أحدهما .

أما في السماوات فلا توجد سيادة لأحد الطرفين على الآخر ، لأن إرادة الزوجة من إرادة زوجها ، كما أن عقل الزوج من عقل زوجته لأن أحدهما يجب أن يريد وأن يفكر كالآخر ، ومن هنا جاء اتحادهما في واحد ... فإذا كان بينهما اتحاد في العقول ، وهو الذى يصنع الزواج ويولد الحب الزوجى في السموات ، فإن كلا من الزوجين يرغب فى أن يعطى زوجه ما يملكه من عقل أو من إرادة ...

وبقدر ما يوجد اتحاد فى العقل وفى الإرادة فإنه يوجد أيضاً اتحاد فى الحق وفى الخير ، لأن العقل يتلقى من الخالق الحق المقدس كما تتلقى الإرادة الخير المقدس . . . فإذا أراد الإنسان أمراً كانت الإرادة له خيراً ، وإذا تعقل أمراً كان التعقل له حقاً . ومن هنا ينتج القول بأن اتحاد العقل مع الإرادة هو فى نفس الوقت اتحاد للحق مع الخير . وهذا الاتحاد هو الذى يصنع من الإنسان ملاكاً ، كما يصنع الذكاء والحكمة ونعيم الملاك . لأن الملاك ملاك بقدر ما يغذيه من خير متحد مع الحق ومن حق متحد مع الخير . أو هو ملاك بقدر ما يغذيه من حب متحد بالإيمان ومن إيمان متحد بالحب .

وعند ما يريد الإنسان ما يريده الآخر ويحبه كان كل منهما حراً ، لأن الحرية تنتمى إلى الحب . فلا توجد حرية لأى منهما عند ما توجد سيادة ، فالمسود يصبح عبداً لسيده كما أن السيد يصبح أيضاً عبداً لشهوة السيادة . ولكن ذلك لن يفهمه أبداً من لا يفهم كيف تكون حرية الحب السماوى . فإذا ما تدخلت السيادة حدث الانقسام ، لأن السيادة تنفى الإرادة وتعارض معها ، ومن لا يملك الإرادة لا يملك الحب ، وإذا ما تعارضت السيادة مع الإرادة حلت الكراهية محل المحبة .

المطلب الأول

من أقوال سويدينبرج

في شأن الحياة العائلية هناك

في شأن الصلات العائلية يتحدث الفيلسوف الوسيط سويدينبرج قائلاً :
« لأن سكان السماء من النوع الإنساني ، وهم من الجنسين معاً ، ولأن المرأة
للرجل منذ بدء الخليقة كما أن الرجل للمرأة ، ولأن هذا الحب فطري فيهما ،
من هذا يتضح أن الزواج موجود هناك كما هو موجود على الأرض ، لكنه
يختلف كثيراً هناك عنه هنا . فإن الزواج في السماء عبارة عن اتحاد جزئين
في عقل واحد يسمى أحدهما الذكاء والآخر الإرادة ، فالزوج يقوم بوظيفة
العقل حين تقوم الزوجة بوظيفة الإرادة .

فإذا ما حدث هذا الاتحاد بين العقل والإرادة شعر به كل منهما حباً هو
الحب الزوجي ، والذي يسمونه هناك المعيشة المشتركة ، والتي يقال في وصفها
إنهما لا يعتبران هناك اثنين ، بل شخصاً واحداً .

وهذا الاتحاد أمر لازم بحسب الطبع والميل الفطري في كل منهما ،
بل أيضاً بحسب الشكل الخارجي . فبحسب الطبع نجد أن الرجل يتصرف
بوحى من العقل ، أما المرأة فبوحى من العاطفة . وبحسب الشكل نجد وجه
الرجل أكثر خشونة وأقل جمالا وعنده القول أكثر خطورة والجسد
أقوى بنياناً ، حين أن المرأة تملك وجهاً أكثر رقة وجمالا ، وعندها اللفظ
أكثر نعومة والجسد أكثر مرونة . ويوجد فارق مماثل بين الذكاء من
جانب الإرادة من جانب آخر وبين الفكرة والعاطفة . كما يوجد فارق مماثل
بين الحق والخير وبين الإيمان والمحبة ، لأن الحق والإيمان ينتميان إلى
الذكاء حين ينتمى الخير والحب إلى الإرادة .

وإذا كان الذكاء والإرادة متوافرين عند الرجل والمرأة معاً ، إلا أنه

ومن الأمور المتفق عليها أنه كلما كان التآلف موجوداً ومرغوباً فيه كلما أمكن أن يلتزم هناك شمل الأسرة من جديد . وكلما رغب اثنان من الجنسين في العيش تحت سقف واحد في عروة وثقى من المحبة والولاء ، وعلى أساس من انسجام وتقدير متبادلين بينهما ، كلما كان لهما ذلك . وهذه الصلة الراقية يمكن أن نسميها « شركة روحية » ، أو « معيشة مشتركة » ، أو « صلة عائلية » ، أو « ما شئتنا من الأسماء » ، ولكن مقابلها الأرضي الذي نعرفه هو « رابطة الزوجية » ، وإن كانت تجرى هناك على صورة أرق منها وأرقى ، لأن مستوى الوجود وكل مظاهره هناك أرق من مستوانا وأرقى ، برقي المشاعر والانفعالات ، بل برقي العقول والملكات ، فضلاً عن رقي الملامح والأشكال .

وسنعالج في هذا المبحث السادس هذا الموضوع الهام وهو موضوع « الحياة العائلية » ، في عالم ما وراء المادة ، وبخاصة المستوى الثالث أو « السمرلاند » ، معتمدين على عدة مصادر من بلاد شتى ومستمدين كتابتنا من بحوث علمية لا خيال فيها جرت — ولا تزال تجرى — في نطاق هذا العلم الروحي الناشئ الذي جاوز دور المهد ، وأخذ الآن يقفز قفزات سريعة للأمام تثير الاستغراب وتحير الألباب . . . من ناحية مكانة الهيئات العلمية القائمة عليه وانتشارها في كل مكان والأسماء الضخمة التي تساهم فيه ، والنتائج البعيدة المدى التي وصل إليها ، والتي جاوزت في تقدير الثقة كل ما كان يمكن توقعه منذ عهد ليس ببعيد .

وسنخصص لهذه « الحياة العائلية » أربعة مطالب على النحو الآتي :

المطلب الأول : من أقوال سويدنبرج (فيلسوف السويد والوسيط الشهير) في شأن هذه الحياة هناك .

المطلب الثاني : من أقوال بعض الأرواح في هذا الشأن .

المطلب الثالث : من تجارب الباحثة مارجري لورنس في هذا الشأن .

المطلب الرابع : تلخيص لنتائج البحثة الأيرلندي الكبير شو دز موند .

وقد جمع الحب والفهم المتبادل شملها وربط بين أفتدتها بأوثق رابطة من عبادة الله في تقوى وورع حقيقيين بعيدين عن ادعاء تملك الحقيقة المطلقة والفهم الوحيد لناмосه ، كما يفعل بعض السطحيين من المتعبدین على هذا المستوى من الحياة الدنيا .

وذلك إلى المدى الذى وصفه سويدنبرج قائلاً : إن العقيدة المقدسة حتى في السماوات ليست في ارتياد دور العبادة وسماع المواعظ ، ولكنها في العيش في محبة وفي بر وفي إيمان ، ولذا فإن المباني الدينية لا تسمى في مملكة السماء معابد بل بيوت الله^(١) .

كما أجمعت الأرواح الراقية على تأكيد هذه البديهية الواضحة - حتى على المستوى الأرضي - عند أصحاب العقول النيرة ، وهي أن الآراء والأفكار الموروثة - مهما كانت نابعة من الاعتقاد ، أو مهما وصلت إلينا تحت إرادة الاعتقاد - قيمتها الحقيقية هي في أن تعبر عنها فضائل حقيقية تغذيها العاطفة النبيلة والعقل الحكيم وخارج هذا النطاق يكون « التدين » تقريراً والصالح غشاً وتضليلاً أليس « عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ألف سنة ؟ » ولما كان هذا الموضوع برمته وثيق صلة بالمشكلات الفلسفية التي يعالجها علم الروح الحديث ويتصدى لها بحلول واضحة صريحة فلذا لنا عودة تفصيلية إليه في الباب الخامس .

المبحث السادس

في الحياة العائلية هناك

لا ريب أن من الأسئلة الهامة التي يثيرها الذهن التساؤل عن نوع الحياة العائلية هناك . وقد تناول عدد من بحاث علم الروح الحديث هذا الجانب بالعناية التي يستحقها ، وتصدى لمعالجته عدد منهم بقدر كاف من الصراحة والوضوح ، لا اعتقادهم أن في الصراحة علاجاً للمشكلات وفي الغموض هروباً منها . ومنهم من خصص لهذا الجانب مؤلفات كاملة ، ومنهم من خصص له باباً أو أكثر في مؤلفاته .

(١) المرجع السابق فقرة ٢٢٢ ، ٢٢٣ من ١٥١ ، ١٥٢ .

على الحب الأسى كما يصدق على حب الرجال والنساء . فضبط النفس ينبع من الوعي الذى يستبىق الحوادث ، والحب الصحيح هو البصيرة النفاذة لكل الأمور، (١) .

آيات فى المحبة لروح شوقى

ثم استمع إلى روح شوقى وهو يبعث من الخلد ببعض هذه المعانى
بلاغته الماثورة فى قصيدة التصدير قائلا :

نحيا بمملكة التسامح ديننا حب طليق للعباد يقسم
أهواؤنا طيب السلام أريجها من عبقها أرواحنا تشمم
لننا الوداعة والسماحة منة ما عاد فينا للطغاة مخيم
ثم قائلا :

من شاء حبا كالملائك طاهراً يرتاد ورداً دون باغ ينقم
وبفيض حبي قد بعثت خواطرى ترضى الأريب ومن يتوق ويعلم
فالحب بين الخالدين رسالة تهدى الرفاق لكى يفىق النائم

ومراجع الفلسفة الروحية تفيض بهذه المعانى التى أجمع عليها البحاث
الجادون ، كما أجمعت عليها الأرواح الراقية فى كل مقام منذ بدء الخليقة
وإلى الأزل .

فى العبادة

وإذا كانت المحبة الإيجابية النامية هى كل شىء هناك ، وكانت تلعب الدور
الأول فى تنظيم الحياة الاجتماعية فى المستويات الراقية ، فإن التسامح الدينى
يبلغ ذروته فى هذه المناطق فتجرى عبادة الله على كل أسلوب ونمط ، وكلما
ازدادت الأرواح نضجاً ورقياً كلما خفت حدة الفروق بينها إلى أن تزول
تماماً فى المناطق العليا ، فلا تجد إلا النفوس الطيبة من جميع الأجناس والأديان

إلى متعة بمجرد أن تحب ... ولكن الأسى الذى يحىء من حب إنسان أكثر مما ينبغى سببه أنك لا تستطيع أبداً أن تحب إنساناً أكثر مما ينبغى . إنك عادة تحب الآخرين أقل مما ينبغى ، والبؤس الذى تشعر به - كما تقول - لأنك تحب إنساناً معيناً أكثر مما ينبغى سببه الحقيقى أنك تحب إنساناً آخر أقل مما ينبغى ...

إن الحياة لا يمكن أبداً أن تصبح عقيمة ، ولا الوجود عبثاً ثقيلًا ، كلا يا أعز أصدقائى صدقنى عندما أقول لك إنى مهما علمت من أشياء ، فلا شيء يصح أن يقارن فى أهميته بأن تعلم أن المنفذ السرى إلى السماء هو المحبة . فمن يحيا فى محبة كاملة يحيا فى السماء ، والكراهية هى الجحيم ، والله مع كل من يحب بقدر ما يحب ، لأن الله محبة أما من لا يحبون فلا إله لهم

ثم تقول فى مكان آخر : « إن الله هو الكل فى الكل ، وكل ما فيه من كل هو المحبة ، ولا يمكن أن تخدم أغراضه بالكراهية والجفاء . آه لو أمكننى أن أجعلك ترى كما نرى نحن هنا كيف لا يحيا حياة حقيقية إلا من يحبون ، وكل ما ليس من الحب هو بمثابة الموت ، وأن الروح التى لا تحب تحيا فى الظلمة الخارجية بغير إله لها ، وأن السبيل الوحيد لإنقاذ العالم هو إغراقه فى المحبة إذ ليس بكراهية الناس - حتى لخطاياهم - تنقذهم من خطاياهم » (١)

ثم تقول أيضاً : « نور الحياة هو الحب ... وأولئك الذين لا يحبون إنما يعيشون فى الظلمة الخارجية وفى وادى ظل الموت . الخطيئة تتركز فى الحياة بغير إله أى بغير محبة . وبقدر ما تفكر بقدر ما ترى أن الحب الأنانى ليس هو بالحب ، وأن الحب الذى يؤذى المحبوب ليس حباً بل وحشية . والحب الذى يضحى السعادة الدائمة للمحبوب على مذبح إشباع شهوة الساعة ليس حباً حقيقياً ، فكل حب يتطلب درجة من ضبط النفس ، وهذا يصدق

فأكثر ، وبصفة أكثر دواماً عندما ننمو في نعمة الله ومحبته . فكيف نجد أنفسنا إذا معزولين بحجاب عمن نحبهم ؟... إن ذلك كان بخطأ منا ، ولكن أيضاً بخطئكم أتم .

« إن لديكم معلوماتكم عن شركة القديسين ، وتقولون وترددون بكل الطرق اعتقادكم بأن القديسين من فوق ومن تحت هم هسكر الرحمن ، فإذا حاول أحد منا من هذا الجانب الآخر أن يبذل جهده حتى تشعروا به ، وبأنكم محوطين بعدد ضخم من الشهود فهنا الصراخ والعويل بأن ذلك ضد إرادة الله وأن هذه هي الشياطين ، وأن هذا هو الاتصال بالأرواح الشريرة ... فهل أنا شيطانة ، ألسنت روحاً عادية ؟ هل أفعل الآن أمراً مخالفاً لإرادة الله عندما أوحى إليكم على الدوام بإيمان متزايد فيه ، وبمحبة متزايدة له وبجميع خليقته ، وبالتالي أحاول أن أدنو بكم من الله أكثر فأكثر . إنكم تعلمون أني أفعل ذلك ، وأن في ذلك متعة ودستور حياتي ... » (١)

كما تقول جوليا في مكان آخر : « إن «أوزون» حياتنا هنا هو المحبة . وإذا كان لديك قدر كافٍ من المحبة فإن السماء معك حيثما تكون . فصدقني عندما أقول لك إنه لا توجد حقيقة أعظم من هذه وهي أن «الله محبة» .. وأكثر ما تختلف السماء عن الأرض تختلف في ذلك إذ يوجد بها محبة أكثر منها ، وكل حب ينبض به قلب لإنسان يجعل الأرض أقرب إلى السماء ... »

إن الحب الذي ينتزعك من نفسك ويجعل سعادة الآخرين تهمة إلى المدى الذي يصبح معه الألم والاضطراب مصدراً لسعادة تبحث عنها أكثر مما تبحث عن أعظم المتع — ماداماً لازمين لسعادة المحبوب — هو الحب الذي ينبغي أن يسود في العالم ...

إن الخطيئة هي — فحسب — انتفاء المحبة . ويمكن للأسى أن يتقلب

والجحيم يوجد على هذا الجانب كما يوجد النعيم ، ولكن سعادة أهل النعيم هي في إخلاء الجحيم من سكانه ، فنحن نتعلم دائماً كيف نتقذ الآخرين بالمحبة ونخلصهم بالتضحية ، فبغير التضحية لا يوجد خلاص ...

كما تقول أيضاً : « لو أمكننى العودة إليكم ثانية كما أتحدث فى آذان بنى البشر فلا أتمنى إلا أن أقول لهم أحبوا . المحبة هي اكتمال الناموس . المحبة هي رؤية وجه الله . المحبة هي الله والله محبة . إذا كنتم تريدون أن تكونوا مع الله أحبوا . إذا كنتم تريدون أن تكونوا فى السماء أحبوا ، لأن السماء تختلف عن الأرض وعن الجحيم اختلافاً بيناً فى أن الجميع فى السماء يحبون بعضهم بعضاً إلى آخر حدود كيانهم ، وكل نمو فى النعمة نمو فى المحبة .
أحبوا ... أحبوا ... أحبوا ... هذه هي الكلمة الأولى والأخيرة ولا يوجد شيء بجانبها لأن الله الذى هو محبة هو الكل فى الكل ، الألف والياء ، البداية والنهاية ، الـكون غير المحدود ... هذه هي كلمة الحق ، الكلمة التى يحتاج إليها العالم ... كلمة الله التى تجسدت وأقامت بين البشر :
... أحبوا . أحبوا . أحبوا ... (١) »

وفى مكان آخر تقول نفس الروح : « توجد الآن ملايين من الأرواح الطيبة هنا تحتفظ بحب غامر وعميق لمن خلفوهم على الأرض . فهنا أمهات انتزعن من أطفالهن ، وزوجات من أزواجهن ، ورجال لا حصر لهم صنع الموت برزخاً بينهم وبين أحبائهم ... ومع ذلك فما فائدة القول بأن عليهم أن يمدوا العزاء فى محبة الله ؟ فكيف ظهر الله لهم ؟ لقد ظهر لهم فحسب عندما أحبوا ، فلا يوجد الله حيث لا توجد محبة .

هل تظنون أننا على هذا الجانب - لأننا نحيا أقرب إلى محبة الله منكم ، ولأننا أكثر إحساساً بأنوار هذه المحبة - فإننا نحب من تركناهم على الأرض أقل مما كنا نفعل ؟ كلا إن العكس تماماً هو الصحيح . فإننا نحبهم أكثر

(١) عن كتاب « بعد الموت » After Death لسير وليام ستيد . طبعة ١٩٥٢

ولأن الحب الطاهر هناك هو كل شيء فلا تعرف هذه المناطق العليا شيئاً اسمه التجارة أو النقود أو المصارف ، إذ أن الوسيلة الوحيدة للتعامل هي المحبة، وبوجه عام هي العاطفة الكريمة، فهي التي تنظم وحدها علاقات الناس ومعاملاتهم في الأخذ والعطاء ولا يعرفون عملة صالحة غيرها ، وعلى ذلك أجمعت الرسائل ، فلو كان الأمر كله محض خيال أما كان من الجائز أن يتخيل أحدهم وجود نقود وتجارة في هذه المناطق ؟...

إن الصناعة العقلية، موجودة، ولكن قانون الاستحقاق عن طريق محبة الأقربين هو القانون العادل الذي ينظم وصول كل من يستحق عطية ما إلى مبتغاه . وليس هناك أعدل من قانون الاستحقاق الطبيعي الذي لا يعرف تحيزاً ولا محاباة . وهو يلعب دوره هنا ولكن على صورة قد تعوقها كثيراً إرادة الأرضيين عندما يسيئون استعمالها . وأيضاً عوامل الشر التي تلعب هنا دوراً مختلفاً عن دورها هناك .

جوليا تحدث في المحبة

وللأهمية القصوى لدور المحبة الإيجابية في تنظيم أسلوب الحياة الاجتماعية واستقرار أوضاعها ينبغي أن نفسح مجالا كافياً لرسائل بعض الأرواح الراقية في شأنها . فنجد مثلاً الروح جوليا Julia المرشدة لسير وليم . ت . ستيد تقول : « هنا يوجد السلام والحياة والجمال ، وفوق كل شيء توجد المحبة . الجمال في كل مكان والمرح والمحبة . المحبة ... المحبة هي السماء ، فالله محبة، وعند ما تفقد نفسك في المحبة تجدد نفسك في الله ... إننا نرى الإثم والألم في عالمكم ونحاول أن نزيحهما جانباً ، ولكنهما لا يضايقاننا كما كانا يفعلان من قبل لأننا نرى الجانب الآخر . فلا يمكننا أن نشك في محبة الله لأننا نحميها فيها ، فهي أعظم شيء ، بل الشيء الحقيقي الوحيد في الوجود .

وما الآثام والألام في الحياة الأرضية سوى ظلال زائلة حتماً ، لكنها ليست خاصة بعالمكم ، ففي هذا الجانب أيضاً توجد آثام وتوجد آلام ،

هذه هي المحبة التي تصنع الإنسان ، وتجعل للحياة مغزى وهدف وتمنح للوجود قيمة وكرامة . لأن المحبة الإيجابية النامية أصل لكل سعادة واطمئنان ، ولكل تواضع ووداعة ، ولكل حكمة وعدالة ، ولكل تهذيب وإيثار ، بل لكل اجتهاد وإبتكار فهي أصل بالتالى لكل حضارة وتقدم وبغيرها يحل القلق محل السعادة ، والآثرة محل الإيثار ، والحقارة محل الحكمة ، والنزوة محل العدالة ، والشهوة محل العاطفة والوسواس محل الإلهام والمحبة لا تجيء من الأرض بل هي هبة السماء التي لا تنبعث من جمود العقل بل من تحرر العاطفة ، ولا تنبع من ظلام الجسد بل من إشراق الروح ، إذ إشراق الروح هو مصدر كل تضحية نبيلة ولذا كان الحب أقرب إلى قلب الناسك منه إلى عقل الفيلسوف ، وأقرب إلى قلب الأم منهما معاً وكانت اللجنة تحت أقدام الأمهات ، لا تحت أقدام الفلاسفة ولا الناسك

ولا تقف في طريق نمو المحبة عقبة كعقبة الأحقاد والضغائن ، ومن ثم كانت أعلى مراتب القدرة في الإنسان هي القدرة على الغفران ، وكان سحق الكراهية أفضل من سحق الأعداء ، وكان نسيان العدوان أقصر طريق إلى السماء على أن يكون النسيان حقيقياً صادراً من القلب لا محض تصنع وادعاء فمن يلحق ابنه أى مبدأ من مبادئ الكراهية إنما يدمر فيه المصباح الوحيد الذى يضئ له طريق الحياة ، وكفى في الطريق من ظلام ومن مخاوف ، وكفى فيه من وحوش ضارية يروضها الحب والحنان ، حين تغريها بالعدوان نظرات الخوف والكراهية . ولذا نجد الأرواح الراقية تدعو لغرس المحبة في قلوب الناس في حرارة وفي إلحاح لا يتوقف بوصفها حزام النجاة ووسيلة الخلاص في كل مكان وزمان . وهي في هذا الشأن لا تعرف أية تفرقة بين شتى الشعوب والأديان والألوان .

كما نجد أن فلسفة الروح تدعو بكل حرارة إلى الحب الإيجابي الطاهر الذى ينبغي أن يشعر به الإنسان نحو أخيه الإنسان ، ونحو الكون بأسره ونحو المهيمن على الكون قبل كل شيء آخر .

لا يجب أو من لا يقدر . ولأن كل إنسان يدرك هناك قيمته الخاصة على حقيقتها فإنه لا يظل يخدع نفسه كما كان يفعل على المستوى الأرضي ويضفي عليها فضائل زائفة من الخلق والذكاء قد يكون على النقيض منها ، ولا يظل يحاول أن يفرض على الغير الإيمان بتوافر هذه الفضائل الموهومة فيه .

أما الروح المكابرة العنيدة التي تظل على نفس حالها من الغرور ومن الخديعة فليس لها مكان في تلك المناطق العالية من عالم الروح . فالإنسان المتواضع القلب أقرب إلى الفضيلة وأسرع إلى الارتقاء من الغر العنيد ، حين يظل الأخير حتماً مصدر تعاسة لنفسه لسنين كثيرة ربما تطول إلى قرون ، فلا يبدأ في الشعور بأية سعادة حقيقية إلا إذا بدأ يشعر أولاً بعيوبه الخاصة ، وعندئذ يبدأ في الارتقاء التدريجي ، ومن هنا كان نداء سقراط الخالد للإنسان أن يعرف نفسه حتى يكون سعيداً .

ولذلك يصف علماء الروح الجنة والنار بأنهما بمثابة حالتين يعدهما الإنسان لنفسه في عالم الروح بسبب سلوكه في العالم الأرضي ، فإما ارتقاء إلى الطبقات العليا ، وإما انحطاط إلى الطبقات السفلى حيث يلتقي بمن هم على شاكلته فيخمرهم الجهل والظلمة ، وهناك يقاسون من عيوبهم الخلقية كالحسد والغضب والأنانية والكبرياء وحب إيذاء الغير — وذلك طبقاً لقانون التوافق هذا الذي نعر عنه بأن الطيور على أشكالها تقع ، حتى تتطهر الروح تدريجياً من هذه العلل الخلقية والنفسية .

في المحبة

وإذا كانت العلانية تمثل قانوناً أساسياً في الحياة الاجتماعية هناك ، والتوافق الروحي يمثل قانوناً ثانياً ، فإن المحبة تمثل قانوناً ثالثاً ، بل هي أعظم القوانين كلها وأسمها . والمحبة التي تتحدث عنها الأرواح الراقية هي المحبة النامية الإيجابية ، التي تنبعث من القلب لا من اللسان ، والتي يشعر بها الوجدان متدفقة تشع أضواءها كالشمس المشرقة إلى كل إنسان وفي كل مكان ، نابضة بالبر والعطف والحنان .

وإذا ما حاولنا بالمقاييس الأرضية أن نعى معنى هذه الرابطة الروحية التى تربط بيننا كأسرة واحدة نجد أن ذلك غير ممكن ولا مفهوم ...

فللحب الأبوى وظيفة رئيسية يؤديها على الأرض ، وهى وظيفة حيوية جداً فى مبدئها ، ثم تضعف شيئاً فشيئاً بقدر نمو الطفل وتعلبه الاعتماد على نفسه ، بل تضعع عندما يثور الشباب على الأبوة الأرضية ويتحداها ، ويتحمل بدوره دور الأبوة لطفل جديد . أما عندما يولد طفل جديد فى الممالكوت الروحية^(١) فهو يكون ابناً لله ، وتظل الأبوة أزلية وتتجمع فى نطاقها الأسرة الإنسانية برمتها التى تزداد تجمعاً . وتقوى أواصرهما حتى تشمل البشرية جمعاء فتصبح واحداً فيه .

ونحن لانفقد شيئاً فى عملية الانتقال سوى قيد صناعى كثيراً ما كان مزعجاً مثيراً لنا ، حين أننا نكسب الكثير . فمثلاً إن الرباط الذى يربط حالياً بينى وبين فاوون Vaone أوثق بكثير من رابطة الأم بولدها ، ولن نفسى مطلقاً ما كان بيننا من روابط متبادلة ، كل ما هناك أن الحاجز المادى قد تلاشى . وبما أن الحب الذى نعرفه أعظم وأجمل وأقوى من كل حب تخيلته حتى الآن ، فإن نصيبى الآن من الحب أكثر اتساعاً وإشباعاً من كل ما تخيلت أن حب الأمومة يمكن أن يؤول إليه . وإذا كان الفردوس قد أخذ منا شيئاً ، فهو قد أزال غشاوة كانت على عيوننا ، وقد عوضت باكتشاف أن أقصى ما كنت أتصوره لم يكن شيئاً بالنسبة لما أعده الله للذين يحبونه . ولقد تعلمت هذين الدرسين وفهمتهما فى نعيم القرب منها من جديد ، هذه التى طالما شقيت بسببها وكابدت^(٢) .

* * *

فليس من إلزام هناك على أى إنسان أن يعامل من يكره أو يعاشر من

(١) تقصد الروح ولادة الناس هناك بالوفاة هنا ، أى الميلاد الثانى للإنسان فى عالم الروح .

(٢) عن كتاب « الحياة الفردوسية » The Life Elysian من ٢٤ ، ٢٥ .

في التوافق الروحي

لذلك كله كان التوافق أو الانسجام الروحي هو — كما قلنا — الرابطة الحقيقية التي تجمع بين الناس هناك ، وكان انتفاؤه هو الأمر الذي يباعد بينهم . فهناك كما يقول سويدنبرج لا توجد صلة قرابة ولا مودة ولا صداقة إلا أن تكون صلة روحية تنبع من الحب ومن الضمير^(١) .

وفي هذا الصدد يتحدث الروح أفرار Aphraar المرشد للباحث المعروف الوسيط روبرت جيمس لين Robert James Lees قائلا : هناك مرحلة أسمى من غيرها وجديرة بالاعتبار ، تلك هي العلاقة الروحية بين روح وأخرى فإنها أسمى بكثير من أية علاقة يمكن أن يصل إليها اللحم والدم . فنحن لا نظل بعد في منطقة القيود متى وصلنا إلى الأبدية ، ففيها يكون الله هو الأب للجميع ، وكل الأمم البشرية أبناء وبنات متساوين أمام الواحد ، وهكذا تكون كل الأرض والسماء أسرة واحدة . وليست هناك أبوة على الأرض تداني هذه الأبوة السماوية ، إذ ليس للأبوة الزائلة أن تضاهي القوانين الأزلية ، ولا للسلطة المتنازع عليها أن تقارن بولاء الروح للروح الإلهية والتفاني في خدمتها .

فها كما قلت أسرة واحدة في السماء تجمع بين البشر من جميع الأجواء والألوان واللغات والشعوب في مرتبة واحدة هي مرتبة الأخوة تحت لواء أب واحد هو الله . أما روابط الدم ، مع كل ما يتعلق بها من فواصل وفروق فتترك عند منطقة الحدود ، أي عند القبر ، بينما تبقى كل علاقة روحية ، بل كل ذكرى عن علاقة روحية ارتبطنا بها في الأرض . وهي ليست علاقة من نوع علاقة الأم بوليدها ، بل قائمة على اتحاد بين روحين ، اتحاد يباركه الله الذي يبارك كل حب حقيقي ولا يسمح له بالانقصاص .

(١) المرجع السابق فقرة ٤٦ ص ٥١ .

وفي وصف علانية الحياة هناك تقول الروح جوليا Julia في إحدى رسائلها إلى وسيطها سير وليام ت . ستيد « إننا لا يمكننا أن نلبس أقنعة هنا كما نخفي بها أفكارنا ونوايانا التي في الصدور . فهذه كلها مكشوفة لكل من كانوا في نفس المستوى من المحبة ، وهذا أمر مقرر للتقدم . فابتداءً يوجد إحساس بالعرى بسبب فقد كل الماديات . وثانياً يوجد إحساس بالعرى بسبب فقد كل قناع وكل رداء يخفي الأخلاق الحقيقية .

نعم إن هذا الجانب من الحياة يشبه جنة عدن قبل السقوط في الخطيئة حتى بالنسبة لأولئك الموجودين في الظلمة الخارجية ، ولكنهم لأنهم ليسوا في النور فإنهم لا يشاهدون عريهم واضحاً تماماً . فنحن بالعرى نشبه آدم وحواء عندما أصابهما الخجل لما أدركا الحالة التي كانا عليها .

وإذا كانت محبة الله لا تسترنا برداء — يبدو كرداء العروس في يوم زفافها — لكان علينا أن نتمنى أن نظير بعيداً متوسلين إلى الصخور أن تسقط علينا كما تحجبنا عن عين الله وأعين رفقاتنا ، لأننا كلنا — كما تعلم — لنا مثلنا العليا التي كان ينبغي أن نصل إليها . وعندما نستبين مدى المفارقة بين الحقيقة وبين الرؤية التي أعطاها الله لنا كما نرى ذواتنا الحقيقية فإننا نقف مدانين أذلاء إزاءها ، ولكن المذلة هي بوابة المحبة ،^(١) .

وفي شأن علانية الحياة هناك يتحدث أيضاً سيلفر بيرش Silver Birch الروح المرشد لدائرة هان سوافر (نقيب الصحافة البريطانية) قائلاً : « لا يوجد كذب في عالمي لأنه لا يمكنك أن تخدع القانون ، فالقانون كالمرآة يعكس الواقع . إنه يهتك كل حجة وخديعة ويتركك عارياً ممزقاً لكل واحد كما يراك . الأنايون فقط هم الذين يخشونه ... »^(٢) .

(١) « بعد الموت » أو خطابات جوليا التي نشرها « نادى الكتاب الروحي » ص ١٤٧ .

١٤٨ . وراجع ما سبق عن هذه الروح ووسيطها في الجزء الأول ص ٢٣٢ — ٢٣٦ .

(٢) راجع ما سبق من هذه الروح ووسيطها في الجزء الأول ص ٢٤٦ .

إنسان أن يخفي تصرفاته أو يسترها بستر من الخديعة أو الرياء ، لأن ملكة قراءة الفكر أو التلبّاثي — وهي الوسيلة الطبيعية للتخاطب بعد فترة معينة — تكشف لكل إنسان عن نوايا أخيه وعن أفكاره الخاصة . وهي تمثل عقاب المنافقين وهي في نفس الوقت ثواب المخلصين ، وهي قانون طبيعي ليس للإنسان منه فكاك لأنها تشمل علانية التصرفات كما تشمل علانية الشعور والضمير ، بل علانية الحاضر والماضي أيضاً .

وهذه العلانية قانون من قوانين الحياة هناك ، وهنا أيضاً ، فإن إخفاء الأحاسيس والمشاعر الحقيقية حتى هنا يكاد يكون ضرباً من المحال . وإن نجح في أمر لفترة قصيرة ، فهو ليس أسلوباً ناجحاً من أساليب الحياة الراقية . وقد تبين أن أنجح السياسيين ورجال الأعمال هم أكثرهم صدقاً في إبداء مشاعرهم وإخلاصاً لها ، لأنها مشاعر إنسانية مشروعة لا ضغينة فيها ولا عدوان على حقوق الآخرين ... فلا يحتاج إلى تكبد عناء الإخفاء إلا من قد يضرر العداء للآخرين . وهو في النهاية يحجب نفسه عن الحقائق ، كما يحجب الحقائق عن بصيرته ، بينما تظهر نفسه عارية مشكوفة للآخرين ومشاعره ملبوسة منهم . وفي هذا المعنى قال الشاعر بحق :

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عاري
وفيه أيضاً قال زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه العلانية ليست مقصورة هناك على الآخرين ، بل تشمل الذات الداخلية أيضاً . فلا يعود الإنسان يرى عيوب الآخرين معلنة واضحة ويرى عيوبه الخاصة كما لو كانت فضائل واضحة مهما كانت جسامتها بسبب غشاوة الكبرياء . وهذه العلانية من مزاياها أنها تعاقب وتثيب ، كما أنها تعلم الناس قدراً من النساح مع الآخرين ، لأن من يكشف عيوبه الخاصة يتعذر عليه أن يكون قاسياً في حكمه على غيره ، ومن يعرف الناس على حقيقتهم قد يتليس لهم الأعداء ويتقبلهم على علائهم .

كل روح إلى المكان الذى تحدده لها قيمتها الأدبية ، ثم ترتقى كل منها تدريجياً بعدئذ ويختفى إلا كراه شيئاً فشيئاً ، ويدرك كل إنسان الناموس بغريزته ويخضع له . . .

وفى وصف ساسة بعض المناطق الراقية من ذلك العالم الآخر وحكامه يقول سويدنبرج « إن الحاكين هناك هم أكثر الناس اتصافاً بالمحبة وبالحكمة ، فهم يريدون الخير للناس بحسب محبتهم ، ويعرفون كيف يؤدونه بحسب حكمتهم . فهم لا يسودون ولا يأمررون ، ولكنهم يديرون ويخدمون ، لأن أداء الخير للآخرين بحسب المحبة هذه هى الخدمة ، وأما اتخاذ اللازم نحو أداء الخير فهذه هى الإدارة .

وهم بذلك لا يصطنعون العظمة لأنفسهم بل التواضع ، ويضعون نصب أعينهم خير المجتمع وخير القريب ، أما خيرهم فى المرتبة الأخيرة . . . ومع ذلك فهم يستحقون أبدأ المجد والكرامة . . . ولا يتقبلون هذا وذلك لأنفسهم بل للطاعة . . . » (١)

ثم يقارن سويدنبرج بين حكومات الفردوس وحكومات الجحيم ، قائلاً إنه « فى الجحيم توجد حكومات على عكس حكومات النعيم ، فكل شئ فيها ينتمى إلى حب الذات . وكل هناك يريد أن يفرض إرادته على الآخرين ويسودهم ، وتمتلىء نفسه حقداً على من لا يجاربه ، فينتقم منه ويعامله بوحشية ، لأن هذا هو قانون حب الذات . ومن ثم يختارون تابعيهم من الرؤساء من أكثر الناس شراً حتى يكفل الخوف منهم الطاعة لهم » (٢) .

العمومية أساس الحياة الاجتماعية

وأساس الحياة الاجتماعية فى المناطق الراقية من عالم الروح هو العلانية التامة ، فهى الأسلوب العادى للحياة اليومية ودستورها ، إذ لا يمكن لآى

(١) المرجع السابق فقرة ٢١٨ من ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق فقرة ٢٢٠ من ١٥١ .

العلاقات على ما يرام بين شعوب المستوى الواحد أو المستويات الراقية المتقاربة ، كما أن السياحة فيما بينها طليقة من كل قيد عند اتحاد المستوى والاهتزازي ، أو تقاربه. والأرواح التي في مناطق عالية يمكنها أن تنزل إلى مناطق أدنى للدراسة وللخدمة وللزيارة ، حين أن الأرواح التي في مناطق دنيا لا يمكنها الارتقاء إلى المناطق العليا ، إذ تمنعها قوانين طبيعية للاهتزاز أو للترنم مع البيئة التي تناسبها لا تشبه في شيء الحواجز التي اصطنتتها السياسة وتاريخ الدول على المستوى الأرضي .

والحروب الدموية غير معروفة هناك إلا أن الصراع بين الشر والخير ، وبين التخلف والتقدم ، وبين الجمود والتطور ، له مكانه هناك متخذاً أساليب عقلية وروحية تنتهي أبداً بانتصار الخير على الشر مهما طال أمد الصراع^(١).

عن أنظمة الحكم

أما عن أنظمة الحكم فإن مشكلات السياسة المعروفة على المستوى الأرضي لا وجود لها هناك على نفس الصورة التي نعرفها ، لأن أنظمة الحكم محكومة في المناطق الراقية بقوانين طبيعية نفاذة تعطي لكل إنسان مكانه الجدير به بحسب مدى نضجه الخلق والعقلي . فلا دخل في ذلك لما قد يبدو لنا أنه حكم المصادفة^(٢) ، ولا لانهجالات الجماهير .

إذا تقول روح ج . د . د . توماس J . D Thomas في مؤلف للبحاثة

ميشيل ساج M. Sage عن «الصعود الكوني» L'Ascension Cosmique ويحتل سلطان الغوغاء لديكم مكاناً كبيراً بكل ما قد يتصل به من أسباب القوة كالسياسة والحرب . فعالمكم عالم مضطرب تتلاطم فيه أمواج الشر والخير معاً . ولكن الشر يتفصل عن الخير منذ صبيحة اليوم التالي للموت وتنتجـه

(١) وردت في الكتاب المقدس هذه الآية : « لأن محاربنا ليست مع لحم ودم بل مع جود القمر الروحية التي في السماوات » .

(٢) إذ لا يعترف علم الروح بأن في الوجود شيئاً اسمه « المصادفة » ، بل إن كل حادثة عبارة عن نتيجة مبنية على مقدمات معينة انتهت إليها بحكم الارتباط المحتوم بين المقدمات والنتائج .

عديدة يمكننى أن أقول وأن أؤكد أن الملائكة من ناحية شكليهم كالادميين تماماً من حيث الوجه والعينين والأذنين والصدر والذراعين واليدين والقدمين، وأن بعضهم يشاهد البعض الآخر كما أنهم يتبادلون الاستماع والحديث، وبالتالي لا ينقصهم شيء على الإطلاق عما يشكل بفي البشر إلا أن أجسادهم ليست مادية... (١).

والإجماع في العلم الروحي هو على أن الأمر الذي يجمع بين الأمم والشعوب في منطقة مشتركة أو في «قارة روحية»، واحدة هو قانون التوافق أو التشابه في الاخلاق والميول والاتجاهات وبالتالي في الأشكال، دون أن يكون لوحدة العقيدة أو المذهب من تأثير في هذا الشأن، إلا بقدر ما قد يؤدي أو لا يؤدي إلى تشابه في العواطف والمشاعر بين أبناء البيئة الواحدة، أو تفاوت فيما بينهم على نحو قريب عما نشاهده على المستوى الأرضي.

وفي هذا الشأن سأل الأسقف تويديل (بجلسة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٧) روح الموسيقار شوبان قائلاً: «هل يمكن للأجناس الملونة أن تختلط بالجنس الأبيض في عالم الروح؟»، فأجاب شوبان «نعم يمكنهم أن يندمج بعضهم في البعض الآخر بحسب أذواقهم كما اندمج الشرق مع الغرب في عالمكم»، فأردف تويديل متسائلاً: «لكن مع جواز اختلاط بعض الشعوب ببعضها الآخر هل يحتفظ كل شعب بكيانه في إقليم خاص به؟»، فرد شوبان «نعم لكل جنس إقليمه الخاص، ثم أضاف متهاكماً «فهي ليست انجلترا الصغيرة، ويعلق تويديل على هذه العبارة الساخرة قائلاً إن شوبان يشير إلى الفكرة السائدة عند بعض الانجليز المتزمتين من ذوى العقول الضيقة من أن الساء عبارة عن امتياز خاص للانجلوسكسونيين» (٢).

ولكن مع وجود أمم وشعوب متعددة تعدداً لا نهاية له هناك فإن

(١) المرجع السابق فقرة ٧٥ من ٦٩.

(٢) «أبناء من العالم الآخر» المرجع السابق ص ٣٣٩.

(م ١٠ — الإنسان روح: ج ٢)

وإذا مضى على حياتنا الروحية عدد من القرون يوازي قدر ما يكتب على طول خط الاستواء فإنه ينقضى هذا العدد الجسيم والنفس كأنها ولدت اليوم . وإذا أضفنا إلى العدد المذكور سلسلة أخرى للأعداد . ممتدة من الأرض إلى الشمس وأكثر ، فإنه ينقضى هذا العدد الذى لا يدرك قياسه من القرون والنفس لا تتقدم (فى الزمن) يوماً واحداً إلى الأبدية ، ذلك لأن الأبدية لا حد لها ولا قياس ، ولا يعرف لها بداية ولا نهاية ، فإذا كانت القرون كلها لا تعد ثمانية بقياس الأبدية فإلى أهمية عمر الإنسان على الأرض ؟ (١)

المبحث الخامس

فى الحياة الاجتماعية هناك

يعيش الناس فى عوالم ما وراء المادة فى شكل أمم متشابهة إلى حد ما فى ميولها واتجاهاتها وأخلاق بنيتها على نفس النحو المعروف على المستوى الأرضى ، وإن كان التشابه هناك أكثر منه هنا ، وفى هذا الشأن يقول سويد نبرج « إن كل أمة تحمل فى وجوه أبنائها وفى أعيانهم نوعاً من الشبه المشترك به تتميز كل أمة عن الأخرى وكل أسرة عن الأخرى . وذلك ما يتوافر بالأكثر فى السماوات حيث تظهر على الوجه وتلمع جميع العواطف الداخلية ، إذ الوجه هو الشكل الخارجى المعبر عن العواطف ، وليس من الممكن فى السماء أن يحمل الإنسان وجهاً يغير عواطفه ومن ثم فالوجوه تختلف هناك بحسب نوع مشاعر الخير والجمال التى قد تغذى أصحابها (٢) . »

وما يصدق فى ذلك على البشر يصدق على الملائكة أيضاً ، إذ يقول نفس الوسيط الفيلسوف فى مكان آخر : « بحسب التجربة التى أعطيتها منذ سنين

(١) راجع الرسالة برمتها فى « كتاب الأرواح » ص ١٥٩ — ١٧٩ .

(٢) للرجع السابق فقرة ٤٧ ص ٥٢ .

بسرعة الشرارة الكهربائية . . فبعد طيراننا بثوان قليلة لا تعود الأرض تتراعى لنا إلا ككوكب حقير ضعيف النور جداً ، وبعد قليل تتوارى عن نظرنا بالكلية . على أنه لا يمضى على سفرنا إلا دقائق قليلة إلا ونكون قد تأينا عن الأرض ملايين في ملايين من الفراسخ ورأينا ألوفاً في ألوف من العوالم ، ولكن لدى التحقيق نكون لم نخطُ بعد ولا خطوة واحدة في الكون . وإذا استقام سفرنا أجيالاً وألوفاً وملايين في ملايين من العصور والدهور فإننا لا نكون مع ذلك قد خطونا خطوة في طريقنا . وذلك إلى أى صوب اتجهنا وإلى أية نقطة انتحينا من تلك الذرة الحقيرة التى بارحناها وأنتم تدعونها أرضاً ، هذا ما عندي من تعريف للفضاء .

وأما الزمان فهو كالفضاء لفظه معبرة بنفسها غنية عن التحديد . وقد يسوغ أن ندعوه تعاقب الأشياء بالانهاية . فلنتصورن أنفسنا فى بدء عالمنا أى فى عصر بدأت فيه الأرض تتبختر تحت النفحة الإلهية وبرز الزمان من مهد الطبيعة السرى . فقبلها كانت الأبدية سائدة ساكنة والزمان يجرى بجراه فى عوالم أخرى . ولما برزت الأرض إلى حيز الوجود استبدلت فيها الأبدية وأخذت السنون والقرون تتعاقب على سطحها حتى اليوم الأخير . أى ساعة أن تبلى الأرض وتمحى من سفر الحياة . ففى ذلك اليوم تتعاقب الأشياء وتزول الحركات الأرضية التى كانت مقياساً للزمان أيضاً .

فينتج من هذا أن الزمان يتولد من تولد الأشياء وينقضى بانقضائها ، وهو بقياس الأبدية كنقطة سقطت من عباب الجو فى البحر . فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم . وخارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها وتملأ بضياؤها فلوات الفضاء التى هى غير محدودة . ففضاء لا حد له وأبدية لا قرار لها هما الخاصيتان العظيمتان للطبيعة العامة . وإذا كان الزمان يمثل تعاقب الأشياء الزائلة ومقياسها فإننا إذا جمعنا ألوفاً فى ألوف من القرون والأحقاب لا يكون هذا العدد إلا نقطة زهيدة فى الأبدية ، كما أن الألوف فى الألوف من الفراسخ تعد نقطة حقيرة فى الفضاء .

الروح وما وراء الروح موضوع مدى إمكان التنبؤ بأحداث المستقبل .
وفي هذا الصدد يذكر الأديب البلجيكي موريس مازلنك Maurice Maeterlinck في مؤلفه عن «الموت»^(١) أنه في جلسة روحية تلقى سير وليام ستيد W. T. Stead نقيب الصحفيين البريطانيين (١٨٤٩ - ١٩١٢) نبوءة محددة عن مصرع الملك اسكندر ملك الصرب وزوجته الملكة دراجا بكل تفاصيلها ، وقد ثبت ذلك في محضر هذه الجلسة وعليه توقيع حوالي ثلاثين شخصاً من الحاضرين . وفي اليوم التالي مباشرة توجه سير ستيد لمقابل سفير الصرب بلندن راجياً منه أن ينبه الملك إلى الخطر الذي كان يتهدهده ، فلم يأبه السفير التحذير ولم يعره اهتماماً ، وبعد بضعة شهور تحققت النبوءة بحذافيرها .
وهذه واحدة من نبوءات عديدة أمكن إثبات تحققها في نطاق علم الروح الحديث ، بغير أن تنفى أن احتمال الخطأ هنا أكثر من احتمال الصواب وأن الأرواح غير الراقية قد تعتمد في أحوال كثيرة إلى إلقاء نبوءات مكذوبة من باب التخمين أو السخرية من بعض الحاضرين ، بعد أن تقرأ ما قد يحول بأفكارهم إمعاناً منها في السخرية وفي التضليل .
وكل هذا الموضوع — موضوع مدى إمكان التنبؤ بالمستقبل ، أو بالأحداث البعيدة — جزء لا يتجزأ من موضوع فهم معنى الزمان والمكان بالنسبة لحقيقتيهما في الطبيعة ، وبالنسبة لهما في عقل الإنسان وحواسه .

روح جاليليو تحدث عن الزمان والمكان

هذا وقد حاولت روح جاليليو العالم الفلكي المعروف (١٥٦٤ - ١٦٤٢) أن تشرح معنى الزمان والمكان لأعضاء «الجمعية الروحية بباريس» في سنتي ١٨٦٢ - ١٨٦٣ فأملت محاضرة عميقة تقع في حوالي عشرين صفحة قام بترجمتها بالكامل المرحوم الشيخ طنطاوي جوهرى في مؤلفه «كتاب الأرواح» . وفيها تقول الروح :

«الفضاء لا حد له . . . وإن شئنا أن نمثل في ذهننا المحدود عدم تنامي الفضاء فلنتصور انفسنا طائر من الأرض نحو إحدى جهات الكون

وسائل القياس المادية التي لدينا . وهى فى غير حاجة إلى قياسهما باستمرار كما نفعل نحن فى عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة . وقد تلجأ إلى محاولة قياس الزمن فى الماضى أو المستقبل بحسب أقيستنا إذا طلب منها ذلك أحدهم سكان الأرض لتحقيق موضوع معين ، أو لتعرف تاريخ واقعة معينة بحسب تقاويمنا الأرضية وهى قد تصيب فى ذلك وغالباً تخطئ ، وقد يكون خطأها جسيماً أو يسيراً .

وهذه الحقيقة تملل الكثير من أخطاء الأرواح وتنفى عنها قدرة معرفة المستقبل على وجه مطلق ودقيق ، كما قد يتصور البعض خطأ . فالمستقبل بالنسبة لها مجهول تماماً والتنبؤ بأحداثه ليس أكثر من توقع أمر له مقدماته التى تؤدى إلى نتائج المحتملة والتى قد تتحقق أو لا تتحقق بحسب الأحوال ، كما نفعل نحن بالضبط . غاية ما هنالك إن بعضها قديم لك من عناصر التوقع الصحيح أكثر مما نملك منها فى المألوف من الأمور ، ولاطلاعها أحياناً على حقائق عن الحاضر قد نجملها ، ولا تنفاه قيود كثير تعوق صحة تقدير اتنا خصوصاً عندما تكون الروح على درجة كافية من نضج العقل وكثيراً ما تفضل الروح الناضجة العقل عدم القيام بأية محاولة للتنبؤ أو لتوقع أحداث معينة مستقبلية رعاية لاعتبارات معينة تفهمها هى تماماً حتى وإن عجزنا عن فهمها ، وترى أن فى ذلك مصلحتنا الحقيقية .

وذلك لا ينفى فى نفس الوقت قدرة بعض الأرواح الراقية على التنبؤ أحياناً بنبوءات صحيحة عن المستقبل ، قد تبدو لها أحياناً كما لو كانت أحداثاً ماضية أو حاضرة ، لأن الزمن كما قلنا غير موجود هناك بحسب المعنى الأرضى . كما لا ينفى ذلك أن هناك أرواحاً قد تعتمد أحياناً إلى إخبارنا عن هذه الأحداث قبل وقوعها — بغير استبعاد احتمال الخطأ . وقد عرف التاريخ نبوءات معينة عن أحداث مستقبلية سجلها ثقة ، صدق بعضها ولم يصدق البعض الآخر (١) ، ولذا كان من ضمن موضوعات البحث الهامة فى نطاق علمى

(١) راجع فى هذا الموضوع . مؤلفاً للأستاذ أحمد الشنتاوى عن « التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً فى مجموعة » اقرأ « عدد سبتمبر ١٩٥٩ . و « علم الغيب فى العالم القديم » من وضع شيمرون . ترجمة وتعليق الدكتور توفيق الطويل الأستاذ بجامعة القاهرة .

وقت معين، لأنها — كما قلنا — في عالم غير زمانى Timeless وفي نفس الوقت غير مكاني Spaceless بحسب تعبيرها .

ومن ثم كان الفارق بين عالم المادة وعالم الروح — في طبيعتهما — فارقاً في « الحالة » أكثر منه فارقاً في المكان أو الزمان . أو بالأدق هو فارق في قدرة الحواس على الإحساس أكثر منه فارق في مكان الطبيعة غير المحدود أو في زمانها اللانهائي . وفي هذا الصدد يتحدث إمبراتور Imperator وهو من الأرواح المرشدة للأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن قائلاً : إن التغير من عالمكم إلى عالمنا تغير في الحالة Condition . إذا ولد إنسان أعمى فلا يمكنه أن يفهم ماهو الضوء ، ولكنه إذا حصل على قدرة الإبصار فتكون قد تغيرت حالته State لا مكانه ، وكذلك عندما نقون عنكم جسديكم المادى ، فلن تكونوا قد غيرتم مكانكم بل حالنكم ،^(١) .

هل الأرواح تعرف المستقبل ؟

ففيهم معنى المكان والزمان هناك — وهما مرتبطان معاً ارتباطاً لا يقبل انفصاماً كما قلنا — يحتاج إلى قدرة خاصة على تصور الأمور التي تغاير تماماً أمور حياتنا الراهنة ، وتغاير تماماً ما ألفته حواسنا في حالتها الحاضرة . وإذا كان قياس الزمان أو المكان هنا لا يثير صعوبة تذكر خصوصاً بعد استخدام وسائل القياس المادية للوقت والمسافة ، فإن الأمر هناك جد مختلف لانعدام الإحساس بالزمان والمكان منفصلين ، وظهور الإحساس بالحالة بدلاً منهما . فإذا طلبت من أى روح أن تحدد لك مثلاً موقع مدينة أو منزل هناك فقد طلبت منها أمراً محالاً^(٢) ، وكذلك إذا طلبت منها أن تحدد لك زمن واقعة معينة من وقائع عالم الروح أو المادة ما لم ترتبط هذه الواقعة « المادية » بأقيسة المكان أو الزمان المعروفة عندنا .

فهى تحدد في قياس الزمان والمكان معاً صعوبة كبرى لأنه ليست لديها مثل

(١) من مؤلفه « تعاليم أخرى للروح » وراجع ما سبق عن موزس في الجزء الأول من ٢٦٢ و ٢٦٤ .

(٢) راجع ما سبق في الباب الأول من هذا الجزء عن « موقع عالم الروح » من الناحية الاهتزازية وهو يصدق على موقع أى مكان فيه ، فهو موقع اهتزازى .

بل هي فينا هنا ومنذ الآن ، تنبع من نفوسنا وتنبع منها نفوسنا نبعا صحيحاً
حياً قوياً ، وليست مجرد سراب يظهر من وراء الفضاء ...

ولذا تقوى الروح وتنمو مع مرور الزمن ، أما الجسد — وهو ذو أبعاد
ثلاثة لحسب — فهو يضعف ويضمحل بعد بلوغ النضج الكامل بتأثير الزمن
وحده . وبالتالي فإن الدوام صفة تمثل للجسد المادى معنى مغايراً تماماً
لمعناها بالنسبة للروح . فدوام الجسد ضعف وضمحلل ، أما دوام الروح
فنضج في العقل وفي الفضيلة ، ونمو في الوعي وفي الملكات . ومصدر هذا كله
أن طبيعة الزمن بالنسبة للجسد المادى المتحلل غير طبيعة الزمن بالنسبة للجسد
الائيرى الذى يحمل الروح ويستمد منها الشعور بهذا الزمن ، وبالتالي الشعور
بالحياة أزلية متجددة غير قابلة للضعف ولا للفناء ، بل حرة صاعدة على
نقيض المادة الهابطة المقيدة كما لاحظ برجسون في « التطور الخالق » .

ومن عجب أن هذا الذى وصل إليه أينشتين عن طريق الرياضنة ووصل
إليه برجسون عن طريق الفلسفة في القرن العشرين وصل إليه سوينبرج عن
طريق الإلهام منذ منتصف القرن الثامن عشر وكتب فيه في مؤلفه « الجنة
والنار » (١٧٥٨) . وفيه يقرر ما ملخصه أنه « في السماء لا توجد سنون ولا أيام
بل تغيرات في الحالة ، وحيث توجد سنون وأيام يوجد زمن ، وحيث توجد
تغيرات في الحالة توجد حالات » . كما يقول في مكان آخر « رغم أنه توجد
في السماء مسافات كما توجد على الأرض ، لكنهم لا يقدرونها بوسائل القياس
التي نعرفها ، بل كل شيء يقدرونه بحسب الحالات الداخلية لأصحابها (١) » .
فلا غرابة إذا وجدنا الأرواح الراقية تعلن أنها تحيا في عالم زمكانى ، أى
ذى أبعاد أربعة وهي الطول والعرض والارتفاع والزمن ، وأنها لذلك تشعر
بالأكثر أنها في الحاضر ، دون أن ينفي ذلك تماماً إحساسها بمرور الزمن ،
فهى في حالات معينة بحسب تعبير بعضها أكثر منها في مكان معين أو في

(١) « الفردوس والجحيم » ترجمة فرنسية بمعرفة L. J. François نقرة ١٦٣ ص ١٢١
ونقرة ١٩٨ ص ١٣٨ . وراجع ما سبق عن هذا الوسيط الفيلسوف في الجزء الأول
ص ٩٩ — ١٠٢ .

ويترجم اخصائيو علم الأرواح ظواهر معينة بأنها دليل على حياة الشعور بعد الموت . فالوسيط يعتقد أنه مسكون بروح الميت ، وقد يكشف للقائمين بالتجارب عن بعض تفاصيل لا يعرفها إلا الميت فقط ولا تلبث دقتها أن تثبت فيما بعد . ويقول بروض (فيلسوف معاصر وأستاذ بجامعة كمبريدج) إن في الامكان ترجمة هذه الحقائق على أنها دليل على بقاء عامل روحى لا العقل ، قادر على تزريع نفسه مؤقتاً في جسم الوسيط . ثم يقول كاريل إن النتائج التى حصلنا عليها من تجارب علم « تحضير الأرواح » ، على جانب عظيم من الأهمية ، ولكن معناها ليس دقيقاً (كتب هذا الكلام حوالى سنة ١٩٣٥) . (١)

كما يلاحظ برجسون الفيلسوف أن الحياة أقرب إلى عنصر الزمان منها إلى عنصر المكان لأنها عبارة عن حركة دائبة لا تعرف الاستقرار ، ولأن أقوى ملكات الحياة وهى ذاكرة الإنسان عبارة عن زمن مخزون ، وكذلك الغرائز الحيوانية فى بعض صورها وأحوالها ، كما لاحظ أيضاً أن عقل الإنسان أدرى بحقائق المكان لكنه لا ينفذ إلى صميم الحركة الزمانية إنما يصل إليها بالحدس *intuition* أو بالبداهة وحدها لأنها أرقى صور الوعي والإدراك عنده .

الزمن مهالة ذهنية

فليس للزمان إذا من كيان خاص به بعد أن أصبح من خصائص المادة لأنه البعد الرابع فيها ، فهو حالة ذهنية قبل أن يكون حقيقة قائمة بذاتها . والمستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضى ، ولذا فإننا فى كل لحظة نقتطع جزءاً من المستقبل ونضمه إلى الماضى فلا ينقص هذا ولا يزيد ذلك لأن كلا منهما لانهائى . ولكن الحقيقة الكونية - فى النهاية - هى أن الزمان عبارة عن حالات متنوعة فى المكان ، وخيوط داخلية فى تكوين المادة الصلبة كما هى داخلية فى تكوين مشاعرنا التى تشعر بها أرواحنا . فهو من داخلنا ، أو هو بالأدق هو حالتنا النفسية وحدها . . . وإذا كانت الأبدية فى كل مكان ، فهى من حولنا ،

وعلاوة على ذلك ، فإننا نعلم أن البصر المغناطيسى قد يكتشف أشياء مخبأة على مسافات بعيدة ، فبعض الأشخاص يرون حوادث وقعت فعلاً في الماضي ، أو ستقع في المستقبل . ويجب أن نلاحظ أنهم يدركون المستقبل بالطريقة التي يدركون بها الماضي ، ولكنهم يعجزون أحياناً عن تمييز المستقبل من الماضي ، مثال ذلك أنهم قد يتحدثون في حقيقتين مختلفتين عن حقيقة واحدة من غير أن يرتابوا في أن الرؤية الأولى تتعلق بالمستقبل والآخرى بالماضي ، إذ يبدو أن وجوهاً معينة من نشاط الشعور تسافر فوق الفراغ والزمن .

وتختلف طبيعة الزمن تبعاً للأشياء التي يفكر فيها عقلنا . فالوقت الذي تلاحظه في الطبيعة ليس له كيان منفصل ، إنه فقط طريقة لإيجاد الأشياء الصلبة . فنحن أنفسنا نبتدع الزمن الحسبى ، إنه تكوين عقلى . . خلاصة لازمة لإنشاء العلم . ونحن نقارنه بسهولة بخط مستقيم تمثل كل لحظة متعاقبة فيه بنقطة . ولقد استبدلت بهذا المستخلص منذ أيام جاليليو معلومات قاطعة جاءت نتيجة للملاحظة الأشياء ملاحظة مباشرة .

لقد كان فلاسفة القرون الوسطى يعتبرون الزمن عاملاً يكسب الجوهر صلابته ، وهذا الرأي مماثل إلى حد بعيد رأى منكوفسكى أكثر مما يماثل رأى جاليليو ، إذ كانوا مثل منكوفسكى وأينشتين وعلماء الطبيعة العشرين يعتبرون أن الزمن غير قابل للفصل عن الفراغ . .^(١)

ثم يقول كاريل « يوجد في أفراد معينين عنصر روحى قادر على السفر في الزمن ، فقد ذكرنا فيما قبل أن البصر المغناطيسى يرى ليس في الحوادث السحيقة الاتساع فقط ، ولكن أيضاً أحداث الماضي والمستقبل فيبدو كأنهم يجولون بسهولة في الزمن والاتساع ، أو يهربون من العالم المادى ليتأملوا الماضي والمستقبل كما تستطيع ذبابة أن تتأمل صورة إذا لم تسر على سطحها ، وإنما عند ما تطير على بعد قليل فوقها .

ويقودنا الحديث عن حقائق التسكهن إلى عتبة عالم مجهول . . . ويبدو أنها تشير إلى وجود مبدأ روحى قادر على الانتشار خارج حدود أجسامنا .

(١) « الإنسان ذلك المجهول » الترجمة العربية للأستاذ عادل شفيق ص ١٢٨ — ١٣٢ .

قيمة ، ينبغي أولاً أن نأخذ في الاعتبار الحقائق المشاهدة . ثم تتنبأ النظرية بشيء ما كنتيجة مترتبة عليها ، ويجب أن يتحقق هذا التنبؤ . ولقد أثبتت نظرية النسبية وجودها بالتنبؤ بأشياء أثبتت التجارب فيما بعد صحتها . وعلى الرغم من أن بعض الأمور التي نقرأ عنها في نظرية النسبية قد يكون له وقع الرأى غير المألوف للغاية إلا أنه يجب أن نتذكر أننا بصدد شيء أعمق . وإن ذلك كله يبدو غريباً ولكن لقد تحققت جميع تنبؤات نظرية النسبية في العمل ، وتقع أهمية تلك التنبؤات بالنسبة لعلم الفلك في أنها أعطت كلاماً محدداً عن كيفية سلوك الزمان والمسافة في رحبات الكون العظيمة (١) .

وعن طريق الحقائق الرياضية الضخمة التي تكشف عنها نظرية النسبية أمكن فهم الكثير من بيانات الأرواح عن وصف عالمهم غير المادى والتي أخذت تتدفق في غزارة منذ منتصف القرن الماضى ، كما أمكن الربط العلمى بين هذه البيانات وبين حقائق النسبية هذه . بل عن طريق نظرية النسبية أمكن اكتشاف عالم الروح رياضياً بعد إذ تم اكتشافه معملياً عن طريق بحوث الظواهر الواسطية .

بعض الأقوال في الزمن والروح

وفي هذا الشأن نجد الدكتور السكيس كاريل العالم الفسيولوجى الحاصل على جائزة نوبل في سنة ١٩١٢ يقول ولقد وجد الزمن متحداً مع الفراغ في الطبيعة . . . إنه جانب ضرورى للكائنات المادية ، إذ ليس هناك شيء صلب له ثلاثة أبعاد اتساعية فقط . . ومع أننا قادرون على أن ننشئ في عقولنا كائنات تامة الوصف بداخل الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) إلا أن جميع الأشياء الصلبة أربعة أبعاد . . والإنسان يمتد في الزمن والفراغ معاً . أما التفكير فلا يدخل في الزمن والفراغ . ولا يأتى النشاط الأدبى والشعور بالجمال في الدوام المادى بنوع خاص .

(١) فى مؤلفهما Challenge Of The Universe الذى ظهر فى سنة ١٩٦٢ .
ترجمة الدكتور سيد رمضان هداوة تحت عنوان « أسرار الكون » .

أو بالأدق في حالة مركبة من الإحساس بالسعادة وبالشقاء معاً ، كما توجد في حالة مركبة من الإحساس بالزمان والمكان مندمجين معاً ، ناجمة من تحول حواس الإنسان بعد تحررها من اعتقال الجسد المادى من القدرة على الإحساس بالأبعاد الثلاثة إلى القدرة على الإحساس بالأبعاد الأربعة الأنفة الذكر مندجمة معاً ، وهى الطول والعرض والارتفاع والزمن .

وبالتالى يظهر لهم عالمهم « زمكانيا » بحسب تعبير نظرية النسبية أى مكوناً من زمان ومكان مجتمعين معاً ، فيبدو لحواسهم عالماً غير زمانى Timeless وفى نفس الوقت غير مكانى Spaceless . وكلما ارتقت الروح كلما نما فيها هذا الإحساس بالحالة الزمكانية ، وكلما اقتربت من المستويات المادية للوجود كلما ضعف فيها هذا الإحساس حتى ليبدو لها إحساسها بالزمان والمكان غير مختلف كثيراً عن إحساس الأرضيين بهما . بل إن بعض فروض علم الروح الحديث قد يميل إلى افتراض عوالم أخرى مرتفعة قد تكون خماسية أو سداسية الأبعاد لا يندمج فيها بحسب المسكان مع الزمان ، بل قد يندمج فيها أيضاً الماضى مع الحاضر مع المستقبل .

ونظرية النسبية هى التى قربت إلى الأفهام المعاصرة حتى عند أعلام الرياضيين ذوى السمعة العالمية من أمثال ج . و . ديون Dunne حقائق عالم الروح وربطتها بما نعلمه عن حقائق عالم المادة^(١) ، وهى تلاقى الآن قبولاً ضخماً فى الرياضة المعاصرة . وقد قال فى وصفها الرياضى المعروف سير جيمس جينز James Jeans إنه « ما من تجربة أجريت حتى الآن بقصد اختبار نظرية النسبية إلا وكانت النتيجة فى صالحها ، لهذا لا يتردد العلماء اليوم فى قبول كل من النظرية ونتائجها... »^(٢)

كما قال فيها أيضاً الأستاذان ألن هاينك Allen Hynek ونورمان أندرسون Norman D. Anderson « كما تكون النظرية العملية ذات

(١) وبخاصة فى مؤلفه An Experience With Time

(٢) فى مؤلفه « النجوم فى مسالكها » ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى .

القاهرة ١٩٦٢ ص ١٥٢ .

المبحث الرابع

في الزمان والمكان هناك

لا تختلف نظرية الزمان والمكان هناك شيئاً عنها هنا ، لأن الكون كله رغم فرط اتساعه وحدة لا تتجزأ ، لكن الإحساس بهما هناك يختلف تماماً عن الإحساس بهما هنا .

هذا البحث بنظرية النسبية

وينبغي أن نعلم - ابتداء - أن الرياضيات الحديثة توصلت إلى معرفة أن الزمان والمكان لا يعتبران شيئين منفصلين . إذ تتوقف قيم الطول والزمن والكتلة على السرعة النسبية للأشياء طبقاً لنظرية النسبية كما وصل إليها أينشتاين Einstein أبو الرياضة الحديثة ، وفيها تختلف بديهيات هندسة الزمان والمكان في الطبيعة اختلافاً بيناً عن البديهيات العتيقة كما افترضها إقليدس وغيره من الرياضيين القدامى .

ونحن في المستوى المادى نشعر بالزمان منفصلاً عن المكان لمجرد أن المستوى المادى مكون من ثلاثة أبعاد فحسب وهى الطول والعرض والارتفاع ، وللمجرد ارتباط حدود هذه الأبعاد الثلاثة بقدرة الحواس المادية ذات الأبعاد الثلاثة بدورها ، أو بالأدق بقدرتها المقيدة بالإحساس بهذه الأبعاد الثلاثة منفصل كل منها عن الآخر من جانب ، وعن فكرة الزمن من جانب آخر .

أما العالم وراء المادى فهو مكون من أبعاد أربعة وهى الطول والعرض والارتفاع والزمن مجتمعة معاً ومتداخلة بحيث يتلاشى الإحساس بالزمان في الإحساس بالمكان ، ويتلاشى المكان في الزمان كما يتلاشى اللون الأسود في اللون الأبيض فينشأ عن امتزاجهما معاً ظهور لون آخر جديد هو اللون الرمادى . وكذلك ينشأ عن امتزاج الزمان والمكان معاً ظهور لون آخر جديد من الإحساس بالحياة يمكن أن نسميه لون « الحالة » .

والنفس توجد هناك في حالة معينة من الإحساس بالسعادة أو بالشقاء ،

لأنها بالرغم من سيرها على نفس الوتيرة ، فإنها تحوى شيئاً كثيراً من الغبطة المعنوية ، فهل هذا واضح ؟ إذا وضع هذا فطبقوه بنفس الطريقة على كل شخص آخر من بنى الإنسان ، (١) .

وعن فن التمثيل يتحدث من هناك الممثل المعروف ليونيل باريمور عن طريق وسيط الصوت المباشر لزللى فلنت Leslie Flint (٢) قائلاً : «مازلت ميالاً للتمثيل ، لدينا دلو ، على حد تعبيركم وكل شيء نعمله هنا له دافع وهدف . كل تمثيلياتنا هادفة ولها مغزى ... فنلاً لدينا تمثيليات قد تسمونها خلقية ، ولا أقصد بذلك أنها ثقيلة أو عملة ، بل إنها لذيذة ومسلية ... كل شيء نفعله هنا ينبغي أن يصدر عن القلب وأن يتم بإخلاص ، فالتمثيلية التي تؤديها نحاول أن نساعد بها شخصاً على أن ينهض . وأن نفسر له لم قد وضع في ذلك الموقف ...»

وقد تخلصنا تماماً من جميع الأشياء القديمة التي كانت تقيد أفكارنا أو تحد من أفقنا . وكل الناس يجدون هنا عملاً مسلياً . فبعضهم يصنع الملابس الجميلة وبعضهم يصمم المناظر لتمثيلياتنا . . ومنهم من يلحن الموسيقى الرائعة . لقد سمعت موسيقى هنا لم تسمعوها على الأرض . فريق الأوركسترا مكون من عدة مئات من الناس كل منهم فنان بمعنى الكلمة . وهنا ألحان جديدة رائعة جداً يتعذر على وصف روعتها لكم وعند ما تعزف الموسيقى هنا يصبح الجو مملوئاً بالأنوار الملونة . . . ما أبدعه من منظر . . .

ولو أن مسرحنا يشبه مسرحكم من ناحية السقف والأرضية والستائر المزينة إلا أن لدينا أيضاً مسارح في الهواء الطلق تمثل فيها الروايات الضخمة ، وأيضاً تلك المسرحيات القديمة ، ويساهم فيها الفنانون من الرجال والنساء في الكتابة والإخراج والتمثيل . . .

(١) «مبت يتكلم» المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٦ .

(٢) لولى فلنت وسيط معروف للصوت المباشر كان يعقد جلساته غالباً في كينجزواى هول منذ سنة ١٩٤٦ أمام عدة آلاف مستمع تحت إشراف مارشال الطيران لورد دودنج (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول ص ٣٨٩) .

وهو كلما صرف وقتاً أكثر في أحد بيوت الموسيقى هنا ، وهو الأمر الذى لا بد فاعله مادام قد عاش معيشة موسيقية ، وجد أن معرفته وقدرته تنموان نمواً مدهشاً . كذلك الحال مع المولع بالمطالعة فإنه يشبع هنا كل رغبته فيما يحده من التسميلات ، إذ العلم هنا غير محدود وجميع الأعمال القيمة التى لم تلتج أثراً في الحياة الدنيا موجودة بسهولة . . .

إلى أن تقول نفس الروح : « وهكذا نرى في نظام الخليقة أن الخالق الأعظم قد دبر هذه الخطط العجيبة التى تدعو كل إنسان أن يستأنف في حياته الأخرى ما شغف به في الحياة الدنيا ، وأن يتصل اتصالاً فعلياً بعمله الدنيوى المحبب إليه ، وأن تتاح له الفرصة للانغماس فيه حتى يضمن النجاح والتقدم . أما جميع الأشياء المتعلقة بالدنيا فقط فإن الاهتمام بها يتضاءل في قليل من الوقت ، وكل شيء يجرى تدريجياً ، فيتحول ميل الشخص من حالته المادية إلى ما يوصف في الحياة الدنيا بأنه أمور معنوية ، والأشخاص الذين كان عملهم في الحياة الأولى محصوراً في المعنويات تجددهم يستأنفونه في الحياة الثانية ، ويتسع لهم مجال العمل فيه فيضطرون لتقديمهم ، أما الآخرون فيتحولون إليه ...

خذ مثلاً لذلك الرجل الرياضى فإنه يحب ألعابه : من جرى إلى ألعاب قوى إلى تمرينات عضلية ويستمر محباً لها هنا ، بل يزيد حبه لها لأنه يجد لذة مضاعفة وسروراً عظيماً في عدم إحساسه بالتعب ، ولكنه يجد بعد مدة أن استحسانه لها يتغير وأن ميله إليها يضعف ، ولسنا نقول إنه ينتهى بيفضه لهذا النوع من الرياضة ، ولكننا نقول إنه يتطور وينتقل إلى نوع جديد يملؤه بالحركة والغبطة ، وهذا النوع غير مادي بالمرة ، ولذا يتنبه عقله كثيراً ويجد ارتياحاً معنوياً عظيماً في المباحث التى تعرض عليه كتلك المتعلقة بوسائل السياحة وطرقها هنا ، إذ طرق الحركة جميعها هنا تختلف اختلافاً كبيراً عنها فوق سطح الأرض .

ثم إن هذا الرياضى الدنيوى الذى تحدثنا عنه سيندج فيما يلائم البيئة الجديدة المحيطة به وسيحقق له سريعاً أن الحياة هنا تختلف عنها هنالك ،

وبالإضافة إلى هذه الصور وردت كتابات بدون كاميرا على ألواح حساسة متعلقة بهذه الصور بيانها كالآتي : -

- فعن لوحة لاعب الجولف وردت العبارة الآتية : « لقد طلب مني أن أظهر بعض ألعابنا (والكلام على لسان الروح المرشد رد كلاود) : إن آرثر كونان دويل ومارتن دونو هو يتفاخران كلاهما مازحين ببطولتهما . - وعن لوحة لاعبي الشطرنج وردت العبارة الآتية : « أنا يمكنني أن أغلب مارتن دونو هو ودكتور ج في الشطرنج . كونان دويل ، ، .

- وعن لوحة لاعبي الكريكييت وردت العبارة الآتية : « كونان دويل بارع في الكريكييت . مارتن دونو هو ، ، .

- وعن لوحة لاعبي لعبة ال Bowls (وهي لعبة قديمة) وردت العبارة الآتية : « بعد الموسيقى إننا نلعبها جميعنا ، ، .

- وعن لوحة لاعب التنس وردت العبارة الآتية : « إن صديقنا القديم سميث يلعب التنس (وسميث كما يلاحظ واريك رمز للبحرية البريطانية كما يدل على ذلك ساقا البنطلون الواسعان من أسفل) .

- وعن لوحة لاعبي البلياردو وردت العبارة الآتية : « مارتن دونو هو يمكنه أن يغلبني في البلياردو لسوء حظي . آرثر كونان دويل ، ، .

وقد روت روح سيرو . ت . ستيد أيضاً ما يطابق ذلك قائلة « فهنا منازل خصصت للمطالعة في المكتب وأخرى للموسيقى ، وغيرها لأنواع الألعاب الرياضية المختلفة ، فيمكن التمرين على كل أنواع الألعاب الرياضية كركوب الخيل والسباحة ، كما يمكن لكل شخص أن يلعب كل أنواع الألعاب غير أنه بعد حين يجد أن رغبته في ذلك تناقصت وأن ميله اتجه اتجاهاً طبيعياً إلى وجهات أخرى ولو تدريجياً ، وهو ربما لا يهجر ألعابه كلية ، ولكن رغبته فيها تقل ، ويصير أقل انغمساً فيها .

وعلى العكس من ذلك الرجل الذي صرف حياته مثلاً في الموسيقى فإنه يجد ميله ولذته وقدرته جميعها تزداد ، لأن الموسيقى منسوبة إلى هذه الديار ،

وغالبية الأرواح تظل محافظة على هواياتها القديمة لفترة من الوقت قد تطول أو تقصر إلى أن تتخلى عنها تدريجياً إذا شاءت التخلي أو تستبدلها بغيرها إذا شاءت التغيير ، وبغير أن يصرفها حب التسلية أو الرياضة عن واجباتها العائلية والاجتماعية ، فإن حب الخدمة النبيلة هو طابع الأرواح الراقية ولكنه لا يطفى عند عدد كبير منها على حب اللهو أو الرياضة سواء على المستوى المادى أم الأثيرى .

ولتوضيح ذلك بالصور وردت عدة لوحات عن طريق وساطة السيدة دوانو هو على الأرواح الحساسة بدون الاستعانة بكاميرا ، وكانت الوسيطة تحت هيمنة روحها المرشد رد كلاود Red Cloud ، وهى تمثل مناظر لما يقابل العابنا المألوفة من تنس وكركيت وبيلياردو وجولف وشطرنج ... كما يتضح من اللوحات الست الآتية مأخوذة عن مؤلف « تجارب فى الروحانيات ، للأستاذ واريك (ص ٣٤٣) » .



Fig. D/536

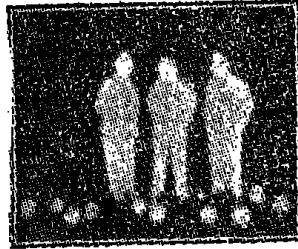
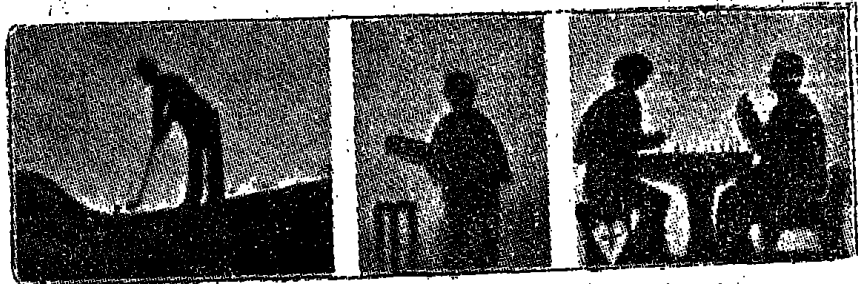


Fig. D/530



Fig. D/543



عن قراءة الكتب بواسطة الأرواح إنه سأل روحاً معينة هل تستطيعين القراءة؟ فأجابت قائلة ، أنا لا يمكنني ذلك ، ولكن روح زكريا جرای Zachary Gray وركتور Retor يمكنهما القراءة .

وبعد ذلك حضر ركتور وقرر أنه يمكنه قراءة الكتب الأرضية ولكن بصعوبة فطلب منه موزس أن يكتب له السطر الأخير من الجزء الأول من كتاب Aeneid فكتبه له كتابة صحيحة ، ثم طلب منه أن يكتب له الفقرة الأخيرة من ص ٤٩ من الكتاب الذي قبل الأخير من « الرف ، الثاني من دولاب كتبه . (وكان نفس موزس لا يعرف هذا الكتاب) فاتضح فيما بعد أنه كتاب عنوائه « Roger's Antipopopriestian » ، فنجحت الروح في إملاء الفقرة التي لم يكن أحد من الحاضرين يعرفها ولا يعرف عنها شيئاً (وأخطأت في كلمة واحدة حيث وضعت بدلها لفظاً آخر يؤدي نفس المعنى) .

وأعيدت نفس التجربة عندما قرأت الروح ص ١٤٥ من كتاب ثالث عينه لها موزس ولا يعلم محتوياته . . . وهكذا . وقررت الروح أنه يمكنها القراءة بمجهود خاص تبذله عندما تكون الظروف مؤاتية جداً . ويقول موزس إن هذه الطريقة من أحسن الطرق لتحقيق شخصية الروح ، لأن الفقرات التي قرأتها كانت غريبة تماماً عن اذهان الحاضرين ولا يعلمون عنها شيئاً . . . (١)

في التسليّة والرياضة واللهو

بالإضافة إلى الفنون الجميلة التي تمثل مزيجاً من العمل ومن اللهو ، فإن الأرواح تعرف جميع وسائل اللهو والتسلية الأخرى التي نعرفها هنا ، والتي تتفق مع ميولها وملكانها . فلا توجد وسيلة لهو أو تسلية أو رياضة بريئة على المستوى الأرضي إلا ولها ما يقابها على المستوى الأثيري .

(١) عن مؤلفه في « شخصية الروح » Spirit Identity طبعة ١٩٥٤

وفي علاقاتهم الإنسانية ، ولكن «أن نعرف كل شئ . معناه أن نغفر كل شئ» ، كما يقول المثل الفرنسي ، ولذا فهم يتعلمون التسامح والاعتدال مع الآخرين . ويشاهد المتفرجون أمامهم مواطني قارة الأتلنتس Atlantis (١) يمشون ويتحدثون ، وإذا كان هذا الأمر الأخير عبارة عن مجرد انعكاس للفكر فإن على أن أذكر القارئ أن السينما المجسمة في أيامنا الحالية قد تتضمن نفس الفكرة . . وهكذا فإن النظارة بهذه الطريقة لا يشاهدون لحسب أسلافهم في الزمان بل معاصريهم ويستمعون إلى محاضراتهم ورسائلهم .

وكل ذلك يشبه إلى حد ما لوحة التلفزيون بالنسبة لأحداث الأرض الجارية ، ولكن الطفل هناك يمكنه أن يشاهد كل ما يجرى في أية لحظة سواء في عالمه الكوكبي الخاص أم على أرضنا ، بل إنى أعتقد أنه في المستويات العليا يمكنهم أن يراقبوا أحداث كوكب الزهرة أو المريخ كما سيمكننا يوما أن نراقبها على شاشة التلفزيون الأرضي الذي لا يزال آلة بدائية . وفي نفس الوقت يقرر دزموند أن الأرواح يمكنها أن تقرأ الكتب الأرضية ، لأن لكل كتاب اهتزازاً معيناً وبالتالي طول موجة ، ولأن الفكر هو الذي يعطى لكل كتاب سرعته الخاصة في الاهتزاز أو طول موجته ، بل لكل عبارة ولكل كلمة اهتزازها الخاص ، وعن هذا الطريق قد تصل الأرواح إلى قراءة مؤلفاتنا الأرضية إذا شاءت ، أو بالأدق إلى قراءة الأفكار التي وراء العبارات والألفاظ (٢) .

وقد بحث موضوع هذه الظاهرة الغريبة عدد من البحوث الآخرين منهم الأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن ونشر عنها مقالا في جريدة الإنسان الروحي Spiritualist (عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٣) وفيه يقول

(١) اسم قارة روى بعض فلاسفة الإغريق نقلا عن الفراعنة أن المحيط الأطلسي قد ابتلعها في العصور الماضية ، وكانت قد بلغت من الحضارة أسمى درجاتها .
(٢) How You Live When You Die.

طبعة خامسة الفصل الرابع والعشرين وهو عن التعليم في العالم الآخر .

وعند ما يحىء اليوم - لكم أولى - الذى فيه ندخل مدرسة كوكبية
أو إلى قاعة من قاعات الحكمة فسيفاجئنا بعض مفاجآت . أولها أننا سنجد
أماننا مبانى ضخمة تعادل أبعادها المبانى الضخمة أو المعابد الفرعونية التى
كانت فى أيامها الخالية عبارة عن « مدارس للحكمة » .

وسنجد أماننا طلبة من جميع الأعمار كأولئك الذين « كنت » أشاهدهم
عند ما كنت أحاضر فى مدرج جامعة واشنطن بأمريكا وكانت بينهم سيدة
تبلغ من العمر السبعين ربيعاً بغير أن تثير استغراب أحد . وخارج القاعة
الرئيسية فى مدارس العالم السكوكبي توجد قاعات للمطالعة وتذوق الثقافة
الخاصة ، فيها يعلم الإنسان نفسه أكثر مما يعلمه إياه الآخرون ، ولا يتعلمون
فيها ما تعلمناه فى مدارسنا فى حياتنا الأرضية الخاصة ، بل ما تعلمناه فيما بعد
عند ما اتصلنا بالحياة ، فن الخرافة الاعتقاد بأن الطفل - أو حتى الإنسان
البالغ - يمكن أن يتعلم شيئاً ذا قيمة من الطريقة الأكاديمية .

وسنجد أماننا لوحات كبيرة (أو شاشات فضية) ، يتجسد عليها
الناس والأحداث كما تتجسد فى دور السينما فى مستوانا الأرضى . إلا أن
الصور هناك حية والأحداث تبدو كما لو كانت تجرى حقيقة فى هذه اللحظة
(يتحدث عن شريط السكون الأثيرى الذى يعرفه الروحانيون) .

وبمجرد النظر إلى الشاشة الأثيرية يشاهدون شروق الحياة فى أرضنا
بما فيها من كائنات عصور ما قبل التاريخ ، ويشاهدون فيها الإنسان البدائى
فى عمله ولهوه وحربه وعشقه ، كما يسمعون كلامه ، وصراخ الديناصور
وغيره من حيوانات العصور السحيقة . . .

فهم يتعلمون من « شاشة الزمن » هذه أصولهم الخاصة . وتبدو لهم -
كما لو كانت من خلال زجاج يطل على الأرض - قصة الحياة على الأرض التى
تحتهم فيفهمون ما نعجز عن فهمه ، وهو كيف أن الرجال والنساء على الأرض
التي ينظرون إليها ويستمعون يمكن أن يصبحوا وحوشاً فى حروبهم الأرضية ،

ثم يقول دزموند : وعند ما كنت أحاضر منذ وقت قريب في « جمعية العلاقات الخارجية » بجامعة كمبريدج بدالى قدر كبير من الحقيقة في هذا القول ، فقد وجدت هناك شباباً متشوقاً للمعرفة ، ومع ذلك جعل منهم التعليم الأكاديمي الخاضعين له مجرد آلات أو نماذج صماء . وكانت تبدو عليهم اللفتة إلى أن يصبحوا أشياء أخرى ، كما لاحظت ذلك من إقبالهم الشديد على الحضور ، ومن الأسئلة التي أغرقوني بها ، ومن خطاباتهم التي كانت تصل إلى حتى بعد أن عدت إلى موطنى في «ليسترهاوس» .

فهم يشعرون بأن تعاليمهم خال من الحياة أى من الاعتقاد ، وأنه حتى من الزاوية المادية الصرف فإن صلة هذا التعليم ضعيفة بالعالم الذى يحيا فيه الرجال والنساء . والطفل فى العالم الكوكبي لن يكون عليه أن يصارع ضد هذا التعليم الأكاديمي ، ولن يطلب منه أن يجتاز امتحانات ينظرون إليها هناك — كما بدأنا ننظر إليها هنا — بوصفها ليست اختبارات للمعرفة ، ولا لشيء آخر أهم من المعرفة وهو الحكمة .

فإن الحقائق نفسها لا قيمة لها ما لم ترتبط بالحياة وتتلاءم مع « عالم كل يوم » ، وهذه هي القاعدة فى العالم الكوكبي . وجامعاتنا تعلم « الوقائع » ، أما الحكمة فكلها ، لأن الحكمة ربما لا يمكن تعليمها ، أما موضوع التعليم الكوكبي برمته فهو تنمية الابتكار والحكمة معاً .

وإذا كانت الحكمة لا اكتسبها بالتعليم فلا أقل من أن نحياها ، وعندئذ فيمكن تنميتها واستثارتها ، لأنه لا يمكنك أن تعلم رجلاً أو امرأة شيئاً إلا إذا وصل أيهما إلى نقطة فى التطور تجعله مستعداً إما لتذكر القديم (فالمؤلف من القائلين بتعدد حيوات الإنسان وعودته إلى التجسد) (١) ، وإما الخطو نحو معرفة أخرى جديدة ، وكل تعليم حقيقى عبارة عن فن استثارة حب المعرفة .

(١) لنا إليها عودة فى الباب المقبل .

فالحياة هناك متحررة وعقلية بكل معنى الكلمة ، وبقدر ما ينمو الإدراك بقدر ما يتيح لصاحبه فرصاً متزايدة للسعادة النفسية .. أليس هذا هو ما نلاحظه حتى على المستوى الأرضي ؟ . . . وهو نفس ما لاحظته كبار الفلاسفة على مر العصور من سقراط إلى أرسطو إلى أفلاطون إلى الفارابي إلى ابن رشد إلى ابن سينا إلى غيرهم .

في التعليم والتربية

وفي شأن التعليم في العالم الآخر يتحدث الأديب الإيرلندي المعروف شودزمووند قائلاً إنه في العالم السكوكبي تندمج السياسة مع التعليم مع الجنس مع العقيدة فيصبح كل واحد منها جزءاً من الآخر ، وهذا هو ما ينبغي أن يكون في تقديري ، فالتعليم على أرضنا سواء أكان في المدارس الخاصة أم العامة أم في الجامعة يبدو فقيراً جداً في نظر المربين الموجودين في العالم السكوكبي ، فهو يبدو لهم خاطئاً من أساسه في محوره وفي آفاقه .

ورأى السكوكبيين يمكن تانيخه في أنهم يقولون إنهم عندما يدخلون إلى محافلنا العلمية بما قد يلقي فيها من فروض مرتجلة ، ومن أسماء على غير مسمى ، ومن مناقشات فارغة لا تنتهي عن الاختفاء المتوقع للإنسان من على الأرض تحت ضغط الحياة العصرية والآلات ، وكل ما يصوره كما لو كان جسداً فحسب ، يتصورون أنفسهم كما لو كانوا قد دخلوا إلى مصحة للأمراض العقلية ، بل مصحة خاضعة لتنظيم دقيق لا يجعل قاطنيها يشعرون أنهم مرضى بعقولهم كما هي الحال عند كل مريض بعقله . . .

فهم يقولون إن جزءاً كبيراً من علومكم علوم حقيقية ، ولكن جزءاً كبيراً آخر مما تتصورونه علماً ليس إلا — بكل بساطة — عبارة عن معان جوفاء اصطنتعتها عبقرية عالية . وإلى أن يسلم علماؤكم بأن الإنسان محض روح ، وأن الجسد ليس إلا رداء مؤقت لهذه الروح ، فإن علومكم ستظل حبيسة قفصها الحديدي تدور حول نفسها بغير نهاية كحلقه مفرغة .

وهناك أعمال للمساعدة والإنقاذ ولتخفيف الآلام والعلاج ، ولتفقد الأرامل والأيتام ، ولمواساة المحزونين والمضطهدين في كل مستوى من مستويات الحياة .

وتوجد دراسة للقانون وللشرائع لمجرد المعرفة وللمقارنة وللإلهام ، لكن لا توجد هناك محاكم بالمعنى الأرضي ، لأن التشريع السماوي يعرف كيف يطبق نفسه بنفسه ، وكيف يعاقب بذاته ويثيب بغير ما حاجة إلى فاض من البشر . وتبدو للقوانين الطبيعية هناك كل صرامتها وقوتها على ما سنبينه في الباب المقبل الذي خصصناه للثواب والعقاب .

وفي الجملة إن أنواعاً عديدة من المهن الأرضية لها ما يقابلها هناك كما قلنا وإن اختلفت الوسائل في كثير من الأحيان . والمهن الذهنية لا تختلف فيها الوسائل اختلافاً كثيراً عن ذى قبل ، أما المهن اليدوية فتختلف تماماً ، فمثلاً يباشرون الطب بدون جراحة . ويكاد طب الجسم الأثيري يختلط هناك بعلم النفس . والتحليل النفسي يلعب مع العلاج بالإشعاع دوراً كبيراً في الشفاء لأن أمراض الجسد الأثيري غير معروفة هناك إلا عن طريق أمراض النفس ، وهي تسكر عادة عند المتقنين حديثاً بحكم ذكرياتهم الأليمة الباقية من السياط التي تكون قد ألهمت ظهورهم أثناء الكفاح في خضم الحياة الأرضية من المهد إلى اللحد .

والإنسان هو الذي ينظم أوقات عمله وراحته هناك ، فلا إرغام عليه أية كانت صورته . وتجري مواولة الأعمال على نمط يختلف في الجملة عن أنماطها على المستوى الأرضي ، لأن الفسكر متحرر من قيود كثيرة تحد من قدرته على المستوى الأرضي . فضلاً عن أن مطالب الحياة الأرضية — وهي بطبيعتها تمثل أغلالاً حقيقية — تعوق نشاط العقل هنا ولا تعوقه هناك .

والأعمال كثيرة ، لجميع الأعمال الذهنية والفنية هنا لها ما يقابلها هناك من فلسفة وأدب ولغات وعلوم طبيعية إلى علوم ما وراء الطبيعة ، إلى علم نفس وما وراء النفس ، ومن علوم اجتماعية وهندسية إلى كيمياء إلى طب إلى فلك . . .

وهناك بالإضافة إلى ذلك أعمال كثيرة ليس لها ما يقابلها على المستوى الأرضي . مثل الحراسة والإرشاد والإلهام لسكان المستويات المادية للوجود من أرضيين وغيرهم ، ومثل محاولة الاتصال بهم وتنظيم الجلسات الروحية لإقناع المنسكرين من الماديين والمكابرين .

وهناك أيضاً صور عديدة من النشاط التي لها ما يقابلها هنا ، ولكن تراوحتها الأرواح بطرائق مختلفة تماماً عن طرائقنا . ومن ذلك نشاطها في الزراعة والعمارة والصناعة بسبل عقلية لا يدوية على ما ذكرناه آنفاً .

وهناك صور من السكفاح الذي لا يتوقف لنصرة المبادئ السامية وتحقيق الأهداف النبيلة التي تتطلع إليها النفوس المجاهدة لأجل تحقيق العدالة والمساواة والوصول بالتطور نحو أجمل أهدافه وأروعها ، وفي حدود ما تملكه الأرواح من وسائل في ضمائر البشر وأذهانهم ، متخطية ما قد يصادفها من عقبات ، متغلبة على ما قد يوضع في طريقها من عراقيل الجهالة أو الغباء أو الأنانية وما أكثرها .

والأرواح في جهادها هذا مقيدة بنواميس طبيعية تحد من إمكانياتها الفطرية تماثل إلى حد كبير تلك النواميس الطبيعية التي تحد من إمكانيات البشر وتقيدهم من حدود نشاطهم ، والتي وضعت لتحقيق غاية سامية هي تحقيق التضامن في التطور بين أبناء المجتمع الواحد ، بل البيئة الواحدة ، بل المستوى الواحد من مستويات الوجود . فالرابطة بين الجميع — على اختلاف لوانهم وأديانهم وأجناسهم — أقوى مما يمكن أن نقدر أو نتصور سواء أكنّا هنا أم هناك .

فوق البنفسجية ultra-violet للوحات ولرسوم آتية من عالم الروح عن طريق وسطاء متعددين ، مثلها يجده القارئ أيضاً في كتاب الأستاذ واريك Warrie عن تجارب وردت عن طريق وساطة السيدة دونو هو بدون استعمال كاميرا^(١) بل بمجرد وضع الألواح الحساسة على جبينها .



صور آلات موسيقية مرسلة من عالم الروح بدون كاميرا (مؤلف واريك من ٣٤٣)
لاحظ أن الآلة البني ليس ما يقابلها على المستوى الأرضي

في العمل

ويخطيء من يظن أن الحياة في عالم ما بعد المادة حياة خمول وكسل أو أنها — فحسب — حياة تأمل وتنعم . إن الحياة في المستويات الراقية من عوالم ما بعد المادة على العكس من ذلك حافلة بكل صرور النشاط الإنساني الرفيع والخدمات الراقية وتقدم المعرفة والأخلاق . ولكل روح هناك عملها في المناطق الراقية ، فلا توجد بطالة ولا كسل . والدافع للعمل هناك ليس هو البحث عن لقمة العيش المتوافرة للجميع ، بل هو حب العمل وحده . وكل إنسان يختار العمل الذي يحبه ، أو بالأدق العمل الذي يناسب ملكاته الفنية والعقلية ، ويتفق مع مداركه وميوله . وقد ورد في الحديث الشريف « الأرواح بعد الموت تلج مكاناً ألفته وتلزم عملاً عرفتته » .

(١) راجع مجلة « العلم الروحي » التي تصدرها الكلية عدد يولية سنة ١٩٢٧ وما سبق من ١٠٧ — ١١٢ ، نقلاً عن مؤلف الأستاذ واريك .

وقد يصنعون بعض وسائل الانتقال بغرض المتعة وبحكم التعود ، مثل باخرة أو عوامة لمن ألفوا حياة البحار وأصبحوا لا يطيقون البعد عنها . وقد يستعملونها في الإقامة الدائمة فيها بدلا من المنازل ويمكن أن تنتقل بهم للنزهة أو لأى غرض آخر مثل تغيير الموقع الطبيعى . وتسير في اليم بوسائل عقلية لا يفهمها إلا الإنسان الذى يفهم كيف يكون التأثير المباشر للعقل في المادة الصلبة .

وتوجد في مدن المستوى الثالث هذا كل مظاهر الحضارة التى نعرفها على أرقى مستوى ، بما فى ذلك المعاهد العلمية وقاعات الاطلاع والبحث والموسيقى والمتاحف والمعارض والفنون الجميلة ودور اللهو الراقى ... ومع مراعاة أن الفنون الجميلة هناك فى مستوى عالٍ وتتجاوز كثيراً أحسن ما وصل إليه البشر حتى الآن . وعلى ذلك أجمعت الرسائل الواردة إلى بيئات مختلفة .

فللموسيقى هناك مستوى يجعل أرقى موسيقانا الكلاسيكية ظلاً باهتاً له . وهى مصحوبة عادة بمناظر وأشكال تحدثها الأصوات فى الأثير . وتقام حفلات عامة رائعة وصفها الأستاذ شو دز موند فى كتابه « كيف تحيا عندما تموت ؟ » حتى أن من الوصف الشائع لهذه المناطق أن الموسيقى فيها هى الحياة . ولا غرابة فى ذلك إذا روعى أن روائع الموسيقى التى نعرفها ذات مصدر روحى — فى جملتها — فهى إلهام راق من عالم الروح إلى عالم المادة عن طريق عباقرة الموسيقى شأنهم فى ذلك شأن عباقرة الشعر والأدب والكشوف العلمية^(١) .

وللنحت وللرسم هناك مستوى رفيع لا يقل عن مستوى الموسيقى . وقد التقطت داخل الهيكلية البريطانية للعلم الروحى ، صور وساطية بالأشعة

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٥٠٦ — ٥١٦ .

التي لا تمت بصلة إلى بيئة « السمرلاند » ، أو أرض المصيف الجميلة .

أما عن طراز المباني ، فالإجماع على وجود أصناف كثيرة من كل طراز ونسق عرفها البشر ، بحسب اتجاهات قاطنيها وأذواقهم ورغباتهم ، لا يقيدهم في ذلك إلا قيد رغبة التنسيق العام والمحافظة على وحدة الطراز في المكان الواحد ، على النحو الذي قد نشاهده - حتى على المستوى الأرضي - في المدن الجميلة الحديثة . فالمدن مرآة لعقول أصحابها وقاطنيها تبدو منسقة مرتبة ، بقدر ما يكون في عقولهم من تنسيق وترتيب ، والعكس بالعكس في كل زمان ومكان ، خصوصاً عندما يكون المستوى عقلياً أكثر مما هو مادي .

في المدن

وتوجد هناك بالتالي مدن تتراوح في مدى جمالها لاسكنها على أية حال أجل بكثير من المدن الأرضية ، إلى حد أن سكان المستوى الثالث يتحدثون عن المدن الكبرى مثل لندن وباريس ونيويورك كما لو كانت مدناً خائفة قدرة . وتتميز مدن عالم الروح بحدائقها وبحيراتها المترامية الأطراف ، وبأن مساكنها كلها عبارة عن فيلات لا يتجاوز ارتفاعها طابقاً واحداً أو طابقين فلا توجد عمارات ضخمة للسكنى المشتركة ، لأن مشكلة ضيق المكان لا وجود لها هناك ، وكذلك مشكلة وسائل الانتقال . وليس جمال المساكن في رونقها أو ألوانها أو أضوائها فحسب ، بل إن جمالها يكمن أولاً في مشاعر الخير التي تغذي أصحابها ونوع المبادئ السامية التي توجه أفكارهم .

ولا توجد في هذه المدن حركة مواصلات ذات صخب وضجيج لأن الانتقال فيها وفي غيرها يكون عن طريق الفكر . وهذه الآن حقيقة روحية أجمعت عليها الآراء .

الغلاف الكثيف الذى كان يغلفها وهو المخ ، والذى كان يقيد أجزاء كثيرة من الوعى أصبحت بعد الانتقال حرة طليقة ، مندمج بعضها فى البعض الآخر اندماجاً كافياً .

والمساكن مفروشة بما يقابل بعض أصناف الرياش التى نعرفها ، ولكن بالقدر الذى تحتاج إليه الأرواح الراقية فى مستواها الجديد ، وكل بحسب ذوقه وميوله وبيئته . وهذه الرياش فى جملتها أرقى بكثير فى ذوقها من جميع ما نعرف من رياش أو سجاد أو لوحات أو تحف ، بالنظر إلى العقول الراقية التى قامت بصنعها ، وإلى وسائل العمل العقلية التى عندهم ، والتى تتجاوز بكثير وسائلنا اليدوية المقيدة .

ولا تتلاصق المنازل هناك ، بل لسكل منزل حديقته المزهرة التى تحيط به من كل جانب ، وعلى ذلك أجمعت رسائل أرواح هذا المستوى الثالث .

وتوجد بالمنازل نوافذ وأبواب قابلة للغلق والفتح ، كما قد يوجد درج (سلم) لإضفاء شكل معين على المكان قد يريده له صاحبه ، لا الوصول إلى الطابق العلوى مثلاً لأن الانتقال فى عالم الروح ، بما فى ذلك الصعود والنزول فى المباني ، يكون بقدره الفكر وحدها .

وجود الجدران والأبواب المغلقة لا يمنع الأرواح الزائرة من ولوج المكان إذا شاءت ، ولكن تقاليدهم وآدابهم - وهى كثيرة وتأثيرها شديد فى تنظيم حياتهم - تدعوهم لأن يدخلوا البيوت من أبوابها المفتوحة ، وبعد إشعار صاحب المنزل برغبة الدخول واستئذانه أولاً فيه .

ولا توجد أية إضاءة صناعية فى عالم الروح ، لا فى داخل المباني ولا فى خارجها ، لأنهم يعيشون هناك فى بيئة الضوء الكونى ، الذى يقوى نهاراً ويضعف ليلاً^(١) . فلا يحل الظلام التام ، إلا فى بيئات « الظلمة الخارجية » ،

(١) راجع ما سبق فى ص ٨٥ - ٨٧ .

وهذه المنازل صغيرة ، غير مرتفعة ، مقسمة إلى غرف وليس بها دورات مياه ، إذ لا حاجة بها لأن طبيعة الحياة هناك متحررة من المادة الأرضية ، وبالتالي نقية ليست بحاجة إلى ما يقابل دورات المياه في منازل الأرضيين . وليس بها أيضاً ما يقابل المطابخ أو غرف الطعام ، إذ صلة الأرواح بالطعام تختلف تماماً عن طبيعة صلتنا به ، فهو — كما قلنا آنفاً — لا يمثل عندها ضرورة أولية للحياة بقدر ما يمثل مجرد رغبة قد تكون قوية في تذوق ما تحبه من طعام ، وهي رغبة تزول تدريجياً مع الوقت ، عندما تنمو الروح في الوعي والإدراك ، وتحرر من حاجيات قديمة كثيرة تكون مازالت متعاقبة بها بحكم سلطان الذاكرة والتعود القديم ، أكثر مما هو بحكم نظام الحياة وأسلوبها المرسوم .

إنما الأمر الشائع في منازل المستويات الراقية من عالم الروح وجود غرف لاستقبال الضيوف ، وأخرى كما تهجع فيها الأرواح أو تغفو للحظات قصيرة ، وهي تفضل استخدام هذا التعبير — تعبير الغفوة أو الهجوع — على استخدام تعبير النوم ، لأن النوم العميق لمدى ساعات طويلة غير معروف هناك إلا بالنسبة للأرواح الوافدة حديثاً وذلك بحكم التعود القديم أيضاً ، والذي ينبغى التحرر منه مع الوقت ، خصوصاً لأن التحرر من الجسد الترابي الشديد الوطأة على النفس يحرر الروح من أثقل أحمالها التي كانت تربطها بمستوى منخفض من مستويات الوجود ، وتدعوها إلى النوم العميق لمدى ساعات طويلة لما كان يكبدها حمل هذا الجسد الثقيل من نصب طويلة ساعات اليقظة ، وهذه الغرف في مساكن عالم الروح تقابل غرف النوم في مساكننا .

وقد توجد أيضاً في بعض هذه المنازل غرف مخصصة للعبادة إذ تلعب العبادة هناك دوراً يتجاوز بكثير دورها على المستوى الأرضي ، لأن الإحساس بالقدرة الخالقة هناك أقوى بكثير مما نعرفه هنا ، بعد إذ تصبح العقول أكثر استجابة للاهتزازات السكونية العالية ، وترنم معها بعد تحررها من ربطة

والأرواح تتنفس كما نتنفس نحن . وقد حدث في هذا الشأن أن سأل الأسقف تويديل روح شوبان Chopin الموسيقار المعروف قائلا هل أنتم مضطرون للأكل أو للشرب؟ فأجاب شوبان قائلا لا بالمرّة لأن التنفس الذى تنفسه كاف لأن يحفظ لنا أجسادنا الأثيرية التى لا يلزمها أى شيء آخر ، فرد عليه إذا فأنتم تتنفسون؟ فأجاب بالإيجاب .

وقد رد بما يماثل ذلك أيضاً روح سير آرثر كونان دويل عندما قال له « لا حاجة بنا للطعام أو للشراب ، ولكن الذين يشعرون بحاجتهم إليهما يجدونهما . وبقدر ما يتقدمون هنا بقدر ما يكفون عن الاحتياجات الأرضية ويبعثون عما هو أسمى منها » (١) . وعلى ذلك أجمعت البحوث الروحية فى كل مكان ...

فى المباني

وتوجد مبانٍ لشتى أغراض الحياة التى يحيونها ، منها ما هو عام كالمعاهد والمتاحف والمعارض والمعامل والمكتبات ، ومنها ما هو مخصص لسكنائهم . وفى صدد المنازل يقول سيلفر بيرش Silver Birch الروح المرشدة لدائرة هانن سوافر نقيب الصحفيين! - « إن منزلى جميل جداً لدرجة أن الخيال يعجز عن وصفه . لا يمكن للنقاشين إيجاد ألوان تصور كل ظلاله ، ولا يستطيع الموسيقيون العثور فى مجال آلاتهم على نغمات تعبر عن كل فنه وبهائه .. وهو أجمل من أجل أى حلم شاهدتموه . اسألوا عمكم مارسيل (يقصد مارسيل بونسكين وهو فنان روحى كان حاضراً) إنه فنان ، وسوف يخبركم أنه ليس عنده صبغات يلون بها روائع العالم الروحى التى تتكشف له فى لحظات الإلهام الخاطفة » (٢) ... »

(١) عن « أنباء من العالم الآخر » طبعة ٣ ص ٣٢١ وما بعدها .

(٢) الوسيط هو الكاتب المعاصر موريس باربانيل Maurice Barbanell رئيس تحرير جريدة الأنباء الروحية Psychic News .

(راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠) .

كل الأجسام صلبة وما هي في حقيقتها بصلبة ، لأن لكل جسم صلب جسمين أحدهما مادي محسوس والآخر أثري غير محسوس على المستوى الأرضي ، وزوال المادي لا يمحو الأثري بالتالي لأنه غير قابل للزوال (١) .

وعن طريق هذا التأثير المباشر للعقل في المادة يشيدون مبانيهم ويزيلونها ويوسعونها، وفتبدو لهم صلابة بقدر ما تبدو مبانيها صلبة لحواسنا، فكل شيء في الوجود نسبي فما يبدو لنا هنا صلباً لا يبدو لهم كذلك هناك والعكس بالعكس .

وهذا التأثير المباشر للعقل في المادة ينمو مع الوقت ويعلو كلما علا مستوى الحياة وينخفض كلما انخفض هذا المستوى . وكلما كان الشيء المراد خلقه بالفكر هاماً ودقيقاً كلما احتاج الأمر إلى ذوق فني وخبرة خاصة ومران من خبير متخصص يقوم في شأن المباني بدور المهندس على المستوى المادي . فلا يحدث بناء المسكن المطلوب بمجرد التخيل من أي إنسان . ويتم البناء تدريجياً وبيطء ويحتاج إلى مشقة . وفي هذه النقطة وهي « كيف يبنون مبانيهم » وكيف « يوفرون احتياجاتهم » ؟ توجد تفاصيل كثيرة في المراجع الروحية يضيق عنها هذا المقام .

وعن طريق هذا التأثير المباشر للعقل في الأثير يصنعون طعامهم الذي يأكله أغلبهم بحكم التعود فقط لا بحكم الحاجة الحقيقية إليه ، وذلك إلى أن يزول تدريجياً هذا التعود . أما الوضع الطبيعي للروح فهو أنها تستعمل غذاءها من الأثير رأساً بقدر حاجتها إليه ، وبدون مجهود خاص . أما عندما تريد الروح أن تتذوق طعاماً مادياً فهو يذوب في فيها وتشعر بطعمه كما نشعر نحن ، ولا ينزل في أحشائها لأنه ليس للروح من دورة دموية ولا من جهاز هضمي .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول في ص ٤٢٧ وما بعدها عن الجسد الأثري، وفي هذا الجزء ص ٢٤ - ٣٨ عن رأي بعض علماء الفيزياء والرياضة المعاصرين في حقيقة المادة الصلبة ووجود مقابل أثري لكل جسم يبدو لنا صلباً .

عليه خلال حياته الأرضية . وهذا هو أول درس تتلقاه الروح من الطبيعة عن أسلوب حياتها الجديدة^(١) .

ولا توجد هناك بالتالى مناجم ولا حاجر لأن كل ما يحتاجون إليه من مادة صلبة أو رخوة يصنعونه بتأثير مباشر من العقل فى الأثير أو بالأدق فى الضوء ، الأثير . وقد يبدو ذلك فوق تصور عقولنا فى حالتها الراهنة ، ولكن علينا أن نقدر أن المواد الأرضية كلها تقع بين اهتزاز لونين من الضوء هما اللون البنفسجى ارتفاعاً والأحمر انخفاضاً يطويان بينهما اهتزازات المواد الصلبة والسائلة والغازية . والضوء الأبيض يمكن تحليله إلى سبعة ألوان هى ألوان الطيف الشمسى التى تبدأ بالبنفسجى وتنتهى بالأحمر ، ويقع بينهما باقى الاهتزازات الأرضية الأخرى التى تمثل جميع المواد الصلبة والسائلة . فلم يكون الوضع غير ذلك فى عالم الأثير ؟

ولمّا الفارق الحقيقى ليس من هذه الناحية ، بل من ناحية أن المادة الصلبة هناك — أى تلك التى تبدو لحواسهم صلبة — محكومة بالعقل مباشرة ، أما هنا فهى غير محكومة به بطريقة مباشرة . ولذا كان عالمهم عقلياً بمعنى الكلمة وكان عالمنا مادياً . فنواميس الحياة هناك أرقى منها بكثير على المستوى الأرضى ، وهى حقيقية سواء أقدرنا على فهمها وتصورها ، أم عجزت عقولنا الواهنة عن ذلك فى وضعها الراهن .

فلا غرابة إذا وجدنا الأرواح الراقية تجمع على القول بأنها تصنع كافة حاجياتها باستخدام عقولها ، لا باستخدام أيديها كما نفعل نحن على المستوى المادى ، فمثلاً هم يقولون إنهم يصنعون بعقولهم أزهارهم ونباتاتهم وأشجارهم فلا يحتاجون إلى الأساليب الأرضية فى الزراعة وما تتطلبه من حرث وبذر ورى وغيره وأن الغابات التى تنمو هنا بفعل الطبيعة لها أصلها هناك ومقابلها الأثيرى الذى يبدو لحواسهم صلباً محسوساً كما تبدو لحواسنا

(١) راجع رسائل الروح جوليا لوسيطها سير وليام ت . ستيد آيڤ الصحفيين البريطانيين .

« المعهد الدولي للبحث الروحي » قائلاً : « إنني متحفظ كثيراً في آرائى التى أبدتها هنا . فأما أن الفكر حقيقة فيعتبر ذلك الآن أمراً محتملاً نادى به بعض مدارس السيكولوجيا . وكبرهان ماضى على صحة ذلك استطاع العلامة فيوكوراى Fukurai منذ بضع سنين أن يصور الفكر بكاميرا شديدة الحساسية . وليس هذا مكان شرح البصريات الروحية والفيزيكا الروحية ، وإنما أحيل محبى الاطلاع إلى بعض كتب العلماء الحديثين فى السيكولوجيا والفيزياء والفيزياء الفلسفية .

« . . . وليس للناس أن يقولوا إن ذلك مستحيل الوقوع لأنهم قالوا ذلك نفسه عن الكلام والرؤية عن بعد عبر الأرض عن طريق التليفون والراديو والتليفزيون وسيقبلون يوماً ما مسألة « الخلق بالفكر » ، وقد يستكشفون طريقة استخدام ذلك وهم فى أجسامهم الأرضية » (١) .

والعلامة فيوكوراى الذى يتحدث عنه شو دزموند أستاذ فى جامعة كوهياسان Kohyassan باليابان ورئيس « المعهد الروحي اليابانى » ، ومعروف بتجاربه الفذة فى تصوير الأفكار على اللوح الحساس وهو الآن علم قائم بذاته يطلق عليه Idéographie . وقد تمت تجارب ناجحة فيه أيضاً فى داخل « المعهد الدولي لما وراء الروح » ، فى بروكسل فى عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ تحت إشراف مديره الأستاذ داردن Dardenne .

وهذا التأثير المباشر للعقل فى المادة هو هناك كل شيء . فمثلاً بالموت الفيزيقي يولد الجسد الأثيري للإنسان فى عالم ما بعد المادة عارياً ، وعندما يدرك المولود الجديد ذلك يلتذ به الخجل الغريزي ويستشعر الحاجة إلى رداء يستر به بدنه ، وعندما يبحث العقل عن هذا الرداء إذا به يصنع من الأثير بطريقة لا شعورية الرداء الذى يرضيه ، أو بالأدق ذلك الذى ألفه وتعود

(١) أحاديث فى الروحية مجلة « عالم الروح » سنة ٩ هدد نوفمبر ١٩٥٥ ص ٨ .

والبيانات الواردة عن النباتات وعن دور مملكة الحيوان في عالم ما بعد المادة مجمع عليها في كافة الكتب الواردة من هذا العالم ، أو تلك التي كتبت عنه بمعرفة بحاث لهم مكانتهم ، فهل كان ذلك ، كمن لو كان الأمر كله محض خرافة كما قد يذهب المعترض الذي تعود أن يلقى الاعتراض جزافاً ؟ . . .

هذا وقد حدث في جلسات غير قليلة - وفي داخل هيئات علمية صرف - أن تجسدت في معامل البحث الروحي حيوانات وطيور . وأمكن تصوير أرواح بعض الحيوانات متجسدة وغير متجسدة كما هي الحال بالنسبة للآدميين^(١) .

المبحث الثالث

في بعض المميزات العامة للحياة هناك

تحدثنا في مناسبة سابقة عن ثبوت تأثير العقل المباشر في المادة كما انتهت إليه بحوث عدد وفير من العلماء على رأسهم الأستاذ ج . ب رابن رئيس قسم الباراسيكولوجي في جامعة ديوك بالولايات المتحدة ومدير معاملها ، وذلك كهيئة على تفوق العقل على المادة وإمكان سيطرته عليها بصورة ما ، وعلى إمكان استقلاله عنها بالتالي واحتمال خلوده رغم تحلل المادة وانفصالها عنه .

والآن بقي أن نتحدث عن تأثير العقل المباشر في المادة بوصفه من أهم مميزات الحياة - ووسائلها - في عالم ما بعد المادة ، حتى نعطي القارئ النظرية العامة عن مميزات الحياة هناك في أهم جوانبها ، لأن هذا التأثير يتحكم في الواقع في كل مظاهر الحياة هناك بغير استثناء ، إذ الحياة هناك عقلية بكل معنى الكلمة ، بالآقل ابتداء من المستوى الثالث حيث أن طريقة الخلق بالفسكر ، هي الأسلوب اليومي المألوف لهذه الحياة .

وفي هذا الشأن يتحدث شو دزموند Shaw Desmond أحد مؤسسي

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول في ص ٤٥٥ - ٤٦٣ .

(م ٨ - الإنسان روح : ج ٢)



Fig. D/274

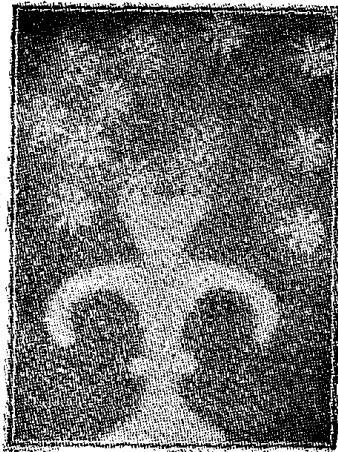


Fig. D/260

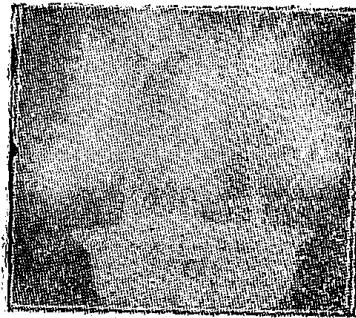


Fig. D/283

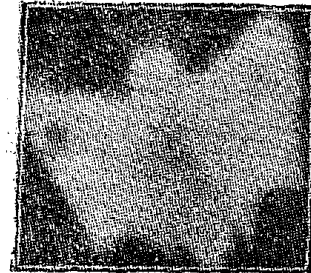


Fig. D/235

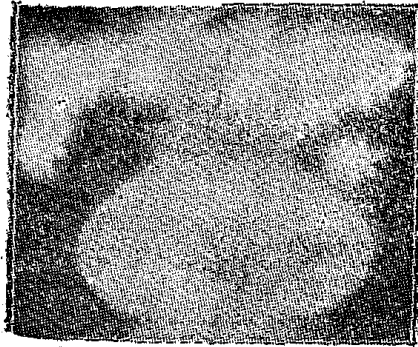


Fig. D/315



Fig. D/269

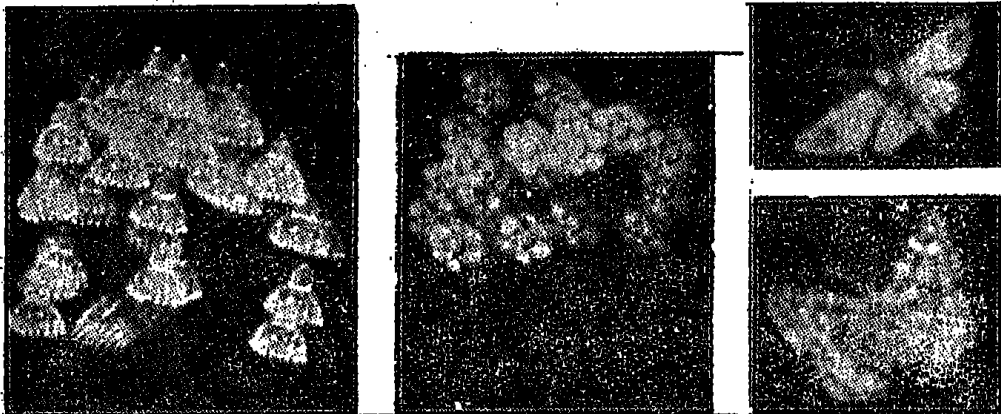
D/274, 260, 283, 315, 264 are skotographs of vases with flowers which M.D. sends. D/235 was one of three plates held the same evening. On the first was given by 19 flowers and one single one the date of my husband's passing, viz., 19th January. On the second plate was a chrysalis cocoon. The third plate showed the escaped butterfly in full flight.

صور أزهار أخرى موضوعة في أوان شتى وفراشة طائرة وردت بنفس الطريقة (عن المرجع السابق ص ٢٤٢) وبعضها يشير إلى ذكريات أو أحداث معينة في حياة الوسيطة الروحية وزوجها الراحل مارتن دونوهو (M. D.).

إلى امتطاء ظهورها للانتقال ، ولها دورها في بعض المناطق في الزينة وفي التعليم وفي إشباع نزعة بعض الأشخاص لاقتناء الحيوانات الأليفة في المنزل إذا كان يرغب في ذلك .

والطيور والفراشات الزاهية توجد بوفرة في المنازل والحدائق والطرق العامة ، وهي لا تخاف الإنسان ولا تهرب منه على عكس الحال هنا .

وفي هذا الشأن يقول الروح سيلفر بيرش عن طريق وساطة الكاتب المعروف موريس باربانيل في دائرة هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية الراحل لدينا ملكة حيوانية كبيرة يسكنها الجميع سوياً في سلام . فيها كل الحيوانات وكل الطيور وقد انعدمت بينها البغضاء . هنا يرقد الأسد مع الحمل فلا يتنازعان أو يفترس أحدهما الآخر . لدينا حدائق جميلة كثيرة فيها أزهار من كل لون ومن كل صنف متسقة في شكل جمالها الذاتي . لدينا ألوان لم تروها قط ، لدينا بحيرات جميلة وجبال وترع وأنهار ، وطيور عجيبة لها ريش فاخر وألوان جذابة . لدينا أنواع كثيرة جميلة من الحشرات ليست كذلك التي عندكم ، وإنما هي قد تطورت لأنها انتقلت من طور الشرائق وبرزت في كل بريقها



صور أزمادار غريبة وفراشتين تلقتها الوسيطة السيدة دونوهو Mrs. Donohoe من عالم الاثير تحت الرقابة العلمية الدقيقة بدون استخدام كاميرا (تجارب في الروحانيات للأستاذ واريك ص ٣٣٧) .

ولا يوجد هناك ليل ، ولذا فإن مشكلات الإضاءة لا وجود لها ، وقد بينا كيف علل جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحى ، بلندن هذه الظاهرة تعليلاً علمياً . فكل ما يعرفونه هناك هو حالة من الشفق أى النور الهادى^(١) . ومدة الشفق هذه قصيرة تهيج أغلب الأرواح فيها للراحة فى منازلها ، فهمى تغفو لفترات قصيرة لكنها لا تنام على طريقتنا لساعات طوال كما تسترد قواها الضائعة فى كفاح النهار .

فى الحياة الحيوانية والنباتية

من المتفق عليه أن للحيوانات أجساداً أثرية تبقى بعد موت أجسادها المادية وتواصل حياتها فى مناطق مختلفة من العوالم الكوكبية والأثرية . وإن كان من الراجح أنها لا تصل إلى المستويات الروحية والعقلية التى تعلو هذه وتلك ، إذ يعتقد بعض الباحثين أنه إذا كان للإنسان جسد مادى وآخر كوكبى قابل للتطور للوصول إلى المستويات الروحية والعقلية ، فإن للكائنات الحية الأخرى أجساداً مادية وأخرى كوكبية ولكن غير قابلة للوصول إلى المستوى الروحى أو العقلى للحياة . ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذا البحث ، لأننا قد راعينا أن نتحاشى على قدر الإمكان المسائل الخلافية مكتفين بعرض المبادئ العامة للعلم الروحى التى لم تعد بعد محل خلاف .

ومن هذه المبادئ أن لجميع الكائنات — على أية حال — حياة أخرى بعد موت أجسادها المادية ، بصورة ما وفى مكان ما من مستويات الوجود كما تودى وظيفة ما من وظائف الحياة . ويصدق ذلك على الحيوانات الأليفة وغير الأليفة كما يصدق أيضاً على الأسماك والحشرات والفراشات .

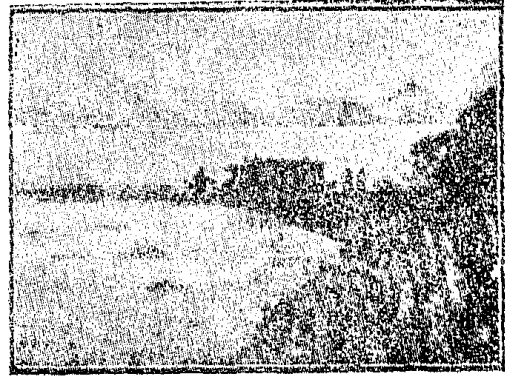
والحيوانات المفترسة تحتفظ بمظهرها الخارجى ، لكنها تفقد رغبتها فى الاقتراس بفقدانها حاجتها إلى الطعام . والحيوانات الأليفة لها وظائف هناك تختلف عن وظائفها على الأرض إذ لا ياكلون لحمها ، ولا يحتاجون

عن كتاب « تجارب في الروحيات »
للأستاذ ف . و . واريك طبعة ١٩٣٨ ص ٣٤٤ ، ٣٩١ .

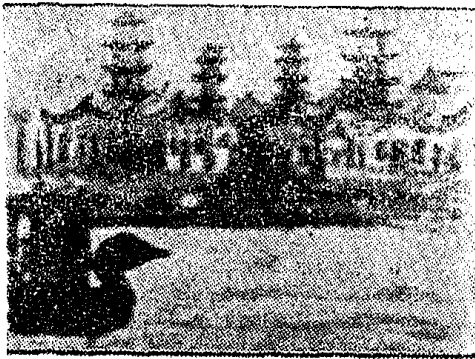
(٨)



(٧)



(١٠)



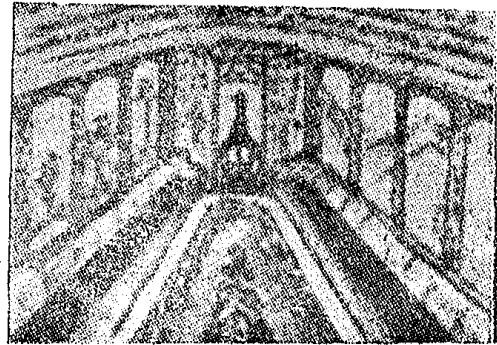
(٩)



(١٢)



(١١)

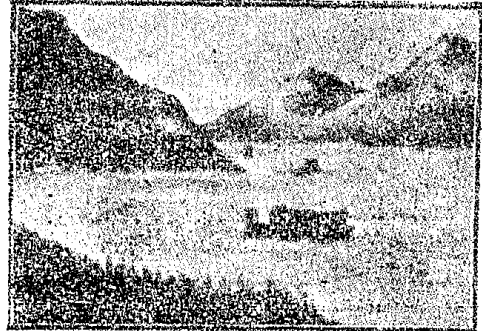


نماذج من صور وساطية
لبعض مناظر طبيعية آتية من عالم الروح

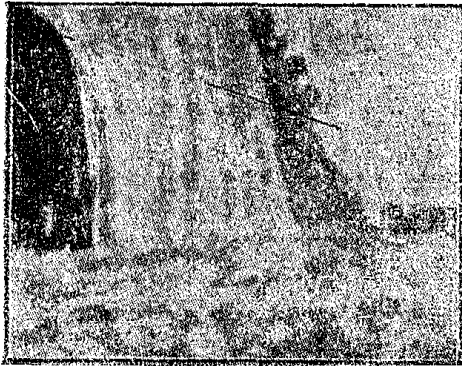
(٢)



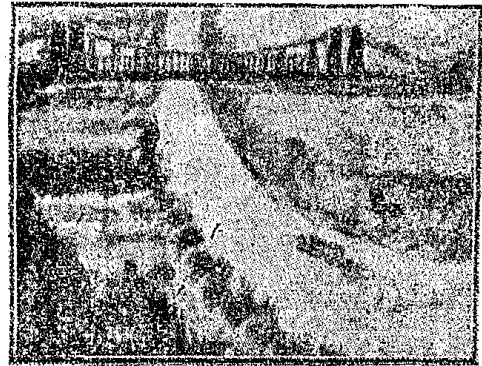
(١)



(٤)



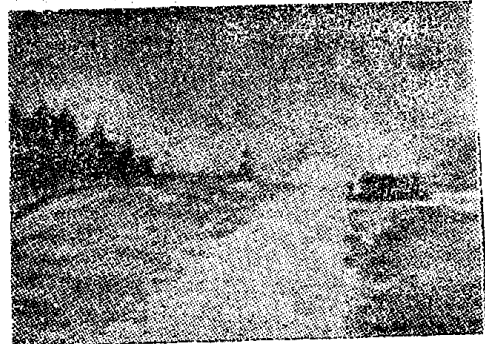
(٣)



(٦)



(٥)



هذا وقد وردت عشرات من الصور لمناظر طبيعية من عالم الروح تلقتها على الألواح الحساسة بدون كاميرا الوسيطة السيدة دونوهو Mrs. Donohoe تحت الرقابة العلمية الدقيقة ، وقد أشرف على إرسالها من هناك روح سير آرثر كونان دويل ومارتن دونوهو زوج الوسيطة الراحل تحت إشراف الروح المرشدة رد كلاود Red Cloud .

وفي مؤلف الأستاذ . ف . و . واريك F . W . Warrick وعنوانه « تجارب في الروحيات ، Experiments In Psychics نجد عشرات من الصور الأخرى واردة بنفس الطريقة (١) ، فضلاً عن مئات من الصور لإثبات شتى الظواهر الوسايطية التي التقطت تحت رقابه علمية . وقدم هذا المؤلف الثمين للقراء سير أوليفر لودج عالم الفيزياء الراحل ومدير جامعة برمنجهام شاهداً بعوامل الثقة في المؤلف — عن صلة شخصية به — وفي تجاربه الشاقة (٢) .

ولا توجد هناك زلازل ولا براكين ولا أعاصير ، وإن كانت توجد رياح خفيفة هادئة أحياناً . ولا توجد أمطار وإن كانت توجد أحياناً غيوم أثيرية والمياه كثيرة عذبة ، ولكنها لا تحدث البلب بلامستها ولا تحتاج إلى وقت للجفاف ، وعلى ذلك أجمعت البحوث الروحية على تعدد مصادرها وبيئاتها مع أن الأمر لو كان محض خيال — كما يعترض الماديون — لكان من المحتوم أن يختلف العلماء الروحانيون في هذه النقطة الصغيرة . فيقول بعضهم مثلاً إنه توجد مياه كيانها الأرضية تماماً ، ما دامت توجد هناك كل مظاهر الحياة الأرضية ، ويتخيل البعض الآخر أوصافاً أخرى لهذه المياه . وهذه المياه الأثيرية ينزلون أحياناً فيها لمجرد اللهو أو الرياضة لا للاغتسال ، لأن طبيعة الحياة نفسها ضوئية — أثيرية لا تعرف القذارة إليها سديلاً .

(١) راجع بوجه خاص ص ٣٣٩ — ٣٤٠ ، ٣٩١ .

(٢) راجع أيضاً ما سبق عن الوسيطة والمؤلف في الجزء الأول ص ٤٧٥ — ٤٧٧ .

ووديان وجبال وهضاب وصحارى وأنهار وشلالات وبحيرات ومحيطات
وحياة طبيعية فى أوج ازدهارها .

فلا يوجد أى مظهر من مظاهر جمال الطبيعة على المستوى الأرضى
إلا ويوجد له مقابل هناك أكثر جمالا . كما توجد هناك مناظر طبيعية
لا مقابل لها هنا بالنظر إلى تنوع الألوان وتدرجها على نطاق غير معروف
على المستوى المادى ، إذ ليس لدينا هنا إلا ظلال باهتة لبعض الأشياء
الموجودة هناك . أما الأشياء ذاتها فهى تستريح آمنة هناك حيث ولدت فى
الأصل ، كما أنه ليس لدينا إلا ظلال باهتة من أنفسنا بالمقارنة مع ذواتنا
الحقيقية المخفية وراء أجسادنا الترابية .

والمروج والأزهار متوافرة هناك بكثرة غير معروفة هنا ، ومنتشرة
فى كل مكان . وزهورهم تنبض بالحياة حتى تبدو لهم — كما قال بعضهم —
كما لو كانت كائنات حية أكثر منها جمادات صلبة . وتنبعث منها روائح ذكية
تعقب الجو إلى حد غير معروف هنا ، بل ينبعث من بعضها رنين جميل عندما
يداعبها نسيم الصباح .

فالأرواح الراقية التى تجىء إلى المستوى الأرضى لا تجىء مطلقا للتمتع
بمظاهر الطبيعة الأرضية مهما كانت مفرطة فى جمالها أحيانا ، لأن ما عندهم
من روائع الطبيعة يتجاوز كثيرا ما عندنا . وفى هذا الشأن تتحدث روح
شوبان Chopin الموسيقار الشهير إلى شارل تويديل أسقف يوركشير قائلة
(بتاريخ ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦) « إن الروح حرة تذهب كيفما شاءت ، ولكنى
من جانبى أفضل الآن مناظر عالم الروح ، كما أن لدى هنا عملى المناسب ، فعند
ما أزور الآن الأرض فإن مناظرها لا تعود تخلبنى كما كانت تفعل من قبل ،
فسأله تويديل « وهل كان الأمر كذلك من قبل ؟ ، فرد شوبان قائلا « ليس
بعد أن حضر أصدقائى إلى هنا ، فأنا أحضر إلى الأرض الآن كما أساعد
الآخرين ، ويختار بعض الأرواح أعمالا أخرى لتقدمه (١) . »

الحراس

والجسد الأثيرى هو الذى يحمل حواس الإنسان الحقيقية حتى على المستوى الأرضى على ما بيناه فى مناسبة سابقة^(١). وهو يستخدمها هناك استخداماً مباشراً حتى مع وجود المظهر الخارجى لما يقابل الأعضاء الأرضية. وهذا الاستخدام المباشر يظهر هناك تدريجياً وبعد الانتقال بوقت كاف. ومن مظاهر هذا الاستخدام المباشر لحواس الجسد الأثيرى أن التخاطب وإن كان يبدأ بالقم بحكم العادة، والسمع بالأذن، إلا أنه مع الوقت يصبح التخاطب بالتبائى — أى الاتصال بالفسكر — هو الطريقة الطبيعية للتفاهم^(٢). وبذا تزول أكبر عقبة تحول على الأرض دون تفاهم البشر على نطاق واسع، وهى اختلاف اللغات واللهجات. ولكن هناك رغم ذلك أرواح كثيرة تتعلم اللغات الأجنبية التى ترونها لأغراض مختلفة مثل الاتصال بالأرضيين من أصحاب هذه اللغات، ومثل الاطلاع الكافى فى آداب هذه اللغات وحقائق شعوبها.

المبحث الثانى

فى الصورة العامة للطبيعة هناك

إجماع الرأى على أن لعالم الروح وجوداً حقيقياً وصلباً بالنسبة للأرواح يماثل وجود العالم المادى بالنسبة للماديين، فهو ليس عالم للرؤى وللأحلام كما كان بعض الناس يتصوره فيما مضى. إن الأرواح لا تحلم بل تحيا حياة حقيقة أكثر نشاطاً من حياتنا الأرضية. فإذا ما تواجدت بضعة أرواح فى مكان واحد فهى ترى نفس المناظر الطبيعية المشتركة التى تميز ذلك المكان.

وتوجد هناك نفس المناظر الطبيعية التى نشاهدها هنا من سهول

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٤٢٧ — ٤٥٥ عن الجسد الأثيرى للإنسان.

(٢) وملئكة التبائى الآن مسلم بها فى علم النفس، كما أنه مسلم باستقلالها عن السمع بالأذن والتلقى بالقم.

علم الروح ، فلم يختلف فيها باحثان أو مؤلفان ، فهل كان ذلك أمراً ممكناً لو أن الموضوع كله كان محض خيال ؟^(١) ..

ولذلك أيضاً فإن جمال الأخلاق — وموطنها الحقيقي العقل — يضاف على صاحبه هناك جمال الجسد الأثيرى فيتفاعل العقل معه بصفة مستمرة في حياة الأثير ، لا يعوقه حائق إلا قوة الذاكرة وحدها . وبالتالي فإن ملامح الإنسان هناك تعبر تماماً عن حقيقة عواطفه ومشاعره ، فإذا حدث فيها تطور مع الوقت فإن ذلك يجيء — فحسب — عن طريق تطور هذه الأخيرة . فلا يمكن لإنسان هناك أن يتصنع مشاعر لا يملكها أو عواطف لا تلتصق إليه .

ولذا يقول سوبنبرج إن الشكل يبدو جميلاً بقدر ما يكون صاحبه قد أحب داخلياً الحقائق المقدسة وعاش فيها ، لأن داخلات الإنسان تصبح هناك مكشوفة وتتشكل بحسب المحبة والحياة . وبقدر ما يكون الحب داخلياً بقدر ما يكون مطابقاً للسماء وبقدر ما يكون الوجه أكثر جمالاً بالتالي ... كما يقول ، لقد رأيت وجوهاً ملائكية من السماء الثالثة لا يمكن لأي رسام مهما أوتي أن يعطي لألوانه بريقاً من الضوء يعادل جزءاً من ألف من البريق والحيوية اللذين يلبعان على وجوه هذه الملائكة . أما وجوه ملائكة السماء القرينة فيمكن للرسامين أن يقلدوها إلى حد ما ،^(٢) .

أما على المستوى الأرضي فإن قوانين الوراثة البيولوجية تلعب الدور الأول في تشكيل الجسد الذي يتجاوز كثيراً دور الروح أياً كان مستواها في نضج الخلق والعقل ، بدون إنكار لتأثير الذاكرة في الشكل ، فإن شكل الإنسان هو في النهاية نتاج ذاكرته أى نتاج عقله في حدود قوانين الوراثة هذه ، أما هناك فشكل الإنسان خاضع خضوعاً مباشراً لذاكرته .

(١) أنظر صور الأرواح المتجسدة في الجزء الأول من ٣٣١ — ٣٣٩ ، ٣٤٧ وغير

المتجسدة في من ٤٨٣ — ٤٩٧ .

(٢) عن المرجع السابق فقرة ٤٥٩ من ٣٣٠ .

يمكن للإنسان ما أن يتصور وجود ألم آخر يصيب الفكر الخاص . إن الألم الوحيد الذى يظهر مقبولا — بدون تفكير فيه — وهو مع ذلك ألم زائل — إنما يتولد عن مشاهدة صور الألم والتغاسة فى الأرض بعد مغادرتها . ومع ذلك فهذا الألم لن يكون فى واقعه سوى مجرد مظهر ولحظة لا تذكر بجانب الألم الذى يحى بسبب عدم القدرة أو العجز عن الفهم^(١)....

فى تفاعل الشكل مع الرسمى

وقد أقام علم الروح الحديث الأدلة موفورة على تأثير العقل المباشر فى المادة^(٢) . وما دام هذا التأثير أصبح حقيقة مقررة فإنه يبلغ مداه فى عالم الروح فيؤثر العقل تأثيراً مباشراً فى مادة الجسد الأثيرى — وهى بالغة الرقة بالقياس إلى مادة أجسادنا الترابية — فيعطىها العقل مظهرها الخارجى الذى به يتعارفون هناك كما تتعارف بالجسد الأرضى على المستوى الأرضى . وبالتالى فإن شباب العقل يضاف على الجسد الأثيرى شبابه الذى يلزمه فى رحلة الأبدية فى الفضاء .

ولأن شكل الإنسان الخارجى هناك يمكن أن يتشكل بحسب الذاكرة — التى تعمل عن طريق العقل كما يعمل العقل عن طريق الذاكرة — فإن أغلب الأرواح عندما « تنزل » إلى المستوى الأرضى تفضل — بتأثير الذاكرة فى الجسد الأثيرى — أن تتخذ نفس مظهرها القديم فى أخريات أيامها الأرضية حتى يمكن أن يتعرف عليها الحاضرون . أما عندما تعود إلى هناك فإنها تترك نفسها على سجيتها ، لأن ذلك لا يكبدها أى مجهود ذهنى كذلك الذى تبدله عندما تريد أن تظهر نفسها هنا على اللوح الحساس ، أو عندما تريد أن تتجسد للحاضرين ، وهذه أمور من البديهيات الآن فى

(١) من مؤلفه عن « الموت » La Mort طبعة ١٩١٣ م ١٩٧ — ٢٠٠ .

وراجع ما سبق عن المؤلف فى الجزء الأول م ٢٩٢ .

(٢) راجع ما سبق من بحوث جامعة ديوك التى دامت لعشرات من السنين قبل التسليم بذلك

فى الجزء الأول م ٤٦٧ وما بعدها، ومثلها بحوث عدة هيئات علمية .

أصبحناه ، إذاً ألا يدعونا ذلك للاعتقاد بأن الوسط الذى نذهب إليه عند خروجنا من الحياة الأرضية ، وهو أكثر جدة ، ومجهولية ورحابة وخصوبة، يطورنا أكثر فأكثر؟ إنه يمكن للإنسان أن يرى فيما يحدث لنا هنا صورة مما ينتظرنا هناك ، ويتقبل تماماً أن كائننا الروحى ، بعد التخلص من جسده إذا كان لا يختلط باللانهاية ، فهو ينمو شيئاً فشيئاً ، ويتخير جوهره ، ولا يتوقف عن النمو دام لا يعوقه عائق من مكان ولا من زمان^(١) . ومن الجائز جداً أن أكثر رغباتنا سمواً الآن تصبح قانون نمونا المستقبل ، وأن أرقى أفكارنا تستقبلنا على الشاطئ الآخر للحياة ، وأن نوع ذكائنا يحدد نوع الذكاء غير المحدود الذى يتبلور من حوله .

إن جميع الافتراضات جائزة ، وكذلك أيضاً جميع الأسئلة ، بشرط أن تتصل بالسعادة . لأن التعاسة لا يمكنها أن تهيئنا عن شيء ، ولا محل لها فى التصور الإنسانى عندما يستكشف المستقبل بطريقة منظمة . وأية كانت القوة التى نحيبها بعد الموت ، والتى تهيمن على وجودنا فى العالم الآخر ، فإن هذا الوجود ، مهما افترضنا فيه السوء لا يمكن أن يكون أقل عظمة ولا سعادة من وجودنا الحالى . فهو لا يقود إلا إلى اللانهاية ، وليست اللانهاية شيئاً إن لم تكن هى السعادة . وعلى أية حال يبدو مؤكداً أننا نقضى هنا اللحظة الوحيدة فى أقدارنا التى تتصف بالضيق وبالشح وبالظلام وبالآلم .

ولقد قلنا إن الآلم الخاص بالروح هو ذلك الناجم عن عدم المعرفة أو عن عدم الفهم ، والذى يتضمن آلم العجز ، لأن من يعرف الأسباب العليا لا تعوقه المادة بعد ، بل يتصل بهذه الأسباب ويتصرف طبقاً لها . ومن يفهم ينتهى بالموافقة ، وإلا يصبح الكون كله عبارة عن خطأ ، وهو أمر ليس ممكناً لأنه من غير المتصور وجود خطأ لانهائى . ولذا لا أعتقد أنه

(١) سنعالج معنى المكان والزمان هناك فى المبحث الرابع .

وتفصل بين الحيوانات، كما تفصل بين الأيام، فترات للراحة الظاهرة، ولكنها في نفس الوقت لحظات للجهد المستمر، ولهضم ما مضى وللإستعداد لما هو آت. وكما تبدو مشكلات كثيرة وقد حلها التوفيق عند اليقظة من النوم فكذلك يبدو الكائن في مستهل حياته الأرضية مقوداً في خطواته الأولى فيسير في اطمئنان كما لو كانت تمسك بزمامه يد ما في الطريق الذي رسمه لنفسه، والذي يحمله بمجرد ولادته ومع ذلك يسير فيه مغمض العينين.

هكذا الحال من وجود إلى وجود. وعن طريق فيض التجارب الكثيرة المسجلة المهضومة يصل الكائن شيئاً فشيئاً إلى الأوجه السماوية من الحياة التي لا يكفلها إلا التطور الكامل للوعي، أي عند تحقق السيطرة عليه.

والسيطرة على الوعي ينبغي أن تمتد — كغاية مثلى — على الحاضر والماضي والمستقبل، بمعنى أن تحقق نوعاً من الإحساس الغامض بالمستقبل الذي لا يبدو مفهوماً الآن. ولكن ما يمكننا بالأقل أن نصل إليه عن طريق المنطق هو حالة من معرفة الذات والكون متسقة بالقدر الذي يمكنها من إلغاء نسيان الماضي، ومن السماح بالاستخدام المنظم والطبيعي للمسكات السماوية، وما وراء الروحية، وبالتالي من رؤية معجزات التطور المتحرر السعيد، المنبثق في النهاية من ظلمات الجهل، ومن قيود الحاجة ومن الآلام الرهيبة^(١).

* * *

وعن تطور الوعي هناك يقول أيضاً أديب بلجيكا الكبير موريس ماترلنك Maurice Maeterlinek (جائزة نوبل في الأدب ١٩١١) إنه إذا كان الوسط الجديد الذي تدخل إليه عند الخروج من بطون أمهاتنا يحولنا إلى مدى يجعل كل صلة مقطوعة بين الجنين الذي كنا، وبين الإنسان الذي

(١) من مؤلفه « من العقل غير الواعي إلى العقل الواعي » De L'inconscient Au Conscient. طبعة ١٩١٩ ص ٣٢١ — ٣٢٣.

عندئذ إلى مقداره الحقيقي ، فلا يشغل بعد إلا مكاناً ضئيلاً في تسلسل ذكرياته الواعية .

وبين روابطه القديمة ، يتلاشى الواهى منها كما يتلاشى الضباب الخفيف مع طلوع الفجر ، أما الروابط القوية فهي تكون جزءاً لا يتجزأ من سلسلة مصيره ، ولا يمكنه التخلص من حلقاتها إلا تدريجياً .

فهذه الفترة التي يقضيها الإنسان خارج الأعضاء extra-organique ليست بحسب مرحلة استجمام وتركيب عام وحكم تلقائي على النفس، بل إنها بوجه خاص مرحلة نشيطة جداً للاندماج النفسى ، إذ فيها يتم في هدوء اندماج التجارب الجديدة في التجارب القديمة ، كما تتميز في الكائن حالات الوعى التي تم تسجيلها خلال الحياة .

وهذا الاندماج لا غنى عنه لتوحيد الشخصية وللتناسق الروحى . فيبدو أن اضطرابات الشخصية — كما سبق أن بينا — لا ترجع مهما كانت غريبة غامضة — إلا إلى عدم الاندماج النفسى بمعرفة الكائن قبل حياته الحاضرة ، وإلى ميل العناصر العقلية التي لم تمثلها الذات نحو المروق عن سلطة العقل ومناهضتها .

وفي الجملة يبدو أن المراحل المتتالية للحياة العضوية وخارج الأعضاء لها دور في التطور متميز هنا عنه هناك ، ولكن مكمل له . وفي سلسلة الحيات المتعاقبة لا يبدو للحياة الأرضية من قيمة تذكر إلا كقيمة يوم واحد في مجرى هذه الحياة . فللحياة الأرضية برمتها واليوم الواحد نفس القيمة ، وبينهما تماثل حقيقى . فهناك أيام سعيدة وأخرى سيئة ، كما توجد حيوات سعيدة وأخرى سيئة ، كما توجد أيام وحيوات مفيدة وأخرى ضائعة .

وفي الفترة بين وجودين أرضيين (إذ المؤلف من أنصار تعدد الحيات الأرضية والآثيرية) يعد الكائن المتطور تطوراً كافياً برنامجه للمستقبل

فالإنسان عندما يستيقظ من رقدة «الموت» هو نفس الإنسان بعواطفه وآماله ومعرفته وميوله التي كانت عنده قبل الموت مباشرة، وإنما يستوعب ببطء معرفته الجديدة وتجربته بعد تغير حالته ومكانه . وحتى بعد مرور مدة طويلة وحصوله على تقدم وافر فهو يظل كائناً آدمياً مهما أصبح له من شمائل الإنسان المتكامل بعد التقدم الكثير الذي أحرزه .

فلنشكر الله على ذلك ، ولننعم بأن من نجبهم من أصدقاء وأقارب يستمرون بشراً ومخللاً لحبنا ، ولم يتحولوا إلى مخلوقات لا يمكن التعرف عليها مجردة من صفات الإنسانية ومشاعرها ، فكيف كان يمكننا التعرف عليهم لو حدث مثل هذا التحول^(١) ؟ .

في تطور الوعي

وعن تطور وعي الإنسان بعد «الموت» يقول الدكتور جوستاف جيلي G.Geley مدير «المعهد الدولي لما وراء الروح» بباريس إن الموت للإنسان المتطور تطوراً كافياً يؤدي إلى انفجار الدائرة المحدودة التي كانت الحياة المادية تعتقل فيها الوعي الذي يتجاوزها، وهي دائرة المهنة والأسرة والوطن فيجد السكان نفسه محمولا خارج الأفكار والذكريات المألوفة ، وخارج حبه وأحقادهم وعواطفه وعاداته .

وبالقدر الذي يسمح له به تطوره الحالي يتذكر ماضيه كما يصبح لديه نوع من الإحساس السابق بالمستقبل ، فيمكنه أن يحكم على الطريق الذي سلكه ويقدر نتائج سلوكه وجهوده وهناك أشياء كثيرة كانت تبدو لها أهمية قصوى في مجرى حياته تظهر له عندئذ تافهة وضيئلة القيمة عند النظر إليها من عل . كما أن فرحاته الكبرى وآلامه وانفعالاته التي لا تتناسب مع النتائج ، ومشاعره التي اجتاحت حياته ، ومطامحه التي افترستها ، كل ذلك يتضاءل

(١) عن «أنباء من العالم الآخر» News From The Next World طبعة ثالثة

الحياة هو أن أحب كل إنسان ، وأن أفعل كما كنت أفعل عندما كنت في الجسد الفاني . إنك تعلم يا تويديل أنه بدون طموح لا يمكن أن توجد سعادة حقيقية ، ولذا فنحن نظل طموحين في اتجاه أو في آخر . ولكن بما أنه لا يوجد هنا طموح من طبيعة طموح الأرضيين ، مثل طموحهم إلى المال ، فلا حاجة بنا إلى أن نخرق القوانين ، والأمر الهام هو تقدمنا الروحي .

وإذا كانت ذاكرتنا تحيا بعد الموت ، وإذا كنا نتطلع خلفنا إلى حياتنا الأرضية متأملين فيما أخطأنا فيه ، وإذا كنا مستعدين وقابلين لإصلاحها ، فإننا نشرع على الفور في بذل أقصى جهدنا في هذا السبيل ، ولكن العقل ينبغي ابتداءً أن يكون مستعداً ، غير عنيد كما يفعل الكثيرون عند مرورهم إلى هنا ، ويمكنني أن أحرر لك صفحات كاملة عن هذا الموضوع

وقد روى مثل ذلك روح شوبان Chopin الموسيقار العظيم ، الذي كان يحضر جلسات أسقف يوركشير مدفوعاً برغبة الهيمنة على الوسيطة ، وهي كريمة الأسقف وتدعى دوروثي Dorothy ، وكانت لاعبة بيان ماهرة ومغرمة بوجه خاص بموسيقى شوبان .

ويعلق الأسقف تويديل على عبارة روح دويل ، « بأنه ما لم يكن هناك طموح للإنسان فلا توجد سعادة حقيقية » ، قائلاً مامعناه إننا نجد أن أولئك الذين يعيشون بعد موت الجسد الفاني يظلون آدميين على حالهم ، وهذا هو ما ينبغي توقعه من طبائع الأمور مع الاغتراب له . فإن أصحاب الشخصيات « العالية » التي تحتقر الأرض — هذا العالم المملوء بالخطيئة كما يقولون — ينسون أن هذا العالم أيضاً من صنع الله الذي أعده مقاماً لخليقته .

ويبدو عليهم أنهم يظنون أن الإنسان يحصل فجأة بعد الموت على الحكمة وعلى طبيعة « رئيس الملائكة » ، فما أشد دهشتهم عندما يحل دورهم في الانتقال ، لأن جميع المعلومات التي ترد من هناك تفيد أن مثل هذه الأفكار خاطئة تماماً وغير متفقة مع المنطق ولا مع الذوق السليم ، بالإضافة إلى أقوال المنتقلين أنفسهم .

فكل ما فكر فيه الإنسان وأراده ونطق به وعمله ، وما سمعه ونظره ،
قد تم تسجيله في ذاكرته الداخلية أو الروحية (التي يعرفها علم النفس الحديث
تحت وصف العقل الباطن) .

ومع ذلك ينبغي أن نعرف — على حد قول سويدنبرج — أن الإنسان
لا يحصل على أية معرفة ومعها الذكاء إلا إلى مدى تعلقه بالخير ، وبالحقيقة
التي عاش فيها عندما كان في العالم المادى بدون أن يقدر على تجاوز هذا المدى .

وفي الحقيقة إن كل إنسان يحتفظ هناك بالعاطفة التي كانت لديه عندما كان
في هذا العالم بنفس المقدار والنوع . ثم تتقدم هذه العاطفة تدريجياً وهو
ما يحدث في الأبدية ، لأنه لا يوجد شيء يعجز عن أن يتكامل إلى ما لا نهاية .
فكل شيء يمكن أن يتشكل إلى ما لا نهاية وينمو بالتالى عن طريق معرفة
أمور مختلفة ، بل يتضاعف ويثمر ، فلا توجد نهاية لأي شيء طيب لأن الطيب
يستمد وجوده من اللانهاية . ولذا تتقدم الأرواح والملائكة باضطراد
في الذكاء والحكمة عن طريق معرفة الحق والخير^(١) .

لكن هذا التطور في شكل الإنسان وثقافته وأخلاقه تدريجى محكوم
بميل العقل واتجاهاته ، ويتفاوت في سرعته من إنسان إلى آخر . فالإنسان
الذي الطموح يمكن أن يتطور أسرع من البليد القانع بحالته . وذلك هو
ما يحدث أيضاً على المستوى الأرضى لأن قوانين الحياة التي تسيطر على
طبائع البشر لا تختلف كثيراً هنا عنها هناك ، مهما اختلفت مظاهر الطبيعة
وإمكانات البيئة الجديدة للعقل .

وفي هذا الصدد تتحدث روح سير آرثر كونان دويل إلى الأسقف
شارل تويديل قائلة — بعد إعطاء صورته وتوقيعه^(٢) — « إن هدفي في هذه

(١) عن « الجنة والنار » Le Ciel Et L'Enfer ترجمة فرنسية بمعرفة جان ل .

فرانسيس Jean L. Francais فترة ٤٦٣ من ٣٣٦ ، ٤٦٩ من ٣٤٣ .

ويقول بعض علماء الروح إن ما ينزلق إلى العقل الباطن قد يبقى فترة طويلة بعد موت الجسد ،
أما ما يبقى في حدود العقل الواعى وحده فهو عرضة للنسيان السريع بعد الانتقال .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٦٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ .

(م ٧ — الإنسان روح : ج ٢)

الذى ينمو على مر السنين ولا يضعف بها ، حتى أن « الشيخوخة » هناك هي في حقيقتها مزيد من الشباب .

وهذا هو الفهم الذى فهمه للروح كل من كتب فيها منذ عهد الإغريق حتى الآن ، وهو أنها تقوى بمرور الزمن ولا تضعف به ، لأن معنى الزمن للروح غير معناه للجسد المادى ، وهو نفس الفهم المستفاد من كتابات الفلاسفة المحدثين . وكل ما فعله علم الروح الحديث هو أنه أقام عليه الأدلة من واقع كلام الأرواح الراقية نفسها في أية رقعة في الأرض سئلت فيها عن هذه النقطة .

وعلى هذا المعنى أجمعت رسائل الأرواح . وفيه يتحدث أمير الشعراء شوقي في رسالة التصدير قائلا من هناك : -

وهنا نعيش بلا خريف منفر بل فى ربيع يانع نلتهم
والسكل فى أوج الصبا متألق حرش . مع الإنصاف لا نتظلم
إلى أن يقول :

إنا نخطينا المشارف للعلل حيث المدارك وعبها لا يفطم
لنعب من نبع المعارف حكمة ففى المنال لعالم يستكرم

وعندما نتحدث فى المبحث الرابع من الفصل الحالى عن « الزمان والمكان هناك » ، نبين كيف أن الشباب الدائم ينبغى أن يعتبر « حقيقة علمية » ، لعالم الروح فى ظل أحدث حقائق الرياضة الزمنية والمكانية .

فى الرعى

وإذ كان العقل يبق ملازماً للجسد الأثيرى فإن مقتضى ذلك بالضرورة بقاء الذاكرة أيضاً وتطورها مع تطور العقل ونموه بغير توقف . وقد علل سويدنبرج الفيلسوف الوسيط منذ منتصف القرن الثامن عشر حدوث هذا التطور بأن للإنسان ذاكرتين لا ذاكرة واحدة : ذاكرة خارجية تنتمى إلى الإنسان الطبيعى ، وذاكرة داخلية تنتمى إلى الإنسان الروحى (أى الجسد الأثيرى) .

الأرضية في تفصيلاتها كلها ، بل هي أيضاً حقيقة محسوسة لأصحابها كجسومنا بالنسبة لنا لنذكر أننا حين نخلع عنا جسدنا الفيزيقي فإن كل فيزيقي يصبح غير حقيقي ويصبح كل أثري حقيقياً إزاء وعينا .

ولقد عرفنا الكثير بخصوص المادة فهي لا تنعدم حين لا تراها عيوننا الفيزيكية . وقد يتضح هذا على أتمه لو أننا أخذنا قليلاً من الماء وسخنه ثم لاحظنا تأثير ذلك . فأولاً نجد بخاراً منظوراً بعضه ، ثم فوقه بخار غير منظور ، وإذا عكسنا العملية (بالتبريد) استطعنا أن نستعيد هذا البخار غير المنظور إلى ماء كما كان . « فوق البخار » هذا لا يزال مادة على الرغم من اختفائه عن الأنظار ، وكل ما حدث هو أننا زدنا اهتزازاته ثم خفضناها حتى صار ماء مرة أخرى ، فجسومنا الأثرية تهتز بسرعة تقصر عن إدراكها عيوننا الفيزيكية (١) .

ولا يبدو على الوجه — هناك — تأثير العمر جلياً ، فليس للروح أو بالأدق للجسد الأثري من عمر يهد من قواه ، أو من تأثير سيء في جمال الوجه أو البشرة ، وذلك في الوضع العادي للإنسان ، وما لم يقصد هو إظهار شخصيته السابقة قبل انتقاله إلى هناك لمجرد إمكان التعرف عليه .

ومن ينتقل في شبابه الأرضي يظل على هذا الشباب ، ومن ينتقل في سن الطفولة ينمو كما لو كان قد ظل على الأرض ويجد هناك عناية كافية وقلوباً رحيمة كثيرة من أقاربه الذين سبقوه إلى عالم الروح وغيرهم (٢) أما من ينتقل في شيخوخته فإنه يرجع إلى شبابه تدريجياً بحكم وجوده في أجواء الأثير التي لا تعرف الشيخوخة ولا تعترف بها ، إذ أن الشيخوخة صفة تلازم الجسد المادي ولا تلازم الروح ، أو بالأدق لا تلازم العقل

(١) « على حافة العالم الأثري » ترجمة المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير طبعة ثالثة ص ١٣٣ و ١٣٤ .

(٢) للمزيد في هذا الموضوع راجع كتاب سيباقيا باربانيل Sylvia Barbanell « عندما يموت طفل » When A Child Dies .

إلى تعرف طبيعة حياته المستقبلية التي ينبغي على كل عاقل أن يعد نفسه لها منذ الآن إذا شاء لنفسه حسن المصير ، وهو الهدف السامى لكل تعليم خلق وصل إليه بنو البشر سواء تحت راية الاعتقاد الدينى أم خارجها .

وفما يلي سنعرض لبيان أهم الأمور المجمع عليها فى كافة المراجع الروحية فى شأن أوصاف العيش فى هذا المستوى الثالث Third Plane مستقاة من عدد من المراجع الموثوق فيها ، والتي تلاقت كلها عند التسليم بصحة هذه الأوصاف ، وذلك فى ستة مباحث متتابعة على النحو الآتى :-

المبحث الأول : فى شخصية الإنسان هناك .

المبحث الثانى : فى الصورة العامة للطبيعة هناك .

المبحث الثالث : فى بعض المميزات العامة للحياة هناك .

المبحث الرابع : فى معنى الزمان والمكان هناك .

المبحث الخامس : فى الحياة الاجتماعية هناك .

المبحث السادس : فى الحياة العاطفية هناك .

المبحث الأول

فى شخصية الإنسان هناك

أول ما قد يلفت نظر الإنسان القادم حديثاً إلى عالم الروح أن يرى أن الأجسام البشرية نفس أشكالها وملاحظها المعروفة هنا تماماً . فنحن كما يقول جيمس آرثر فندلاى - مدير المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن حتى وفاته فى سنة ١٩٦٤ - نعيش هناك رجالاً ونساءً كما نعيش هنا . وما كلمة «روح» إلا تسمية أرضية ، وليست جسيماتاً الأثيرية^(١) مشابهة فحسب للجسومنا

(١) راجع ما سبق منها فى الجزء الأول من ٤٢٧ - ٤٦٣ .

الفصل الثالث

أمور مجمع عليها عن أسلوب الحياة

في عالم «المستوى الثالث»

هكذا تلاقت المعلومات الواردة من مصادر متعددة من عالم الروح عند إعطاء صورة تقريبية للحياة هناك لم يعرفها الإنسان من قبل ، ولم تختلف هذه المصادر في تحديد خطوطها الرئيسية ، وإن اختلفت في بعض التفاصيل اختلافاً طبيعياً بحسب المناطق والبيئات التي تقطعها هذه الأرواح — وهي متعددة تعدداً لا آخر له — وبحسب التباين المتوقع من أوصاف صادرة من أشخاص عديدين حتى إذا ما وجدوا في نفس البيئة بحسب اختلاف طرائق تفكيرهم ، وتفاوت نظراتهم إلى شتى الأمور ، والزوايا التي قد تعنيهم منها ، خصوصاً في عالم تلعب قدرة العقل على الخلق والتنقل الدور الأول في توجيه أسلوب الحياة فيه .

ويحسن كما نأخذ فكرة أكثر وضوحاً مما تقدم عن طبيعة الحياة في المستوى العادى الذى يذهب إليه البشر — الذين وصلوا إلى مستوى معين من الثقافة والنضج — وهو «المستوى الثالث» (أو مستوى السمرلاند Summerland بحسب الوصف الاصطلاحي^(١)) أن نعرض بطريقة أكثر تفصيلاً مما تقدم لأسلوب الحياة في هذا المستوى ، كما سجلتها البحوث الموثوق في قيمة أصحابها ، وفي دقتهم في النقل والرواية ، وفي نفس الوقت في قيمة أرواحهم المرشدة من ناحية مدى نضجها وثقافتها وإطلاعها على قدر كاف من حقائق الحياة هناك .

ولا ريب أنه من الأهمية بمكان أن يعرف كل إنسان هذه الأوصاف العامة للحياة المستقبلية ، فإن هذه المعرفة تشبع في نفسه حاجة طبيعية مشروعة

(١) «سمرلاند» أرض المصيف وهي كتابة عن بيئة المرح والجنو الجميل

• وليس للأرواح أن تجيب على جميع الأسئلة التي قد توجه إليها في الجلسات ، على أن معلوماتها محدودة جداً في الواقع ، ولو أنها أكثر من معلوماتنا ويوجد بينها كما يوجد بيننا خليط متباين في المدارك الأمر الذي ينجم عنه تباين آرائها . وهي تنظر إلى المادة كما لو كانت وهماً من صنع العقل يخبر مع الموت ، إذ أن الروح هي التي لها وحدها وجود حقيقي .

ولا يحبون في ذلك العالم الآخر حياة تأمل فحسب ، بل إن لكل إنسان منهم مشاغله الخاصة ، ولذا فإنه كثيراً ما يحدث أثناء الجلسات أن تغادرنا الأرواح فجأة قائلة إنها مطلوبة في مكان آخر ... (١) ،

وهكذا لخص هذا المستشار في عبارات سريعة بعض البيانات العامة عن وصف الحياة هناك كما خلص إليها بعد سنين كثيرة من التجريب في منزله ، فهل له مصلحة في الكذب — وهو قبل كل اعتبار قاض — وهل نسي لغير حكمة مقهومة ما ينبغي أن تنسم به أقوال القاضى من دقة ومن صدق ؟... ثم هل نهدر البيئة المستمدة من التماثل الواضح بين النتائج التي وصل إليها هو وتلك التي وصل إليها الباحثون الآخرون في شتى أمصار الأرض ؟ وهل نكون عندئذ رجالاً عليين منطقيين ؟

وهذا التماثل الواضح لا يظهر تماماً إلا بعد اطلاع القارئ على الفصل المقبل الذي خصصناه للكلام في « أسلوب الحياة في عالم المستوى الثالث ، — الذى يمثل مستوى واحد من مستويات عوالم ما بعد المادة — بشيء من التفصيل والعناية ، لأنه مستوى وثيق الصلة بمستوى الحياة المادية على الكوكب الأرضى ، فهمى بمثابة الإعداد له والتمهيد ، كطفولة الطفل عندما تعد له مستقبله وتمهد له سبل السعادة فيه أو الشقاء .

(١) المرجع السابق طبعة ١٩٤٧ من ١٥٣ — ١٥٩

أحاطهم حب المادة إلى أرقاء مستضعفين ، من سيصبحون هناك بؤساء مجردين من المال والاعتبار .

هناك تصبح السيادة لفضيلة المحبة التي تتطلب منا أن ننسى ذواتنا وأن نحب الآخرين ما نحب لأنفسنا من عوامل السعادة فالمحبة تقربنا من الإله تعالى حين تبعدنا عنه الأحقاد التي تفسد حياتنا وتصنع منها سعيراً حقيقياً . ولا يستشعر المرء في الجملة أية رغبة في العودة إلى عالمنا هذا ، إذ أن معنى ذلك هو التنازل عن متع جمّة ، إنما قد يرغب في الذهاب بالقرب من الأشخاص الأعزاء لديه .

هناك تظهر جليلة الصفة العابرة للأمور الأرضية ، فتستبين الروح أن للفقر وللألم فائدة معنوية تجعل منهما نعمة ورحمة من الرحمن . وهناك تكون الرغبة في التعلم قوية .

هناك لا يكون للزمان والمكان نفس المعنى فتتحرك بسرعة كبيرة ، إلى حد أننا نصير في أي مكان بمجرد تفكيرنا فيه . كما يصبح لدينا إحساس بحير بالمقدرة وبالحرية في جو عذب مشبع بالسلام والمحبة وبالنعيم وببسيان آلام الحياة الماضية في كنف ذلك السكون غير المحدود الاتساع ، والذي يبق مع ذلك لغزاً لا يحل . إنها لافاق تتراجع كاشفة عن روائع متجددة على الدوام .

ولن يصبح الإنسان ملاكاً أو قديساً ، بل سيدرك كل واحد مبدى نقائصه ، كما سيدور له لما ما عليه أن يدركه من ارتفاع في أعماق المحبة الغير المحدودة ، ويبدو كما لو كان مريضاً في مصح يعالج فيه من رذائله الشخصية وتحدد قيمة الشخص بنوع ما قد يغذيه من المشاعر ، ولا تكون للمشكلات اللاهوتية أي اعتبار ، بل يكون الخلاص عن طريق الإيمان الذي تسيطر عليه الأخوة بين البشر أجمعين ، والرغبة في التعاون مع جميع المخلصين من بني الإنسان ، أيا كان جنسهم أو جنسيتهم أو أديانهم .

ليتعرف فيه على نفسه ، وهو أمر يتوقف على درجة إعداده الذهني . وقد يذهله أن يرى نفسه واقفاً بالقرب من جسده يتأمله خامداً لا حراك فيه . كما أنه لا يعي شيئاً عن علة آلام ذويه ، بل قد يميل إلى الضحك منها ، فلما أعظم المفارقة بين ما يشعر به من سعادة وما يثيره من فجعة ، فيرغب في الكلام إليهم ... ولكن هيهات .

وبمجرد ما يسترد الإحساس بذاته يرى أن واحداً من سكان العالم غير المنظور قد حضر لاستقباله وإرشاده يرافقه أعزؤه الذين سبقوه إلى ذلك العالم الآخر . إنهم يفيضون هناك شباباً وجمالاً ولكن يسهل التعرف عليهم رغم ما انتابهم من تغيير ، إذ أن لهم المقدرة بحكم تفكيرهم المبدع على أن يتخذوا الشكل الذي كانوا يعرفون به على الأرض وذلك إثباتاً لشخصيتهم^(١) .

ويحتفظ المرء بعقليته وإرادته بوجه الاستمرار ، ولكن يتغير حكمه على الأشياء بعد تحرره من الجسد . فإن الروح أصبحت تبدو في الجماعة التي صارت عضواً فيها على ما هي عليه من حال مجردة من كل قناع يغطيها . ويصبح الحكم على قيمة الأشخاص طبقاً لنواياهم . وقد يكون المتهم الذي تدينه محاكمتنا بعقوبات ماسة بالاعتبار في وضع أحسن حالا — بالنظر إلى فضائله — من المنافقين الذين لم تكن فضائلهم إلا مظهرأ خداعاً ... فيتحقق قول المسيح ، ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرين أولين ، (مر ١٠ : ٣١) .

ومن هذه الوجهة تبدو أيجاد الأرض إذلالاً قد يجعل أسمى ما فينا مبعث سخرية ، ويصبح ما نفخر به من مزايا المال والرتب الاجتماعية والألقاب غير ذي معنى ، فإن أفضل ما لدينا على الأرض لا يصل إلى أقل الأشياء قيمة هناك ، بحيث أن من الأثرياء المرموقين من عباد المال ، ومن

(١) واجم ما سبق في الجزء الأول من ٣٩٩ ، ٤٧٢ ، ٤٩٧ .

في جماعات معينة وأن لهم مشاغلهم الخاصة التي تحددها لهم ملكاتهم . وأنهم يقيمون في مساكن مشيدة من مواد تبدو لهم صلبة ، وأنهم يرتدون ملابسهم ولهم أجسام أثيرة جليلة واضحة ، إن حالتهم الحقيقية تجعلني أشعر أنني حقيق في هذه الحياة بقدر ما كنته على الأرض بالنسبة لكم ، على حد قول السكابتين هينشليف Hainchleff .

وتبين الروح أنه قد صارت لها القدرة بعد تحررها من الجسد على أن تنقل من مكان إلى آخر في الفضاء بسرعة الفكر . وقد تشعر الأرواح بالتعب والحاجة إلى الراحة فتستعيد قواها في أسباب طو تتفاوت في أنواعها بحسب ميولها . وتتفاوت سعادتها طبقاً لما تستحقه من جزاء عما قدم أصحابها من خير على الأرض ، أو عما ينبغي عليها من إصلاح لأنانياتها وعيوبها الشخصية .

كما تبين الروح أن الجسد الأثيري يتطور هناك فينمو الطفل ويتعلم ويصير بالغاً . ولذلك فإن الضيف الجديد قد يجد في ذلك العالم بعض صعوبة في التعرف على الأشخاص الذين عرفهم أثناء حياته الأرضية .

وتظهر في الأرواح مقدرة جديدة على الاتصال مع الآخرين بطريق الفكر و تصوير المعاني ، بغير الاستعانة بترجم عند اختلاف اللغة ، وما هذه المملكة في النهاية سوى نفس المملكة التي يحوزها بعض الأشخاص وهم في الجسد (مملكة التلباني) ولكنها تصبح عامة شائعة هناك (١) .

ويصبح التفكير مبدعاً خالقاً ، وقد أجمعت على ذلك كل الرسائل ... ثم يقول عن الانتقال : « ولا يدرك المنتقل حالته الجديدة على الفور ، بل إنه ليظل في حيرة من أمره ويحتاج إلى وقت يتفاوت طويلاً وقصيراً

(١) يعبر المؤلف إلى كتاب « الحالات العميقة للنويم المغناطيسي » لـ كولويل دي روشا De Rochas : Les Etats Profonds de L'hypnose.

لعالم الروح من ناحية ظروف الحياة فيه من مناظر طبيعية وضوء وطقس وغيرها .

* * *

وها هي بيانات أخرى عن وصف الحياة هناك ننقلها عن مؤلف للأستاذ شارل بينزيك Charles Bénézech المستشار الفخري بمحاكم الاستئناف الفرنسية تلقاها بطريق الوساطة من أرواح أشخاص سبقوه إلى هناك . وبوجه خاص من روح والده ألفريد بينزيك Alfred Bénézech الذي كان قبل انتقاله مؤلفاً وباحثاً معروفاً في الأمور الروحية ، وقد أشرنا إلى أهم مؤلفاته في الفصل الخاص عن بعض الأسماء والمراجع في فرنسا ، (١) .

وقد نشر المستشار بينزيك هذه البيانات في مؤلف له عنوانه : الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر ، (٢) ، وفيه يتساءل ماذا يمكن أن تؤول إليه الإحساسات الأولى للروح بعد أن تتحرر من رداها الجسدي البالي ؟ ثم يجيب قائلاً : تتوقف تلك الإحساسات على ما تكون الروح قد بذاته من جهد خلال وجودها الأرضي . على أنه يمكن القول بوجه عام بأنها إن لم تكن في غشاوة من أمرها بسبب حياتها الرديئة ، وكذلك إن لم تكن قد وهبت نفسها للموت طواعية واختياراً فإنها ترى - وقد تحررت من جسدها - شريط حياتها الأرضية ماثلاً أمام عينيها . وتحضر إلى لقيائها الكائنات العزيزة عليها التي سبقتها إلى موت الجسد كيما تساعد على أن تدرك حالتها الجديدة ، وعلى أن تتحرر من الخوف من المجهول الذي ربما يكون قد بدأ لديها أحياناً وهي في دور الاحتضار .

إنه ميلاد ثان للإنسان . ولعله مما يدعشه أن يرى أن البشر يعيشون هناك

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٨٧ .

La Vie Terrienne Et La Vie D'outre Tombe. (٢)

وحينما يكون الوقت في لندن نهارا يكون في استراليا ليلا ، ولكن إذا كانت أشعة الضوء تنعكس مثل أشعة الراديو بالجو عند ارتفاع أكبر بكثير من الارتفاع الذى تنعكس عنده من سطح الأرض ، فإنه عندما يوجد ضوء هنا يوجد ضوء في استراليا لأن بعضاً من أشعة الشمس يقع علينا مباشرة ، حين أن البعض الآخر من تلك التى تمر بالأرض يمكن أن تصطادها المرآة المحيطة بالأرض وتعكسها إلى استراليا . وعلى الرغم من أن أشعة الشمس المباشرة لا تكون قد سقطت على استراليا ، أى على الرغم من أنه لا يكون إذ ذاك نهار هناك ، فإنها تكون في ضوء منعكس يصح أن نسميه شفقا . . .

ويؤكد هؤلاء الأثيريون دائماً أن جوهم أكثر ضياء من جونا ، وأنه يمتد في الفضاء إلى ارتفاع أكبر . ولهذا لم يتعذر علينا أن نتصور أثيريا وفيها ضوء وشفق بدلا من ضوء وظلام كما هى الحال على الأرض . وتشبه أثيريا هذه الأرض كل الشبه إلا في أنها أكثر منها زهاء ، ولطالما جهد الأثيريون في تأكيد ذلك ، وأحال أن على الأشياء هناك ضوءاً قزحياً لا يوجد عندنا ، وهذا الضوء ينشأ بسبب استضاءة جوهم . . .

وهكذا يسترسل فندلاى في تعليل ما أجمعت عليه الأرواح من أنه لا يوجد هناك ظلام ، بل مجرد شفق ، بما يضيّق المقام عن إirاده بالكامل هنا ، كما يسترسل على نفس النمط في تعليل ما تقوله الأرواح من ناحية موقع عالمهم وطبيعته وأوصافه بأسانيد مستمدة من مبادئ الفيزياء الحديثة ، لا يخرج عنها . وقد ساعده على ذلك اطلاع واسع فيها مما مكّنه أن يصبح رائداً حقيقياً في هذا الجانب من البحث الروحى ، وهو جانب التعليل العلمى للأوصاف التى يتلقاها بأسانيد ثبتت صحتها . حتى أن من يقرأ كتابه هذا وهو السكون المشهور ، برمته يخرج باقتناع علمى مسبب بصحة ما تقوله الأرواح ، وما أجمع عليه الباحث الروحانيون من أوصاف متماثلة في كلماتها

يومنا يكون أقصر إذا اعتمدنا فقط على الأشعة المباشرة للشمس . فالمسألة كلها مسألة مدى ارتفاع هذه المرآة الجوية فوق سطحنا . وإذا امتد جونا إلى ارتفاع أعلى مما يمتد إليه فإن المرآة تعكس أشعة الضوء زمناً أطول ، ويطول نهارنا ويقصر ليلنا . أما في أثرياً فقد أثبتت أن مرآتهم الجوية أعلى كثيراً فوق سطحهم من علو مرآتنا فوق سطحنا ، وعلى ذلك تنعكس أشعة الشمس الأثرية زمناً أطول فيمكن السطح الذي استدار بعيداً عن الشمس الأثرية أن يحصل على الضوء ويظل كذلك حتى يحصل ثانية على أشعة الشمس المباشرة .

ولدينا على الأرض مثل لذلك في موجاتنا اللاسلكية . فهذه الموجات في طبيعتها من الوجهة العامة تشبه موجات الضوء ، إلا أنها أطول منها ملايين المرات . وما دامت تشبه الموجات الضوئية في طبيعتها فهي تشترك معها في كثير من الخواص . ولقد حار المجربون الأوائل المبكرون حيرة عظمى حينما وجدوا أنهم يلتقطون الرسائل من محطات لاسلكية في الجزء المقابل من الأرض دون صعوبة . وسبب هذا أنه بمجرد أن تبلغ موجات الراديو ارتفاعاً خاصاً ترتد ثانية عائدة إلى الأرض . فما يعمل الجو لنا على الأرض بعكسه أشعة الشمس وإحداث الفجر والشفق تعمله لموجات الراديو هذه الطبقة من الغاز المتأين .

وتعرف إحدى هذه الطبقات بطبقة كنى - هيفيسايد Kennelly-Heaviside وتوجد عادة على بعد من ٦٥ إلى ٧٠ ميلاً فوق سطح الأرض . وتوجد طبقة أخرى تعرف باسم طبقة أبلتون Appleton على بعد من ٥٠ إلى ٢٥٠ ميلاً فوق سطح الأرض ... كما توجد طبقات عاكسة على أبعاد من الأرض تصل إلى نحو ثلاثة ملايين من الأميال . وعلى ذلك لا تخترق الأرض موجات الراديو المرسلة من لندن ولكنها ترتفع إلى أعلى ، فإذا اضطدمت بإحدى هذه الطبقات عادت إلى الأرض ، وبذلك تلتقطها الموصلات الهوائية إلى استراليا .

بسبب استضاءة جوه . وتوجد سماء في أثيريا كما هي الحال في الأرض . . .
والألوان في أثيريا أجمل كثيراً منها في عالمنا ، وأكثر تنوعاً وتلاوفاً ،
ولذا فالمناظر أجمل منها لدينا ، وذلك لأن جوه المضيء يكسب كل شيء
مظهراً قزحياً .

وكل هذه معلومات أجمعت عليها الكتب الروحية ، فلم أقابل في أى
منها ما يناقضها في قليل أو في كثير . وإنما اخترت آراء فندلاى بالذات ،
لأنها تلخص في عبارات سريعة ما أجمعت عليه بحوث الروحانيين في
مراجع طويلة . فهو قد أغنانا بهذا التلخيص عن تكرار نفس الجهود . ثم
إنه صاحب خبرة عشرات السنين في هذا الموضوع ومدير معهد روحى دولى
له مكانته ، بما يسمح له أن يتحدث فيه حديث الخبرة الشخصية والاتصال
المتواصل بعالم الروح عن طريق وسطاء من الطراز الأول مثل سلون
وسيط الصوت المباشر وغيره .

ثم إن لفندلاى مزينة واضحة في كتاباته وهي أنه يربط عادة بين حقائق
الفيزياء وبين ما تعطيه الأرواح الراقية من أوصاف لعالم الروح ، فإلم
يحصل على التعليل العلى شافياً ، فلا يعتبر الوصف حقيقة يمكن الاقتناع بها .
والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف منها هنا المثال الآتى : —

فالأرواح قالت له إنه لا يوجد في أثيريا ليل كليلنا وإنما يوجد — حسب —
شفق ، أو بعبارة أخرى أن الحياة هناك نهار واحد طويل تقل استضاءته
في فترات منتظمة عندما يخفت الضوء . وهذا الشفق هو الذى يقابل الليل
هنا . وكما أن سماءنا المضيئة تحجب عنا النجوم نهاراً ولا نرى إلا قبواً
مضيئاً كذلك تعمل سماؤهم فتبدو لهم قبواً مضيئاً أيضاً ، ولكن فى تلالو يجعل
الشمس الأثيرية نفسها غير منظورة بسبب الاستضاءة التى تحدثها .

وهو يعمل ذلك قائلاً فى كتابه « الكون المنشور » : « إن جونا يعمل
كالمرآة إزاء أشعة الشمس الشارفة والغاربة ، وهذا يطيل يومنا ، وإلا فإن

ومزروعات من جميع الأنواع وأنهار وجبال ووديان، ولكل ما نشاهده على
سطحنا يوجد مثل على المستويات الأخرى . وإنما كلما ارتفعنا أو بعدنا
عن سطح الأرض زاد الجمال وبهاء المنظر . . .

« وعلى هذه المستويات يوجد رجال ونساء وحيوانات تعيش كما نعيش
نحن على الأرض . ولما كان الطعام اللازم للتغذية أيسر منالاً ، وكان الجوهر
هو الذى يستهلك بدل اللحم والخضر اللذين نستهلكهما نحن ، فإن الحياة
تكون ميسرة هناك بل إنها تكون أيسر منها على الأرض . أما العواطف
التي تجيش بها الصدور فوق الأرض والتي يثيرها في الصدور الكفاح في
سبيل الوجود ، والخوف من الخطر فعدومة في أثرياً . ولا يلحق الجسم
ضرر أو إيذاء ، والموت المفاجيء الشديد غير معروف ، . . .

ذلك لأن المعروف هناك هو الانتقال من مستوى منخفض إلى مستوى
مرتفع عن طريق فقد التجسد لافقد الجسد . وفقد التجسد هذا يجرى عن
طريق ارتفاع تدريجي في درجة اهتزاز الجسد الاثيرى الخاضع لتأثير العقل
بسبب نموه في المعرفة والخلق . فلا يترك الإنسان وراءه جسداً تريباً مثل
ذلك الذى يتركه هنا ، لأن التراب هناك لاوجود له في أية صورة كانت
على ما أجمعت عليه كتب البحث الروحي .

ثم يضيف فنذلاى « ويوجد في « أثرياً ، جو يحيط بكل مستوى ،
كما يوجد بها سحب وسما ، وتصعد الرطوبة وتهبط هناك كما تصعد وتهبط هنا ،
وأحوال المناخ هناك تلتشر كما تلتشر هنا ، ولكنها أكثر اعتدالاً . وهناك
تتغير الفصول أيضاً . وينطبق هذا كما أنبثت على المستويات الثلاثة الأولى
التي تعلو الأرض ، وابتداء من المستوى الرابع فما فوق تختفى التغيرات
المناخية تماماً .

« ولا يوجد ليل فوق أى مستوى من مستويات أثرياً كالليل الذى نعرفه
هنا . وبدلاً من الليل فوق المستويات الثلاثة الأولى يوجد شفق ، وذلك

فلقد تقدم بنا الحال كثيراً في عالم الأرواح في سبيل اتصالنا بالأرض ، ولقد ساعدتنا في ذلك مساعدة كبيرة قوة أرواح الشباب من النساء والرجال الذين جاءوا إلينا أثناء الحرب الماضية من كل جهة من جهات الدنيا فقد جاءوا إلينا بقوة طبيعية عظيمة وتصميم عظيم فاستطعنا بتأثير تلك القوة أن نتغلب على كثير من الموانع والحوائل التي قد تقف حجر عثرة في سبيل اتصال العالمين

ثم يقول : هكذا نحن في عالم الأرواح . نحس بكل من تركناهم من ورائنا . بعضهم راغب في البقاء والبعض الآخر يقا تل ويجاهد لسمع صوته ، والبعد بيننا وبين الأرض قليل ، أما البعد بيننا وبين روح الله العظمى فهو كالبعد بينك واقفاً على قمة الجبل وبين أبعد نجوم السماء ، فنحن إزاء ذلك لم نقطع من سياحتنا إلا القليل ، كما أننا لم نفس شيئاً من ماضينا ، إلا أن الحب لا يزال رائدنا ، (١)

* * *

هذا وقد وضع الأستاذ جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay بعض ظروف الحياة في عالم الروح استناداً إلى ما تلقاه من الأرواح خلال خبرة عشرات من سنى البحث المستنير في مؤلف له عنوانه : السكون المنشور ، (٢) قال فيه : « إن لكل من هذه الدوال سطحاً وجواً وضوءاً ، فما يذكر عن أحدها ينطبق على الجميع . ولا داعى للقول بأن الأما كن التي توجد بها جبال وبحور على الأرض يوجد في مقابلها هناك جبال وبحور ، فالقوى التي أوجدت الجبل والبر والبحر على الأرض هي التي أوجدتها في آثيريا (أى عالم الآثير) ولكن ليس من الضروري أن تكون في نفس الجهات التي على الأرض .

« وفي هذه المستويات أرض وماء وشجر ودور وحقول وطرق

(١) المرجع السابق ، الفصل الثالث عشر ص ١٤٥ وما بعدها .

The Unfolding Universe

(٢)

وراجع ما ورد عن المؤلف في الجزء الأول ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

الزرقاء ارتحت إلى التقدم الذى أحرزته ، فقد كان انتقالى إلى الحياة الأخرى مفاجأة لى ، لأنى لم أكن أفكر مطلقاً فى أن انتقالى قريب وحادث فى بدء تلك السنة التى وقع فيها . ولا شك أنه لم تسكن لى أية رغبة فى استعجاله نظراً لما كان عندى من المشاغل الهامة ، ولكنى استطعت أن أنهى بعضها منه ذلك الحين . كما تدبعت تقدم الكثير منها ، وسرعان ما تأقلمت بمجرد وصولى إلى هنا بحسب الأحوال والمظاهر الجديدة ، وبحسب حركة الاتصال وطرق الانتقال الجديدة

ولا ريب أنه يوجد كثير من الفروق العظيمة بين عالمى وعالمكم . وعندى أن أعظم تلك الفروق وأكثرها بركة ورحمة هى الحالة التى تجعل الأمور المعنوية غير متأثرة بالأمور المادية . فأتم فى الحياة الدنيا ذوى آمال وأطماع مختلفة الأنواع بخصوص المال والنجاح فى الأعمال والسرور والصحة والعلم . . . الخ ولكن تلك الآمانى مقيدة ودونها عوائق كثيرة مما تجعل تحقيقها مستحيلاً بالنظر إلى ظروفكم المادية .

أما هنا فما دامت الروح المعنوية حسنة فالمجال واسع لاحد له ، وكل أمنية معنوية تتعلق بالحقيقة أو بالمعرفة مهما عظمت تتحقق فى هذا العالم بطريقة مدهشة . ومهما كانت الرغبة خيرة أو شريرة فلا بد أن تأتى بنتائجها ، فإن كانت شريرة فإنها تقوى ولا بد أن نجازى عليها . وكذلك تقوى أيضاً إذا كانت خيرة وتحل بسببها القوة والسعادة .

ولا أستطيع أن أؤكد لكم أكثر مما قلت بأن الواحد منكم حسبما يكون فى الدنيا سيكون فى الحياة الأخرى ، وأنكم تعدون أنفسكم فى حياتكم الدنيا لحياتكم الأخرى ، فلا ريب فى أنها ستكون بحسب حياتكم الحالية وطريقة تفكيركم

ولأنى إذا أرجعت البصيرة إلى حياتى هنا فإنى كما ذكرت لكم سابقاً مقتنع وراض بكل ما وقع من الناحية الشخصية والفردية بل والعامة أيضاً ،

فسرت معه طويلاً وسمعت منه أن مجهوداً كبيراً قد بذل في هذا الصدد هنا، كما ذكر لي أن لديهم عدداً وافراً من الرواد الذين يتصل عملهم بالحياة الدنيا، ويمكنهم أن يتعرفوا على أولئك الأحياء من أهل الدنيا الذين يمكن استخدامهم في هذا السيل فيرتبون أسماءهم وينظمونها في قوائم تبين فيها مقبرة كل منهم، وعندما تأتي الروح التي وصلت حديثاً طالبة المعونة يستخدم أولئك الوسطاء من أهل الدنيا كل حسب قدرته . وهذه خلاصة بسيطة عن العمل الذي يجري في هذا البناء .

ثم إنني حضرت مراراً إلى هنا وحارلت أن أرسل رسائل إليكم بوسائل شتى فنجحت في بعضها وأخفقت في البعض الآخر ، ويرجع النجاح والإخفاق في كثير إلى الروح نفسها ، إذ يتوقف عليها الشيء الكثير . وكل مرة نجحت فيها ساعدت غيري على ذلك، وكل مرة أخفقت فيها استنجدت بغيري فأجدني ، ونظراً لأنني صرفت وقتاً طويلاً في دراسة الروحانيات في حياتي الدنيا فإني قد أمددت في هذا الموضوع بمعونة كبرى هنا بالقدر الذي احتجت إليه وفي الاتجاه الذي رغبته (١)

إلى أن يقول :... تجد جميع أجناس البشر أحراراً هنا في رسم الخطط لحياتهم حسب ميولهم الفردية في حدود بعض القواعد التي لا يصح الخروج عنها . فالحياة كلها بطبيعتها حرة ولكن بعض أهل الدنيا يظنون أنهم مجبورون غير أحرار في تصرفاتهم نتيجة لسوء فهمهم . والحقيقة أن الجميع أحرار غير مقيدين . . . ولكن عندما نجد أنفسنا قادرين على المعونة فإتينا نعمل جهداً في مساعدة أحبائنا من أهل الدنيا بالتأثير في إرادتهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . وقوة الحب الدافعة هي التي نحمّلها على ذلك . . . (٢).

ثم تقول روح ستيد : فإذا ما نظرت إلى الوراء منذ حللت بالجنيرة

(١) المرجع السابق ، الفصل السابع من ٩٣ — ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، الفصل العاشر من ١٢٥ .

التي كنا نظنها ضرورة صارت هلاوة على عدم أهميتها عبثاً ثقيلاً ، وبذلك تميل إلى التخلص من عادات الدنيا ومتعلقاتها . . .

« ونحن في بادئ الأمر نشعر بالحرية في الفكر والعمل ولا نكون مقيدين إلا ببعض القيود المفروضة لا عن طريق القانون بل عن طريق الظروف ، أما فيما عدا ذلك فلنا الحرية المطلقة (١) . . . إلى أن يقول :

« وإني أميل إلى التفكير في أنني عشت أبدأ في هذه الديار ، فإذا قيل لي إنه مضى على هنا أيام قلائل فإني أكون أميل إلى عدم التصديق . على أنني لم أنس أسرتي ولا أصدقائي ، ولكنني أشعر بسعادة عجيبة إذا ذكرتهم دون أن أعرف السبب . ثم أنني لما وجدت أن معلوماتي الدنيوية كانت صحيحة جمعت كل قوتي للاتصال بهم موقناً أنهم كذلك يعتقدون أنني في حالة طيبة رضية ، وأن تأخرى عنهم في الكتابة كان طبيعياً لظروف انتقالي إلى حياة جديدة . . .

« وقد أصبح المنزل الذي خصص لهذا العمل في الجزيرة الزرقاء (وهو عمل الاتصال بالأرضيين) مأوى لي أتردد عليه بانتظام منذ أخطرني به والدي ، كما أتردد على غيره من الأبنية الأخرى . فقد ذهبت إليه كثيراً جداً وحصلت من مختلف المهتمين عليه على مساعدات كثيرة ، وكانوا جميعاً يحسنون إلى ويعطفون على ولكن بصفة جدية ، فلم يكن ذلك البنيان بليان دموع وأحزان . وهو منظم تنظيماً مدهشاً ومملوء بالنشاط والحركة . . . وكنت أنتظر أن أجده فيه كثيراً من الآلات والعدد والقوى الكهربائية ولكنني لم أجده به شيئاً من هذا ، ولم يكن به مطلقاً غير العنصر الإنساني . . .

« وقد تحدثت طويلاً مع رجل هنالك من ذوي التفرد والكلمة . . .

(١) المرجو السابق ، الفصل الرابع من ٧١ إلى ٧٣ .

وهكذا يسترسل في وصف حياته هناك بطريقة مشوقة هي نفس طريقته عندما كان في حياته الأرضية صحفياً قديراً ، إلى أن يقول في مكان آخر :

« أما حياة الفرد اليومية فتشبه حياته اليومية التي اعتادها في الدنيا ، ولكنه في بادئ الأمر ينال قسطاً وافراً من الراحة متمشياً مع عادة النوم الدنيوية ، إذ أنه هنا أيضاً يحتاج كعادته إلى النوم في أول الأمر بصفة خاصة ، فنحن وإن كان لا ليل عندنا كما عندكم ، إلا أنه لا بد لنا من الراحة . ثم إن الشخص منا يشغف فوق ذلك بزيارة بعض الأرجاء ، كما أنه يهتم باكتشاف جهات ومبان أخرى ، وبدراسة الحياة الحيوانية والنباتية . كذلك يكون له أصدقاء عليه أن يبحث عنهم ويزورهم . وعليه فوق ذلك إشباع ميوله الخاصة بانغماسه فيها ، وعليه كذلك أن يغذى الرغبة التي ولدت فيه حديثاً وهي رغبة العلم والمعرفة .

أما نظام العمل اليومي هنا فيشبه كثيراً النظام الدنيوي والفرق الوحيد بينهما هو أن النظام الدنيوي يقوم عادة على الظروف المحيطة بالإنسان ، حين يقوم هنا على الرغبة في العلم والمعرفة بهذا الموضوع أو ذاك .

أما عن الملابس فتجدنا نلبس هنا كما كنا تقريباً في الدنيا ، ونظراً لوجود خليط من أجناس البشر المختلفة يجد المنظر العام غير مألوف ، فهو علاوة على كونه غريباً ومشوقاً ومسلياً تجده أيضاً مثيراً للتفكير . وأظن أنني سبق أن ذكرت أننا في مظهرنا العام نجد حالتنا هنا كما كانت من قبل . فلسنا نبعد عن الأرض إلا قليلاً ، ونتيجة ذلك أننا إلى الآن لم نتخلص من الأفكار الدنيوية . ورغم أننا اكتسبنا بعض أفكار جديدة إلا أن ما طرد من الأفكار الدنيوية ليس سوى شيء قليل جداً يكاد يكون معدوماً . أما حركة التخلص من تلك الأفكار فهي تدريجية . فكلما تقدمت بنا الحياة هنا ازدادت معرفتنا بكثير من الأمور واكتشفنا أيضاً أن كثيراً من الأشياء

لما وجد في هذه الحياة تقدم وانتعاش ، والنتيجة المباشرة لهذا الانغماس في النفس هي انتشار السلام في هذه الربوع بين جميع الناس المختلفي المشارب...

، وقد رأيت البحر كما كنت آراه فسرت مع صاحبي على شاطئه لمسافة طويلة . ولكنه كان مخالفاً لما تزونه على شواطئكم وما فيها من متنزهات وموسيقى إلا أنه كان مملوئاً بالهدوء والجمال . وكان البحر عن شمالنا والمباني الضخمة عن يميننا ، وكان الضوء براقاً...

« ولو أمكن أن تتخيّلوا كيف يكون الحال في عالمكم لو أنه ضغط جميعه في بقعة واحدة فصار بها أجناس مختلفة من الناس وأنواع مختلفة من المناخات والمناظر ، ومن المباني والحيوان ، فربما تستطيعون عندئذ أن تكونوا فكرة عن هذه الدار التي كنتم فيها (بمجرد وصولي) وسيظن البعض عدم صحة ذلك ، وربما يظنه نوعاً من الأحلام ولكن صدقوني أن الأمر لم يتعد شيئاً واحداً هو كآني انتقلت في الدنيا إلى مملكة أجنبية ولا أكثر من ذلك اللهم إلا ما وجدت من تشويق ولذة وممتعة .

وإنني أربأ أن أصور لكم فكرة عن هذا العالم الجديد دون أن أتعلم في التفاصيل الدقيقة . فقد وصلنا أخيراً إلى بناء ضخيم مستدير له قبة عظيمة فكان مظهره العام كأنه قبة لا غير تقف على أرجل ، أو بقول آخر قبة عظيمة ترتفع فوق عدة عمد ضخمة مستديرة ... ولم يكن البناء مزوفاً ، بل كان فقط بناء جميلاً كالمباني التي على الأرض فلا تظنوا به الظنون ولا تذهبوا به في الخيال كل مذهب .

ومن عجب أن الغذاء لم يكن ضرورياً ، ولكنه كان موجوداً ، فأخذنا جميعنا شيئاً منه حسب العادة لا لأننا في حاجة إليه إذ كنتم اكتسب معظم نشاطي من الجو نفسه ... (١) .

أنى ابتعت تلك الملابس وأحضرتها معى ، وهذه أول نقطة يتسلى بها المرتابون، كذلك وجدت والدى مرتدياً ملابسه كما كنت أراه فى الدنيا^(١). وقد ظهر كل شئ أمامى عادياً كما كنا فوق سطح الأرض . ثم أننا سرنا (هو والدة) فأخذنا شيئاً من المنعشات ، وتلا ذلك حديث وبحث طويل عن أصدقائنا فى كلا الناحيتين فأخبرتهم بكثير من الأخبار كما أخبرونى هم كذلك عن الأصدقاء وعن القوانين التى تسير بمقتضاها الحياة الأخرى .

« وما لفت نظرى كذلك اللون المنتشر فى تلك الأرجاء فإذا كان من الصعب أن يصف الإنسان شعوره بحالة اللون العامة فى بلاد مثل إنجلترا فيقول على وجه العموم بأنها حالة بين اللون الرمادى والأخضر ، الرمادى الضارب إلى الخضرة ، فمن المؤكد هنا أن الشعور باللون العام تغلب عليه الزرقة الخفيفة (ولذا أطلق على المكان الذى كان فيه عقب انتقاله مباشرة وصف الجزيرة الزرقاء) . »

« ولست أقصد بذلك أن الناس والأشجار والبيوت ... الخ كانت كلها زرقاء ، ولكن الشعور يوحى إلى الإنسان أنه يعيش فى أرض زرقاء . وقد تكلمت فى ذلك مع والدى الذى كان على العموم أنشط بكثير ، بل أعظم فتوة منه فى أيام وفاته حتى كنا كأننا أخوان ... »

ثم تقول الروح : « ووجدنا خليطاً غريباً فى هذه الديار ، فقد وجدنا أشخاصاً مختلفى الأحوال والألوان والأجناس والأحجام ، وجميعهم يروحون ويغدون أحراراً بعضهم ، مع بعض غير أن كل إنسان كان معنياً بنفسه لا يفكر إلا فى نفسه^(٢). وهذا الأمر وإن كان لا يستحسنه أهل الدنيا إلا أنه أمر ضرورى هنا فى سبيل الخير العام والخير الفردى ، إذ لولا

(١) لنا عودة إلى موضوع الملابس ومن أين تجمىء هناك ولماذا تشابه الملابس الأرضية .

(٢) يشير المترجم إلى الآية الكريمة « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » .

وفي وصف عالم الروح تقول روح ستيد « لقد وجدت نفسي في صحبة اثنين من أصدقائي القدامى أحدهما والدي الذي جاء إلى ليصحبني وليطوف بي . وكنت أشعر أنني في حالة شبيهة بحالة شخص غريب هبط إلى مملكة أجنبية ، ومعه صديق عزيز يطوف به أنحاءها . كان هذا شعوري العام بالحالة بعد أن نسيت كل ما وقع ، إذ بعد أن رضينا بحالة الانتقال إلى الموت ذهب عنا كل الروح الذي كنا نخشاه ، وكان هذا الشعور يبدو أحياناً بعيداً كأنه وقع منذ خمسين سنة ، وأحياناً قريباً كأنه بالأمس فقط .

أما لذتنا بالحياة الجديدة فلم يشوهمها أي أسف لفرقنا لأحبائنا الدنيويين . ولست أقصد بذلك أنه لم يكن بيننا بائسون ، فبالعكس كان عدد البائسين كبيراً ، وما ذلك إلا لأنهم لم يفهموا التقارب بين الخيانتين الأولى والأخيرة ، ولم تكن لديهم فكرة واضحة عن العالم الآخر ، أما الذين عرفوا شيئاً عن ذلك فقد حصروا شعورهم في الفكرة الآتية « فلننعم بهذه الحياة الجديدة ، قبل أن يصل خبرنا إلى أهلنا (إذ انتقلوا كلهم في حادثة غرق الباخرة تيتانيك أكبر بواخر العالم في ذاك الوقت) فكنا بذلك قليلي الأسف عند وصولنا



صورة أخرى الذاتات اس استيل ستيد في دائرة كرو الروحية في أكتوبر سنة ١٩١٩ وقد ظهرت بها صورة روح وليام ستيد في الوسط (عن تصوير غير المنظور للأستاذ جيمس كوتس ص ٢١٤)

ثم يقول بعدئذ : سرنا على الفور أنا ووالدي وصديقي ولسكن شيئاً غريباً وقع لفت نظري ، ذلك أنني شعرت بأنني أرتدى ملابس كتلك التي كنت أرتديها في الدنيا ، فكان غريباً أن أفكر

فيها الحرية بدون عقبات لقوانا السكينة وآمالنا . وفوق ذلك فإننا نرى في
الأوصاف جميعها حديثاً متشابهاً عن أرض صلبة ذات أزهار وحيوان،
وعن مساكن مريحة ، وعن متع إنسانية . وعن مهن محبوبة ...

إلى أن يقول « وإنى أعتقد أن التفاصيل المادية كالنوم والغذاء ... الخ
تتوقف على مكانة الروح في تطورها ، فكلما انحطت الروح كانت شئونها
مادية . ومن المهم جداً أن يعلم البشر ذلك ، لأن هذا العلم لا يقضى فقط
على المخاوف من الموت ، ولكنه فوق ذلك يكون أكبر عون للإنسان إذا
ما دعى فجأة للحياة الأخرى لأنه يجد نفسه في محيط مألوف ، كما يجد نفسه
مملوءاً ثقة بمستقبله ، عوضاً عن أن تفتاب الروح فترة جديدة من الحيرة
والتردد تحتاج في أثنائها إلى أن تتخلص من الأفكار التي أخذتها عن معلميها
لتعود فتتشكل بما يناسب الحقائق التي كانت تجهلها » .

ثم يقول دويل عن كتاب « الجزيرة الزرقاء » موجهاً الحديث إلى كريمة
ستيد وتسمى استيل Estelle « إنى كنا قد من رجال القلم أستطيع أن أقرر

أن التعبيرات الواضحة
والتشبيهات البهيجة التي
وردت في هذه الرسائل هي
حقاً من مميزات والدك » .
وقد أملت روح ستيد هذا
الكتاب على الوسيط بارودى
ودمان ونشرت استيل
الكتاب مصدراً بصورة
لوالدها تلتقتها عن طريق
وساطة كرو Crewe الروحية
في سنة ١٩١٥



صورة روحية لسير وليام ت . ستيد وبجواره كريمة
استيل التقطت لهما دائرة كرو Crewe في سنة ١٩١٥
بعد ثلاث سنوات من انتقاله

والعالم الذى نتلقى عنه من الجانِب الآخر تسعة أعشار ما نتلقى هو ذلك العالم الذى يسميه بعض الباحثين فى العلوم الغامضة عالم المستوى الثالث Third Plane . والسِر فى تلقينا تفصيلات عن هذا العالم دون غيره من العوالم هو أنه العالم الذى يذهب إليه الناس عادة بعد الموت . ومن ثم يتحتم علينا أن نعرف شيئاً عن بلدنا المقبل كما يتحتم على أى مهاجر إلى كندا أو أمريكا أن يعرف شيئاً عن البلد الذى سينزح إليه ، أليس ذلك معقولاً ؟ (١)

* * *

كما يقول سير آرثر كونان دويل (٢) Arthur Conan Doyle — وقد كان مديراً للسككية البريطانية للعلم الروحى فى وقت ما — « إذا كان علينا أن نواجه الصعوبة الناشئة من التفاوت فى التفاصيل المتعلقة بمختلف الأوصاف عن العالم الآخر، والتى وصلتنا فى رسائل متعددة ، فإنه يجب ألا يغرب عن البال أن التشابه فيما بينهما يفوق التفاوت بكثير . وينبغى علينا أن نتذكر أن الحياة الأخرى متعددة النواحي ومتشعبة تشعباً لا نهاية له ، ولو قال قائل فى هذه الدنيا الصغيرة إن منزل أبيه يحتوى على عدة مساكن « أو حجرات ، لقلنا له إن التفاصيل التى يذكرها شاهدا عيان لا يمكن أن تكون واحدة . ولو أن أحد علماء أكسفورد وأحد فلاحي الهند طلب من كل منهما وصف لهذه الحياة لكان التفاوت بينهما أعظم بكثير من التفاوت فيما قرأناه عن أوصاف الحياة الأخرى .

« ولقد تخصصت فى دراسة هذه الناحية (أى الناحية الوصفية) دون أن أهتم كثيراً بالظواهر الطبيعية . ولا أظن أن أحداً قرأ أكثر مما قرأت من التفاصيل المطبوعة أو المكتوبة فى هذا الموضوع من وسطاء لا علم لهم بشيء عن الخطط الروحية . وفى بعض الأحيان كان الوسيط طفلاً ، ولكن كانت دائماً تبرز الفكرة نفسها عن حياة كحياتنا هذه . حياة تطلق

(١) أحاديث فى الروحية « مجلة عالم الروح » سنة ٩ عدد نوفمبر ١٩٥٥ ص ٣ .

(٢) فى تقديمه الكتاب « الجزيرة الزرقاء » .

الفصل الثاني

طائفة من الأوصاف العامة

عالج علم الروح الحديث الأوصاف العامة لحياة ما وراء المادة بصورة تفصيلية . فلم يترك سؤالاً رئيسياً يمكن أن يخطر على بال إنسان بغير جواب شاف له . وهذا جانب من أقوى جوانبه : أنه عرف كيف يسد ثغرات كثيرة كانت موجودة من قبل ويجيب على أسئلة لا تحصى ما كان يمكن الإجابة عنها — ولا عن بعضها — إلا عن طريق دراسة الظواهر الوسائطية بطريقة معملية صرف ، وعلى أيدي علماء تعودوا التساؤل المستمر عن أدق المعلومات بطريقة علمية منظمة ، وتعودوا قبل كل شيء آخر أن يبحثوا عن العلة فيما قد يلقي إليهم من معلومات . وبما يلفت النظر إلى حد مثير أن الإجابات كانت — في مجملها — متوافقة من نواحيها العامة ، وفي كلياتها بغير تطابق تام في كل الجزئيات .

ولذا يقول الأديب الإيرلندي شو دزموند Shaw Desmond — وهو أحد مؤسسي المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن وصاحب خبرة عشرات من السنين في هذا الموضوع — ، لكننا في الواقع نعرف الكثير عن هذه الأشياء إذ لدينا تفصيلات دقيقة نتلقاها عن العادات والسجاييا في العالم الثاني ، وعمما يأكلون ويشربون ، وعمما إذا كانوا يعشقون وعن مائة من الأمور الأخرى . ولو كانت الأنبياء التي نتلقاها يومياً من العالم الثاني تختلف اختلافاً جوهرياً بعضها عن بعض لكان يصح لنا أن نشك في صحتها . ولكن التفصيلات التي تلقيناها خلال حقبة طويلة من السنين متطابقة ما دامت ترد إلينا من ذلك العالم نفسه ، ولذا فنحن — فيما أرى — مضطرون كقوم منصفين معقولين إلى الاعتقاد بأنه لا بد وأن يكون في الأمر شيء ، وخاصة حينما يكون ذلك متعلقاً بتفصيلات بعيدة عن مخيلتنا كمسألة البناء والتكوين بالفسكر .

ومن المراجع الفرنسية أيضاً كتاب «العالم الآخر وإمكاناته غير المحدودة»، (١) وقد بعث به من هناك الأستاذ ألبير بوشار Albert Pauchard الذى كان فى حياته الأرضية رئيساً لجمعية الدراسات الروحية، فى جنيف، وبعد انتقاله أُملى هذا الكتاب على السيدة أنتوانيت بوشار Antoinette Pauchard خلال أعوام ١٩٣٥ إلى ١٩٣٧ بالفرنسية ثم ترجم إلى الإنجليزية (٢).

ومنها كتابان لوسيط يدعى برنتيس توكر Prentis Tucker عنوان أولهما «الحياة مستمرة بعد الموت» (٣) وعنوان ثانيهما «كيف تستمر الحياة بعد الموت» (٤).

وباللغة العربية يمكن للقارئ أن يرجع إلى كتاب «ميت يتكلم» الذى هو عبارة عن ترجمة عربية كاملة بقلم الأستاذ عبد الحميد فهمى مظهر لمؤلف أُملىته روح المرحوم سير و. ت. ستيد W. T. Stead تحت عنوان «الجزيرة الزرقاء» (٥) وأغلبه يدور حول وصف الحياة فى بعض المناطق هناك، وسنحتاج إلى الرجوع إليه فيما بعد فى عدة مواضع.

كما يمكنه أن يرجع إلى كتيب عنوانه «رسائل الجندي دودنج» (٦) التى تلقاها من العالم الآخر الميجور و. تيودور بول W. T. Paul وترجمها إلى العربية الأستاذ مصطفى العلوى فى سنة ١٩٣٥.

(١) L'autre Monde Et Ses Possibilités Infinies, Genève, Jeheber, editeur.

(٢) وذلك تحت عنوان The Other World, Its Infinite Possibilities, Its Spheres of Beauty and Joy. Rider, London.

(٣) La Vie Continue Après La Mort.

(٤) Comment La Vie Continue Après La Mort?

(٥) The Blue Island.

(٦) Letters of Private Dowding.

أخرى وهي أليس جيلبرت Alice Gilbert الذى تلقته من روح شقيقها المتوفى فيليب. ولا يقل عنه شأنًا مؤلف آخر عنوانه «الحياة فى الفردوس»، (١) (١٩٠٥) (أو فى الأليزيه) وهى كناية عن الجنة مأخوذة من أشعار هوميروس وهو يحوى بيانات تلقاها الوسيط الروحى روبرت جيمس لين Robert James Lees والذى له أيضاً فى وصف عالم الروح كتاب «بوابة الجنة»، (٢). ومن أهم المؤلفات الحديثة التى تعالج وصف الحياة فى عالم الروح بطريقة علمية منظمة، مؤلفات الأستاذ جيمس آرثر فندلاى J. A. Findlay الذى كان مدير المعهد الدولى للبحث الروحى، بلندن إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٦٤. وقد تعرض لبعض أوصاف الحياة هناك فى مؤلفه «على حافة العالم الأثيرى»، (٣) فى الفصل الرابع عشر منه، ثم عالجها علاجاً تفصيلياً فى مؤلفه «الكون المنشور»، (٤). والمؤلف يمتاز عن سبقوه بتعليل ما تلقاه من أوصاف تعليلاً علمياً فى ضوء مبادئ الفيزياء الحديثة على ما سبلى فيما بعد.

* * *

وباللغة الفرنسية يمكن للقارئ أن يرجع إلى بضعة كتب تقليدية هامة منها «الجنة والنار»، (٥) لفيلسوف الحركة الروحية الفرنسية ورائدها آلان كاردك Allan Kardec. ومنها كتاب «بعد الموت»، (٦) للفيلسوف والباحث الكبير ليون دينيز Leon Denis، و«الحياة بعد الموت»، للباحث شارل لانسلان Charles Lancelin (٧). ومنها كتاب «مشكلة الموت»، حلولها الخيالية والعلم التطبيقى، للمؤلف لوى بورديو Louis Bourdeau (٨).

- | | |
|---|-----|
| The Life Elysian. | (١) |
| The Gate Of Heaven. | (٢) |
| On The Edge Of The Etheric. | (٣) |
| وله ترجمة عربية بقلم المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير. | |
| The Unfolding Universe. | (٤) |
| Le Giël Et L'nfer. | (٥) |
| Après La Mort. | (٦) |
| La Vie Posthume. | (٧) |
| Le Problème De La Mort. Ses Solutions Imaginaires Et La Science Positive. | (٨) |

ومن المؤلفات القيمة في وصف حياة ما بعد الموت اثنان للأسقف داريتون توماس Drayton Thomas وهما « في الفجر بعد الموت » (١) و « بعد أفول شمس الحياة » (٢) . ومؤلفان للأديب الإيرلندي الذائع الصيت شو دزموند Shaw Desmond وهما « كيف تحيا عندما تموت » أو الدليل للعالم الآخر ، (٣) و « الحب بعد الموت » (٤) والآخر منهما يعني بوجه خاص بالجانب العاطفي والعائلي للحياة هناك وسنعرض بعض صفحاته — على نطاق واسع فيما بعد ، لأنه ثمرة بحوث شاقة ومشوقة وأيضا لفرط فائدته لكل إنسان ومنها كتاب « سماء جديدة: دراسة للحياة الأخرى » (٥) للكاتب والوسيط الروحي القدير و . ه . إيفانز W. H. Evans رئيس تحرير جريدة « العالم التالي » ، Beyond ، وكتاب « الحياة في العالم غير المنظور » (٦) للباحث المعروف أنتوني بورجيا Anthony Borgia الذي ظهر في سنة ١٩٥٤ وقدمه للقراء العلامة سير جون أندرسون Sir John Anderson . ثم أعقبه بمؤلف آخر عنوانه « المزيد عن الحياة في العالم غير المنظور » (٧) ظهر في سنة ١٩٥٦ . كما ينبغي أن نشير أيضاً إلى كتاب « منازل كثيرة » (٨) لما رشال الطيران لورد دودنج Dowding ، وكتاب « الإقليم التالي » (٩) لوسيلة الإلهام المعروفة جين شيرود Jane Sherwood ، وكتاب « فيليب في الأجواء » (١٠) لوسيلة

-
- | | |
|---|--|
| In The Dawn Beyond Death. | (١) |
| Beyond Life's Sunset. | (٢) |
| How You Live When You Die (A guide to the Next World). | (٣) |
| Love After Death. | (٤) |
| A New Heaven, A Study Of The Life Beyond. | (٥) |
| Life In The World Unseen. | (٦) |
| More About Life In The World Unseen. | (٧) |
| Many Mansions. ٣٩٤ — ٣٨٨ | (٨) وراجع ما سبق عن المؤلف في الجزء الأول من |
| The Country Beyond. | (٩) |
| Philip In The Spheres. | |

الطرق ، (١) للباحثة ليندا ميتكالف Linda L. Metcalf الذى ظهر فى سنة ١٩٥٣ وأعيدت طباعته فى سنة ١٩٥٤ بمعرفة « نادى الكتاب الروحى » ، (٢) بلندن .

والفصل الأخير (الرابع عشر) من كتاب « أنباء من العالم الآخر » ، (٣) للباحثة شارل تويديل رئيس أساقفة يوركشير مخصص لوصف « حياة ما بعد الموت والأجواء » بطريقة عالم محايد متحفظ ينقل إلى القارىء محض رسائل من الأرواح ومناقشات له معها ، وخاصة مع أرواح سير آرثر كونان دويل والموسيقى الشهير شوبان وستراديوريوس Straduarius (راهب وصانع كان معروف) ومستر بروك وسير روبرت بول R. Ball وبعض أقارب له ، من سبقوه إلى عالم الروح ، وكل ذلك مع صور روحية واضحة وخطوط وتوقيعات لعدد منهم (٤) .

ومن المؤلفات أيضاً واحدمعروف للأسقف ليدبيتر G. W. Leadbeater وهو من أتباع المدرسة الشيو صوفية عنوانه « المستوى السكوكي » ، (٥) ، وآخر لزميلة له فى نفس المدرسة وفى التأليف وهى السيدة أنى بيزانت Annie Besant وعنوانه « الموت وما بعده » ، (٦) . ومنها كتاب الأستاذ ا. ب. سينيت A. P. Sinnett وهو من أتباع نفس المدرسة عنوانه « فى العالم التالى » ، (٧) (١٩١٤) يتضمن أو صافاً عديدة عن الحياة فى عالم الروح تلقاها المؤلف من عدد من أصدقائه ومعارفه الذين انتقلوا إلى هناك .

Widening Trails.

(١)

Psychic Book Club.

(٢)

News From The Next World.

(٣)

(٤) راجع نماذج من هذه الصور والتوقيعات فى الجزء الأول من ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ .

The Astral Plane.

(٥)

Death And After.

(٦)

In The Next World.

(٧)

ومن المراجع التقليدية الهامة « خطابات من جوليا » الذى تلقاه ونشره
المرحوم سير . ت . ستيد نقيب الصحفيين البريطانيين فى سنة ١٩٠٨
وأعيد نشره فى سنة ١٩٥٢ تحت عنوان « بعد الموت »^(١) وفيه يقول ستيد
إنه ظل يستجوب روحه المرشدة جوليا طيلة سنتين عن ظروف حياتها
هناك . وإنه ظل على صلة وثيقة بها لمدة حوالى خمس عشرة سنة .

ومن المراجع الهامة أيضاً مؤلف « الحياة وراء الحجاب »^(٢) . فى خمسة
أجزاء للأسقف البريطانى جورج فيل أوين Rev. George Vale Owen
(١٨٦٩ — ١٩٣١) الذى كتبه بإشراف بعض الأرواح ، لأنه كان وسيطاً
للكتابة التلقائية Automatic or spirit-controlled writing . وله أيضاً
كتاب « الحقائق وحياة المستقبل »^(٣) .

وفى كتاب سير آرثر كونان دويل عن « تاريخ الروحية »^(٤) يجد القارىء
فضلاً ممتعاً فى الجزء الثانى منه عنوانه « الحياة الأخرى كما يراها الروحانيون » .

كما يجد القارىء فصولاً مماثلة فى كتاب للسيدة ليليان والبروك
Lilian Walbrook عنوانه « حالة ليستر كولمان »^(٥) وأخرى فى كتاب للسيدة
بلاتس Platts عنوانه « الشهادة »^(٦) .

وفى كتاب عنوانه « صاغت شبحاً »^(٧) الأستاذ جون سكوت John Scott
يجد القارىء أيضاً بعض أوصاف للعالم الآخر ، وكذلك فى كتاب « تومسيك

(١) After Death. A personal Narrative .

(٢) Life Beyond The Veil.

(٣) The Facts And The Future Life. ٢٦٦ وراجع ما سبق فى الجزء الأول من

(٤) The History Of Spiritualism.

(٥) The Case Of Lester Coltman.

(٦) The Witness.

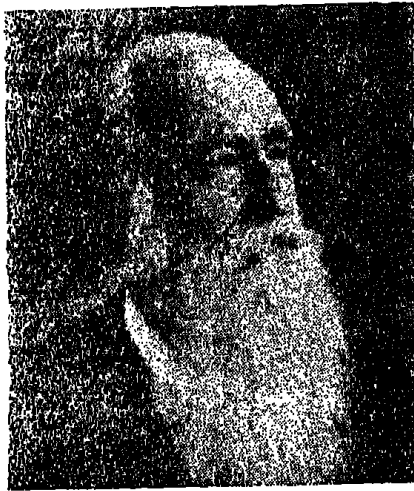
(٧) I Lent A Hand To A Ghost.

شؤله مؤلف آخر عنوانه As One Ghost To Another.

المقدس ،^(١) ويقع في ثمانية أجزاء .
ومثله الوسيط هــسون تاتل الذى وضع موقع عالم الروح وأبعادها
بالنسبة للأرض وأوصافه العامة ، وكيفية نشوئه من انبعاثات ذرية من عوالم
المادة في مؤلفه المعروف « أسرار الروحية » ،^(٢) وله أيضاً في هذا الجانب
الوصفى مؤلف آخر عنوانه « الحياة في أجواء كرتين أو مشاهد في
السمرلاند »^(٣) .

وفي كتاب القاضى إدموندز — الذى كان رئيساً للسنوات الأمريكى
للمحكمة العليا بنيويورك ويعد من رواد العلم الروحى هناك — عن « الروحية »^(٤)
يجد القارئ أيضاً باباً في هذا الموضوع .

ومن أقدم المؤلفات مؤلف للبحاث الأمريكى الدكتور ج . م .
بيبلز J. M. Peebles وهو طبيب ودكتور فى الفلسفة ومن رواد العلم
الروحى أيضاً وعنوانه « الخلود
وأوطاننا المستقبلية »^(٥) . وفيه يسرد
اتصالاته الخاصة بحوالى مائة روح
مختلفة مبيناً كيف يعيشون ، وماذا
يعملون ، وماذا يأكلون ، وما هى
مشكلاتهم وميوهم وآراؤهم وعاداتهم
والمؤلف حاصل على عدد وافر من
المؤهلات العلمية العالية^(٦) ، فهل من
مبرر لاتهامه بالغش والكذب لغير
أية مصلحة يرجو تحقيقها ؟



الدكتور بيبلز

The Principles Of Nature.

(١)

Arcana of Spiritualism ١٠٦ — ١٠٤

Life In Two Spheres or Scenes in the Summerland (٣)

Spiritualism , With George T. Dexter (٤) بالاشتراك مع جورج دكستر

Immortality And Our Future Homes. (٥)

M. D., M. A., F. A. S., Ph. D. (٦) فن مؤهلاته :

الفصل الأول

بعض المراجع الهامة في وصف عالم الروح

هناك مؤلفات لبعض أعلام الحركة الروحية تناولت وصف عالم الروح في باب أو أكثر من أبوابها ، كما أن هناك مؤلفات خصصها أصحابها برمتها لهذا الجانب الوصفى . وبعض المؤلفين من العلماء ، وبعضهم الآخر من الوسطاء ، وبعضهم الثالث جمع إلى تضلعه في العلم أو الأدب موهبة الوساطة الروحية . والمراجع في هذا الجانب الوصفى تعد الآن بالآلاف ، لذا يلزم هنا ابتداء الإشارة إلى جانب من الهام منها حتى يرجع إليه من يشاء المزيد من الاطلاع في هذا الجانب من جوانب البحث .

ومن أقدم الوسطاء الباحثين في هذا الجانب الوصفى الفيلسوف السويدي عمانوئيل سويدنبرج (١) ، وله في هذا الشأن كتاب « الجنة والنار » (٢) الذي يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر . وقد ظل سويدنبرج على صلة وثيقة بعالم الروح لمدة سبعة وعشرين عاماً بدأت في سنة ١٧٤٤ . كما عالج هذا الجانب الوصفى أيضاً في مؤلف آخر معروف له وهو « الأسرار » (٣) .

ومنهم الوسيط الأمريكي أندرو جاكسون دافيز (٤) الذي تعرض بدوره لوصف عالم الروح في بعض أبواب من مؤلفه « مبادئ الطبيعة : وحيها

(١) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٩٩ — ١٠٢ .

(٢) وقد كتبه باللاتينية وله ترجمة فرنسية عنوانها *Le Ciel Et L'Enfer* بمعرفة *Le Boys De Guays* أعيدت طباعتها حديثاً مع الفرح والتعليق بمعرفة *L. Jean Francais.*

The Arcana. (٣)

(٤) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ١٠٢ — ١٠٤ .

الباب الثاني في أسلوب الحياة في بعض مناطق عالم الروح

تناولت وصف أساليب الحياة في بعض مناطق من عوالم الروح مراجع تعد الآن بالآلاف إن لم يكن أكثر ، كتب أغلبها وسطاء مختلفون الإلهام أو للكتابة التلقائية أو المباشرة أو للجلاء السمعي ، كما جاء بعضها عن طريق مناقشات مستفيضة في صيغة أسئلة والرد عليها تبادلها بعض الباحثين مع بعض الأرواح الراقية عن طريق وسطاء للغيوبة أو للصوت المباشر ، أو غير ذلك من طرق الاتصال بعالم الروح .

وأول ما يلفت النظر في الأوصاف التي قيلت عن أسلوب الحياة هناك هو هذا التماثل الواضح بين أهم أجزائها رغم تعدد مصادرها ، وتعدد البيئات التي تولت بحث هذا الجانب الوصفي بالعناية التي يستحقها . وهو تماثل ملئ إلى مدى كان من المتعذر تماماً أن يتحقق — ولو جزئياً — لو أن الموضوع كان كله محض وهم أو خيال كما قد يذهب المعارض المتسرع .

وبما بنى الادعاء بالوهم أو بالخيال في هذا الشأن أن تجيء هذه الأوصاف — بالإضافة إلى تماثلها فيما بينها — متطابقة مع حقائق العلوم الأخرى ، ليس في شأن طبيعة المادة الصلبة فحسب ، بل أيضاً في شأن فكرة الزمان والمكان ودور الحواس في الإحساس بشتى مظاهر الوجود ، ودور النفس المتطورة ، ودور شتى عواطفها وانفعالاتها في دفعها إلى التطور ، على النحو الذي سوف يبين للقارئ بعد الفراغ من قراءة هذا الباب . وفيما يلي نعالج هذه الناحية الوصفية في فصول ثلاثة : نخصص أولها لبيان بعض المراجع الرئيسية في هذا الجانب والتي تستحق أن تكون محلا ثقة خاصة فيها ، وثانيها لبيان طائفة من الأوصاف العامة لعالم الروح ، ثم نخصص ثالثها لبيان أهم الأمور المجمعة عليها في كافة المراجع التي سمحت لنا ظروفنا بالاطلاع فيها .

ولاريب أن محاولة تفهم أسلوب الحياة في أى عالم من عوالم «ما وراء المادة» تثير في النفس عدداً لا نهاية له من الأسئلة الهامة ، وقد تكفلت بحوث علم الروح والكتب والرسائل الواردة من هناك ، بالإجابة على عدد وفير منها ، وبمحاولة توضيحها على قدر الإمكان ، وتقريب بعضها إلى أذهاننا بالعبارات التي نفهمها ، حين تعذر ذلك بالنسبة للبعض الآخر لأسباب متعددة :

— منها أن الأرواح لا تعرف بعد كل شيء ، وأنها مهما بلغت من الرقي والنضج فلم تطلع على شيء يذكر بعد من خفايا السكون وأسراره وما أكثرها ، خصوصاً وأنه كلما ازداد رقي الروح كلما ارتفع «مكانها» في مستويات الوجود ، وصار الاتصال بها أصعب مثلاً ، فضلاً عن أن بعضها يفضل ألا يفصح عن كل ما يعرفه من بيانات .

— ومنها أن أسلوب الحياة في عوالم ما بعد المادة يختلف في كلياته اختلافاً بيناً عن أسلوب الحياة في عوالم المادة . وذلك ما يجعل مهمة الأرواح عسيرة وهي تحاول أن تعطينا صورة واضحة ولو نوعاً عن أسلوب حياتهم بألفاظنا المحدودة المستعارة من أسلوب حياتنا المادية وهي تجد في ذلك عناء ضخماً كما تقول .

— ومنها أن أساليب الحياة هناك متنوعة تنوعاً كبيراً بالنظر إلى تعدد مستويات الوجود تعدداً لا نظير له في المستويات المادية ولا مقابل له فيها ، فالعوالم المادية محدودة في اتساعها وفي طبيعتها حين أن عوالمهم غير محدودة في اتساعها ولا في طبيعتها .

وعلى أية حال فإن المعلومات التي يملكها حتى الآن علم الروح الحديث عن أسلوب الحياة هناك تكفي — حتى في حالتها الراهنة — كيما تعطينا فكرة تقريبية عن تنزوح في مدى وضوحها وغموضها بحسب المصادر الآتية منها . ويهمننا منها بوجه خاص ما يتعلق بعالم المستوى الثالث Third Plane الذي اصطلح الباحثون — كما قلنا — على أنه يمثل أرض المهجر المحتوم للأرواح العلية من سكان الكرة الأرضية .

هذا تلخيص سريع لتقسيم مستويات الوجود من ناحية تطور الحياة الداخلية للروح ، بصرف النظر عن اتصالها بالجسد المادى أو انفصالها عنه ، كما بحث به من هناك عالم النفس فردريك مايرز . وهو لا يمثل التمييز بين « أمكنة معينة » بل يحاول التمييز بين مراحل معينة للروح ، وهى فى طريقها إلى الأبدية متنقلة من مستوى إلى مستوى آخر من مستويات الوجود .

* * *

وهناك تقسيم آخر لمستويات الوجود السبعة بالمعنى المكانى وفى نفس الوقت بالمعنى الخلقى — الروحى قالت به أيضاً طائفة من الأرواح . وهى تميل إلى القول بأن هذه المستويات كالآتى : ١ — « مستوى الجحيم أو الحياة البائسة » ٢ — « مستوى الرغبات » ٣ — « السمير لاند » (أو الأرض السعيدة) وهو المستوى الثالث الذى يتجدد عنه كثيراً الروحانيون والذى تذهب إليه الأرواح الراقية من سكان الكوكب الأرضى ، ويتسكون من اجتماع حالة معينة للروح بمكان معين تشعر بوجودها فيه ٤ — « مستوى العقل » ٥ — « مستوى التجريد » Abstract ٦ — « مستوى تقابل الجنسين » Union of the Sexes ٧ — « مستوى الاتحاد فيما بينهما » Meeting of the Sexes وفيه تختفى الخصائص المميزة لكل من الجنسين . ويقول بعض الأرواح أيضاً إنه بعد هذه المستويات توجد السهوات العليا غير المحدودة التى تمثل ذروة المجد والنعيم^(١) .

* * *

والآن لنبين جانباً من أسلوب الحياة وظروفها فى المستوى الروحى ، خصوصاً منه ذلك الذى يهم الأرضيين ، من مستويات عالم الروح وهو المستوى الثالث أو السمير لاند الذى تذهب إليه عادة الأرواح الراقية منهم ، كما يرونها سكان هذا المستوى أنفسهم ، وكما اقتنع بها فريق من أجسمن العلماء والباحثين .

(١) راجع فى ذلك « موسوعة العلم الروحى » Encyclopedia of Psychic Science تحت كلمة Spheres أى أجواء .

من جسد الإنسان في أى مكان كوكبي آخر ، ولكن تعبير فيزيقي يعبر عن خصائص هذا المستوى وطبيعته .

٢ - أما «مستوى الحالة الانتقالية» فهو عبارة عن حياة برزخية تفصل بين كل مستوى وآخر من مستويات الوجود السبعة .

٣ - أما «مستوى الخداع أو الوهم» فتشير إليه فترة الأحلام المرتبطة بالحياة على مستوى المادة .

٤ - أما «مستوى اللون» فهو المستوى الذى لا يكون الوجود فيه محكوماً بالحواس ، بل بالعقل رأساً ، ومع ذلك يظل الوجود محتفظاً بشكله وبمادته بعد إذ تصبح المادة أرق كثيراً من ذى قبل ، حتى ليصح وصفها بأنها عبارة عن «هواء أو بخار المادة» . و«مستوى اللون» هذا يقع ضمن نطاق الإقليم الأرضي ، أو الأقاليم التي تقابله على الكواكب الأخرى حيث قد تكون الروح قد أمضت تجارب سابقة لها من الوجود الفيزيقي .

٥ - أما مستوى «الشعلة الخالصة» ففيه تصبح الروح متنبهة إلى حقيقة الدور المشرق الذى تقوم به في تناسق الأبدية ، وشاعرة بكل الحياة الشعورية التي تحياها الأرواح التي تغذيها نفس المشاعر .

٦ - أما مستوى «الضوء الخالص» فهو المستوى الذى فيه تحصل الروح على الإدراك الواعي لكل وجود سابق لها بين مجموعتها الروحية الخاصة ، إلى أن تحصل فيما بعد على الإحساس بكل مشاعر الحياة داخل «كيان العالم الأرضي أو روحه» .

٧ - وأخيراً في المستوى السابع تندمج الروح بكل عناصرها المتعددة وتمتزج بالعقل الأعظم ، أو «بالتخيل الإلهي» حيث الإدراك العام الذى يطوى الأكوام المتعددة الواحد بعد الآخر ، ومزاتب الوجود المختلفة والماضي والحاضر والمستقبل ، وكل ما كان وما سيكون ، هناك كل شيء خالداً ، وكل وعي كامل ، هناك الحقيقة الكاملة .

مستوى إلى آخر من مستويات الوجود في هذا الكون الهائل ، ما أملت روح عالم النفس المعروف فردريك و . ه . مايرز^(١) على الوسيطة المعروفة جيرالدين كامينز^(٢) في مؤلفها « الطريق إلى الخلود »^(٣) وفيه يقول مايرز في فصل عنوانه « وثيقة الوجود »^(٤) إن رحلة النفس تتطور خلال سبعة مراحل ، أطلق على كل مرحلة منها اسماً اصطلاحياً كالآتي : —

Plane of Matter فالمرحلة الأولى يصفها بأنها « مستوى المادة »

Hades or Intermediate State والمرحلة الثانية يسميها حالة انتقالية

The Plane of Illusion والمرحلة الثالثة يسميها « مستوى الخداع »

The Plane of Colour والرابعة يسميها « مستوى اللون »

The Plane of Flame والخامسة يسميها « مستوى الشعلة »

The Plane of Light والسادسة يسميها « مستوى الضوء »

Out Yonder, Timelessness والسابعة يسميها « حالة انعدام الوقت »

ويقول إن بين كل مستوى وآخر ، أو بين كل فصل وآخر من فصول التجربة التي تهيأها النفس ، توجد حالة انتقالية فيها تستعيد الروح تجاربها الماضية وتعين اختيارها مقرر المسير إلى أعلى أو إلى أسفل سلم الوعي .

١ — « مستوى المادة » يتكون من مجموع التجارب التي تمت للنفس في شكل فيزيقي ، أي في الشكل المادي الذي يعرفه الإنسان . وهذه التجارب الفيزيكية ليست محصورة في الحياة على الأرض ، لأن هناك تجارب من هذا النوع تتم في مناطق كوكبية متعددة . فأحياناً يهتز الجسد فيها أسرع أو أبطأ

(١) راجع ما سبق هذه في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٥٢ — ٢٥٤ .

(٣) The Road To Immortality.

(٤) The Chart Of Existence.

للعلم الروحي ، في مؤلف له عنوانه «الاتصال بالروح : النظر والعمل» (١)
(١٩١٦) إنه تلقى من روح الفيلسوف وليام جيمس الذى كان قد انتقل
إلى عالم الروح منذ سنة ١٩١٠ بعض بيانات هامة عن أوصاف عالم الروح
وأبعاده بالنسبة لعالم المادة .

ومن ضمن هذه البيانات أن المستوى الثالث (أو السمرلاند) يبعد بما
يوازى ١٣٥٠ ميلا من الأرض ، وأن المستوى الرابع يصل إلى ٢٨٥٠ ميلا
والخامس إلى ٥٠٥٠ ميلا والسادس إلى ٩٤٥٠ ميلا والسابع إلى ١٨٢٥٠ ميلا .
كما تقول روح وليام جيمس إن ما يحفظ للجسم الحياة هناك فى المستويات
الفوق الفيزيائية تمتصه الروح من الجوع عن طريق التنفس العادى ، وأنه توجد
مشاركة للجنسين فى رباط وثيق من العاطفة . وأن الحيوانات التى تها هنا
سبق أن عاشت على الأرض ، وأن العوالم الروحية للكواكب المختلفة تتلاقى
فى المستوى السابع ، وأن بناء الأكوان يحدث من انبعاثات تنبعث من المواد
الصلبة ، ثم تتكشف إلى مادة تبدو لهم صلابة فى صورة قارات فضائية شاسعة
بسبب تجاذب هذه الانبعاثات بعضها إلى بعض . وأن الانتقال من مستوى
إلى آخر أرق منه يحدث بسبب الترقى التدريجى للجسد الروحي تحت تأثير
الروح .

وبحسب بعض رسائل الأرواح الراقية التى لا يوجد سبيل مادية
للتحقق من صحتها يتكون عالم الروح من سبع كرات متحدة المركز مع
الأرض كما أسلفنا ، وتبدأ الكرة الأولى من بعد حوالى ثلاثة أثمان قطر
الأرض عن المركز وتنتهى إلى حوالى ١٤ ضعفاً ، والثانية تصل إلى ثلاثين
ضعفاً والثالثة إلى ٤٥ ضعفاً والرابعة إلى ٨٠ ضعفاً وهكذا

* * *

ومن بين ما أمله الأرواح عن حالات الإنسان ، وتطوره بعد الموت من

ونفس هذا الكون المادى الذى نعيش فيه ، يعد بالنسبة للأرواح كوناً روحياً ، بدلالة أنها تخترقه دون أن تشعر بحواجزه المادية من منازل وجبال ، فهو لا وجود مادى بالنسبة لها ، كما أنه ليس للأرواح الروحية السبعة من وجود مادى بالنسبة لنا مع أنها كلها تشغل نفس الحيز من الفراغ كما قلنا .

اتساع عالم الروح

إذا كان اتساع الكون المادى هائلاً إلى المدى الذى يبناه إجمالاً فى الفصل السابق استناداً إلى أحدث الكشوف الرياضية والفلكية بما يحويه من شمس وكواكب ونجوم ، فما بالك بالكون الروحى الذى يقع وراء اهتزاز المادة الصلبة فلا تتعثر مجالاته بأية عقبات تعوق الحياة ، أو بأية مناطق يصح أن يقال عنها إنها غير صالحة للحياة ؟ لعل هذا البيان السريع يرد على أولئك الماديين الذين يقولون ، وهل فى الكون متسع لخلود هذه المراكب التى لا تنقطع من بنى الإنسان منذ بدء الخليقة حتى نهاية الحياة المادية ؟ ولعل فيه ما يحمل العقل الواهن على أن يتأمل جانباً واحداً من عظمة الله وقدرته غير المحدودة .

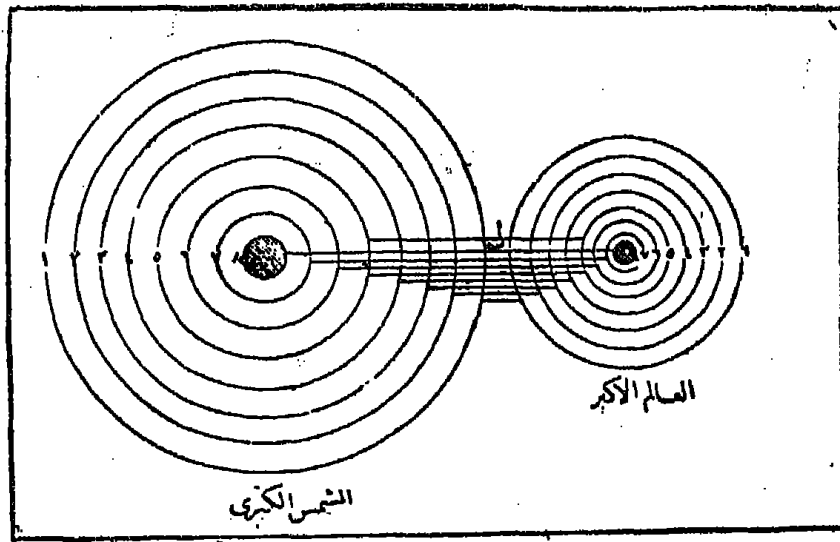
والكون الروحى الذى يقع وراء الكون المادى غير محدود ولا توجد حواجز مادية تفصل بين مستوياته . فهذه المستويات فيه عبارة عن مجرد حالات تصل الروح إلى الحالة التى تتفق مع مدى نضجها وتطورها . وهذه المستويات أو المراحل التى تتطور إليها النفس ، وهى فى طريقها إلى الأبدية ، متعددة يختلف الباحثون فى كيفية تقسيمها والتعبير عنها بعبارات لغتنا الأرضية المحدودة المعانى والألفاظ ، والتى لا يمكن أن تحيط بها عقولنا الأرضية المحكومة بجهازها الأرضى الضعيف وهو المخ .

ويقول الأستاذ هيو وات ماكنزى Hewat Mckenzie مدير الكلية البريطانية

درجة اهتزازاتهم فيهبطون من مستوى إلى آخر حتى يصلوا إلى الأرض .
وقليلون منا يدركون أننا ونحن ننظر إلى السماء إنما نطلق النظر خلال
مستويات مختلفة الكثافة ستكون يوماً ما مأوى لنا . وفيها يقيم الآن أولئك
الذين كانوا يوماً ما يعيشون فوق هذه الأرض . وهم هناك يمارسون نوعاً
من الوجود أنشط وأنفع ^(١) .

وفندلاى هنا يشير إلى حقيقة أخرى أجمعت عليها كتب البحث الروحي
وهو أن جميع الأكوان الروحية متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ ،
وهذا متصور علياً الآن ما دام أن لكل كون منها رتبة اهتزاز تخالف
رتبة اهتزاز الكون الآخر .

وبين كل كون منها وآخر يوجد فاصل من الاهتزازات يعد بمثابة
حاجز يفصل بينهما . ولتفاوت رتب الاهتزاز تفاوتاً ضخماً بين الأكوان
لا يشعر كل كون منها بالآخر مع تداخلها معاً .



[قُلا عن كتاب « الكون المنشور »]

تداخل العوالم والشموس بعضها في البعض الآخر في صورة سبع كرات غير الأرض

فإنه يستجيب هناك لاهتزازات من رتبة أدنى . أما إذا كان العقل أكثر ارتقاء فإنه يستجيب لرتبة أرقى . وهكذا يستطيع العقل أن يتابع تكشفه وارتقاءه مستجيباً دائماً إلى اهتزازات أعلى درجة دون تغير في الوضع أو الإقامة ، ولكنه لا يحس بالاهتزازات الدنيا أو العليا التي لا يكون مترنماً معها . أنا لا أقصد أن العقل حين يتحرر من الجسم الفيزيقي لا يغير مقامه بتاتاً ، وأنه يدرك وسطاً جديداً بالاستجابة فقط لاهتزازات أرقى أو أدنى ، كلا ما أردت هذا .

فالحركة في كل مستوى يصعد إليه العقل بعد الموت ممكنة كما هي ممكنة هنا فوق الأرض ، بل إنها في الواقع تكون أسرع . أما ما لا يستطيعه العقل فهو الصعود إلى مستوى أعلى درجة اهتزاز من المستوى الذي يلائمه من حيث الاستجابة ، ولكنه يستطيع بالفكر أن يستجيب إلى اهتزازات أدنى متدرجاً في الانخفاض إلى اهتزازات العالم الفيزيقي ،^(١) .

وهذا يفسر لنا ماتقوله الأرواح كافة من أن الأرواح الراقية يمكنها أن تنزل إلى المستويات غير الراقية إذا ما أرادت ذلك بدافع الخدمة أو المساعدة ، أما الأرواح غير الراقية فلا يمكنها أن ترتفع إلى المستويات الراقية . إن أحداً لا يمنعها ، لكن يمنعها قانون طبيعي للتوافق الروحي ، لا يملك أحد منه فكاً كذا ، وعلى ذلك أجمعت الكتب الروحية .

كما يضيف فندلاي قائلاً : « ولقد حصلت على معلومات أخرى تدل على أن العالم الحقيقي يشتمل على سبع كرات عدا الأرض متداخلة بعضها في بعض ، ولكل منها مستوى أو سطح ، ولكل منها جو يبدو كأنه سماء لها كنيها . وإذا نحن صوبنا النظر إلى أعلى ونحن فوق الأرض فإننا إنما نطلق أنظارنا خلالها ، وعلى هذا النمط يطلق القاطنون في أي مستوى أبصارهم إلى ما فوقهم . وسطح كل كرة صلب بالنسبة لسكانه ، ولكنهم بالفكر يصلون إلى خفض

(١) المرجع السابق ص ٧١ .

الفصل الثاني عالم الروح متداخل في عالم المادة

بحسب المعلومات الأولية — التي أسلفناها — في الفيزياء قد يكتنأ أن
نقدر كيف أن المواد الصلبة إن هي سوى شبكة مفتوحة من الالكترونات
والبروتونات، وأن المسافة بين الالكترونات والبروتونات في داخل الذرة
الواحدة شاسعة جداً بالنسبة لحجمها، إلى حد أن المسافات بين بعض
الالكترونات وبعضها الآخر وبينها وبين البروتونات تعادل المسافات
بين بعض الكواكب أو بينها وبين الشمس من الناحية النسبية . وحتى هذه
الشبكة المفتوحة من الطاقة الكهربائية المحبوسة ليس لها من وجود حقيقي إلا في
نطاق ما تقدر حواسنا على تسجيله منها على ما بيناه آنفاً .

وذلك كله يوضح لأفهامنا بطريقة محدودة جداً كيف أن عالم الروح جزء
من هذا العالم وأنه مادي وإن تكن مادته من الرقة واللفظ بحيث لا تستطيع
حواسنا إدراكها ، و «أنا نحن في هذه الدنيا الآن أرواح تغلفنا أجسام
فيزيائية ، وأن الموت ما هو إلا انفصال الجسم الأثيري أو الروحي عن الغطاء
الفيزيقي . والجسم الأثيري هو الجسم الحقيقي الباقي ، وهو في شكله نسخة
طبق الأصل من مقابله الفيزيقي ، وعلى هذا الاعتبار يسهل علينا أن نفهم
كيف أنه بتوافر شروط خاصة لا نعرفها يستطيع هذا الجسم أن يغلف نفسه
بمادة فيزيائية ثم يعمل تحت رقابة العقل كما نعمل نحن أنفسنا ..» على ما يذكره
الأستاذ جيمس آرثر فندلاي^(١) مدير المعهد الدولي للبحث الروحي ، بلندن^(٢) .

وهو يضيف أيضاً أن «تغيير الموضع أو الإقامة بالمعنى الذي نفهمه
في هذا العالم لا يعنى شيئاً بالنسبة للعقل في مقره الجديد ، وإنما يتغير وضع
العقل بالاهتزازات التي يستجيب لها ، فإذا لم يكن العقل على الأرض قد ارتقى

(١) «على حافة العالم الأثيري مطبعة» ثالثة سنة ١٩٥٤ ص ٢٢ .

(٢) The International Institute For Psychical Research.

بالنظر إلى أنه إذا ما عمد إلى تعذيب أقلنا شأنًا تعذيباً أزلياً ، فإنه سيعذب شيئاً ، لن يمكنه أن ينتزعه من نفسه ، وبالتالي سيعذب نفسه بنفسه .

ولم أضف شيئاً إلى ما كان المرء يعرفه من قبل ، ولكنى حاولت بكل بساطة أن أفصل ما يمكن أن يكون صحيحاً عما لا يمكن بالتأكد أن يكون كذلك ، لأنه إذا ما جهل المرء أين توجد الحقيقة فإنه مع ذلك يتعلم أن يعرف أين لا توجد هذه الحقيقة . ولعلنا بالبحث عن هذه الحقيقة التي تأتي أن نعثر عليها نكون قد عودنا أعيننا أن تحترق محنة الساعة الأخيرة بالتطلع إليها في ثبات . وبغير أدنى ريب توجد أشياء كثيرة يمكن قولها وسيقولها آخرون بطريقة أكثر قوة وبريقاً .

ولا تدعونا نؤمل أن أى إنسان على هذه الأرض يقول الكلمة التي تحسم شكوكنا ، فإنه من الراجح جداً أن أى إنسان في هذا العالم ، وربما في العالم الآخر ، لن يكتشف لغز الـكون الأعظم . وإذا ما فكرنا ملياً في ذلك وجدنا أن السعادة المفرطة هي في أن يكون الأمر كذلك . فإنه علينا ليس نحسب أن نتنازل عن الحياة فيما لا يمكن إدراكه من أمور ، بل علينا أيضاً أن ننعم بالعجز عن الخروج من هذه الأمور .

وإذا لم تعد بعد أية أسئلة لا تلقى جواباً وأية ألغاز لا يمكن كشفها ، فاللأنهائى لن يصبح بعد لا نهائياً ، وعندئذ يكون علينا أن نلعن — وللأبد — المصير الذى ألقى بنا في عالم محدود بحدود ذكائنا . وسيصبح كل شيء بعدئذ عبارة عن سجن بغير منافذ ، وشر وخطأ لا يمكن إصلاحه . فما لا نعلمه ، وما يعصى على فهمنا لازم لسعادتنا ، وربما سيبقى الأمر كذلك دائماً . وعلى كل حال فإننى لا أتمنى لأسوأ أعدائى — حتى ولو كان تفكيره أسوأ مائة مرة من تفكيرى وأقوى — أن يقضى عليه بأن يحيا للأزل في عالم يكون قد باغت فيه سرّاً رئيسياً ، وبوصفه إنساناً يكون قد بدأ أن يفهم فيه شيئاً^(١) . . .

وبالنسبة لما ينبغي معرفته للإمساك بمفتاح لهذا العالم ، سيوجد دائماً في نفس المكان جمل مركزي وستكون الحال على نفس المنوال ، حتى لو كان هناك ذكاء أكثر اتساعاً ونفاذاً بملايين المرات من ذكائنا . فكل ما سيكشفه هذا الذكاء المتزايد في قدرته بشكل عجيب سيبتعثر بحدود ليس اجتيازها أيسر من اجتياز الحدود الحاضرة . فكل شيء لاحدود له في كل ما لاحدود له ، وهكذا سنظل السجناء الخالدين لما لانهاية له .

وبالتالى فإنه من المحال علينا أن نقدر بأية درجة كانت — ولو كانت أصغر الدرجات المتصورة — الحالة الحاضرة للكون ، وأن نقرر طالما كنا آدميين — ما إذا كان الكون يتبع في مساره خطأ مستقيماً أو يرسم دائرة لاقياس لها ، وما إذا كان يسير نحو حكمة متزايدة أو نحو اضطراب متزايد ، وما إذا كان يزحف نحو الأبدية التى لانهاية لها ، أو يعود قافلاً نحو ماضيه الذى لم تكن له بداءة . فكل ما سمح لنا بمعرفته في مقرنا الضئيل هذا هو أن نبذل قصارى وسعنا نحو ما يبدو لنا أفضل من غيره ، وأن نقيم في هذا المقر كأبطال مقتنعين أنه لا يمكن أن يضيع هدراً شيء مما نعمله فيه ، (١) .

ثم يستطرد ما ترلنك قائلاً عن رأيه في علاقة ذلك كله بالموت « إن هذا هو تقريباً ما يجوز تأكيده الآن للروح القلقة إزاء الفضاء الذى لا يمكن سبر غوره ، والذى سيلقيها الموت فيه قريباً . فإنها يمكنها أن تؤمل أن تجد فيه كل ما كانت تحلم به ، ولعلها ستخاف منه بقدر أقل مما كان يرهبها فيه . وإذا كانت تفضل أن تبقى في الانتظار رافضة جميع الافتراضات التى بذلت وسعى في عرضها بغير تحيز لواحدة منها ، فإنه مع ذلك يبدو عسيراً للروح أن ترفض بالاقبل قبول هذا التأكيده العظيم الذى يعثر عليه القارىء في صميم أى من هذه الافتراضات وهو أن الفضاء اللانهائى لا يمكن أن يريد بنا شراً ،

(١) عن مؤلفه في « الموت » La Mort طبعة ١٩١٣ من ٢٣٩ — ٢٤٤ .

وراجع ما سبق عن المؤلف في الجزء الأول من ٢٩٢ .

ولا شكل لها ولا لون ، ولا درجة حرارة ، ولا قوام ولا طعم ولا صوت ، ولكنها عظيمة إلى حد أنها تعلق وتحرك في الفضاء جميع العوالم التي نراها وتلك التي لن نراها أبداً ... وهي أسرع من الفكر وأكثرتة منه وأكثر روحانية ، وتسود على كل ما يوجد من أشياء بين هظيمها إلى حد غير محدود وضئيلها إلى حد غير محدود . فلا توجد حبة رمال على أرضنا ، ولا نقطة دم في عروقنا إلا وتتخللها وتعمل فيها هذه القوة ، وتبحث فيها الحياة . وكذلك الشأن أيضاً في كل لحظة وبالنسبة لأكثر الكواكب بعداً عن آخر مجموعة شمسية نحاول أن نتخيلها خارج حدود تصوراتنا ، حتى لتبدو قاصرة تماماً جملة شكسبير المشهورة : « توجد أشياء في الأرض وفي السموات لا يمكن أن تحلم بها فلسفتنا ! » .

فلا يوجد أكثر من الأشياء التي تعجز فلسفتنا عن أن تحلم بها أو تتخيلها ، ولا توجد سوى أشياء تعجز الفلسفة عن أن تحلم بها أو لا يمكن أن تتصورها ، وإذا كنا لا نشاهد حتى الضوء ، وهو الشيء الوحيد الذي نعتقد أننا نراه ، فيمكن القول بأنه لا يوجد من حولنا سوى غير المنظور .

وإننا نتحرك مخدوعين بأننا نرى ونعى كل ما لا يمكن الاستغناء عنه في حياتنا الصغيرة ، وكل ما عدا ذلك ، وهو تقريباً كل شيء ، فإن حواسنا لا تحول لحسب بيننا وبين الوصول إليه ، أو رؤيته أو إدراكه ، بل تنفي عنا أيضاً قدرة افتراض ما هيته ، وتمنعنا من أن نفهم منه شيئاً ، حتى لو حاول أى ذكاء من مستوى آخر أن يكشف لنا عنه أو يفسره لنا ، فعدد الألغاز وحجمها غير محدود بقدر اتساع الكون نفسه . فلو اقتربت الإنسانية يوماً من حلول الألغاز التي تبدو لها أعظمها وأعصاها على الحل ، مثل مصدر الحياة وهدفها التي تقف اليوم كجبال أزلية ، فإن الإنسانية ستري من وراء هذه الجبال قد برزت جبال أخرى ستكون مثلها في ضخامتها وتعذر ارتقاها ، وهكذا الحال إلى ما لا نهاية له .

يتمدد لا يزداد حجمه باستمرار فحسب ، بل تزداد سرعة تمدده على الدوام. وإذن فلا بد أن يأتي عليه وقت يتمدد فيه بسرعة هي من العظم بحيث لا يمكن شعاعاً من الضوء قط أن يتم الدورة حول العالم أبداً ، فإن الضوء حين يكون قد قطع مليون ميل يكون يحيط الكون قد تمدد مليوني ميل ... وينبغي أن أضيف أنه إذا كان لنا أن نثق بحسابات الرياضيين فهذا الوقت قد حل بالفعل ، أى أننا قد ولجنا الكون بعد أن ولى زمن اكتنافه بالإبصار ... ، (١) .

بين اتساع الفضاء الكوني وعجز العقل

وفي هذا الشأن — شأن عجز العقل عن إدراك حقائق الكون غير المحدودة — يتسامل الأديب الكبير موريس مترلنك (جائزة نوبل في الأدب في سنة ١٩١١) « كيف يتأتى لأفكارنا ولنظراتنا أن تتخترق غير المحدود وغير المنظور ؟ نحن الذين لانعى ولا نرى حتى الشيء الذى نرى عن طريقه والذى هو مصدر لكل أفكارنا ؟ فى الواقع أن الإنسان لا يرى الضوء نفسه على ما لوحظ بحق ، فهو لا يرى إلا المادة ، أو بالأدق الجزء الأصغر من العوالم الكبرى التى يعرفها تحت وصف المادة ، عندما يلمسها الضوء . لكنه لا يدرك الإشعاعات الهائلة التى تتخترق السموات ، إلى اللحظة التى يعترضها شيء مطابق للأشياء التى ألقت عينه أن تراها على هذه الأرض ، فما بالك بالفضاء العامر بشموس لا عداد لها وبطاقات لا حدود لها ؟ .

وحق إذا كنا لانرى الضوء فمن حقنا بالآقل أن نعتقد أننا نعرف بعض خصائصه أو بعض انعكاساته ، ولكننا نجعل كلية كل ما يتعلق بالقانون الوحيد الهام للكون بلا ريب ، وهو قانون الجاذبية . فما هى هذه القوة التى هى أكثر القوى قدرة وأقلها خضوعاً للحواس ؟ فهى لا تدرك

(١) « النجوم فى مسالكها » المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٦ .

وراجع للزبد مؤلفاً سير ادنغتون Eddington عنوانه « الكون المتمدد »
The Expanding Universe

الأشياء الأخرى . وحقا إن الحجم في ذاته لا يعنى كثيراً ، وأن العقل البشرى الذى تفتح إلى الحد الذى أمكنه عنده التساؤل عن الكون ليتسألى على حدود الحجم . وفى التحليل الأخير نجد أن العقل الذى يحيط بالكون لا يجب من الكون الذى يحيط بالعقل ، وخاصة عندما يستخدم كأداة دقيقة لدراسة الكون والتصدى لتحديه ، (١) .

بل إن عظمة الكون لا تقف عند حد اتساعه الهائل الذى يتجاوز بمراحل كثيرة ما تقدر عقولنا على إدراكه أو تصوره . فإن هناك خاصية أخرى للكون أظهرتها معادلات أينشتاين وهى أن الكون له خواص كخواص فقاعة الصابون لأنه غير ثابت فى الاتزان ، وغير قابل لأن يقف ساكناً ، إذ أن الكون كما يقول سير جيمس جينز « بمجرد خروجه إلى حيز الوجود يأخذ حجمه فى الازدياد ولا مناص له من أن يستمر فى التمدد إلى غير حد ، فهو لا يشبه فقاعة الصابون التى نفخناها وفصلناها عن الغليون بقدر ما يشبه الفقاعة التى لا نزال ننفخ فيها ولما تفارق بعد الغليون . فخجمه يزداد على الدوام ولا مناص من أن يظل يزداد حتى آخر الزمن .

وكما أن فقاعة الصابون كلما ازدادت حجماً رقت شيئاً فشيئاً باستمرار وظالت أجزاؤها المختلفة تتباعد بعضها عن بعض ، فهكذا كلما ازداد حجم الكون ازداد بعد ما بين الأجرام المختلفة فى الفضاء وتحركت السدائم ، تلك المدن النجومية العظيمة الواقعة فى الغشاء الصابونى ، وظل تباعد بعضها عن بعض فى ازدياد . إن أغلبها حتى فى الوقت الحاضر هو من البعد عنا بحيث نحتاج فى رؤيته إلى مقرّب قوى حقاً ، وعلى مر الزمن سيأتى وقت يكون بعدها عنا أكبر من بعدها الآن ...

وفى الحق إن علينا أن نقدر حالة أسوأ حتى من هذه ، فإن العالم الذى

خارجية من النجوم الجديدة (١) .

كما يرى سير جيمس جينز أن الراجح هو أن محيط الكون يقع بين ٨٠٠٠ مليون و ٥٠٠,٠٠٠ مليون سنة ضوئية ، ثم يضيف قائلاً ، ومع كل فإن الرقم الحقيقي لا يهمنا من وجه إلا قليلاً إذ أن أصغر الأرقام المحتملة واقع وراء أقصى حدود تصورتنا ، فإن أبعد مسافة في الفضاء أمكن لمراقصنا أن تتفقد إليها حتى الآن هي ١٤٠ مليون سنة ضوئية ، وهي ليست سوى كسر صغير جداً من الطريق حول الكون كله (٢) .

فإذا كان الضوء يقطع في الثانية الواحدة ١٨٦,٠٠٠ ميل تقريباً أو ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فكم يقطع في الدقيقة ، ثم في الساعة ثم في اليوم ثم في الأسبوع ثم في الشهر ثم في السنة ، ثم في بلايين هذه السنين الضوئية التي يتحدث عنها علماء الرياضة والفلك ١٢ . . هذا هو اتساع الكون كما تكشفته عنه العلوم الحديثة .

* * *

وهكذا يظهر الكون أعظم وأعقد بكثير مما ظنه أى إنسان حتى وقت ليس بعيد ، على ما يعبر عنه العالمان ألن هاينك ونورمان د . أندرسون وأحياناً يؤدي هذا العظم المنفزع بالناس إلى الشعور بأنه يحيط من قدر الإنسان والأرض إلى حد التفاهة . على أننا يجب أن نتذكر أنه بقلب التلسكوب رأساً على عقب ولخص العالم الميكروسكوبى المحيط بنا نستطيع أن نصل بأبصارنا في عالم الأشياء الأصغر من الأرض إلى مدى مساو تقريباً للذى يمكن أن تصل إليه أبصارنا في عالم الأشياء الأكبر منها . ويجب أن نتذكر أيضاً أن الحجم في حياتنا شيء نسبي كالشئ من

(١) راجع كتاب « إلى عوالم أخرى » To Other Worlds تأليف فرتر بودلر

ترجمة الدكتور عبد الحميد أمين القاهرة ١٩٥٦ ص ٩٠ — ٩٢ .

(٢) « النجوم في ميساليسها » المراجع السابق ص ١٥٩ — ١٦١ .

هذا وقد صوراً ينشئين الفضاء كروياً محدوداً لا يمكن التحقق منه بالملاحظة، لأنه ينشئ على نفسه وفي النهاية يتنقل كما هو الشأن في سطح الأرض . وبحسب معادلته في المجال أمكن لعالم الفلك أدوين هابل Edwin Hubble في مرصد ويلسون أن يقدر نصف قطر الكون بأنه يساوى ٣٥ بليون سنة ضوئية ، وذلك بعد أن قدر هندسة الكون أو انحناءه لتقدير قطره بالأجرام المادية الموجودة فيه ، وبعد الحصول على متوسط كثافة المادة في الكون ودراسة عينات من مساحات السماء لمدة عدة سنوات .

فإذا انطلق شعاع ضوئي في الفضاء بسرعه العادية وهي ١٨٦,٠٠٠ ميل في الثانية تقريباً فإنه يسير في دائرة كونية ويعود إلى مكانه الأصلي بعد زمن يزيد قليلاً عن مائتي بليون سنة ضوئية (١) .

والسنة الضوئية هي إحدى الوحدات التي يستعملها علماء الفلك في قياس المسافات الكوكبية وهي تمثل المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة وهي تساوى ٥,٧٧ × ١٢١٠ ميلاً أو ٩,٤٦ × ١٢١٠ كيلو متراً تقريباً . فهي تعادل ٥,٨٦٩,٧١٣,٦٠٠,٠٠٠ ميل .

ويقول الدكتور بوين لقد كان إدوين هابل أول من طبق الطرق الفلسفية لقياس أبعاد السدم التي تبعد كثيراً عن تجربتنا وتحقيق من أن سديم « المرأة المسلسلة » وغيره من السدم الحلزونية عبارة عن مجموعات تبعد ملايين السنين الضوئية . وفي عام ١٩٥٣ مات هابل في الوقت الذي كان يخلق فيه بأفكاره فوق حدود الكون . كما يقول عنه أيضاً إنه أول من حدد «بعد سديم « المرأة المسلسلة » ، وقد نجح في هذا العمل بعد أن فشل فيه الكثيرون ، كما اكتشف في سنة ١٨٩٥ في هذا السديم أول مجموعة

(١) واجمع كتاب « العالم وأهلها » تأليف لسكولن بارنت ترجمة الأستاذ محمد طاف البرقوقي ص ١٠٢، ١٠٣ .

تحتوى على ألوف الملايين من النجوم . ومن المتفق عليه الآن أن الأرض ليست سوى فرد من أفراد المجموعة الشمسية ، وأن هذه الأخيرة ليست سوى فرد من أفراد المجموعة المجرية ، وأن هذه الأخيرة ليست سوى فرد من أفراد مجموعة المدن النجمية التى فى الفضاء . . . (١)

ويمكن وصف المجرة بأنها عجلة مرصعة بالنجوم تدور فى الفضاء وتستغرق مجموعتنا الشمسية التى لاتعدو أن تكون شمسنا إحدى نجومها مليونين من القرون كما تتم دورة كاملة واحدة وهى منطلقة بسرعة مائى ميل فى الثانية فما أطولها من رحلة ؟ . . .

كما تبين أن سديماً واحداً هو سديم الحلقة الذى يعرف باسم السمكة السماوية يتسع وحده لحوالى ثلاثين ألفاً من أمثال مجموعتنا الشمسية يكوا كها ، وبأبعاد هذه الكواكب عن الشمس ! . فتأمل فى عظمة الكون وقدره الخالق تعالى فى جانب ضئيل منها . . .

ويقول الأستاذان آلن هاينك Allen Hynck ونورمان د . أندرسون Norman D. Anderson إنه ، من المستحيل اقراضياً طبقاً للأسس الإحصائية أن يكون نجمنا بالذات هو الوحيد الذى له كواكب تتوافر فيها الظروف الكيميائية والطبيعية لاستمرار الحياة . إن هذا القول شبيه بقولك إن قطتك هى الوحيدة التى أنجبت قطيطات من بين بلايين البلايين من القطط . ثم إن المجموعة المجرية بأكملها تضم البلايين الفاتكة العدد من النجوم . ولو أن نجماً واحداً فى كل ثلاثة بلايين نجم كانت له مجموعة كوكبية لكان عدد المجموعات الشمسية يقدر بالملايين . وحيث أن كيمياء النجوم متشابهة ، فالنتيجة إذن أنه من المحتمل أن الحياة (من النوع الأرضى) ظاهرة واسعة الانتشار ، (٢).

(١) عن كتاب «النجوم فى مسالكها» من تأليف سير جيمس جينز James Jeans ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى . طبعة ٣ من ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) عن مؤلفهما Challenge of the Universe . الترجمة العربية بعنوان «أسرار الكون» للدكتور سيد رمضان هدارة من ٨٨ .

ميل في الثانية . ولو أن هذه المادة عادت تتذبذب بسرعة الضوء لاختفت . ولم تعد تدركها حواسنا .

فنحن إذا ما أمسكنا في يدينا بقطعة من الحديد شعرنا بصلابتها ولكنها في الواقع ليست صلبة ، وكل ما حدث هو أن حاسة اللمس قد تأثرت باهتزاز الالكترونات فشعرنا بصلابتها كما نشعر بنفس الكيفية بحرارتها أو برودتها ، فتنقل حواسنا أو عقولنا صورة الحديد وحرارته أو برودته . ونفس القول يصدق على جميع عناصر العالم الذي نعيش فيه والذي يبدو لنا صلباً وما هو بصلب ولا بمدى .

ولذا يتساءل المرحوم الدكتور مصطفى مشرفة — وهو بصدد شرح نظرية النسبية — كيف تبدو الأشياء لراصد يسير بسرعة الضوء؟ ...
ويجيب بأن الأشعاع الذى يصاحب هذا الراصد جنباً إلى جنب يبدو له مادة صلبة ، أما الأشياء المادية التى تمر به بسرعة الضوء فتكون إشعاعاً .

وفي ضوء هذه المعلومات الأولية في الفيزياء الحديثة ، بشأن طبيعة المادة الصلبة والطاقة والضوء وبشأن نظرية النسبية ، أمكن لعلماء المادة قبل غيرهم أن يفهموا البيانات الروحية ويضموها - عن موقع عالم الروح، وعن حقيقة الخلود - بوصفها حقائق كونية عامة قبل أن يكون هذا الفهم في ضوء الكشف الواسطية . وفي ضوءها أيضاً أمكن لعلماء الروح أن يوضحوا المعلومات التي تلقوها من عالم الروح عن موقعه وعن أسلوب الحياة فيه على أسس واضحة تقبلاتها بسهولة أفهام العلماء ، وكانت بمثابة الإطار الخارجي الذي جعل الكشف الروحية جزءاً لا يتجزأ من الكشف العلمية هذه ، من ناحية أنها أضحت تكملها وتتكامل بها في نفس الوقت .

اتساع الفضاء الكوني

صور أغلب الباحثين الفضاء الكوني على أنه غير محدود ، أى لا نهائى
يسمح فيه فى حركات منتظمة لا تتوقف عدد غير محدود من المجرات التى

نظرية النسبية أن كتلة الجسم تزداد في حين أن حجمه ينكمش إذا ازدادت سرعته . وعلى هذا لو تغيرت سرعة الجسم وأصبحت هائلة كسرعة الضوء التي تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متراً في الثانية مثلاً فإن التغير في كل صفاته الطبيعية يكون محسوساً جداً ، بل إن الجسم بمعنى آخر يصبح جسماً جديداً ...

والزمن نفسه يتغير لو تغيرت ظروفنا . إننا إذا تخلصنا من هذه الأرض المادية واحتللنا مكاناً مستقلاً لا يربطنا بجاذبيتها ولا بقوانينها سوف لا نشعر بالزمن الذي تعودنا عليه ولا يصبح للهر أو للفناء لدينا أى معنى . إننا عندئذ لا نعرف سوى اللازم — أى الخلود — لا ماضى ولا مستقبل ولكن الحاضر وحده هو الذى نعيش فيه ،^(١).

معنى الزمن فى الفيزياء والرياضة الحديثة

لذا يقول أينشتاين ، وهو واضح نظرية النسبية ، إنه ليس للزمن من حقيقة قائمة بذاتها ، وأنه من خواص المادة وإن المستقبل قد يتصل بالحاضر وقد يلحق بالماضى ، فى كل لحظة نحن نقتطع من المستقبل جزءاً نضمه إلى الماضى فلا ينقص هذا ولا يزيد ذاك لأن كلا منهما لانهائى . وإن المستقبل يلتف على شكل دائرة وبذا يدخل فى الماضى إذ الدائرة علامة الأبدية .

وبحسب نظرية النسبية تكون الظواهر التي تمر بنا بسرعة الضوء هي تلك التي اعتدنا أن نسميها إشعاعاً ، أما الأحداث المجسمة التي تسير ببطء شديد فقد اعتدنا أن نسميها مادة . أو بحسب تعبير أينشتاين أن المادة هي عقل أو فراغ أو فضاء نقصت سرعته عن السرعة الطبيعية للضوء وهي ١٨٦ ألف

(١) عن الدكتور على عبد الجليل راضى فى المرجع السابق ص ٢٨ . وراجع أيضاً كتاب Challenge Of The Universe الذى ظهر فى سنة ١٩٦٢ للمالين آلن هاينيك Allen Hynck ونورمان د . أندرسون Norman D. Anderson والذى نقله إلى العربية الدكتور سيد رمضان هدارة باسم « أسرار الكون » ص ١٦٠ — ١٦٥ .

إلى حرارة تسخن الرصاصة نفسها ، أو ربما تذيبها . وفي هذا الشكل الجديد — شكل الحرارة — توجد طاقة مساوية للطاقة الأصلية للرصاصة .

وتبعاً لهذه النظرية ، يقرر المؤلف أن الطاقة لا يمكن خلقها وكل طاقة حالية لا بد وأن تكون قد وجدت منذ وقت ما ، وإن كان من الجائز أن وجودها فيما سبق كان في شكل مختلف عن وجودها حالياً . فالطاقة في النهاية لا يمكن خلقها من العدم ، وهذا قانون طبيعي من أهم القوانين التي تتحكم في سير حركة الحياة في الكون^(١).

دلالة النسبية

كشفت نظرية النسبية عن حقائق كثيرة مذهلة أهمها أنها انكثرت تماماً وجود المكان المطلق والزمان المطلق ، وبيّنت أن أيهما يختلف باختلاف الظروف . بل حتى الأطوال والكتل فقدت معناها القديم فأصبح من المسلم به أن كل ما في الكون نسبي ، بمعنى أن حكم حواسنا يتفاوت أحياناً من النقيض إلى النقيض في شأنه تبعاً لتفاوت ظروفنا ، فالأرض التي نسكنها ونظن أنها ثابتة لا تتحرك تدور حول نفسها بسرعة ١٨ ميلاً في الدقيقة ولا نشعر بذلك إلا إذا وقفنا بعيداً عنها على سطح نجم مثلاً وأخذنا في مراقبتها . لو قلنا إن الأرض تدور حول الشمس فالشمس كذلك ليست ثابتة ويمكننا أن نقول إنها تدور حول مركز آخر ما في الكون . بل إن الفكر يتجه الآن لاعتبار كل نجم وكل كوكب متحركاً في الفضاء لا في فلك دائري بالضبط كما نظن ، بل في فلك حلزوني بدأ من نقطة ما وسينتهي في نقطة أخرى لا يعلمها إلا الله ...

وايست النسبية قاصرة على السكون والحركة ، بل على مقدار السرعة والعجلة والكتلة والحجم إلى غير ذلك من الصفات الطبيعية . فمن مبادئ

(١) راجع أيضاً في هذا الشأن كتاب « الكون ذرة وحركة » تأليف الدكتور سيد رمضان هدارة الأستاذ بكلية العلوم ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٢١ ، ١٤٢٤ — ١٥٨ .

التحول إلى الآخر ، بل إنه يتحول إليه بشكل لا يتوقف وإن كان يتفاوت في سرعته وفي أسلوبه ولذا كان قانون الكتلة والطاقة في نظرية النسبية لأينشتاين قانون واحد ، فالمادة والطاقة تتحولان إحداهما إلى الأخرى تحت الظروف الملائمة .

والمجموع الكلي للمادة والطاقة في الكون ثابت لا يتغير يحكمه قانون واحد مشترك ، وهو أن الكمية الكلية للطاقة في الكون ثابتة ولو أن نسبة كبيرة منها تظهر على شكل مادة . فالمادة أو الطاقة يمكن أن تتخذ صورة أخرى جديدة عند توافر ظروف معينة قد تختلف بحسب طبيعة كل منهما ، ولكن في ظل قانون عام ينظم هذا التحول ويسيطر عليه وهو أن الطاقة والمادة معاً لا تقبلان الفناء ، أى لا تضيعان هباء مهما حدث من تحول في صورتها بسبب أى تغير في ذبذبتها ارتفاعاً أو انخفاضاً . وهذا التغير هو الذى يخضع أيهما للحكم حواسنا ، أو يخرج من نطاق هذه الحواس^(١).

وفي هذا الشأن يقول سير جيمس جينز James Jeans العالم الرياضى والطبيعى في مؤلفه عن « الكون من حولنا »^(٢) . « من الأعمال العظيمة التى حققها علم الطبيعة فى القرن التاسع عشر تقريره المبدأ العام المعروف بمبدأ « حفظ الطاقة » فالطاقة يمكن أن توجد فى أشكال متنوعة كثيرة ، ويمكن أن تتغير من شكل إلى شكل إلى ما لا نهاية ، ولكن يستحيل أن تفنى تماماً . فطاقة الجسم المتحرك لا تفقد حينما يتوقف هذا الجسم عن الحركة ، بل تتغير فقط إلى شكل آخر . فمثلاً عندما تتوقف رصاصة عن الحركة لإصابتها الهدف ، يتحول بعض طاقتها إلى حرارة تسخن الهدف ، وبعض طاقتها

(١) بل أن الحركة والصوت أيضاً لا يقبلان الفناء فى الفيزياء الحديثة. ولذا ذهب بعض العلماء إلى القول بأننا فى كل مرة نحرك فيها يداً نحدث أمواجاً فى الأثير الكونى تنطلق إلى ما شاء الله . كما ذهب بعضهم إلى أنه يمكن نظرياً التقاط أصوات الناس فى مختلف العصور لوفقنا إلى اختراع جهاز مناسب ، لأن أصواتهم لا زالت تجوب الأثير فى رحلات لا تنقطع .

(٢) The Universe Around Us طبعة ٤ ص ١٠٣ .

إن سرعة الضوء قانون حسابي أو مقدار ثابت ، لا لأن هناك حقيقة مطلقة في ال ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية (وهو سرعة الضوء) بل لأنه لا يوجد جسم مادي تزيد كتلته تبعاً لسرعته يمكن أن يبلغ أبداً سرعة الضوء . وبتعبير آخر فإن الجسم المادي المتناهي الكتلة هو الذي يمكن أن يعادل سرعة الضوء .

وتأسيساً على هذه الحقائق العلمية يقول الحكيم برمهنا يوجانندا : فالمعلون الذين يستطيعون أن يتجسدوا وأن ينفضوا عنهم أجسادهم أو أية مادة أخرى ، وأن ينطلقوا بسرعة الضوء ويستخدموا أشعة النور الخالقة في إحداث أى مظهر مادي قد وفوا بالشرط الضروري الذي قال به أينشتين بأن كانت كتلتهم غير متناهية . . . والجاذبية سواء كانت القوة التي قال بها نيوتن أو القصور الذاتي الذي قال به أينشتين عديمة الحول في إرغام الروح المتجسدة لإظهار خاصية الثقل الذي هو الشرط المميز للجذب في الأشياء المادية . فالشخص الذي يعرف أنه الروح الموجودة في كل مكان لا يعود يخضع لتأثير الجسم بمقاييس الزمن والفضاء . . .

والإنسان الذي يمزج وعيه بالخالق يحس بالجواهر الكوني كنور . ولا فرق لديه بين الأشعة الضوئية المكونة للباء والأشعة الضوئية المكونة لليابس . فإذا تحرر من الإحساس بالمادة ومن أبعاد الفضاء الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) ومن البعد الرابع وهو الزمن نقل جسمه النوراني بسهولة فوق الأشعة الضوئية للتراب والماء والنور والهواء . . . ومن ذلك الحين ينظر إلى المادة ككتلة غير متميزة عن الضوء ،^(١).

في تبادل التحول بين المادة والطاقة

وإذا كان من المسلم به في الفيزياء العصرية أن كل ما في الكون عبارة عن مادة (بحسب حواسنا) وطاقة فإن من المسلم به كذلك أن كلا منهما يقبل

(١) عن كتاب « فلاسفة الهند في سيرة يوجي » للحكيم برمهنا يوجانندا ترجمة الأستاذ

الأرواح منذ القرن الماضي من أنها تستفيد من هذه الطاقة التي تنبعث من
جسوم الوسطاء ، وأحياناً من جسوم بعض الجلساء في إحداث الظواهر التي
تقدر على إحداثها ، وأنها أحياناً تجد في الغرفة بطارية آدمية صالحة لإحداث
هذه الظواهر وأحياناً أخرى لا تجدها فتفشل الجلسة ، فيذهب المعارضون
في أوّل هذا الفشل مذاهب شتى ليست في صالح صحة هذه الظواهر .

الضوء هو الحقيقة الثابتة الوحيدة

وإذا كانت المادة الصلبة تمثل واحدة فحسب من ملايين الأسرار الكونية ،
فإن الضوء هو أغرب هذه الأسرار ، لأن أمواج الضوء تنفذ في الفراغ
الذي يملأ الفضاء ويتخلل كل شيء حتى المادة الصلبة . وحتى الأثير ، الذي
يعتبر بمثابة ناقل للضوء في نظرية الاهتزاز ، يرى أينشتاين أنه غير لازم وأنه
يمكن طرحه جانباً ومع ذلك يظل فهم الفيزياء الحديثة لطبيعة السكون على حاله
دون تغيير ، من ناحية لزوم وجود مستوى للوجود يلي في سرعة اهتزازه عالم
المادة ، ومن ناحية التداخل المحتمل بين العالمين ، ومن ناحية كافة ما تؤدي
إليه نظرية النسبية من نتائج تسبب الدهول والخيبة .

وقد بين أينشتاين بمعادلاته الرياضية كيف أن سرعة الضوء هي الأمر
الثابت الوحيد في السكون ، وكيف أن الزمن والفضاء عاملان نسيان يستمدان
قياسهما من علاقتهما بسرعة الضوء . وهكذا أبعد أينشتاين بمعادلاته من
السكون كل حقيقة ثابتة فيما خلا الضوء أليس الله نور السموات
والارض ؟ . . . فهو الحقيقة الثابتة الأبدية الوحيدة وما عداه إلى زوال . . .
كما ورد في سفر التكوين (١ : ٣١) « وقال الله ليسكن نور ، فالأمر الإلهي
الأول جاء إلى حين الوجود بالحقيقة الذرية الوحيدة وهي النور .

وفي معادلته المشهورة التي تبسط التساوي بين المادة والنشاط أثبت
أينشتاين أن النشاط في أية ذرة من ذرات المادة معادل لكتلتها أو وزنها
مضروباً في مربع سرعة الضوء . ويتم إطلاق القوى الذرية عن طريق إفناء
الذرات المادية ، وبهذا كان موت المادة يمثل ولادة العصر الذري .

ذبذبات أقل من سابقتها في سرعتها أو أكثر. فإذا تكلمنا عن العشب باعتباره أخضر وعن السماء باعتبارها زرقاء وعن الورد باعتباره أحمر فإننا نعلم أن هذا لا يصدق إلا في عقولنا فقط ، لأن الإحساسات التي نحس بها نتيجة ذبذبات الأمواج الضوئية إنما يحدث الآثار اللونية ، وعندما تنخفض هذه الذبذبات إلى ما دون الأربعمائة بليون في الثانية فإننا نحس بها كحرارة ومن هنا نرى أيضاً أن الحرارة إنما هي في عقولنا ،^(١).

وكما أن رسالة العقل هي أن يستقبل قدراً ضئيلاً من تموجات الطبيعة عن طريق المخ (طالما كان مرتبطاً به بسبب الحياة التي نعيشها الآن) فإن كل فكرة يفكر فيها العقل ، إنما هي بدورها عبارة عن تذبذب وتموج مشحون بطاقة كهربية مغناطيسية تنبعث منها ، ولا سييل إلى رفع معدل ذبذباتنا العقلية إلا إذا كان مدار تفكيرنا أفكاراً نقية راقية ، حتى تكون عقولنا محطات لإرسال واستقبال في نفس الوقت للأفكار النقية التي تحدث الصحة والمرح والسعادة والسلام لصاحبها ، ولمن تربطه به صلة من هذه الصلات العقلية التي بدأت بحوث الباراسيكولوجي تسلم بها وتنتجها إليها اتجاهاً صريحاً في القرن الحالي .

وبما تنبغى الإشارة إليه أيضاً أن من المسلم به أن خلايا المخ تعمل كمولد كهربى يبعث الكهرباء إلى الأعصاب التي تبعث بها إلى الخارج في صورة أمواج أثرية تشبه تلك التي تبعث بها محطات الإرسال المختلفة ، وهذه الكهرباء النسبية ذات نشاط فعال لأنها من النوع الديناميكي ، وتتفاوت درجات اهتزازها تفاوتاً ضخماً ، وثبتت صحة ما كانت تقرره

(١) عن كتاب « الموجات العقلية » للأستاذ وليام سرجيوس الهامى ص ١٦ ، وراجع أيضاً

ومؤلفات الباحثة نيرا ستانلى آلدز Vera Stanley Alder ومي: —

The Initiation Of The World.

استهلال العالم

The Finding Of The Third Eye.

الثور على العين الثالثة

The Fifth Dimension.

البعد الخامس

٦٣٤ بليون في الثانية	اللون الأزرق سرعته
٥٧٠	الأنخضر
٥٢٠	الأصفر
٥٠٠	البرتقالى
٤٣٤	الأحمر (وهو أقلها اهتزازاً) سرعته

وتمت منطقة تلى اللون الأحمر في «بطء» اهتزازها وتصل إلى ٣٠٠ بليون ذبذبة في الثانية يصفها العلم المادى بأنها منطقة «ضوئية مظلمة» ، وأمكن عن طريق جهاز البولومتر اكتشاف ١٣ سلباً فقط من سلاسلها .

كما أن تمت منطقة أخرى مجهولة من العلم المادى ، لكنه مع جهله طبيعتها يسلم بوجودها ، ويرتفع اهتزازها من ٧٥٠ إلى ١٥٠٠ بليون ذبذبة في الثانية . وتبلغ ارتفاعاً منطقة اهتزاز أشعة اكس التى تتراوح بين حوالى ٣٠٠٠ بليون و ٣٠٠٠٠ بليون ذبذبة في الثانية .

وتحتوى الاهتزازات من أدناها فى الصوت إلى أعلاها فى أشعة اكس على ٥٧ سلباً ، لا تستطيع حواسنا أن تدرك منها سوى ١٣ سلباً أو أقل من ذلك عن طريق جهازنا العصبى المادى .

وتبعث الشمس ضوءها فى شكل ذبذبات أثرية يبلغ معدل سرعتها أربعائة بليون فى الثانية ، وهذا الضوء نستقبله بحواسنا بحسب الظاهر لكن نستقبله بحسب الواقع بعقولنا ، لأن السمع والنظر والشم والذوق واللمس عمليات عقلية قبل كل شئ . وهذه الآن حقيقة يسلم بها تماماً العلم المادى . وذلك لأن الذبذبات المختلفة تمر بحواسنا — كلها وبغير استثناء أية ذبذبة منها ، فلا نشعر منها إلا بما تستطيع عقولنا أن تتحمل تسجيله ، أما ما عداه فتمتنع هذه الحواس أو بالأدق تعجز عن تسجيله ، بقدر عجز العقل الذى يحكمها عن هذا التسجيل .

وعندما يزيد عدد الذبذبات يتغير الضوء إلى لون ، وكل تغيير تنشأ عنه

علمية مقررة بالنسبة للسمع والشم واللس واللذوق . فكل شيء في الكون طول موجة ، ولكن حواسنا لها قدرة محدودة جداً على التقاط الأمواج التي تمر بها ، أما ما عداها فيفلت منها إفلاناً كلياً مع أن وجوده حقيقة واقعة لا ينازع فيها الآن .

ولنتكلم في السمع أيضاً فنجد أن آذاننا لا يمكن أن تلتقط أى صوت — ولو كان يخترقها — إلا إذا كانت ذبذبته تتراوح بين ٢٠ و ٢٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية . أما ما نقص عن ذلك فلا نسمعه ، ومثله ما زاد عن هذه السرعة في التذبذب .

* * *

والذبذبات المعروفة في الطبيعة أصبحت تقدر مبدئياً بحوالى ٣٠٠ بليون سلم تحيط بنا من كل جانب . فكأننا — منذ الآن — نحيا وسط محيط عرم لا يعرف العلم له حدوداً من سلام الذبذبات التي تتدافع من حولنا دون أن نشعر إلا بقدر منها لا يكاد يذكر . فكل واحد منا معتقل بالتالى في كهف مظلم به خمس ثقوب دقيقة لا يبلغ أيها في اتساعه ثقب الدبوس تمثل حواسنا الخمس ، وهى كل المنافذ التي تصلنا بعالم الظلام الدامس الذي يحتوبنا من كل جانب ، وكأنا في كهف يتمثل في جسدنا المادى المنخفض الذبذبة والذي يحجبنا عن إدراك حقيقة العالم الخارجى الذي يحيط بنا دون أن ندرك منه شيئاً يذكر . فمثلاً ندرك آذاننا أحد عشر سلباً ونصف فحسب من السلام الصوتية ، أما بلايين السلام الأخرى فلا ندرك منها شيئاً (١) ، وندرك أعيننا سلباً واحداً من الموجات الضوئية التي تمر بها ، أما بلايين السلام الضوئية الأخرى فهي لا تراها .

وقد أمكن تقدير سرعة اهتزاز الألوان المختلفة على النحو الآتى :

اللون البنفسجى (وهو أكثرها ارتفاعاً) سرعته ٧٥٠ بليون في الثانية .

(١) للزبد في هذا الموضوع راجع كتاب « أصوات لاسم » تأليف قدرى فاستف وترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة وهو دراسة علمية في موضوع « فوق السمعية » .

تدركه حاسة اللمس عندنا ، والتي نسميها صلبة استناداً إلى حكم حواسنا وبالتالي إلى حكم عقولنا فحسب ، أما العلم الحديث فلا يعترف بصلاية المادة ولا ينفي إمكان وجود مادة صلبة خارج نطاق حاسة اللمس أو النظر .

وبالتالى يمكن تلخيص الفهم الحديث للسكون المادى بأن « العالم يموج بأنواع عديدة من الذبذبات من ضوء إلى مغناطيسية إلى حرارة إلى كهرباء إلى ألفا إلى بيتا ... تصدر من الأجرام السماوية تنعكس وتنكسر وتتقاطع وتتقابل بانتظام أو بغير انتظام . ولو تجمع بعض من هذه لحدثت منها نقطة مادية صغيرة أو نواة لعالم جديد ... وعلى هذا يمكننا أن نقول إن جميع الأجسام التى نراها من أرض وكائنات كلها صور متجسدة أو متبلورة على مرآة الحياة لأشياء غير محسوسة أو لأمواج أثيرية عابرة تملأ فضاء السكون ولا يمكننا الشعور بها ، كما لا يمكننا الشعور ببخار الماء فى الجو قبل تكثيفه على لوح الزجاج ،^(١)

ولنضرب مثلاً لذلك بالعين التى هى مرآة عقولنا وأداة أهم حواسنا وهو البصر . فالعين تتأثر ببعض الإشعاعات دون غيرها . فما تأثرت به اعتبرته عقولنا ضوءاً ومالم يخضع لتأثيرها اعتبرناه ظلاماً ، وهى لا تتأثر من أشعة الطيف الشمسى إلا بما يقع بين اللونين الأحمر والبنفسجى . فما نقص عن الأول فى طول موجته ومازاد عن الثانى فى هذا الطول لا تتأثر به ، فنتصوره ظلاماً مع أنه من عناصر الضوء ولا يختلف عن المرئيات التى نراها إلا من ناحية طول الموجة فحسب . ولما كانت أمواج السكون غير محدودة وتتفاوت تفاوتاً شاسعاً بين أمواج متناهية فى القصر وأخرى متناهية فى الطول فإن ما تدركه أبصارنا — وبالتالى عقولنا — من موجات لا يعد شيئاً فى هذا المجال الشاسع^(٢) .

وهذا الذى يعد الآن حقيقة علمية مقررة بالنسبة للبصر مثله يعد حقيقة

(١) من الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم فى « ولفه » العالم غير المنظور ص ٣٥ .

(٢) عن « العين والشمس » تأليف س . فافيلوف ترجمة الدكتور غطية هبى السلام عاشور .

والذرة ليست سوى « هالة تحيط بفجوة » بحسب تعريف إروين شرودنجر E.Schrödinger^(١). وهذا العالم المادى كما يقول إدجرتون Eddington ليس أكثر من « شىء شخصى لا يوجد إلا فى الخواص ». أى أن معاملة تتوقف على نشاط العقل الذى يكتشفها « فالظاهرة المادية إن هى سوى نتيجة اختبار عقولنا وتركيبها لبعض الأشياء من الوحدة الروحية التى تختفى وراءها ».

كما يقول سير جيمس جينز James Jeans فى كتابه عن « الكون الخفى »^(٢) ، « لم يعد العقل بعد دخيلاً فجائياً فى دولة المادة ، ولقد بدأنا نتردد فى الظن بأن علينا من باب أولى أن ننادى به خالقاً لدولة المادة وبارئاً لها فى كل مكان وزمان » .

فالعقل أصبح فى الفيزياء الحديثة هو القوة والحركة التى تؤثر فى المادة ، فهما وحدتان متلازمتان فى كل شىء . والمادة تدل دائماً على عقل وتبادل التأثير معه لأن المادة تؤثر فى العقل كما أن العقل يؤثر فى المادة^(٣) . وكل شىء نلمسه أو نسمعه أو نراه أو نشمه أو نذوقه عبارة عن أثر فى درجة معينة من الاهتزاز . وكل اهتزاز يولد موجة ذات طول معين يتوقف على سرعة الاهتزاز كما قلنا . وحواسنا تدرك — عن طريق العقل — قدراً ضئيلاً جداً من تموجات الكون ويفلت منها ما عداها ، بما فى ذلك حاسة اللمس التى قد نتصور أحياناً أنها لا نتخدعنا فى اكتشاف « الماديات الصلبة » ، مع أن من الماديات ما قد يتجاوز فى اهتزازة مستوى معين هو مستوى ٦٤٠٠٠ موجة فى البوصة فلا نعود نشعر به . بل ننكر وجوده إنكاراً تاماً مع أن وجوده الآن حقيقة علمية كوجود المادة الصلبة التى لا يتجاوز اهتزازها مدى ما قد

(١) فى « مؤلفه دن ميكانيكا الأمواج Wave Mechanics.

وفى مؤلفه ما مى الحياة What is life الذى صدر فى سنة ١٩٤٤ .

(٢) The Mysterious Universe.

(٣) للمزيد راجع ما كتبناه فى شأن « تأثير العقل المباشر فى المادة » فى الجزء الاول

(الفصل التاسع من الباب الرابع ويوجه خاص ص ٤٦٤ — ٤٦٦) .

هذه القوى العنيفة القاتلة ، إذ أن من إشعاعات الكون ما يقتل الكائنات الحية ، ومنها ما يخرق الأجسام الصلبة .

واهتزاز الكون كله أو تذبذبه على هذا النحو حقيقة وصل إليها عقل الإنسان من قديم ، وقد اكتشفها فيثاغورس منذ ألفي سنة عند ما قال إن كل ما في هذا الكون يتذبذب سواء أ كان منظوراً أم غير منظور . ومدارس الفيزياء الحديثة تميل إلى القول إن الذرة والخلية والنبات كله يتأثر بالذبذبات المختلفة .. وإن للحيوان الأعجم أجهزة تستقبل هذه الذبذبات .. ولا غرابة في ذلك إذا لاحظنا كيف يوجه الإلهام بذبذباته الحياة في كل مستوياتها . هذا الإلهام الذي يعبر عنه عالم الطبيعة أو الرياضة بأنه الإشعاع الطبيعي ، أو الإذاعة الكونية الدائمة ذات الذبذبة الخاصة التي يلتقط منها كل كائن ما يلزمه ، وما يناسب جهاز الاستقبال فيه ، على ما أثرنا إليه في الجزء السابق (١) .

بين العقل والطاقة

لما كانت المادة عبارة عن ذرات ، والذرة عبارة عن كمارب دقيقة أبسطها البروتون وهو موجب التكهرب والالكترون وهو سالب التكهرب ، فهي عبارة عن شحنة كهربائية أي طاقة محبوسة لا عن كتلة صلبة . فالكتلة الصلبة لا يعرفها العلم الحديث ولا يعترف بإمكان وجودها كما قلنا . ومعنى ذلك أن كل هذا الكون الذي تعودنا أن نصفه بأنه «مادى» عبارة في النهاية عن قوة أو طاقة كهربائية إيجابية — سلبية في وقت واحد ، لكنه يبدو لحواسنا صلباً من باب خداع الحواس التي تضللنا في كل جزئية صغيرة من جزئيات هذه الحياة المادية ، ولذا لا تصلح الحواس أساساً سليماً لأية حقيقة عليية . ولولا الظواهر الوساطية لظلت حواسنا تنسكراً تماماً عالم الروح لأنها تحمل وجوده فحسب لا لأنه غير موجود .

المنضدة الثانية لأن تفكيرنا لم يتجه إليها من قبل ، هذا مع ان هذه المنضدة المجهولة منا هي في الواقع المنضدة الحقيقية ..

فللمنضدة المادية التي نعرفها سرعة اهتزاز معروفة ، هي التي تجعلها خاضعة لحواسنا بما في ذلك حاسة اللمس ، أما إذا ارتفع اهتزازها — بطريقة ما — فتجاوز ما تقدر حواسنا على التقاطه منها اختفت من نطاق هذه الحواس دون أن تحتفى من الطبيعة . ويكون ذلك إذا ارتفع اهتزاز المنضدة التي نعرفها فتجاوز سرعة الضوء وهي ١٨٦,٠٠٠ ميل تقريباً في الثانية وهو ما يعادل ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتراً في الثانية ، أو حوالى ٣٨٨ ياردة في كل مليون جزء من الثانية . وإذا أردنا القياس بالبوصة لا بالسرعة لقلنا إن المنضدة ينبغي أن يرتفع اهتزازها إلى ما يتجاوز ٦٤٠٠٠ موجة في البوصة أو أن ينخفض اهتزازها إلى ما يقل عن ٣٤٠٠٠ موجة في البوصة — وهي المنطقة الخاضعة لحواسنا المادية — حتى تحتفى عنها فلا نعود نشعر بوجودها ، مع أن هذا الوجود يظل حتماً حقيقة واقعة في سلم الاهتزازات الكونية الذي لا يعرف العلم حدوده .

وهذا الذي قرره إدنجتون في شأن « طبيعة العالم المادى » يؤيد ما قرره أيضاً جيفونس Jevons في مؤلفه عن « مبادئ العلم » من أنه قد يوجد هنا الآن كوكب غير منظور منا يخترق بمحيطاته وبحاره وأنهاره وجباله ومدنه وسكانه عالمنا هذا ، بما فيه من أجسام وكائنات تتجاوز في اهتزازها اهتزاز ما تقدر حواسنا على إدراكه . وما قرره كذلك توماس يونج Thomas Young من أن العلم لا يبنى احتمال وجود عوالم شتى يخترق بعضها البعض الآخر دون أن يشعر أيها بوجود الآخر .

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه جعل حواسه المادية محدودة القدرة . إذ أنه لو لم تكن الحال كذلك لأمكنه أن يرى جميع الإشعاعات من السينية إلى الأشعة الكونية ، ويشم جميع الروائح المنبعثة فيه ، ولاستمع إلى أمواج اللاسلكى المنبعثة من جميع محطات الإرسال . ولا يمكن للإنسان أن يتحمل

من اهتزاز السوائل ، واهتزاز السوائل أسرع من اهتزاز المواد الصلبة ، واهتزاز المادة الرخوة أسرع من اهتزاز المادة غير الرخوة وهكذا .

وبالتالى فإن المادة الصلبة فى النهاية حركة والضوء حركة ، ويتكون أى منهما من تأثير مهتز . وقد يظهر الضوء فى بعض الظواهر على هيئة موجات وفى أخرى على هيئة جسيمات تسمى « فوتونات » ، مما دفع سير أرثريستون Eddington إلى أن يقرر أن الحقيقة الفيزيائية التى تفسر الضوء لا بد وأن تكون تركيباً يجمع ما بين المظهرين . وأن التأثير ليس نوهاً من المادة فهو لا مادى ، ومعنى ذلك أن هذا الشئ غير المادى يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواءات الغامضة ، ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل ، بإضافة أجزاء منه بعضها إلى بعض مادة متميزة يمكن أن توزن (١) .

كما يذهب إدنجتون فى كتابه عن « طبيعة العالم المادى » إلى أن الذرة ليست نشاطاً غير مادى فحسب ، بل إنها مادة عقلية ... « وإجمالاً فإن مادة العالم هى مادة عقلية ... والمادة الواقعية ومجالات القوة للنظرية السابقة لا تلتئم إطلاقاً إلا فى الحالة التى تنسج فيها المادة الفكرية ذاتها تلك التصورات . فالعالم الخارجى قد أصبح الآن عالماً من الظلال . وفى إزالة الخداع فإننا نزيل المادة ، إذ رأينا حقاً أن المادة من أخطر ضروب الخداع ... »

ويذهب أيضاً إلى أن أية منضدة نشاهدها هى منضدتان ، إحداهما تلك القطع الخشبية بما عليها من طلاء وبما لها من شكل وضعها فيه الفن وتعارف عليه الناس منذ القدم ، أما الأخرى فليست هذه القطع الخشبية ولا ما اتخذ لها من رسم أو من اسم . وإنما هى هذا الفضاء أو الأثير ، أو بعبارة أخرى هذه الذرات الهائلة العدد التى تشغل نفس حين المنضدة التى نعرفها ، وقد أنكرنا

(١) معنى هذا القول هو التسليم الصريح بالقوة الخائفة وراء الأثير التى تجعله يتخذ مظهر جسيم الأشياء التى تقع تحت حواسنا ، بل جسيم الطاقات بما فيها الكهرباء والمغناطيسية . ولذا يتساءل الفكر العميق ول دورانت فى مؤلفه « مباهج الفلسفة » (الجزء الأول) معقياً على هذا الكشف العلمى الخطير ... أهو اللاهوت قد أعيد ؟ ...

وعالم الروح لا يرى ولا يسمع ولا يلمس — مع وجوده الحقيقي —
لأنه أثير يهتز أى يتردد — بسرعة تتجاوز سرعة الضوء . فالأثير وسط
غير مادي يتغلغل فى كل شيء . وهو صلب جداً ومرن جداً فى نفس الوقت .
وتسبح جميع الأجرام المسكونة للكون فى بحر من الأثير . وعلى ذلك
فدراسة الظواهر الضوئية والكهر ومغناطيسية بصفة عامة تتضمن حتماً
دراسة للحركة بالنسبة للأثير^(١) . . . وهويقع فى منطقة اهتزاز تتجاوز حتماً
منطقة اهتزاز الأشعة السينية . لذا فهو يتخلل عالمنا ويحيط به من جميع
الجهات ، ولا نشعر به لوقوعه فى هذه المنطقة العالية من الاهتزاز .

وهناك إشعاعات كثيرة مجهولة من حواسنا بسبب ارتفاع اهتزازها لكنها
موجودة ، مثل الأشعة الكونية ، والأشعة الطويلة والسينية والحرارية ، إلى
الحد الذى دفع كلارك مكسويل عالم الفيزياء (١٨٣١ — ١٨٧٩) — الذى
ابتكر نظرية أوضحت المفهوم العلى للكهرية والمغناطيسية وربطت بينهما
وبين الضوء — أن يقرر أننا « لن نعتبر الآن تلك المناطق الواسعة الكائنة بين
الكواكب وبين النجوم أما كن خاوية فى الكون . . . إنما فعلاً مليئة بهذا
الوسط العجيب ، وهى من الامتلاء به بحيث لا تستطيع قوة بشرية أن تقصيه
عن أصغر جزء فى الفضاء أو أن تحدث أدنى نقص فى اتصاله غير المتناهى . .

فى الأمواج

ولأن كل شيء فى الكون المنظور وغير المنظور يهتز أى يتردد فإن
له طول موجة . ويتوقف خضوعه لحواسنا على درجة اهتزازه ، وبالتالي
على طول موجته كما سبق أن بينا ، وتستوى فى ذلك الأجسام الصلبة مع السائلة
مع الغازية . وقد استقرت الفيزياء الآن على أن للجسم الصلب رتبة اهتزاز
وبالتالى طول موجة ، ومثله اللون والرائحة والكهرباء والموسيقى . وكلما
ازداد اهتزاز الشيء كلما اكتسب رقة وشفافية . فاهتزاز الغازات أسرع

(١) راجع كتاب « الكون ذرة وحركة » ، [لدكتور سيد رمضان همدان ١٩٦٤ م . ص
١٣٨ وما بعدها .

والمراكز تعرف في أرضكم بالثقل والتلاصق والمناسبة والتجاذب والمغناطيسية والكهربائية . ثم حركات هذا العامل الاهتزازية التي تدعى عندكم صوتاً وحرارة وضوءاً ... الخ

وكما أنه لا وجود في الأصل إلا المادة واحدة بسيطة تتولد منها كافة الأجرام والتركيبات الهيولية هكذا كل القوى الطبيعية صادرة عن ناموس أصلي واحد متفنن في مفاعيله، بما لا انتهاء له فرضه الخالق منذ الأزل ليقوم به نظام الخليقة وبهاء الكائنات . إن الطبيعة لا تضاد ذاتها وشعار الكون هو ذو الوحدة في التفنن . فإن صعدت في سلم العوالم وجدت وحدة النظام والخلقة مع تفنن لا يعرف حده في تلك الأجرام الفلكية ، وإن أجلت نظرك في مراتب الحياة من أحقر الكائنات إلى أعلاها وجدت وحدة التناسب والتسلسل . كذلك القوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة تدعى الناموس العام .

ويتعذر عليكم في الحاضر استيعاب هذا الناموس في شمول اتساعه لأن القوى الصادرة عنه والداخلية في دائرة أبحاثكم محدودة مقيدة . إنما قوتا التجاذب والكهربائية تفصحان لكم نوعاً عن الناموس العام الأصلي الشامل للسموات والكائنات . . . فكل هذه القوى الثانوية أزلية كالخليقة ، وبملازمتها للسيال العام تعمل بالضرورة في كل شيء وفي كل مكان . ويتنوع عملها بالمقارنة والتعاقب وتتغلب في مكان وتمحى من آخر فيظهر فملها . فهي عاملة أبداً في تجهيز العوالم وإدارتها وحفظها وملاشاتها متولية أعمال الطبيعة ومعجزاتها حيثما قامت ضامنة على هذه الصورة بهاء الخليقة الأزلية ونظامها الأبدى . (١)

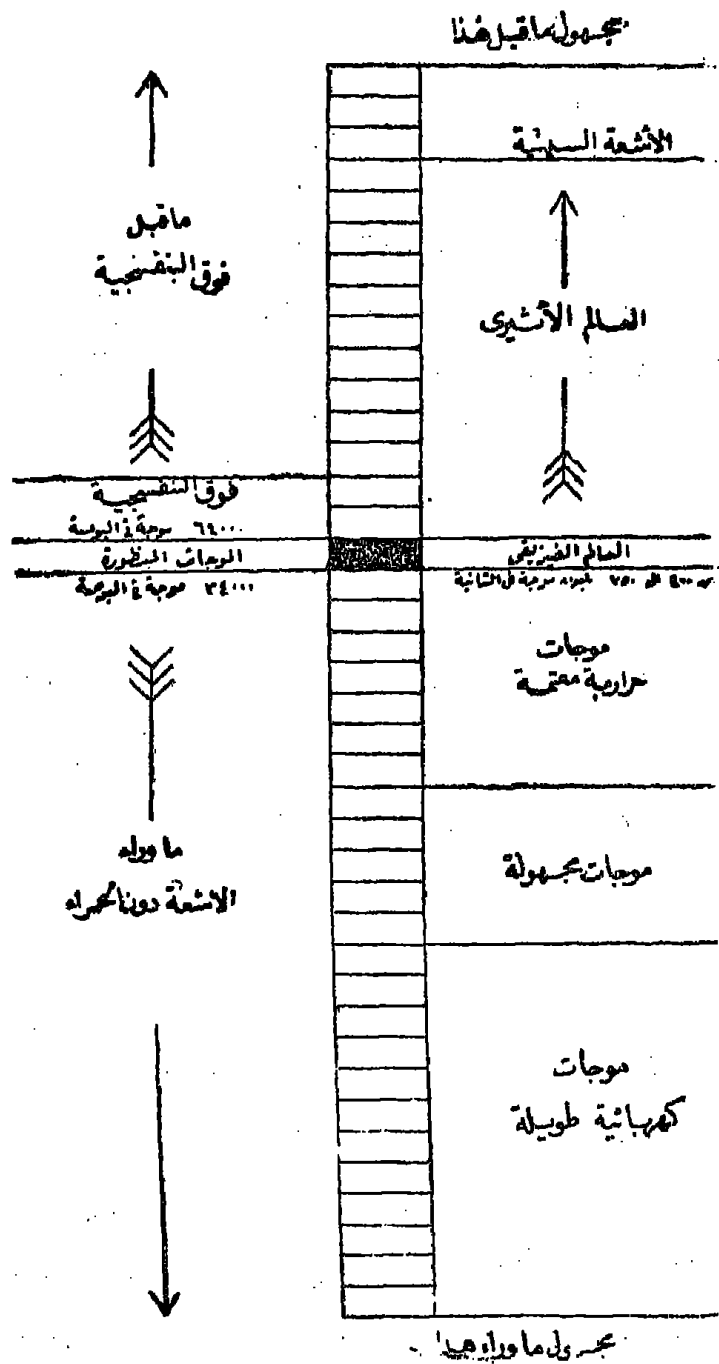
* * *

(١) راجع ترجمة هذه الرسالة برمتها في « كتاب الأرواح » للمرحوم الشيخ طنطاوى

لذا يقول سير أوليفر لودج « إننى سأحدد المادة بأنها هذا الشيء الذى يستطيع التحرك . إن فكرة السكون هى فكرة خيالية إذ لا توجد قطعة من المادة فى حالة سكون . كل المادة متحركة ، والاثير هو صلة الوصل بين العقل والمادة . يوجد جسم مادى وآخر اثيرى ، والاثنان غير منفصلين . وعندما استعمل كلمة « اثير » فإنما أعنى هذا الشيء الذى كان موضوع بحثى طيلة حياتى العلمية . وكل صفات الاثير التى وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة ، وهذا هو السبب الذى يمنع من القيام بتجارب عليه ...

إلى أن يقول « والاثير مادة روائية لا يستطيع الوصول إليها، ولذلك فإن البعض ينكر وجودها . إنما الصحيح هو أن هذه المادة تروغ من الحس المادى ... أما نحن فنقر وجود هذه المادة ، بل إننا نعلم أيضاً أنه يرجع إليها أمر الكهرباء والمغناطيسية والضوء والجاذبية . وقد علينا هذا من بحوث أينشتين . وإلى هذا الاثير أيضاً يعود الفضل فى تماسك المادة ... ثم يقول إن هذا الاثير يقوم بعمل أجل شأناً مما يعلمه الناس من أمره وينبغى علينا أن نفكر فيه إذا أردنا أن نحصل على علم كامل ... »

فإذا تركنا علماء الأرض إلى علماء الاثير وجدنا روح جاليليو تقول ، فى جمعية باريس الروحية منذ سنة ١٨٦٢ ، نفس هذا القول ضمن رسالة مطولة تقتطف منها هنا السطور الآتية : « من المسائل ما نعجز نحن الأرواح المغرمة بالعلوم عن التعمق فيها فلا نأتى لحلها إلا بآراء شخصية مبنى أكثرها على أقيسة افتراضية ، أما مسألة وحدة المادة فلا شبهة فيها ولا تخمين ... » ثم تقول الروح « إن سيالاً عاماً يملأ الفضاء الذى ليس بمحدود ينفذ فى الأجرام بأسرها يدعى الاثير أو المادة الأصلية ، وفيه تتولد كافة العوالم والسكانات . فهذا السيل تلازمه أبداً القوى أو النواميس الطبيعية المتولية تقلبات المادة ومسرى العوالم . وهذه النواميس المختلفة على اختلاف تركيبات المادة والمتفنتة فى أنواع فعلها على مقتضى الظروف



سليم الاهتزازات الكونية عن كتاب « على حافة العالم الأثيرى »
للأستاذ جيمس آرثر فندلاى
مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن

ثقله نسبياً ذات شحنة كهربائية موجبة ، كما تتكون من نيوترونات neutrons .
وهي متعادلة من الوجهة الكهربائية .

والبروتون يعادل وزن الالكترون ١٨٤٠ مرة ، ووزن الذرة يتوقف
على وزن البروتونات التي تتكونها . وقد عرف أن ذرة غاز الأيدروجين
مثلاً تحتوى على الكترون واحد ، حين تحتوى ذرة غاز الهليوم على اثنين ،
والأوكسيجين على ثمانية ، واليورانيوم على ٩٢ الكترونات وهى أثقل ذرة
موجودة فى الطبيعة . وخصائص الذرة تتوقف على الالكترونات .
ويتساوى عدد الالكترونات التى تدور فى محيط كل ذرة مع عدد البروتونات
المكاملة فى نواتها .

ويكون إحساسنا بالمادة عن طريق تأثير الالكترونات والبروتونات
فى حواسنا . فالإحساس بالمادة وصف للتعبير عن هذا التأثير فيها ، لأن
البروتون والالكترون فى النهايه جسيمان كهربائيان متضادان فى الشحنة ،
فالبروتون موجب الشحنة حين أن الالكترون سالب الشحنة كما قلنا ، وهذا
التأثير يحدث عن طريق الاهتزازات التى تنيرها فى التأثير الكترونات
الأجسام الصلبة وبروتوناتها ، فتحدث بدورها تأثيرها فى الكترونات
جسومنا وبروتوناتها .

فى الاهتزاز أو التردد

والمادة الفيزيائية عبارة عن اهتزازات بين حدين ثابتين أمكن للعلم
المادى تعيينهما . وهذه الاهتزازات التى تؤلف العالم الفيزيقي كله يتراوح
مداها بين ٣٤٠٠٠ إلى ٦٤٠٠٠ موجة فى البوصة الواحدة تمثل اهتزازات
الطيف المنظور الذى يقع ما بين اهتزازات الأشعة دون الحمراء انخفاضاً
والأشعة فوق البنفسجية ارتفاعاً . أما إذا أردنا القياس بسرعة الاهتزاز فى
الثانية — لابطول الموجة فى البوصة — فإن العالم الفيزيقي يتراوح بين
٧٥٠ بليون ذبذبة فى الثانية و ٤٠٠ بليون ذبذبة فيها .

والاهتزاز خاصية عامة لكل درجة من درجات الوجود فى الكون ،
والفارق الوحيد بينها هو فى رتبة الاهتزاز التى يهتزها أى شئ فى هذا الكون .

يبلغ عددها تقريباً مائة عنصر وواحد^(١). وتشكيل المواد يتواف على عدد العناصر الداخلة في تركيبها ، فهناك مواد مكونة من عنصر واحد وهناك مواد مكونة من عدة عناصر . والجزء هو وحدة المادة ، وهو ينقسم ويتفتت إلى ذرات متناهية في صغرها إلى أقصى مدى . والمادة التي تتكون من ذرة واحدة تسمى عنصراً ، أما تلك التي تتكون من أكثر من ذرة فتسمى مركباً . فمثلاً الأكسجين عنصر والهيدروجين عنصر آخر ، حين أن الماء يتكون من اتحاد هذين العنصرين ، فهو مركب . وعدد وأنواع الذرات بسيط جداً لكنها تتكرر أوضاع مختلفة .

فالمادة مهما اتخذت من أشكال خارجية هي في حقيقتها عبارة عن أحجار متماثلة . والأرض ، بأكملها وبموادها التي لا تحصى ، تبدو لعلماء الطبيعة الحديثة عبارة عن بناء مقام بواسطة أحجار متشابهة . وبين العناصر المختلفة يوجد ١٤ عنصراً فقط تتكرر بكثرة في هذا البناء ، أما ما عداها فلا يظهر إلا نادراً . لذا يقول سير جينز إن اتحاد العناصر في الطبيعة أشبه ما يكون باتحاد ثلاثة ألوان في الطباعة لإنتاج جميع الألوان الموجودة في الطبيعة تقريباً ، علاوة على درجات متفاوتة غريبة لتلك الألوان لا توجد في الأرض ولا في السماء^(٢) .

وجميع المواد الصلبة مكونة في نهاية المطاف من ذرات ، والذرات مكونة من الإلكترونات وبروتونات . والذرة محيطة وفي قلبها نواة nucleus ويسبح في محيطها في مدارات محددة أجسام خفيفة جداً ذات شحنة كهربائية سالبة تسمى بالالكترونات أما نواتها فتتكون من بروتونات وهي أجسام

(١) كانت العناصر فيما مضى ٩٢ عنصراً ، ولكن تمكن العلماء في العشرين السنة الماضية من اكتشاف عناصر أخرى جديدة مثل البلوتونيوم والپلوتونيوم والأمريسيوم وغيرها . والعناصر الشائعة لا تتجاوز ١٤ عنصراً ، أما ما عداها فهي عناصر نادرة جداً ولا يحتاج إليها الحياة على ما يقرره سير جيمس جينز James Jeans في مؤلفه « الكون من حولنا » The Universe Around Us . (طبعة ٤ سنة ١٩٤٤ س ١١٠) . وهذه العناصر المألوفة هي الهيدروجين والكربون والنتروجين والأكسجين والصوديوم والمغنيزيوم والسيليكون والفوسفور والكبريت والكلورين والبوتاسيوم والكلسيوم والحديد .

(٢) المرجع السابق س ١١٠ .

الفصل الأول

أوليات الفيزياء الحديثة تحل مشكلة موقع عالم الروح

مما هو جدير بالذكر ابتداء أنه على تعدد المؤلفات الروحية وتشعب نواحي البحث فيها — وظهور مدارس فلسفية واتجاهات نظرية متنوعة — شأن الروحية في ذلك شأن أى علم أو فن آخر — إلا أنها كلها ، وبغير استثناء أية واحدة منها ، قد التقت عند تحديد موقع عالم الروح بأنه مجرد رتبة من رتب الاهتزاز الكونى ، تحيط بنا من كل جانب دون أن نشعر بها لأن للدركات الحسية رتبة معينة فى المستوى الأرضى لا تتعدهاها ، وللدركات الروحية رتبة أخرى لا تتعدهاها ، فليس إذاً لعالم الروح من موقع جغرافى معين بل إن موقعه « اهتزازى » فحسب .

وفى هذا المعنى المؤلفات كثيرة والتفاصيل لا يتسع لعرضها باب من مؤلف خصصناه بحسب الأصل للاطلاع العام فى الموضوع برمته أكثر مما هو للإحاطة التفصيلية بأى جانب من جوانبه المتشعبة . لذا سنكتفى بالقدر الذى يمكن القارئ أن يعرف إجمالاً الإجابة على هذا التساؤل الهام وهو أين عالم الروح ؟ ، وذلك حتى يكمل بهذه الإجابة اقتناعه الذى نرجو أن تكون قد بدت بوادره بعد قراءة أبواب الجزء الأول التى لا نظن أنها شحيحة بالبينات .

فى طبيعة المادة الصلبة

من أوليات الفيزياء الحديثة أن جميع المواد الصلبة — أو بالأدق تلك التى تبدو لحواسنا صلبة — فى هذا الكون تتكون من مجموعة عناصر elements

بيولوجية وفسولوجية ، بما فيها من قوانين للوراثة وللاختيار الطبيعي وبالتالي للتطور .

فلا عجب والأمر كذلك أن نجد أن أفضل علماء الفيزياء والمادة بوجه عام يتحولون الواحد بعد الآخر إلى روحيين . ولم تكن البينات الواسطة رغم تدفقها الشديد لتنتج وحدها في ذلك إذا كانت مشكله موقع عالم الروح قد ظلت قائمة بغير حل حتى الآن .

كما أمكن للعلم المادى أن يسلم بجواز تداخل المستويين المادى والروحى للوجود فيما يبدو حالياً موقعاً مشتركاً بينهما بالنظر إلى تفاوت رتبتى اهتزازها ، لا فى طبيعتهما ، إذ أن كليهما يمثلان — فى نهاية المطاف — أثيراً يتذبذب فى رتبته المرسومة التى أرادتها له إرادة سامية من عند عزيز مقتدر . فأصبح بذلك تداخل المستويين المادى والروحى للوجود فى موقع واحد مشترك هو أشبه ما يكون بتداخل الجسدين المادى والروحى للإنسان بعد أن تبين أنهما يشغلان نفس الحيز من الفراغ ، ولكن تفاوت رتبتى اهتزازهما تقاوتاً شاسعاً جعل من أحدهما كائناً محسوساً منظوراً ، ومن ثانيهما كائناً غير محسوس ولا منظور ، وإن كان هو بذاته مصدر الحس والنظر على ما بيناه فى الجزء الأول (١) .

وإذا كان التخلّى عن الجسد المادى بالوفاة يكشف للحياة الجديدة عن وجود الجسد الروحى ويعطيه مظهره المادى فإنه يكشف فى نفس اللحظة عن المستوى الروحى للحياة الطبيعية ، ويعطيها نفس هذا المظهر الخاضع للنظر والإحساس .

وسنعالج ذلك فيما يلى — بإيجاز شديد — فى فصلين: نخصص أولهما لبيان كيف أن أوليات الفيزياء الحديثة حلت مشكلة «موقع عالم الروح» ، ونخصص ثانيهما لبيان كيف أن عالم الروح هذا متداخل مع عالم المادة ، وكيف أن هذا التداخل جائز بحسب هذه الأوليات نفسها .

بل دخلته واصبحت في تقدير الثقات عملية رياضية أو نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب» (١).

* * *

وكان هذا الفهم الرياضى الحديث — وهو الآن بديهية علمية — هو الذى يسر لعلماء كبار فى الفيزياء والرياضة أن يصبحوا روجيين مطمئنين تماماً إلى أن عالم الروح حقيقة رياضية قبل أن يكون كشفاً وساطياً ، وإلى المدى الذى حول بعضهم من ماديّين إلى روجيين دون ما حاجة لإجراء بحوث خاصة فى تحقيق الظواهر الوساطية . ومنهم بوجه خاص أينشتين ورسل وكومبتون وإدنجتون وغيرهم على ما سنوضحه فيما بعد .

ثم جاء دور علماء الروح وقد أمكنهم أن يربطوا ربطاً تاماً بين نتائج اتصالاتهم بالأرواح ونتائج بحوث الفيزياء والرياضة الحديثتين هذه ، بما تنبئ معه كل شبهة فى أنهم يجرون وراء سراب ، أو يتعلقون بأوهام . ومن ورائهم مجموعة من أرواح راقية — لأشخاص كانوا من علماء المادة الأرضيين — فأخذوا يقيمون دعائم هذا الارتباط الوثيق بين الفيزياء والرياضة الحديثين من جانب ، وبين ما يعلمونه هم من جانب آخر عن عالم الروح من ناحية موقعه ، وما يلمسونه بأنفسهم من ناحية أسلوب الحياة فيه .

وعن طريق هذه الجهود المشتركة من الجانبين معاً أمكن للعلم المادى أن يستسلم ويسلم بعد لآلئ وطول عناء بوجود عالم للروح ، وأن يثبت أنه هو العالم الحقيقى الوحيد ، وأن ماعداه عبارة عن عالم خارجى مظهرى Phenomenal لأنه من صنع حواس مادية هى التى تشعر به وتسجل وجوده وتنقل هذا التسجيل إلى عقولنا ، أو بالأدق إلى أرواحنا عن طريق أجسادنا المادية الموقوتة بطبيعتها ، وبحكم نوااميس حيوانية تحكمها كما تحكم أجساد الحيوان الأعجم من

(١) « عقائد المفكرين فى القرن العشرين » ص ٥٢ .

الفهم الصحيح هو بذاته مصدراً للاقتناع بوجود عالم للروح يتولى تنظيم عملية اهتزاز المادة هذه ، كما يتولى الربط بين كهاريها التي لا تربطها أية قوة من عالم المادة . وبالتالي لم تعد المادة الصلبة تصلح بداءة ولا نهاية ، بل أصبحت فحسب مظهراً خارجياً لعالم آخر هو أصل هذه المادة ومبدعها . وأصبح معروفاً أن لكل جسم صلب جسم آخر أثيرى يربط بين كهاريه ويحافظ على تماسكها على ما سيلي . وفي الجملة أصبح فهم المادة الصلبة على حقيقتها هو السبيل لا اكتشاف موقع عالم الروح على حقيقته .

ولنستعمل في التعبير عن بعض هذه المعاني عبارات وليام ديورانت Will. Durant المفكر المعاصر (ولد في سنة ١٨٨٥) وهو يقول في الجزء الأول من « مباهج الفلسفة » ،^(١) إن « عناصر الذرات التي تنحل تفنى تماماً وتفقد كل صفة للمادة ، بما في ذلك الثقل وهو أكثر صفاتها الرئيسية . ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ، ولا يستطيع شيء أن يعيدها إلى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير ... والحرارة والكهرباء والضوء إلى غير ذلك تمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير . والمادة التي تنحل تخرج عن ماديتها بمرورها في حالات متتابعة تتزع منها تدريجياً صفاتها المادية حتى تعود في النهاية إلى الأثير الذي لا يمكن وزنه ، ذلك الأثير الذي يبدو أنها نشأت عنه ... » .

أو فلنستعمل في التعبير عن بعض هذه المعاني عبارات الأستاذ عباس العقاد وهو يقول « إن المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطاً للحقيقة الثابتة ، فإن الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد إلى أصولها حتى تؤول إلى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد

اليقين العلى أن يتشكك في وجود عالم للروح ، وأن ينكر بالتالى الخلود ويتصور أن الموت — بمعنى التلاشى — هو النهاية المحتومة لكل كائن حى . وما تمكنت المدارس المادية من أفئدة الناس إلا عندما كانت عقولهم لا تعرف لعالم الروح هذا مكاناً . إذ كان من المفهوم عندهم أن هذا المكان ينبغى أن يكون عبارة عن موقع جغرافى بحت أشبه ما يكون بموقع أية قارة من القارات بالنسبة لزميلاتها .

والسبب فى ذلك هو أن فهم فكرة المكان — ومثلها الزمان — ظل محدوداً جداً — أو بالأدق معدوماً — قبل أن تظهر المادة الصلبة على حقيقتها فى كشوف الفيزياء الحديثة بوصفها تمثل مجرد رتبة معينة فى اهتزاز الأثير لا أكثر ولا أقل . وقبل أن تظهر معادلات علماء الرياضة الكبار — وبخاصة أينشتاين — كىما تضىء السبيل أمام فهم أصح لفكرتى المكان والزمان معاً .

وقد كان هذا الفهم الجديد المؤسس على حقائق رياضية صرف هو الأمر الذى يسر — علياً — اكتشاف عالم الروح من ناحية موقعه بوصفه هو الآخر رتبة معينة من رتب اهتزاز الأثير ، تتجاوز فى ارتفاعها رتبة اهتزاز الكون المادى . ومع مراعاة أن اقوى صور الاقتناع هو الاقتناع الرياضى ، أى المؤسس على حقائق رياضية غير حسية لأن الحواس البشرية كما سبق أن قلنا مراراً قاصرة قصوراً رهيباً ، ولا تكاد تدرك شيئاً يذكر من حقائق الكون ، فهمى تخون الإنسان وتخدعه خداعاً مروعاً فى كل كبيرة وصغيرة من هذه الحقائق .

وهكذا كان الفهم الخاطىء لحقيقة المادة الصلبة فى الماضى عقبة كؤوداً تقف فى طريق التسليم بوجود عالم للروح ، لأن المادة كانت هى البداية وهى النهاية فى نظر علوم المادة . أما عندما فهمت حقيقة المادة الصلبة فهماً صحيحاً بوصفها مجرد كمارب فى رتبة اهتزاز معينة ، فقد أصبح هذا

الباب الأول

في موقع عالم الروح

تمهيد

إذا كان الإيمان بالروح - ويامكان الاتصال بها - قديماً قدم الحياة الإنسانية - فإن العلم الروحي الحديث هو الذي تكفل وحده بتحديد موقع عالم الروح ، هذا العالم الذي كان يجهل الإنسان موضعه وكان البعض يظن أنه فوق بعض الكواكب ، فبين العلم الحديث أنه يقع في الفضاء الكوني غير المحدود الذي يشغل نفس الحيز الذي تشغله جميع الكواكب والنجوم ، بما في ذلك هذا الكوكب التافه الذي نعيش فوقه . فاكسب عالم الروح اتساعاً رهيباً ، وأصبح من المسلم به أن رتب الوجود المختلفة قد تتداخل فيما بينها فتشغل نفس الحيز من الفراغ ، بعد إذ فقد الفراغ معناه القديم وأصبح يشير إلى مجرد عجز منا عن الإحساس بجانب ضخم من مظاهر الوجود الكوني ، حين أصبح عالم المادة يشير إلى القدرة على الإحساس بجانب ضئيل منها بحسب .

وفيما يلي سنعرض للكلام في موقع عالم الروح مبينين كيف نجح العلم الروحي الحديث في تحديد هذا الموقع ، وبالتالي في إثبات دوام الحياة بعد التخلي عن الأجساد الترابية ، مما أزال إلى حد كبير رهبة الموت عند الباحثين في الروح ، إذ أعطاه معنى من الانتقال إلى عالم أفضل بدلاً من معنى الرقاد في القبر أو التلاشي هباء منثوراً .

ولاريب أن أول سؤال يخطر على بال الباحث في الروح هو أين يقع عالم الروح ، هذا ؟ ... وعندما كانت معارف الإنسان محدودة لاتعرف كيف تجيب على هذا السؤال كان من حق الإنسان الذي يريد إيماناً مؤسساً على

كأنى بشوقى العظيم « شاعر » تماماً بما فى قصائده العصماء ... التى تعصى
على أية مجازاة أو محاولة تقليد — من قيمة إقناعية لمن يريد أن يقتنع بطريقة
موضوعية محايدة ، خصوصاً متى جاءت عن طريق وسيطة كريمة هى عقيلة
طبيب فاضل لا صلة لها بالعروض والقوافى ، ولا بمجاهل اللغة الفصحى
وأسرارها . وذلك بجانب قيمتها الأدبية فى تأييد الحركة الروحية وإعلاء
شأنها ، إلى جانب إبداء شوقى مشاعره النبيلة التى كان يحيش بها قلبه الكبير
عندما كان يعيش بين ظهرانيها ، علماً فى البلاغة لا يبارى . وهيهات لصاحب
هذا ينبوع الطاهر ، المتدفق شعراً عذبا وشعوراً نبيلاً ، أن يتوقف
أو أن ينضب معينه بعد إذ انتقل إلى عالم هو فى حقيقته عالم للشعر الراقى
وللشعور الكريم ...

كما أكرر شكرى إلى الدكتور الفاضل سلامة سعد ، الذى وهب حياته
لخدمة الحركة الروحية فى هدوء تام وإنكار الذات ، وللوسيلة المحترمة
السيدة قرينه التى أدت — مضحية متطوعة — أجل خدمة للبحث الروحى .
وهما يجاهدان غير مبتغيين من أحد جزاء ولا شكوراً عما يتحملانه معاً
من مشقة ومن عناء بالذين فى سبيل القيام برسالتيهما النبيلة فى الحياة ، والتى
لا يقدر قيمتها الحقيقية سوى الراسخين فى المعرفة ، والباحثين الجادين عن
الحقائق العلية .

والآن فلننتقل إلى معالجة موضوعات هذا الجزء الثانى مستلهمين الله تعالى
بالعون والتوفيق .

مرزوق عبيد

الباب الرابع : في بعض المشكلات الفلسفية الأخرى التي يطالها هذا العلم .

الباب الخامس : في الروح بين العلم والاعتقاد .

باب ختامي : في علم الروح بين حاضره ومستقبله .

وبذلك نرجو بعد الفراغ من قراءة الجزئين معاً أن يكون القارئ العزيز قد كون اقتناعاً مترابطاً لصالح هذا البحث في مقدماته ونتائجه معاً ، اقتناعاً كفيلاً بأن يبعث في نفسه الكثير من الطمأنينة والعزاء ، وكفيلاً بأن يدفعه إلى مواصلة الاطلاع فيه إذا أفس في نفسه الرغبة في المزيد من الاطلاع ، واثقاً أنه إنما يطلع في أخطر موضوع يشغل بال أفئدة الفلاسفة والعلماء في العالم أجمع منذ قرن وربيع لأنه أوثق الموضوعات صلةً بمشكلة الإنسان ومشكلاته ، وبصحيح رسالته في الحياة ، وبموضعه منها من جانب ، ولأنه من جانب آخر أصبح أوثق العلوم صلةً بعدد كبير من العلوم الأخرى كالفلك والفيزياء والرياضة والنفس والأخلاق والفسولوجيا والبيولوجيا وغيرها .

ولا يسعني إلا أن أكرر شكرى لروح أحمد شوقي شاعر العروبة الخالد — ذكرى وشعراً — والذي تفضل فبعث إلى جهدى المتواضع عدة رسائل شعرية غنية بأسباب المؤازرة والتشجيع .

— وقد نشرت الأولى في تصدير الجزء الأول من هذا المؤلف .

— ونشرت الثانية والثالثة في الفصل الخامس بعرض البينة المستمدة من قصائده العديدة التي بعث بها من هناك (الفصل الحادى عشر من الباب الرابع منه) .

— ونشرت الرابعة في تصدير هذا الجزء الثانى .

المشكلات الفلسفية الوثيقة الصلة بالتكوين النفسى والروحى للإنسان .
ومنها بوجه خاص مشكلات « الإيمان بالله وبالخلود ، و « الخلق والضمير ،
و « الموت والالم ، . ولن يكون الكلام فيها من زاوية علم الروح وحده ،
بل من بعض زواياها الفلسفية العامة ، بقدر اتصالها بالفلسفة الروحية
وبآراء بعض الباحثين الروحيين الذين قد تعنيهم بوجه خاص هذه الزوايا
الفلسفية — وما أكثرها — وما أكثر تشعب أرجائها ... وما أوثقها
صلة بالإنسان فى عوامل سعادته وشقائه فى الدارين معاً .

— ومن الموضوعات الفلسفية التى يثيرها البحث الحديث فى الروح
موضوع هام من حقه أن يشغل بال الكثيرين ، وهو مدى صلة هذا البحث
بالاعتقاد الدينى بوجه عام ، ومدى إمكان التوفيق بينه وبين الأديان المختلفة
من ناحية التعاليم الخلقية السامية التى تنادى بها والنتائج التى وصل هذا
البحث إليها . فهذا جانب نظرى ينبغى أن ينال أيضاً نصيبه من العناية
كما يلمس القارئ بنفسه كيف نجح هذا البحث فى التوفيق بين العلم والدين ،
إلى المدى الذى عجزت عنه معارف الإنسان عندما كانت فى مهدها ، وقبل أن
تعرف طريقها إلى هذا النوع الحديث من البحث بأساليب علمية مستنيرة .

— كما نرى أن نخصص باباً ختامياً للكلام فى علم الروح بين حاضره
ومستقبله ، نبين فيه بوجه عام أهم ما قد يكتشف طريقه من عقبات ، ومن
عوامل الأمل والرجاء فى مستقبل أكثر ازدهاراً سواء فى بلادنا أم فى
الخارج .

وعلى ذلك نرى أن نعالج فى هذا الجزء الثانى ستة موضوعات أساسية
موزعة على ستة أبواب على النحو الآتى : —

الباب الأول : فى موقع عالم الروح .

الباب الثانى : فى أسلوب الحياة فيه .

الباب الثالث : فى الثواب والعقاب .

وفلسفية متماسكة معاً ، بحيث يتعذر فصل كل ناحية منها عن الأخرى ، كما يتعذر فصل زوايا المبنى الواحد بعضها عن البعض الآخر وإلا انهار البناء ، أو بالأقل ظهر ناقصاً مبتوراً .

ومن ثم كان هذا الجزء الثانى مكملًا للجزء الأول ومتضامناً معه تضامناً وثيقاً ، لأن هذا الأخير هو بمثابة المقدمة العلمية والعملية التى تقود إلى نتائج فلسفية معينة تكفل بعرضها وبشرحها هذا الجزء الثانى . وارتباط المقدمات بنتائجها المحتومة ارتباطاً منطقياً ليس فحسب قانوناً من القوانين العامة للطبيعة ، بل إنه أيضاً أمر لازم للحكم على مدى صحة أية نظرية علمية أو أية حقيقة فلسفية ، مهما كان مداها فى وضوح مقدماتها ونتائجها .

* * *

- وفى هذا الجزء الثانى نجد لزاماً علينا أن نعالج ابتداء موضوع «موقع ، عالم الروح ، فهذا «الموقع ، هو السند العلمى لعلم الروح كله ، وخلاصة ما أسفرت عنه بحوثه عندما أريد الربط بينها وبين حقائق الفيزياء الحديثة .

- كما ينبغى أن نعرض لموضوع أسلوب الحياة فى عالم ما بعد المادة ، وسنعطى عناية خاصة لعالم «المستوى الثالث ، الذى اصطاحه الباحثون على أنه مقر الأرواح الطيبة من سكان المستوى الأرضى ، وذلك لأن أسلوب الحياة هناك يهم إلى أقصى مدى كل إنسان يبحث من الآن عن معرفة شئ عن وطنه المستقبل ، أو أرض المهجر المحتوم لمن يعد نفسه لها منذ الآن .

- وهذا الموضوع الأخير يتطرق بنا حتماً إلى الكلام فى مشكلة الثواب والعقاب فى ضوء النظرية الوضعية التى أسفرت عنها البحوث العلمية فى الروح ، وستكون محور هذا البحث تجارب الفيلسوف الفرنسى آلان كاردك ، إذ هو فى تقديرنا أفضل من عالج هذا الموضوع بطريقة موضوعية منظمة واضحة بين كل بحائه فى البلاد ذات الثقافة اللاتينية .

- ثم نجد أنفسنا مدفوعين بعد ذلك بالضرورة إلى الكلام فى بعض

الإنسان رُوحٌ لا جسد

بَحْثٌ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

مقدمة الجزء الثاني

تضمن الجزء الأول من المؤلف الحالى عدة موضوعات متنوعة وردت موزعة على خمسة أبواب منه على الوجه الآتى : -

- باب تمهيدى : فى علم الروح بين أنصاره ومناوئيه .
- الباب الأول : بحالة عن الروح عند الأقدمين .
- الباب الثانى : فى نشأة العلم الروحى الحديث .
- الباب الثالث : فى بعض الأسماء والمراجع فيه .
- الباب الرابع : فى بعض البيّنات والوقائع .

أما هذا الجزء الثانى فيتضمن معالجة موضوعات أخرى يغلب عليها الجانبان النظرى والفلسفى فى البحث ، لأنها موضوعات تروغ فى جوهرها من الحس المادى ، فلا تخضع له إلا من زاوية ثبوت أجزاء كثيرة منها عن طريق تحقيق الظواهر الوسايطية التى عرضنا لها فى الجزء الأول ، كما عرضنا لعدد وافر من أفضل « الأسماء والمراجع » الخاصة بالعلماء وبالهيات التى قامت بتحقيقها ، وبالاقتناع بدلالاتها فى الإنهاء عن دوام حياة الإنسان بعد موت جسده المادى .

ولا يمكن بداهة الفصل التام بين النواحي الفلسفية والنظرية لعلم الروح الحديث من جانب ونواحيه العملية من جانب آخر ، لأن طبيعة هذا النوع من البحث أنه عبارة عن مزيج من تجارب معملية ومن نظريات رياضية (م ٢ - الإنسان رُوح : ج ٢)

هيات يلبح في الخلود ملاحه فصيره حيث الظلام المعتم
في غبشة^(١) الليل البهيم سينطوى حيث السعير بلاذعات يدهم^(٢)
وإذا استغاث فلا مراحم ترتجى بل رادعات تستفز وتلجم^(٣)
ويحوطه الإعياء وهو مقلب^(٤) في لجة^(٥) الدخان^(٥) حيث جهنم ..
أحمد شوقي

راجع في الجزء الأول عدداً وفيراً من أشعار روح أمير الشعراء مع رأى العلم
والآدب فيها (ص ٥٢٥ إلى ٦٠٢) .

(١) ظلة .

(٢) يسود .

(٣) تصده وتمنعه من الاستفانة .

(٤) عظيم الساء .

(٥) في جلسة روحية بالقاهرة بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٥ سألنا أمير الشعراء في شأن معنى
هذا البيت عما إذا كان يوجد سعير ودخان حقيقيان في بعض النطاق الغير السعيدة من عوالم ما وراء المادة
فأجاب قائلاً إن الأرواح لا تعرف بعد كل شيء وأنها لم تبعد عن مستوى معلوماتنا كثيراً ، وأنه استعمل
لفظي السعير والدخان بنفس دلالتهم في السكتب السماوية لا أكثر ولا أقل . كما أشار بإضافة هذا
التفريح دفعا لأى لبس .

وودتَ عيشاً سرمداً برحابها يرسى الأمان بما يحق وينقسم^(١)
هذى لعمري متعة وقادة^(٢) لمن اتقى ومن المآثم يُغصم^(٣)
وهى المنال إذا البصائر نُورَت فى روضة الأبرار يوم تُقدّم^(٤)

فالله إذ خلق الجمال لعالم^(٥) يَنبَقى لِجَدِّ حيث طاب المغنم^(٦)
مترقفاً يُبْقَى نصيباً فائقاً فى العالم الأسمى لروحٍ تَرْحَمُ^(٧)
فتراه مدّاً للصميم المرتجى وهو النعيم الخالد . والبَلَسْمُ^(٨)
ليرى الجمال وقد تسرَّدَ دُرُهُ^(٩) فوق المدارك حيث قام المعلم^(١٠)
حقاً لمن يرقى الخلود إذا سميت كل الميول وقد شجاه الأقوم^(١١)
فإذا توصل واستراح لما ارتأى وجد الجمال حقيقة لا تُفصم^(١٢)
فوحق من نشر الخلود لأبدٍ سيفيق فى مسراه لا يثوم^(١٣)
ويلوذ بالفضفاض^(١٤) من أزيائه^(١٥) حيث الرغيد من الهناء معهم^(١٦)

أما إذا استخزى^(١٧) الزنيم^(١٨) بفعله^(١٩) وانحط للرتب الدنيئة يلطم^(٢٠)

-
- (١) أى أن طلب النعمة المضئنة حق لمن عصم نفسه من المآثم .
(٢) وهى العطية التى تمنح له فى عالم الروح .
(٣) تتابع لؤلؤه بانتظام .
(٤) ما يستدل به على الطريق .
(٥) الأفضل من الأمور .
(٦) لا ينعكس ولا تصدع .
(٧) الواسم من العيش .
(٨) عام ومثلث .
(٩) عام ومثلث .
(١٠) عام ومثلث .
(١١) عام ومثلث .
(١٢) عام ومثلث .
(١٣) عام ومثلث .
(١٤) عام ومثلث .
(١٥) عام ومثلث .
(١٦) عام ومثلث .
(١٧) عام ومثلث .
(١٨) عام ومثلث .
(١٩) عام ومثلث .
(٢٠) عام ومثلث .

فتراه يرتقب المجير يُعيذه من حيرة الملتاع وهو مُسهم
لينير بالإعلام كل بصيرة ويهدى الروح المثار ويفهم
ويقدم البرهان أن بعد النوى^(١) عيش يطمئن نازحاً يتألم
عيش عجاب في الخلود كأنه أسطورة تحتاج^(٢) مايتوسم

يا نادب الدنيا

يا نادب الدنيا وسنح بهاها لست الملوّم بما عسى تبرّم
فإذا عددت جلالها مُستحسنًا طول الإقامة . دون فضي^(٣) يُعغم
وإذا شجاك الحسن في أوصافها ولناظريك ريعها يترسم
ورأيت نهجك^(٤) يستظل بدوحها تجنى الورود وتستهم وتنعّم
وإذا رأيت الشمس في إشراقه تهديك دفناً للحياة يقوم^(٥)
وعشقت طيب الأمسيات بروعها إن أقر الليل البهيم المقيم^(٦)
ولو أن موفور الجمال بسحره هزّ لمشاعر ثم راح يُنعم
والروض أزهر والطيور تراقص والصفو أغدق ما يُرام ويُنعّم
ورأيت سيال المباحج دافقاً والبال بالعيش المحب يُنعّم
ومنابع الإسعاد باتت مرتعاً تغرى المدلّة والمشوق وتنعّم

(١) التباعد .

(٢) مسك .

(٣) محو .

(٤) يحمل للحياة قيمة .

(٥) موت .

(٦) الشديد السواد .

وَيَخَالُ أَطْيَافُ السَّمَاءِ كَوَاعِباً^(١) يَنْسَقِنُ لِلْأَحْضَانِ وَهُوَ يَحْوِمُ^(٢)
 فِيغَافِلُ الرُّقَبَاءَ فِي أَهْوَائِهِ يُبْدِي الْغَرَامَ لَتَسْتَجِيبَ الْأَنْجَمُ
 وَيُودَ لَوْ يُلْقَى الرَّحَالُ بِقَرَبِهَا فِي مَرْتَعِ الْأَقْصَارِ وَهِيَ تَسْلُمُ^(٣) !
 حَلْمٌ يَشَاءُ لَوْ اسْتَحَالَ^(٤) حَقِيقَةً فَهُوَ الْمُتَيِّمُ بِالْفَضَاءِ الْمَغْرَمُ^(٥)
 وَيَفِيقُ مِنْ أَحْلَامِهِ مَتَرْنَحاً وَيَغِيبُ مَا لَقَاهُ وَهُوَ يَهْوِمُ^(٦)
 لِيَعُودَ بِالنَّصْرِ الْمَحْقَقِ شَافِئاً بِالرِّى غُلَّةً^(٧) سَائِلٍ يَسْتَعْلَمُ^(٨)

* * *

هَذَا الَّذِي جَاءَ الْخَوَارِقُ^(٩) عِلْمُهُ لِيَزُودَ الْأَجْيَالُ مِنْهُ وَيُطْعِمُ
 قَدَرُهُ تَوَافِيهِ الْمَنُونِ^(١٠) بِمَنْجِلٍ يَأْتِي عَلَى فَحْوَى الْوُجُودِ وَيَكْلُمُ^(١١)
 وَيَغُوصُ ضَوْءُ الْعِلْمِ فِي عُمُقِ الدَّجَى بَعْدَ اسْتِفَاضَةِ نِيرَاتٍ تُنْظَمُ ؟
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ الشُّكُوكِ وَوَهْمِهَا فَالْتِمِةُ فِي رَيْبٍ^(١٢) مَرَارٌ عَلَقْمُ !
 يُبْدِي هَوَاجِسَ بَائِسٍ وَطَيءِ الثَّرَى وَهُوَ الْحَقُودُ الْخَاسِرُ الْمُسْتَشِيمُ^(١٣)
 يَنْعِيي الْوُجُودَ بِمَا حَوَى مِنْ زَائِفٍ يُذَرِّى الْخَلَائِقَ لِلْحَفِيرِ وَيَرْدُمُ^(١٤)

(٢) يطوف حولها .
 (٤) يميل رأسه من النوم .
 (٦) ما فوق العادي .
 (٨) يجرح .
 (٩) ظنون .

(١) حسناً .
 (٣) تبدل .
 (٥) شدة العطش .
 (٧) المنية .

فِيمَ الْحَيَاةِ بَرُوضُهَا وَوَرُودُهَا ؟ وَالْحُبُّ يَحُلُو لِلْعِبَادِ فَيَنْعَمُوا
ثُمَّ التَّنَائُرُ فِي الْخَفَائِرِ وَالثَّرَى لِيَعْدَّ مِنْ أَصْلِ الْحَيَاةِ وَيَقْضِمُ^(١) ؟
أَهْدَى الْجَمَالَ إِلَى الْخَلِيقَةِ نَاشِراً حُلَّ السَّخَاةِ الْإِلَآءِ . ثُمَّ يَحْرِمُ ؟

فِيمَ سَعَى الْمَعْتَدِ^(٢) فِي خُيَلَانِهِ^(٣) وَجَلَالُهُ بَعْدَ الرُّوَاهِ يُحْطَمُ ؟
فِيمَ التَّنَافُسِ فِي الْحَيَاةِ بَرُونِي وَكَأَنَّمَا رَقَشَ^(٤) الْجَلَالَ مَعْلَمُ ؟
وَرَوَائِعُ الْمَمْشُوقِ مِنْ أَقْدَادِنَا تَمْشِي الْهَوَيْنَا . لِلْفَنَاءِ تَلَقُّمُ^(٥) ؟
هَذَا رِبِيعُ الْعَمْرِ يَمْثُلُ فَيَنْتَه^(٦) يَحْدُو شَبَابُ النَّاسِ بَعْدَ لَيْهَرِمُوا
وَيَعُودُ طَبَعُ الْمَوْتِ وَهُوَ مَجَازِفٌ يَلْقَى بِقَارَعَةٍ^(٧) تُضْمِمْ^(٨) وَتَهْدِمْ ؟
فِيمَ انْتِشَارُ النُّورِ لِلْعَيْنِ الَّتِي بَعْدَ اجْتِلَاءٍ فِي الْغِيَاظِ^(٩) تَظْلِمُ ؟

فِيمَ الْمَعَارِفِ تَسْتَقِيمُ لَذَى هُدًى وَالْعَقْلُ يَأْتِي الْمَعْجَزَاتِ وَيَنْظُمُ ؟
وَيَنَاطِحُ الْعَلِيَاءِ يَكْشِفُ غُمْضُهَا^(١٠) بِالْعِلْمِ وَالتَّمَحِيصِ وَهُوَ يُيَمِّمْ^(١١)
وَيَلَاحِقُ الْجُوزَاءَ فِي أَطْوَارِهَا فِي لَهْفَةِ السَّبَّاقِ لَا يَتَجَهَّمُ
فَكَأَنَّمَا مَلَكُ الزَّمَامِ إِذَا اعْتَلَى مَثْنَى الْفَضَاءِ يَجُولُ فِيهِ وَيَزْعُمُ^(١٢)

(٣) عَجْبُهُ وَتَسْكِينُهُ .

(٦) حِينًا وَسَاعَةً .

(٩) ظِلْمَاتُ الْقَبْرِ .

(٢) الْمَتَأَنِّقُ .

(٥) تَدْفِيعٌ إِلَى قِمِّ الْفَنَاءِ .

(٨) تَظْلِمُ .

(١١) يَسُودُ .

(١) يَقْصِفُ الْعَمْرَ .

(٤) زَيْنٌ .

(٧) دَاهِيَةٌ .

(١٠) خَافِيهَا .

وتجوبُ في الآفاق إذ يصفو لها ما أحرزت من سلسلٍ^(١) لا يُفصمُ
فإذا نأى عنها النعيم تدهورت وعلى مسالكها الذميمة تنقمُ

يا غافلين عن الخلود ومُلْكِهِ ما العيش في الدنيا مآلٌ يَحْتَمُ
فابغُوا الرجاء على امتدادِ نوالكم في الخلد إذ يبقى الفِعالُ القيمُ^(٢)
فمنك في أوج العلاء رغبةٌ هي كلُّ ما وهب الإله الأكرم
ونوالها وقفٌ على من أيقنوا كُنهَ الخلود فأيدوا واسترحموا
وتعلقوا في حكمةٍ برقيهم إن هم سعوا لرحابها وتقدموا
هي روضة الأنوار في أبهائها يرتادها من للرضى^(٣) يتدوم^(٤)
فمن استقام على الرشاد مقدراً للجوهر الخلاب فهو الضيغم^(٥)

إلى سامية

يا قائمين على المدارك والحجى من يستبين الحق لا يتبرمُ
فإلى مساجلةٍ لتقنعَ باحثاً عن مهربٍ مما يثير ويُصمُ^(٦)
هذا الذي يهوى الحياة . يحبها ! فيمَ التواجد ؟ ثم فيمَ نسدُ^(٧)

(١) الماء العذب . (٢) معنى البيت : ابغوا أن تنالوا الرجاء في الخلد حيث تبقى الأعمال الطيبة .

(٣) رضاء الإله . (٤) ينتظر . (٥) الشجاع ، القوى .

(٦) وهو الاعتقاد بأن الموت فناء . (٧) تصبح رائحتنا كريهة بالموت .

والجهل يعطب مَنْ يَصِيبُ بِالْغَوَى ^(١) من مُخْزِيَّاتٍ قَدْ تَعَوَّقَ وَتَعْطَمَ
وَيُهَيِّجُ مِنْ نَزَقٍ ^(٢) الْمَلُوعِ فِي الدُّنَا ^(٣) يَرْمِي الْمُحِبِّبَ لِلْهَيَاءِ ^(٤) يُهَشِّمُ
آهٍ مِنَ الشُّظْفِ ^(٥) الْمَلَا حِقِ لِلْوَرَى مِنْ آغَا ^(٦) : أَلَا خُلُودًا يُدْعَمُ ^(٧)
رَجَمٌ مَا لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا وَعَا مَا يَسْتَبِينَ إِذَا الْوَجْهُ تَلَمَّ ^(٨)

الروح أس للتواجد ***

يا صابرين على الشكوك وضيرها ^(٩) خُسْرٌ ^(١٠) أَعْمَرِي مَا يُضِيرُ وَيَهْدِمُ
خلوا الدعاة الراسمين على سدى ^(١١) وَاصْغُرُوا لِدَعْوَةِ رَاسِخٍ يَتَكَلَّمُ
المرء يقتحم الحياة بروحه ولها امتدادٌ في الخلود منظمٌ
والخلد إرثٌ للضنين بنصها ^(١٢) وهى التى يَشْقَى بِهَا أَوْ يُرَحَّمُ
«المرء روح ، لامناص لجمدها» ^(١٣) نَفِذُوا الْحَقِيقَةَ مِنْهَا يَتَقَوَّمُ ^(١٤)
والروح أسٌ للتواجد أصلها من عَمَقٍ مَا قَالِ الْإِلَهَ تَفَسَّمُوا ^(١٥)
هيات تفى . . بل تهيم لأبدٍ فإلى جعيم أو نعيم يُقَسَّمُ
والمرء لا يلقى ازدهاراً دونها ففى الصبا تحيى الرميم ^(١٦) فَيَعِظُمُ
وهى التى يرجو النعيم لسعدها فَإِذَا الْمَنَالُ لَهَا تَأْتَى تَسَامُ

(١) الكلام بدون تفكير . (٢) طيش .
(٣) الذى أعياه حب الدنيا . (٤) العدم .
(٥) الضيق والهدية .
(٦) قال لنوا . (٧) يستند بالتجربة وبالبزهان . (٨) ساعة الموت تلثم الوجوه .
(٩) ما يضر منها . (١٠) خسارة . (١١) على هباء .
(١٢) برقتها . (١٣) لنكراتها . (١٤) يعتدل .
(١٥) أى أن الروح هى أصل الوجود ، وهى نسمة من الإله تعالى . (١٦) البالى .

فاحذر مشار العبي^(١) فيمن نددوا بالخالدين وبالشكوك تزعموا^(٢)
 وارهب مآل^(٣) المارقين إذا اقتروا واسترخصوا الروح الكريم وحطموا
 هيبات فيهم من يفيق^(٤) ومن يعي^(٥) فإذا رأيت الصابئين^(٦) بضلة^(٧)
 قل أزم^(٨) الجهل المسيطر في النهي^(٩) ليطيل رقة شارد لا يفهم
 وانساب في الأقوام ينفث فرية^(١٠) إن الحياة هي الآخر فانعموا^(١١) !
 فتناثر الرواد في غس^(١٢) الهوى واستسلم المنساق وهو يغمغم^(١٣)

ظنوا الحياة بجرفها^(١٤) ومتاعها حد التواجد والغيب^(١٥) يعقيم^(١٦)
 فتناجزوا^(١٧) كل^(١٨) يراود غية^(١٩) ويفض^(٢٠) غالى العمر فيه ويظلم
 وانساق كل كالسليب^(٢١) مهترأ^(٢٢) فبدت أراجيف الغباء تترجم
 وأغار داعية^(٢٣) الشكوك بحسرة^(٢٤) ينعى الرغائب، فاستشاط المفجم^(٢٥)
 وبفرية الآفاك^(٢٦) قامت غصة^(٢٧) تذرى بحبات القلوب وترجم

-
- (١) منبع الضلال . (٢) شهروا بالقيء وأذاعوه بين الناس كذباً . (٣) مصير .
 (٤) باب السماء . (٥) أى الخارجين عن الدين . (٦) مرة من ضل .
 (٧) جأوا لهم أسهما فيه . (٨) طال عليه الزمن . (٩) العقول .
 (١٠) معنى البيت أن الجهل انساب في الناس يقول إن الدنيا هي آخر الحياة ولا شيء بعدها .
 (١١) ظلمة . (١٢) يتم بقول مبهم . (١٣) المال من فضة وورق وغيرهما .
 (١٤) القبر . (١٥) يسكت . (١٦) تقائلوا . (١٧) ضلاله . (١٨) يهدم .
 (١٩) المستلب العقل . (٢٠) يسب بالقول الباطل . (٢١) سبب .
 (٢٢) الذى أسكت بالحجة في خصومة . (٢٣) الكذوب . (٢٤) هم وجرن .

لنعب^(١) من نبيع المعارف حكمة فمى المنال لعالم يستكرم^(٢)
فالخلد أرتاب^(٣) بساحة مؤمن ماعاش فيها شغب أو صوم
كل الرغائب تستجاب لفورها فالروح فى العلياء شىء قيم

من شاء حباً كالملائك طاهراً يرتاد وزداً دون باغ ينقم^(٤)
وبفيض حى قد بعثت خواطرى تُرضى الأريب^(٥) ومن يتوق ويعلم
فالحب بين الخالدين رسالة تهدى الرفاق لكى يفىق النوم
وأنا أحذر من عنيد مدع يبدى الظنون إزاء ما أتكلم
وأقول بالإشفاق لست موارباً^(٦) غير الأثير لمن عسى يفهم
إن الخلود تكشفت أسرارها تهب الشفاء أو العزاء لمن رموا^(٧)
وتناشد الأحياء أن يتبصروا فى يقظة الأفهام كي لا يندموا
يرضون بالإعلام من أيقنوا أن الرجاء يغيب عن حلم
فالأم يختال المكابر لاهفاً ليرد من يهوى الخلود ويصدىم ؟

أراميف القباء

يالوعة الأحياء من أرجفوا^(٨) بجمالة ضد الخلود وأقسموا

(١) للمعرب . (٢) يختار الكرام . (٣) تمر ناضج . (٤) يحقد .
(٥) الماهر . (٦) مخادع . (٧) لمن رماهم الدهر بالحزن والمرض . (٨) كذبوا .

فأنا المتيّم بالنظيم مُنمّقاً^(١) واللّهفة اشتعلت سعيّاً يُضرمُ^(٢)
فهو العزاء إلى الحزين إذا نأى عنه التأمى . حين لا يتبسّمُ
وهو الخنان إذا الشجون تكاثفت وهو الصدوق إذا الأمور تؤزم
يا صاحبُ إنا في الخلود منائرُ تجلو الطريق بصدق ما تتكلم
نحيا بملكك التسامح ديننا حبّ طليق للعباد يُقسّمُ
أهواؤنا طيب السلام . أريجها من عبقها أرواحنا تشتم
فلنا الوداعة والسماحة مِنّة ماعاد فينا للطغاة مُخيمُ^(٣)
فيها الكرامة جوهرٌ متألّيٌ ومُكَمَّلُ الأخلاق فينا ينعمُ
ويحوطننا إشماعُ كلِّ فضيلةٍ ترضى العلى . حيث الوجوه تكرمُ

وهنا نعيش بلا خريفٍ مُنفِرٍ بل في ربيعٍ يانعٍ فننعمُ
والكل في أوج الصبا متألّقٌ حرٌّ . مع الإنصاف لا نتظلمُ
حُزُننا التضامن والوفاق سجيّةٌ هيات يُخشى من شقاقٍ يَفقمُ^(٤)
وتآلف الأرواح نعمة من هدى مادام إلفُ الروح لا يتبرّمُ
إنا نخطينا المشارف^(٥) للعلا حيث المدارك وعيها لا يُفطمُ

(١) أى قد هاجنى حبّ النظام الشعر المنسق .

(٢) مكان إقامة . (٣) يهتد . (٤) أماليها .

ولذلك قامت في الخلود منابرٌ تدلى بأقدس ما ينير ويفهمُ
وغدت دوافع الاتصال^(١) تآلفاً جذب المشاعر والصحاب ليُقدِّمُوا
من شاء يلجأ للخلود مسامراً أو مستزيداً فهم مالا يفهمُ
وتنادت الأجيال بالعلم الذي من « عالم الروح » استقام يكرمُ
وتخاطب الرواد من أقصى الدنا مع روح من في الخالدين وسلوا
وغدا التجسد^(٢) ، و« الظواهر » غاية يصبو إليها الباحثون ليحكموا
وأقيمت « الجلسات »^(٣) تحت رقابة حتى ثقة الراسخين تكلموا
إذ أجمع النقاد ألا خدعة بين الظواهر . والمؤيد مُحكمُ

رسالتى

ورسالتى ديباجةٌ حملتها « شوقاً » أطوف به الحى وأسلمُ
سجلتها متطوعاً ومهيماً بالروح أمل ، والوسيلة تُلممُ
ضممتها^(٤) بين الأحبة منطقاً بالوحى والإلهام لا تتعلمُ
وأرى سوانح^(٥) ذكرياتٍ قد مضت آبت لأسعد الفتوح^(٦) وأنظّمُ
أحيا بها بين السُراة^(٧) منادماً من يحتفى بالروح أو يترحم^(٨)

(١) الاتصال الروحى .

(٢، ٣) تجسد الأرواح والظواهر الواسطية .

(٤) الجلسات الروحية .

(٥) أى رسالتى .

(٦) الفرس المؤابية .

(٨) عليّة القوم .

(٩) يقرح على روحى .

(٧) جمع فتح وهو النصر

رَصَدَ اليقين عن الحياة وَكَوْنَهَا^(١) وَلِنِعْمَ مِنْ أَسْمَى الوجود مَقْدَمُ
تَبْيَانِهِ فِي الرُّوحِ عِلْمٌ مُصَدِّقٌ^(٢) عَمَّا أَحَقَّ^(٣) الْخَالِدُونَ وَأَعْلَمُوا
بِحَثِّ اتِّصَالِ الْخُلْدِ وَهُوَ مَغْلَفٌ^(٤) بَابِنِ الدُّنَا^(٥) يَحْدُوهُ عَهْدٌ مُبَرَّمٌ
أَهْدَى الْعُلُومِ نَفِيسٌ مَا يَسْمُو بِهَا مِنْ رَوْعٍ مَا نَشَرَ الْبَيَانَ الْمَفْعَمُ^(٦)
هِيَ شَعْلَةٌ مِنْ تَضَعِيَّاتٍ مَجَاهِدٍ نَذَرَ الْعَزِيمَةَ لِلْحَقِيقَةِ تَنْظِمُ
نَمَّى^(٧) الرَّقِيمُ^(٨) لَتَسْتَنِيرَ بِصَائِرِهِ وَتَزُولُ غَاشِيَةٌ تُضِيرُ وَتَسْقِمُ

فَالْمَرَّةَ رُوحٌ شَفَّ لَاجِسَدُهُ يُرَى مِنْذَ اسْتَقَرَّ بِبَطْنِ أُمِّ يُدْعَمُ^(٩)
وَالرُّوحُ يَأْتِي فِي الْجَنِينِ مَشِيئَةً مِنْ خَالِقِ الْآكْوَانِ وَهُوَ يَنْظُمُ
وَالرُّوحُ أَصْلٌ لِلتَّوَاجِدِ خَالِدٌ مَسْرَاهُ^(١٠) عِلْمٌ شَامِلٌ . لَا ظِلْمُ^(١١)
مِنْ نَاجِزٍ^(١٢) أَوْ مَقْبَلٍ فِي عَمَقِهِ عِلْمُ الْعُلُومِ بِجَدَّةٍ لَا تَهْرَمُ^(١٣)
وَالْمُسْتَنِيرُ بِحِكْمَةٍ وَثِقَافَةٍ يَرْضَى التَّعَارُفَ بِالْخُلُودِ وَيُكْرِمُ
وَيَرَى السَّعَادَةَ أَنْ يَزُودَ مِنْ عَمَلٍ فَهْمِ الْحَقَائِقِ . وَالسَّمَاءِ تَعَلَّمَ
وَالِى الرِّغَائِبِ يَسْتَجِيبُ ذَوُو النِّهْيِ فَالْعِلْمُ فِي دُنْيَا الْخُلُودِ مُتَمِّمٌ

(١) جوهرها . (٢) قال الحق . (٣) مستور عن الأعين . (٤) الإنسان في العالم .
(٥) الذي يطيب الجو بالمسك . (٦) لأنه جعل مؤلفه من جزئين بعد جزء واحد .
(٧) الكتاب . (٨) يسند لثلاثين . (٩) حاضر .
(١٠) سروره المستتر . (١١) الظلم : السحر . (١٢) أي أن علم الروح هو علم العلوم وهو متجدد لا يهرم بمحثة .
(١٣) حاضر .

والسَّامُ^(١) المنساقُ في أذيالها يمشى كما يمشى العَيى^(٢) المرغمُ
يا بئسَ ما يُرى على أطياها من شاهقات الأمنيات ويرسمُ
فالرغدُ ظلٌّ في تواجدٍ من سعى وَغَدَاةُ رَحْلِ^(٣) يستحيل^(٤) ويحسم^(٥)
وذرى المطاميعِ والثراء فضالة^(٦) مهما ترنم بالمديح متيمُ
من يستهيم بغضها^(٧) متدهماً بريقها ويظنه لا يُحجم^(٨)
فَعَلَى الْمَشُوقِ^(٩) ندور دائرة النوى^(١٠) ليرى الروائع بئداً يتمدُّمُ
ومن ارتضى حرماً^(١١) يُشاد بأرضه فغداً يشطُّ^(١٢) به المزار ويندم^(١٣)
فاسمع ووازن في هوادة^(١٤) من وعى نُصَحِ الأمين وما عساه يقدمُ

«المرء روح لا جسده»

واقرا كتاباً نصَّدته^(١٥) مكانه^(١٦) ليهفُض^(١٧) ما غز^(١٨) خافيات تعظم^(١٩)
صرحُ ترصع بالبيان وما حوى إلا الحقيقة من رصين^(٢٠) يفجم^(٢١)
وهو اقتفاضة باحث متضلع تخذ الوثائق للجلد ترقم^(٢٢)

(١) تغير لونه من الهزال . (٢) المتعب . (٣) الرحيل . (٤) يصير محالاً .

(٥) ينقطع : معنى البيت أن الرغد وهم حياة من سعى إليه وغداة الرحيل يصير الوهم محالاً وينقطع أمره .

(٦) نقاية . (٧) بناظرها . (٨) يكف . (٩) العاشق .

(١٠) التباعد بالرحيل . (١١) شيئاً يحمية ويدافع عنه . (١٢) يبعد .

(١٣) معنى البيت : من يقتنى شيئاً في العالم فغداً يبعد عن الدنيا الزائلة ويندم .

(١٤) رفق ولين . (١٥) جمعه . (١٦) منزلة سامية .

(١٧) لينهى . (١٨) اللتبس من الكلام .

(١٩) أى عالم الروح بأسرارها الخافية العظيمة . (٢٠) متزن .

(٢١) إسكت بالحجة وبالبرهان . (٢٢) تضع النقط والحروف على الكلمات .



أحمد شوقي

(١٨٧٠ - ١٩٣٢)

من روح أمير الشعراء : درة جديدة

دحية وتأييد لكتاب الإنسانيه روح لا مفسد^(١)

الدنيا الخوون

قل للآلى يترجّحون^(٢) لينعموا ويقوّمون^(٣) رياشهم^(٤) ليكرّموا
مهلاً فما المتعّ الجموح^(٥) بقتنى^(٦) إن أفلتت فزمامها لا يُحكّم
ودّنا الرغبة قلبٌ تعصى الهوى وبطبعها الإعراض^(٧) حين تُقيم^(٨)
فعلام^(٩) وسنّة^(١٠) ما يرام بحمّها^(١١) وهى الخوون وبالتنكر توسم^(١٢)

(١) العنوان والمرواح كلها من عند الروح فيما خلا شروح قليلة جداً أضيفت من القاموس .

(٢) يطلبون الأرباح . (٤٤٣) يجعلون لثيابهم الفاخرة قيمة . (٥) المستعمية .

(٦) انسام . (٧) بأرضها . (٨) تميز .

الوضوح مع الشك ، والربط المنطقي بين المقدمات ونتائجها ، ورفض الاقتناع بما لا يستقيم من نتائج مع مقدمات واضحة محددة .

بل إن فلسفة ديكارت استحوذت في الواقع على تيار التفكير العلمي في الغرب استحوذاً لم تصل إليه من قبل إلا فلسفة أرسطو ، ومن بعده إلا فلسفة برجسون ، فكان لها أحسن الأثر في توجيه الأساليب العلمية نحو فتوحاتها الضخمة عن طريق الشك الناقد للأمور ، حتى كادت هذه الأساليب أن تصبح كما أراد لها ديكارت محض تحليل ناقد ، وشك قد ينتهي إلى الإيمان ، وإنكار قد يؤدي إلى المعرفة .

وهذه الأساليب هي التي وجهت علوم المادة كما وجهت علوم الحياة فوجهت بالتالي - إلى آخر مدى - بحوث علم الروح الحديث ، فإن جميع بحوثه التي تستحق الذكر ، والتي يصح أن يطلق عليها « بحوث علمية » بدأت بالإنكار التام ، ثم مرت بمرحلة الشك ، ثم انتهت إلى مرحلة الاقتناع . وإذا كانت بحوث المادة الخاضعة للحواس بدأت بالإنكار فما بالك ببحوث تطوى ما لا يخضع للحواس إلا في ظروف معينة وبقدرة معلوم ؟

وإذا كان الإنكار حقاً مشروعاً عند ديكارت لكل عقل يفكر ، فما بالك به عند فلاسفة كبار وعابرة مرموقين قدموا لقضايا العلم أجل الخدمات ؟ وما بالك به في عصر كانت قد استقرت فيه في أذهان العلماء عقيدة ثابتة عن آلية الكون ، ومادية الإنسان ، وفناء الحياة بالموت ، وكان ذلك بسبب انتشار المدارس المادية في تعليل الحياة والتي كانت الطابع المميز للحركة العلمية ، منذ الثورة الفرنسية (سنة ١٧٨٩) إلى منتصف القرن التاسع عشر ، بل إلى أواخره . يستوى في ذلك الفلك مع الفيزياء مع السيولوجيا مع البيولوجيا مع غيرها ، حتى طغت هذه المدارس العلمية على فلسفة الفلاسفة السابقين فحجبتها تماماً أو كادت بغيوم صناعية كثيفة .

فنظريات الفلك كانت تسند حركة الكواكب والنجوم إلى طبيعتها

النفس على رغباتها ومعرفتها للأحداث في ضرورتها ، وفي توقفها على العناية الإلهية ... (١).

وقد أرجع ديكارت إلى الله المادة ، كما أرجع إليه القوانين الطبيعية مميّزاً بين المادة والروح وموزعاً الطبيعة إلى مائتين : مملكة للمادة وأخرى للروح . وكان ديكارت في ذلك يمثل أسلوب تهره في النظر إلى الأمور ، فلم يكن الإيمان الراسخ بالله وبالروح المتميزة عن المادة من صنعه ، لكنه صنع لنفسه الإيمان عن طريق لم يسبقه إليه أحد ، وهو طريق التساؤل المستمر ، أو بالأدق طريق الإنكار المبدئي ، والمنطق الناقد لكل ما يخضع لحكم الحواس ، ولكل ما يصل إلى العقل من معلومات سابقة .

فالإنكار عند ديكارت هو طريق الإيمان ، والشك هو طريق المعرفة . وهذا هو ما يميز إيمان ديكارت بالله وبالروح وبالخلود عن إيمان غيره . فإيمانه إيمان العقل الناقد ، وإيمان المنطق المدعم بأسانيده ، والذي يختلف تماماً عن إيمان الشعور الصرف ، أو التسليم الأعمى ، أو الانقياد السهل لإيمان الآخرين ، والذي لو تأملناه لما وجدنا فيه من فضل يذكر ، ولا من فضيلة خاصة . وكان ديكارت بذلك لا يمجّد بحسب الإيمان عن طريق العقل ، بل يمجّد أيضاً العقل الذي ينبغى أن يصل إلى الإيمان عن طريق التفكير المتأمل ، والمتحرر تماماً من ترهات الزمان والمكان .

وهذه هي نفس الطريقة التي استحوذت على ألباب فلاسفة كثيرين غيره من أمثال بوسويه Boussuet وفيلون Fénelon وما لبرانش Malebranche وسبينوزا Spinoza ، وغيرهم ممن قدموا فلسفات باقية على الزمن تقوم في جوهرها على نفس أسس الشك التحليلي الناقد الذي ابتدعه ديكارت ، والذي بلغت به الروح الفرنسية ما لم تبلغه من قبل من مزايا

(١) عن « ديكارت » للدكتور نجيب بلدي سنة ١٩٥٩ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

الفصل الأول فى الإيمان بالله وبالخلود

كان الإيمان الوطيد بالخالق وبالخلود هو طابع الفلسفة العريقة فى العالم بالآل منذ عهد الإغريق إلى عهد الثورة الفرنسية، وقد ساد هذا الطابع فلسفة العصور الأولى والوسطى فى أوروبا كما ساد فى غيرها، لأن الله كما يقول ديكارت Descartes الفيلسوف العظيم (١٥٩٦ ~ ١٦٥٠) فى رسالته إلى صديقه شانو فى أول فبراير سنة ١٦٤٧ .. «هو خيرنا الأسمى لو عرفنا قدرته اللامتناهية التى تتمثل فى خلقنا وخلق العالم، وتأملنا كمال معرفته التى يرى بها الأحداث الحاضرة والماضية والمستقبلية، ثم ضرورة أحكامه، ثم ضعفنا وصغر شأننا بالنسبة إلى دظمة العالم المخلوق».

وبملا هذا التأمل صاحبه بفرح عظيم لا يريد بعده الإنسان إلا الامتثال لأمر الله، فلا يخشى مرضاً أو ألماً أو وضعة أو الموت ذاته، ما دام واحد من هذه الأشياء لا يتم إلا بأمر الله. والإنسان العارف يحل ذلك الأمر الإلهى ويحبه إلى أحداًه حتى لو أتيح له تغيير الأمر لرفض ذلك. ولا شك فى أن هذا الفرح الذى يملأ نفس المتأمل قد لا يشبه فرح الانفعالات شهاً كبيراً، فهو فرح خالص يملأ النفس حباً صافياً عقلياً لله تعالى.

ولكن هذا الفرح لقيامه فى الحياة الإنسانية قد يصحب أيضاً الفرح الانفعالى ذاته، وذلك عندما يعرف الإنسان أنه جزء من العالم العظيم الذى خلقه الله ورعاه بعنايته، وأنه رغم صغر مقامه وقلة شأنه متحد بذلك العالم الهائل، إنه يشعر عندئذ بفرح عظيم. هذا هو الخير الأسمى الذى تتحقق لنا فيه الفضيلة والسعادة. هذا هو الخير الأسمى الذى تؤدى إليه سيادة

الباب الرابع

بعض المشكلات الفلسفية

في ضوء علم الروح الحديث

نمريه

عالجنا في الباب السابق موضوع « الثواب والعقاب » الذي يمثل أخطر مشكلة فلسفية قدم فيها علم الروح الحديث نظرية واقعية جديدة جاءت مؤيدة تماماً لما وصل إليه الإنسان بفطرته منذ القدم من أن لكل فضيلة - في ناموس الطبيعة - ثوابها، ولكل رذيلة عقابها .

وفي الباب الحالي نبين كيف أن هذا العلم قد أتى أضواء جديدة على مشكلات فلسفية أخرى ووصل فيها إلى حلول وضعية - متفقة في جملتها - مع ما تسعى إليه العقائد كافة من تدعيم الإيمان المستنير بالله تعالى ، وبناموسه الخلقى الحكيم ، ومن تعزيز دور الضمير في توجيه تصرفات النفس إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها . وذلك بالإضافة إلى مساهمته في تبيان رسالة الموت الذي تدركه حواسنا فناء حين يدركه ناموس الطبيعة بقاء ، ومعها رسالة الألم الذي تدركه حواسنا عذاب حين يدركه ناموس الطبيعة ارتقاء . . .

وهذه الأضواء الجديدة على الموضوعات التي بينها قد تتطلب في شرحها مؤلفات برمتها تعد جزءاً من فلسفة الروحية لا من بحوثها العملية . ولما كنا نهدف إلى أن نقدم إلى القارئ في المواقف الحالية عرضاً شاملاً لكافة الجوانب العامة لهذا العلم الروحي ، بما في ذلك أهم جرائبه الفلسفية ، لذا نرى أن نتعرض بشيء من الأناة لهذه المشكلات هنا في فصول ثلاثة كالآتي : -

الفصل الأول : عنوانه « في الإيمان بالله وبالخلود » .

والفصل الثاني : عنوانه « في الخلق والضمير » .

والفصل الثالث : عنوانه « في الموت والألم » .

قوانين المادة . فمدام التلازم محتوماً بين العقل والمادة في هذا الكون -
على ما بيناه في مناسبة سابقة - فهو محتوم بالتالى بين قوانين العقل فيه -
أو إن شئت الروح - وبين قوانين المادة .

وهذه القوانين الطبيعية تثيب الناس - تلقائياً - وتعاقبهم على
أخلاقهم - لا على مجرد أفعالهم - بغير خشية إفراط ولا تفريط ، لأنها
تعرف خلجات النفس وسكناتها ، كما نعرف ماضيها وحاضرها ومستقبلها ،
فهي لا تحبى نفساً ولا تظلم أخرى .

وهي تلهب النفوس الرشاد وترشد البصائر إلى الصواب ، وتدفع عجلة
التطور التدريجى للأمام فى عقول الناس وأخلاقهم ، وتأخذ بيدهم فى
طريق صلاح أمرهم ، ولو عن طريق الألم الحكيم ينزل بهم لغسل ذنوبهم ،
وهداية قلوبهم إلى سواء السبيل ، عند يتسكرون لها أو يحيدون عنها بدافع
من نقص أخلاقهم وقصور مداركهم .

والإيمان بوجود هذه القوانين الطبيعية العادلة مكمل محتوم للإيمان بالله
تعالى مصدر كل عدالة ، كما هو مكمل محتوم للإيمان بقيمة الضمير فى تعرف
سبيله إلى نواميس الأخلاق الطبيعية هذه التى أجمعت عليها العقائد
والفلسفات الراقية . والى أصبح من رسالة علم الروح الحديث أن يحاول
إزاحة النقاب عن بعضها تدريجياً ، وأن يلقى عليها أضواءه لتنير جوانب
أخرى لهذه المشكلات العميقة ، إلى جانب الأضواء السابقة التى جانها من
شتى مصادر الاعتقاد والفلسفة .

وسيزداد هذا الأمر وضوحاً عندما نعالج فى الباب المقبل بعض هذه
المشكلات العويصة التى ألقى عليها علم الروح الحديث هذه الأضواء الجديدة ،
وبخاصة تلك المتعلقة بتعزيز الإيمان بالله تعالى وبالخلود ، وبالناموس الخلقى
وتعزيز دور الضمير ، وذلك بالإضافة إلى توضيح رسالة الموت والألم ،
كما يقدم نظريات واقعية فى هذه الأمور تساند نظريته فى الثواب والعقاب
وتستند إليها .

لكل رذيلة عقابها طبقاً لناموس ارتباط العلة بالمعلول دون ما حاجة إلى حكم ينطق به قاض من البشر أياً كان مستواه ، فالقوانين الطبيعية تعرف كيف تطبق نفسها بنفسها سواء أكانت قوانين للروح أم للمادة ، وسواء أعرنا هذه القوانين أم جهلناها كلها أو بعضها ، وسواء أرضينا بها ، أم لم نرضَ وبدأ لنا أن من الجائز التنكر لها ومقاومتها .

والمنطق التأسك الذى يبرز فى هذه الدراسات ما كان يكفى بمفرده لإقناع المتشكك أو المنكر ، حتى إذا أضيف إليه نوع الأشخاص الذين قاموا بها ، والظروف التى تمت فيها ، وانتفاء كل مصلحة لهم فيها ، بل وتعارضها مع جميع آرائهم السابقة فى هذا الشأن .

ولكن إذا روعى أيضاً أن الدراسات التى تمت عن نفس الموضوع فى بيانات علمية أخرى فى شتى البلاد أدت إلى نفس النتائج وإلى نفس القواعد التى انتهى إليها آلان كاردك وصحبه فى فرنسا ، اتبين إلى أى مدى تتعذر الآن المسكبة فى صحة هذه النتائج ورفضها جملة باعتبار أنها وهم أو خرافة ، أو نحو ذلك من الألفاظ التى قد يلقبها الجاهل بهذه الأمور جزافاً بغير ما بحث ولا تجريب ، ولا أية حجة مقبولة تسند هذا الإنكار بالجملة لوقائع محددة ، مبنية بأمكنتها وبتواريخها وأشخاصها وتفصيلها وشهودها وأدلتها ودلائلها ، وموضحة بمقدماتها ونتائجها الفلسفية التى لا يعوزها التساند ولا الترابط المطلوبان .

ثم إذا روعى كذلك أن هذه النتائج ليست مترابطة فيما بينها بحسب ، بل مترابطة بنفس القوة مع نتائج فلسفية أخرى عديدة وصلت إليها الروحية التجريبية فى موضوعات مكملة لموضوع الثواب والعقاب ، لتبين تماماً أننا لا يمكن أن نكون إزاء خيال أو وهم ، بل إزاء بديان علمى مرصوص يشد بعضه بعضاً . فالمنطق السليم يأبى إباء تاماً أن يكون الأمر - على هذا الوضع - غير ذلك .

وهذه النتائج مترابطة أيضاً مع الشعور الأصيل فى نفس الإنسان بوجود قوانين عادلة موضوعية للأخلاق تحكم السكون جنباً إلى جنب مع

تكفيراً يستمد مصدره من عدالة السماء . والوحدة التي كنت فيها في سنواتي الأخيرة لم يكن فيها ما يدعوني لليأس إذ كنت واثقاً في المستقبل وفي رحمة الله . بل كانت الوحدة مفيدة لي ، لأنني في ذلك الليل الطويل ، حيث كان كل شيء ساكناً ، كانت روحي - بعد أن أصبحت أكثر تحرراً - تتجه صوب الخلود وترى عن طريق البصيرة العالم اللانهائي . وعندما أزلت نهاية منغاي على الأرض قدم إلى عالم الأرواح روائع ومتعاً لا تمحى .

والمقارنة بالماضي تجعلني أرى مركزي سعيداً جداً نفسياً ، والشكر لله ، ولكنني عندما أتطلع إلى الأمام ، أرى كم لا أزال بعيداً عن النعيم الكامل . لقد كفرت عن أخطائي ، ولكن يلزمني الآن أن أصلح نفسي . ولم يكن وجودي الأخير مفيداً إلا لي أنا وحدي ، وأرجو قريباً أن أبدأ وجوداً جديداً أكون فيه مفيداً للآخرين ، وسيكون في ذلك إصلاح عدم جدواي فيما مضى ، وعندئذ فقط سأقدم في الطريق المبارك المفتوح لجميع الأرواح ذات النوايا الطيبة .

ها هي قصتي ، أيها الأصدقاء ، وإذا كان بمقدورها أن تثير السبيل أمام بعض إخواني الذين في الجسد وتجنبهم الوحل الذي سقطت فيه ، فساكون بذلك قد بدأت في سداد ديني .

خاتمة

هذه بعض نماذج اخترناها لتوضيح المبادئ العامة في الثواب والعقاب . وأقل ما قد يقال في هذه المبادئ ، وفي النماذج التي شرحتها ، أنه ليس فيها شيء يعجز العقل عن تصوره أو عن إدراك احتماله . بل بالعكس إنها تحمل الإنسان حتماً على أن يتعقل الثواب والعقاب على أسس جديدة منطقية كتلك الأسس التي يعرفها المحال النفساني عندما يتقصى الأسباب - الواعية وغير الواعية - لآلام مريضه النفسية . أو كتلك الأسس التي يؤمن بها علم الأخلاق Ethics عندما يقدر أن لكل فضيلة ثوابها المحتوم ، وكذلك

المادى ، ولكنى كنت روحاً عمياء . فالحياة بعد القبر أصبحت إذأ حقيقة ، وكانت محاولتى للتخلص من الحياة والذهاب إلى العدم محاولة يائسة وتعثرت فى الفراغ ، وإذا كانت هذه الحياة الروحية خالدة ، طبقاً لما كان يقال فقد كان على إذأ أن أظل للأبد على هذه الحالة . وكانت هذه الفكرة رهبة ، ومن المحال أن أصف لكم ما كنت فيه من عذاب ومن ضيق ، ولم طال ذلك ؟ لا أدري ، ولكن بدا لى هذا الوقت طويلاً .

وبعد أن أنهكت وأجهدت رجعت إلى نفسى فأدركت أن هناك قوة عليا تثقل كاهلى ، وقلت لنفسى إذا كان بمقدور هذه القوة ذلك فإن بمقدورها أيضاً أن تخفف عني فتوسلت إلى عطفها . وبقدر ما كنت أصلى بحرارة متزايدة بقدر ما كان هناك هاتف ما يقول لى إن هذا المركز التعيس سيكون له نهاية ، وأخيراً حل النور وكانت سعادتى القصوى عندما أبصرت أضواء السماء ، وبدأت أميز الأرواح التى كانت تحيط بى باسمه بحنان ، والى كانت تحلق مشرقة فى الفضاء ، وكنت أريد أن أقتفى خطاها ، ولكن قوة غير منظورة كانت تمنعنى .

وعندئذ قالت لى إحداها : إن الله الذى كنت تشكره قدر رجوعك إليه وسمح لنا أن نعيد النور إليك ، ولكنك لم تتراجع إلا بطريق الإرغام والإجهاد . وإذا كنت تريد فى المستقبل أن تشارك فى السعادة التى يتمتعون بها هنا ، فينبغى أن تثبت إخلاصك فى توبتك ، وطيبة مشاعرك بأن تبدأ من جديد محتك الأرضية فى ظرف ستسكون معرضاً فيها للوقوع فى نفس الأخطاء السابقة لأن هذه المحنة الجديدة ستسكون أفسى عليك من الأولى ، وقد قبلت على الفور وارتبطت مع نفسى بالأفضل فى هذه المرة . وهكذا عدت إلى الأرض فى الوجود الذى تعرفونه .

ولم أجد مشقة فى أن أكون طيباً ، لأنى لم أكن شريراً بطبيعتى ، لقد ثرت على الله وقد عاقبنى ، وعدت إلى الأرض مزوداً بالإيمان الفطرى . ولذلك لم أعد أتم بالشكوى ضده ، وقبلت عاقبى مستسلماً ، بوصفهما

يدفعكم إليه ، ولذا استجبت مسروراً لندائكم ، طالما أن هناك من يريد السماح لي بذلك ، وسعيداً لأن أتمكن من أن أخدمكم في تثقيفكم . ولعل حياتي تعطىكم دليلاً يضاف إلى الأدلة العديدة التي تعطىكم إياها الأرواح عن عدالة الله .

أقد عرفتموني كفيفاً أصم ، وتساءلتم ما الذي فعلته كيما أستحق مصيراً مؤلماً كهذا؟ وسأذكر لكم السبب . واعلموا ابتداءً أن هذه هي ثاني مرة حرمت فيها من نعمة البصر . ففي وجودي الأرضي السابق الذي حدث في مبدأ القرن الماضي ، كنت قد أصبحت كفيفاً في الثلاثين من عمري بسبب الانهماك في الملذات - بكل صورها - الذي دمر صحتي وأضعف أعضائي ، وكان ذلك عقاباً لي لأنني أسأت استخدام النعم التي تلقيتها من العناية الإلهية التي وهبتي الكثير منها .

ولكني بدلاً من أن أقر بأنني كنت السبب الأول لعاهتي ، لقد حملت تبعتها على العناية الإلهية التي لم أكن أو من بها في النهاية إلا قليلاً . أي جدت نحو الله الذي كنت أنكره ، وكنت أقول لو أن الله كان موجوداً لكان ظالماً شريراً لأنه يؤلم خليفته على هذا النحو ، حين كان ينبغي أن أشعر بأنني سعيد - على العكس من ذلك - لأنه لم يكن على أن أتسول مثل الكثيرين من البؤساء العميان المضطرين لأن يستجدوا خبزهم . ولما كنت لم أكن أفكر إلا في نفسي ، وفيما فرض على من حرمان من متع .

وتحت سلطان هذه الأفكار وعدم إيماني أصبحت شرساً ، كثير المطالب ، وفي كلمة ، لا أعاق بالنسبة للحيطين بي . وأصبحت حياتي منذ ذلك الحين بلا هدف ، ولم أعد أفكر في المستقبل الذي بدأت في التطلمع إليه كسراب . وبعد أن استنفدت كل السبل العلمية لعلاجي ووجدت أن شفائي أمر مستحيل ، عزميت على التخلص من الحياة سريعاً فانتحرت .

وعندما استيقظت وجدت نفسي غريقاً للأسف في نفس الظلمات التي عرقها في حياتي . ومع ذلك فما لبثت أن أدركت أنني لم أعد أهتم إلى العالم

ويحيون غارقين في المصالح الدنيوية . وكان أناً عميقاً ، وما كان ليتأخر
بغير شك عن توضيحية كل شيء في سبيل إنقاذ ابنته ، ولكنه ما كان ليتأخر
أيضاً عن توضيحية كل مصالح الآخرين - بغير تأنيب - في سبيل تحقيق
مصلحته الذاتية .

فبعيداً عن ابنته ، لم يكن لديه ولا لى إنسان . وقد عافيه الله كما تعلمون
بأن انتزع منه عزاءه الوحيد على الأرض ، ولما لم يرتدع انتزع منه هذا
العزاء حتى في عالم الأرواح . ولم يكن يعنى بأى إنسان على الأرض فلذلك
لا يعنى به أى إنسان هنا ، فهو وحيد مهجور ، وذلك هو عقابه . ومع ذلك
فإن ابنته موجودة بالقرب منه ولكنه لا يراها ، لأنه لو كان يراها ، لأفلت
من العقاب وماذا يصنع هو ؟ هل يتوجه إلى الله ؟ هل يتوب ؟ كلا لأنه يشتم
دائماً بل يهدف ، وفي كلمة يفعل نفس ما كان يفعله على الأرض . فسأعده
بالصلاة وبالإرشاد على الخروج من عمه .

(ج) مع جوزيف ميسر Joseph Maitre

كان جوزيف ميسر ينتمى إلى الطبقة المتوسطة في المجتمع وكان على
درجة متواضعة من اليسر ، وقد منحه والده تعليمًا طيباً ، وكان يعدّاه لحياة
الصناعة ، ولكنه فقد الإبصار تماماً في العشرين من عمره ، ثم أصيب
بعاة أخرى إذ فقد السمع تماماً أيضاً منذ عشر سنوات تقريباً قبل وفاته ،
إلى حد أن صلاته بالآخرين لم تكن لتجرى إلا عن طريق الملامسة .
وكان فقد البصر مؤلماً له ، أما فقد السمع فقد كان تعذيباً رهيباً . وفي باريس
طلبنا روحه بناء على اقتراح من شخص كان يعرفه ، وكان يعتقد أن الحديث
مع روحه قد يعطينا بعض إرشادات مفيدة ، وهذه هي رسالته التي ترجع
إلى سنة ١٨٦٣ : -

« إني أشكركم يا أصدقائي لأنكم تذكرتموني ، ورغم أنكم ربما اعتقدتم
أن انصالي بكم سيفيدكم بوجه ما ، إلا أني أعلم أن هناك دافعاً أهم من ذلك

على ذلك ، فإنني سعيدة بين الأرواح الطيبة التي تحيط بي ، ونقوم بمشاغلنا
فرحين ، فالجنول تعذيب قاسٍ .

مديت مع الرب

س : (بعد شهر تقريباً من موته) إننا نرى من وراء دعوتك إلى أن
نستفهم عن مركزك في عالم الأرواح عسانا أن نكون مفيدين لك ، إذا كان
ذلك بمقدورنا .

ج : عالم الأرواح إلى لا أراه ، ولا أرى سوى الأشخاص الذين
عرفتهم ، والذين لا يفكر واحد منهم في ولا يأمن على . وبالعكس يبدو
عليهم السرور لأنهم تخلصوا مني .

س : ألا تدرك مركزك جيداً ؟

ج : تماماً . اعتقدت في وقت ما أني لا أزال في عالمكم ، ولكنني
أعلم الآن جيداً أني لم أعد فيه بعد .

س : كيف يتأتى إذا أنك لا ترى أرواحاً أخرى من حولك ؟

ج : إنني أجهل الإجابة رغم أن كل شيء واضح من حولي .

س : ألم تشاهد بعد ابنتك ؟

ج : كلا ، لقد توفيت ، وإنني أبحث عنها وأناديها بغير جدوى ، فأني
فراغ رهيب سببته لي وفاتها على الأرض ، وعندما كنت أحتضر كنت أقول
لنفسى إنني سألقاها من جديد بغير ريب ، ولكن لا شيء ، ودائماً الوحدة
من حولي ، ولا أحد يوجه إلى عبارة عزاء ولا رجاء ، فوداعاً لأنني ذاهب
للبحث عن ابنتي .

بيان من الروح المرشدة للوسيط

« هذا الرجل لم يكن ملحداً ، ولا مادياً ، ولكنه من أولئك الذين
يؤمنون إيماناً خامضاً ، بغير أن يشغلوا أنفسهم بالله ولا بالمستقبل ،

في عروقها رغم إعيائها ، إلى حد أن انفصال روحها لن يكون أمراً سهلاً .
فصلوا لأجلها ، وستساعدكم فيما بعد ، وستعزيكم بنفسها لأن روحها أسمى
من روح أولئك الأشخاص المحيطين بها .

وبسماح من الله أمكنني أن أجيب على سؤالك ، لأنه ينبغي لهذه الروح
أن تتلقى المساعدة حتى يكون انطلاق روحها أكثر يسراً لها .
ثم توفيت الطفلة ، وتوفي والدها ، بعد أن قاسى من الفراغ ومن الوحدة
بعد فقد ابنته ، وها هي رسائل تلقيناها من الابنة ، ثم من الأب بعد انتقاله :

من الابنة (١)

« شكراً يا صديقي لأنه اهتممت بالطفلة البائسة ، ولأنك أصغيت إلى
نصائح مرشدك الطيب . نعم فبفضل صلواتكم أمكنني أن أغادر غلافي
الأرضى بطريقة أكثر سهولة لأن أبي بدلا من الصلاة ، كان ساخطاً ، ومع
ذلك فأنا لا ألومه لأنه فعل ذلك بدافع من حبه العظيم لي ، فأسال الله أن
ينعم عليه بنعمة النور قبل أن يموت ، وإني أنبهه وأشجعه ، ورسالتى هي
أن أخفف وقع لحظاته الأخيرة . ويبدو أحياناً أن بصيصاً من الضوء المقدس
قد وصل إليه . ولكن هذا بصيص عابر ، إذ لا يلبث أن يسقط من جديد في
وهدة أفسكاره الأولى . ولا توجد بداخله إلا نواة من ضمير خنقتها مصالح
الدنيا ، ولن تنمو إلا في ظل محن جديدة أشد مرارة ، وذلك هو ما أخشاه
كثيراً من جانبي .

أما بالنسبة لي فلم تكن أمامى سوى بقية من تكفير كان على أن أحملها ،
فلم تكن محتى مؤلمة جداً ولا صعبة جداً . وفي مرضى العجيب لم أكن أتالم
وكنيت بالأكثر أداة تجربة لوالدى ، لأنه كان يتألم من رؤيتي على هذه الحالة
أكثر مما كنت أتالم أنا نفسى ، فقد كنت مستسلمة ولم يكن هو كذلك . والآن
تلقيت الثواب ، وقد أنعم الله على باختزال مدة إقامتى في الأرض وأشكره

(١) رسالتها هذه كانت قبل وفاة والدها .

وقد استنفد الأب بغير جدوى جميع إمكانيات العلم ، وأصبح متيقناً بأنه لا يوجد أى رجاء فى الشفاء ، وظل على هذا العذاب الرهيب لمدى سنين طويلة لم يكن ليرى لها نهاية ، وقد كان هذا تعذيباً رهيباً بالنسبة له ، تعذيباً ضاعف منه أن ثروته كانت فى ازدياد متواصل ، ولم يخفف منه الأمل بأن ثروته سيتمتع بها مخلوق عزيز عليه .

كان هذا هو مركز والد الطفلة آنا بيتر الذى استولى يأس مقبض على نفسه وأخذ طبعه يتحول شيئاً فشيئاً إلى الحدة عندما كان يقع بعصره على هذا المشهد الأليم ، الذى لا ينتهى إلا بنهاية ابنته بعد أجل لا يعلمه إلا الله . وقد كان للأسرة صديق عرف الطريق إلى الروحية وقد ارتأى أن يستجوب روجه الحارس فى هذا الشأن ، فجاءه الجواب الآتى : -

« إنى أرغب جيداً فى أعطيك تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة التى تقع الآن تحت بصرك ، لأنى أعلم أنك عندما تطلب منى تفسيراً لها لا تطلبه على الإطلاق مدفوعاً بحب استطلاع فى غير موضعه ، بل للفائدة التى ستخرج بها من هذا التفسير ، بالنظر إلى ما تعتقده فى عدالة الله ، هذه الفائدة التى تقتضى من يشاء الله أن يجربهم أن يحنوا له الجباه بدلاً من السخط والتذمر ، لأن الله لا يجرب أبداً بغير ما داعٍ .

إن الطفلة الصغيرة البائسة التى شاءت إرادة الله القدير أن تؤجل تنفيذ حكم الموت عليها ينبغى أن تعود قريباً بيننا ، لأن الله قد عطف عليها ، أما والدها - هذا البائس بين الرجال - فقد كان ينبغى أن يجرب فى موضع عاطفته الوحيدة فى الحياة ، لأنه عبث بقلوب أولئك الذين يحيطون به وبثقتهم . وذات لحظة وصلت توبته إلى سمع العلى ، فرفع الموت سيفه من على هذه الرأس العزيزة عليه ، ولكن التذمر عاوده ثانية ، والعقاب يلحق التذمر دائماً ، فطوبى لمن يعاقبون على هذه الأرض ، وصلوا يا أصدقائى لهذه الطفلة البائسة ، فطفولتها تجعل لحظاتها الأخيرة قاسية ، وماء الحياة يجرى غزيراً

وابتهلوا إلى الله عندما يمتحن إيمانكم بأن تظهروا أن إرادته مقدسة وعظمى مثله . وتعلموا أن تذلحوا بالشجاعة وبالعزيمة في ترقب المستقبل ، لأن عليكم أن تتألموا أيضاً . وينبغي أن تتعلموا كيف تستحقون مركزاً طيباً في عالم أفضل ، يتحقق فيه تفهم العدالة الإلهية في عقاب الأرواح الشريرة .

يا أقربائي الأعزاء سأكون دائماً قريبة منكم فوداعاً وإلى اللقاء ، وليكن عندكم الاستسلام والبر ، وحب الآخرين ، وستكونون سعداء يوماً ، كلاراً .

ويعلق المؤلف على هذه الرسالة قائلاً إن الإشارة إلى أن «الفستان الرخيص أقرب إلى الفستان الموشى بالذهب مما قد يظن الإنسان عادة ، تتضمن الإشارة إلى الأرواح التي تتحول بين وجود وآخر من مركز لامع إلى مركز وضيع أو بائس ، لأنها تسكفر عادة في وسط وضيع عن سوء استخدامها للنعم التي سبق أن أنعم الله عليها بها ، وهي عدالة يفهمها كل البشر .

وهناك فكرة أخرى لا تقل عمقاً وهي التي تعزو مآسى الشعوب إلى خرق القانون الإلهي ، لأن الله يعاقب الشعوب كما يعاقب الأفراد ، فمن المحقق أنه لو كانت الشعوب تطبق قانون البر لامتنت الحروب والنكبات العظمى . وتطبيق هذا القانون هو ما تؤدي إليه الروحانية ، فهل لهذا الاعتبار تلاقى الروحانية أعداء ألداء إلى هذا المدى ؟ وهل أقوال هذه الفتاة لذويها أقوال شيطان ؟

(ن) مع آنا بيتر Anna Bitter

إن فقدان طفل حبيب أمر أليم ، فما بالك بالآب عندما يرى بعينه ابنته الوحيدة - التي عقد عليها كل الآمال والتي ركن عليها عواطفه التي لا يملك غيرها - وقد سقطت مريضة منهارة أمام عينيه ، بغير آلام ولسبب مجهول من تلك الأسباب الخفية الشاذة التي تقف حكمة العلماء حيرى إزاءها ؟ ..

ج : أختي لم تر أحداً غيري ، إن لديها قدرة ثانية على النظر ، وليست هذه آخر مرة كان حضوري فيها سبباً في تعزيزتها وتشجيعها .
س : لماذا امتحنتك القدر بعاهات كثيرة مع صغر سنك .

ج : لقد كنت محملة بأخطاء سابقة وكان علي أن أكفر عنها . لقد أسأت استخدام صحتي ومركزى اللامع الذى كنت أنعم به في تجسدى السابق . وكأن الله كان يقول لى : لقد نعمت إلى مدى عظيم وغير محدود ، فستألمين بنفس المقدار ، لقد كنت متكبرة فستصبحين وضيعة ، لقد كنت نخورة بجمالك فستصبحين محطمة ، وبدلاً من التفاهة ستحاولين أن تحصلى على البر والطيبة ، فتصرفت بحسب مشيئة الله وساعدنى ملاكى الحارس .

س : هل ترغبين فى أن تقولى شيئاً لذريك ؟

ج : بناء على طلب احد الوسطاء ، لقد قدم ذرى كثيراً من البر ، وكان لهم ما يدعوم لعدم الصلاة من الشفاء فحسب ، إذ تنبغى الصلاة من اليد والقلب ، فإن الصلاة هى العطاء الذى يعطى للتألمين ، وهى التى تجعل الإنسان روحياً .

لقد أعطى الله إلى جميع الأرواح حرية الاختيار، أى القدرة على التقدم كما أعطاهما كلها نفس الطموح ولذلك فإن الفستان الرخيص أقرب إلى الفستان الموشى بالذهب مما قد يظن الإنسان عادة، (مثل فرنسى) . فقربوا المسافات عن طريق البر ، وافتحوا أبوابكم للسكينة وشجعوه وارفعوه ولا تهينوه . ولو عرف الإنسان كيف يطبق فى كل مكان هذا القانون العظيم من قوانين الوعى ، لاخفتت هذه التعاسات التى تشين فى أوقات معينة الشعوب المتحضرة ، والذى يبعث بها الله كيما تعاقب ، وكيما تفتتح الأعين المغلقة .

يا أقرابى الأعزاء ، أحيوا بعضكم بعضاً وطبقوا قانون المسيح وهو أن كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أتم بهم أيضاً ،

الآلية لا غير ، ونظريات الفيزياء كانت تفترض أن الذرة لا تقبل التجزئة وأنها نهاية المسادة ، كما أن المادة هي بداءة الحياة لأنها قادرة بذاتها على خلق الحياة . وكانت نظريات علم النفس لا تعترف بقوة أخرى خارج قوة المخ والحواس الفيزيقية للإنسان . وأقامت البيولوجيا على أيدي فلاسفة وعلماء كبار مثل لامارك وسبنسر ومن بعدهما داروين نظريات للتطور على أسس مادية لا محل فيها لآلية قوة روحية . بل لقد ساد الاعتقاد في وقت من الأوقات أن هذه النظرية قضت نهائياً على « خرافة » العقل الخالق ودوام الحياة بعد الموت .

في عهد مدراس المادة

إلا أن عمد هذه النظريات المادية في تعليل الحياة قد تداعت تدريجياً تحت وطأة الضربات الشديدة التي وجهتها إليها معاول شكوك هذا الإنسان الجديد ، بفضل تقدم العلوم في شتى مناحيها وكان ذلك بوجه خاص في نطاق الرياضة ، والفيزياء ، والبيولوجيا والبحوث الروحية التي جرت في عدد من البلاد تحت أسماء شتى : منها العلم الروحي ، وما وراء الروحي ، والباراسيكولوجي ، وذلك على الإجمال الآتي : —

أورو : فبالنسبة لتقدم الرياضة ، فإن الاعتقاد الذي كان سائداً في تعليل الحياة هو تعليلها « بالمصادفة » ، أو بالأدق تعليلها بأن انفجاراً غامضاً قد حدث منذ ملايين السنين في مكان ما من الكون ، فولدت هذه المصادفة غير العاقلة قوانين عاقلة للحياة وللوعي . أما الآن فقد أثبتت الرياضة الحديثة أن المصادفة تخضع بدورها لقوانين رياضية تنفي تماماً قدرتها على خلق هذا العدد الهائل من التواميس المتكاملة المترابطة ، ومن الحقائق التي تلزم مجتمعة لنشوء الحياة وللحفاظ عليها ، سواء في صورتها الحية أم النباتية أم الجمادية . فالمصادفة — التي هي من معدن الفوضى — أصبحت في حقائق الرياضة الحديثة لا تصلح لتفسير نشوء الحياة ولا للحفاظ عليها . خصوصاً بعد أن ظهر كتاب الطبيعة أ كثر عمقاً وإحكاماً بمراحل كثيرة من أي كتاب خطته

يدأ علم العلماء وأعظم الرياضيين ، يستوى فى ذلك كتاب الفلك مع كتاب الكائنات الحية مع كتاب الحياة النباتية . بل حتى مع كتاب المادة الصلبة التى تبين أنها تمثل فى تكوين بروتوناتها وإلكتروناتها إحكاماً فلسفياً ورياضياً يذهل الأبواب ، حتى إن الذرة الواحدة أصبحت - على ضآلتها المتناهية - تمثل مجموعة شمسية كاملة، فيها كل الإعجاز الذى تمثله أية مجموعة شمسية ، مهما تفرقت النسب والأبعاد بين المجموعتين . فنشوء الحياة من انفجار قد حدث فى مكان ما من الكون أصبح أبعد احتمالاً الآن من نشوء كتاب بالغ الروعة والإحكام من انفجار قد يحدث فى مطبعة ما ، على ما عبر بعض المعبرين .

ثانياً . وبالنسبة لتقدم الفيزياء فقد كانت النظرية القديمة عن المادة الصلبة أنها تحوى كل خصائص الحياة وأنها قادرة بذاتها على خلق الحياة ، وكانت قدرة المادة تمثل فى مدارس القرن الماضى إيماناً يصل عندها إلى حد البداهة التى لا تحتاج إلى إثبات . وقد ظلت مدارس الإنكار تنذى هذا الإيمان بقدرة المادة وتتغذى به حتى أصبح الأمر بمثابة حلقة مفرغة بين مدارس العلم المادى ومدارس الإنكار، سرعان ما وجهت «مبادئ» العلم حتى استحوذت عليه الاستحواذ الذى لا يعال بشئ قدر طفولة المعرفة ، وإيمان الإنسان المطلق بذكائه ، فضلاً عن ثقته التامة فى كفاية حواسه للإنباء عن جميع حقائق الحياة .

إلا أن الكشف الحديث عن طبيعة المادة الصلبة بوصفها مجرد أثير فى رتبة اهتزاز معينة نفى عنها نهائياً قدرتها على خلق الحياة والمحافظة عليها . فبعد أن كانت المادة تصاح لتعليل الحياة أصبحت هى نفسها بحاجة إلى التعليل وأصبح أقرب تعليل على للمادة هو تعليلها بالحياة ، وهكذا انقلبت قضية التعليل رأساً على عقب وأصبح السبب نتيجة والنتيجة سبباً ...

أو بعبارة أخرى لقد تبين أن المادة لا تصاح لتعليل أى قانون من قوانين الحياة لأنها ليست أكثر من طاقة محبوسة . ولأن كل ذرة من ذرات

المادة تمثل رغم ضآلتها المفرطة في مجموع إلكتروناتها وبروتوناتها مجموعة شمسية كاملة متحركة لا يعوزها شيء ولا تختلف عن أية مجموعة شمسية يعرفها علم الفلك ، إلا من ناحيتي الأحجام والأبعاد ، فمن هو ياترى ذلك الذى حبس ذرات المادة طبقاً لهذا النظام البديع الذى يحير العقول ؟ ومتى وكيف جرى ذلك ... هذا هو الوضع العلى الآن لسؤال تعليل المادة . وإذا كان ثمت جواب ، فلن يكون إلا أن الحياة تعلل المادة ، أما المادة فلا تعلل الحياة ، بعد أن ثبت عجزها وقصورها حتى عن أن تعلل نفسها .

وإذا قلنا إن الحياة تعلل المادة ، فإنما نقصد الروح لأنها علة كل حياة فهى بالتالى علة كل مادة . ونقصد بالروح فى — النهاية — العقل الذى يتفاعل دوماً مع الإلكترونات المادة وبروتوناتها ، والتى تتمثل — ابتداءً — فى الجسم المادى على المستوى المادى وفى الجسم الأثيرى على المستوى الأثيرى . بل لقد تبين أن كل ذرة من ذرات هذا الكون تملك درجة من الذكاء الفطرى تمكنها من أن تعمل ما يعجز العقل البشرى أن يتفهم أسلوبه ووسائله وغاياته فى الحيوان والنبات والجماد على حد سواء ، حتى لقد أصبح الجسم الأثيرى فيما يبدو من خصائص كل جسم مادى بحسب رأى بعض العلماء مثل إدنجتون A. Eddington على ما بيناه آنفاً ، لأنه هو الذى يمسك ذرات المادة أى بروتوناتها وإلكتروناتها^(١) ، أما العقل فهو خاصية قد ميز الله بها الإنسان دون غيره من الكائنات الحية والجمادة . فهو مصدر ذاته الناطقة الواعية ، وهو جزء من الشعلة القدسية التى تصله بجوهر الحياة الكونية .

ثالثاً : أما من ناحية تقدم البيولوجيا (علم الأحياء) ، فقد كانت مبادئ البيولوجيا تعرف الخلية الحية وتعترف بها ، أما سر الحياة الكامن وراءها فقد ظلت لا تكبد نفسها عناء تعليله إلا بلفظة « الحياة » ، أى ظلت تعلل الشيء

(١) راجع ما سبق لى من ٣٤ — ٣٨ .

بالشيء نفسه ، وهو ليس تعليلًا ، بل هروباً من التعليل ، يشبه في الكثير محاولة الهروب من البحث فيما وراء المادة عند الماديين ، والهروب من التقدم هند الجامدين !

ولكننا نرى غصن شجرة ، ونلمسه ، ونعرف أنه يؤدي للشجرة وظائف هامة عاقلة ، خطتها مقدماً طبيعة عاقلة ، ومثله جذع الشجرة ، وجذورها ، وترتيبها التي تستمد منها بعض أسباب الحياة ، وما يحيط بالشجرة من هواء ومن ضياء ومن ماء ، فكل هذه الأشياء وظائف عاقلة محددة مقدماً ، لازمة للحياة في وجودها وفي نموها وفي ازدهارها وفي ذبولها وفي تطورها . ولكن قوانين المادة عاجزة تماماً عن أن تهيئنا عن تساؤلاتنا الهامة عن سر الحياة ... وهي كيف ؟ ولماذا ؟ وإلام ؟ وعلام ؟ ... وكيف جاءت الشجرة كلها — بغصنها وجذعها وجذورها — من بذرة ضئيلة الحجم والقيمة كانت تبدو بحسب مظهرها جسيماً مبنياً لا حياة فيه ولا أمل يرجى في حياة ؟ بل كيف تتحول البذرة الواحدة عن طريق الإنبات إلى بذور كثيرة ؟

ونحن نأكل بيضة دجاجة مكونة من مادة هلامية رخوة ، ولكننا نعلم جيداً أنها لو تعرضت لدفع معين لمدة معينة لتتحول ما فيها من مادة رخوة إلى كائن مزود بالحياة ، قابل للنماء ، متكامل الأعضاء ، يختلف تماماً عن المادة الرخوة ، لأنه يبصر ويسمع ، ويصبح ويحمر ، ويتنفس ويشعر ، فيحب ويكره ، ويطمئن ويخاف ، ويرضى ويغضب ، ويجوع ويشبع ، حين لا تفعل ذلك البيضة قبل وضعها في هذا الدفع العجيب الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي !

بل نحن نسير على التراب في احتقار تام له ، لفرط كثرته ، لكن هل يقدر العلم الحديث — بكل وسائله ومعداته — أن يصنع ذرة تراب واحدة من العدم ؟ وهل يقدر أن يهب ذرة التراب هذه الطاقة التي تمكنها من أن تؤدي وظائفها في إنبات النبات ، وبناء جسم الإنسان والحيوان ، ومن أن

تموج بكل أسباب الحياة التي تجعلها تصنع الحياة النامية المتطورة ، بل تصنع الوعى والأخلاق ، حسبما يذهب إليه نفس المذهب المادى فى تعليل الحياة ؟ ومثله إلى حد كبير المذهب الوضعى ؟

وإذا تأملت فى الإنسان وجدت عجباً يفوق ذلك بكثير . فبحسب المذهب المادى مصدر الإنسان « شىء » ، ضئيل الشأن لا يختلف كثيراً عن ديدان الأرض الصغيرة ، بل هو أضالها إطلاقاً لأنه لا يرى بالعين المجردة . ثم عملية تلقيح ، فانقسام سريع « للخلية الحية » . ولكن هل يعطى هذا القول أى تفسير لما يتمتع به الإنسان من عقل ومن إحساس ، وللركز الممتاز الذى وضعته فيه الطبيعة ؟ إن هذا القول قد يعطى تعليلاً للنمو وللنكاثرة ، ولكنه لا يعطى تعليلاً للعقل المخلوق ، الذى يكمن وراءه بالضرورة عقل خالق .

أما علم الروح فلا يجد فى هذا القول — قول تلقيح البويضة ثم انقسام الخلايا — سوى تعليل مبدئى لصنع الرداء الخارجى الذى يرتديه الإنسان ، وهو جسده المادى . أما « صاحب الرداء » فلا يزال بعد — بغير تعليل . إنه الروح الخالدة السابقة فى الوجود على الرداء ، لأن صاحب الرداء ينبغى أن يوجد أولاً ، ثم يبحث عن ردائه فيما بعد .

ولذا اتجهت كافة العقائد كما اتجهت الفلسفة العريقة — من قبل الأديان ومن بعدها — على أن خلق الروح سابق لخلق الجسد ، أو بالأدق أن الله يخلق الروح ثم تصنع الروح رداءها « هنا » و « هناك » . وهى تصنعه أبداً من « مادة » ، قد تكون تراثية وقد تكون أثرية ، ولكنها فى النهاية خاضعة للإحساس ولازمة للروح : لاعتقادها بهدف الارتقاء ، وللتعرف عليها فى المستويين المادى والروحى . ولكنها فى النهاية لا غنى عنها ، لأن العقل لازم للمادة ، كما أن المادة لازمة للعقل . وإذا كانت المادة التراتبية لا تناسب الروح ، حاملة العقل — عند ما تعود من المستوى الروحى الذى منه جاءت وإليه تعود — فينبغى أن تتخلى عن ردائها الذى جاء بدوره من

التراب وإليه يعود ، لأن هذا الفاسد (جسد الإنسان) لابد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت عدم موت . ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فيئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة ، (١) .

وهكذا كانت الخلية الحية معتبرة في الماضي مصدراً للحياة ، أما الآن فإن الاتجاه الصريح في البيولوجيا هو أن الحياة هي مصدر الخلية الحية لا العكس . لأن الحياة هي وحدها التي تعلل قدرة الخلية على أن توجد أولاً ، ثم قدرتها ثانياً على أن تنمو وتتكاثر وتعرف سبلها إلى اقتزاع غذائها من الأرض ومن الماء ومن الهواء — فتصنع لنفسها الرداء — وعلى أن تدافع عن نفسها ضد عوامل الفناء ، وعلى أن تتصرف بحكمة العقل الغريزي في كل شئونها ، أما لو قيل إنها هي مصدر الحياة لظلت هذه الأمور مسائل معلقة بلا جواب ولا ارتواء .

فالخلية الحية هي مجرد مظهر خارجي للحياة إذأ — وهي ملازمة للروح — وليست مصدراً لها ، كما أن الجسد المادى مظهر للروح ، وليس مصدراً لها ، حتى يقال إن الروح تقنى بفنائها وتبقى ببقائه .

* * *

هذا عن البيولوجيا من زاوية البحث في الخلية الحية ، وعننا من زاوية البحث في قانون التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي فقد كانت نظرية التطور — بوجه خاص — مؤسسة على أسس مادية صرف . وكان يخيل للعلماء في وقت من الأوقات أنه لا قيام لها إلا على هذه الأسس . أما الآن فقد أمكن تأسيسها على أسس تعترف بوجود عالم آخر لامادى وراء المظهر المادى للوجود ، وبقوى روحانية وراء التطور تدفعه للأمام ، وتأخذ بيده طبقاً لسنن محكمة لا تمت للمصادفة العمياء بصلة ما ، فظهر التطور بذلك أقوى سنداً

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥ : ٥٣ ، ٥٤) .

وأسمى حكمة ، وأشد وضوحاً ، وأخطر رسالة في الحياة مما كان في تصور بعض علماء التطور في القرن الماضي (١) .

وفي الباب المقبل سنبين كيف أمكن لسير ألفرد رسل والاس A. R. Wallace — وهو الذى أعلن نظرية التطور مع تشارلس داروين في سنة ١٨٥٨ — ويعتبر نداءً له في البيولوجيا — أن يتحول — بعد بحوثه في الروحية التجريبية واقتناعه بها — إلى مؤمن بهذا التطور الخاضع لنواميس روحانية . كما سنبين كيف أقام الفيلسوف العظيم برجسون نظرية « التطور الخالق » *évolution creatrice* على أسس روحية صرف . وهكذا انتهى عصر « التطور المادى » ، كما يبدأ في القرن الحالى عصر آخر للتطور الروحى الذى لا ينفى خضوع الإنسان لقوانين آلية ، لكنه ينبغى أن يعد بالآقل « آلة روحية » *Automate Spirituel* بحسب تعبير ولهم ، وبالتالي ينبغى أن يعد روحاً مسيطرة فيه على عنصره الآلى اللازم لوجوده فى المستوى الحالى للوجود .

رابعاً : تم جاءت بحوث فى شتى أنحاء العالم ، تحت وصف البحث الروحى *Psychical Reserch* وما وراء الروحى *La Métapsychique* والباراسيكولوجى ، ونجحت ابتداءً فى تحطيم قيمة المنح بوصفه مصدراً للعقل وفى تحطيم الخرافة القديمة التى كانت تتصور أنه لا قيام للعقل بدون المنح ، بعد أن تبين أن العقل يصلح مصدراً للمنح ، كما تصلح الروح مصدراً للمادة ،

(١) راجع فى المذاهب الروحية للتطور :

H. Bergson : L'Evolution Créatrice.

G. Geley : De l'Inconscient au Conscient 1919.

Henry Roger : Religion et Rationalisme 1937.

Viggo Cavling : The Collective Spirit 1925.

وله ترجمة انكليزية بمعرفة W. Worster

ومؤلف سير أوليفر لودج عن « التطور والخلق » (١٩٢٦) .

Evolution And Creation.

ولا يصلح المخ مصدراً للعقل كما لا تصلح المادة مصدراً للروح . وقد
أشرنا إلى آراء عدد من أحسن الفلاسفة والعلماء في هذا المعنى وبخاصة
كلود برنار^(١) وبرجسون^(٢) وریشيه^(٣) في فرنسا ، وهانز دريش في النمسا
ورايين في أمريكا^(٤) ، ويوجد غيرهم الآن علماء كثيرون من أرفعهم مستوى
وأعمقهم تفكيراً .

وقد نجحت هذه البحوث في إثبات ما يترتب على ذلك ، وهو إمكان
الإدراك عن غير طريق الأعضاء المادية extra-sensory perception ،
أى أن حواس الإنسان غير مرتبطة حتماً بأعضائه المادية ، وأنها أعظم
مدى بكثير مما كانت تصوره آراء فرويد وغيره من أقطاب المدارس
المادية في السيكولوجيا . وبالتالي نجحت هذه التجارب في إثبات عدم الارتباط
المحتوم بين الوعي والجسد المادى ، وهذا هو كل المطلوب لجعل الحياة بعد
الموت حقيقة يقع فيها عبء الإثبات على من ينفيها لا على من يثبتها ، على
ما لاحظته برجسون أعظم فلاسفة هذا القرن .

ثم نجحت هذه البحوث فيما هو أكثر من ذلك كله — وأشد خطورة
— وهو إمكان إنشاء صلات بين وعى الذين غادروا أجسامهم المادية
ووعى الذين لم يغادروها بعد ، وهذه هى رسالة الاسبرتزم الصوفى التى
احتضنها أخيراً العلم الروحى الحديث ، وتولت شئونها هيئات علمية جادة
أعلنت بكل وضوح وإصرار ، بعد بحوث طويلة شاقة ، مفرطة في مشقتها
ودقتها ، أن الحياة بعد الموت قد ثبتت علمياً عن هذا الطريق . فأصبحت هذه
البحوث الآن جزءاً من مناهج الدراسة ، ومن النشاط العلمى فى عدد من
أرقى جامعات العالم وأعرقها ، فضلاً عن الهيئات العلمية المنتشرة فى كل مكان
منذ نصف قرن بالآقل .

(١-٣) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٣٥٢ — ٣٥٧ و ٤٣٣ — ٤٣٧ وما سيجىء
عن برجسون فى الباب المقبل .

(٤) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ١٧٧ — ١٨٠ .

العلم الحديث بنجته نحو الإيمان بالله وبالخالق

فلا غرابة إذا كان العلم الحديث — في شتى فروع — قد أخذ بدوره يتجه اتجاهها واضحا وصريحا منذ أوائل القرن الحالى نحو الإيمان بالله تعالى وبالخلود كحقيقة مقررة يشعر بها القلب قبل العقل ، على ما لاحظته الفيلسوف الرياضى بسكال (Pascal (Blaise (١٦٢٣ — ١٦٦٢) .

وأصبح أحسن علماء المادة فى العصر الحالى هم أكثر الناس حديثاً عن الله تعالى وأعمقهم بياناً لمحكم آثاره فى الكون ، إلى الحد الذى يصدق عليه قول الأستاذ كريسي موريسون Cressy Morrison — الذى كان رئيساً للجمع العلمى بنيويورك — بأنه « كلما ازداد ضياء العلم سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً عظمة الخالق ، وبذلك صار الإيمان القائم على العلم يدنو بنا رويداً رويداً من معرفة الله » (١) .

* * *

وفى هذا الشأن يقول أينشتاين Einstein — أبو الرياضة الحديثة — إنه توصل إلى إثبات وجود الله تعالى بالمعادلات الرياضية ، وهو يحسب أن

(١) فى كتابه « الإنسان لا يقف وحده » Man Does Not Stand Alone وقد نقله إلى العربية الدكتور محمود صالح الفاسكى وكيل وزارة المالية والاقتصاد سابقاً تحت عنوان « العلم يدعو للإيمان » .

ومن أفضل الكتب العربية فى تعريف القارىء بموقف العلوم الحديثة من الإيمان المستنير كتاب « البينة على الله فى كون آخذ فى الاتساع » The Evidence Of God In An Expanding Universe الذى ظهر فى سنة ١٩٥٨ ، وهو يتضمن آراء حوالى ثلاثين من أبرز العلماء الأمريكيين المعاصرين فى أسباب إيمانهم بالله تعالى ، وقد جمعها القس جون كلوفر مونسم John Clover Monsma ، وترجمها إلى العربية الدكتور الدمرداش عبد الحميد سرحان تحت عنوان « الله يتجلى فى عصر العلم » وراجعها وعلق عليها الدكتور محمد جمال الدين الفندى . وفيما بعد سنقدم مقتطفات سريعة من بعض هذه الآراء .

ومن الكتب الطيبة أيضاً فى هذا التعريف « وثائق للأستاذ عباس محمود العقاد وهما « الله » و« عقائد المفكرين فى القرن العشرين » . وكتاب « إرادة الاعتقاد » للفيلسوف وإلياس جيمس وقد نقله إلى العربية فى جزئين الدكتور محمود حب الله .

ومنها كتاب « مع الله فى السماء » للدكتور أحمد زكى مدير جامعة القاهرة سابقاً .

الإيمان به على أنه « ذات » ، بقية من تشبهات الأديان الأولى . كما يؤمن أينشتين بعالم آخر غير عالم الشهادة « ويقول إن الإنسان الذي لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم الآخر ولم يشعر نحوه بالروعة هو حي حكمه حكم الميت . ولب الديانة عنده أن نعلم أن الذي لا تنفذ إليه بمداركنا هو موجود حقاً ، متجل حقاً ، يطالعنا بالحكمة العليا والجمال الرائع ولا تحيط عقولنا الكلية منه إلا بأشكال بدائية كالظلال » (١) .

كما يقول أيضاً عن الدين « إن ديني يتألف من إعجاب متواضع بالروح الأعلى غير المحدود الذي يكشف عن نفسه في تفصيلات بسيطة تستطيع عقولنا الواهنة الضعيفة أن تدركها ، فهذا الاقتناع العاطفي العميق بوجود قوة عاقلة عظمى تكشف في ذلك الكون غير المفهوم — يكون عندي رأي في الله » .

ويقول « إن أجمل عاطفة وأعماقها يمكن أن نمارسها إنما هي شعورنا بالحنى الغامض . هذه العاطفة هي التي تبذر العلم الصحيح كله . وذلك الذي لا يحس بهذه العاطفة ، والذي لا يستطيع بعد ذلك أن يدهش ويحني هامته احتراماً فإنما هو شخص ميت . ولأن نعرف أن مالا يمكن أن يستقصى منا موجود فعلاً ، مظهر نفسه بأنه الحكمة العليا والجمال البالغ التائق — وهما ما تستطيع قرائحنا البليدة أن تدركهما حتى في أقصى صيغهما البدائية ، هذه المعرفة أو هذا الشعور هو مركز الدين الحق » . كما يقول أيضاً « إن الإيمان هو أقوى نتائج البحوث العلمية وأنبأها » (٢) .

(١) عن الأستاذ العقاد في مؤلفه « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٩٨ وهو يحيل القارئ إلى كتابين لأينشتين أولهما « الدنيا كما أراها The World As I see » وثانيهما كتاب « من سنواتي الأخيرة Out Of My Later Years » .

(٢) راجع كتاب « الكون والدكتور أينشتين » لمؤلفه الدكتور لانسكولن بارث Lincoln Barnett وقد قرطه لأينشتين مقدمة وضعها له . ونقله إلى العربية الأستاذ محمد عاطف البرلق في تحت اسم « العالم وأينشتين » في مجموعة اقرأ رقم ١٦٤ عدداً أكتوبر سنة ١٩٥٥ . وبالفرنسية راجع كتاب « أينشتين والكون » Einstein Et L'Univers تأليف شارل نوردمان Charles Nordmann بمترصد باريس .

ويقول سير آرثر تومسون Arthur Thompson عالم الطبيعة المعروف « ليس للعقل المتدين أن يأسف اليوم لأن العلم الطبيعي لا يخلص من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة ، إلا أننا خلقاء أن نغتنب لأن العلماء الطبيعيين قد يسروا للنزعة الدينية أن تنفس في جو العلم حيث لم يكن ذلك يسيراً في أيام آباءنا وأجدادنا . . . فنحن نقرر عن روية أن أعظم خدمة قام بها العلم أنه قاد الإنسان إلى فكرة عن الله أنبل وأسمى . ولا نجاوز المعنى الحرفي حين نقول إن العلم أنشأ للإنسان سماء جديدة وأرضاً جديدة ، وحفره من ثم إلى غاية جهده العقلي ، فإذا به في كثير من الأحيان لا يجد السلام إلا حيث يتخطى مدى الفهم ، وذلك في اليقين والاطمئنان إلى الله . . .

ثم تساءل تومسون « ألا يمكن أن يستعين العلم بالدين ؟ » فقال إنه يشك أن يسمع جواب هذا السؤال من زملائه بالنفي القاطع ، ولكننا ينبغي أن نفهم أن العلم للحياة وليست الحياة للعلم ، وإذا كان عمل العلم المباشر أن يفهم فعله غير المباشر أن يزيل الشرور ويزيد الطيبات . ومن الشعور الديني يستمد العالم ثروة حية هي نعم المدد للبصيرة في الكشف عن المجهول ، ثم اختتم كلمته قائلاً مامعناه إن الإنسان يحمل حاجته إذا وضع الدين أمام العلم موضع المناجزة وقال لنفسه إما هذا وإما ذاك . فالعلم الذي نحن على يقين منه أننا بحاجة إلى مزيد من العلم ومزيد من الدين ،^(١)

ويرى سير آرثر إدنجتون Arthur Eddington العالم الرياضى المعروف « أن تفسير الكون بالحركة الآلية أمر لا يسيغه العلم الحديث ، وأن الكون أخرى أن يفسر بالنسب الرياضية في عقل عاقل ، ولكن الإنسان هو سر الكون الأكبر ، وهو الذى يدرك هذه النسب ويدرك ما بين عقله وعقل الكون من علاقة وثيقة ، وأنه إذا جاز للحركة الآلية أن تخلق في المستقبل إنساناً آلياً فليس مما يجوز في العقول أن نتخيل ذلك

(١) عن « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٩٣ ، ٩٤ .

الإفسان سائلا عن الحقيقة أو مبالياً بأسباب الحق والباطل . ولكن هذا الشوق إلى الحقيقة هو لب لباب الحياة ، وهو هو محور الوجود الإنسانى منذ نجم من صلب هذه الطبيعة : هذا هو الذى يجعل الإنسان شيئاً مغايراً كل المغايرة لما حوله من الظواهر الطبيعية ويجهله قوة روحانية . . . ومتى ارتفعت الصيحة من قلب الإنسان : فيم- كل هذا ؟ لم يكن جواباً صالحاً لتلك الصيحة أن ننظر إلى هذه التجارب التى نتلقاها من حسنا ونقول : كل هذا هو ذرات وفوضى ، وهو كرات نارية تحوم وتحوم إلى الفضاء المحتوم . . . كلا . بل الأحرى أن نفهم أن كل هذا وراءه روح يستوى الحق فى محرابها وتكن فيها قوا بل لتنمية الذات ، بمقدار ما فيها من النزوع إلى تلبية عناصر الخير والجمال . . . (١).

ويقول أيضا العالم الفلكى الطبيعى سير جيمس جينز James Jeans إن الكون كان فيما مضى بمثابة آلة كبرى فأصبح الآن فكرة كبرى بعد أن عرفت حقيقة المادة . كما يستدل بالنسب الرياضية على وجود الله ، لأننا لم نستخرج هذه النسب من الكون بل استخرجناها من عقولنا ، فلما عرفناها وطبقناها على ما حولنا عرفنا أنها كانت موجودة عاملة قبل أن نهتدى إليها وتترقى إلى مراقبة عملها فى نواميس الكون والحياة . فحق لنا أن نفهم أن هذه الحقائق الرياضية هى حقائق عقل إلهى أودعها أفكارنا ، كما أودعها هذه العوالم من حولنا

* * *

وعندما مثل فرانك ألن Frank Allen عالم الطبيعة البيولوجية والأستاذ بجامعة مانيتوبا Manitoba بكندا عما إذا كانت نشأة العالم مصادفة أم قصداً أجاب بما تلخيصه « إن نظرية المصادفة والاحتمال تقدمت كثيراً من الوجهة الرياضية حتى أصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث الظواهر التى نقول إنها

تحدث بالمصادفة ولا نستطيع أن نفسر ظهورها بطريقة أخرى (مثل قذف الزهر في لعبة النرد) . وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين ما يمكن أن يحدث بطريق المصادفة وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة ، وأن نحسب احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في مدى معين من الزمان ...

إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون والهيدروجين والنتروجين والأكسجين والكبريت . ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة . ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين جاي بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تنهياً عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة ١ إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات .

ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ... وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيميائية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها

الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لا ندرك من كنهه شيئاً .
إنه العقل اللانهاى ، وهو الله وحده الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته
أن مثل ذلك الجزىء البروتينى يصلح لأن يكون مستقراً للحياة فبناه وصوره
وأغدق عليه سر الحياة ، (١) .

كما قرر روبرت موريس بيج Robert Morris Page عالم الطبيعة
« لا بد لنا أن نسلم بما يسلم به الكثيرون من أن قدرتنا على الملاحظة
لا تستطيع أن تمتد لغير جزىء ضئيل نسبياً من الحقيقة الكلية . فالإله الذى
نسلم بوجوده لا ينتمى إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن
تدركه . وعلى ذلك فمن العبث أن نحاول إثبات وجوده باستخدام العلوم
الطبيعية لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة . فإذا لم يكن للإله وجود
مادى فلا بد أن يكون ذلك الإله روحانياً . أو هو يوجد فى عالم من الحقيقة
غير ذلك العالم الفيزيقي على أية حال ، وبذلك فإنه لا يمكن أن تحده تلك
الأبعاد الثلاثة ، أو أن يكون خاضعاً لقيود الزمان التى نعرفها . ولا بد أن
نسلم أن هذا الكون المادى الذى يخضع لقيود الزمان والمكان ليس
إلا جزء يسير من الحقيقة الكبرى التى ينطوى عليها هذا الوجود ، (٢) .

وقرر جون كليفلاند كوثران John Cleveland Cothran أستاذ العلوم
الطبيعية بجامعة كورنل Cornell ودالاث Duluth ومينيسوتا Minnesota
وغيرها « قال لورد كيلفن — وهو من علماء الطبيعة البارزين — هذه العبارة
القيمة ، إذا فكرت تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد
فى وجود الله ، ثم أضاف كوثران « ولا بد أن أعلن عن موافقتى كل
الموافقة على هذه العبارة . إن ملاحظة هذا الكون ملاحظة تقوم على الخبرة
والذكاء وتدبر ما نعرفه عنه من جميع النواحي سوف تقودنا إلى التسليم

(١) من « الله يتجلى فى عصر العلم » ص ١١ ، ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥ .

بوجود ثلاثة عوالم من الحقائق هي : العالم المادى (المادة) والعالم الفكرى (العقل) والعالم الروحى (الروح) (١) .

وقال إدوارد لوثر كسيل Edward Luther Kessel أستاذ علم الأحياء بجامعة سان فرانسيسكو ، لما كانت الحياة لا تزال قائمة ، ولا تزال العمليات الكيماوية والطبيعية تسير فى طريقها ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ، وإلا لاستهلك طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فى الوجود . وهكذا توصلت العلوم — دون قصد — إلى أن لهذا الكون بداية . وهى تثبت بذلك وجود الله ، لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدىء أو من محرك أول ، أو من خالق هو الإله ، (٢) .

وذهب والتر أوسكار لاندبرج Walter Oscar Lundberg عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية وعميد معهد هورمل Hormel Institute إلى أن إيمان الإنسان بالله ينبغى أن يقوم على ما تدل عليه الظواهر الطبيعية والسنن الكونية ، لكن ينبغى أن يقوم إيمان الإنسان بالله فوق ذلك وبالإضافة إليه على أساس روحانى وأساس من العقيدة والتسليم . فالإيمان بالله مصدر لسعادة لا تنضب فى حياة كثير من البشر . أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلهيهم متعة كبرى يحصلون عليها كلها وصلوا إلى كشف جديد فى ميدان من الميادين ، إذ أن كل كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ، ويزيد من إدراكهم وإبصارهم لآيادى الله فى هذا الكون (٣) .

وقال بول كلارنس إبرسولد Paul Clarence Aebersold عالم الطبيعة الحيوية ، قال الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون منذ أكثر من ثلاثة قرون « إن قليلا من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد ، أما التعمق فيها فيرده

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦ .

إلى الإيمان ، . ولقد كان يكون على صواب فيما ذهب إليه ... إلى أن يقول
أبرسولد « إننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمزج بين الأدلة العلمية
والأدلة الروحية . أى عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المتسع إلى
أقصى حدود الاتساع، المعتقد إلى أقصى حدود التعقيد، مع إحساسنا الداخلي
والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذى ينبعث من أعماق نفوسنا ، (١) .

ويرى جورج إيرل دافيز George Earl Davis رئيس قسم البحوث
الذرية بالبحرية الأمريكية ببروكلين « أن التطور الذى تكشفت عنه العلوم
فى هذا الكون هو ذاته شاهد على وجود الله ، فمن جزيئات بسيطة ليس
لها صور معينة ، وليس بينها فراغ ، نشأت ملايين من الكواكب والنجوم
والعوالم المختلفة التى لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة يعجز
العقل البشرى عن إدراك مدى إبداعها . وقد حملت ذلك كل ذرة من ذرات
هذا الكون ، بل كل ما دون الذرة مما لا يدركه حس ولا يتصور صغره
عقل ... ولكن هناك ما هو أشد إعجازاً وأكثر دلالة على وجود الله .
فمن تلك الجزيئات البسيطة لم تنشأ النجوم والكواكب فحسب ، بل نشأت
كذلك أنواع متطورة من الأحياء ، بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر
وتخلق أشياء جميلة ، بل هى تبحث عن أسرار الحياة والوجود . إن كل ذرة
من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وتدل على وجوده حتى دون
حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها بنفسها (٢) .

وقال إرفنج وليام كنوبلوك Irving William Knobloch أستاذ العلوم
الطبيعية فى جامعة ميتشيجان « إننى أعتقد فى وجوده سبحانه لا تنى لا أستطيع
أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات
والبروتونات الأولى ، أو الذرات الأولى ، أو الأحماض الأمينية الأولى ،

(١) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

أو البروتون بلازم الأول ، أو البذرة الأولى ، أو العقل الأول . إننى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها (١) .

وقال كلود م . هاتاواى Claude M. Hathaway العالم فى الآلات الكهربائية والطبيعية للقياس ومصمم أحد العقول الإلكترونية : إننى أسلم بوجود اللاماديات لأننى أشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادى . إن فلسفتى تسمح بوجود غير المادى لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية . فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول إليه ، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمت أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها .

وقد أدرك سير إسحاق نيوتن أن نظام هذا الكون يتجه نحو الانحلال وأنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته ، ووصل من ذلك إلى أنه لا بد أن يكون لهذا الكون بداية ، كما أنه لا بد أن يكون قد وضع تبعاً لتصميم معين ونظام مرسوم ، وأيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة ، وقد وجد أنه عند حدوث أى تغيرات حرارية فإن جزءاً معيناً من الطاقة الميسورة يتحول إلى الطاقة غير الميسورة ، وأنه لا سبيل إلى أن يسير هذا التحول فى الطبيعة بطريقة عكسية ، وهذا هو القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية

ومعنى ذلك بطريقة أخرى أن الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها ، لأن كل تحول طبيعى لا بد أن يؤدى إلى نوع من أنواع ضياع النظام أو تصدع البناء العام . وفى بعض الحالات قد يسير النظام من البسيط

إلى المركب ، ولكن ذلك لا يتم إلا على حساب تصدع أكبر للتنظيم والترتيب في مكان آخر .

إن هذا الكون ليس إلا كتلة هائلة تخضع لنظام معين ، ولا بد له إذن من سبب أول لا يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ولا بد أن يكون هذا السبب الأول غير مادي في طبيعته (١) .

وقال واين أولت Wayne U. Ault أحد علماء الجيولوجيا وعضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية : كما أن الإيمان بمعناه الواسع يعتبر أمراً ضرورياً وجزءاً طبيعياً بالنسبة لوجود الإنسان فإن الإيمان بالله يعد كذلك لازماً لا كتمال وجود الإنسان وتتمام فلسفته في الحياة . ورغم أن بعض ميادين الخبرة الإنسانية غير مادي ، فإنها ميادين حقيقية لا شك في أمرها ، وتترتب عليها نتائج هامة في حياة الإنسان . وقد لمس مئات الآلاف من الرجال الأذكى ذوى الشخصيات السليمة المتزنة نتائج الاتصال بالله والإخلاص في عبادته ، لمسوا هذه النتائج في أنفسهم ، وكان إيمانهم بالله سبباً في قضاء حاجاتهم النفسية والانفعالية والروحية بطرق لا تستطيع أن تحيط بكنهها عقولنا ، بل عقول البشر جميعاً

لقد ذكرنا أن اعتقاد وجود الله لا بد أن يقوم على الإيمان ... وتؤكد هنا أن الإيمان الذي نقصده هو الإيمان البصير وليس الإيمان الأعمى ، أى الإيمان الذى يقوم على العقل والتدبر . وقد آمن كثير من الناس بالله فذاقوا حلاوة الإيمان في أنفسهم وفي قلوبهم ، بل في العالم المادى الذى تهتم العلوم بدراسته (٢) .

وأما بول إرنست أدولف Paul Ernest Adolph عضو جمعية الجراحين الأمريكية ومؤلف عدة كتب في رسالة الطب فقد قرر : لقد أيقنت أن

(١) المرجع السابق ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

علاج الحقيقى لابد أن يشمل الروح والجسم معاً وفي وقت واحد... ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي في الله هما الأساس الذي ينبغى أن تقوم عليه الفلسفة الطبية الحديثة... لقد وجدت أثناء ممارستي الطب أن تسلحي بالنواحي الروحية إلى جانب المسمى بالمادة العلمية يمكننا من معالجة جميع الأمراض علاجاً يتسم بالبركة الحقيقية. أما إذا أبعد الإنسان ربه عن هذا المحيط، فإن مجاولاته لا تكون إلا نصف علاج، بل قد لا تبلغ هذا القدر (١).

أما اندرو كونواي أيفي Andrew Conway [vy عالم الطبيعة، ورئيس قسم الفسيولوجيا بجامعة نورث وسترن والأستاذ بكلية الطب، فقد ذهب إلى أن «الاعتقاد بوجود الله هو الوسيلة الفكرية الكاملة الوحيدة التي تجعل لهذا الوجود معنى». وهذا الاعتقاد هو الذي يجعل لوجود الإنسان معنى أكثر من أنه مجرد كتلة من المادة أو الطاقة. والاعتقاد بوجود الله هو المنبع لاسمي فكرة إنسانية حول المحبة، والقاعدة التي تقوم عليها الأخوة بين البشر بسبب اجتماعهم على محبة الله وطاعته، وهو مصدر إحساسنا بالحقوق والواجبات، لأننا لا نتساوى إلا في نظر الحب والعدالة والرحمة المطلقة. والاعتقاد بوجود الله هو الحصن الذي يعصمنا من الشرور، وهو بعد ذلك الأساس المتين الذي يقوم عليه الإيمان وتدوم بسببه القيم الروحية التي يعتبر وجودها رهيناً بوجوده تعالى...

إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول إن الله موجود، كما أن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول إن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله، واسكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل. وأحياناً يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه

(١) المرجع السابق ص ١٣٨، ١٤٠.

الحالة أن يستند شكك إلى أساس فكري . ولكنني لم أقرأ ولم اسمع في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده ، تعالى . وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، كما لمست بنفسى بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين ، وما يخلقه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين . . .

إن اعتقادي بوجود الله الذى خلق كل شيء والذى يوجد داخل الكون وخارجه ، والذى يرعاني ويرعاك ، يقوم أولاً على استخدام العقل ، ثم يقوم بعد ذلك على الإيمان والامل والمحبة . فأنا لا أستطيع أن أمتلك الإيمان والامل والمحبة إلا إذا كانت كلها قائمة على أساس العقل . ولا يجوز للإنسان أن يتخلى عن عقله ، بل لابد من استخدامه استخداماً دقيقاً قوياً . والإيمان الذى لا يسبغه العقل يعتبر إيماناً ضعيفاً هزيباً ، ويكون عرضة للهجمات الفتناء والهزيمة الساحقة .

والإيمان الدينى الذى لا يقوم على العقل يودى إلى الأخلاق السيئة والسلوك الشائن ، ولذلك ينبغى ألا يتخلى الإنسان عن عقله أبداً ، ولا عن المبادئ الفكرية التى تقوم عليها الأعمال والأفكار التى يستخدمها الناس في حياتهم اليومية ، والتى يقوم عليها جميع ما أحرزه علوانا من انتصارات في الميادين العلمية . . . فإذا كان التفكير هو وسيلة التقدم المادى فلماذا لا يكون كذلك وسيلة للتقدم الروحى والخالق ؟ . . .

لقد درست صفات الله دراسة مطولة على أساس من التحليل المنطقى الذى قام به الفلاسفة . وأمكن باستخدام المنطق الوصول إلى أن لله صفات معينة ، وفيما يلى مجموعة كاملة منها : الله أبدي - خالد - لطيف (ليس مادياً) - ليس حادثاً - قدوس - طيب - يعلم الشر ولكنه ليس شريراً ولا يريد الشر - لا يكره الأشياء - حق - عليم - محب - مريد - منزه عن الشهوات والنزوات - أصل الفضائل جميعاً . . .

ثم يقول أيضاً : وقد اقتضى التفكير والتاريخ أن أهمية القيم الروحية والخلقية بالنسبة للإنسان ترجع إلى اعتقاده أو عدم اعتقاده في شخصية مقدسة تمثل السكّال المقدس وتوجه سلوك الإنسان . إن عقولنا تكشف عن وحدة الكون ونظامه وعن مبدأ السببية . ولكن هذه الأشياء وحدها لا تكون الدين ، أولاً تكون ديناً ثابتاً إلا عندما يسمح لها بأن تؤثر في حياتنا اليومية على أساس من الحرية في اتخاذ القرارات ، وصدق العبادة لله ، والأخوة بين البشر .

فإذا كنا نريد أن تبقى الحياة على سطح الأرض محافظة على ما عرف عنها في الماضي من سمو فإننا نحتاج إلى توجيه مقدس . فالأحزان والأمراض والكوارث التاريخية تثبت لنا أن الأخلاق والحق والعدالة والرحمة والحرية قد تفقد معانيها وتؤدي إلى حياة ذليلة خسيسة مالم تكن متصلة بإيمان عملي ، أو قائمة على أساس . . .

وأعود فأقول هل الأخوة بين الناس اتفاق مادي يقوم على أساس أن القوة وحدها هي التي تحدد سلوك الأفراد والجماعات ، أم أن هذه الأخوة ترجع إلى اشتراكنا في عبادة الله ؟ وأي المصدرين يهيئ لها بقاء أطول ودواماً أدام ؟ وهل ترجع حرّيتنا إلى حرية الروح ، حرية اتخاذ القرارات وحرية العقل ، أم هي مجرد اتفاق مادي له صبغة اجتماعية ؟ (١) . . .

* * *

وفي هذا الصدد يتحدث أيضاً إدmond W. Sinnott . سينوت وهو عالم في النباتات وأستاذ بجامعة هارفارد وبعدد من الجامعات الأمريكية الأخرى ، ورئيس مجلس إدارة الجمعية الأمريكية ، لتقدم العلوم ، في مؤلفه

عن « حياة الروح » ، قائلا : « إن المادية تقضى بأن البدن هو صاحب السيادة المطلقة وأن الجزء اللامادى فى الإنسان يتخذ منه مطية . . . غير أن البدن والعقل إذا كانا نابعين من أصل واحد فكيف نستطيع أن نقضى بأيهما يسيطر على صاحبه؟ و؛ يقتضى هذا رأى يكون منطقياً أن ننظر إلى العقل - أو النفس - بأنه الأقوم الأعلى منهما . وربما كان الجزء المادى حاصلًا من الروح . لقد كان شارلس كنجسلى أول من تصور أن النفس تفرز البدن كما يفرز الحلزون صدفته . وصور إدمند سبنسر هذا المعنى بطريقة شاعرية .

« من النفس يصدر البدن ، لأن النفس صورة وبها البدن يتصور ، .

أقل ما فى الواحدة التى ندافع عنها من نتيجة أن المادة ليست سيّدة الموقف . فإذا كان فى تضاعيف التكون مبدأ منظم فقد لا يبعد أن يحل فى كل منا جزء منه هو النفس ، لا مجرد شكل عابر موقوت يتناول الذرات والجزئيات والكميات ، بل جزء من روح أزل كوني . إن النفس هى أرفع مستويات تلك المقومة الهادفة التكاملية التى هى الحياة . إن هذا افتراض جليل ككل افتراض آخر من شأنه أن يعلل لنا حقائق كثيرة تظل بغيره فاقدة المعنى ، وحتى فصل إلى مزيد من المعرفة لطبيعة المشكلات التى لم نفرغ من حلها ، تلك المشكلات التى تزدهم من حول كل شىء تجرى فيه نسمة الحياة ، فلا ينبغي أن نتعجل إلى إنكار احتمال صحتها ورسوخها . . .

ثم يقول سينوت : نسلم بأن للإنسان روحاً هو أسمى وأرفع ما يدبر به هن تلك الممكنات المتضمنة فى تضاعيف المادة الموات . . . ونسلم بأن هذا الروح فى مقدوره أن يولد حساسية فائقة نحو ما هو جميل وحق وخير ، ونسلم بأنه جدير منا بالحب والاحترام ، وأن من حوله ، على ما تحاول حركة التجديد الحديثة ، يمكن استحداث جو من الإيمان بالإنسان ، وتقديس لما يمكن أن يكون منقلبه من بعد ، حتى لا يبعد أن يتشكل ذلك فى صورة دين يعتنقه الكثيرون . إذا سلينا بجميع ذلك إذن نتساءل :

آية علاقة قد تقوم بين هذا الروح وآخر أعظم وأشمل منه يغمر الكون الخارجى ؟

لقد تكفل الدين بأن يقفز هذه النفزة الواسعة من روح الإنسان إلى الروح الأعظم : إلى الله . إن سلطان الدين وما يضمنى علينا من توكيد وسلوى إنما يقوم جميعاً على الاعتقاد بأن الحقيقة الجوهرية فى الطبيعة هى الروح (١)

كما سئل المهندس الكهربائى شارل ب . شنيتمز ما لون البحث الذى سوف يعاصر أكبر تقدم فى الخمسين السنة القادمة ؟ فأجاب قائلاً : « أظن أن أجل اكتشاف سيكون فى الأمور الروحية التى يخبرنا التاريخ بجلاء أنها كانت أكبر قوة فى تنشئة البشر ، مع أننا كنا فقط نلعب بها ولم ندرسها بكيفية جدية كما فعلنا بالقوى الطبيعية . ولكن سيأتى اليوم الذى يعلم فيه الناس أن الأشياء المادية لن تجيء بالسعادة ، وأنها عاجزة عن الوصول بالإنسان إلى الإبداع والقوة . وحينذاك سوف يوجه العلماء تجاربهم نحو دراسة الله والصلاة والقوى الروحية التى لا يعرفون عنها إلا النذر اليسير ، وحينما يأتى ذلك اليوم سوف يشهد العالم تقدماً فى جيل واحد بين ما رآه فى الأجيال الأربعة السابقة ، . . . »

* * *

ولا نريد أن نسترسل فى سرد هذه الآراء الصريحة وإنما يكفى أن نخيل القارئ إلى هذا الكتاب الرائع وهو « الله يتجلى فى عصر العلم » ، فهو حافل بعشرات من الأقوال العلمية المدروسة التى تعبر عن أسانيد الإيمان العلمى المستنير بالله تعالى وبالروح من لفيف آخر من أفضل العلماء المعاصرين .

(١) عن The Biology Of The Spirit . ترجمة عربية للأستاذ اسماعيل مظهر عنوانها « حياة الروح فى ضوء العلم » من ١٨٥ — ١٨٧ .

وإنه لما يدعو الأسى أنه في العصر الذي يعود فيه جل علماء المادة إلى تفسير الكون - بكل ظواهر الحياة فيه - بقوانين روحية ، إذ يقول البعض تبدو أميل إلى التعالق بالتفسير السطحي الذي كان يبدو في وقت ما مستنداً إلى أوليات علوم المادة عندما كانت في مهدها ، بل لعلمها كانت لم تصل إلى المهد بعد .

والإيمان بالحياة بعد موت الجسد المادى متمم للإيمان بالله وبالروح ، ولقد تبين على مر العصور وجود تلازم تام بين هذين النوعين من الإيمان . فعندما ازدهرت مدارس إنكار القدرة الخالقة في وقت من الأوقات ازدهرت معها مدارس إنكار حياة الإنسان بعد الموت والإصرار على القول بفنائه بسبب فناء الجسد .

ولما ازدهر الإيمان بالخلود ازدهر معه الإيمان بالقوة الكونية العظمى التي هي وراء كل خلود ، لأنها تمثل بذاتها هذا الخلود ، كما تمثل تحقيق العدالة المطلقة عن طريقه ؛ وقد عبر عن هذا المعنى الأستاذ مال كولم جرانت Malcolm Grant في مؤلف له عنوانه «حجة جديدة لإثبات الله والخلود»^(١) ، عندما لاحظ أنه ، إن لم تكن للإنسان حياة أخرى فقد يتعذر الإيمان بإله يعنى بسعادة خلائقه ، وبما أكثر الذين يعفون من الشقاء المرهق ، ولكنهم يقصرون في الذكاء أو الخلق أو الخلقة أو الأغراض التي كانوا يحرصون على تحصيلها لو كانت حياتهم مقصورة على أمدها القصير في الدنيا .

وهكذا ازدهر الإيمان بالخلود في عصرنا الحالى ، كما ازدهر به ومعه الإيمان بالله ، وكان ازدهارهما على أسس علمية مستنيرة بالنظر إلى تقدم العقل في المعرفة ، هذا التقدم الذي لا ينكره إلا من قد يتصور الجود علماً والغباوة عرفاناً .

وقد يوضح ذلك أن نذكر أيضاً أنه عندما سئل روبرت بروم Robert Broom عضو الجمعية الملكية البريطانية عن عقيدته بوصفه رجلاً

علمياً ، أجاب بأنه منذ نحو عشرين سنة (وكان ذلك حوالى سنة ١٩٣١) اهتم بعضهم بأن يبحث عن الآراء المادية التى شاعت فى الدوائر العلمية.. هل لا تزال على نفس شيوعتها القديمة؟ فثبت أن نسبة ضخمة من أعضاء الجمعية الملكية أجابت بصيغة جازمة بأنها تؤمن بمملسكة الروح ، وبالعناية الإلهية المهمة ، وبقاء الشخصية بعد الموت . وظهر أن عدداً آخر من الأعضاء لم يفصح عن رأيه ، أى لم ينسكرك ، مما يشير إلى توافر الشك عندهم أو التردد الذى قد يكون أول خطوة فى طريق الإيمان^(١).

دور الروح فى هذا الازم براه العلمى

فإذا كانت بعض المعرفة بعلوم الحياة قد شيدت دعائم هذا الإيمان المستنير بالعناية الإلهية ، وبالعالم الروح ، وبقاء الشخصية بعد الموت ، فما بالك ببعض المعرفة بالروح وبيعض الفهم لحقيقة عالم الروح ؟

فلا غرابة أننا إذا ما انتقلنا إلى علماء المادة الذين أتيح لهم الاتصال بالظواهر الروحية لبحثها وتحقيق صحتها ، والذين أمكنهم أن يربطوا بينها وبين علمهم المادى ، وجدنا لهم بدورهم حديثاً عميقاً عن الإله تعالى فى جليل قدرته وعظمته ، وعن وجوب الإيمان به ، وتعزيز الصلة به عن طريق العمل الصالح ونقاء الضمير والصلاة المخلصة .

وكذلك الشأن أيضاً فى الفلاسفة الذين اتصلوا عملياً ببحث الظواهر الروحية وتحقيق صحتها ، فإنهم انتهوا إلى فلسفة رائعة سداها الإيمان الوطيد بالله وبالخلود ولحمتها توطيد الصلة به عن طريق الضمير اليقظ وإرادة التسامى بالروح . ونقصد بهؤلاء أمثال وليام جيمس فى أمريكا وهنري برجسون فى فرنسا . وذلك بالإضافة إلى فلاسفة الروحية الصرف ومفكرىها

(١) راجع ص ٢٩ من مجموعة

Modern Spirit Towards Philosophy Of Faith, 1951.

التي جمعتها السيدة برbara وايلين Barbara Waylen وهي باحة فى الأمور الروحية .

من أمثال فلاديمير وكاردك وليون دنيوز وجابريل ديبلان في فرنسا ، ودويل وستيد وهانن سوافر وإيفانز وباربائل وبول برنتون وغيرهم في إنجلترا ، وإلى الوسطاء الكبار الذين مهدوا الطريق أمام البحوث العلمية فيها من أمثال سويد نيرج في السويد ، وأندرو جا كسون دافيز وهيدسون تاتل في أمريكا وغيرهم كثيرين .

وغير هؤلاء هؤلاء هناك كثيرون يعدون الآن بالمشات ، وهم موزعون على جميع أنحاء العالم ، نجد لهم بدورهم حديثاً عميقاً عن الإله تعالى في عظيم حكمته ورحمته وقدرته ، وتقام فيه الأدلة متماسكة مدروسة على وجوده على نحو كافي بأن يعيد إلى حظيرة الإيمان المستنير من خيل إليهم أن بمقدورهم الخروج عليها والتمرد على سننها باسم العلم والمعرفة ، حتى لكان الروحية الحديثة ليست سوى حقائق تعد الإنسان - كما يقول ديكارت - إلى الرجوع إلى نفسه ، وإلى تعرف مرتبته في الوجود بين إله القدرة السامية وبين موضوعات العلم وحقائقه . فعندما يعرف الإنسان مركزه هذا يستطيع أن يصبح فيلسوفاً ، لأن الفلسفة ليست إلا معرفة الإنسان لذاته والله . . .

من أقوال الأرواح عن الله تعالى

فإذا تركنا أقوال هؤلاء وأولئك إلى ما تقوله الأرواح الراقية بدورها عن هذه القوة الكونية العظمى التي تمسك مقاليد الحياة والخلود لوجدنا فلسفة بسيطة شديدة الوضوح والترابط في فهمها والتعبير عن آثارها ، فلا يعرف الإلحاد إليها سبيلاً ، وليس لمدارس الإنكار أو الشك فيها متسع بعد ، حتى كأنها تقول كما قال رسكن : إن ذلك الذي يقدم الله المكان الثاني لا يقدم له مكاناً ماء . فهي تريد بتعاليمها أن تضع الله في المكان الأول من قلوبنا وتجعل من صلتنا به جزءاً من صلتنا بالحياة التي لا تعرف الموت ، ولا تعرف بإمكان حصوله ، لأن الله بدوره حي لا يموت .

وتستوى في ذلك رسائل الروح جوليا Julia (١) مع حكمة سيلفر بيرش Silver Birch (٢) مع فلسفة أجاشا Agasha (٣) مع تعاليم زودياك Zodiac (٤) وأفرا Aphraar مع آراء هوايت هوك White Hawk (٥) مع إرشادات فنياس Pheneas (٦) مع مخطوطات كليوفاس Cleophas (٧) مع نظريات إمبراتور Emperor (٨) مع أفكار هوايت إيجل White Eagle (٩) مع أشعار باشينس وورث Patience Worth (١٠)، مع غير هامن الأرواح الراقية التي أصبح الحديث عن جمال فلسفاتها ومبادئها على ألسنة الناس في كل مكان .

وهي عندما تتحدث عن الإله تعالى في صفاته غير المحدودة إنما تتحدث في ثقة تامة وفي بلاغة رائعة . « فإله ظاهر في كل شيء — يقول أجاشا — بعليه . . بقدرته . . بإرادته . . بصفاته . . بحياته . . وما ظهر الله في شيء كظهوره في الإنسان . فالإنسان يمتاز حتى عن الشمس في تأدية رسالة الخير لأنه محب للخير مفسكر في فعله ، فعال له بإرادته الخيرة . » كما يقول « اعلم أن روح الله الكلية تملأ الوجود ، وأن روحك قبس منها . . » . كما يتحدث عن

-
- (١) الوسيط هو سير وليام ستيد .
 (٢) الوسيط هو الكاتب المعروف موديس باربايل (راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٤٩) .
 (٣) الوسيط هو القس ريتشارد زينور (راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٢٨) .
 (٤) الوسيطة هي السيدة وينفريد موز Winifred Moyes .
 (٥) الوسيطة هي السيدة كاتلين باركل Kathleen Barkel .
 (٦) كانت هذه الروح تتولى الإرشاد في جلسات سير آرثر كونان دويل (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٣٨ — ٢٤٣) .
 (٧) الوسيطة هي السيدة جيراالدين كاميتز (راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٥٢ — ٢٥٤) .
 (٨) الوسيط هو الأسقف ستاثون موزس (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٦٣ — ٢٦٥) .
 (٩) الوسيطان هما السيدتان برتا هورست Bertha Hurst وجريس كوك Grace Cooke .
 (١٠) الوسيطة هي السيدة كارن Mrs. Carren .

الله تعالى بوصفه المذيع الأكبر ، فكل ما تلقته المخلوقات العاملة من علوم وآداب وفنون وفلسفات صدر أولا من هذا المذيع الأكبر الذى علم الإنسان ما لم يعلم ... وكل ما أسماه علماء النفس والروح من أفكار راقية وخواطر ليس إلا إذاعات الخالق تسجلها عقولنا كأجهزة ضئيلة للاستقبال فلا تدع إلا الأفكار الخيرة التى تعود على المجتمع بالمنفعة . لو فعلت ذلك لكافأتك الأرواح بموجات نورانية مباركة ... (١).

من أقوال جوليا

كما تقول الروح جوليا Julia فى إحدى رسائلها الجميلة لوسيطها سير وليام ت. ستيد: « لا يوجد شيء فى الوجود أكثر صدقا وحياة وانتشاراً من القول بأن الله والمحبة مترادفان ، وأنت عندما تكره لئى سبب — أولا تحب — فإنك تطرد الله من حياتك . فإذا كانت لدى رسالة واحدة أبعث بها إليك فهى رسالة المحبة .

إذا كنت تريد أن تتشبه بالله فاحبب ، وكل شيء تحبه إنما يقربك خطوة نحو السماء ، وكل شيء تكرهه إلى الحد الذى يمنعك من حب أى إنسان يبعدك خطوة عن الله .

ولكن حتى إذا غضبت وسخطت فإنك لست مع الله إذا جعلت الغضب والسخط ينسيانك واجب الهم بالمعتدى ، قد تعاقب المعتدى لكن عاقبه فى محبة ، فإذا كنت تريد أن تعاقب ، وكان الألم الذى تحدثه بخصمك يسعدك فاحذر فإنك خارج نطاق المحبة ، ومعنى ذلك أنك بعيد عن جوهر الله .

وليس معنى ذلك إفساد الناس ، فكن عادلا ، وعادلا إلى آخر مدى ،

(١) راجع ما سبق من هذه الروح ووسيطها فى الجزء الأول ص ١٢٨ وهامشها ، وما سبق فى هذا الجزء ص ٣٦ - ٤٣ عن بعض الآراء الحديثة لعلماء المادة فى هذا المعنى ، وهو معنى وجود العقل الكونى العام الذى يذم كل علم ومعرفة وإلهام .

فلا تهمل معاقبة ابنك لأنك تحبه ، مع أن الألم الذى تنزله به تشعر به أنت أولاً ، وهكذا فإنك لا يمكن أن تعاقب إنساناً عقاباً عادلاً إلا إذا أصاب الألم قلبك أنت أولاً .

وكل مرارة ، وكل شهوة للانتقام ، وكل قسوة فى القلب ، تدفعك إلى عدم الإحساس بالألم الذى قد توقعه بغيرك ، كل ذلك ضد المحبة وبالتالى ضد إرادة الله .

إن الحب الذى يفسد الطفل قاس كالكرهية ، فهو حب أنانى . فينبغى أن تضرب بمحبة ، والمحبة تشعر بالضربة قبل أن تصيب المضروب ، فهى تتألم أولاً وتشعر بالقدر الأكبر من الضربة . وهذا درس واحد من الدروس العديدة التى نتلقاها من صفات الله تعالى . . .

إن أعظم شئ وأجمله وأهمه عندما يقارن بغيره — فيبدو غيره عدماً — هو أننا عن طريق هذا الذى تسمونه موتاً نقرب من الله أكثر من ذى قبل ، ونتحقق من وجوده ، ومن حياته فينا ومن حياتنا فيه . وكل ما يمكننا أن نقوله عبارة عن رموز باهتة وقاصرة .

أى صديق : إنك لا يمكنك أن تعرف ، ولا يمكنك أن أزعم أبداً أنى بدأت أوضح لك ، ما فى التحقق من محبة الله لنا من عظمة ومن مجد ومن شعور غير متناه . هذا الشعور الذى نحيا فيه ، وفيه نتحرك ، ومنه نستمد وجودنا . كم كنت أود أن أجعلك أكثر قدرة على الشعور به ، وأن أكون أكثر قدرة على شرحه .

ولكن لا يمكنك أن أقول أكثر من أن هذا الحب أعظم من أى حب حلمت به ، وأنه يتجاوز بكثير كل ما حاولت أن أشرحه لك فى خطاباتى الأولى . إن كل ما تعرفونه من الحب الأرضى هو حب الأم لوليدها ، أو العروس لعريسها ، أو الزوج لزوجته . إن كل صنوف الحب التى تعرفونها مع ما فيها من نشوة العاطفة ليست أكثر من ألف باء لغة السماء .

وبقدر ما يكون حبكم مثالياً غالياً من الانانية بقدر ما تفهمون الله وتضعونه في داخلكم فيتحقق الأمل المجيد ! ألا ما أعظم أيجاد الشمس الشارقة بجانب الشعاع الرمادي الباهت الذي يسبق الشروق ؟ إنه كذلك أيضاً الفارق بين حياة المحبة التي نحيها والحياة التي تحيونها ، فيما خلا لحظات الإلهام الخاطفة السامية عندما ينبض قلبكم بالنشوة المقدسة التي يولدها الإلهام والتفاني في الحب ... (١)

من أقوال هرايت هوك

كما تقول الروح هوايت هوك White Hawk (أى الصقر الأبيض) :
« إن رسالتى هى مساعدة الإنسان على إدراك الله في دخيلة نفسه ، وإلى أن يصل إلى هذا الإدراك فهو غير عليم بإمكانياته . سوف أقول تيقظ أيها الإنسان وطالب بارتك السماوى ، لأن في دخيلتك القوة التي توصلك إلى مملكة السماء .

أعتقد أن في الإنسان بصيرة تمكنه من تفهم أسرار الحياة والموت ، وفيه القوة التي تمكنه من التغلب على المرض والفقر والانهيار ، أعتقد أن الإنسان إذا ما توصل حقاً إلى إدراك ذاته سوف يكون مخلوقاً بديعاً ، ولكن كيف نخبر رجل الشارع بذلك ؟ إنه لن يستطيع الفهم ... »

من أقوال ليتارى

وتقول روح الدكتور ليتارى Lotari المرشد للوسيط الى Lilly المعالج المعروف في نفس الانجاء أيضاً : « إذا سعيتم للقاء الرب فالرب يستطيع أن يأتى كما يقابلكم ... هناك حياة ليس إلا . كل شيء ما هو إلا حياة . الحياة قوة والقوة هى الروحية ، والروحية هى إحساس الإنسان للإنسان . إن الألوهية هى الوعى الإلهي في الإنسان ، وهذا معناه نزول السماء إلى الأرض ... »

(١) « بعد الموت » أو خطابات من جوليا من ١٠٤ - ١٠٦ . وراجع ما سبق من هذه الروح ل الجزء الأول من ٢٣٢ وما بعدها .



الدكتور ليتارى

« إن صلاتكم تكون أفضل
عندما تنسون أنكم تصلون . ينظر
الإنسان إلى هنا وهناك باحثاً عن الله
ناسياً أنه تعالى كائن في داخله .

الجسم الطاهر معناه الفكر
الطاهر ، لأن الأفكار الشريرة
تسبب المرض . كما تكون غنياً
في عالم الروح لا يلزمك أن تؤمن
بالله فحسب ، بل عليك أن تؤمن
بنفسك وروحانيتك أنت . القدرة
الروحية محكومة بالطهارة والقوة
والفهم من جانب نفسك . القداسة
معناها وجود الله في الإنسان ، والقدرة معناها وجود الله في الإنسان، وعلى
هذا تكون القداسة معناها القدرة (١) .

من أقوال نودياك

ويقول الروح زودياك Zodiac في خطاب ألقاه في قاعة الموسيقى بادنبره
في سنة ١٩٥٧ عن طريق الوسيطة الأنسة وينفريد مويز Winifred Moyes :
« إن الله خلق الإنسان على صورته . وهذا حق مبين مهما يقل في ذلك
العلماء . ولكن على مر الزمان وبسبب سوء استخدام حرية الاختيار ، فإن
الإنسان قد فقد صورة الله وأصبح شيئاً نصفه روح والنصف الآخر وحش .
بل وجد أناس سقطوا أسفل سافلين ، ليس على هذا الكوكب فقط ، وإنما
في عوالم أخرى أخذت النفس فيها طريقها — وجد أناس سقطوا بعيداً
جداً عن تلك المخلوقات التي أبدعها الله أول خلقه بحيث أصبحوا في صورة
أحط من الوحش نفسه .

(١) عن «أرواح مرسله» للدكتور على عبد الجليل راضي من ٧٩ .

إذا صليتم لله فإنه يسمعكم في الحال ، ولكن الإجابة على الصلاة تأتي على درجات سلم من مخلوقات الله . لأن الله يريد أن ينال بركته كل واحد بمثلا في تلك الحلقات ، بركته على الخدمة ، وعلى علاج الآخرين ، تلك البركة التي تعني أن القوة الإلهية تزود هؤلاء العاملين كما تزود المستحقين ...



زودباك

« إن الذين يسوا من الأرواح إنما كانوا يتعاملون مع أرواح مرتبطة بالأرض . ولقد كان الفشل

متوقفاً لأن الوسطاء نسوا أن يصلوا . نسوا أن يبحثوا عما يحب الإله الذي كان من الممكن بالتأكيد أن يبني حولهم وقاية ضد النفوس الشريرة التي عليها أن تتعلم الكثير .

إننا هنا محاطون بمضيفين من الأرواح ، بأقربائكم ، بآباء من عصر آخر ، بأطفال جميلة تسير معي ومعكم . عمّ يبحثون ؟ إنهم يريدون أن يدخلوا في عقولكم أن معظم النهار قد انقضى ، وأن الليل سادل أستاره ، ولكن الليل يقود إلى الفجر الإلهي البديع . فإذا جاء الفجر هل تفتتح أعينكم على سجل من الماضي الثافه ؟ أم تفتتح على الطريق المضيء ؟ ... ، (١) .

من أقوال أفرار

ويقول أفرار Aphraar الروح المرشد للأستاذ روبرت جيمس ليز Robert James Lees : « لقد كان فضل الله على أكثر مما كنت أتصور ، وكانت الحياة الأخرى مختلفة جداً عما كنت أتوقع . ولهذا فأنا كبشر قد وجدت نفسي عاجزاً عن الصمت ، عندما أدركت أن الصمت ليس مقروضاً علي ، وأن

العطف على الإنسانية والشكر لله يجعلاني أخلد للراحة قبل أن أعمل كل ما في وسعي من التبشير بكرمه تعالى ، ذلك الكرم الذي يفوق كل ما تتصور وما نقدر ، والذي يوجد في تلك الحياة التي تنتظر مباشرة خلف ضوء الشفق الخفيف الذي يظهر في لحظة الانفصال عن الجسد . إن الله الذي كنت أتوقع أن أقف أمام كرسي عدالته لأجده قاسياً لا يغفر كان حقاً أعظم من أي أب ، لم أصمت وحالماً وجدت العودة ممكنة والعوائق الطبيعية مزاحة أجبت رغبة قلبي ، ونشرت على العالم رسالتي الأولى اعترافاً بالجميل (١) . .

من أقوال إمبراتور

كما يقول إمبراتور Emperor — الروح المرشد للأسقف ستانتون موزس — الأستاذ بجامعة لندن — في مؤلفه « تعاليم أخرى للروح » (٢) :

« إننا نتحدث عن الفكرة الصحيحة عن الله ، ليس ككائن شخصي ، إنساني في صفاته فيما خلا القدرة ، ليس كإنسان مجيد ، بل كروح مهيمنة على الجميع وسائدة على الكون . والإنسان على استعداد الآن كيما يتلقى فكرة أكثر اتساعاً عن الله . وأنا أقدم إليكم إلهاً اسمه المحبة التي لا تحدّها حدود ، أما فكرة « الإله الشخصي » فقد كانت نتاج عبادة الإنسان لذاته التي سادت في وقت ما في الجنس الإنساني ، وتصحيح مثل هذه الأخطاء جزء من رسالتنا .

إن الله ليس شخصاً ، ولا يجلس على عرش في مكان معين ، بل يسود كل مكان وزمان ، ويرشد الجميع ويحبهم ، بينما يتصوره الإنسان — عندما يكون

(١) من « خلال الضباب » Through The Mists
(٢) More Spirit Teachings.

في جسده — محدوداً بحدود، أما الله — بقدر ما عرفناه — فهو ليس شخصية
دات حدود

والصلاة حسنة ، لأنه عن طريقها يحرك الإنسان قوى يعمل الله عن
طريقها ، فمن الخير للجميع أن يصلوا ، والروح البليدة التي لا تصلح لا يمكن
أن تصل إلى سفراء الملائكة ، لأن سفراء السماء تجذبهم الأرواح المصلية .
فمن جانب ، علينا أن نتحاشى الخطأ المدمر الذي يحاول أن يختزل الإله
إلى مجرد « قوة » . ومن جانب آخر علينا أن نحذر من أن نضفي على الإله الوهم
الذي يصوره بصورة إنسانية بكل سقطاتها واحتياجاتها ، ولطفها التي لا تشبع
للسلطة .

في الأيام المبكرة صنع الإنسان إلهاً لنفسه ، طاغية بشرياً ، أسوأ
بما يقدر الإنسان نفسه أن يكون . أما الله الحقيقي فهو المرشد ، والروح التي
تتابع ، وتزودكم بالضوء والمحبة اللذين يمنحان الجمال لكل ما هو حولكم .
فالله ليس مجرد قوة ، ولا هو الكائن الموضوعي الذي تسمونه الطبيعة .
فحاولوا أن تفهموه وتنظروه بوصفه الروح التي تلهم والتي تسود كل شيء ،
وكلمة الآب هي الفكرة الصحيحة . الطبيعة ليست هي الله ولكنها تعبير
عن القدرة السامية ، كما أن اليد ليست هي الجسد ، ولكنها تعبير عن القدرة
التي تنتمي إلى الجسد .

وإن أكثر الأفكار زيفاً عن الآب العظيم شاعت بين أبنائه ، فنظروا
إليه في الماضي كإله غضوب لا يستعطف إلا بالدموع وبالعويل . كإله يحد
نعيمه في أن يلقي بأبنائه في تعاسة أبدية . أما الإله الذي نعرفه — لا الإله
الذي تخيله — فهو إله محبة كاملة وغالدة ، تحتضن الطالح والصالح . إله
يتطلع بعطف نحو جميع أولاده ولا يعرف بينهم تمييزاً بسبب الجنس أو
الطقس ، ولكنه خنون ومحيب لكل من ينادي اسمه .

آه لو أمكن الإنسان أن يرى كما نرى حبه الذي لا يهدأ والذي يميل نحو

أشد أطفاله تدهوراً وتعاسة ويعزهم . وكيف أن فرقاً من الملائكة تحوط حقيقة أولئك الذين يحبهم ، وآه لو أمكن لأعين بنى البشر أن تتفتح كما ترى الهواء من حولهم وقد امتلأ بفرق من الكائنات المشرقة ، لمست ييقين شغاف قلوبهم ، ولا رفعت أصواتهم بالتعجيد والدعاء .

فهل لقلب الإنسان المتحجر الذى أغلق تماماً عن الإحساس بالتأثير الذى يحىء من على أن يشعر بإشعاعات شمس الحقيقة ، وأن يطلق صيحة التعجيد لو اهب كل شيء ، إله المحبة الكلية ؟ .

من أقوال سيلفيريث

كما يقول سيلفيريث Silver Birch الروح المرشد للكاتب الكبير موريس باربانيل Maurice Barbanell وسيط جلسات هانن سوافر H. Swaffer نقيب الصحفيين البريطانيين^(١) فى إحدى صلواته المشهورة^(٢) :
« أيها الروح الأعظم إننا جميعاً نرغب فى أن نكون عبادك المخلصين لننشر صدقك وحكمتك وحبك وفهم قوانينك الطبيعية الخالدة . نود مخلصين أن نعرف أطفالك مكانهم فى ملكوتك اللانهاى ، حتى يمكنهم أن يعثروا حقاً على أنفسهم ، ويتعلموا كيف يستخدمون القوة التى أنعمت عليهم بها فى عالم مملوء بالظلام والمرارة والحزن والبغضاء . نرغب فى بيان الصدق البسيط عن الحقائق الروحية التى تقوم عليها دائماً الأسمى الخالدة للعدل والخير والجمال . غرضنا هو تعليم الذين ضلوا سبلهم ، الذين لا يعرفون أين يجدونك ، أنك موجود فى داخلهم ، وأن الروح اللانهاية تقيم بين هياكلهم ، وأن ملكة السماء فى الباطن حقاً ، ملكة السرور والسعادة ، ملكة الحكمة والفهم ، ملكة التسامح والبر » .

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) هذه صلاة من بين عدد من الصلوات التى أدلى بها سيلفيريث والتى تعبر عن نفس مشاعره الراقية وعن إيمانه العميق ، ومشهورة فى كتاب عنوانه « إلى الروح الأعظم »

To The Great Spirit.

(م ٢٥ — الإنسان روح: ج ٢)

« نحن نرغب في الوصول إلى كل الخزان والمهمومين ، المرضى والمكرويين ، الشكلى والمجهدين والمتعبين والمنكودين الذين لا يعرفون أين يتجهون للإرشاد والفهم حتى يتحققوا أنك لم تتركهم وحيدين ... رسالتنا تشمل العالم المادى جميعه ، لتمييز بين كل الناس الذين يسكنونه ، ونؤكد أن روحك تسرى خلال كل طبيعة بشرية ، وفي كل صيغة في الكون الجبار وأنها تظهر في كل ذرة من الشعور .

وبمعرفة الصديق سوف يأتى سلام جديد يوقظ قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم ، ويجعلهم يعيشون لبعضهم البعض خادمينك بخدمتهم لأطفالك أينما يكونون . »

ويناقش سيلفرييرش كيفية فهم بعض الناس لله تعالى على أنه يشبه ملكاً أرضياً جالساً على عرش من مادة منظرة قائلا :



« مازالوا متعلقين بأفكارهم عن إله على هيئة بشرية . إن القانون يسرى ويتدخل ويظهر في كل ناحية من الحياة . والقانون لا يعمل خلال الحب فقط إذ يشمل البغضاء أيضاً . القانون يتحكم في شروق الشمس وفي العاصفة . القانون يعمل خلال الصحة والمرض . هل يريدون شكر الله على شروق الشمس ، ولا يشكرونه على المطر ؟ ... »

سيلفرييرش

« الروح الأعظم هو القانون

الذى يتحكم في كل حياة . لا شيء يمكنه أن يوجد خارج ذلك القانون طالما علمت ذلك . وما تسمونه البغضاء ما هو إلا تعبير عن نفس غير

متقدمة . النفس داخل القانون . وفي وقت ما يأخذ الفرد الاتجاه الخاطئ .
وبهذا يبرز أقل صورة من صفة ، إذا ما استخدمت على وجه صحيح كانت
هى الحب . الحب والبغضاء يسيران جنباً إلى جنب لأن الصفة التى تساعدك
على إظهار الحب هى الصفة التى تستخدمها فى التعبير عن البغضاء . إن الحياة
تعمل خلال المقارنة ...

إذا سكنت إلى الأبد تحت أشعة الشمس فإنك لن تقدر الشمس .
إنك تقدر الشمس لأنك تسكن غالباً فى الظل . كذلك الحياة ، أنت تفهم
السعادة لأنك ذقت المرارة . تستمتع بالصحة إذا ما عرفت قسوة المرض ،
فنفس الصفة التى تجعلك مريضاً هى التى تجعلك صحيحاً ، ونفس الصفة التى
تجعلك تحب هى التى تجعلك تكره . لا شئ يمكن التعبير عنه خارج القانون
الذى يتحكم فى كل طور من الحياة ...

وإنكم إذا حددتم يوماً لفظ الروح الأعظم ، فالروح الأعظم لن
يكون بعد ذلك الروح الأعظم . سيكون روحاً ذا خصائص ، روحاً
محدوداً ، إذ أن طبيعة الروح الأعظم هى أن يكون لانهاية قادراً على كل
شئ ، لا يتغير ولا يتبدل ، لا يتوقف عن العمل خلال نفاذ القوانين
الإلهية ...

ماذا على أن أفعل ؟ لقد تعلموا منذ زمن بعيد أن الله يوجد فى الخير
والسبب البسيط هو أنهم صوروا الروح الأعظم كإنسان ضخم ، وبذا فهم
لا يريدونه أن يحمل أية صفة يظنونها غير حسنة ، غير رحيمة
أو غير عاقلة .

إن الروح الأعظم ليس بشراً . الروح الأعظم هو القانون الذى يتحكم
فى كل الحياة ، وبدون القانون لا توجد حياة . القانون هو الروح والروح
هى القانون ، لا يمكنكم تغيير ذلك . قد يخلق هذا مشكلات لطولاء الذين
لا يستطيعون فهمه ، ولكن بالتقدم سوف يأتى الفهم ويتغير القول بأن

الروح الأعظم يعطيكم الأشياء الحسنة والشيطان يعطيكم الأشياء السيئة ،
لأنكم سترجعون ثانية إلى نفس الورطة القديمة وهى من الذى خلق
الشيطان ؟ ...

الروح الأعظم هو القانون. اعرفوا ذلك، وعندئذ تتعلمون السر الأعظم
للحياة . لأنكم إذا ما تحققت مرة من أن العالم محكوم بقانون لا يتغير ولا
يتبدل ولا يتحطم قادر على كل شيء عرقتم أن العدالة سارية ، وأنه لا يمكن
أن ينسى أحد في تدبير الخليقة العظيم ... (١).

تعليق

وهذا الفهم من بعض الأرواح لمعنى الجلالة قد يبدو أقرب إلى حقائق
الاعتقاد والعلم مما من تصوير الإله على صورة ذات أو ملك يجلس على عرش
في رقعة مامن هذا الكون الهائل الاتساع . فقد أجمعت العقائد على أن الله
روح أو محبة أو نور على نور ، أو هو « نور السموات والأرض »
ولم تجمع في أية صورة من الصور على أنه جسم مادي . ومن ثم فإننا نحيا
في الواقع في الله عندما نعرف كيف نحيا في هذا الروح أو النور أو القانون
الأزلي الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولذا كانت الحياة خالدة لأن الله روح خالده
لا يموت ، أو نور لا ينطفئ . كما اتضح أيضاً من حقائق الفلك والفيزياء
مجتمعة بحقائق الرياضة أن اتساع هذا الكون غير محدود ، أو محدود لكن
قطره يقاس ببلايين السنين الضوئية (٢) .

وروح الله تعالى تملأ هذا الكون كله في جميع الأديان والفلسفات
وتهيمن على كل كبيرة وصغيرة فيه طبقاً لنواميس محكمة غاية الإحكام. ولذا
يصفه سيلفرييرش « بالقانون الذى يسرى ويتدخل ويظهر في كل ناحية من
الحياة... والذى يتحكم في كل حياة... » . كما يرفض أى تحديد لطبيعته ، إذ أن
طبيعته أن يكون « لا نهائياً قادراً على كل شيء لا يتغير ولا يتبدل... »

(١) من « سفير الأرواح العليا » للدكتور راضى ص ١٨٢ - ١٨٦ .

(٢) راجع ما سبق ص ٤٧ - ٥٢ .

وذلك كله متفق مع كافة العقائد ، وكلها تقوم على التسليم بصفاته غير المحدودة التي لا يحدها حد ولا يقيدنها قيد من مكان ولا من زمان .

وهذا الفهم أقرب أيضاً إلى عقول العلماء عندما يدافعون عن هذه القدرة الكونية غير المحدودة التي انبثقت منها الحياة — ولا تزال تنبثق — بكل قوانينها المخيرة ، ما وصل منها إلى علم الإنسان ، وما لا يزال سرّاً مغلقاً عليه .

كما أنه أدعى إلى توثيق صلة الإنسان بخالقه ، وشعوره بأنه إلى جواره وأقرب إليه من نفسه فإذا دعاه فهو سميع الدعاء مجيب . . . ولذا قال بحق أحد الحكماء إنه « بالرغم من عظم تدبير الأكوان وجسامته فإن الله جل جلاله معنا هنا دائماً ، هنا حولنا ، هنا فينا . إنه أقرب للأخ من أخيه ، أقرب من الأم إلى رضيعها ، أقرب من الحبيب إلى حبيبه . أقرب إليكم من قلوبكم ، من دمائكم ، من عقليكم . إن الروح دائماً معكم فتشجعوا ولا تخوروا عن أئمتكم . . تعلموا أن تعرفوا أن الله فيكم وفي جميع الآخرين ، وأنكم من الضرورة له بمكان ضرورته لكم ، لأنكم جزء من فكرته ومشيبته . تعلموا أن الحياة في كل شيء واحدة ، وافتحوا قلوبكم لفيض الحب الإلهي والحكمة العلوية ، فكونوا راغبين في النور . تقدموا وازدهروا ... » (١) .

وذلك ينتقل بنا إلى موضوع مكمل للإيمان بالله تعالى وهو موضوع الصلاة والابتهاال .

في الصلوة والابتهاال

لا تقتصر تعاليم الأرواح الراقية على تعزيز الإيمان بالله وتثبيت عمده على أسس روحية علمية مفهومة ، بل إنها تطالب الإنسان — كما رأينا في أقوالها الصريحة — بالصلاة الحارة ، وتتطلب فيها أن تكون صلاة إيجابية

(١) عن « فلسفة اليوجا » المرجع السابق ص ٣٥٠ .

منبعثة عن القلب لا عن اللسان، عن عميق محبة وعن قوة إيمان . وتؤكد أن صلاة هذا شأنها تقدر على تلقي العون فوراً ، وعلى تحقيق ما نسميه هنا بالمعجزات ، ويسمونه هناك تطبيقات لقوانين الله العادلة التي لم نعرف منها بعد سوى النزر اليسير .

فإيمان العقل أو الضمير لا يكفي ، بل لابد من صلة وثيقة بالله تعزز هذا الإيمان وتنبع منه ، هي صلة الصلاة أو الضراعة أو الإبتهاال أو الدعاء أو التوسل إليه في أية صورة يستريح إليها ضمير الإنسان ويطمئن إليها وجدانه .

وفي هذا الصدد تتحدث الروح الفرعونية نونا التي عاشت في مصر تحت حكم أمنحوتب الثالث (بين سنتي ١٤٠٦ ، ١٣٧٠ قبل الميلاد) على لسان الوسيطة الشهيرة روزماري قائلة عن الحرب والسلام من ناحية صلتها بالصلاة ولقد أثارت الرغبة في خلق السلام موجة من الكراهية عند ذوى العقول الغليظة في عالمكم . لا يمكن أن تحدث عندكم حرب ما لم تنطلق قوة الشر التي قد تتغلب بعض الوقت على قوة الخير .. معظم زعمائكم لا يعرفون الصلاة ، ولو علموا أية قوة هي بين أيديهم لصلوا دائماً . إن الصلاة هي الصلة المباشرة التي بواسطتها يمكن أن تنفتح في أية لحظة صنابير كل القوى العالمية التي يسيرها الله لتنفيذ أغراضه .

إلى أن تقول « إن قوة الفسك في عالمكم اليوم تكون سحبا واسعة تمنع كل أشعة الضوء الصادرة من العقل والرحمة وحب البشرية (كان هذا قول بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٦) وليساعد الله دنياكم إذا لم يبرز ينبوع للقوة يمكنه الاندفاع عالياً .. » (١)

* * *

(١) عن كتاب «روح فرعونية تسكلم» تأليف الدكتورين هوارد هولم H. Hulme (عالم في التاريخ الفرعوني) وفردريك وود F. Wood وترجمة الدكتور علي عبد الجليل راضي ص ٩٤ .

وهذه الصلاة بدأ بعض علماء المادة مثل العالم الطبيب ألكسيس كاريل Alexis Carrel — الحائز على جائزة نوبل في سنة ١٩١٢ ومدير معهد روكفلر بباريس والمشرف على عدد من معاهد العلاج — يعطيها قيمة عظيمة في العلاج والشفاء ، بل في حياة الإنسان ، فيجعلها ألزم لها من الماء والهواء . فإذا به بعد أن حقق بنفسه حالات متعددة من الشفاء المعجز في قرية لورد Lourdes عند الحدود الفرنسية الأسبانية يضع رسالة مشهورة عن الصلاة يقول فيها : « وليس من الضروري لحدوث ظاهرة الشفاء المعجز أن يصلي الإنسان لأجل نفسه . فقد شفى أطفال صغار لم يتكلموا بعد كما شفى أناس لا يؤمنون في لورد لأن بجوارهم إناساً يصلون لهم . وكثيراً ما كانت الصلاة لغير صاحبها أنفع من صلاته لنفسه ، وإنما تستمد الصلاة فعلها من عمقها وخلصها » .

كما يقول كاريل في تعريف الصلاة ، إن الصلاة على ما نرى تسام في النفس إلى أوج اللامادية من الدنيا . وهي — على أكثر ما تكون — شكاية أو ابتهاج أو صرخة أو استغاثة . وهي في بعض الأحيان تأمل خالص في أصول الوجود ومصادره . ويصح أن يقال إنها ارتفاع بالروح إلى المقام الإلهي عنواناً للتوجه بالحب والعبادة إلى ذلك الذي صدرت منه الأعجوبة التي هي الحياة

كما يقول : والشعور بالجانب المقدس من هذا الوجود حالة لا تتفصل من حالة الخشوع الذي يلزم الصلاة . فلا صلاة مع الابتذال والجشع والتهافت على اللبانات ، وإنما الصلاة تطلع مع الحب وفزع مع الثقة . وهي بهذا نوعان : مناجاة وابتهاج . ومن الجهل أن يقال إنها أشبه شيء بأن يطلب لإنسان من الله أن يخل بنظام الكون ، ويغير الأسباب والمسببات ، لأن المصلي وعقائده وملهماته جزء من نظام الكون ، وسبب من الأسباب التي يحيط بها علم الله . .

ثم يختم رسالته قائلاً : « والخلاصة أن الشعور بالقداسة مع غيره من قوى النشاط الروحاني له شأن خاص في الحياة لأنه يقيمهنا على اتصال بأفاق الخفاء الهائل من عالم الروح . وبالصلاة يسمو الإنسان إلى الله ويدخل الله سريره . وهي على ما نرى ضرورة لا غنى عنها لنمو الإنسان في أرفع حالاته . ولا ينبغي أن ننظر إليها كأنها عمل لا يلجأ إليه غير الضعاف والمتسولين والجنباء ، كما قال نيتشه إنها شيء مخجل . فإ الصلاة بأدعى إلى الخجل من الشرب والماء والتنفس ، وإن الإنسان ليجتهد إلى الله حاجته إلى الماء والأكسجين . وهذا الشعور بالقداسة إلى قرائنه من الشعور بالبصيرة والحاسة الخلقية وذوق الجمال وضيء الفهم — هو تمام الازدهار والنضج للشخصية الإنسانية . وبما لا جدال فيه أن استيفاء حياتنا يتطلب منا أن ننمي كل نشاط فينا يشمل الجسد والذهن والعاطفة والروح ، وما الروح خلو من العقل ولا من العاطفة . فمن واجبتنا إذن أن نحجب جمال العلم وجمال الله . . . »

وقد كانت رسالة الصلاة هذه — على حد تعبير المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد — زبدة آراء هذا العالم الطيب في مسائل العقيدة وأجمع منها لأرائه كتابه عن « الإنسان . هذا المجهول » وهو في بابه أجراً كتاب كتبه عالم باسم الطب والعلم في مسائل العقيدة والروح ، لأنه أعلن فيه أن النظر إلى الإنسان كأنه آلة جسمية هو خطأ طبي أو خطأ علمي . . . وختمه بنداء إلى ذوي الرأي والبصيرة كأنه توسل في محراب ناشد هم فيه ، أن يعتقوا ضمائرهم من ربة المكون المادي الذي بناه لهم الطبيعيون والفلكيون ، ولما كنا لا نزال غائمين في الدنيا التي خلقتها علوم المادة الميتة غير ملتفتين إلى عوامل النمو والكمال التي في نفوسنا ، بين جدران دنيا لم تخلق لنا لأنها من صنع الخطأ في تفكيرنا والذهول عن حقيقتنا . ومثل هذه الدنيا لا يمكن أن تلائمنا ونلائمها ، فلا مناص لنا من الخروج عليها وأن نبدل قيمها ونعيد نشأتها وفافاً لمطالبنا الصادقة .

وإن هذه العلوم الإنسانية اليوم لتخولنا أن ننمى كل قوة كامنة في أجسامنا . فنحن نعلم الأسرار الآلية في وظائفها وفي ملكاتها القليلة ونعلم من ثم مواطن ضعفها ، كما نعلم كيف تخطينا أوامر الطبيعة ، ولماذا عوقبنا وضللنا في الظلمات ، ولسكننا على هذا نبصر خلال الضباب قبساً من الفجر خليقاً أن يهدينا سبيل النجاة ... »

هذا هو ما يقرره كاريل في كتابه المعروف « الإنسان هذا المجهول » والذي يقرر الأستاذ عباس محمود العقاد في شأنه أنه « قد جاء في إبانته فتجاوبت به الأندية العلمية والدينية سنوات ، وقيل إن وطأته على مذاهب الإنكار قد حملت دعائها على تطويقه بسد خفي من المصادرة فوقفت نشره عند حد محدود » (١) . فإذا كانت مذاهب الإنكار لم تنطق كتاباً واحداً يعتبر ضربة موجبة لها ، فهل يمكن أن تطبق أمهات المكتتب الروحية ، وأى منها قد يصدق عليه نفس هذا الوصف ؟

بل إن الروحية الحديثة تحارب في الواقع في جبهتين في وقت واحد : جبهة مذاهب الإنكار هذه ، وهي تأتي أن يفترض إنسان — حتى مجرد افتراض — وجود الروح ودوام الحياة بعد الموت ، وجبهة مذاهب الجحود التي تأتي أن يبحث أى إنسان فيها خشية المباراة السليمة ، وخشية أن يسفر بحثه عن خطوة واحدة للأمام ، وهذه هي الطامة الكبرى التي ينبغي ألا تكون ! ...

* * *

وما يصدق على كاريل عندما علق هذه القيمة الكبرى على الصلاة بعد بحوثه الروحية وبخاصة في ظاهرة العلاج الروحي يصدق أيضاً على سير أوليفر لودج — وهو من أبرز الأسماء في الحركة الروحية الحديثة بين علماء الفيزياء — لأنه ظل لمدة أكثر من نصف قرن يبحث فيها ويؤلف ويحاضر

(١) عن « عقائد المفكرين في القرن العشرين » ص ٨٥ .

بمقدرة وبلاغة نادرتين، وقد راح يعلق على الصلاة نفس الأهمية التي عاقبها عليها كاريل ويناقش الذين يتصورون التناقض بين الصلاة وبين القوانين الأبدية بأنهم « يتصورون أنفسهم كأنهم شيء منعزل عن السكون وخارج منه يعمل فيه من ظاهره ويحاول أن يبدل مظهره بالابتهاال إلى نظام في القوى المسيرة . . . ولكن إذا استطعنا أن نتفطن إلى أنفسنا وأننا نحن جزء صميم من النظام بأسره ، وأن رغباتنا ومطالبنا هي نفحة من الإرادة المسيطرة الهادية ، لم يمتنع على حركات عقولنا أن يكون لها أثر فاعل ، إذا سرنا بها وفاقاً لصدق ما في السكون من قوانين وأعلامها . . . » (١)

* * *

وكلام الأرواح الراقية لا يخرج في مجلته عن هذه المعاني في شأن لزوم الصلاة وفائدتها ، كما لمسنا آنفاً من أقوال الدكتور ليتاري وزودياك وسيلفر بيرش وغيرها . وكما لمسنا ذلك أيضاً في الباب الذي خصصناه « للشواب والعقاب » وقد رأينا كيف أنها — سواء أ كانت أرواح سعيدة أم شقية ، راقية أم غير راقية — تتحدث عنها كثيراً وتطالبنا بها كما تطالب نفسها بها (٢) .

والأرواح الراقية عندما تطالب الإنسان بعبادة الله تعالى على الصورة التي يستريح إليها وجدانه ، لا تطالبه بأن يفعل ذلك لمجرد إرضائه بالزنى إليه ، ولا لمجرد تحقيق أغراض تافهة دنيوية قد تضر ولا تنفع (٣) . كما لا تطالبه بأن تكون عبادة الله على صورة من صور التعلق الغامض بالغيبات أو الخضوع لسلطان التقليد وما أقواه من سلطان . . . بل تطالب بعبادة حارة مخلصنة

(١) عن كتاب « الله » للأستاذ العقاد ص ٢٨٩ .

(٢) راجع أمثلة فيما سبق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٤١ .

(٣) قال الفيلسوف روسو « إن أعبد الله ولا أسأله شيئاً لأن السؤال معناه الشك في عناية الله وملييته » . وقال الفيلسوف كمنط « إن الله عليم بكل شيء ، طيب للغاية ، ميال إلى معونتنا وهو يبرف حاجتنا أفضل مما نعرفها ، فن الفضول الإمراب عنها بالصلاة . . . » .

صادرة من القلب لامن اللسان ، عن صحيح تقوى وإيمان ، وذلك حتى يكون المتعبد أقرب إلى ناموس الاعتدال وضبط النفس وأقدر على اتباعه مهما كان مرأ وقاسياً عليه ، وأشجع في مواجهة صعاب الحياة الدنيا التي عليه أن يجتازها في بحر من الظلمات قبل أن يصل راضياً إلى بر الأمان مرضياً . . .

فلنعبد إلهاً موضوعياً - مطلقاً ومجرداً - تتمثل فيه وتصدر عنه جميع قوانين الطبيعة الحكيمة التي يكتشفها العلم ببطء وفي مشقة . أما الإيمان الشخصي المنحيز فقد كان عقبة كئوداً - ولا يزال - في طريق التعبد المستنير ، بل حافزاً للشك عند الكثيرين .

ولنعبد إلهاً عادلاً وغفوراً معاً - لأن المغفرة من العدالة - وقاضياً سويّاً لا يعرف محاباة ولا تحيزاً يكون مع الإنسان عندما يكون هو معه ، ويحقق رغباته عندما يعرف كيف يحيا في توافق مع نواميسه الحكيمة التي تعرف بذاتها كيف تثيب من يطيعها وتعاقب من يخالفها ، بما لا يمكن لأية عدالة أرضية أن تصل إليه ، أو أن تدرك منه ولو جزءاً يسيراً . . .

لله في تعدد الأديان حكمته سامية

قد يتساءل الإنسان قائلاً إذا كان الله واحداً تتمثل فيه هذه القوانين الأزلية التي لا تقبل التبديل لأنها معصومة من كل خطأ ، فلماذا إذا تعددت الأديان ، وما موقف العلم الروحي الحديث من تعليل هذا التعدد ؟ والجواب على ذلك يسير ، وهو أن لهذا التعدد رسالة في ناموس الحياة جلية وهي توسيع آفاق الإنسان في المعرفة وفي الفضيلة ، وتغذية عاطفة التسامح والمحبة في قلب المؤمن لسائر الناس من أى جنس كانوا ومن أى دين .

فلولا تعدد الأديان لما كان لفضيلة التسامح الديني - وهي أصل لفضائل كثيرة - من مبرر ولا مكان . والتسامح هو طريق المحبة الحقيقية التي لا تعترف بأخوة أصدق ولا أعمق من أخوة الإنسان للإنسان ، وبغيرها يصبح الإيمان بالله نوعاً لحسب من إيمان الإنسان بنفسه وبما ورثه من اعتقاد ،

وبالتالى حافظاً للأثرة بدلاً من الإيثار، الذى هو الآب الشرعى والام الرؤوم لكل فضيلة حقيقية .

ولله تعالى من تعدد الأديان حكمة أخرى سامية كحكمته من تعدد الاجناس والأوطان والألوان ، وهى دفع ناموس التطور والارتقاء إلى الامام ، كما تقول الفلسفة الهندية المسالمة الجميلة « فالتطور هو التحرك إلى الامام من خطوة إلى أخرى . وفى هذا التحرك تغيير وتبديل وهما أصل الاختلاف . فإذا محوت الاختلاف وجعلت التطابق يعم الخليقة محوت التطور وأعدمت التقدم ، لأن الكون كما أبدعه الخالق آلة هائلة منسجمة الأغراض سائرة إلى التطور فى كل جنباتها ، لكن يربط بين أواصرها نظام واحد فى العمل ، وتجمعها وحدة شاملة فى الغرض .

فإذا حاولت أن تمحو الاختلاف فى الدين وتجعل الخلق منتظمين فى دين واحد ، وأن يتجه تفكيرهم فى مجرى واحد لا يتغير لوجدت نفسك فى النهاية وقد قضيت على الدين نفسه ، ولظلت أفكار البشر راكدة آسنة . ولقد شاهد الإنسان أن مجرد الوقوف عند الاجتهاد فى الدين يؤدى إلى ضعف الإيمان وإلى الفتور فى العبادة . وبدلاً من التطلع إلى الأفضل ينساق العقل إلى الخزعبلات والشعوذة والباطيل . فالتعدد واجب ما دامت الحياة أبدية . وكذلك سنة التطور وهى قانون من قوانين الخالق جل شأنه ...

ولا نعد متسامحين مع الأديان الأخرى إلا إذا عاملناها بمثل ما نحب أن نعامل به ، وإذا كانت الأديان كلها ذات مصدر واحد وتبشر بالحق وتسمى بالإنسانية إلى السكال ، فمن التعسف أن توكل هذه المهمة إلى فرد بذاته أو إلى جماعة بذاتها ، فإن معرفة الحق مشاع بين الجميع كما أراد الله لكل نفس أن تتمتع بالشمس والهواء والماء (١) .

(١) ترجمها صديقنا المرحوم الدكتور زكى العزى الطليب النفساني من مجلة « براذا بهارتا » الهندية ولقبرها تحت عنوان « الدين لله » فى مجلة عالم الروح عدد ابريل سنة ١٩٥٩ من ١٧ وما بعدها .

ولعله لتحقيق هذا الهدف قال غاندى أيضاً : إننى أملك ثقة عمياء بالله وبجوده ، وميلاً للحق والحب لا ينضب معينه ، ولكن أليس هذا كامناً فى نفس كل إنسان ... إتنا وصلنا إلى أكتشافات واختراعات جديدة فى العالم الخارجى ، فهل ينبغى أن يكون الإنسان ضارياً فى مبدأ الأمر ثم إنساناً بعد ذلك إذا قدر له أن يكون ؟ ... ،

* * *

وبما قاله أيضاً فى هذا الصدد أحد الحكماء الروحيين فى حروبنا العصرية نجد كلاماً من الطائفتين المقتلتين تدعو الله لينصرها على عدوها ، وكل من الفريقين يعتقد أن الله معه ... لقد اضطهد الإنسان أخاه الإنسان لأنه رأى فى الله غير رأيه ، فلما اشتد ساعد الضعيف المضطهد وتمكن ممن هو أضعف منه ومن يرى فى الله غير رأيه اضطهده . وكل يعتقد أنه ينفذ مشيئة الله وهو ينكل بخصمه الضعيف ، وذلك الخصم وهو يلقي النكال يلقاه راضياً لأنه فى سبيل الله ... والكل يعتقد أو يدعى أنه يرضى الله بالانتقام من أعدائه . ولم يبدو هذا كله عبث أطفال لمن أوتوا من سعة العلم وبسطته ما يجعلهم يدركون أن الناس جميعاً عيال الله ، وأنهم جميعاً يعملون بخير ما وصلت إليه عقولهم ومعرفةهم ولا لوم ولا تثرىب عليهم .

فمن كان يعمه فى ضلاله فهو إنما يعمل ما وسعه وكل ميسر لما خلق له ، وكل يعبد الله بما ألقى فى روعه وهو يؤمن بأن عبادته خير العبادات ، وأن إيمانه أصح الإيمان ، وأن معبوده هو الحق ، وما يعبد الناس من دونه إلا الباطل ، وكلهم يعمل بدافع الغريزة الدينية التى تحفز الناس إلى الأمام ... لأنهم يظنون أنهم يعبدون آلهة تخيلية وما ذلك إلا وهم . فهم جميعاً يعبدون إلهاً واحداً ويقدمونه ، الخالق المبدع لا إله إلا هو الواحد الحق .

إن العقول المختلفة لها مناظير مختلفة ترى خلالها الله صوراً متعددة حتى يبدو بعضها للناس مخيفاً ، ولكن هذا كله لا يغير الواقع ولا يبدله ، فالحقيقة

هى ، والله لا إله إلا هو ، لا شريك ولا مثيل له ، الواحد الدائم الأول الآخر ... فمن عبده فى أعلى ما يتخيل من صفاته فقد أحسن صنعاً ، شأنه شأن الذين وصلوا إلى المراحل السامية الذين يعبدونه حق عبادته وعليه أجرهم . وسيزداد إيمان المتوحش والعالم النقي مع الزمن إذ ينبسط عقل كل منهما طاماً بعد عام ليتقبل نعمة الله ، ويتفتح ليسمح للمعرفة الروحية أن تفيض عليه .

وواجب من أوتى شيئاً ولو قليلاً من العلم أن يأخذ بيد من هم أقل منه شأنًا إن استطاع وإن قبلوا معونته وإرشاده . ولكن ليس لنا أن نعين من هم دوننا إيماناً وعقيدة ، فهم إخوتنا فى الله يسرون على الطريق شأنهم شأننا ، وما نحن وهم إلا أطفال فى مختلف مراحل التعليم كل حسب نضجه وسنه ، كل يعمل على شاكلته ، يعمل ما يؤهله له سنه ودرجته . كل له من الفهم ما يمكنه منه سنه كل يحاول أن يصل بما يعمل إلى حد الكمال الذى يستطيعه ويتصوره .

يجب علينا ألا نسخر من أحد ، أو تهتم أحداً ، أو نبغض أحداً . يجب أن نعمر جنباً كل إخوتنا ، حتى ولو كانوا لم يفتحوا أعينهم بعد على ضوء المعرفة ... ، (١) .

من أقوال سيلفر بيرس

وفى هذا الشأن يتحدث الروح سيلفر بيرس قائلاً أيضاً : « ينبغى أن نتذكروا أننا لانفكر فى الروحية كشئ يمكن مقارنته بالديانات الأخرى . إن الروحية بالنسبة لنا قانون الكون الطبيعى . وكل ديانة كانت وسيلة للتعبير عن القانون الطبيعى .

(١) من الحكيم بوجى راما شاراكافى « فلسفة البوجا » ترجمة الأستاذ مريان يوسف سعد . ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

لكل زعيم ملهم جاءت الرؤيا والإلهام وفهم القانون الطبيعي يتصرف فيها على حسب العصر الذى عاش فيه، من نمو وتقدم وتطور وعادات وتجربة وفهم . وكما تلقاها النبى فهو قد نقلها لمن كان لديهم استعداد ...

ولم يستطع الحق البسيط أن يبقى على فطرته جميلاً . لقد غدا مزيجاً من الإلهام الذى أضيفت إليه المعتقدات السائرة ، والأساطير اللاهوتية ، والتجارب الدينية ، والتقاليد الموروثة . وفى وقت ما اندثر كلية ما يتعلق بالروح العظيم ، وظهرت الحاجة من جديد لبعث ما دفته الإنسان وإحيائه .

لقد استقر العزم على أن الحق الروحى قد جاء هذه المرة لأجل أن يبقى ، ولا توجد قوة على الأرض فى استطاعتها أن تمنعه ، والخطة آخذة فى النجاح ، فالحقائق الروحية أصبحت محسوسة الآن فى كل الأقطار فى عالمكم .

وهذه الحقائق الروحية يجب أن تعيش لأنها هى أساس الأمر الجديد الذى يقام بينكم . إننا نستعين بنفوس لا عداد لها من عالم الروح . والذين يصطفون بجانبنا يسعون للعمل مع كل الناس من أى جنس ولون ، من أى مذهب وشعب، ممن يرغبون فى إسراع الأمر واستعجال هذا العصر الجديد ، ونحن نتكلم عن علم عندما نقول إن عالمكم القديم المؤسس على المادة الانانية يموت ، وإن دنياكم الجديدة قد ولدت بين ظهرانيكم .

كما يقول أيضاً : « الدين هو أن تخدم الروح الأعظم بخدمتك أطفاله . الدين هو ذلك الذى يساعد الروح الأعظم الذى فيكم على أن يبرز فى حياتكم ، الدين هو ذلك الذى يزيد من الرباط بينكم وبين الروح الأعظم وبين أطفاله الآخرين ، الدين هو ذلك الذى يجعلكم تنتشرون فى الأرض لتقدموا الخدمات أينما تقدرون ، الدين هو الخدمة والخدمة هى الدين . إنما يزداد نمو النفس بالخدمة لا غير ، لأنك عندما تنسى ذاتك فى خدمة الآخرين تنمو نفسك فى التركيب والقوة .

والأشياء التي من أجلها تسبب في الماضي سيل الدماء والتعذيب والتحرير
لا تزيد من روح الإنسان ذرة واحدة ، لقد قسمت البشر إلى معسكرات
متضادة ، خلقت الحواجز ، سببت فروقا لا لزوم لها بين الشعوب والعائلات .
خلقت المنازعات وعملت كل شيء ديدنه للمهارة وعدم التألف . لقد فشلت
في تأليف أطفال الروح الأعظم ، هذا هو السبب في أننا لانعنى كثيراً
بالبشر . . لانهم بما يسميه الإنسان بنفسه ، إن ما يهمننا هو ما يعمل
من أعمال (١) . .

من رواسب الجبرالة إلى مفاتيح المعرفة

وهذا الفهم الصحيح لمغزى تعدد صور الاعتقاد — وصحيح رسالته في
شئى مستويات الوجود — لا تظهر قيمته على حقيقته إلا عند ما نقارن بينه
وبين أى فهم آخر قد تنادى به مدارس الانطواء أو الجود . فنجد أن أى فهم
آخر من نتائجه المحتمومة أن يغلق الإنسان على نفسه جل أبواب المعرفة ،
ويعصب عينيه عن النظر إلى حقائق الحياة المشرقة الجليلة . فيحيا في غير
زمانه وغير مكانه ، ويقاوم — يائساً — كل معرفة ، بل ينكر ناموس
التطور نفسه ، مع أن الله تعالى بدعه لرقى الإنسان وسيره حثيثاً نحو نجاح
رسالته في الحياة ، ونجاح رسالة الحياة فيه . وهو الذى انتقل به من حالة
إلى حالة ، وهياً له أن يصل إلى ما وصل إليه من رقى ومن عرفان .

والتطور ليس فحسب لازماً لتقدم الحياة ، بل لنشوتها ولا استمرارها ،
لأن الحياة ليست أكثر — ولا أقل — من حركة عاقلة دائبة تنكر السكون
من أية ناحية نظرت إليها . فهى متحركة في تحرك الشمس والسكواكب
والنجوم في أفلاكها على هدى حتى وإن بدت لحواسنا ثابتة لا تتحرك ، أو متحركة

(١) عن «سفير الأرواح العليا» ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

على غير هدى ! وهى متحركة فى النبات والحيوان فى ظهورهما ونموهما
وذبولهما . وهى متحركة فى الحجر الأصم الذى يمثل طاقة محبوسة متموجة
لا تعرف السكون ، فهل نكون - نحن بنى البشر - أشد من الحجر الأصم
صلابة وجموداً ؟ ...

وهل نرفض كل معرفة جديدة لمجرد جدتها ، وكل حقيقة غريبة لمجرد
غرابتها ؟ ... وهل نضحى على مذهب جمودنا وصلابتنا فهم الحقائق العلمية
ومعها أمور الحياة الجلية ؟ إن هذه التضحية سهلة ميسورة ، بل مريحة جداً ،
لكنها فى نفس الوقت ضارة هدامة ! لأن معناها إنكار الحقائق فى سبيل
التماهى فى عبادة « قديمتنا » عبادة تنال حتماً من صحة تقدير الأمور بطريقة
شعورية أحياناً ولا شعورية أحياناً أخرى ، بما فى ذلك أمور العلم
والفلسفة والاجتماع والأخلاق والتشريع ، وغيرها من مقومات الحياة
الكريمة ، فإذا النتيجة المحتومة خطأ متراكم فى التفكير وفى التقدير .

والخطأ الذى نعرفه فى شرائعنا أمره غير ذلك الخطأ الذى نعرفه شريعة
الطبيعة . « فالبطالان » فى « إجرائتنا » مثلاً قد يغيب أمره عن وعينا ، وقد
نتنازل عنه ، وقد نراوغ فيه ، بل قد نستفيد منه أحياناً . أما الخطأ فى حقائق
الحياة فهو رهيب لا يغيب عن وعينا ، وليس من سبيل للتنازل عنه
أو للبراوغة فيه ، أو لجر مغنم منه . بل إن آثاره محتومة لأن النتائج مرتبطة
فى ناموس الحياة ارتباطاً محتوماً بمقدماتها .

ومن يبحث فى العمل الدفينة لتخلف الشعوب والجماعات لن يجد علة أخرى
حقيقية غير الأخطاء المتراكمة - بسبب عبادة القديم - فى الحكم على حقائق الحياة ،
وعدم الرغبة فى تفهم صحيح نوااميسها ، ولا اتباع سننها . فالخطأ يبدو عندئذ
صواباً ، والعنف يبدو عندئذ قوة ، والقسوة رحمة ، والشطط حكمة ، والمنطق
المتفكك ذكاء ، والتسلط إخاء . . وهكذا دواليك مما يؤدى حتماً إلى إلغاء
(٢٦٢ - الإنسان روح : ج ٢)

رسالة العقل الناقد وبالتالي إلى جمود الروح وتوقفها ، ثم ضعفها وتخليقها .
وفي إلغاء دور العقل الناقد المتحرر ، إذكاء أيضاً لعناصر الطغيان
عند « الأقوياء » في المجتمع والخنوع عند « الضعفاء » ، وفي النهاية دهوة
مستترة لتمجيد الأشخاص على حساب الحقائق الناصعة والمبادئ الرائعة ،
ثم ذبول هذه وتلك معاً وبالتالي اختفاؤها في خجل واستحياء ...

ولمن يشك في ذلك أن يتأمل متروياً كيف يمكن أن تجنى على أى مجتمع
طريقة تمجيد الأشخاص هذه ، ولو لمثل عضوية الدم أو الجوار وهي أسلوب
التقدير والموازنة عند الكثيرين حتى في الأمور اليومية البسيطة ، وكيف
يمكن أن تضحي على مذبح هذه المبالاة جل دوافع النهوض والاستباق ، كما
تسود — موفورة — دوافع التردى والإخفاق ، كلما أثيرت موازنة بين
عمل وآخر ، أو رأى وآخر .

وذلك لحساب إنسان لن يفيد من مثل هذه المبالاة شيئاً إلا عبثاً ثقيلاً
على ملكاته ، وعقبة جديدة من الخلاء في طريق تطوره وارتقائه ، وبالتالي
في أداء رسالته الصحيحة في الحياة ، كما تريد لها موازين الطبيعة العادلة
لا موازين الخديعة التي لا فائدة منها ولا كرامة لها ، والتي قد تنجح مرة
في خداع البصر ، لكن لن تنجح أبداً في قيادة البصيرة التي هي قبس الروح
ومصدر إلهامها ، كما تتعرف على طريقها الضائع في الظلام عندما تريد قوى
المبالاة في هذا الكون أن تحيطه هائلة بالمظالم وبالظلمات .

ولو ترك هذا الإنسان المدال بغير هذه العقبة الكؤود في طريقه لسار حثيثاً
إلى الأمام ، وربما وصل بجده وجهاده إلى مرتبة حقيقية عالية من الإجابة
والإتقان ، وهكذا تنمو الحياة وتتقدم حتماً في أية بيئة تعرف قدر العدالة
والمساواة ، حين تتراجع للوراء كاسفة ذليلة في أية بيئة للمبالاة والمحاباة ، أيأ كان
موطنهما ومصدرهما ...

فالويل لتقدم الحياة إذاً من — شعور المبالاة — إذا قدر له أن يسود ،

والويل لنا نحن — بنى البشر — إذا ما تصورنا أن مثل هذا الشعور ينبغي أن يعد من علامات التقوى أو من دلائل الإيمان . وهو شعور مهما قيل إنه غريزي ، فإنه يمثل غريزة بدائية — مصدرها الأنانية وانفعالها العدوان — فهو يرجع إذاً فينا إلى ماضينا السحيق ، كما ترجع جل غرائزنا البدائية إلى أصول قد لا يشرفنا الالتئام إليها ، مهما جزم العلم بصحة هذا الالتئام . فهو لا يمت على أية حال بصلة إلى رسالة العقل المتطور النامي ، وإلى خطورة دوره في الحياة الصاعدة المتحررة من أغلال الزهات والأوهام .

بل هو شعور يتضمن في الواقع إلغاء لرسالة العقل ، لحساب إحساس موهوم بالتضامن البدائي ، فإذا العقل مع طول الأمد محض أشلاء ، لا قيمة لها ولا رونق فيها ، تبحث عن يزيحها من طريق الحياة المتحررة الصاعدة التي تعرف كيف تشق سبيلها دائماً ، وتعرف كيف تتخلص من عوائقها الصناعية ، كنتيجة محتومة لقانون تنازع البقاء وبقاء الأصلىح ، ولو عن طريق الصراع الدامى والألم المرير .

وهذه سنة من سنن الحياة التي تفسر الكثير من صروف الدهر وأجدائه الآلية غير المفهومة ، كما تفسر علة رسوخ الفشل عندما نعبد الأشخاص دون الحقائق ، ونصبح أعداء كل تقدير موضوعى وكل منطق من التجريد قويم . فإننا بقدر تخلينا عن سنن الحياة الراقية عن عمد أو عن خطأ بقدر تخلي هذه السنن العاقلة عنا عن عمد — أيضاً — أو عن خطأ !! لأن الجواز في الطبيعة دائماً من جنس العمل .

وعبادة الأشخاص هذه قد تكون كريمة — بحسب مظهرها — فتتخذ في أذهاننا ذرائع الدفاع عن قاعدة سليمة أو عن مبدأ قويم ، أو تشجيع القريب أو مساعدة الضعيف ، أو غير ذلك من الأوصاف البراقة التي تعودت أن تتخذ ضمائرنا في كل عبادة منا لذواتنا . فعبادة الذات لا تكون إلا مستترة بأردية زاهية براقة تخلب اللب والضمير حتى تحقق هدفها في الغواية والتغريب . فلنتعلم إذاً كيف نحترم — ونحب — الإنسان في المبدأ ، لا المبدأ في

الإنسان ، ولندع جانباً كل تغرير عاطفي قد يوجهنا غير وجهة التفكير الموضوعي القويم ، ولنتعلم كيف نتحاشى — في غير ما كراهية ولا احتقار — كل من وما لا يمثل في وضوح وصراحة أصدق مبادئ النبل والاستقامة التي تهدي إليها الفطرة السليمة ، مع الطاعة التامة لقوانين الحياة الراقية وسننها الجليلة، قبل أن تدهم الروح عواصف القدر التي لا تبقى ولا تذر..

ولندع جانباً كل عبادة للأشخاص، وكل دعوة إليها صريحة أو مستترة، فطالما جنت على حقائق الأمور ، وطالما عوقت قافلة التقدم والارتقاء ، وطالما هدمت جل مبادئ الحق والعدالة التي نادى بها الأنبياء والفلاسفة والمصلحون في كل زمان ومكان .

ولنقدر أن عبادة الله لا يمكن أن تلتقي مع عبادة الأشخاص في محراب واحد ، لأن عبادة الله استمساك بكل ما هو عادل وجميل، واستمهجان لكل ما هو ظالم وقبيح . أما عبادة الأشخاص — أية كانت صورتها وموضعها — فهي إلغاء لقيمة الفكرة ، ولحقائق الحياة ، وأنانية ضارة تخلق في النفس عناصر التواطؤ مع قوى الظلام الفعالة وما أكثرها . فإذا بالتحيز المفضل يبدو صراطاً مستقيماً ، وإذا بالالتواء البين يبدو طريقاً قوياً ! وما أيسر على العقل في غشاوته من أن يلتحل المعاذير انتحالاً ، لأنها موجودة أبداً عند ما يحلو للغرور أن يعانق الغيرة ، وللغش أن يساند الغواية ، ولظلام الشعور أن يحجب نور النهار عن أعين « المبصرين » من كل ملة ودين ، فإذا النتيجة المحتومة تدهور وانهار .

وليس أيسر من تلبس العلل والأسباب ، ووضع الصيغ والعبارات عند جموح الهوى وانطلاقة الغريزة العمياء للتغريب بالضعفاء والأقوياء ، وبالجهال والعلماء ، فإذا السكل سيان في اللغو والبطالان . . . وإذا عقل العاقل وعلم العالم صنوان — في موازين الأمور — لصخب الدهماء في

موكب بهتان ، تدوى فيه عالية هتافات المجد والفخر ، بدلا من أن تذرف
غزيرة دموع العار والشنار ١١ .

فإذا ما رأيت الأمور الواضحة ، أيا كان موضعها في الحياة ، تناقش طويلا
في أى زمان أو مكان كما ينتهى رأى « العالقة » ، من بنى الإنسان إلى الزينغ
والبطلان فاعلم أن وراء النقاش الطويل هوى جامع هيبات لمنطق الزينغ أن
يكبح جماحه ، أو أن يكشف عنه النقاب . واعلم أن وراء هذا النقاب يقف
مارد — أو أكثر من مارد — قادم من عالم الظلام ليحرس البهتان ويحميه ،
فكم للبهتان من مرءة ومن أخدان يشقيهم الحق ويسعدهم العدوان . . .

وقدرة الهوى الجامع على تخريب ملكات الضمير لا حد لها ولا نهاية ،
لأن الضمير سيد التقدير والتفكير ، وليس أصعب من تقويم آثار التفكير
الخطيء ولا من إصلاح أضراره ، مهما طال بها الأمد . بل إنها مع طول
الأمد تكتسب حتما ضراوة تفوق بكثير ضراوتها عندما كانت الفكرة
الخطائة في مبدئها غضة الإهاب لينة الأطراف .

عن الجهاد الأكبر

ولنتعلم إذا كيف نسعى نحو حقائق الحياة لانحو أوهامها ، لأن من
يسعى إليها يسعى إلى الله وهو الحقيقة الأولى والأخيرة للحياة ، وهو
حياة الحقيقة ، ومركز كل عدالة ، وقبلة كل عبادة ، أما الأوهام فإلى
زوال سريع .

ولن نسعى لله عن طريق أية ممالاة أو محاباة بل — فحسب — عن طريق
الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس عند جموح هواها وانطلاقة غرائزها .
وكل جهاد غيره باطل أو فى القليل صغير ، بل أصغر مما قد تصورنا لنا
عقولنا الهزيلة ، وأقل شأنأ بكثير مما قد يندب لنا فى نشوة انتصاراتنا
الزائفة ، وزهو أمجادنا الصيانية الضئيلة .

ولنتق أن « الجهاد الأكبر » ، هذا هو أعظم المبادئ قاطبة وأسماءها .
وأن من يعرف كيف يجاهد نفسه قاض عادل على نفسه وعلى الآخرين ،
ويظل صنيديد تعرف له موازين البطولة حق قدره مهما ظل جندياً مجهولاً
في موازين الخديعة والمحاباة . فهذا الجهاد الأكبر هو التراث الحق الذي ورثه
الإنسان من سفر الحياة الكريمة وهو السيل الأوحده للنهوض به ، ورفعة
شأنه في العالمين بطلا كريماً ، وإنساناً جديراً بالحياة راقياً عظيماً . . .

وأى « مبدأ » آخر غير مبدأ هذا « الجهاد الأكبر » ، عبارة أيضاً عن
إحساس منا بعدم الثقة في أنفسنا ، وتغريب من شيطان الأنانية الكامن
فيها ، ومن وحش الوصولية الرابض وراء أهوائنا وغرورنا ، واندفاعاتنا
وجموحنا ، وانحرافاتنا وسقوطنا . ومن لا يقاوم هذا الوحش الضاري يهلكه ،
ومن لا يصارعه يصعره فيتركه محض أشلاء تثير الإشفاق والرثاء .

ولنتقدّر أن الروح التي لا تعرف كيف ترتقي إلى تحقيق رسالة الجهاد
الأكبر تنزل إلى تحقيق رسالة الغرائز السفلى التي تسيطر على المردة والوحوش ،
أو بالأقل إلى رسالة القطيع في تضامنه البدائي لا رسالة المجتمع الراقى في
مقاومته لعوامل التدهور مهما جاءت براءة المظهر زاهية الرداء ، وكيفما زفها
إليه تجار « المبادئ » ، والشعارات .

وتدهور الروح - كارتقائها - لا يحدث بغتة ، بل هو جزاء طبيعي من صنع
القرون والدهور التي لا حساب لها في زمان الطبيعة . فهو تدريجي بطيء ، ولكنه
متى توافرت دواعيه في أى مكان أمر محتوم لأن نفس الأسباب تولد نفس
النتائج . ومن شأنه أن يستفحل مع الوقت وأن يهبط بمستوى العقل
والعاطفة - وهما أنبل ما يميز روح الإنسان - في الفرد والجماعة معاً في
إصرار عنيد لا يوقفه إفراط في اعتقاد ، ولا تقان في عبادة أو في طقوس ،
أما العاطفة الإنسانية القويمة - النابعة من العقل النامي - فهي مصدر كل
ارتقاء في الروح ، والسد المنيع في طريق كل تدهور فيها . ومن ثم كانت
كلية الحق - حتى في الأمور العادية التافهة الشأن الضئيلة القيمة - أقرب

بغير ما ريب إلى جوهر الإيمان الصحيح من كل صنوف العبادات التي
حرفها البشر . لأن الله تعالى حق ، بل هو - وحده - مصدر كل حقيقة نقية
نطق بها اللسان ، أو شعر بها الوجدان ، وذلك مهما كان وقع الحقيقة قريباً
أو ألياً على بعض النفوس والأذان . . .

ثم إن الحقائق تكشف الأباطيل ، أما الأباطيل فلا تكشف الحقائق ،
بل تسام العقل على التواطؤ معها ، وتخدع الضمير للتضليل عنها في خفية
عن العقل وفي مهارة بالغة . . . فآية حقيقة تتوقعها إذن من الضمير عندما
يصبح معصوب الوجدان أبكم اللسان ، وأى قرار تنتظره من وعى الإنسان
عندما يخفى عنه مصدر كل حق وكل برهان ؟ ..

وهكذا كلما قلبت النظر في علل تدهور الروح - في أي مكان أو زمان -
لن تجد شراً من هذا التواطؤ على الخديعة والبهتان ، الذي كثيراً ما يستتر
برداء خلاب من مظهر المحبة ، أو الأخوة ، أو العطف ، أو العاطفة ،
ولكنه يخفي تحته صوراً شتى من الأنانية ومن تفرير الشعور .

فلندع نحن - بني البشر - الدين للديان إذأ ، ولندكر أن الدين لله
والله للجميع ، وأن الحقائق للعقل كالطعام للجسم - كما يقول العالم الاجتماعي
جاك بيرك - فعلى هضم الحقائق هضمًا لائقاً تتوقف قدرة الإنسان العقلية
وحجاءه ، كما تتوقف العافية والصحة على الطعام . فالرجل الذي يهضم عقله
أكبر قدر من الحقائق هو أعقل الرفاق في المجلس ، وأقدرهم على الإقناع
وأرقهم في الحياة معاملة ومعاشرة . .

ولنعترف - مع الواقع - بأن هذا الفهم الموضوعي السليم لمعنى الإيمان
هو أكثرها كرمًا وسماحة ، وأقربها إلى لب الحياة الراقية وجوهرها ،
وأدعاهما إلى السمو بالعقل وبالعاطفة ، وبالتالي بالروح الإنسانية حيثما ولدت
وكيفما عاشت . وهذا الفهم يتسع لمحبة الله في كل خليقته من بني الإنسان ،

بل في كل ذرة من صنع يديه في هذا الكون وفي غيره من الأكوان .
وأي فهم آخر لا يناقض حقائق الحياة الجليلة فحسب ، بل يناقض كل محبة ،
وبالتالي كل عقل ، وكل عاطفة نبيلة ، وكل عدل ، وكل دفعة للحياة كريمة .

وبغيره هيهات أن تتحقق هذه المنة الكبرى التي ينبغي أن يسعى كل
عاقل إليها ، وهي سعادة العقل والوجدان التي هي السعادة الوحيدة التي يعرفها
ويعترف بها عالم الروح حيث تتوافر فيه ما اعتدنا أن نسميه «بماديات الحياة»
بوفرة تفقدها كل قيمتها ، فلا يتبقى للإنسان إلا أن يسعى لهذه السعادة العظمى ،
سعادة العقل والوجدان .

وهي ليست سهلة المنال ولا تهيء مطلقاً عن طريق أي منطق ملثو ، ولا
عن طريق أي منطق أناني ، ولا عن طريق خديعة الذات والتظاهر بمحبة الله
والناس ، لأنها أعظم مزايا الحياة قاطبة . وكل مزية عظمى تتطلب للوصول
إليها جهاداً عظيماً ، قوياً ، مستقيماً في سبله وفي غاياته ، حكيماً في أصوله
وفي أسبابه ، مستنداً إلى حقائق الأمور ، بعيداً عن أوهامها وترهاتها . .
وشهوات النفس ونزواتها . . .

ولكل مزية من مزايا الحياة مسئولياتها ، وأخطر مسئوليات الحياة
في المستوى العقلي الراقى للوجود الفكرة النقية تنبعث من العقل في غير
ما تكلف ولا عناء ، وفي غير ما قيد ولا تحفظ . وذلك يتطلب شخصية
ناضجة ، وفطرة نقية ، وشجاعة في إبداء الكلمة ، وقدرة على قبول الناس
على اختلاف مشاربهم وعقائدهم ، مهما بدا فيها من عيوب ، قد تكون في
حقيقتها مزايا لا نفهمها ولا نقدرها .

ومن يذكر العيوب - ولو في مقام الحب لا الكراهية - لا يعتفرها
بسهولة . فالأب لا يحب أولاده رغم عيوبهم ، بل يحبهم لعيوبهم ، ويرى
فيها مظاهر ضعف الطفولة الجديرة بالحب والحماية ، لا بالقمع وبالاتهام ،
حتى تنمو مداركهم فتحررهم منها مهما بدت جسيمة .

وفي العلاقة بين بعض البشر وبعضهم الآخر لا يوجد أب راشد وأطفال صغار ، بل إخوة ممثلون بأسباب الخطأ والعتار ، وبكل صور الضعف والانهيار . وأكثرهم غروراً هم أكثرهم خطأ ورذيلة ، وشططاً واندفاعاً . فكيف يدعى بعضهم الوصاية على البعض الآخر للهيمنة حتى على ما تحتفظ به الضمائر في أقدس ركن منها ، وتفنديه هائلة سعيدة بالمهيج وبالآرواح ؟ ! . وإذا كان ناموس الحياة في علاقته معنا لا يعرف تحيزاً ولا محاباة ، فإنه يشرق شمساً على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين (١) . فكيف يحل لنا أن نكون غير ذلك في علاقتنا مع الآخرين ؟ ونحن زعم أننا أبناء هذا الناموس ورسله ودعائه وجنوده المجندين ؟ . . .

وهذا الفهم السليم الوحيد للأمور لا يمكن أن يستقيم في ضمائر البشر إلا مع سحق أسباب الضغينة والبغضاء في غير ما تصنع ولا ادعاء ، وإزالة ما يعترض طريق الحقائق الناصعة من عقبات في الغرائز والشهوات ، وفي الضمائر المتلوية عند الصغار والكبار . وإلى هذه المعاني مجتمعة أشارت آيات كثيرة في القرآن الكريم منها : -

- فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر .
- ليس عليك هدام ، ولكن الله يهدي من يشاء .
- لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .
- آمنا بالله وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله .
- قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

- أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وفي هذه المعاني أيضاً تحدث عدد كبير من الفلاسفة والمتصوفين ، ومنهم

الشاعر الفيلسوف يحيى الدين بن عربي المتوفى في سنة ٦٣٨ والذي كتب في قصيدة معروفة له يقول :

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينه إلى ديني داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه . فالحب ديني وأيماني

الأخوة الإنسانية حقيقة كونية

وهذا الذي ذكرناه عن موقف الفلسفة الروحية من العبادة ومن تعدد الأديان لا يمثل رأياً لباحث دون آخر ، أو لروح دون أخرى ، بل يمثل فلسفة عامة مجمعة عليها أسفرت عنها بحوث قرن وربع من الزمان في الأمور الروحية في كل مكان ، وقد تكشفنا كلها عن حقيقة كونية واضحة لا افتراض فيها ، ولا غموض في تأويلها ، وهي أن أخوة الإنسان للإنسان هي الأخوة الوحيدة التي تعرفها قوانين الحياة وتعترف بها . أما أية أخوة أخرى فهي من صنع كبرياء الإنسان مهما قيل إنها من صنع وحدة الإيمان .

يهدينا إلى ذلك أن قوانين الحياة واحدة للجميع ، وأن فرص السعادة والشقاء تتوقف بالتالي على مدى استحقاق كل روح ومدى احتياجاتها ، وبالقدر اللازم لسرعة تطورها ودفعها في طريق خيرها وصالح أمرها . وهو ما يمكن التعبير عنه بأن الأخوة الإنسانية التي كانت فيما مضى مجرد دعوة فلسفية ودينية أصبحت في ظل هذا العلم حقيقة كونية ثابتة بقدر ثبوت الحياة بعد الموت .

وهذه الحقيقة الكونية ذات محور بسيط غاية البساطة ، وهو أن الصواب المطلق ليس ملكاً لأى من الناس بل هو ملك لجميع الأجناس ، فهو موزع بينها بالعدل والقسطاس ، وبنفس الحكمة التي وزعت الطبيعة بها عوامل التطور والارتقاء في أرجاء هذا الكون الفسيح . فأى فهم للأمور

على غير وضعها الصحيح هذا إنما ينبعث عن غشاة الكبرياء عند الإنسان التي طالما باعدت بينه وبين تطوره المطلوب، وطالما فرقت بين البشر موفرة لهم - ولا تزال - من أسباب العناء أكثر مما وفرت من عناصر السعادة ودوافع الارتقاء.

ألا ترى كيف تتكافأ فرص السعادة والشقاء أمام مختلف الأشخاص والأجناس فلا ترتبط في نوااميس الحياة لا بخلق المرء ونواياه؟ أليس كل البشر خليفة رب واحد؟ أليس رب هنا هو رب هناك؟ فلماذا يقبل ضمير البعض أن يتصور أن يكون «إله المحبة»، و«الرحمن الرحيم»، في رقعة مامن هذا السكون هو بذاته «إله الكراهية أو القسوة فيما عداها ولمن عداه»؟

ألم يدع جميع الرسل والفلاسفة إلى الأخوة والتضامن بين جميع الناس منذ أقدم العصور؟ ألم يحرص رسول المسيحية على تذكير الناس بذلك في موعظة الجبل عندما قال: «طوبى لصانعي السلام فإنهم يدهون أبناء الله». وعندما قال: «إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يستوجب الحكم...»، «ومن سخر كميلاً واحداً فامض معه اثنين»؟

كما حرص رسول الإسلام بدوره على تحذير الناس من الاعتقاد بغير ذلك عندما قال بكل وضوح في خطبة الوداع المعروفة: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد. كلكم لأدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى»؟ ...

فلم ولماذا تلصق بعض المدارس بمبدع هذه القوانين العادلة الحكيمة صفات من المحاباة ينكرها أي إنسان على نفسه بشدة لو ألصقها به أي عدو له لدود، وأية كانت دوافعه وأسبابه؟ ...

ولم ولماذا يتصور صانعو الاحقاد بين الشعوب والجماعات أن من حق أحقادهم الصبائية أن توجه ناموس العدل والحكمة، ومصائر الشعوب والأجيال...؟ وأن تتحكم فيها كما يتحكمون هم في عقول السذج والبسطاء؟

وهل لإرضاء هذه الأحقاد المدمرة كانت الرسائل والأنبياء ، وكان ناموس المحبة والإخاء ؟ ... وكان الارتباط المحتوم بين الإيمان بالله ومحبه وتمجيده ، وبين إحساس الإنسان بحريته وشعوره الراسخ بأنه « حيث توجد روح الرب فهناك حرية » ؟

إمامه الحرب أم إطاد السلام ؟

وحرية العقيدة كما يقول الفيلسوف الألماني المعاصر كارل ياسبرز K. Jaspers جزء لا يتجزأ من إحساس الإنسان بحريته نحو الله ، لأن الإنسان الذي يشعر بحريته شعوراً حقيقياً إنما يزداد يقيناً بوجود الله ، فالحرية والله حقيقتان متصلتان لا تقوم الواحدة منهما بدون الأخرى . ومعنى هذا أن شعورنا بالحرية من شأنه أن يظهرنا على أننا قد منحناها على سبيل المحبة أو العطية أو الهدية ، وكأننا بأكملنا مجرد منحة من قبل الحقيقة المتعالية أو القدرة الإلهية . ومن هنا فإنني كلما ازدادت شعوراً بحريتي ازدادت في الوقت نفسه يقيناً بوجود الله ، إذ أشعر عندئذ بأنني لست حراً من ذاتي أو بذاتي ، بل بفضل تلك الإرادة العليا التي شامت لي أن أفضل في حياتي بمقتضى إرادتي ،^(١)

ويتحدث أيضاً الفيلسوف جون لوك John Locke قائلاً إنه « لا الدولة ولا الكنيسة من حقها التدخل في حرية الفرد السلوكية أو العقيدية ، فله أن يسلك الطريق الذي يراه ، وأن يدين بالدين الذي يحبه ويؤثره لأن الدين فردى خاص ، معينه في نفسه استنبطه من ذاتها ويستحيل على إنسان آخر في الدنيا بأسرها أن يهديني في الدين صراطاً مستقيماً إذا لم تهدني نفسي » . ويتحدث المفكر توماس باين Thomas Payne أيضاً قائلاً « إنك إذا أردت أن تعرف كيف ينبغي للإنسان أن يسلك وأن يفكر في السياسة وفي الاقتصاد وفي العبادات ، وفي كل جوانب الحياة ، فالعقل يكشف لك عما

(١) عن « مشكلة الإنسان » للدكتور زكريا إبراهيم طبعة ١٩٥٩ م ص ٢٣٣ .

يحقق الاضطراد والاتساق والنظام . ولا تركز في ذلك إلى حكم تحكم به الحكومة أو فتوى يفتى بها رجال الدين ، (١).

وفي نفس الاتجاه يقرر السياسي الفيلسوف توماس جيفرسون Thomas Jefferson الذي كان رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في وقت ما ، إن الحرية الدينية حق طبيعي للإنسان ، فكما أنه لا يجوز أن يستبد بها حاكم سياسي فكذلك لا يجوز أن تنتقص منها هيئة دينية . وحسب الإنسان أن يرضى ضميره سواء في رأيه السياسي أم في عقيدته الدينية .

كما يقرر أيضاً « لن أجشو أبداً أمام كعبة التعصب في قولي أو فعلی أو أجيز حق مساواة الآخرين عن أفكارهم الدينية . بل إنه يتحتم علينا على العكس - أنت وأنا وكل فرد - أن نجعلها قضية عامة ... تحفظ للجميع حق حرية الضمير . يجب علينا أن نتكاتف قلباً واحداً ويداً واحدة فنحطم المحجودات الجريئة الخطرة التي يبذلها أولئك الذين يغترون بالرأى العام ويغرونه بالتحكم والسيطرة على العقيدة الدينية التي أباحت القوانين جميعاً حريتها حقاً وعدلاً .

ويستطرد قائلاً : « أقسمت أمام مذبح الإله أن أضمر عداً أبدياً لكل صورة من صور الطغيان أو السيطرة على عقل الإنسان . ولكن هذا كل ما تخافه من الطوائف الدينية ، وهو كفيل ببث الخوف في قلوبهم حسبما يرون ، (٢).

وكما أن حرية الاعتقاد هي جوهر الإيمان بالله تعالى ، فإنها هي أيضاً جوهر الاعتراف بالروح . فأولئك الذين يفهمون - صدقاً لا كذباً -

(١) عن « حياة الفكر في العالم الجديد » للدكتور زكي نجيب محمود ص ٢٥ ، ٤١ .
(٢) عن « جيفرسون » تأليف جون ديوي ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ص ١١٢ - ١١٤ .

معنى الحرية ويقدرونها يدركون بسهولة معنى الروح الخالدة الحرة وما تتطلبه من تقديس لحرية الإيمان والشعور في الإنسان .

فهل يتوافر أى قدر من حرية الإيمان والشعور في مدارس التعاليم والجمود ؟ . . . أم أن هذه المدارس لا تشعر أن لها رسالة أخرى في الحياة غير رسالة استعباد الإيمان وإزدياء الناس في أمنهم وحريةاتهم ؟ . . . وغير رسالة إطلاق صيحات الفرقة الظاهرة والمستترة . هذه الصيحات التي لن تجد لها الآن نفس صداها القديم بعد أن تخطى عقل الإنسان دور الطفولة ، إلى دور النضج ورغبة تعقل كافة أمور الحياة . . . بل أمور الموت أيضاً . . .

وهذه الحرية المقدسة التي من حقلك أن تشعر بها أنت هي نفس الحرية التي هي حق مقدس للآخرين كما يتكشف الله لهم خلالها ، فيتعرفون على ذواتهم عن طريقها ، ويزدادون إحساساً بوجودهم ، فيرتبط بوجدانهم ومصيرهم . ويصبح هذا الإحساس جزءاً من كيانه ، وبالتالي يستيقظ قوياً الشعور لديهم بأنهم قد أصبحوا جزءاً من تلك القوة الكونية الجليلة التي انتزعتهم من أنفسهم ، فأصبحوا قادرين على الترنم مع أسمي ما في الكون من مشاعر الحرية وأحاسيس الإيمان .

ولعله لا يسعفنا في هذا المقام شيء قدر حكمة الهند - فكم في الهند من حكماء أتقياء - عندما تقول : لا تكن متعصباً متعنّياً ، ولا تكن من الغلاة المتطرفين الذين يرون أن الهدى فيما يتبعونه ، وأن كل طريق غير طريقهم ضلال بعيد . فإن للحق أوجهاً متعددة يرضى كل وجه طائفة من الناس . وكم من النظريات تبدو متناقضة مع بعضها ، فإذا أنعم النظر فيها تكشفت عن أسس متقاربة متجانسة .

إن الكثير من الخلاف بين التعاليم المختلفة قد يكون سببه استعمال ألفاظ معينة أو سوء استعمالها ، ووضعها في غير مواضعها ، فإذا فهمت الكلمات والاصطلاحات فهماً صحيحاً بدت الحقائق التي وضعت الكلمات

للدلالة عليها وقد زال الكثير من الخلاف بينها ، وإذا التعاليم المتعارضة تفقد ما يدينها من تعارض ،^(١).

* * *

ولا ريب أن هذا الأسلوب السليم في فهم رسالة الاعتقاد هو وحده الذي يناسب عقل إنسان هذا القرن ، وطريقة العصر العلمي الذي نعيش فيه ، والذي يمكن وحده أن يهضمه بعد طفولة طويلة امتدت إلى قرون وقرون . ولا ريب أنه هو الذي وجه المجلس المسكوني للكنائس الذي عقد في روما في سنة ١٩٦٤ عندما قرر صراحة ، ولأول مرة في تاريخه ، بأن أبواب السماء مفتوحة لجميع الأشخاص الصالحين مهما كانت عقائدهم ومذاهبهم الدينية ،^(٢) . وعندما عاد في سنة ١٩٦٥ ليقدر « وجوب عدم إرغام أى شخص على أمر ما خاص بالدين يخالف معتقداته ، وبألا يمنع أى شخص من العبادة بحسبها »^(٣) . فقارن هذه المواقف بمواقف أخرى مقابلة ، وبتفسيرات خاطئة كثيرة كانت تصدر فيما مضى ، وكأنها تنزيل لا يأتيه باطل من خلف ولا من قدام ...

ولا ريب أيضاً أن فهم الأمور على هذا النحو أدعى إلى تثبيت إيمان الناس في الله ، وإلى توجيه ضمائرهم توجيهاً موضوعياً سليماً نحو فهم سنته السامية ، على نحو يصلح تمهيداً مناسباً لتذويب الحواجز الصناعية التي تراكت على مدى الأجيال بين الإنسان وأخيه الإنسان ، والتي شادت على عقول انطوائية كثيرة حتى قضت أو كادت على مافي الإيمان الصحيح من روق وضياء ، وعلى مافي رسالات السماء من محبة وإخاء ، وحتى أضحت هذه الحواجز عند

(١) عن « فلسفة اليوجا » تأليف يوجى راماشاوا كما ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد.

ص ٧٧ .

(٢) راجع جريدة الأهرام في ١٩٦٥/١/٢٣ .

(٣) « ١٩٦٥/١/٢٢ » .

بعض النفوس ذرائع للشك والإلحاد، وعند بعضها الآخر منبعاً لإذكاء الإحسان والآحقاد .

فلنقلها كلمة صريحة لمن تعود - تحت أى عنوان وفى أى مكان - أن يعبد إلهاً شخصياً يكيل له بمكيال النعمة لظروف البيئة والميراث ويكيل لغيره بمكيال العقوبة ، أنه يعبد فى حقيقة الأمر نفسه لا إلهه ، وأنه يحرق البخور تمجيداً لأهوائه ، وفى قلبه من رهبة منه أكثر مما فيه من إيمان ، ومن نفاق له أكثر مما فيه من عرفان . وفى روحه من عجز الطفولة أكثر مما فيها من برائتها ، وفى عقله من ضعف الحجة أكثر مما فيه من قوة البرهان .

بل فلنعلنها حقيقة واضحة ، وهى أن إيمان هذا « المؤمن بالله » محض رهبة ونفاق . فهو يرهب إلهه كما يرهب الرعيد قاضياً للظلم فى مدينة للظلام ، وينافقه كما ينافق حاكماً يأمره فى غفلة من الزمان ... فهل هذا هو أفضل نوع من الإيمان يملكه ضمير الإنسان ؟

أليس الإيمان بالأصنام التى لانضر ولا تنفع أفضل بكثير من إيمان هذا الإنسان بإله غشوم ، حاقد وظلوم لكل ما عدا جنسه من الشعوب والأجناس ؟ ... بل أليس الإيمان « بعدالة » قاضى الظلم هو من نفس نوع الإيمان بمظالم إله الحقيقة والعدالة فى كل زمان ولكل إنسان ؟ ... ثم أليس الشرك بالله شر ؟ فما بالك عندما شرك الله بالشياطين فى أحقادها وفى أهوائها ، ونقول بل هذا هو بعينه الاستمساك بعبادته عن فهم وعن إيمان ؟ ...

وكما ازداد - للأسف - مثل هذا النوع من الفهم الخاطى عمقاً واتساعاً كلما ازداد صاحبه عمقاً فى غوايته واتساعاً ، وتشبهاً بأهوائه وبأحقاده ، أسوة « بشيطان الأنانية » الذى يعبدده وتقليداً له ، وحتى يبلغ الغاية من استرضائه ... ويا ويح مجتمع توجهه أهواء بناته وبنيه ، حتى فى فهمهم لله وعبادتهم إياه ، ويا ويح الأبناء فيه من الآباء والآباء فيه من الأبناء ! ...

ويأويح دعوة السلام من إيمان هو في حقيقته دعوة للحرب والعدوان،
فأيهما أفضل للأنام إذا، إيمان الأنانية والعدوان هذا أم إلحاد التواضع
والسلام ؟ ...

بين الإيمان الشخصي والموضوعي

وليس الإيمان بالله معناه ترديد اسمه تعالى دواماً بغير عرفان، بل معناه
محاولة تفهم صفاته الحسنى وترتيب نتائجها المحتومة بعيداً عن منطق الأنانية
لأنه مصدر كل خطأ يبطل المنطق وينفيه، ونفي النتائج نفي لأسبابها، وهو في
هذا النطاق نفي للإيمان النقي بالله وبأسمائه الحسنى .

فإذا قلنا إن «الله محبة، أو إنه عادل ورحيم وغفور ورؤوف وحكيم...»
ولا تقف صفاته الحسنى غير المحدودة عند حد ولا قيد في اتساع مداها، تعذر
على العقل أن يستدرك قائلاً بعدئذ، ولكن الله تعالى لغيرنا من بني البشر هو
عكس ذلك كله . «فالمحبة» لنا كراهية لهم، والعادل لنا ظالم لهم، والرحيم
بنا قاس عليهم، والغفور الرؤوف بنا حقود لا يرحمهم، والحكيم علينا غير
حكيم على غيرنا... وهكذا من شتى صور الإيمان الشخصي الذي هو في تحليله
الصحيح محض أنانية بدائية لا تختلف شيئاً عن شروط الإلحاد التي عرفها البشرية.
بل إنها تحمل - إلى جانب معنى إنكار الله في أسمائه الحسنى - معنى طغيان
الرأى تحت تأثير ما قد يعتمل في النفس من أحاسيس ضارة إذا أطلق لها
العنان فإنها لا تبقى ولا تذر ! ...

أما الله فتعالى عما نرسم، وعما نخطط لأنفسنا ولأولادنا من بعدنا. فإذا
كننا أبراراً «فهو» بار ورحيم. وإذا كنا جهلة أغبياء، فطريقة فهمنا لنواميس
الله مصدر جهلنا وغبائنا، وإذا كنا عدولاً حكاماً «فإلهنا» عادل وحكيم مثلنا.
أما إذا كان هو عادلاً ورحيماً وحكيماً وغفوراً... فليس مقتضى ذلك
بالمرة أن نكون مثله في شيء من صفاته إلا إذا اخترنا - ابتداءً - أن نحاول
الاقتراب منه، فنغير ما بأنفسنا تغييراً شاملاً لأن «الله لا يغير ما بقوم حتى
(٢٧م - الإنسان روح : ٢٠)

يغيروا هم ما بأنفسهم ، ، وهو ما يقتضينا أن نغير طريقة فهمنا لنواميس الله التي هي نواميس الحياة الأزلية ، إذا ما فهمنا أن الله تعالى يملأ بروحه رحبات المكان والزمان ، ماداً ذراعيه لمن يتجه إليه من بنى الإنسان . . . ولن تتقدم الحياة إلا في ضوء فهم صحيح لعلاقة الإنسان بالله ، وبأخيه الإنسان ، وبغير ذلك لا تنتظر سلاماً يرجى ، ولا تقدماً يذكر للحياة.

انظر إلى نواميس الحياة في كل مكان وزمان ، فهل تجد فيها شيئاً يغير هذه المعاني الجليلة بذاتها ؟ ! وهي التي ما أصبحت بحاجة لمن يبرزها ويدافع عنها على الدوام ، وقد يتحمل المدافع الثبور وعظائم الأمور من وراء دفاعه ، إلا لأن ظلام روح الإنسان أحاطها من كل جانب بالظلمات ، والويل للنور من الظلام وللوداعة من الحماقة !! ...

ثم تأمل في الإله الواحد ، الذي لا تتناقض صفاته ولا تتضارب ، فهل ترى فيما ذكرت شيئاً ينفيه العقل أو يرفضه الوجدان ؟ أم أن العقل والوجدان لا يمكن أن يقبلا التسليم بغير ذلك إلا إذا قبلنا ابتداء تعدد الآلهة المتباينة الصفات والنزوات ، كتعدد الأصنام التي عبدها أسلاف ذاك الإنسان في قديم الزمان ؟ . ولما تخلى عنها أحفادهم اتجهوا إلى عبادة ذواتهم بدلاً من عبادة الواحد الديان !! .

فأى إله إذاً نختاره كيما يكون موضع حبنا ، ضارعين إليه في صلاتنا وصومنا نحن البشر أبناء مشيئته الواحدة ؟ وأبناء محبته التي لن نعرف سبيلها إلينا إلا إذا عرفنا سبيلها إلى الجميع على حد سواء . . . ولن نعرف سبيلنا إليها إلا إذا ارتقت إليها نفوسنا عن فهم نقي لمعنى المحبة والإيمان ..

ولحسن الحظ أن ذلك النوع من الإيمان الأناني المتحيز الذي طالما وقف — وما يزال — في ضمائر بعض الحرفيين من كل عقيدة ومذهب عقبة تحول دون قبول حقائق العلم الروحي الحديث — بغير ما بحث ولا اطلاع — آخذ في الأفول التدريجي تحت تأثير تقدم العقل في المعرفة والضمير في الفضيلة .

فالمعرفة السليمة بنواميس الحياة كفييلة مع الوقت بأن تبدد نهائياً ضباب ذلك الإيمان المتحيز الذي ينبع من طفولة الشعور كيما تشرق فيه شمس الإيمان الموضوعى المجرد، الذى هو ثمرة لنمو العقل فى المعرفة والضمير فى الفضيلة، وفى نفس الوقت طاقة حقيقية تقويهما وتتقوى بهما .

كما أنه ثمرة لفلسفة واعية أكثر ترابطاً - وأنسب للإنسان فى تطوره المستمر - من أية فلسفة تقوم على تملق انفعالات الكبرياء الطبيعى فيه حيثما وجد، وأينما كان .

ثم إن المعرفة الصحيحة بقوانين الحياة فى كل فروعها كالطب والسيكولوجيا والبيولوجيا والفسسيولوجيا . . . أظهرت أنها موضوعية ومجردة إلى أقصى ما يستطيع الإدراك أن يصل إليه، فهى لا تعرف تحيزاً ولا محاباة، فلماذا تكون غير ذلك قوانين الروح، مع أن الروح هى أصل كل قانون وعلة كل حياة ؟ . . .

فالقانون الوضعى يعد أداة فاشلة إذا ما وضع تحقيقاً لاعتبارات شخصية، أو لمجاملة فريق من الناس على حساب آخر، أو إذا نظر إلى جانب واحد من أية مشكلة مهما كانت صغيرة دون باقى جوانبها، ويعد بالتالى معيباً إذا ما أغفل تقدير ولو نتيجة واحدة من نتائج المحتومة. والتشريع العادل الذى يعتبر الناس «سواسية كأسنان المشط» هو الهدف الاسمى لكل شارع يريد أن يتق الله فى تشريعه، فكيف يمكن أن يكون غير ذلك التشريع الإلهى نفسه ؟ ...

وإن فلسفة هذه الروحية العلمية لتسلم تماماً بالمساواة بين الناس أمام ناموس الطبيعة - كما ترى - ولا تعرف سبباً للمفاضلة بين إنسان وآخر إلا الشوائب الطيبة والفضائل الخلقية، التى ليس منها الانتماء إلى شعب دون آخر، وكلها ينتحل لنفسه الامتياز، وكلها يطالب الناموس الإلهى بالانحياز،

مع أن هذا الناموس واضح منقوش في ضمير الجميع، لأنه ناموس العمل الصالح والخلق القويم اللذين ينحني لهما الإنسان النبل احتراماً حيثما كانا وكيفما ظهرا... فهل المخلوق الضعيف أفضل من خالقه ؟

كما أنها تسلم تماماً بالعروة الوثقى من التضامن بين الإنسان وأخيه الإنسان من أى جنس ومن أى دين كانا . فكما أن الفرد لا يمكن أن يعيش سعيداً في أسرة شقية ، فلا يمكن لأى مجتمع أن يعيش سعيداً في عالم شقى ، ولذا كان كل إنسان مسؤولاً عن خدمة أخيه أمام ناموس الطبيعة الحكيم الذى وضع كل واحد في موضعه بلا شذوذ ولا انحراف ، فكان توزيع البشر جماعات وأفراداً في هذا الكون جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة في تناسقها العظيم ، الذى تكشف تدريجياً لعقول العلماء ، والذى أثبت في العصر الحالى أكثر من كل وقت مضى أن الكل واحد ، وأنه ليس بمقدور أى إنسان أن يقول كما قال قايين عن هابيل « وهل أنا مسئول عن أخى ؟ »... ولكن كم واحد بمقدوره أن يشعر شعوراً حقيقياً كما شعر غاندى العظيم عند ما قال « إذا قدرت لى ولادة ثانية فأرجو أن أولد طريداً بين المطرودين حتى أستطيع أن أؤدى لهم خدمة فعالة أبعد أثراً (١) ، ١٩... »

وقد التقت المدارس الروحية — مهما تعددت فلسفاتها — عند التسليم بالآخوة الإنسانية كحقيقة كونية ، وعند التسليم أيضاً بأن المعرفة الصحيحة قد ألفت بذورها في كل زمان ومكان ، فأثبتت زهوراً يانعة تسبح بمجد الله وقدرته ، لكن سرعان ما نبتت إلى جوارها أشواك خائقة كادت أن تفتك بها ، رواها ضعف الإنسان وغروره الطبيعى .

وهي تعلم أن هذه الأشواك وجدت للأسف فئات كثيرة من الناس ترعاهما على مر العصور ، عن طريق تملق غرائز الجماهير واستجداء كبيرياتها

(١) كتب العلامة ينشتين كلمة تحية لذكرى غاندى يقول فيها « بالكاد ستصدق الاجيال القادمة أن إنساناً كهذا خطر على الأرض فى لحم ودم » .

الزائفة وانفعالاتها الصاخبة بشعارات « ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب » ،
كما تضمن موفورة ذرائع التسلط عليها ، إذ أن الجماهير تسلس قيادها لمن قد
يحسن إثارة مشاعرها وتملق كبريائها .

وقد ظل هذا التسلط واضحاً طيلة القرون الأولى والوسطى إلى أن
دالت دولة الطغیان باسم الاعتقاد . ولما أشرقت دولة الفكر المتحرر والمنطق
المتربط معها شمس الإيمان العلمى ساطعة من خلف غيوم للجهالة
كثيفة ، فأضاءت للجميع آفاق الإيمان المستنير تحت سماء مشتركة اسمها سماء
المعرفة الصحيحة .

وعلم الروح الحديث رسالته هي أن يحمى الأزهار من الأشواك ،
والشروق من الغيوم ، والمعرفة الصحيحة من الأوهام . وهو إذ يحمل عبء
هذه الرسالة السامية ليعلم جيداً أنه إنما يخوض حرب مواجهة مع عدوان
الكبرياء والجهالة وشروهما ، سلاحه فيها قوة الحججة وسلامة البرهان
ولا شيء غيرهما ، وهدفه منها سلام العالم لا أقل من ذلك . . . فهل يقدر
له الانتصار حتى تنال البطولة ، بل الحياة نفسها ، مغزى أسمى كثيراً من
مغزاها الحالى عند الجامدين والحرفيين من كل ملة ودين ؟ . . .

هذا ما يرجوه له كل عامل على تحرير عقل الإنسان من أغلاله وكشفه
من أحماله الثقيلة ، للدفع به قدماً في طريق مستقبل يسوده الوثام ، بل التضامن
التام بين جميع الأجناس والأديان ، على النحو الذى سعى إلى تحقيقه منذ
القدم كافة الأنبياء والفلاسفة عندما وجهوا ضمائر الناس إلى المحبة والإخاء
وقلوبهم إلى النقاء ، وبذلوا نفوسهم سخية في سبيل هذا التوجيه العسير
غاية العسر ، بسبب ارتطامه بما في نفوس الناس من غلو ومن كبرياء . . .

وما كانوا يبذلونها لولا إيمانهم بأن نظام الله تعالى فى الكون « يمكن
أن يتأصل فى الحب — كما يقول أحد الحكماء — أليس ذلك الفكر البسيط
يقدم عزاء للقلب البشرى أعظم من مجلد عويص فى علم الكون ؟ ! إن كل

قد يس نفذ إلى لب الحقيقة قد شهد بأن هناك نظاماً عاماً مقدساً ، وأنه جميل ومفعم بالفرح ، (١)

وفي هذا الشأن يتحدث أيضاً حكيم آخر قائلاً « إن البشرية الآن على أبواب تغيرات عظيمة ، وإن الريح لتهب وقد عرف من أين تأتي وفي أي اتجاه . إنها الآن نسيم رقيق ، ولكن بعد قليل ستصبح عاصفة تطيح بالكثير مما بناه الإنسان وهو يظن أنه ثابت للأجيال . وعند ما تهدأ العاصفة سيبنى الإنسان من جديد أشياء أحسن وأبقى ، فهل أحسستم النسيم وشاهدتم النذر ؟ . ولكن لن يحدث هذا التغير نتيجة للبغضاء والحقد والتنافس والتناؤ ، إنه سيحدث نتيجة للحب والتعاطف والشعور بأن الناس إخوة ، بل أعضاء جسد واحد ، وأن سعادة الكل في سعادة كل جزء وكل فرد ، وهكذا يبدأ فجر جديد ، فجر العصر الذهبي ..

سيقول لنا الصوت الصاعد من الصمت : اذهبوا واعملوا في كرمي لا بقوة السواعد وبارغام الأشياء على أن تنمو وتزدهر ، ولكن ليسكن عملكم بالقُدوة الحسنة وبالحياة أسمى ما تكون الحياة . إن الناس محتاجون إليكم لينتشر ضوءكم في ظلامهم (٢) ،

وعلى أمثال هذه المعاني أجمعت الفلسفات الروحية في كل ركن من أركان هذا الكوكب داعية للإخاء الإنساني العام الذي يسمو على كل الحواجز والسدود ، ويحطم الأغلال والقيود ، كما يقيم سلاماً حقيقياً بين البشر مختلفاً تماماً عن دعوات السلام الزائفة التي تقوم على التظاهر والرياء ، لأن الروحية هي الدعوة الوحيدة التي تقوم على أساس من الإيمان بالحب الشامل للإنسانية كلها ، ذلك الحب غير المشوب بكبرياء ، وغير المندس بشهوة تسلط ولا ادعاء . كما تقوم على أساس من الإيمان العميق بالتضامن التام بين الناس جميعاً ، والذين ينبغي أن يجمع الإحساس بهذا التضامن بين قلوبهم ، كما ينبغي أن يدفعهم - في ركب واحد - ناموس التطور والارتقاء .

(١) من « فلسفة الهند في سيرة يوجي » . المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) من « فلسفة البوجا » المرجع السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

الفصل الثاني

في الخلق والضمير

تتحدث فلسفة الروحية عن قوانين طبيعية للأخلاق لا تعرف مواد مع من يخالفها ، ويشعر سكان الأثير بقوتها ونفاذها أقوى من شعورنا هنا بأشعة الشمس الحامية عندما تدفئ أجسادنا وتطهر أجواءنا . فتحكم هذه القوانين عالم الأثير حكماً مباشراً بغير ما حاجة لحاكم من البشر يتولى مراقبة تطبيقها ومعاينة مخالفيها ، على الأسلوب المألوف في المستوى الأرضي .

وهذه القوانين تكاد - رغم تعددها وتنوعها - ترجع إلى أصل واحد ، وهو أن كل ما ينبعث عن الأثرة شر يعوق تقدم الروح ويسوء إلهيها ، لذا يجمل بالعاقل تفاديه ، وأن كل ما ينبعث عن الإيثار خير يجمل بالإقبال عليه ، لأن الإيثار طاقة حقيقية تغذى ملكات الروح وتدفع بها إلى الأمام في طريق نمو العقل والعاطفة .

فكل أخطاء النفس وشروورها تنبع عن رذيلة الأثرة وشقيقتها الغرور ، وكل فضيلة فيها تنبع عن الإيثار وشقيقته التواضع . ومن ثم تتوقف سعادة النفس على ما قد يغذيها ويوجه تصرفاتها من إيثار ، كما يتوقف شقاؤها على ما قد يغذيها ويوجه تصرفاتها من أثرة .

وعوامل الضعف والعتار كثيرة ، ولكن مصدرها في النهاية هو الغرور الذي يفترس العقل افتراساً - ومعه كل موهبة حقيقية - كما يفترس الوحش الضارى فريسته الواهنة المستسلمة ، ويمزق ملكات الروح الدفينة فيتركها خلواً من كل موهبة إلا القدرة على التفرير والادعاء ، كما يمزق الداء الويل الصدر والأحشاء ، تاركاً ضحيته البائسة حطاماً وأشلاء ، ويستوى في ذلك السيد مع المسود ، وصاحب القوة والجاه مع العاجز الذليل ، والعملاق القوي مع المحطم العليل .

فعندما يتسامل المرء قائلاً : ماذا هذا العملاق كيما يبدأ حياته مشرقاً جميلاً فإذا به ينهها مسخاً هزيراً . . . ١٩ . فلن يجد إلا جواباً واحداً بسيطاً وهو أن الغرور هو المسئول الأول والآخر عن هذا الشر المستطير .

ومن ثم فليست هناك خدمة أجل للجمتمع من أن يعرف المربون كيف يوجهون الجيل الصاعد وجهة التواضع والوداعة . فهنا تكمن مناعة الخلق ، والوطنية المضحية النبيلة ، وهنا تكمن كل قوة حقيقية ، وكل خير للوطن في بنيه . فليست التربية الوطنية غروراً ولا شراسة ، وليست هي ادعاء وانطواء كما فهمها خطأ بعض المربين ولا يزال .

بل إتنا إذا قلنا التواضع والوداعة فقد قلنا في نفس الوقت البساطة والإخلاص لكل ما هو راق ونيل . فنذ عرف قلب الإنسان طريقه إلى البساطة والإخلاص عرف طريقه بنفس المقدار إلى الإلهام وإلى العبقرية ، وبالتالي إلى التقدم والحضارة ، وإلى كل تضحية نبيلة تنحني لها الرؤوس إجلالاً .

والتربية لا تكون بالوعظ والإرشاد ، بقدر ما تكون بالقدوة الحسنة تقدم للبنات وللبنين في أقرب صورها وأدعائها للاقتداء . فليفهم الجميع أن التواضع والوداعة من صفات الله تعالى لأنه « رحمن ورحيم » ، والرحمة تنفر من الغرور لأن شيطان الغرور قاس لا يرحم . فمن يريد أن يعبد الله حقيقة فليتشبه به أولاً ، بدلاً من أن يقتدى بالشياطين في غرورها وقسوتها ، وكل من يعبد الله يأبى أن يشرك به الشيطان المتوثب لأن يقلب نعيم الحياة جحيماً على الجميع . ولا تبحت عن هذا الشيطان بعيداً لأنه أقرب إلينا وإليك من الله بكثير ، فهو كامن فينا ، أما الله فقد أبعدها عن حياتنا بغير رنا وقسوتنا . . .

إما الاسم المضمون

وما يصدق على الفرد يصدق على المجموع أيضاً ، فلا شيء يلتهم ذكاه الجماعة ويحوّله إلى طاقة هدامة مثل نزعة الأثرة هذه . فعلة تخلف كثير من

الجماعات كائنة في مستواها من الأخلاق لافي مستواها من الذكاء . سم إن تدهور الخلق يؤدي حتماً إلى تدهور الذكاء ، لأنهما وجهان متقابلان لشيء واحد اسمه العقل أو الوعي ، ولذا قال شوقي - رحمه الله :-

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
كما قال أيضاً :-

ولإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
والفرد يتفاعل مع مجتمعه ابدأ ، فهو يأخذ منه ويعطي أراد أم لم يرد ، وشعر بذلك أم لم يشعر . وهذه الآن ليست فلسفة نظرية فلسفية أو اجتماعية ، بل حقيقة علمية وصل إليها علماء النفس المعاصرون - وبخاصة كارل جوستاف يونج K. Jung - عندما قرر أنه يوجد لكل مجتمع وعي عام مشترك يصل بين جميع أفراده بطريقة غير واعية منهم ، كما يجمع بين آبار المياه الموزعة في رقعة واحدة قاع عام مشترك يدها كلها بطريقة مستترقة بنوع واحد من المياه .

وذلك ينمي مسئولية الفرد إزاء الجماعة ، ومسئولية الجماعة إزاء الفرد . ويقيم تضامناً وثيقاً في المسئولية بينهما ، كما يعطي لفطرة الشعوب قيمة عظيمة في توجيه مصائرهم ومقدرتهم في قافلة واحدة عليها أن تشق طريقها في وحدة وطيدة في صحراء هذا الوجود قبل الوصول الى واحة الأمان والاطمئنان . حتى يبدو أن وحدة البيئة هي الرابطة الحقيقية التي تعترف سنن الطبيعة بها كيما تصحح في نفوس الناس ما قد ينال منه تعدد الأجناس والألوان والأديان في الوطن الواحد ، ثم في الكوكب الواحد . فهل آن للإنسان أن يعي عظمة هذا الدرس ويرتب عليه نتائج المحتومة التي أرادت لها إرادة حكيمة من عند عزيز مقتدر ؟

ولما كان كل إنسان يمثل تركيباً من أثره ومن إشار ، فهو يمثل في نفس الوقت تركيباً من ردائل ومن فضائل شتى مجتمعة معاً . ولذا كان لكل

إنسان مستوى محتوم من السعادة بقدر ما يزينه من إيثار ، وفي نفس الوقت من الشقاء بقدر ما يشينه من أثره ، ومن حب للعالم ، بحكم ارتباط المقدمات بنتائجها المحتومة في سنن الطبيعة . وذلك إلى المدى الذي دفع سويد نبرج إلى القول بأن حب الذات هو الحب السائد في الجحيم ، وهو الذي يصنع الجحيم في الإنسان !

وليس الغرور من صفات إنسان دون آخر ، بل إنه يكاد يكتسح نفوس البشر أجمعين وإن تفاوت في قوته وضعفه . ولا يذهبن بك الظن أنه من صفات الأقوياء أو الأغنياء ، أو ذوى الجاه والسلطان دون غيرهم ، فقد يصيب هؤلاء ، كما قد يصيب بنفس المقدار الضعفاء والمحرومين . وقد يكون العجز والحرمان هما جزاء الطبيعة العادل لإنقاذ المحروم من خيالاته ، فينجو من وهدة حرمانه . .

وإذا بلغ الغرور في القوة مداها فهنا الشطط والاندفاع ، وهنا الشر والعدوان ، وهنا الغموض والالتواء ، وهنا التخبط والاضطراب ، وهنا الكذب والنفاق ، وهنا التسلط والاستبداد ، وهنا الحماقة والرذيلة ، والجن والحديعة ، وهنا الصغار والشهاتة ، وهنا فاقة المواهب والملكات ، وانطلاقات الغرائز والشهوات ...

ولا تسلب بعدئذ عن فارق بين « قوى » وبين « ضعيف » أو بين « قادر » وبين « عاجز » ، لأن مآل الجميع في النهاية إلى العجز لإزاء رغبة الحياة في الارتقاء ، وإزاء رغبة الروح — وحقها المشروع — في أن تنعم بالسكينة في حاضرها والاطمئنان إلى مستقبلها ... وحقائق الحياة تلبننا أنه مع تقدم الغرور تتخلف الحياة ، ويتخلف معها كل سكينة وكل اطمئنان للفرد في الجماعة وللجماعة في الفرد .

وسنن الطبيعة هذه تعطي الحياة ولا تأخذها ، لأن الحياة كما فلنا لا تتوقف ولا تقنى ، فهي تمثل بذاتها الدرجة القصوى للإيثار خاليا من الأثرة . ولذا

كان الإحساس بالسعادة في ضمائرنا يشير إلى قانون من قوانين الحياة عرفنا كيف نطيعه ونترنم معه، حين يشير الإحساس بالشقاء إلى قانون آخر عصيانه. ولا يدفعنا إلى إطاعة قوانين الحياة شيء قدر نزعة الإيثار إذا ما وجهت تفكيرنا، ولا يدفعنا إلى مخالفته شيء قدر نزعة الآثرة التي تتعارض حتما مع قدرة الطبيعة في أسلوبها معنا عند ما تعطى فلا تأخذ وتهب فلا تسلب، وتمنع فلا تمنع إلا ما تمنعه عن أنفسنا بأنفسنا، وبما فينا من آثرة ومن عناد.

وإذ لك كله كانت السعادة ليست حادثة بل قدرة، وكانت أبواب السعادة الحقة — كما قال تولستوى — تفتح من الداخل، أي من داخل النفس، هذه النفس التي لا تملك — بالموت — إلاها.

السعادة تنبعث من داخل النفس

ولنوضح هذه الحقيقة الفلسفية الهامة — وهي بحجى السعادة من داخل النفس لا من خارجها — بمثال تنتزعه من فلسفة وليام جيمس عندما يقول « إن التفاؤل بالحياة فضيلة، ويصبح الإنسان متفائلا إذا ما اعتقد بخير العالم لأنه سوف يجد العالم يلي رغباته ويخدمه وسيرفع عنه الاضطراب والقلق، وحينئذ لن يفكر في الشر وسيعتبر أنه شيء غير موجود، أو سيتجاهله بالأقل، ثم يضيف قائلا، إن معظم ما نسميه شرا يرجع إلى النحو الذي يأخذ به الناس الظواهر. يمكنك أن تجعل الشر خيرا بتغيير بسيط في الموقف الداخلي للإنسان المتوقع لك الشر. أي تغيير من موقف الخوف منه إلى موقف النضال لإزاده، وستصبح لدعة الشر حلاوة إذا قبلنا مواجهته بفرح وابتهاج. انكر ما في الوقائع من سوء واحتقر شبح سوئها وأدر ظهرك لها فإن الشر الذي فيها قد يزول... » (١)

فالسعادة والشقاء لا يجيئان إذا من ناحية الأحداث الخارجية التي قد تواجهنا

(١) صنوف التجربة الدينية ص ٨٩ .

بقدر ما يجيشان من ناحية الطريقة التي نواجهها بها ، والتي تتوقف أول ما تتوقف على مقدار ما فينا من فضيلة أو رذيلة ، فالإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه .

* * *

بل إن سعادة الإنسان وشقاءه لا يتوقفان فحسب على مقدار فضائله ورذائله ، التي اصطلاح الناس عليها في مألوف حياتهم وقيمهم الاجتماعية السائدة بقدر ما يتوقفان قبل كل شيء آخر على مدى ذكائه وحكمته . وأيضا على صحة إحساسه بذاته واستقلاله عما يحيط به من مظاهر الحياة ، وبالتالي يتوقفان على نوع شعوره ، وعلى عمق العاطفة الصحيحة لديه أو ضآلتها ، وعلى عمق الإحساس بالجمال حيثما وجد أو ضآلته . الجمال في كل شيء : في الطبيعة ، في نفوس الناس ، في الفكرة الجميلة ، في التصرف النبيل ، في اللوحة الجميلة ، في النغم المعبر ...

وكل ذلك يتوقف على المستوى الروحي - أو إن شئت - العقلي للإنسان ، هذا المستوى الذي يتحكم فيه شيء واحد في النهاية وهو المعرفة أو الجهل ، إلى الحد الذي دفع سقراط إلى القول « بأنه يوجد خير واحد للبشر هو المعرفة ، كما يوجد شر واحد هو الجهل ، ... والذي دفع شكسبير إلى القول بأن « الجهل هو لعنة الله ، أما المعرفة فهي الجناح الذي نظير به إلى السماء » . ودفع إيمرسون إلى أن يقول « بنثنى بما يدور في ذهن الرجل انبثك أي رجل هو ، ونورمان فنسنت ييل إلى أن يقول بدوره « إنك لست من تفكر أنه أنت وإنما أنت ما تفكر » .

فالمعرفة لعقل الإنسان هي إذاً كل شيء حتى الفضيلة والعاطفة . ولعله لذلك قال طاغور أيضاً « نحن لا نعرف لأننا لا نحب ، ... والمعرفة أيضاً هي الإحساس الفنى والذوق السليم ، بل هي أيضاً الشجاعة والنخوة والوطنية .

والتضحية ، والاستقامة والجهاد . وهو حتى في هذا النطاق تنبع من إنكار الذات ، لأنها لا تجيء إلا عن هذا الطريق ولا تقف في طريقها عقبة كعقبة الأثرة التي تعطل في الإنسان نشاطه العقلي ومعه المعرفة الصحيحة والعاطفة السكرية ، وتقلب الموازين والقيم رأساً على عقب ، فإذا الجهل عرفاناً والغباوة إيماناً ، والشرخيراً ، والمغالطة برهاناً . كما أن الأثرة تولد احتقار الآخرين ، والحقد والحسد والانتقام وبالتالي القسوة ، كما تولد الحرب والعدوان على الحقوق . . .

بل إن الأثرة لا تكفى بتعطيل كل فضيلة حقيقية في النفس ، فلا تقنع بأقل من التهامها في النهاية - ومعها كل موهبة ، بل كل المعية وذكاء ، وكل علم وعرفان - جاعلة منها عناصر للتخلف بدلا من الارتقاء - وذلك كله بحكم الصراع الخالد بين الشر والخير في ناموس الحياة ، والذي يتمثل أول ما يتمثل في اضطراع عوامل الخير والشر داخل الروح ، سواء عندما تكون في أسر جسدها المادى ، أم عندما تتخلص من هذا الأسر ، كيما تصبح سيدها الأثيرى .

ولا يوقف طغيان الأثرة عند حدها شيء قدر قوة الإيثار . وإرادة الإنسان هي في النهاية الفيصل في هذا الصراع الخالد بين الشر والخير ، أو بالأدق بين شهوات الذات السفلى محكومة بالجهالة وفوازع الذات العليا محكومة بالمعرفة ، وإرادة التسامى التي تستلهمها الروح من إحساسها بحقيقتها ، ومن اتصالها غير الواعى بعالمها الأصيل .

ولذلك يمكن بغير كبير عناء القول بأن كل فضائل النفس تنبع من فضيلة واحدة حقيقية . فهي أشبه ما تكون بالصيغ المتنوعة المباداة الصلبة عندما ترجع رغم تعددها إلى أصل واحد وهو الأثير ، الذي يرجع بدوره إلى طاقة واحدة محبوسة بحاجة إلى عقل كيما يوجهها ويتوجه بها . كذلك

فضائل الإنسان ترجع كلها إلى طاقة واحدة تغذيها وتتغذى بها وهي طاقة الإيثار التي تغذيها المعرفة ، ويرجع عكسها إلى الصورة العكسية لنفس هذه الطاقة وهي الأثرة التي تغذيها الجهالة . وهكذا يظهر بجلاء معنى القول المقدس « من يحب نفسه يهلكها ، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية » .

الأهموم = المعرفة في الفلسفات القديمة

وليس بغض النفس معناه ازدراء ملسكاتها ، ولا إنكار حقيقة الإحساس الصحيح بالذات كشرط لسعادة الإنسان ، بل معناه تخسب الترفع عما قد يحيط من قدر الروح ، مع تكريس النفس للخدمة الشريفة ، وتكريس العقل لأداء رسالته الصحيحة ، وهي الابتداع . فرسالة العقل التي أعدتها له الطبيعة منذ بدء الخليقة هي أن يكون نامياً مبتدعاً ، فإذا ما توقف عن أداء رسالته فقد ارتكب الوزر الأكبر نحو قانون الطبيعة الأكبر ، وهو الارتقاء ...

ولا ينمو العقل إلا في ظل انكار الذات ، وفي ضوء حرية كاملة من التفكير والتقدير ، ومن البحث وراء المعرفة غير مقيدة بقيود . فكل قيد على العقل أياً كان مصدره ، أو مداه ، إنما هو حرب معلنة على تقدم الحياة ، بل على كل فضيلة ، أشد وزراً من كل حرب دموية أعلنتها الحماية على الحكمة ، والجود على التقدم .

ومن يقف عاجزاً عن تفسير الكثير من ألغاز الطبيعة ، وعن تفهم حكمة الأحداث الضخمة التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني ، وحكمة المآسي المرة التي عانى منها الإنسان ولا يزال يعاني ، فإنه لن يجد مفتاح اللغز إلا في قانون التطور وسلطانه الرهيب على الروح والمادة ، وتفوقه الساحق على كل قانون آخر عداه ، مهما ظهر لنا إنسانياً رحيماً ، في هذا المستوى الضيق المحدود من الوجود .

وإذا كان تطور الجسد هدفاً سامياً من أهداف الطبيعة ووسيلة من وسائلها نحو ارتقاء الحياة فتطور الروح — حاملة العقل — أحق وأوجب .
فنحن لا نحيا لإشباع شهواتنا وغرائزنا بل لتنمية ملكاتنا ومداركنا ، ومن ثم كان العقل غاية الحياة ، كما أن الحياة المتكاملة غاية للعقل المتكامل ، فالحياة تدور مع العقل وجوداً وعدماً ، كما تدور معه ارتقاء وانحطاطاً . وهيهات لنأموس الله العادل أن يكون الأمر غير ذلك ، إلا إذا نزل بنا مستوى الإدراك عن إدراك حقائق الحياة الواضحة ... وارتفع بنا مستوى الادعاء إلى زعم العلم بكل أسرار الكون وخفاياه ، كما تكون أداة طيعة في يد ادعاءاتنا ، وكأن الله تعالى يتلقى منا الوحي والإلهام ويتعرف منا على الحلال والحرام ...

وقد كانت الفلسفات القديمة تعرف للعرفة حق قدرها ، وأثرها المباشر في الارتقاء بالروح وتطورها للأمام كما ، تعرف أثر الجهل في الانحطاط بها .
ففضيلة النفس الصحيحة — عند سقراط وأرسطو وأفلاطون — هي المعرفة . وفي هذا الشأن يقول الأخير : المعرفة انعكاس النفس على ذاتها لكشف المبادئ التي تهديها وتثير لها السبيل وتأخذ بيدها في طريق الحق . وسائر الفضائل تنبع عن فضيلة المعرفة . والعقل هو أساس سائر الفضائل التي تواضع الناس عليها ، (١) .

ومثل هذا الرأي نجده أيضاً عند الفلاسفة الكبار الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد : —

فالفارابي يقول كأفلاطون إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق . . وإن المعرفة الحققة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي . كما يقسم قوى النفس إلى قسمين رئيسيين : أحدهما موكل بالعمل والآخر موكل

بالإدراك . ثم يقسم القسم الثانى إلى قسمين فرعيين : حيوانى وإنسانى .
أما الحيوانى فوظيفته الإحساس ، وأما الإنسانى فيهدف إلى تحصيل المعرفة
العقلية بمعنى الكلمة ، ويطلق على هذا القسم الأخير وصف العقل
النظرى (١) .

أما الرئيس ابن سينا فيقسم النفوس إلى ثلاث متفاوتة تبعاً لاختلاف
مرتبتها من حيث الكمال فى الفضيلة والمعرفة . وهذه هى طائفة السابقين
الذين يدركون الدرجة القصوى فى جنات النعيم فيلحقون بعالم العقل
ويتنزهون عن مقارنة أدران الحياة الجسمية ... والأمر الذى يهمنا هنا أن
نبرزه هو كيف أنه يجعل الكمال فى الفضيلة إلى جانب الكمال فى المعرفة
شرطاً لإدراك الدرجة القصوى فى جنات النعيم للحاق بعالم العقل .

كما يعرف الإمام الغزالى النفس الإنسانية بأنها دكال أول الجسم طبيعى
آلى من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختبار العقلى والاستنباط بالرأى ، ومن
جهة ما يدرك من الأمور الكلية (٢) ،

ويذهب الإمام الغزالى أيضاً فى تبيان قيمة المعرفة إلى د ان الروح
متجهة من ناحيتها إلى العودة إلى أصلها ، وقد جاءت إلى هذا العالم بالرغم
من إرادتها لتحصل على معرفه أوسع بالله ، ومستوى عودتها هو درجة
المعرفة التى تكتسبها فى هذا العالم . فرغبتها فى العودة ، بمزوجة مع عجزها
عن تحقيق ذلك دون أن تتحقق لها المعرفة ، هى سر الحياة الإنسانى فى هذه
الدنيا . وهذا السر نفسه هو حكمة الله فى خاق الحياة والموت بالنسبة
للإنسان ، وهو نفسه الذى يضى على الحياة الإنسانية على هذه الأرض
أهميتها الخاصة فى حياة الإنسان الخالدة . ويعيش الإنسان ليس بإرادة منه
بل تبعاً لطبيعة روحه فى شعور دائم من القلق لإحساسه بولائه وبعده عن

(١) أنظر « عيون المسائل » ومى فى مجموعة « الثمرة المرضية » ص ٧٢ - ٧٤ .

(٢) « فى النفس والعقل » للدكتور محمود قاسم طبعة ٣ ص ٩٨ .

الملكوت السماوى وهو الإحساس الذى يدفعه إلى التفكير فى نفسه وفى كل ما يحيط به من آفاق . . .

وعلى الإنسان قبل أن يحاول معرفة الملكوت السماوى ليصل إلى الرضى واطمئنان النفس أن يعرف أولاً عالم المشاهدة الذى يحيط به ، وأن يحرر نفسه من قيوده . وكل علم يحصل عليه هو ذو قيمة كبيرة حتى ولو لم يكن ذا قيمة مباشرة فى حياته ، إذ أنه يضيف شيئاً إلى معرفته بأعمال الله ، ويمكنه من المضى فى سيره نحو السعادة . وتكون سعادة الإنسان ورضاه هى النقطة النهائية فى عملية اكتساب متدرج للمعرفة بأمور كثيرة طبقاً لقدرته المتزايدة نتيجة فضوجه . وليست السعادة فى حد ذاتها إلا حالة وجودية ترافق أداء الإنسان للأمانة التى حملها الله لإياها ، وهى معرفة الله عن طريق معرفة عوالمه المختلفة فى خلقه . . . (١) .

ويذهب فيلسوف قرطبة أبو الوليد بن رشد إلى أن اتصال النفس بالبدن لا يمكن أن يكون إلا لحكمة إلهية ، وهى أن يدرك المرء حقيقة الأشياء ويقف على جوهر نفسه . وإلى أنه يجب أن تكون المعرفة هى غاية الإنسان فى أفعاله التى تخصه دون سائر الحيوان ، وهذه هى أفعال النفس الناطقة . ولما كانت النفس الناطقة جزئين ، وهما جزء عملى وجزء على ، وجب أن يكون المطلوب الأول منه هو أن يوجد كماله فى هاتين القوتين (٢) . كما يقرر « أن النفس تنتهى إلى أن تدرك أنها ليست صورة للجسم فحسب ، بل تعلم أنها جوهر عقلى يحل مكاناً وسطاً بين عالم الحس والعالم الإلهى . . . »

ولسوء الحظ أن تقدير قيمة « المعرفة العقلية بمعنى الكلمة » على حد تعبير الفارابى ، للوصول إلى « السكّال فى الفضيلة والمعرفة » على حد تعبير

(١) عن « الإنسان عند الفزائى » تأليف الدكتور على عيسى عثمان وتحرير الأستاذ خيرى حماد من ١١١ ، ١١٢ .

(٢) عن « كتاب مناهج الأدلة » ص ٢٤٠ .

ابن سينا ، والوصول إلى طريق « السعادة والرضا ، وللحصول على معرفة أوسع بالله ، على حد تعبير الغزالي ، ود إدراك المرء لحقيقة الأشياء والوقوف على جوهر نفسه ، على حد تعبير ابن رشد . . . قد خبا مع الوقت تحت تأثير فهم خاطئ ساد في عصور لا حقة مقتضاه أن الإيمان الأعمى هو كل شيء للإنسان ، وأنه يغنى عن كل شيء حتى عن المعرفة الصحيحة ، حتى كاد التسليم الأعمى أن يسحق في طريقه الإدراك المبصر ، وأن يصبح ذريعة لظلام الغموض الذى ينبغى أن يحل في بعض الأذهان محل نور العرفان . .

بل كاد التسليم الأعمى أن يسحق في طريقه الاستقامة والفضيلة والمحبة والوداعة ، وأن يصبح ذريعة لإنكار فضائل الآخرين وخدماتهم وتضحياتهم ، وبالتالي لإهدار حتى القيم الصحيحة والموازن العادلة . . .

ووجد هذا التقدير الخاطئ لمعنى الإيمان من يغذيه ، ولا يزال يجد حتى الآن بسبب غشاوة التكبرياء — وهى العدو الأول للإنسان فى كل زمان ومكان — والتي لا يمكنها أن تدرك أن المعرفة الصحيحة هى التى تقوى ملكات الروح ، وأن هذه الملكات هى سبيل الإيمان الصحيح . فالإيمان يبدأ أبداً وينتهى حيث تبدأ به وتنتهى المعرفة الصحيحة لحقيقة الأشياء ووقوف الإنسان وقوفاً صحيحاً على جوهر نفسه ، وعلى مكانه المحدد له فى الوجود منذ الأزل وإلى الأبد . . .

وفى هذا الشأن يتحدث الدكتور أحمد زكى — مدير جامعة القاهرة سابقاً — قائلا : الناس فى كهولتهم وشيوخوتهم صنفان . . . صنف يسلم أمره للواقع ويسلم فهمه ، فهو لا يفكر إما جهلاً وإما عجزاً . وكثيراً ما يتدارى فى التعبد على أى دين كان . وينغمم فى تعبد به بما يدرى وما لا يدرى ، وينغمم بالذى يكون له معنى ثم يصير من كثرة التكرار وليس له معنى يعيه . وهو يرجو أن ينزل عليه القدر بالخاتمة على هذه الحال ويرجو من ذلك حسن المسأل . . .

« أما الصنف الآخر فيؤسس إيمانه على الفهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .
ولقد يعلم أن العقل سوف لا يبلغ الغاية ، ولكن عنده أن بعض الغاية خير
من فوائدها كلها . وعنده أن عقلا يتحرك يسنده القلب خير من عقل كسيع ،
وأن عقلا ينبض بشيء من الحياة خير من عقل لا حياة فيه . فإلى هذا
الصنف الأخير من شبان وشيوخ على الأخص أتوجه بالحديث ... (١) »

هل من نوايس طبيعية لمؤلفه ؟

وعلم الروح الحديث — وإن كان لم يأت بجديد في شأن ماهية المبادئ
الخلقية المستقرة من ناحيتي قيمتها في إسعاد الانسان ، ووثيق اتصالها بنوع
المعرفة الذي يغذيها ويتغذى بها — إلا أنه ألقى على هذه المبادئ المستقرة
أضواء جديدة — لا تقل في قوتها عن تلك التي ألقاها على الإيمان المستنير
وعلى سلطان الضمير — عندما أعطاها أسانيد جديدة تجعل العقول أقرب
إلى فهمها ، وأسباب جديدة لتقدير قيمتها وبالتالي الاستمسك بها .

ويكفي في هذا الشأن أنه وضع تماماً كيف أن للكون نوايسه الطبيعية
الصارمة التي تحكم الخلق ، كما تحكم قوانين أخرى المادة ، فتوجهها في
منظوماتها الذرية العجيبة وهي تسبح في فراغها الأثيري كما توجه الضوء
والحرارة والكهربائية والمغناطيسية ، وكل حركة في الكون نحو الاتزان
والتناسق مع سائر مظاهر الوجود الذي يبدو لنا مادياً وما هو في حقيقته
من « المادى » في شيء .

ولكل قانون « مادى » ، قانون خلقى يقابله ، أو بالأدق قانون عقلى
مرتبط به مادام الارتباط محتوماً بين العقل والمادة . إذ من غير المتصور
أن توجد قوانين طبيعية تحكم مظاهر الوجود المادى ولا تحكم في نفس الوقت
وبنفس المقدار مظاهر الوجود الروحى أو بالأدق العقلى ، الذى يمثل
الوجود الحقيقى للحياة .

(١) في مؤلفه « مع الله في السماء » ص ٩ .

وإذا كنا لا نحس على المستوى الأرضي بكل ما لهذه القوانين الطبيعية الخلقية من سطوة فلأن الغلاف الجسدى الكثيف الذى يغلف عقولنا يحجب عنا هذا الإحساس إلى حد كبير . فإذا سقط هذا الغلاف بالتغير الذى اعتدنا أن نسميه موتاً سطعت هذه القوانين سطوع الشمس بعد سقوط الأمطار ، وشعرت الروح بكل نفاذها فاستضاءت بها الحكمة وهربت منها الحماقة ، ولكن إلى أين المفر ؟

وهذه القوانين الخلقية الطبيعية وصلت إليها المعرفة حتى عن طريق حقائق علم النفس التى أثبتت أن الأمراض النفسية كثيراً ما يكون سببها الأساسى الأنانية ، وأن السعادة النفسية مرتبطة برسالة الخدمة والعمل على إسعاد الآخرين . كما أثبتت أن الفراغ مدعاة لليأس وللحنوط ، وأن العمل المشمر يفتح باب الأمل ويشفى الكثير من أدواء النفس وعوامل شقاؤها ، وأن الحقد الدفين هدام للنفس والجسد ، ولذا كان الزمن يلهم الطبيعة لجراح النفس والجسد وغير ذلك من القوانين الخلقية الطبيعية التى يسلم بها تماماً علم النفس الحديث .

ثم إن من يختبر نفوس الناس يدرك أن نوازع الهوى الجامح فيها تتجاوز نوازع الاعتدال ، وأن عوامل الزيف أصيلة فيها هيئات أن يقاومها شعور راسخ بأن الحق أحق بأن يتبع ، وأن التواطؤ على الاتم أقرب إليها من التعاون على البر والتقوى . وكبرياء أى إنسان تزين له أبداً سبيل سوء وتليس أسباب الالتواء ، كما تصور له أنه دائماً على صواب ، ولو كان بعيداً عنه بعد الأرض عن السماء

فالباحث عن العدالة فى ضمير الإنسان متطلب فى الماء جذوة نار . . . ومن أين إذاً يمكن أن تشرق نار العدالة ونورها فتبديد فى رحبات الكون الفسيح مظالم البشر وظلمة ضمائرهم ؟ وكيف تعيد إلى النفوس الجزعة الحزينة حقها السليب وسكونها الطبيعى المشروع ؟ ثم . إن وجود هذه القوانين العادلة المطلقة ، المعدة كما تحكم أحداث الحياة منذ الأزل وإلى الأبد ، فى كل مكان

وعلى كل مستوى ، هو الأمر الوحيد الذى يفسر معنى الضمير الإنسانى ، ومعنى رسالة هذا الضمير فى استلهاهم هذه القوانين حلولها ، ومحاولة الوصول إلى أسرارها .

وهو الأمر الوحيد الذى يفسر معنى قولنا بأن إرضاء الضمير يرضى الله تعالى ، وأن مخالفته تغضبه . فلو لا هذه القوانين المطلقة الحكيمة لما كان للضمير الإنسانى من مغزى ولا من هدف ، ولما كان هناك محل لرضاء ولا لغضب . ولما كانت هناك وحدة سامية تربط بين ضمائر الناس على اختلاف عقائدهم ومشاربهم برباط وثيق من الإحساس بقوة الفضيلة ، وبضعف الرذيلة ، بل من الإحساس المشترك بماهية هذه وتلك على مر الدهور والأجيال ، وبالتمييز بين القبح والجمال فى معالم الحياة ، بل وفى نفوس الناس ودوافعهم فيها حيثما كانوا وأينما وجدوا .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث أديب الروحية وفيلسوفها المعروف ليون دينز Léon Denis قائلا : إذا كنا ننجى من العدم لنعود إلى العدم ، وإذا كان نفس المصير ، نفس النسيان ينتظر المجرم والحكيم ، الأنانى والمخلص ، وإذا كان بحسب مفارقات المصادفة ينبغى أن يكون العناء وحده من نصيب البعض والسعادة والمرح من نصيب البعض الآخر ، إذا فلنجرؤ على أن نعلن أن الأمل سراب ، وأنه ليس من عزاء بعد للحزانى ، ولا من عدالة لضحايا سوء المصير .

فالإنسانية تدور محمولة على حركة الأرض بغير هدف ، بغير وضوح ، بغير قانون خلق ، مجددة نفسها بنفسها عن طريق الولادة والوفاة ، وهما الظاهرتان اللتان يتردد الإنسان بينهما ، ويمضى غير تارك من أثر بعده إلا ما هو كضوء باهت فى الليل .

وتحت تأثير مذاهب كذبه (يتحدث عن المذاهب المادية والوضعية)

ليس على الضمير إلا أن يسكت تاركاً مكانه للغريزة الوحشية ، وعلى روح
الوصولية أن تخلف النخوة ، وحب المتعة أن يحل محل التطلعات السكرية
للروح . وعندئذ فلا يفكر كل إنسان إلا في نفسه . وبغض الحياة ، بل
أفكار الانتحار ستجىء للاستحواذ على البؤساء . ولن يملك الفقراء إلا
الحفيظة على الأغنياء ، وفي غمرة غضبهم قد يحطمون تحطيماً هذه الحضارة
الفجة المادية .

ولكن كلا ! إن العقل والمنطق يشوران غاضبين محتجين ضد مذاهب
اليأس هذه ، قائلين إن الإنسان لا يمكن أن يكون قد كافح وعمل وتألم كيما
يتهمى إلى لا شيء ، وإن المادة ليست كل شيء ، فهناك قوانين أسمى منها ،
قوانين للنظام وللتناسق ، فليس السكون مجرد آلة لا وعى فيها .

فكيف يتأتى للمادة العمياء أن تحكم نفسها بنفسها عن طريق قوانين
ذكية حكيمة ؟ وكيف يتأتى لها وهي مجردة من العقل ومن الشعور أن تنتج
كائنات عاقلة ، شاعرة ، قادرة على أن تميز بين الخير والشر ، وبين الأمر العادل
والظالم ؟ ماذا أقول ؟ إن الروح الإنسانية عرضة لأن تحب لغاية الفداء ،
ومعاني الجمال والخير منقوشة فيها ، ومع ذلك يقولون إنها نابعة من عنصر
لا يملك — في أية درجة — شيئاً من هذه الصفات ؟ فهل نحن نشعر ونحب
ونتألم ، ومع ذلك فقد انبعثنا من مصدر أصم صلب صامت ؟ وبالتالي فنحن
أكل وأفضل من مصدرنا ؟

إن منطقاً كهذا هو عدوان على المنطق ، فليس من الحكمة أن نقبل القول
بأن الجزء يمكن أن يكون أسمى من الكل ، أو أن الذكاء يمكن أن يجيء من
مصدر غير ذكي . أو أنه يمكن أن يخرج من طبيعة لا هدف لها كائنات
عرضة لأن تتابع الجرى وراء أهدافها .

إن الذوق العام يقول لنا على العكس من ذلك إنه إذا كان الذكاء ،
وحب الخير والجمال ، كائنين فينا فينبغي أن يصل إلينا من مصدر يملكهما

بدرجة أعلى منا . وإذا كان النظام ظاهراً في جميع الأشياء ، وإذا كانت هناك خطة تكشف عن نفسها ، فذلك لأن تفكيراً قد وضعها ، ولأن عقلاً قد رسمها (١)

في عرافة الإيمان بالنواميس الطبيعية

وهذا الإيمان بوجود قوانين طبيعية للعدالة المطلقة ليس بالجديد على الأفهام بل هو قديم ، لأن الإلهام الروحي قديم . فعندما ارتقى عقل الإنسان المستوى الذى مكنته من تلقى الإلهام الراقى بدأ فى التحدث عن قوانين طبيعية للعدالة المطلقة مصدرها ضمير الوجود لاضمائر البشر ، وتفسر وجدها المجرى العام للحياة الذى تعودنا أن نعبّر عنه بالقضاء والقدر . وعلينا أن نبحت عنها كمنجم ماس مخبوء فى أعماق بعيدة ، وإذا عثرنا عليه قلنا بل نحن الذين بعقولنا صنعناه وهكذا وضعناه . . . فما أضل ما نفكر وما نزع من أوهام .

ولم يضعف إيمان الإنسان بهذه القوانين الطبيعية إلا عندما بدأ عصر الإنكار ، فكان أن ساد اعتقاد آخر يريد أن يرجع جميع القوانين الخلقية إلى قيم اجتماعية عابرة لا منطق فيها غير روح الاجتماع ، ولا رابطة تربطها إلا مصلحة الجماعة . فأصبح إنكار قوانين الطبيعة رقيقاً وفيماً لمدارس إنكار القدرة الخالقة ، كما كان الإيمان بإله شخصى متحيز رقيقاً وفيماً لمدارس الجهالة وما أكثرها . . .

أما فلسفة الروحية فإنها تقوم الآن فى جملتها على التسليم بوجود نواميس طبيعية موضوعية تحكم الروح فى تقدمها وارتقاءها ، هذا الارتقاء الذى ليس له مفتاح آخر إلا الخلق القويم ، نواميس تعرف كيف تثيب بذاتها وتعاقب لأن يوم الدينونة هو كل يوم هنا وهناك ، وذلك حتى تحصل كل روح

(١) عن مؤلفه « بعد الموت » Après La Mort ص ١٠٩ — ١١١ .

على الارتقاء المطلوب ، لأن الله تعالى يريد الخلاص لجميع الأرواح ولا يريد لروح واحدة أن تتألم أو تقاسى من الخروج عليها ، إلا بالقدر اللازم لدفعها في طريق تطورها للأمام وصلاح أمرها . هذا وقد بينا في باب الثواب والعقاب كيف أن هذه النوااميس تعمل في نطاق الارتباط الطبيعي بين المقدمات ونتائجها المحتومة ...

وهذا البنيان الذى تقوم عليه الفلسفة الروحية الحديثة ليس جديداً على الأفهام كما قلنا ، بل كان مزدهراً منذ كانت الفلسفة في أكثر أيامها ازدهاراً .

فها هو مثلاً الشاعر الإغريق سوفوكليس Sophocles يذكر في قصة أنتيجون أن «قوانين الأخلاق صادرة من الآلهة لا من الإنسان الفانى ولا يستطيع النسيان أن يؤثر في يقظتها» . وها هو أفلاطون يقارن بين العدل المطلق والقانون الصالح وبين التقاليد والتشريعات النافذة فعلاً . وها هو أرسطو يقسم العدل إلى نوعين : طبيعى ووضعى ، ويقرر أن القواعد الطبيعية أسمى من القواعد الوضعية وسائدة في كل مكان رغم تطبيق مبادئ متنوعة ومخالفة لها في شتى البلاد . فالفلسفة الإغريقية كانت تعرف العدل المطلق كما كانت تعرف حرية الإرادة .

ثم اعتنق فكرة العدل المطلق فيما بعد فلاسفة كبار منهم فولتير ومنتسكيو وهما من أنصار مدرسة العدالة المطلقة التى ظهرت في أعقاب ثورة سنة ١٧٨٩ في فرنسا . كما اعتنقها من بعدهم آخرون في فرنسا منهم جوزيف دومستر Joseph De Maistre (١٧٥٣ - ١٨٢١) الذى كان يؤمن بالعدالة الإلهية المطلقة حتى في أحكام القضاء الأرضى سواء أصابت بحسب تقديرنا أم أخطأت . واعتنقها أيضاً الفيلسوف الألمانى عما نوييل كنط E. Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) . وتمتاز آراء كنط بطابع روحى يريد أن يحتفظ للفرد بحريته إزاء الدولة ، حين تبدو آراء دومستر أقرب إلى الدفاع عن سلطان الدولة على الأفراد في سبيل تحقيق العدل الإلهى المطلق الذى كان يؤمن به .

واعتنقها في انجلترا فلاسفة كثيرون ، وأيضاً نفر من كبار الفقهاء والمشرعين ، فنجد مثلاً الفقيه بلا كستون Blackstone يقول إن القوانين البشرية وضعت على أساس من قانون الطبيعة the Law of Nature الذى يرتكز على القوانين الالهية الازلية التى لا تبدل ولا تتغير ، قوانين الخير والشر التى جعل الله الانسان يدركها بعقله . ولأن قانون الطبيعة خلق مع الجنس البشرى فهو مواز له ، ولأنه من وضع الله فإن له السيادة والأسبقية على كل ما عداه . وليس لآى قانون وضعى قيمة ولا اعتبار إذا ما تعارض مع قانون الطبيعة . وأن كل قانون من القوانين الوضعية إن كان سليماً فلا أنه يستمد كل قوته وسلطانه مباشرة أو بالواسطة من هذا الأصل . . .

* * *

ولسنا نريد أن نتابع هنا موضوع هذا الإيمان بوجود قوانين مطلقة خلقية تحكم هذا السكون بصرامة لا تقل عن صرامة قوانين المادة ، مثل الجاذبية والحرارة والمغناطيسية والكهربائية والسكون والحركة . . . فإن هذا موضوع يطول شرحه . إنما يكفي أن نقرر أن هذا الاعتقاد بدأ فلسفياً ثم تبنته شتى العقائد في كل مكان جاعلة منه محوراً أساسياً من محاور الإيمان الدينى بجانب الإيمان بالحياة بعد الموت وبالثواب والعقاب .

حتى لقد سادت في وقت من الأوقات فلسفة مقتضاها أن الدولة ينبغى أن تعاقب الجانى من باب الانتقام منه لأنه خرق القانون الإلهى ، وهذا هو عصر الانتقام الالهى أو المقدس Vengeance Divine الذى اتسمت فيه العقوبات بالقسوة عن فهم غير سليم لنا موسى العقاب الذى توجهه رحمة الإله عندما توجه الانسان فى نموه الروحى وتطوره البطيء للأمام على المدى البعيد ، الذى يتعارض تماماً مع كل قسوة . فالقسوة لم تصد تيار الجريمة فى أى عصر من عصور التاريخ ولا أعادت أحداً من الجناة إلى صفوف المجتمع ، ولا هذبت أخلاقه فدفعت به إلى الأمام .

والاعتقاد بوجود قوانين خلقية طبيعية يكاد يكون هو بعينه قانون الثواب والعقاب موضوعاً في قالب فلسفي ، لولاه لما وجد هذا الاعتقاد صدام القوى في أذهان الكافة منذ القدم . ولم تفعل الفلسفة الروحية في العصر الحديث إلا أن تولت إبرازه وشرح مقدماته ونتائجه بأساليب جمعت إلى قوة المنطق تماسك البنيان ووضوح البرهان .

السعادة وثيقة صلة بالعقل وبالذافع

ولهذا أيضاً فإن الإحساس بالسعادة أو الشقاء بحسب هذه القوانين الطبيعية لا يجيء من محض بيئة خارجية قد يحيا فيها الإنسان ، ولا من محض نوع من الشعور الداخلي الغامض قد يعمر قلبه . بل إنه مشكلة لها جوانب أكثر تركيباً : ما نتصوره - إذا لم نحسن فهمها . وهي مشكلة في غاية البساطة إذا أحسنّا فهمها على أنها في النهاية مشكلة الحالة العقلية للإنسان ، ولا شيء سواها . فهي القوة المسيرة له ، وهي صانعة مصيره .

ففي وسع العقل كما قال ملتون الشاعر أن يخلق وهو في مكانه مقيم جحيماً من الجنة أو نعيماً من الجحيم ، إذ في العقل تكمن عواطف الإنسان ومشاعره ، وفيه تتفاعل دوماً آلامه وآماله ، وتتصارع فضائله وذنائله . وقد أرجعنا فيما سبق جميع فضائله إلى نزعة الإيثار وجميع ذنائله إلى نزعة الأثرة . فعندما ما يحدد العقل مكانه بين النزعتين إنما يحدد فوراً مكانه بين السعادة والشقاء . فكأن مشكلة سعادة الإنسان الحقيقية هي بالتالي مشكلة موضعه بين الإيثار أو الأثرة الذي يتمثل أيهما في دافع سلوكه في الحياة أكثر مما قد يتمثل في المظهر الخارجي لهذا السلوك .

فنوع الدافع هو كل شيء ، الأمر رهن دائماً بالدافع - تقول الروح سيلفر بيرش - إنك لا تستطيع أن تتدع الناموس . والناموس سجل مدون في قرارة نفسك . فكل فعل وكل ظن وكل رأى وكل رغبة - كل هذا يدون إلى الأبد في هالة النفس ... إن الدوافع ليكل ما أنتم من عمل في دنياكم

المادية معروف لأولئك الذين يبصرون بعيني الروح ، إذ أن نفسك تكون عارية أمامهم . ومن ثم كانت السعادة تنبعث — أبداً — من داخل النفس لا من خارجها على ما يبيناه آنفاً (١). وقد ثبت ذلك بأدلة سيكولوجية وفلسفية تتفق تماماً مع فلسفات الأقدمين ، وذلك بالإضافة إلى الأدلة العملية التي جاءت بها تجارب علم الروح على ما سردناه في باب الشواب والعقاب .

وفي هذا الشأن تقول نفس الروح أيضاً : « إنكم دائماً مركبات تستقبل الأفكار والآراء والقدرة . ولكنكم في نفس الوقت روح . جزء من روح الحياة الأعظم . فيمكنكم الدعاء لذلك المنبع اللانهاى وأن تساعدوه ليعبر عن نفسه بصورة أكمل مما هي عليه . هل تظنون أن الإنسان قد وصل إلى الدور النهائي في تطوره . أليست مدنييتكم الحالية برهاناً واضحاً على أن الإنسان مازال أمامه الكثير بعد في نموه وتطوره ؟ ... »

... وهذه الألوهية ولو أنها شرارة صغيرة إلا أنها ساكنة في دخيلة كل إنسان . وسواء نفختم في الشرارة كيما تجعلوها ضوءاً عظيماً ، أم تجاهلتموها حتى أصبحت مطفأة ، فهذا أمر عليكم أن تقطعوا فيه برأى مستلهمين عزيمتكم الحرة ، لأنه لا يوجد بتاتاً شخص آخر يفعل لكم ذلك . « أنتم الحكماء في مصائركم . أنتم تصنعون وتشكلون مستقبلكم . وسواء سمحتم للروح الأعظم ليظهر أم لا فهذا أمر متروك لتقديركم إن هذا لا يعمل لكم . ولا يوجد أحد يستطيع إثارة التقدم حتى تبدأوه بأنفسكم ، » (٢) .

* * *

وفي نفس هذا الاتجاه تقول أيضاً الروح جوليا : « اذكروا ذلك ، أن الجنة هي أن يعيش الإنسان في إحساس دائم بمحبة الله . فكل تصرف

(١) راجع ما سبق في ص ٤٢٣ — ٤٣٠ .

(٢) عن « سفير الأرواح العليا » ص ٨٠ .

أو كلفة أو فكرة لا تنبع من المحبة تبعد روحاً خارجاً عن السماء ، وتغلق عليها أبواب الجحيم بقدر ما تقوم الحياة على الأفكار .

فالآفكار السوداء والمخيبة والمريرة كلها قضبان في بوابة جهنم . وأنتم يا من ساعدتم على وضع هذه الأرواح هناك عليكم أن تساعدوا على إعادة الأسرى إلى حريتهم ، ولا تحسبوا أن عملكم في هذا الشأن سيكون محض عناء . إن أكبر متعة في حياتنا هنا هي أن نكون مشغولين إلى مالا نهاية بأن نعيد نور المحبة إلى أولئك الذين ساعدنا على حرمانهم منها .

وعندما أتحدث عن ذلك لا تحسب أني أتحدث فحسب عن الحب العاطفي أو الانفعالي ، كلا ، فإن طريق كل محبة هو العدل ، فإذا لم تكن عادلاً فليس بمقدورك أن تحب . فإعادة المخطيء إلى الطريق القويم ، وإنصاف المظلوم ، وإنقاذ المقيمين في الهاوية ، هذه هي أجداد حياتنا ، هذه هي رياضات السماء ... (١)

كما تقول أيضاً في مؤلف آخر اسمه « دروس من العالم التالي » (٢)، إن الأفكار أشياء . الأفكار تعطى إلى مركز الروح أكثر مما تعطى الكلمات الكثيرة ، والاعتقادات الكثيرة ، والتصريحات الكثيرة عن الإيمان والوعظ الكثير . . . فهل هذه كلها تعطى الروح حقيقة ما تحتاج إليه ؟ إن الأفكار النقية المقدسة تبعث بالروح إلى ممالك السلام والمجد المشرق حين تبعث بها الأفكار الفجة والشهوية إلى الجحيم الأسفل . فانظر إلى مدى ما يترتب على موقف العقل من آثار ، .

* * *

وفي نفس الوقت الذي نتحدث فيه الأرواح الراقية عن أثر العقل في سعادة النفس أو شقاءها نتحدث كما سبق أن بينا عن أمكنة لا حصر لها

(١) « بعد الموت » لسير وليام ستيد طبع ١٩٥٢ من ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) Lessons From The Beyond من ٢٧ ، ٢٨ وهذه الدروس وردت بعد

انتقال ستيد عن طريق وسيطة اسمها السيدة ماي May .

تتفاوت تفاوتاً ضخماً من ناحية مناظرها وأجوائها وأضوائها وألوانها وظروف الحياة فيها. ويستحق كل إنسان مكانه فيها طبقاً لقانون طبيعي للتوافق الروحي هو الذي يحدد له هذا المسكان بحسب مدى نموه العقلي والخلقي ولا أثر فيه لارستقراطية المولد أو الثراء الأرضي (١).

لذا يمكننا في ضوء فهمنا لبعض بيانات الأرواح عن السعادة والشقاء أن نقرر بأن « الجنة تكمن في الإنسان السعيد وهو فيها ، ويمكن الألم في الإنسان الشقي وهو فيه . وكلاهما موقع في سلم الاهتزازات الكونية ، وفي نفس الوقت حالة عقلية تقع في داخل النفس الإنسانية . ولا محل للفصل بينهما ، ولا للفصل بين حالة وأخرى بحواجز فاصلة لا يمكن اجتيازها ... »

وعلى ذلك فسعادة الإنسان لا تتوقف لحسب على المكان الذي قد يوجد فيه ، بل تتوقف قبل كل شيء على حالته النفسية أو إنشئت العقلية أى على ضميره في النهاية . ولذا قال ماركوس أوريليوس « إن حياتنا من صنع أفكارنا ، كما قال سويدنبرج إن الشر في الإنسان هو الجحيم ، فالجحيم والشر شيء واحد . وهذه الحقيقة ندركها على هذا المستوى الأرضي بشكل واضح ، لكنهم يدركونها هناك بشكل أكثر وضوحاً . لأن الإحساس بالمكان هناك يتوقف أولاً على المستوى العقلي للروح ، مادام العقل هو هناك وسيلة الانتقال الوحيدة على ما يبدوا فيما سبق ، ومادام للروح تأثير مباشر فيما حولها من مظاهر الوجود يحكم تأثير العقل في المادة .

ومن ثم يصح القول بأن العقل هو كل شيء في الإنسان ، فهو النور الذي يشرق في جنبات الضمير ، وهو النار التي تحرق ما يغذيه من شعور الخير إذا شاء ، أو شعور الشر إذا شاء ! فهو إذا — وحده — مصدر سعادتنا وشقائنا ، ورافعنا وخافضنا ، ومحطم الأغلال وواضع القيود ، وهو صديقنا الأول إذا شئنا ، وهو أيضاً العدو اللدود !

(١) راجع ما سبق ص ٧٣ وما بعدها ، و ١٥٠ وما بعدها .

فإذا ما اخترلنا الإنسان إلى مادة - ولو كانت حجراً كريماً - لاخترلناه إلى مجرد تراب ، أما إذا اخترلناه إلى عقل لما بعدنا عن الصواب . وهذه الحقيقة الرائعة لا تبدو على كل روعتها إلا في ظروف العيش في أى مستوى من مستويات « ما بعد المادة » بعد إذ يتم تحرر العقول من الأجساد المادية التي لا تتفاوت كثيراً في مظهرها الخارجى ، والتي قد تتحدعنا أحياناً عندما يطوى الجسد الذى قد يبدو جميلاً عقلاً لا جمال فيه ، والتي لا تتفاوت كثيراً ، بل قد تتفاوت لمصلحة الأحمق أو الجهول ! ثم إن تفاوتها بلغ ما بلغ مداه لا يمكن أن يعد في النهاية شيئاً مذكوراً إلى جانب تفاوت بنى البشر في عقولهم وملكاتهم ودوافعهم وعواطفهم وضمائرهم ، وكل هذه تبرز هناك مكشوفة واضحة للعيان في عيش لا استتار فيه ولا بهتان .

وهذه الحقيقة الأولية في علم الروح هي التي تفسر الآلام الضخمة التي قد يتعرض لها بنى البشر - بوجه عام - في هذا المستوى الحالى من مستويات الوجود ، والتي تهدف إلى النهوض التدريجى بعقول الناس - وبالتالي بملكاتهم ودوافعهم وعواطفهم - حتى تحسن التأثير فيما سيحوطها مستقبلاً من ظواهر الحياة الطبيعية التي ستخضع لها خضوعاً مباشراً . وحضارة العقل والعاطفة هي إذاً الهدف الاسمى من نشوء الحياة على مستوى المادة بكل ما يكتنفها من أسباب للآلام ، وللكفاح الذى لا يتوقف . ولعله لتحقيق هذا الهدف تصور برجسون السكون كله ، آلة لصنع آلهة ، كما قال . وهي لا تتفق إلا مع التسليم للإنسان بقدر وافر من حرية الاختيار ، فهذه الحرية هي التي تمكنه من أن يريد الخير أو الشر ، ويتقدم أو يتقهقر ، ويسرع في الحالين أو يبطئ ، ويصيب أو يخطئ ، وهي التي تقيم - بحسب تعبير سويدنبرج - توازناً بين النعم والجحيم ، لأنه توازن بين الخير الذى يحى من النعم والشر الذى ينبعث من الجحيم ، وهذا التوازن الروحى هو نفسه حرية الاختيار في الإنسان ، (١)

(١) عن « الجنة والنار » الترجمة الفرنسية فقرة ٥٩٧ ص ٤٦١ .

فإذا وجد الإنسان نفسه — هنا وهناك — في مكان جميل لكن لا يناسب مستواه العقلي فهو غير سعيد بالمرّة وما له المحتوم إلى الشقاء ، لأن الجمالة تشقى الإنسان حيثما كان ، بل قد تصيبه بأشد الأمراض النفسية قسوة على أصحابها . هذا وقد تبين علم النفس الحديث أن من الأسباب الأساسية لبعض العقد النفسية المستعصية الجمالة ولا شيء غيرها . فالعقل الذي يحيا في غير بيئته هو كساكن القرية المتخلفة السعيد بها إذا فرض عليه أن يقيم في مدينة كبرى جميلة لكن لا تجانس بينه وبين مظاهر الوجود المختلفة فيها ، ولا بينه وبين أخلاق ساكنيها ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهل يمكن أن يكون سعيداً فيها كسعادته في قريته التي تناسبه والتي ألف الحياة فيها ؟ . .

« وعندما يولد الناس في عالم أحسن ، فالمسؤولية عليهم أكبر — يقول سيلفر بيرش — ولو أنهم لن يقابلوا العقبات التي قابلها غيرهم في الأيام الغابرة ، إنها مسألة نسبية . وتذكر دائماً أنه لا يمكنك أن تخدع قانون الروح العظيم . ولن يمكنك في أي وقت أن تغير ما تستحقه ولو بقدر قيد إنملة . فليس هناك محسوبة ، بل هناك عدالة إلهية في أتم صورها .

« إن قوانين دنياكم قد تساعد عن غير استحقاق أو تعاقب . وقد تجر الفائدة على ذوى الألقاب والطبقات ، ولكن النفس يسجل عليها طور التقدم الذي وصلت إليه في حياتها الدنيوية بالضبط ، والدرجة التي صعدت نفسك إليها هي الدرجة التي ستكون فيها عندما يناديك الموت لحياة أخرى . .

في الضمير

من المشكلات الفلسفية القديمة « الضمير الإنساني ، الذي قد تسكره العلوم المادية ، والذي يتحدث عنه كثيراً الإنسان العاقل دون أن يدرك تماماً خطورة ما يتحدث عنه ، لأنه قد لا يعرف تماماً مدى يتغلطه في تسجيل كل حركات النفس وسكناتها . .

ومن الصعوبة بمكان وضع تعريف واحد للضمير ، فقد قال قوم إنه الجانب الرفيع من العقل يتحدث إلى الإنسان ، وقال آخرون إنه صوت الله يتحدث إلى الروح ، وقال غيرهم إنه العقل غير الواعي في الإنسان يردد ما ألقى إليه ، ولذلك فإنه يزداد مع الخبرة والتجربة نمواً واكتمالاً .

وكل إنسان يحس — وإن تفاوت إحساسه عن إحساس أخيه — بوجود صوت داخلي يتردد في حنايا نفسه . إنه شيء من المعرفة ظاهر الاستقلال عن القوة العاقلة intellect . هذا الصوت يتحدث إليه إما بلهجة المستدرج الراجي — إما يأمره بأن يفعل كذا وكذا أو أن يمتنع عن فعل كذا وكذا . وقد يدفعه حيناً إلى رفيع العمل وصالحه ، ويسكت حيناً عما لا يليق به من سوء الفعال ، أو يحجب إليه فعل السوء .

هذا الصوت ندعوه الضمير إذا سما وارتفع ، فإن هوى إلى ما سفلى من الأمر سميناه وسواساً temptation . يهتف الأول بالإنسان أن يعمل خيراً ويوسوس له الآخر بفعل السوء ... (١) .

« فإذا أحسست الوحش القديم يتحرك في طبقات وعيك السفلى يريد أن ينطلق من الغياهب التي وراه فيها ما علاه من طبقات التطور نحو السكال فلا تفزع ولا تضطرب . إنك إذ تبصر به وتدرك أنه شيء منفصل عنك يريد أن يدفعك إلى فعل ما لا ترضاه وما تجد أنه لا يليق بك ، فهذا وحده دليل الخير وبشره . لقد كنت فيما مضى ذلك الوحش ، وأما اليوم فإنه جزء منك فقط متوارٍ فيك ، وعما قليل سيختفي من كيائك اختفاء تاماً إلى غير رجعة ... »

فالضمير يتصل بالخير والشر يبصر بهما العقل ، والإلهام يتصل بما يجب فعله فيما لا صلة له بمبادئ الأخلاق . الضمير يهدي للخير وينهي عن الشر والإلهام يسدد خطوات الإنسان في طريق النجاح ...

ولإن الضمير إذا اهتدى به كان الاهتداء على قدر ما بلغ الضمير من النور الداخلى، وإن مبلغ النور هذا قد يجعل الضمير مشرقاً وقد يجعله مظلياً، قد يرى صاحبه فى ضوءه مادي من الأمور فيضع كل أمر فى نصابه، وقد يضعف نوره حتى يغيب عن صاحبه الكثير فلا يراه ولا يكون له فى حسابه وزن، لذلك قد يفعل الرجل الفعلة الشنعاء فى نظرنا، وهو يتبه على الناس من أمثاله إعجاباً بما فعل، وهم يصفقون استحساناً لسوء فعلته... (١).

* * *

وإذا صح أن كان للعقل حيوات متعددة سابقة، سواء على مستوى المادة أم الروح — وهما مرتبطان معاً دواماً مهما تغير مدى فهمنا لهما وإحساسنا بهما — فإن الضمير يكون إذا هو المخزن الذى يخزن فيه العقل تجارب الماضى ودروسه وعبره، كما يستمد من هذا السكنز المخبوء منذ ماضيه السحيق ما يتزود به فى رحلته التى لا تتوقف، وفيه ما قد ينبهه إلى بعض مافى الطريق من مخاوف ومن مخاطر، وبعض مافيه من أسباب التيه والضلال، ولذا كانت راحة الضمير هى سبيل النجاة وحسن المآل.

والضمير فى علم الروح الحديث هو الإنسان. هو فيه كل شيء، وما عداه لا يعد شيئاً مذكوراً. لأن ما نفقده هنا من جسد مادي بالوفاة نحصل هناك فوراً على أفضل منه بكثير. أما إذا خسرنا راحة الضمير فقد خسرنا كل شيء هنا وهناك. فالضمير إذاً هو الذى يسعد النفس — ابتداء — أو يشقىها لأنه هو المستول الأول عنها.

والافتناع المؤسس على يقين على ثابت بأن لكل فضيلة ثوابها ولكل رذيلة عقابها فى ناموس هذا السكون — وهو ما نعتقد أننا قد أقننا أسبابه وأسانيده فيما سبق — يجعل من الإنسان رقيقاً على نفسه فى تصرفاتها الظاهرة والباطنة، وهذا هو الهدف الاسمى لكل تعليم خلقى عرفه

(١) عن المرجع السابق من ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٠.

(٢٩٠م — الإنسان روح : ج ٢)

الإنسان منذ كان إنساناً مختلفاً — بالضمير وحده — عن وحش الغابة أو سمك البحار .

والضمير هو قاضينا هنا وهناك ، لأنه هو الذى يعاقب ويثيب ويحكم وينفذ ، لأنه جزء من قانون طبيعى هذه هى رسالته العظمى . . . وأين المفر من يقظة الضمير ، إذا ما أيقظته رقدة الموت المحتومة ، حتى إن بدا أثناء الحياة الأرضية قاضياً متحيزاً بليداً ، أو بمائتاً لصاحبه غيباً عنيداً ؟ . . .

روح ستير تحدث عن الضمير

إلا من حق أى متشكك أن يعترض قائلاً : لكن من يدري أن هذا الكلام المرسل ليس من عندك كيما تغرينا بالاعتناع ؟ . . . لذا أترك الكلام فى هذا الشأن لروح سير وليام ستيد الذى كان نقيباً للصحافة فى بلاده فى كتابه « الجزيرة الزرقاء » الذى بحث به من عالم الروح عن طريق الوسيط بارودى ودمان على ما بيناه آنفاً (١) . وعن الفصل الخامس الذى عنوانه « قرارة النفس » أنقل الفقرات الآتية فى شأن الضمير :

« فعقل الإنسان هو غلاف نفسه أو روحه ، وعند فحصه بطريقة علمية بحث يتبين أن المنخ هو العضو الوحيد فى الجسم الذى حير رجال العلم فى بحثهم . وعندى أنه يمكن فهم الشيء الكثير عنه ، ولكن لا يمكن معرفة كل شيء . وإذا كان العقل هو غلاف الروح وآلتها المحركة فإنه يصبح بذلك أكثر دقة وتعقيداً ، بل يصبح حقاً العضو الذى حارت فيه الأبواب . وإذا كنتم تعلمون أن العقل هو القوة المحركة لكل أعمالكم فكيف لا تفقهون جيداً أن كل عمل تعملونه ، وكل تفكير تفكرونه ، يدون أو يسجل فى كتاب ؟ . . .

وإذا اشتري أحد منكم شيئاً من مؤسسة تجارية كبيرة دون أن يدفع الثمن فوراً فإنه لا يشعر بخطة العمل الدقيقة التى تجرى من وراءه ، إذ يدون

(١) The Blue Island. وقد أعطاه العرب الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر اسم « ميت يتسكام » أو الجزيرة الزرقاء » ص ٨٠ وما بعدها . وراجع ماسبق فى الجزء الأول ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الحساب فى وثيقة تمر على أباد كثيرة قبل أن يصلك بيانه فيما بعد . فإذا دفعت قيمة الوثيقة فإنك تنسى كل شيء ، ولكن التسجيل الذى تم فى تلك المؤسسة لا يزال قائماً . هكذا الحال فى المنح ، فإن كل عمل أو فكر مهما كان نوعه يسجل إلى الأبد ثم يحل وقت الحساب عنه بعد الحياة الدنيا . ثم إنه بعد دفع الحساب يصبح السجل غير ضرورى بل عديم الأهمية لكنه يبقى رغم ذلك . أمفهوم هذا ؟

وتستمر الروح قائمة د ليس من سبب للبؤس وللشقاء فى حياتكم الدنيا إلا نزعة المادة التى تولد التفكير الخبيث . وسيتراكم كل ذلك ويتزايد مجموعه حتى يصنف البشر جمعاً وفرادى ويحتشدوا فى أن يفهم كل عن نفسه شيئاً أكثر وأعمق مما يتعلق ببيع بضائعه وشرائها ، وبذلك يعطى فرصة أوسع للتفكير الطيب المؤدى إلى الخير ، والذى يستطيع وحده أن ينقذ العالم وينجيّه .

ثم تقول نفس الروح فى موضع آخر : د ... هناك أناس من الأذكاء الماهرين الذين يستعملون عقولهم فى الحصول على الكسب المادى مهما كلف ذلك غيرهم من الناس . وأمثال هؤلاء منغمسون فى أسوأ الأفكار الخبيثة وليس موقفهم سليماً ، لكنه إيجابى ملوئ بالحركة والنشاط . أما أفكارهم نفليط من الخبيث والطيب ، ولكن نصيبهم من الطيب قليل . وعند ما يجيئون إلى هنا يكون حسابهم ثقيلاً عسيراً ، لأنهم بنوا لأنفسهم بناء من التفكير الشره الذى ملأوا به الدنيا ، والذى لابد من أن يحاسبوا عليه حساباً عسيراً فى هذه الحياة الأخرى .

ومهما كان نوع التفكير فإنه مادام قد اشتغل به العقل وخرج إلى حيز الفكر فإنه يعد موجوداً كاملاً بالنسبة لذلك العقل . وهذا التفكير قد يصحبه عمل مادى أو لا يصحبه ، ولكن ذلك عديم الأهمية مادمت قد وضعته حجراً فى بنائك الذى تبنيه لمستقبلك هنا . وطالما انشغل به العقل وفكر فيه

فقد قضى الأمر وسجل على ذلك العقل (١) .

قد يقال تعليقاً على ذلك إنه من المستحيل التحكم في جميع الأفكار التي تمر بخاطرنا يومياً ، ومع موافقتي على ذلك فإنى أرى أنك إذا قبلت نهائياً الحقيقة التي ذكرتها فلا شك أنك ستراقب بعين يقظة كل أحوالك العقلية لأنها لاشك ذات أهمية ، ولكنك ستجد صعوبة في الاعتراف بتلك الأهمية لأن مثل هذه الأمور داخلية للنفس وشخصية فلا يستطيع أحد في الدنيا أن يعرف ما يجري في قرارة النفس غيره ، ولذلك جعلت عنوان هذا الفصل « قرارة النفس » .

وسيحيى كل منكم كما يشكر الشخص الذى نبهه إلى تلك الحقائق إذا عمل بها . أما أولئك الذى يسمعون ويعلمون ولا يعملون بعلمهم ، فسيحل بهم يوم يعضون فيه نواجذ الندم على ما حل بهم من الخيبة ، وإنه لأخف مرارة على النفس أن تعلم بخيبتها وتحققها من أن تشعر أن غيرها قد علم بها ، ففكروا في ذلك وتدبروه قليلا في قرارة نفوسكم ، (٢)

وفى الفصل الثامن الذى عنوانه « حقيقة الاتصال الفكرى » تقول نفس الروح : « يرى كثير من الناس أنه من المستحيل عليه أن يصدق أن كل تفكير مباشر يسجل عليه . أو أن هذا التفكير يؤثر بطريقة ما فى الشخص المتعلق به ، أو أنه يعود فيؤثر فيه شخصياً ، غير أن هذا هو الواقع ، ولا شك أنكم تتأثرون بحالة شخص بلغ منه الحزن العميق أو الفرح العظيم مبلغاً كبيراً ، ولا بد أن كلا منكم قد أحس بهذا التأثير نفسه ، وهو طبعاً ناشئ عن الاهتزازات الفكرية — منخفضة كانت أو مرتفعة — التى تبعث تيارات مختلفة عند كل من الحزن أو الفرح ، وهذه التيارات جميعها متساوية فى القوة ، لكن مفعولها يختلف باختلاف الأفراد الذين تقع عليهم ، وبهذه الطريقة تعمل الأفكار المباشرة عملها دون أن يشعر الشخص الذى يفكر

(١) « إنما الأعمال بالنيات » حديث شريف .

(٢) عن المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٨ .

فيه غالباً بوجودها ، ولكن تأثيرها يكون موجوداً ومحسوساً بدرجة تختلف قوة وضعفا .

ثم إن كل تلك الأفكار تسجل بدقة في عقل المفكر نفسه إلى ما بعد مرور الحادث بزمان طويل . وعند حلوله في هذه الدار يُبحث هذا السجل كله ، وليس الذى يبحثه قاض في ملابسه الرسمية ولكن الروح تفحصه بنفسها . فتجدنا نتذكر بوضوح تام كل تلك الأشياء . وعلى نوع تلك الأفكار الفردية تتوقف حالة الشخص هنا من ناحية الندم أو السعادة أو الشقاء ، ومن ناحية اليأس أو القناعة . وهنا تتمنى الروح لو أتاحت لها العودة إلى الحياة الدنيا مرة أخرى لتكفر عما سلف منها من تعاسة ، وعما وقعت فيه من خطأ صغيراً كان أم كبيراً نجيم عن تفكيرها وعملها السيئ .

لهذا السبب أنصحكم أن تضبطوا في دنياكم تفكيركم وتنظموه ، لأن هذا هو عين الحكمة . وإنه لما يؤسف له أن أهل الدنيا لا يتنبهون لذلك في حياتهم مع أنهم يعلمون في قرارة نفوسهم أنى إنما أفرر الحقيقة . وأملى فيكم جميعاً أن تتعرفوا نتائج أعمالكم والتعاسة التى تسببونها لغيركم ، والندم والأسف اللذين ينتظرانكم في الحياة الأخرى عندما تواجهون بما جنت أيديكم .

اذكروا أن عقولكم هى القوى المحركة ، وأن مستقبلكم فى أخراكم مبنى على ما تعملونه فى دنياكم ، وعلى مقدار تفكيركم وأيضاً على درجة تحكم عقولكم فى أجسامكم ، بدلا من تحكم أجسامكم فى عقولكم ، إذ طالما كان الواحد منكم فى الحياة الدنيا فهو عبارة عن جسم ونفس وروح ، فإذا ما بارحتموها إلى هنا فقد صرتم إلى عقل وروح فقط .

ولضمان السعادة فى مستقبل حياتكم الأخرى ينبغى أن يسود العقل ويتحكم فى الحياة الدنيا ، ولم يبق إلا أن يصمم كل منكم على ذلك . أما إذا صممتم على أن يكون حسابكم عسيراً فسيروا كما تسرون الآن ، غير أنكم ستجدون ديونكم هنا ثقيلة ولن تجدوا لكم نصيراً ...

لقد جمعت الأرض للإنسان ليتمتع بها لا لتغريه ثم تقف به فجأة فتأمره بالكف ، فليست هذه هي طريقة الخلاق الرحيم . لأنه أنعم علينا بكثير من الجمال وخلق لنا عقلاً ليهدينا إلى المتعة بكل ذلك . وطالما كان العقل يقودنا فإننا نظل متمتعين بالجمال ، أما في الوقت الذي يحكم فيه الجسم على العقل ويحقره فهنا الشقاء الكثير الذي يعقبه الألم ... (١) .

وهكذا تسترسل روح الكاتب الكبير ستيد في بيان دور الضمير في سعادة النفس أو شقاءها ، بعد أن خبر ذلك بنفسه في « جزيرته الزرقاء » التي وصل إليها عقب انتقاله مباشرة بما يضيق المقام عن إيراد المزيد منه .

وعلى كثرة ما قرأت في كتب الأرواح ما وقع بصري على نصيحة واحدة غير خلقية ، أو على أية فكرة صريحة أو مستترة تدهو إلى التحلل من ناموس استقامة الخلق أو نقاء الضمير ، بل إلى أقابل فيها على الدوام تحليلاً دقيقاً لهذا الناموس ، وعمقا في فهمه وإثباته ، وقدرة على غرسه ، وذلك بالإضافة إلى تحليل نوااميس التوبة والمغفرة والتكفير عن الذنوب تحت أضواء جديدة ذات طابع علمي بعيد عن شوائب التعصب أو الغموض ، أو التعلق الفطري بالأشكال والصيغ والطقوس ، مما أعطى التفكير في هذه الأمور وضوحاً وترابطاً يندر أن يقابل القارىء لها مثيلاً .

فهل هي أرواح الشياطين وصلت فجأة إلى مستوى من الخلق لم يصل إليه بعض فلاسفة الأرضيين ؟ ... وهل هناك مبرر للقول بأي تعارض بين البحث في الروح والبحث في الدين ؟ أم أنه لا مندوحة من التسليم مع البرهان الواضح بأن البحثين في حقيقتهم مرتبطان معاً بخدمة موضوع واحد ، ويهدفان إلى هدف نبيل واحد هو إنقاذ الإنسان من نفسه ، ومن نزواته ومن شهواته ، وفي نفس الوقت من شكركه ومن أوهامه ، الأخذ بيده إلى بر الأمان في رفق وفي يقين ... عن طريق تعزيز إيمانه وعاطفته وضميره ؟ ...

(١) عن المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٧ .

بين قيم الضمير وقيم المجتمع

وهذه المعرفة الروحية لو قبلها الناس بما تستحقه من اعتبار لكان لها شأنها في تصحيح قيم اجتماعية كثيرة تنبعث كلها من الأثرة لا من الإيثار ، وتتضمن في جوهرها إلهاداً لدور ضمير الفرد ورسالته العظمى في تحقيق رقي الروح ، والأخذ بيدها في طريقها الوعر المحفوف بالعقبات والصعاب ، وتجنّبها الكثير من المحن والآلام ، فالضمير هو الصلة التي تصلنا على غير وعى منا بعالم الضمير في مستوى من مستوياته ، وتربطنا بقوانين الروح الراقية التي تخالف في الكثير منها قيمنا غير القويمة ، طالما كانت حياة الروح أكثر سعادة ونقاء من حياة الجسد . .

فضمير الإنسان هو أسمى ما يرفع قدره ويقيم له عناصر استقلاله عن وعى المجتمع الصاخب في فطرته وبدائياته ، والذي يعمل باندفاعات غريزة القطيع أكثر مما يعمل بإلهام العقل المتطور النامي . فالضمير هو الصلة التي تصلنا بعالم الضمير ، كما هو في نفس الوقت الحاجز الذي يفصلنا عن أوهام الجماهير عندما يعوزها ترابط التفكير .

ومن ثم فن يجارى روح القطيع مغفلاً صوت الضمير ، يسيء إلى نفسه كما يسيء إلى القطيع . أما من يقف في طريق اندفاعاته وحماقاته ، فهو الراعي الأمين الشجاع الذي تفنّده الجماعات في المحن والشدائد ، وقليلاً تجده بسبب طغيان روح الجماعة على روح الفرد ، وطغيان روح الانقياد الأعمى على روح الإرشاد المبصر .

وطغيان روح الجماعة على ضمير الفرد صورة في الطغيان أشدّ ضرراً — بمراحل كثيرة — من طغيان إرادة الفرد على روح الجماعة ، لأنها صورة خلافة في مظهرها قد يستغلها الباحثون عن السلطة بوصفها « شعبية » ، ويجد فيها الوصوليون وسيلة رخيصة ينفذون منها إلى تحقيق أطماعهم في السيطرة على حساب حقائق الحياة .

ومن جهة أخرى فإن طغيان الفرد على الجماعة كثيراً ما يجد رد فعله في شعور المجتمع ويقظته المحتمومة لدفع العدوان الحاصل عليه إن عاجلاً أو آجلاً . أما طغيان روح الجماعة على الفرد فهو بمثابة الداء الدفين — لأنه في مظهره الخارجى عافية وقوة — فلا يثير انتباه أحد إلى حقيقته إلا بعد أن يكون قد فات أو ان الإنقاذ من زمن بعيد ...

ولذلك لم يقف في وجه طغيان روح الجماعة إلا قلة من الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ ميزتهم الطبيعة بأجل ما يميز به أى إنسان ، وهو استقلال الضمير والتفكير ، وشجاعة اللسان والشعور ، وهذا وذاك لا يوجدان إلا مع إنكار الذات ونضج الأخلاق والملكات .

فالإنسانية مدينة في ارتقائها إلى جهود أفراد لا إلى جهود جماعات ، لأن العقل المبتدع ، والخلق النامى ، والإحساس المرفه ، والضمير اليقظ ، من خصائص روح الفرد لا الجماعة ، ومن صفات النبى أو العبقري أو الفيلسوف أو الحكيم أو الشاعر الملهم أو الفنان المبدع ، لا من صفات الجماهير ولو في المجالس أو الهيئات ...

فإذا ما ناقشت فرداً عادياً في أى موضوع عادى قد تسمع منه فوراً كلمة الحق صريحة ، أما إذا عرضت نفس الموضوع على عدد من الأشخاص مجتمعين في مجلس أو في لجنة فقد ظهرت على الفور — صريحة — عناصر التواطؤ على البهتان ، وكأنما بين «روح الاجتماع» و«روح الحقيقة» عداء مبين هيات أن يهدأ أو يستكين .. فكم من أمور يفعلها الإنسان متحمساً وهو في جماعة سرعان ما ينجل منها ضميره وهو في خلوة ، إذا كان على أية درجة من الإحساس بمعنى الحقيقة أو العدالة !

ومن ثم كانت أخطر رسالة للروح في اختباراتنا التي تنزعها من اتصالاتها بالمجتمع هي أن تعرف كيف تعثر على ذاتها وسط صخب القطيع ، وأن تشق طريقها — في وداعة وفي هدوء — إلى أرض السلام وسط حماقاته واندفاعاته ،

غير عابثة بخاطيء أحكامه وموازنينه . فلبصيرة الروح قيمة أرقى من قيم المجتمع ، وموازنين أصدق من موازينه ، وما أشد قدرة هذه على تضليل بصيرة الفرد وبالتالي قدره ومصيره .

وليس في استقلال ضمير الفرد عن ضمير الجماعة أى معنى من معانى شراسة الانطواء ، ولا شهوة التسلط التى يفهمها الجهول خطأ على أنها من صور التضحية النبيلة أو الجهاد الكريم ، ولن يدرك أبداً أنها من وحى النفس الأمارة بالسوء . إذ أن هذا الاستقلال يقوم على الاتجاه أولاً إلى محبة الإنسان للإنسان . هذه المحبة التى معناها حب الخدمة ، والتفانى الذى ينكر تماماً كل انطواء ، ويتعارض مع كل تسلط ، وهما توأمان من أم اسمها الكراهية وأب اسمه الغرور .

وحيثما قلبت النظر فى قيم المجتمع وجدت هذه الحقيقة ناصعة واضحة . فلنقف برهة إذاً مع بعض هذه القيم الخاطئة لنرى العجب العجيب من قدرتها على التخريب ، ومن طغيانها الرهيب على بصائر الجماهير وعقولها .

فمنها قيم اجتماعية ما زالت تعطى لمطالب الجسد الأسبقية على مطالب الروح ، وللغريزة التفوق على العاطفة ، وللجموح السيادة على الاعتدال .

ومنها قيم ما زالت تعتبر الوداعة عجزاً والتواضع ضعفاً : فهى تدعو إلى تمجيد الكبرياء تحت أو صاف خلافة شتى طالما استهوت مشاعر الدهماء ، وتحت عبارات من المثالية الزائفة طالما خدعت السذج والبسطاء .

ومنها قيم تقديس الغلو والاندفاع ، وتكره الاعتدال والتواضع مهما كان الغلو هداماً ، وكان الاعتدال حزاماً للنجاة ، وصخرة للأمان فى خضم الحياة .

ومنها قيم تعطى للمظهر التفوق على الجوهر ، حتى كادت الفضيلة أن تصبح مجرد دلقان للمظهر ، وكاد بريق المظهر أن يصبح هو جوهر الفضيلة وأسمى ما يستحق عناء البحث عنه والتعلق به ، وصارت القدرة على الخديعة عند الكثيرين هى كل مجدهم ، وكأنها الباب الضيق الموصل إلى أعجاد

السماء لا الطريق الواسع والباب الرحب الموصل إلى هاوية الهلاك ! إن
« حكم الناس ، هو كل شيء في الوجود ، أما حكم الضمير فلا وزن له
ولا اعتبار إلا عندما يتخذ وسيلة للتغريب وحب الظهور ! ...

ومنها قيم تعتبر أن خطيئة الجسد خذى وعار ، أما أغلب خطايا الروح
فهي مجد ونفخار ! فالمرأة التي تبيع نفسها للشيطان تستحق الاحتقار ، أما تلك
التي تنفث سموم الكراهية فهي وحدها محل الاعتبار . والرجل الذي يتردد
على دور اللهو خليع جدير بالازدراء ، أما أقطاب الإيذاء فسادة تنحني لهم
الجباه ، ويسعى إليهم موفوراً السلطان والمال ! ...

وتعاليم الضمير لا تتكر وزر خطيئة الجسد ولا تهون من شأنها .
لكنها ترى أن في بعض خطايا الروح ما يتجاوز في مداه خطايا الجسد
بكثير ، وأن زلات الجسد بالغاً ما بلغ مداها قد لا تبلغ في التدمير مبلغ
« زلات الضمير » . وأن تجار الاحتقاد أشد خطراً من تجار الأجساد ...
وأن صريع الضمير لا نجاة له ولا حياة ، أما صريع الجسد فسيبقى يوماً
من غفوته ، وينهض من كبوته .

ومنها قيم تعتبر أن السلطة غاية سامية ينبغي أن يتهافت عليها الإنسان
ولو على حساب كل فضيلة ، مع أن تعاليم الضمير تقول إن الجرى وراء
السلطة شر من سوء استعمالها ، وأنها هدف الوصوليين الضعاف الذين إذا
ما انتشوا بنحمر السلطة فقدوا وعيهم كما يفقد الوعى كل سكير عرييد ...
أما هدف الأحرار الأقوياء فهو مسئولية الكلمة الحرة ، والفكرة الصحيحة
في شرف السعى إليها ، وفي شجاعة إعلانها والعمل بما تقتضيه .

ومنها قيم تقوم على تكريم الغنى واحتقار الفاقة ، مع أن الفاقة الوحيدة
التي يعرفها علم الروح هي فاقة الروح في المواهب العقلية والخلقية ، وهي
كثيراً ما أدت إلى فاقة المادة . أما فاقة المادة فكثيراً ما سببت الألم الذي
يفضى إلى غنى الروح إذا ما عرفت الروح كيف تتعظ من الألم... أليس ذلك
واضحاً حتى على المستوى الأرضي ؟ .

ومنها قيم تحسن التحايل على الأسماء والمسميات ، وعلى اصطناع
الأوصاف الزائفة البراقة ؛ فالنفاق الغادر اسمه أدب وكياسة ، والخداع الفاجر
اسمه مرونة وسياسة ، والوصولية الآثمة اسمها لباقة وفراصة ، والقسوة
الملتوية اسمها رحمة ووداعة ، والحماقة الجلية اسمها حكمة وبراعة ،
والغرور المتعالى اسمه قوة وصرامة ، والمكابرة في الحق اسمها عزم وصلابة ١١
آه لو عرف ضمير الإنسان كيف يسمى الأشياء بصحيح أسمائها ١٠ .
وآه لو أدرك العقل كيف تنجي عوامل انهيار الروح من داخلها لا من خارجها
حاملة أسماء زائفة للمجد وللكرامة لحطمها قبل أن تحطمه ، ولطاردها قبل
أن تطرده من سفر الحياة الكريمة التي ينبغي أن يحياها وأن تحيا فيه .
ولأبصر فوراً أنه بسبب هذه الأوصاف الخلابة كثيراً ما يرى الرذيلة
فضيلة ، والجهل عرفاناً ، والمغالطة برهاناً ، والقيود فلسفة ، والحماقة حكمة
والانحلال انطلاقة ، والتوقف استباقاً ١

وما لم توصف الأشياء بصحيح أوصافها في الضمير وفي العقل فإن تغيير
حال الإنسان من المحال . لأن الترقى الحق ينبغي أن يبدأ من داخل النفس ،
عندما تستيقظ النفس على أقيسة للمجد وللكرامة غير تلك التي عودتها
عليها أمثال هذه الصيغ البراقة التي تغذى الكبرياء ، وتضلل الطموح ،
وتقوض أحسن مبادئ الأخلاق عند الشيوخ والشباب ...

ومنها قيم تقدس الاعتداد بالرأى وشهوة التسلط على حريات الآخرين
وآرائهم ، على حساب أن عظمة الرأى في الاعتداد به ، وأن دليل عصمته
هو في محاولة فرضه قضية مقطوعاً بصحتها في العالمين ١٠ . وذلك مع أن أصح
الآراء وأكثرها اتصالاً بحقائق الحياة هو ذلك الذي يفرض نفسه بنفسه
على فطرة الإنسان في حرية وتواضع ، وفي غير ما حاجة إلى صليل السيوف
أو قصف المدافع ...

إذ في الحرية الحقيقية يدرك الضمير معنى المسؤولية ، وعن طريق
الإحساس بها تصل النفس إلى معرفة حقائق الحياة الجلية . أما العبودية

المعسولة - ومثلها الحرية المغلولة - فتكتسح في طريقها كل حقيقة أولية ، بل كل بصيرة إنسانية قادرة على التعقل ، وعلى الوصول إلى حقائق الحياة صغر شأنها أو كبر . فبدون حرية تفقد المعاني الجليلة كل جلالها ، يستوى في ذلك العلم مع الاعتقاد ، والعدالة مع الفلسفة ، والأدب مع الفن ، بل المحبة مع الصداقة ، والوفاء مع الإخاء لأن العبودية تلغى في النفس الإحساس بالذات وبالندية ، وهو شرط لكل عاطفة نقية . . . وهكذا تفقد الحياة نفسها مغزاها وقيمتها ، وتستسلم النفس إلى عبودية النزوات والشهوات ، وهي أخطر صور العبودية وأشدّها تدميراً للذات ولللهكات ...

ومنها قيم ما زالت تبرر دناءة الوسيلة بشرف الغاية ، مع أن التعاليم الروحية تقول إن شرف الغاية لا يعرف إلا من شرف الوسيلة . فالغاية لا تبرر الوسيلة ، بل إن الغاية تتبرر بالوسيلة إذا كانت شريفة ولا تبررها إذا لم تكن كذلك لأن السبيل الأعوج نتيجه المرسوسة في الطبيعة خسارة ودمار ، وغايته المحتومة سقوط وانحدار ، بحسب ارتباط النتائج المحتومة بمقدماتها . ومنها قيم من التكاليف على المادة جعلت الحياة اليومية سطحية بغير عمق ، فكثر فيها عوامل الخطأ والعتار .

— فالكاتب الأريب يعتقد أن البراعة الحقة هي في قدرة التعبير ومداهنة الجماهير عن طريق الدفاع عن أخطائها وآثامها ، أما حقائق الأمور فليس من أهدافه البحث عنها ، ولا من وسائله المشروعة !

— والقانوني الضليع يقدم الرأي والفتيا لإرضاء لرؤسائه أو لمقتضيات ظروفه وأهوائه ، لا إيماناً منه بأن هناك حقيقة واحدة موضوعية ينبغي التقيد بها والوصول إليها ، حتى لقد أصبح الكثير من حقائق الحياة الناصعة أقرب إلى رجل الشارع منه إلى عمالقة الفتيا والشرائع !

— والطبيب المعروف يداوى سعيّاً وراء المال والشهرة أكثر مما يعالج بعاطفة الإنسان الذي يشاظر مريضه مخاوفه وآلامه ، أو بحكمة الحكيم الذي

ينبغي أن يتحلى بأنبل مشاعر الإنسان قبل محاولة تشخيص الداء ، وذلك مع أن الطب والحكمة معتبران — منذ القدم — رسالة واحدة لارسالتين !

وهكذا مما يلبسه الإنسان بسهولة في غمار حياة سطحية تعوزها أعماق الإيمان بالروح ، والاعتماد على الضمير اليقظ في توجيه العقل إلى استلزام خفايا الكون بعض إرشاداته ، التي بدونها لا تعد حياتنا شيئاً مذكوراً في صحيفته ، وفي فك أسرارهِ التي لن تفك إلا لمن يتجه إليها نقي العقل صافي السريّة ، مؤمناً بأن الحياة للروح لا للجسد ، وللخدمة لا للطعام ، وللحكمة لا للحماقة ، ولتمجيد العقل السكوني العام لا لعبادة الأصنام . . .

وما أكثر الأصنام التي نعبدُها في تطلعاتنا وتضرعاتنا — بحسبانها آلهة — ونحن عن أنفسنا لاهون ، غير مدركين أننا نعبد أصناماً شائمة من القيم الخاطئة لا مجدفيها ولا كرامة لها . ومع ذلك فننتظر من إله الكون أن يكون — في عدالة موازينه — بمثلنا لنا محايياً ! أي أننا نتوقع منه أن يبادلنا التواء بالتواء وخديعة بخديعة ، ويأخذنا العجب عندما نفتقده في حياتنا فلا نجده . . . فلنكن إذاً مع الله إذا كنا نريد منه أن يكون معنا ، ولن يكون معنا أبداً عن طريق الصخب والحويل ، ولا عن طريق التعالي والانطواء ، ولا عن طريق الغلو والعدوان ، بل نخسب عن طريق العمل الصالح إذا ما استقامت في سرائرنا موازين التقوى والصلاح .

وما تفعله عبادة القيم الشائنة تفعل مثله الغيرة ، وانعدام البصيرة ، والخوف ، والتخلي عن المسؤولية ، وسطحية التفكير ، وانحراف التقدير ، وغير ذلك من عوامل العثار عند الصغار والكبار . فإذا النتيجة المحتومة تدهور رهيب ، وطيدة أركانه ، خطيرة آثاره ، ثم صراخ وحويل وتساؤل ذليل لم التردى والإخفاق ؟ وكل يلقى المسؤولية على غيره ويتصور نفسه باذخ العقل مكتمل الفضائل ! عبداً لله — لا للشيطان — صادق القصد قوى البنيان .

ولنعرف أيضاً أن الشعوب في مسيرها للأمام بحاجة إلى القيم الصحيحة

قدر احتياجها إلى الماء والهواء ، وأنها هي المناثر التي تضيء لسفينة الحياة ظلام طريقها الطويل المخيف عبر بحار الأبدية الشاسعة ، فتوجه مصائرهما ومقدراتها . فإذا ما تعلق الشعب بقيم خلقية غير قديمة فقد جنى على قدره ومصيره ، ومسح أهدافه وأضاع معالم طريقه ، فإذا سفينة الحياة تخبط خبط عشواء ، صبحاً ومساءً ، بغير أمل ولا رجاء ...

ولنعرف كذلك أن قيم المجتمع الخاطئة بمثابة ثقوب خفية في سفينة الحياة هذه ، ينفذ منها الضمير الملتوى إلى تحقيق أهدافه غير الآمنة ، ويتذرع بها لحماية نفسه من التأنيب المحتوم ، ويصم بها — ولو إلى حين — أذنيه عن سماع الآنين المستكتم ، عندما تبحر السفينة بمن فيها في لجة الأهواء فتكتسحها أعاصير النزوات والأخطاء ...

ومن هنا جاء الألم بل الدمار عقاباً محتوماً للنزوات والأخطاء ، يستوى في ركاب السفينة من أخطأ مع من تسبب في الخطأ ، ومن أحدث الثغرات الخفية عامداً ، مع من تجاهلها وكابر فيها — فالتضامن الاجتماعي قانون صارم من قوانين الحياة أو جدته حكمة سامية تريد للجميع الوصول إلى ميناء السلام في مركب واحد كأسرة واحدة تجمع أفرادها — في السراء والضراء — عروة وثقى لا تريد لهم انفصالاً ، ولا يريدون لها انفصاماً ...

فمن طريق المعرفة الروحية يمكن أن يقتنع الإنسان — بأدلة منطقية تجريبية مدروسة — أن الخلق الفاضل هو في يقظة الضمير ، ونقائه ، لأن ناموس الخير والشر منقوش في هذا الضمير ، ولأن حرية الاختيار هي التي توجهه دون غيرها . وهو أيضاً في الإحساس بقوة التضامن بين البشر جميعاً . وهو في الخدمة العاقلة تقدم للجميع على حد سواء . وهو في المحبة تبدل في سخاء بغير انتظار جزاء . وهو في شجاعة الكلمة تصدر في قوة ومضاء وفي غير ما ضعف ولا التواء .

أما أولئك الذين يعلقون الأهمية الكبرى على الصيغ والعبارات

— والأشكال والحركات — ويتصورون فيها خلاص نفوسهم مهديرين يقظة الضمير فهم يغالطون أنفسهم أيا كان موضعهم في دنيا الله الواسعة ، لأن ناموس الحياة لا يقبل مغالطة من أحد ولا رياء ، ويحملون أعباءهم أحمالاً ثقلاً تعوق تطورهم وأرتقاءهم ، بدلاً من التزود من الحياة بقيمتها الصحيحة التي تدفع هذا التطور قدماً في تحقيق حياة صالحة روحياً وخلقياً.

أو لنقل مثلاً قال الفيلسوف الألماني ما كس أو تو عندما لخص مذهبه عن الأشياء والمثل العليا قائلاً : « ليسكن في قرارة قلوبنا أن الروح ليست اسماً لشيء ولسكنها اسم الحياة ، وأن خلاص الروح ليس بالسلعة أو المنحة التي تشتري أو تستعطي ، ولكنه تطور نبله ونترقى إليه . وإن تخليص روح الإنسان ليس بالعمل الموقوت الذي يتم في ساعته ، ولسكنه سعى طويل يستغرق مدى العمر كله ، وليس هو إنقاذاً لسكان مهيم لا تعريف له ، ولكنه خلق لنموذج من الشخصية من طريق الاعتراف بالقيم البينة التي تدور عليها تجارب كل يوم . إنه نضج باطنى ويقظة لمعانى الحق والجمال وكرامة الحياة ... » (١)

ولذلك قال أيضاً بليك في فلسفته : يدخل الناس الجنة لأنهم كتبوا عواطفهم ومشاعرهم وتغلبوا عليها ، ولا لأنه لم تكن لديهم عواطف أو مشاعر ، وإنما لأنهم طوروا فهمهم وأبلغوه أفضل ما في استطاعتهم . ولا تمثل كنوز الجنة نفعاً للعاطفة ، وإنما هي حقائق العقل التي تصدر عنها كل العواطف ، دون أن يكتسبها شيء في عظمتها الأبدية . أما الآحق فإنه لن يدخل الجنة مهما كان طاهراً أو مقدساً ، (٢).

ولمن يشك في دور العلم الروحي الحديث في مضمار دفع عجلة التطور الخلقى والروحي قدماً للأمام أن يقلب في أى مؤلف في فلسفة الروحية وأدبها الرفيع كما يلحظ بنفسه أنها لا تهدف إلى غاية أخرى غير تعريف الإنسان بنفسه وبموضعته في ناموس الحياة بكل رونقه محرراً من زيف

(١) عن « عقائد المفسرين في القرن العشرين » للأستاذ العقاد ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) في الفصل الأول من « العلم والعالم الحديث » .

الأثرة والغلو . بل تعريفه كيف يعثر على نفسه أولاً عندما يعثر على المصباح
المنجذب في صدره تحت اسم الضمير ، والمدفون بين أكادس من أحجار
الغرو والتي تحجبه عن النور ، وتحجب عنه النور . وكما يلحظ بنفسه أن أى
فيلسوف أو كاتب روحى لا يحاول أن يتملق غرائز الجماهير ، ولا أن
يستجدى آراءها الفجة في أمور الحياة أو الموت وما أكثرها ، ولا قيمها
السائدة منها جانب الصواب ! وذلك مع أن الجماهير تتطلب فيمن يكتب
أو يقول أن يردد نفس آرائها مصوغة في نفس العبارات التي ألفتها . ويعنيها
اللفظ قبل المعنى ، ويخلبها المظهر دون الجوهر . فإذا النتيجة حلقة مفرغة
من خداع رهيب ، ومن انهيار محتوم في روح الفرد والجماعة معاً .

بل إن الاتجاه السائد عند فلاسفة الروحية الحديثة — جميعهم — هو على
العكس من ذلك النقدي لما يستحق النقد من آراء الجماهير وانفعالاتها الصاخبة
ولقيمها غير القويمة التي طالما جنت عليها فدفعت بها إلى مزالق خطيرة ، وإلى
طريق لا تبتغيه من تخلف روحى وخلقى في عالم متطور أبداً ، كاد أن يسبق
الزمن في تطوره المادى والعلى ، حتى لقد أصبحت المفارقة ضخمة في عصرنا
الحاضر بين تقدم العلوم وتخلف الأخلاق ، وهو ما يهدد مستقبل الإنسان
— في كل مكان — بأشد الأخطار لو استمرت هذه المفارقة في الازدياد .

وهو الأمر الذى لا حظه مفكرون كثيرون ، ودفع الكونت
دى نوى De Noy في كتابه عن « القدر الإنسانى » إلى أن يقرر أنه
« على الإنسان أن يدرك أن التطورات الآلية التي أدخلها في بيئته وراح
يلثم بينه وبينها لن تكون لها سوى نتيجة من اثنتين ، وهما إما التقدم
وإما الدمار حسب نجاحه في وصلهما بالتطور في بيئته الخلقية . فواجب
الإنسان أن يضع جانباً معالم حضارته الباطلة ، ويقيم في مكانها معالمه الصادقة
وهي السكال الذى يوافق كرامة الإنسانية . وليس المطلوب منه أن يقاوم
التقدم الآلى — ولا طاقة له بمقاومته لما يتوقع له من المزيد في تقدم العلم
والطب — بل عليه تهذيب النفس والارتقاء بمثلها العليا » .

ومن يتأمل في روعة التقدم العلى الذى حصل عليه الإنسان في قرن يأخذه الدهول ، ويدرك مدى صحة هذا القول وخطورته . ففي هذا القرن الواحد قفز الإنسان من على ظهر الدابة إلى القطار ، فالسيارة ، فالطائرة ، فسفينة الفضاء تقطع به — في سرعة مذهلة — ملايين الأميال في الفضاء وتوشك أن تصل به إلى سطوح الكواكب والأقمار ١ .

وفي هذا القرن الواحد انتقل هذا الإنسان من القتال بيندقية الصيد إلى القتال بالصواريخ عابرة القارات حاملة الرؤوس الذرية التى لا تبق ولا تذر ، وتنذر الإنسان بشر النذر . فإذا كان عمر الحياة على هذا الكوكب الضئيل يمتد إلى مئات الآلاف من الأعوام ، ومع ذلك لم يقفز الإنسان في حضارته هذا القفز السريع إلا عندما بدأ العقل يعرف سبيله إلى الأسلوب العلى في التنقيب عن حقائق الحياة ، فإذا ينتظر منه مستقبلاً بعد أن وضع قدميه فيه بعزم وثبات ؟ وماذا ينتظر أن يعرف مستقبلاً من وسائل الخراب والتدمير ؟ ولكن ما يروع الإنسان الروحي ليس هو خطورة المستقبل على المادة وعالم المادة ، وبالتالي احتمال فناء الحياة من على ظهر هذا الكوكب الصغير ، بل ما تثيره في النفس من مشاعر هذه المفارقة الضخمة بين تخلف الروح وطفرة المعرفة المادية ، وبالتالي ما كان يمكن أن تصل إليه النفوس من ازدهار لو عرف التقدم الروحي كيف يسير جنباً إلى جنب مع تقدم المعارف . فلو عرف الإنسان قدر نفسه كما يعرف بعض معرفة هذا التراب الذى يدوسه بقدميه لعرف كيف يتطور سريعاً ليصبح هو بذاته السيد السعيد صاحب القلب العطوف والعقل الذكي ، الجدير بمكانه السامى في الطبيعة ، لا ذلك الوحش الخيف ، القريب العهد به هو افتراس القوى للضعيف

الفصل الثالث

فى الموت والالم

لا ريب أن شبح الموت هو أهم مشكلة تواجه الإنسان منذ اللحظة التى يدرك فيها أنه نهاية كل شىء، فإننا كما قال شكسبير « سوف نقف بالموت الذى يقتات بالناس ، فإذا قضى على الموت فلا يموت أحد بعد ذلك ! » ، والموت يمثل لحواسنا الفناء لأنها تعودت أن تربط بين الجسد المادى وبين القدرة على البقاء . وعند الإنسان شعور خفى بالحياة بعد الموت ، لكنه لا يعلم أين ولا كيف تكون هذه الحياة . كما أنه يعتقد ببقاء الصلة بصورة ما بين روحه وبين جسده المادى المتحول إلى تراب . ثم إن أسلوب الثواب والعقاب غامض عنده إلى المدى الذى قد يضاعف عنده رهبة الموت بدلاً من أن يخففها ، وقد يضاعف عند الأحياء ، لوعة الحزن ومرارة الفراق ، حتى مع التسليم بأن « الموت حق » ، وأن « هذه هى إرادة الله » .

أما عند مدارس الإنكار فالموت نهاية محتومة ، والحياة بعده خرافة كبرى أوجدها طمع الإنسان ورغبته الفطرية فى الخلود ، مع أن التلاشى هو قانون الحياة . وهكذا تبدو فيها الحياة عبارة عن مأساة قائمة يصدق عليها قول فولتير Voltaire « نهاية الحياة كتيبة وبدايتها لا تعد شيئاً مذكوراً وبين الاثنين عاصفة لا تنقطع ، ... »

ويعد إنكار الخلود من وجهة العدالة مخيباً للأمال ، لأن انتهاء الإنسان المحتوم إلى ليل الفناء بدون فجر يليه ، مهما قضى حياته على خير وجه ، لا يعد نعم الجزاء لهذه الحياة ، بل يعد حافزاً للبادرة إلى إشباع الشهوات الأرضية ، وكلها تنبع من فردية هدامة لكل فضيلة ، طالما أشعلت نيران البغضاء بين الناس وفرضت عليهم مواكب لا تنقطع من الدموع والأحزان . فإذا صح أن الفناء هو النهاية المحتومة للإنسان لما كانت هناك غاية أخرى ينبغى أن

يدركها العقل اسمى من غاية إشباع مطالب الجسد وشهواته ، ولما كانت هناك فضيلة أخرى يعرفها غير العناية بصحة الجسد ورعايته ...

ولكن عقل الإنسان يمكنه أن يدرك - على العكس من ذلك - أن هناك غايات أخرى اسمى كثيراً من إشباع مطالب الجسد وشهواته ، بل اسمى حتى من مطالب النفس ورغباتها ولو كانت من أنواع راقية ، كما يمكنه أن يدرك أن هناك فضائل حقيقية غير العناية بصحة الجسد ورعايته ...

وكما أن الإيمان بقيمة الفضائل الحقيقية يقتهى وحده إلى الإيمان بالخلود ، فإن الإيمان بالخلود يصلح بذاته مصدراً لفضائل كثيرة ، لأن من يعرف كيف يطمئن للموت يطمئن للحياة ، ومن اطمئناته يحصل تدريجياً على أرفع الصفات وأسمائها ، مثل الصبر في الملمات ، والعزاء عند الحرمان ، وضبط النفس عند الغضب ، والسعادة بالعمل ولو كان شاقاً ، وأداء الواجب ولو بدا قاسياً ، والاعتدال في الحكم على الأمور ، والتسامح مع الآخرين ، وفي الجملة كل مايولده الترفع عن التكالب على أطماع الدنيا الزائلة من فضائل سامية جمّة ، تكاد تصنع الإله في الإنسان عندما تصل بين الإنسان وأخيه الإنسان ...

بل إن الإيمان بالروح والخلود ، مصدر لبطولة حية في الحرب والسلام معاً . في الحرب لأنه إذ ينكر الفناء يمحو من النفس رهبة الموت في جبن واستخذاء . وفي السلام لأن الإنسان المؤمن بالأفناء الموقن بأن النكل إلى بقاء إنسان محب للإنسانية برمتها ، صادق في عاطفته مع أصدقائه ، شجاع نبيل حتى مع أعدائه .

وأصح الناس عاطفة هو أكثرهم شجاعة عندما يدافع عن حق يؤمن بعدالته ، بل هو أعدلهم إحساساً بذاته ، وأعرفهم بحقوقه وبواجبانه . أما الإنسان الحقود فهو جبان مع عدوه ، بل مع نفسه أيضاً ، مراوغ غدار

في تعرف حقوقه وواجباته . لذا تجده عنيفاً في غير قوة ، عنيداً في غير شجاعة ، متخاذلاً في غير نخوة ، أحمق في غير حكمة ...

ومثل هذا الإنسان هو أقربهم إلى خوف الفناء ، وبالتالي أقربهم إلى الشقاء مهما بدا ضاحكاً سعيداً . . . لأن السعادة الحققة لا تقوم إلا على جوهر من فضائل جمّة ، وفهم صحيح لكثير من أمور الحياة والموت أيضاً . ومن يفهم الموت على حقيقته يفهم الحياة أيضاً على حقيقتها . . . طالما كان الموت امتداداً للحياة ، وكانت الحياة امتداداً للموت .

وفي هذا الموضوع يقول الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد . . .
« كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان في الوجود ، بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ، ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وإن لم يدرك كنهه .

ذلك إلهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء ، يشعر كل نفس أنها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة ، شقيقة إلى لداً غير محدودة ولا واقفة عند غاية ، مبيأة لدرجات من الكمال لا تحددها أطراف المراتب والغايات ، معرضة لآلام من الشهوات ونزعات الأهواء ، ونزوات الأمراض على الأجساد ومصارعة الجواء والحاجات ، وضروب مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهي عند حد

ولذلك قال الفيلسوف سينيكا Seneque ، إذا أردت ألا تخشى الموت فإن عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه ، ومن ثم فإن علم الروح يطالب الإنسان بأن يفهم الموت على حقيقته ، ويقتنع تماماً بأن بعد الموت حياة أفضل من حياته الحاضرة ، مهما بدت هذه له مشرقة ناعمة ، فنحن الآن نخشى الموت لأننا نخشى المجهول ، فإذا عرفنا هذا المجهول على حقيقته وجدنا أكثر من سبب المعرفة يقاوم دوافع الخوف منه .

« وإذا كان الحيوان كما قال شوبنهاور Schopenhauer يجيأ دون أن يشعر بالموت فذلك لأنه يتمتع بكل ما للنوع من شعور الثبات والدوام ، لذا فهو لا يشعر بذاته ، اللهم إلا بوصفه موجوداً مستديماً لانهاية له ، وأما لدى الإنسان فإن انبثاق العقل قد اقترن بالخوف من الموت ، فأصبح لدى الإنسان يقين مزعج عن حقيقة الفناء ١ .. » (١). ومهمة العقل أيضاً أن يقارم عوامل هذا الخوف من الفناء ويبددها بقليل من المعرفة اليقينية عن قدره ومصيره . وعصر هذه المعرفة اليقينية قد أزف ، وبدأت إرهاباته واضحة عند عدد ضخم من أفضل الفلاسفة والمفكرين .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن فكرة الموت قد قضى عليها نهائياً ، أو أن العلم سيتوصل إلى اقتزاعها من قلوب الناس ، لأن حكمة الله قد أرادت أن تكون هذه الفكرة هي نفسها ، التي تخلع على شعورنا بالحياة كل ماله من قيمة وأهمية وحيوية وآية ذلك أنه ما تكاد فكرة الموت تغيب عن أذهاننا حتى تستحيل الحياة في فطرنا إلى مجرد عادة أو ملهأة أو تسلية ١ ومعنى هذا أنه لولا حضرة الموت La presence de la mort ، لما وجدنا أنفسنا مضطرين إلى أن ننظر إلى الحياة وجهاً لوجه . ومن هنا فإن الشخص الذي ينصرف عن الموت لكي يستمتع بالحياة على خير وجه ، إنما ينصرف في الحقيقة عن الحياة أيضاً ، لأنه إذ يريد أن يلتصق بالموت إنما يقتنى كما قال لافل Lavelle ما إلى نسيان كل من الموت والحياة ، (٢)

بل ولم لا نقول مع بعض الفلاسفة « بأن لدينا حساً ميتافيزيقياً هو الذي يجعلنا نؤمن بأن هناك حقيقة ثابتة تكمن فيما وراء الظواهر المتغيرة ، وأنه لولا هذا الحس لما عرفنا حقيقة الموت نفسه ، وبالتالي لما انبثقت في أذهاننا فكرة الخلود ؟ ولم لا نقول مع مورييس بلوندل مثلاً بأن « فكرة الموت

(٢٤١) عن « مشكلة الإنسان » للدكتور زكريا إبراهيم طبعة ١٩٥٩ م ١٥٦ ، ١٥٥ .

وهو يحيل الناريء إلى

L. Lavelle « La Conscience De Soi » Paris, Grasset 1933 . p. 25 .

نفسها ما كانت لتكون ممكنة أو واقعية أو حقيقية لو لم تكن لدينا ثقة
ضمنية أو يقين مطوى عن الخلود... ؟

« فحينما نتساءل عن معنى الموت ، فإننا في الحقيقة إنما نتساءل عن معنى
الحياة ومصير الوجود البشرى ، لأننا لا نكاد نتصور أن تكون حياتنا
قد صنعت من نسج الأحلام كما قال شكسبير ١ ، أما إذا تغنى البعض بسحر
تلك الحياة المتناهية الفانية التي تجعل من كل فرد منا سائحاً عابراً قد شد
رحاله فإننا لا نكاد نصدق أن يكون المعنى الأوحد لحياتنا البشرية هو هذا
الترحال الذي لا يبقى منه أحد أو الذي لا يبقى على أحد ٢ وهكذا ترانا
مضطرين إلى أن نسأل أنفسنا قائلين : أتكون حياتنا مجرد نور لا يكاد يضيء
حتى ينطفئ ، أو مجرد لحن ما يكاد يشجعينا حتى ينقطع ؟ هل يكون الخلود
وفقاً على العالم والمادة والأشياء ، أعنى على هذا الذي لا يدرك من أمر
بقائه شيئاً ؟ هل يكون الإنسان ، وهو الحيوان الوحيد الذي يعرف أنه
سيموت ، هو أيضاً الحيوان الشقي الذي لا بد من أن ينحدر إلى هاوية الفناء ؟
أليس من العجيب أن يكون الفكر البشرى قد جعل للفناء وهو الذي يزرع
بطبيعته نحو الخلود أو البقاء... ؟ » (١)

وعلى هذا التساؤل الهام يرد سيلفر بيرش الروح الحكيم قائلاً : « إن خلود
الإنسان ليس مادة من مواد الإيمان ولا تبدأ من بنود العقيدة ، وإنما هو
جزء من المعرفة الذاتية والتجربة الفردية . علينا أن نبعث الصديق الروحي
من القبر الذي دفنه الإنسان فيه . علينا أن نقول للنفوس البشرية الضائعة
إنها سوف تستمر في الحياة ونخبرها عن الحقيقة العظمى وهي في نفس الوقت
الحقيقة البسيطة ، وهي المصير المنظور عن عناية الله التي لا تتوقف ، وعن
رعاية الروح الدائمة للنفوس المتجسدة ، »

كما يقول في مناسبة أخرى وهو يصف انتقال الناس متتابعين ببلاغته
المأثورة : « واحد إثر واحد . القاطف الأعظم يجمعهم حتى يتمكن زيت

(١) عن « مشكلة الإنسان » المرحوم السابق من ١٧٢ — ١٧٤ .

الحياة من الإضاءة في عالم أكل . إنما الدموع لدينا كم فقط ، لأنهم ينتقلون إلى ما وراء عليكم . أما نحن فنفرح في عالمنا عندما نحیی النفوس الحديثة التحرر التي ستبدأ في تذوق مباحج الحياة التي لا يمكن وصفها باللغة الأرضية .
أنا أجاهد دائماً لأعلم الدرس : أن الموت ينطق بالحرية . وأنكم حين تندبون الأفراد الذين اختفوا من عالمكم ، نحن نسر لأننا نعلم أنهم بدأوا حياة حرة جديدة ، وسعادة جديدة ، وأن لديهم فرصاً أكبر لإظهار مافي دخيالتهم ، وما عجز عن أن يتحقق في عالم المادة . لو عرفتم أنهم لم يفقدوا منكم لمبط الرحمة عليكم . وأنا أنبشكم بأنه كلما ازدادت قدرتهم باطراد نموهم في عالمنا فهم يعودون دائماً إليكم ليساعدوكم في المعركة العظمى التي نشترك جميعنا فيها (١) .

وهكذا تتكشف التجارب الروحية عن فلسفة تمهد للموت هي أوضح الفلسفات لأنها كما أرادها كارل ياسبرز K. Jaspers « تريد أن تجد الأساس الذي لا يتزعزع ، والذي يعين الإنسان إن لم يكن على فهم الموت فعلى الأقل على رؤيته وتقبله — خلال القلق والألم — باطمئنان وهدوء ليس نسيجه رواقيا ، بل حب واطمئنان (٢) » .

الموت مبعود انه

وعن طريق الاقتناع بهذه الحقائق تخف بغير ماريب أجزان الخزان على فراق أعزائهم الذين وسدوهم الثرى وهم لا يعلمون أنهم قد أودعوهم الأثير . إنهم ليسوا في القبور ، بل « أحياء عند ربهم يرزقون » . إن من نبسكيهم أحياءاً دماً لا دمماً ينعمون — منذ الآن — ويمرحون ويحنون ثمرة كفاحهم في هذه الحياة الدنيا طالت أيامهم فيها أم قصرت . إنهم منذ الآن يعملون ويلهون ويتزاورون ويتعاطفون وينتقلون في أجواء الله الواسعة وبمالمسكة الفسيحة حيث « مالا عين رأت ، وما لا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

(١) عن « سفير الأرواح العليا » ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) عن « مستقبل الإنسانية » ترجمة وتقديم الدكتور عثمان أمين ص ٣٠

ذلك أن الموت هو الذى يتيح للروح فرصة الخلاص من أغلال الجسد
الترابى الذى يقيد بها بأرض منقاهها هذه كيما تعود إلى موطن راحتها .
فهو الخادم المطيع لا السيد الأمر ، والمحرر العجيب لا العدو الرهيب .
وموت البار تاج الحياة على رأسه يراه أحياء السماء ، حين يعجز عن رؤيته
أموات الأرض — وهو أبهى من تيجان الملوك التى نراها فى دنيا الأشواك
هذه . والموت هو الذى يتيح للذات فرصة استرجاع كامل حواسها عندما
تنتقل من علل الجسد المادى وأوجاعه المحكومة بنواميس لاصلة لها
بالجسد الأثيرى .

وهو الذى يحرر الجسد الأثيرى من قيود الزمان والمكان كيما
تتفرغ الروح إلى تحقيق مطالبها الراقية هناك فى المعرفة وفى العاطفة ، عن
طريق الحياة فى أوسع صورها وأكثرها نشاطاً . أو بالأدق كيما تتوصل
الروح إلى تحقيق ذاتها والوصول إلى الحياة بمعناها الصحيح — كما يقول
طاغور الفيلسوف العظيم — فالخلاص أمام الإنسان حيث سار بحق روحه
الخالدة ...

الليست أيام سنينا هي سبعون سنة — كما يقول داود النبي فى مزاميره —
وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأغرها تعب وبلية ، ؟ . فإذا تقاس
هذه السنون القليلة بالأبدية ؟ ... بل عن طريق الاقتناع بحقيقة هذه
الأبدية يصبح للحياة الأرضية رغم متاعبها وبلاياها غاية واضحة وتبدو
مفهومة تصاريف للدهر كثيرة كانت ظامضة من قبل ، بل كانت مدعاة
للأسى والقنوط ...

ثم إن العبور إلى العالم الآخر لا يسبب ضيقاً ولا ألماً . إنه مسألة
لحظات قليلة يكون المحتضر فيها فى شبه غيبوبة كأنه يحلم حلماً جميلاً يعقبه رد
فعل عميق من الإحساس بنشوة الانطلاق إلى عالم الحرية والسلام .

هذا وقد جاءت الدراسات الطبية مؤيدة للبحوث الروحية في هذا الشأن .
وفيه يتحدث لستر هوارد برى مدير تحرير مجلة بنسلفانيا الطبية قائلاً إن
« الموت ليس كرباً ، والمرء منا يأخذه الموت رقيقاً كما أخذته سنة النوم
مئات المرات . وحسبك أن تعلم أن الموت خلو من الألم . وهكذا يقول
الأطباء . وهكذا يقول من شافوا غمرات الموت ، وهكذا يقول الراحلون
وهم في سكرات الموت ... »

ويقول سير جيمس جودهارت الطبيب الذي حرص على مشاهدة
جميع المحتضرين في مستشفاه ، ليس في الموت ما يفرع من جاءته الوفاة ، فإن
الحجاب الفاصل بين الدنيا والآخرة لا يعدو أن يكون غمامة رقيقة يخترقها
المرء وهو لا يكاد يشعر . .

ويقول الدكتور ألفرد وستر الأستاذ بجامعة هارفارد ، الموت سهل
دائماً في آخره . .

ويقول الدكتور هرسل الأخصائي في السرطان ، إن الموت نفسه
لا يصحبه شيء من الألم أو من الأوجاع التي يحس بها المرء إحساساً
صحيحاً . .

وقد أجاب المرضى الذين كانوا موضع التجارب التي أجريت في
المستشفيات العامة ، أو الخاصة ... بأنهم عند نزول الموت اختفت آلامهم
تماماً ، وأن كل ألم للمرض كانوا يحسونه قد اختفى وهم على عتبة الموت (١) .

كما أجمعت الدراسات الروحية على أن من نسميهم « موتى » هم قريبون
منا وعلى صلة دائمة بنا . فهم يشاطروننا أفراحنا وأتراحنا ويرغبون

(١) من كتاب « الحياة الأخرى » للأستاذ عبد الرزاق نوفل ص ٧٦ ، ٧٨ . وراجع
ما سبق في الجزء الأول ص ٣١ .

بكل السبل في الانصال بنا لتخفيف أحزانتنا وإعطائنا أخبارهم حين يعلمون تماماً أخبارنا ، ويباركون خطوات الخير التي قد نخطوها ، كما يتألمون لأخطائنا . فهم في النهاية يسعدون بسعادتنا ويشقون بشقوتنا (١) . فلا توجد دراسة روحية واحدة خالفت ذلك في كثير ولا في قليل . وفي ذلك ما يبعث على الثقة فيها وفي الأسس التي تقوم عليها .

فأولئك الذين تعودنا أن نطلب لهم الرحمة والرضوان تعودوا هم أن يطلبوها لنا عن فهم تام وإطلاع كاف على آلامنا الرهيبة في المستوى الذي نشغله من الوجود ، وأيضاً عن إحساس بروعته المستوى الذي يشغلونه من نفس الوجود ، حتى أن الموت يبدو لهم نشيداً نظمته الطبيعة للخلود في عالم لا يعرف قيود ولا حدوداً .

ذلك أن عالم الأثير هذا ليس له موقع جغرافي معين على النحو الذي نفهمه ونحن على المستوى الأرضي ، بل هو مجرد رتبة مرتفعة في سلم الاهتزازات الكونية ، حين أن عالمنا المادي هذا ليس سوى رتبة منخفضة من نفس السلم (٢) ، فهو في داخلنا ومن فوقنا ومن حولنا ، وإن كنا لا نشعر به الآن فلأن حواسنا المادية تقف في الشعور عند حد معين لا تتجاوزه ، إلا بعد أن تتحرر من اتصالها بما يربطها بهذه الرتبة المنخفضة ممثلة في الجسد المادي .

فتحن عندما نكون على المستوى الأرضي نحيا في عالم الروح عن طريق أرواحنا ، ويحيا فينا - إلى حد ما - عالم الروح ، ولذا يحدث تأثيره المحترم

(١) راجع مثلاً ما سبق في الجزء الأول من ٢٥٨ وما بعدها في شأن القوائد الجميلة المرسلة من روعي شاعرنا العظيم أحمد شوقي وحفي ناصف فكلمها تلي . عن هذه المعاني الجمع عليها ، وتبين إلى أي مدى يعلم الأرواح أخبارنا ونشاطنا أفرأجتنا وأنراحنا .

(٢) راجع ما سبق في هذا الجزء من ٢٢ وما بعدها .

فينا ، فيطلق عليه علماء الروح وصف العالم الحقيقي أو الداخلى (١) ، وذلك بغير أن نشعر به شعوراً واعياً لبلادة حواسنا المادية . فهو قريب منا بحسب موقعه فى سلم الاهتزازات السكونية الذى يطوى جميع العوالم والدنى ، ولكنه بعيد عنا - فى نفس الوقت - بسبب تفاوت رتبتي الاهتزاز بيننا وبينه ، فلا نحس به إحساساً واعياً بحسب الأصل .

الم أقل إن نظرية الاهتزاز كفيلة بأن تترجم المعانى العامة التى يعرفها الروحيون إلى حقائق علمية ؟ وبأن تبديد بعض مخارف الإنسان من الموت والفناء ، وبعض أحزانه عن فرافى الأعزاء ، وبعض آلامه ومتاعبه التى لا تضيع هباء ؟

وهذه النظرية هى أيضاً التى توضح كيف أن المواد الصلبة أمكن إرجاعها كلها إلى كهارب تهتز على مستويات مختلفة فتبعث أمواجاً مختلفة تلتقطها حواسنا ، فإذا ما ارتفع تردد هذه الأمواج إلى مستوى يتجاوز اهتزاز الضوء اختفت تماماً من حواسنا لأنها لا تتلشى من الوجود ، إذ ليس للتلاشى مكان فى نظريات الفيزياء الحديثة التى تسلم بأن المادة لا تفنى ، وأن الطاقة أيضاً لا تفنى .

ولا ريب أن العقل يمكنه بسهولة أن يتصور كيف أن القدرة الحكيمة التى خلقت هذا السلم المادى المحدود من اهتزازات الأثير ذات الرتبة الأرضية التى تتخذ أشكال المواد الصلبة والسائلة والغازية والمشعة - أى أشكال العناصر المختلفة وقد بلغ عددها حوالى مائة - وهى تكون مجتمعة السكون المادى الذى نعيش فيه الآن - يمكنها أيضاً أن تخلق سلباً آخر من الاهتزازات ذات الرتبة المرتفعة التى تكون المستوى الروحى أو الأثيرى للحياة على ما يبيناه فى الباب الأول .

ولعله ما من شيء يصور عظم العزاء الذي يمنحه الإيمان المستنير بحقائق هذه الروحية التجريبية إزاء صدمات الموت الرهيبة ، قدر ما تصوره هذه الواقعة التي زعمها كما حدثت لرائد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبي الخير . فقد امتحنه الله باختطاف نجله نبيل عقب مرض قصير وكان في السابعة عشر ربيعاً من عمره ، وظل والده رغم فداحة الصدمة على قلبه الأبورى الخنون ، زابط الجأش باسمياً حتى في أثناء مراسيم الدفن ، كأن حدثاً رهيباً لا يمر أمام ناظره .

فطن أحد أصدقائه أن الوالد المفجوع يخفى آلام فجيعته بين جنديه ، ويتحمل من عناء الإخفاء أكثر مما تطيق قدرة البشر ، فرجاه أن يستسلم — كغيره — لفجعة الأب في ابنه وهو في عمر الزهور ، ويذرف ولو بعض الدموع لعلها تخفف عنه بعضاً من فجيعته فيه . فإذا الوالد المفجوع ينظر إلى الصديق — هادئاً باسمياً كعادته — ويرد عليه ، صدقني هذا اليوم أحب إلى من يوم زفافه . . .

ولم تمض بضعة أيام إلا وروح شوقي تبعث تصوراً لهذا الموقف الجليل في بضعة أبيات لا تقدر عليها إلا عبقرية شوقي ، في استهلال رائع تقول فيه : —

للروح شاول في العزاء مفتش والصمت في جلال أعز وأوقع
أسي على البعد السحيق بحسه كم شاء لو يجلو المصاب ويقشع^(١)

وبعد بضعة أيام كان نبيل في غرفة «الجلسات» يعانق والده ويطمئنه، ويراه وسطاء الجلاء البصري هائلاً سعيداً مع أصدقاء أبي الخير ممن سبقوه إلى

(١) والقصيدة المنشورة في الجزء الأول من ٥٤٣ ، ٥٤٤ . وهي قبلية في أبياتها ، لكنها رائعة زاخرة بأسباب العذوبة التي فلما توافرت في أية أبيات أخرى قيلت في مثل هذا المقام .

دار الخلد . وكان الوالد هاتئاً سعيداً كما لم يكن من قبل ، وظل على صلة وثيقة به لسنوات طوال إلى أن لحق به في دار البقاء .

فعلام إذا يحزن الحوائى ويبحثون عن أجساد موتاهم في ظلام القبور ؟ ... إن علم الروح لا يعرف ظلاماً ولا حطاماً ولا يعترف بهما ، بل يعلم جيداً أن موت الجسد انتقال من الموت إلى الحياة لا من الحياة إلى الموت ، وأنه إذا كانت هجعة الليل - في سلام واطمئنان - هي مكافأة الطبيعة عن كفاح النهار فإن رقدة الانتقال هي مكافأتها العظمى عن كفاح العمر وجهاده الشاق كما يعلم جيداً أنه إذا كان الموت لوحة وفراق ، فهو في نفس الوقت خطوة للأمام إلى تلاقى محتوم مادام الحب باقٍ يعمر القلوب ..

ومهما تعثر الإنسان في دوامة الحياة أو أخطأ ، فالخطأ من شيمة الإنسان ، لأنه أبداً ضعيف أمام طموحه ونزواته . ومن يتقرب في ظروف الناس يغتفر زلاتهم ، فما يمالك بهذه المحبة العظمى التي خاقت الإنسان كما يخطئ . حتماً فتبادره بالغفران الذي يعجز عن أن يمنحه لنفسه ... مهما أراد ... لأنه ضعيف عند ما يخطئ . وعند ما يندم ، وعند ما يغتفر لنفسه أو لغيره وعند ما يرفض الغفران ؟ ... أليس الإنسان هو دائماً الإنسان ؟ ..

لذا نجد أن الروحي الحق لا يعترف بأحزان الموت . والفراق المؤر الذي يسببه يعلم جيداً أنه إلى حين ، وأنه عن طريق الاتصال الروحي من الجائز أن تعود الصلة منذ سبيحة الفراق كأقوى ما تكون إذا ما أمكن توفير وسائلها وظروفها ، وتلاقت عندها إرادة من في الأرض مع إرادة من في الآثير .

حتى لكان الروحية الحديثة تتحدث بلسان سقراط أبي الفلاسفة وهو يخاطب قضاة في وداعة وثقة قائلا : نخطئ . ولا شك إذا اعتقدنا أن الموت كارثة ... أو كأنها تتحدث بلسان الشاعر العظيم والأديب فيكتور هيجو Victor Hugo

عند ما قال : « إن القبر الذى يغلق على الموتى يفتح لهم باب الألفى الأزرق وأن ما يبدو لنا هنا كأنه النهاية هو البداية » .

أو عند ما قال فى شيخوخته : « الشتاء على رأسى ولكن الربيع الخالد فى قلبى ، وإنى أتسم عبير الزنابق والبنفسج والورد كما لو كنت فى العشرين من عمرى ، وبقدر ما أدنو من النهاية بقدر ما أسمع واضحة السيمفونيات الخالدة للعوالم تدعونى . إن ذلك رائع لكنه بسيط ، وتلك قصة « جنينة » ، لكنها حقيقة تاريخية . . .

وعند ما أنزل إلى القبر يمكننى أن أقول مثل كثيرين آخرين إنى قد أنهيت عمل اليوم ، ولكن لا يمكننى أن أقول لقد أنهيت حياتى ، فإن العمل اليومى سيدأ من جديد فى الصباح التالى .

فليس القبر دربا مغلقا ، بل طريقا مفتوحا يغلق عند الشجر كيما يفتح عند الشروق^(١) . . .

أو كأنها تتحدث باسم الأديب الكبير موريس مترلنك M. Maeterlinck عند ما يقول : « إننا نقيم دائما فى الأبدية نفسها ، فى الكون نفسه ، ومع ذلك فن الأمور المعقولة المشروعة أن نقنع أنفسنا أنه ليس فى اللحد ما يخيف أكثر مما يخيف ما فى المهد ، بل إنه من الأمور المشروعة المعقولة ألا نقبل المهد إلا لصالح اللحد لأنه لو سمح لنا قبل أن نولد أن نختار بين راحة القناء العظمى وبين حياة لن ننهىها أبدا الساعة الجليدة للذوت فن منا — إذا كان يعلم ما ينبغى أن يعلمه — كان سيفضل المجهول القلق لوجود لن ينتهى باللغز المربح لنهايتها ؟ ومن منا كان سيمتنى النزول إلى عالم لن نتعلم منه سوى أمور ضئيلة

(١) كان فيكتور هيجو عملاق الأدب الفرنسى وسيطا روحيا وصاحب دائرة روحية منزلية بمدينة جيرسى Jersey أخذت منه جلساتا بانتظام من سبتمبر ١٨٥٣ إلى يوليئ ١٨٥٥ وقد تم فيها تلقى أشعار كثيرة من أرواح متعددة مثل شكسبير وموليير وترتائوس Tyrtæus كما تلقى يديه رسائل متعددة من روح زوجته المتوفاة .

إذا لم يكن يعلم أنه لا بد من الدخول فيه للتمكن من الخروج منه ، وللتعلم أكثر فأكثر ؟ إن أحسن ما في الحياة أنها تعد لنا هذه الساعة ، وأنها الطريق الوحيد الذى يقودنا إلى مخرج الجنيات هذا ، وإلى هذا اللغز الذى لا يضاهاى ، والذى لن تكون فيه ممكنة صنوف البؤس والألم التى هى من صنع الأعضاء التى سنكون قد فقدناها ... (١)

أو كأن الروحية تتحدث بلسان أحد الحكماء عند ما يقول أيضاً إنه يجب أن يعلم الإنسان أنه سيظل حياً دائماً سواء أكان فى الجسد أم خارجاً عنه ، وأن هذه الحياة الجسدية الفانية شئ تستعمله النفس التى لا تموت . لذلك يجب أن تقتل تلك الرغبة فى الحياة التى تحملك على الخوف من الموت ، والتى تجعلك تولى هذه الحياة الجسدية فوق ما تستحق من الاهتمام الذى يبلغ حد الافتئات على الحياة الأوسع ، حياة الروح ووعيتها .

اقتلع من عقلك تلك الفكرة القائلة بأنك تنتمى حين يموت الجسد ، لأنك بعد موته تنزل حياً كما أنت الآن بل ربما أكثر حياة . اعرف للحياة الجسدية حقيقة قدره اولا تكن مخدوعاً ، وكف عن النظر إلى الموت نظرة الرعب والهلج سواء أقبل عليك أم أطبق على من تحب . إن الموت طبيعى كالحياة تماماً فى مرحلتنا هذه من التطور نسعد به بقدر ما نسعد بالحياة .

إنه لتسير أن ننفض عنا الشعور القديم بالفزع من فناء الجسد ، ولا بد للإنسان من قتال مرير قبل أن يصرع هذا الوهم البالى الذى عاق بالبشرية بالرغم من الإيمان بحياة أخرى ، ذلك الإيمان الذى يتردد باستمرار على لسانها

إن الشخص الذى يصبح هذا الإحساس فى نفسه وعياً باستمرار حياته بعد الموت ، هذا الشخص يتجرد الموت فى نظره من رهبته والقهر من هوله

(١) عن مؤلفه عن الموت La Mort طبعة ١٩١٣ من ١٩١٠ و ١٩١١

وبذلك يكون قد قتل الرغبة في الحياة القصيرة هذه ، إذا حل محلها العلم بأن الحياة دائمة لا نهاية لها كما تقول أيضاً نفس الفلاسفة ولا تخف الحياة ولا الموت ولا تهرب الردى ولا تطلبه ، فإن بلغت هذه الدرجة عرفت حقيقة الحياة وحقيقة الموت ، إنهما في الواقع مظهران للحياة ، (١) .

* * *

ومع التسليم بأن الإيمان الراسخ بدوام الحياة يخفف الكثير من رهبة الموت في نفس الإنسان ، فإنه لا يقضى عليها بتاتا طالما كان الكثير عن حياة الإنسان بعد الموت لا يزال أرضاً مجهولة لم يستكشفها العلم بعد .

وحتى ما عرف عنها يثير في النفس رهبة وجزعا ... فما معنى الانتقال بمجرد الفكر ، وكيف يتأتى للإنسان أن ينقل نفسه إلى أى مكان في لمح البصر ؟ وما معنى الخلق بالفكر ؟ وكيف تصبح للفكر كل هذه القوة الرهبة التى من حقها — ونحن في مستوانا المادى هذا — أن تثير من عناصر القلب أكثر مما تثير من أسباب الاطمئنان ؟ أن كل هذه لا تبدو الآن ماسكات جميلة مريجة بقدر ما تبدو مسئوليات ضخمة رهبة

ثم لا ينبغي أن ننفل أن إحساسنا بالنقص الذى فينا يحملنا على الهرب من الأبدية لإحساسنا أيضاً بالكمال الذى فيها . فالتقص يهرب من الكمال ويخشى كما يهرب الضعف من القوة ، والذيلة من الفضيلة ، والعجز من القدرة . وأقصى ما فى وطأة الإحساس بالأبدية على نفوسنا هو رحمتها ، عندما تعاملنا بحمة لا نطبقها فى حالتنا هذه ولا نفهمها ، لأننا أعداء غير واعين لهذه الرحمة غير المحدودة .

ولأننا أعداء لها فنحن لا نطلبها ، وقد لا نقبلها بدافع من كبرياتنا المستورة . والكبرياء ترفض تقبل أية حقيقة ، حتى أعظم الحقائق كلها . وهى حقيقة محبة الإله الرحيم وغفرانه ، التى يتجه إليها إنسان بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ويتجه إليها آخر بقوله « الله محبة » .

(١) عن « فلسفة البوذا » المجمع السابق من ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

فما دامت في النفس كبرياء مستورة ، فلن تنفض عنها شعورها القديم بالفزع من فناء الجسد ، حتى ولو آمنت النفس بالخلود وبمحبة الإله ، لأن عظم هذه المحبة مصدر من مصادر هذا الفزع الحكيم كما تجني النفس فاضحة ثمار العيش في هذا المستوى من الالتصاق بجسدها الفاني تصيب مرة وتخطيء مراراً ، قبل أن تتحرر من ربقته وتعود إلى ربها راضية مرضية ، شاعرة تماماً بمعنى هذا القول الكريم « أليست خمسة عصافير تباع بفلسين وواحد منها ليس منسياً أمام الله ؟ بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة ، فلا تخافوا ، أنتم أفضل من عصافير كثيرة » (١) .

* * *

وتقول روح فرعونية قديمة في نفس هذا الاتجاه « كان هناك اعتقاد قديم انحرف حتى في أيامنا واختلط بتقاليد أخرى ، فكان لزاماً أن تكون هناك موسيقى مرحة ورقص في مواكب الجنائزات . هذه كانت من بين الاعتقادات الأكثر قدماً بأن الموت حادث سعيد ، فكان موكب الموت رمزاً يؤدي بالنفس المنتقلة إلى حياة جديدة غير محدودة الجمال ذات جو أكثر حرية وأقرب إلى الخالق . كانت رحلة بهيجة والموت بابها . كان هذا هو الإيمان الأصيل .

لكن انحرف ذلك حتى في أيامنا (الأسرة الثانية عشرة) ففي طقوس الجنائز اختفت النعمة المفرحة للتحرر من الجسد ، وحل محلها النواح الرسمي وحمل التراب على الرأس إلى غير ذلك من البدع . إن الرحلة السعيدة للنفس فسرت خطأ بتقاليد الدفن التي كانت تقتضي إمداد الجسم في قبره بالحاجيات المادية . واختلط كل شيء كما اختلط إيمانكم اليوم بتقاليد وطقوس دفن تختلف عن معتقداتكم الأصلية في البعث والخلود » .

إلى أن تقول : « ولا يعلم أحد بالتأكيده من أين جاء الحق لأول مرة

(١) (لوقا : ١٢ : ٦ ، ٧) .

(الإيمان بالخلود) . ولكنه جاء من الشرق البعيد عن مصر في عصر ما قبل التاريخ . جاء عندما كانت مصر طفلة تحبو ، من نفوس قديمة عاشت عيشة كاملة الطهارة لا تصالها بالله . عرف هؤلاء أسرار الحياة الخالدة التي هي الاستمرار في الحياة - التغيير المستمر - عدم الفناء ... (١) .

وفي هذا الشأن يتحدث - من وجهة نظر العلم التجريبي - الأستاذ شو دزموند في كتابه « كيف تحيا عندما تموت » ، (٢) قائلاً إنه تلقى في سنة ١٩٣٤ من عالم يسكن عالم الروح محاضرة في غرفة مغلقة ، كما سمع مثلها عن طريق وساطة الصوت المباشر أمام جمع غفير في قاعة كونواي Conway Hall بلندن وفي أمكنة أخرى - تتضمن شرحاً وافياً لحالة الروح بعد موت الجسد المادى مباشرة وعند يقظتها في العالم الآخر . وتبين كيف أن الموت عبارة عن ميلاد جديد ، وأن انفصال الجسد الأثيرى عن الجسد المادى الذى اتخذ مسكناً له خلال الحياة الأرضية هو أشبه ما يكون بانفصال الطفل الوليد من جسد أمه .

وقد وضع كيفية هذا الميلاد الثانى بعض من وسطاء الجلاء البصرى Clairvoyants عند حضورهم في ساعة الاحتضار بالقرب من « المنتقلين » . ومن ذلك مارواه الوسيط أندروجا كسون دافيز Andrew Jackson Davis في مؤلفه عن « الفلسفة المتناسقة » ، (٣) . وصفاً لعملية الانتقال قائلاً « نام الرجل على فراشه يعانى سكرات الموت .. كان موته سريعاً . . . ازدادت سلبية الجسد وبرودته بازدياد الإيجابية والدفع في الجسم الروحى .. وبردت القدمان أولاً . . . وظهر فوق الرأس مباشرة ما يصح أن نسميه حالة مغناطيسية يراها كل ذى جلاء بصرى ، وهذه الحالة انبعاث أثيرى ذهبي

(١) من «روح فرعونية تتكلم» الترجمة السابق ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) How You Live When You Die? طبعة خامسة من ٢٥ .

(٣) The Harmonial Philosophy .

اللون يختلج وينتفض كأنه بحس ويشعر (١).

ثم وصلت البرودة إلى الركبتين والساعدين ثم امتدت إلى الردفين وامتد الانبعاث وإن لم يرتفع بعد . وامتدت البرودة إلى الصدر والجانبين ، واقترب الانبعاث من السقف ، وانقطع تنفس المحتضر وسكن نبضه ، ثم استطال ذلك الانبعاث وتشكل بصورة إنسان وبق متصلا بالملخ . ثم اختلجت الرأس من الداخل بهزة بطيئة عميقة ولسكنها غير مؤلمة . . فكانت كهزة ماء البحر الضعيف التوج .



V. — La Mort physique et la Naissance astrale (Voy. p. 63)

موت الجسد واليولاد الكوكبي

رسم رمزي عن مؤلف للدكتور باپس (Papus (Dr. G. Encausse
عنوانه . La Réincarnation.

أما قوى الرجل الذهنية فظلت سليمة حتى مات آخر جزء منه ، وظل

(١) راجع ماورد عن الجسد الروحي أو الأثيري والهالة في الجزء الأول ص ٤٤٠ — ٤٥٥ .

يصل ما بين هذا الانبعاث الذهني والمخ خيط دقيق جداً من خيوط الحياة، ثم ظهر على جسم الانبعاث شيء آخر أبيض لامع في شكل الرأس، وبعدئذ ظهر وجه زاه وبدت بعد ذلك رقبة لطيفة وكتفان جميلان، وتلا ذلك بسرعة ظهور بقية أجزاء الجسم حتى القدمين، فإذا الجسم شبّه زاه لامع كله، بزاد اصفراره قليلاً عن الجسم المادى. ولكنه نسخة طبق الأصل منه في جميع تفصيلاته، وظل ذلك الخيط الرفيع الدقيق متصلاً بالمخ القديم ولم يبق بعد ذلك إلا انفصال هذا العنصر الأثيرى... ثم أفلت الخيط وتحرر الجسم الروحى وانطلق، (١).

الألم مدرسة الحياة

وهذا الفهم لعملية الموت بوصفها ميلاداً ثانياً في عالم أرق من عالمنا الثقيل وأرقى يجعل الإنسان بغير ما ريب أقدر على تحمل آلام الحياة الأرضية، مهما كان نوعها من مرض وكفاح وعوز وفشل وظلم وضيق وشيخوخة وحرمان، إذ أن الروحية الحديثة تحدد رسالة الألم تحديداً وضحا بأنه السبيل الوحيد للتطور ولا كتساب الغنى المتزايد فى الفضيلة والعاطفة والمعرفة. فالألم هو فى عبارة أخرى تضحية الحاضر لأجل المستقبل، وتضحية سعادة أيام وشهور للحصول على سعادة أجيال ودهور. ونحن الأرض هى وحدها التى تمهد الطريق لنعيم السماء، أما أمجاد الأرض فانقر ما فيها عجز وهوان، لو أدرك الناس حقيقة معناها ونفذوا إلى لبها ومغزاها.

وقد حاول الفيلسوف ماكس شيلر Max Scheler فى «معنى الألم» (٢) أن يظهرنا على عمق هذه الصلة بين الألم والتضحية عندما قال «إن الألم هو فى صميمه تضحية بالجزء من أجل الكل، أو تضحية بماله قيمة دنيا من أجل

(١) عن كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل «الحياة الأخرى» ص ٨٢، ٨٣.

(٢) ترجمة فرنسية

ماله قيمة عليا والصلة وثيقة بين الألم والموت ، لأن الألم موت للجزء لكنه موت يتحقق من ورائه إنقاذ الكل . كذلك يمكننا أن نربط بين الألم والحب فنقول إن أية قيمة عليا لا يمكن أن تفرض علينا التضحية بقيمة أخرى دنيا إلا إذا كانت أقدر منها على انتزاع حبنا ، ومن هنا فإن الألم هو الذى يضطرنا إلى أن نخضع حياتنا الحسية لنشاط روحى يتزايد سمواً يوماً بعد يوم .

« وحينما يقول أفلاطون وغيره من الفلاسفة إن الألم أداة تطهير فإنهم يعنون بذلك أن آلام الحياة هي الكفيلة بأن توجه بصرنا الروحى نحو الخيرات العليا والقيم السامية ، فترفع بنا إلى مستوى الطهارة القلبية الحقبة التى هي ينبوع السعادة الروحية العميقة إلى الحد الذى دفع كير كجارد Kierkegaard إلى القول بأنه حينما يريد الله أن يوثق العلاقة بينه وبين إنسان ما فإنه يستدعى رفيقه الأمين الذى هو الهم وينبه عليه أن يلاحقه أينما توجه ، ويشدد عليه بأن يلزمه فى كل خطواته ^(١) .

« والواقع أن من شأن الألم فى كثير من الأحيان أن يولد فى النفس تناقضاً خصباً يزيد من عمق الحياة الباطنية ، إذ تشعر الذات بتوتر حاد بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون ؛ ومثل هذا التوتر هو على حد تعبير الفيلسوف الفرنسى رينيه لى سين R. Le. Senne شعور بالقيمة . وليس معنى هذا أن الألم هو فى حد ذاته خير ، وإنما معناه أنه قد يعود بالخير على الذات حينما تتمكن من تمثله ، أعنى حينما تستطيع أن تجعل منه أداة فعالة لتحقيق تطورها الروحى وتنمية حياتها الباطنة . وهكذا قد يكون فى وسعنا أن نقول إن القدرة على التألم هي علامة طيبة ، إذ ربما كان أعضل داء يمكن أن تصاب به النفس هو أن تصبح غير قادرة على التألم ، وإذن فإن التألم

ليس مرضاً على الإطلاق ، وإنما هو بالأحرى نقاهة النفس ، أو هو السبيل إلى تحقيق سرور أعمق وأطهر (١) .

ثم إن الحياة — كما يقول وليام جيمس تتطلب بذاتها النضال « فالإنسان لا يشعر بأنه يعيش فعلاً إلا إذا ذاق الصراع حلوه ومره فشقى بالهزيمة أو انتشى بالنصر . وإذا كان كل شيء ميسراً مهدداً لفقدنا كل إحساس بالتوئب ولا فتقدنا بذلك ذاتيتنا ، وعدمنا إحساسنا بشخصيتنا . ففي كل منا ذخائر من الطاقة لا يمكن أن تستثمرها حياة هادئة رتيبة ، وإنما توقظها وتثيرها حياة متدفقة عارمة ، حياة خارقة فذة . هنا في معمعة هذه الحياة نحس فعلاً بأننا نعيش ، ذلك لأننا خلقنا للنضال ، ومن أجل غاياتنا يشتعل حماسنا ويضطرم نشاطنا (٢) .

ولا يغير من ذلك شيئاً أن الحياة قد تبدو في كثير من الأحيان مظلمة كئيبة ، لأن جيمس يعتقد ، بأن هناك في النهاية خلاصاً ، وهذا الخلاص مشروط بأن يؤدي الإنسان خير ما يستطيع . وقد تنجح في ذلك القلة وتفشل الكثيرة ومع ذلك فهو لا ييأس من المستقبل ، مادامت هناك قوة إلهية تساهم في تقدم هذا العالم ورفق الإنسانية .

كما يرى نفس الفيلسوف في الحياة أنها تبدو كأنها جهاد حق ، وكأن هناك شيئاً في العالم متوحشاً نريد — بكل ما لدينا من مثل عليا وعقائد — إخلاص — أن نخضعه ونجعله أليفاً ... ولكن لا بد لنا أن نجعل قلوبنا أليفة ، وأن نطهرها من الإلحاد والخوف لأن طبيعتنا قد تعودت على مثل هذا العالم — الذي نصفه متوحش ونصفه الآخر أليف ونقي وطاهر — وقد انسجمت معه . وإن أكثر الأشياء عمقاً في طبيعتنا هو تلك النقطة الرطبة اللينة من القلب التي نعيش فيها وحدنا ، مع ما لنا من رغبات ونفوس . ومع ما لنا من عقائد ومخاوف ... (٣)

(١) عن « مشكلة الإنسان » للدكتور زكريا إبراهيم ١٩٥٩ ص ١٤٧ .

(٢) عن « وليام جيمس » للدكتور محمد فتحي الشنيطي ١٩٥٧ ص ١٥٨ .

(٣) عن « إرادة الاعتقاد » ترجمة الدكتور محمود حب الله ص ١٢٨ .

ولذلك كله قال أيضاً جوته Goethe ، إن من فاته أن يتذوق خبره في
الآلم ومن لم يقض ساعات سوداء يترقب باكياً طلوع النهار المتثاقل ، إن مثل
هذا الإنسان لا يعرفك أيتها القوى السماوية ، . وقال ألفريد دى موسيه
A. De Musset لاشئ يجعل الإنسان عظيماً غير ألم عظيم .

* * *

ثم إن الآلم — أو بالأدق تفهم علة الآلم ومصدره الكامن فينا —
كثيراً ما ينبهنا إلى الطريق الأعوج الذى قد نسير فيه فيدفعنا إلى تغييره
واختيار غيره ، بما فيه منجاة الروح ، وتحاشيها لآلام مستقبلية لعلها كانت
ستصبح أشد وطأة مما نتصور. فكما أن آلام الجسد تذبنا إلى أمراضه الدفينة
وتدفعنا إلى محاولة التخلص منها عن طريق العلاج ، فكذلك أيضاً آلام
الروح تذبنا إلى عيوبها الخبيثة، وتدعونا إلى محاولة الخلاص منها عن طريق
الفهم العادل وضبط تقديرنا للأمور . فالآلم هو الذى يصلح عيوب الروح
ورذائلها التى تحجبها الكبرياء عن صاحبها ، فتتمو هذه الرذائل بقدر نمو
الكبرياء وينمو معها الآلم أيضاً ، وتضعف بقدر ذل الكبرياء تحت وطأة
الآلم، فإذا بغشاوة الكبرياء تخلفها بصيرة التواضع، وتبددها أضواء الفضيلة
ومعها إشرقة السعادة .

والآلم هو الذى يحرك الضمير فيدفعه إلى الندم ، والندم هو أول خطوات
التقدم الروحى . وهو الذى يعطى الإنسان أعظم نعمة تميزه وترفع من
قدره ، وهى الإحساس بالمسئولية الذى يميز الإنسان المتحضر عن زميله
البدائى ، والرجل البالغ عن الطفل الصغير . فالآلم هو صانع المعجزات
فى الإنسان ، بل هو صانع إنسان المعجزات . وأعظم معجزاته هى مقاومة
حب الذات والذات فيه . . .

والآلم هو القوة المحركة التى تجعل عقولنا تسيطر على شهواتنا ونزعات
الشرف فينا ، فنفكر تفكيراً أكثر نقاء واعتدالاً . وإذا ما قدرنا أن التفكير

النقي العادل هو مصدر كل سعادة حقيقية لأنه الأنيس الوحيد الذي يلزم الإنسان في رحلة الأبدية ، وأن ما عداه من متاع الدنيا الزائلة لا يعد شيئاً مذكوراً ، وليس له أى دور في إسعاد النفس ؛ لقدرنا أية نعمة كبرى ، وأية بركة حقيقية يمكن أن تحصل النفس عليها عن طريق الألم وحده ، لو عرفت كيف تتعظ به ، وتخرج منه أكثر نقاء واعتدالاً في حكمها على نفسها وعلى الآخرين .

وبالألم نسدد ديوننا التي اقترضناها بما وهبنا الله من حرية في اختيار الطريق الذي نريده ، إذا ما اخترنا طريق الأنانية بدلاً من الخدمة ، والخنول بدلاً من النشاط ..

وهو الذي يصقل الروح فيجعلها أكثر تواضعاً ، وبالتالي أكثر حذباً على الآخرين وتسامحاً معهم ، وإحساساً بوطأة آلامهم . وبالتالي تقدير معنى الأخوة الإنسانية — كجزء لا يتجزأ من ناموس الحياة — حق قدرها ، إذ لا تقف عقبة كؤود كالكبرياء بين الإنسان وبين أخيه الإنسان .

ولذا قال أحد الحكماء بحق : إن الإنسان القليل الغور هو الذي يفقد الاستجابة لأحزان الآخرين حينما يغرق في آلامه المحدودة . فإن من يستخدم مشروطاً لتشرح ذاته سوف يبلغ أفقاً فسيحاً لشفقة عامة ، ويحصل على الانطلاق من أسر الحاجيات الذاتية التي تصم أذنيه عن مساعدة الآخرين ، ويزدهر حب الله في مثل هذه التربة ، وفي النهاية يتجه المخلوق نحو خالقه ، إن لم يكن لسبب آخر فللسؤال الملمح : لماذا يا إلهي ... لماذا ؟ وبأسواط الألم القاسية يساق المرء إلى النهاية في الوجود النهائي الذي ينبغي أن يجذبه جماله وحده ، (١) .

فكان الألم في النهاية هو النار التي تحول الفحم الأسود الذي فينا إلى ماس لامع مضى ، ولكن عندما نعرف كيف نتعظ من الألم ، فنعترف — ولو

(١) عن « فلسفة الهند في سيرة يوجي » بقلم برمنسا . بوجانندا ترجمة الأستاذ زكي عوض المحامي ص ٦٣ .

اضمارنا وقلوبنا - بمصدر الألم الكامن في عيوبنا ورذائلنا ، وهي لا تتوقف ولا تنقطع سواء اعترفنا بها أم أنكرناها ، وتجاهلناها أم جهلناها ، لأن لكل فعل - بل لكل خاطر يخطر على البال - وزن محسوب في سفر الحياة لا يميل ولا يخطئ .

ومن يعترف بخطئه - ولو لقلبه وضميره - يخطئ خطأ قليلاً ويسير ، أما من يكابر فيه فهو يخطئ خطأ كثيراً وجسيمياً ، ومثل هذا الإنسان تحوله نار الألم إلى رماد لا قيمة له في سفر الحياة الكريمة ، حين تحول غيره إلى ماس ثمين في وجوده المحدود وغير المحدود ، يبصره كل ذى عينين لامعاً مضيئاً على جبين الزمن يشع رونقاً يسر المتقين ويضئ الحاقدين . . . لأنه إشعاع الفضيلة يشع معها بريق السعادة . . . كما يخبرنا أن الآنين من صروف الدهر قد يجلب من الألم أكثر مما قد يجلب الألم من الآنين . . .

* * *

وفي رسالة الألم يقول أيضاً المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد بحق « ومن لنا أن النقص الذى لا يرضينا هو أقرب إلى الكمال من النقص الذى نرضاه ؟ أليس حافز الألم هو وسيلة الشوق إلى الكمال ، والتفرقة بينه وبين النقص في شعور الضمير ؟

بل الواقع أننا نرى هذه الآلام وسيلة الارتقاء بتنازع الأحياء ، وأنها وسيلة التهذيب والازدياد في نمو فضائل الإنسان . ولو أننا سألنا رجلاً ناضجاً أن يسقط من حياته آثار آلامه أو آثار مسراته لتردد كثيراً بين الآلام والمسرات . ولعله في النهاية يسقط آثار المسرات ولا يسقط آثار الآلام .

ونحن نحكم على غايات الأبد بتجارب العمر القصير . فلا فرق في ذلك بيننا وبين من يحكم على الرواية المعروضة أمامه بكلمة في خطاب أو كلمة في جواب . . . ، (١)

(١) عن مؤلفه « الله » طبعة ثانية من ٢٩٧ .

وعن الألم يتحدث سيلفريش ببلاغته المعهودة قائلاً : ولو كان الأمر كله سهلاً لم يرغب الناس في العمل على خلاص أنفسهم ، وعندئذ لن يبق في عالمكم بعد عدة أجيال شيء يتيسر للروح الأعظم الظهور فيه . إن النفس التي تذوق نزعات الألم والمرض والمرارة والآسى تخرج نفساً أعظم ، نفساً تفهم آلام الآخرين . والنفس التي تعيش ناعمة في الرفاهية تبحث عن الخرافات والظلال سيكون عليها في يوم ما أن تلمس الحقيقة . لا تحسدوا الذين تظنونهم يقضون وقتاً طيباً ، الطريق الأوعر في حياتهم ما زال أمامهم .. (١) .

كما يقول أيضاً : الشر والألم كما تسمو بهما جزءان من التطور . إذا لم يوجد الألم لا يوجد التحذير بأن الصحة تحتاج إلى الانتباه ، وإذا لم يوجد الظلام فلا ضياء . وإذا لم يوجد الشر فلا خيرات . وكيف يمكنكم الحكم على معايير الخير إذا لم يكن هناك شر في عالمكم ؟ وإذا لم تكن هناك أخطاء تعالجونها وظلم لتحاربوه كيف تتمكن الروح البشرية من النمو ؟ ... لا يمكن أن تكون الحياة نعمة واحدة . يجب أن يكون هناك ضوء وظل ، شروق وعاصفة ، فرح ودموع ، حب وبغض ، جمال وقبح ، خير وشر ، لأنه في التضاد يمكن أن يفهم الحياة . في النضال فقط ، في الجهاد فقط ، بالانتصار على المصائب فقط يمكن للروح الإنسانية — التي هي إلهية — أن تنمو وأن تسمح لمواهبها الدفينة أن تظهر . هذا هو القانون .. (٢) .

فلألم إذا رسالة عظمى لو وعيناها لنفعتنا في تطورنا كثيراً ، فكل دمة تسكبها — يقول أيضاً الروح الحكيم أجاشا Agasha — إنما تعبر عن تجربة سوف تقبلور في لؤلؤة من حكمة إذا أنت تقبلتها كدرس تتعلمه ، كما يضيف : « كن شكوراً للقدر إذا ما امتحنك ببلاء ، أو أدخلك في تجربة عسيرة . قبلها بقبول حسن واعتبرها درساً مفيداً تتعلمه في مدرسة الحياة . تحدث

(١) عن « سفر الأرواح العليا » ص ٣٣ .

(٢) عن المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

مع نفسك قائلاً : لا يهمنى في الكثير ولا في القليل أن تكون المشكلة صعبة . سأحاول أن أحل عقدها ولنسوف أستفيد من هذا المجهود . أنا جزء من الكون . أنا أحد آحاد ، الأحد الأكبر ، . إننى أسير في طريق التكامل حتى أودى رسالتى التى من أجلها خلقت . أنا شكور وحميد لهذا الإله الذى وهبى كل هذه الفرص لأتعلم بواسطتها الغرض الأسمى من هذه الحياة . إنى أبارك كل شيء يهبى الله إياه . ليست حياتى اليومية فارغة ، بل إنها مليئة (بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والفلسفات والدين ...) وإذا كانت روحى ملكاً فإن الجسم مملكته ، وهذه المملكة تسير بخطى واسعة وهى تتدرج فى سنة النشوء والارتقاء ، (١) .

وليس العجز عن تفسير عملة الألم فى الكثير من جوانبه يصح أن يعد حجة ضد عدالة الألم فى سائر جوانبه . فإن العلم لم يصل بعد إلى المرحلة التى يملك فيها قدرة تفسير جميع أسرار الحياة ، ولن يصل يوماً إلى هذه القدرة الكاملة التى ليست من صفات العلم بل هى من صفات العقل الأعظم ، وهيات أن يصل إليه الإنسان مهما بلغ عنده مدى العلم والعرفان .

ويكفى فى هذا الشأن أن نلاحظ أن العلم لم يوضح بعد حتى طبيعة صلة الإنسان بهذا الكوكب الضئيل الذى يقطنه . وإذا صح أننا جئنا إليه كما نتطور ونرتقى تدريجياً ثم نعود أرقى شأنًا وأحسن حالاً ، فإن الكثير من تصارييف القدر القاسية - حتى الزلازل والأوبئة والحروب - تصبح ذات نهاية سعيدة .

ويكون شأننا شأن إنسان رضى أن يهاجر إلى بلاد نائية ، كما يقوم برسالة من الخدمة الشاقة أو من الدراسة المضنية ، إذا ما اضطرت ظروف قهرية أن يعود إلى وطنه الأصيل قبل التاريخ الذى قدره ، ناعماً بما قدم من

(١) ترجمة الأستاذ صلاح الدين يوسف فى مجلة «عالم الروح» عدد أغسطس سنة ١٩٥٦ ص ٨ .

تضحية ، أو بما اكتسب من خبرة غير ضائعة ، لأن ناموس الحياة لا يعرف خدمة منكورة ، ولا تقدماً ضائعاً في العقل أو في الأخلاق .

وإذا كان هذا القول صحيحاً بالنسبة لصلة الإنسان بهذا الكوكب فهو صحيح أيضاً بالنسبة لصلته بجنسه من حيث الذكورة والأنوثة ، ومن حيث صلته بالقارة واللون والوطن والعقيدة ... فإن العلم لم يوضح بعد طبيعة صلات الإنسان بكل هذه الأمور . حتى أن علم الروح لا يملك في حالته الزاهنة إلا القول بأن ثمت روابط عريقة طبيعية تربط الروح بها ، وهي عريقة عراقة الروح ، وعميقة الأثر في تطورها وارتقائها .

وما دامت آلام الروح — ومباهجها أيضاً — وثيقة الصلة بكل هذه الروابط مجتمعة ، فعلى عقل الإنسان أن يتواضع قليلاً — بل كثيراً — ويسلم بالعجز عن تفسير علة الآلم ، وبأن هذا العجز لا يتعارض مع جدوى الآلم إن لم يكن مع عدالته ، في ظل ناموس طبيعي يعطى للروح قدراً كبيراً من الحرية في تخير روابطها ومواضع أقدامها في طريق الأبدية الصاعد الطويل . ولنا عودة إلى الكلام في مدى حرية الاختيار في مناسبة لاحقة .

فرواطر في الآلم والسعادة

وهناك أيضاً اعتبار له قيمته في تزويدنا بالشجاعة اللازمة لتحمل وطأة الآلم ، وهو أن نعرف مع الشاعر الأديب ما نرثك بأن السعادة تقتضيها قدراً من الشجاعة مثلما يقتضيها الآلم أيضاً ، وربما تلزمننا طاقة للاستمرار في السعادة أكثر مما يلزمننا من طاقة للاستمرار في التعاسة ، لأن ترقب النعيم الذي كان من المفروض أن تمنحه السعادة للقلب غير الحكيم أفضل من حيازة الإنسان الكاملة لكل ما كان يشتهي من أمور . فمن قلة السعادة الدائمة يمكن للإنسان أن يشاهد بوضوح حاجيات القلب الذي يبدو أنه لا يتقوت إلا من الخوف والأمل ، والذي يتألم من التقوت بما لديه ، حتى لو كان لديه كل شيء .

وكثيراً ما يشاهد الإنسان مخلوقات قوية وممتلئة حذراً ، وقد صرعتها السعادة ، فعندما لا تجد في السعادة كل ما كانت تبحث عنه من أمور ، فلا تقاومها ولا تتمسك بها بالحماس الذي ينبغي إظهاره دائماً في الحياة . ولكم ينبغي أن يكون الإنسان حكيماً حتى لا يأخذه العجب من القول بأن السعادة تحمل معها الآسى أيضاً ، وحتى لا يدعونا هذا الآسى للاعتقاد بأننا لانحوز السعادة الحقيقية بعد . ولعل أفضل ما يعثر عليه الإنسان في السعادة هو اليقين بأن السعادة ليست شيئاً مطلوباً للذشوة ، بل هي أمر يدعو إلى التفكير .

والحصول على السعادة يصبح أمراً أيسر منالاء ، وأقل ندرة ، عندما يعرف الإنسان أن الهبة الوحيدة التي تهبها للروح التي تعرف كيف تستفيد منها — هي توسيع الوعي الذي لا يمكن للروح أن تعثر عليه أبداً عن أى سبيل آخر ، فاهم للروح الإنسانية أن تقدر قيمة السعادة من أن تنعم بها . ومن اللازم فهم أمور كثيرة حتى يحب الإنسان السعادة لأمد طويل . وبما لا غنى عنه معرفة عدد متزايد منها للإقرار بأنه في داخل السعادة التي لا تكتنفها العواصف يمكن القدر المحدد الثابت لكل هناة فحسب في تلك القوة السائلة في أعماق وعينا ، والتي يمكنها أن تجعلنا سعداء حتى بين أحضان التعاسة ذاتها . ولا يمكنك أن تقول إنك سعيد إلا إذا كانت السعادة قد عاونتك على أن ترتقي مرتفعات شائعة إلى المدى الذي لا تعود ترى السعادة بعده ، بغير أن تفقد في نفس الوقت رغبتك في الحياة .

ونجد عدداً من ذوى الأفكار العميقة المملوئين شعوراً قوياً باللانهاية وبالأزل وبالكون مثل باسكال Pascal وهيلو Hello وشوبنهاور Schopenhauer لا يريدون سعداء على الإطلاق . ولكن يخطيء الإنسان خطأ غريباً لو أنه كان يعتقد أن تعبير الآسى العام يفترض دائماً خيبة شخصية عظمى . فأفق السعادة عندما نتأمله من قة تفكير غير غريزي

ولا أنا ولا تافه لا يختلف بشكل محسوس عن أفق آخر من نفس الطبيعة ، ولكنه يرجع إلى مصدر آخر .

وفي نهاية المطاف لا يعنيننا كثيراً أن تكون الغيوم التي تتحرك هناك في سماء الوادي ، غيوماً كثيفة أم رائعة ، فإن ما يهدهى روع المسافر هو الوصول إلى مكان مرتفع ، ليسكتشف منه فضاء لا حدود له . وليس من اللازم أن تمر أشعة بيضاء بغير توقف على البحر ، كما يبدو لنا البحر بكل ألغازه وروعته . فحدوث عاصفة لا يضعف من حياة أرواحنا كما لا ينال منها يوم هادئ جميل . إنما يضعفها أن نظل ليلاً ونهاراً سجناء في غرفة عقولنا الضئيلة بغير نشاط ولا راحة ، بينما المحيط يضيء السماء من حول المقر الذي فيه نقيم

ومن اللازم للسعادة أن تكون لدينا أفكار حية وجريئة عن الإنسان وعن الله وعن الطبيعة . ولكن ذلك لا يكفي ، إذ ماذا تساوى أية فكرة عميقة ما دامت لا تجلب لنا أية طمأنينة ؟

ثم يقول « من منا لا يجد ألف سبب وسبب كما يكون سعيداً بغير أن يبحث عن هذه الأسباب ؟ وبغير ريب من المفيد أن يبين لنا الإنسان الحكيم الأسباب العالية جداً للسعادة ، لأن الأسباب العالية جداً لعدم السعادة تكون قريبة جداً من أن تتحول إلى أسباب للسعادة ، ولكن جميع هذه الأسباب التي لا تحمل لنا بذور العظمة والسعادة (فيوجد في الواقع في الحياة المعنوية عدد من مساحات تم اكتشافها تختلط فيها العظمة مع السعادة) لا تستحق أن يعددها الإنسان .

وينبغي أن يكون الإنسان سعيداً حتى يسعد غيره ، كما ينبغي أن يسعد غيره حتى يظل سعيداً ، فلنحاول أن نتبسم - بادئ ذي بدء - حتى يتعلم المحزون أن يتبسموا ، وعندئذ سنتبسم ابتساماً أكثر صدقاً عندما نراهم

يتبسمون . ويقول ماركوس أويليوس ^(١) Marc-Aurèle ، إنه لا يناسبني أن أحزن نفسي بنفسي أنا الذي لم أحزن أحداً ، في عبارة من أجمل عباراته ، ولكن أليس جلب الحزن على النفس ومعرفة جلبه على الآخرين يساوى عدم معرفة الإنسان أن يكون سعيداً على قدر استطاعته ^(٢) ؟

ثم يتساءل ماترلنك ، لماذا لا نعترف بأن الواجب الأسمى ليس في البكاء مع جميع الباكين ، ولا في الألم مع جميع المتألمين ، وليس في أن نفتتح قلوبنا لكل عابر سبيل كيما يدميها أو كيما يسعددها ؟ إن البكاء والألام والجروح أمور لا تسالمنها إلا بقدر ما تمتنع عن تثبيط حياتنا .

فلنذكر دائماً أنه أية كانت رسالتنا على هذه الأرض ، وأياً كان الهدف من جهودنا وآمالنا ، وأية كانت نتائج أتراحنا وأفراحنا ، فنحن قبل كل اعتبار آخر مستودعات عمياء للحياة ، وهذا هو الشيء الوحيد المحقق بصفة مطلقة ، وهذه هي النقطة الثابتة الوحيدة للخلق الإنساني . لقد أعطينا الحياة ، ولا نعلم لماذا ، ولكن يبدو جلياً أن ذلك ليس لإضعاف الحياة ولا لضياعها .

بل إننا نمثل صيغة خاصة من الحياة على هذا الكوكب ، وهي صيغة حياة التفكير والشعور . ولذلك يبدو أن كل ما يؤدي إلى إضعاف جذوة التفكير أو الشعور ليس أمراً خلقياً بحسب الراجح . فلنحاول إذاً أن نذكر هذه الجذوة ، وأن نجعلها وأن نوسع من نطاقها ، وقبل كل شيء آخر فلنقو من إيماننا في عظمة الإنسان وفي قدرته وفي مصيره .

ومن الصحيح أنه بمقدوري أيضاً أن أقول أيضاً ، بل في ضالة الإنسان

(١) إمبراطور روماني معروف بحكمته وفلسفته دام حكمه من سنة ١٦١ — ١٨٠

بعد الميلاد .

(٢) من كتاب « الحكمة والغدر » La Sagesse Et La Destinée

من ١٤٧ — ١٥٢ .

وضعه وتعاسته . فمن المثير أن يكون الإنسان تعيشاً جداً بقدر ما يكون سعيداً جداً . ويستوى في نهاية المطاف أن يكون هو الإنسان أو هو السكون الذى يبدو لنا رائعاً ، ما دمنا نجد سبباً يثير روعتنا ويذكر فينا إحساسنا بالانهاية .

إن النجم الذى يكتشفه الإنسان لا يضيف شيئاً من الإشعاع إلى تفكيره وشعوره وشجاعته . وكذلك كل ما نشاهده من جمال فيما يحيط بنا ، كان جميلاً في قلوبنا من قبل ، وكل ما نجده رائعاً وعظيماً في داخلنا نجده كذلك في نفس الوقت في نفوس الآخرين .

فاذا ما استيقظت روحى في هذا الصباح وقابلت في تفكير محبتها فكرة تقرب بها قليلاً من الله ، الذى لا يمثل بغير ما ريب سوى أجمل رغباتها ، فإني سأجد نفس الفكرة تتردد في ذهن ذلك الإنسان المسكين الذى قد يمر في اللحظة التالية تحت نافذتى ، وسأحبه أكثر مما كنت أحبه ، لأنى عرفت أفضل من ذى قبل هذه الفكرة عن الله ...

ثم يقول أيضاً : إن كل فكرة تنمى قلبى تنمى في حب الإنسان واحترامه ، وبقدر ما ارتفع ترتفع معى . ولكنى كما أحبك لا ينبغي أن أقص جناحى محبتي لأن محبتك لم ينم لها جناحان بعد ، فعندئذ ستتضاعف الدموع ومعها الآنين غير المجدى في أعماق الوادى ، ولن تخط المحبة خطوة واحدة نحو الجبل . فلنحب من أعلى بقعة يمكن أن نرتقى إليها ، ولا ندع أنفسنا نحب بدافع من العطف عندما يمكننا أن نحب بدافع من الحب ، ولا ندع أنفسنا نغتفر للآخرين بدافع من الطيبة عندما يكون بمقدورنا أن نغتفر بدافع من العدالة ، ولا نعلم أنفسنا أن نعزى الآخرين عندما يكون بمقدورنا أن نتعلم كيف نحترمهم .

فلنكن متيقظين في تحسين نوع المحبة التى نعطيها للآخرين . إن كأساً من هذه المحبة نجرعه في القمم العالية يساوى مائة كأس يشربها الإنسان

من المستودع الأسن للبر العادى . وإذا كان ذلك الإنسان الذى لا تحبه بعد بدافع العطف عليه أو لمجرد أنه ينتحب ، سيجهل حتى النهاية أنك تحبه فى هذه اللحظة كما تجعل منه ومن نفسك إنساناً نبيلاً ، فما قيمة جملة فى نهاية المطاف ؟ لقد صنعت ما تصورت أنه أمر أفضل من غيره ، وهذا الأفضل يمكن ألا يكون مفيداً . ألا ينبغى أن نتصرف فى هذه الحياة دائماً كما لو كان الله — الذى تريده أسمى احتياجات قلوبنا — يراقبنا بغير ما توقف ؟ (١) .

قانونه الاستحقاق

وفهم ناموس التطور الخلق عن طريق الألم مرتبط بناموس آخر هو ناموس الحصول على أية سعادة عن طريق استحقاقها لا عن طريق اللطف عليها . فمن يستحق سعادة ما بسبب جدارته بها سينالها حتماً طبقاً لقانون السلبية ، ومن لا يستحقها فلن ينالها مهما تعلق بها ..

ذلك لأن السعى الحثيث للاستزادة من الخلق والمعرفة — بما يصاحبه من ألم محتوم — هو السبيل الوحيد الذى قد يوصل الإنسان إلى تحقيق أهدافه ، وبقدر ما تكون راقية ومناسبة لرسالته فى الحياة فى تقدير الناموس الحكيم الذى يراقب مدى ما يستحقه كل واحد بحسب ما قد يصل إليه من خلق ومن معرفة . فيعطيه هذا الناموس أحياناً ما لا يفكر فيه ولا يطمع إليه ، حين قد يسلبه ما قد يكون بحسب تقديره الضعيف فى حاجة ماسة إليه . فالإنسان يعطى من أسباب السعادة الحقيقية بحسب استحقاقه لا بحسب رغباته .

بل إن الألم نفسه قد يكون عطية حسنة يعطاها من يستحقها لدفعه فى طريق تقدمه وصلاح أمره . ويعطاها إلى المدى الذى يمكنه أن يتحملة ، وبدون أن تهمله رحمة الرحمن أو تنساه . لأنها غالباً ما تهب مع الألم وسائل تخفيف قسوته فى حكمة بالغة يحار فى فهمها الحكماء . هى نفس الحكمة التى

(١) عن ماترنك : المرجع السابق ص ١٧٧ — ١٨٠ .

(م ٣٢ — الإنسان روح : ص ٢٧)

أعطت الروح قدرة ذاتية هائلة على تحمل الألم مهما كان رهيباً ، كما أعطتها القدرة على الإحساس بفرحة الحياة وسط آلامها ومتاعبها ...

والألم مع ذلك ليس ملازماً محتوماً للشر أو للرذيلة ، وليس نتيجة محتومة لها . فليس من يتألم أكثر من غيره شراً من غيره . بل كل إنسان يتألم آلاماً ظاهرة أو دفينة ، نفسية أو جسدية ، بحسب مرحلة التطور التي وصلت إليها النفس وقت الألم ، وبحسب نوع الألم الذي قد يلزم هذه المرحلة للانتقال إلى مرحلة أخرى أرق من سابقتها وأسمى ، حيثما وجدت النفس ، لأن قانون التطور يفعل فعله دوماً . ولا يتصور توقفه إلا إذا توقفت حياة النفس ، كقانون الجاذبية لا يتصور توقفه إلا إذا توقفت الحياة المادية . وهو — شأن كل قوانين الطبيعة — عاقل مفرط في عقله وفي حكمته ، حتى عندما يوزع جرعات الألم لخدمة النفس كأنه طبيب ماهر يعرف كيف يوزع جرعات الدواء لخدمة الجسد .

وكقانون الجاذبية ، الألم أيضاً قانون موضوعي من قوانين الحياة التي تربط ربطاً دقيقاً بين المقدمات ونتائجها الطبيعية لخدمة دوام الحياة وتطورها ، منذ خلق الإنسان جنيناً في بطن الطبيعة حتى يصل إلى نضج كاف في العقل وفي الفضيلة . ومن ثم قد يتألم أفضل الناس وقد يقاسى من دهره كل صنوف الهوان والحرمان ، لمجرد أن فرص الارتقاء التي تعدها مرحلة التقدم التي وصل إليها تتجاوز تلك التي وصل إليها ذلك الذي قد يبدو ناعماً سعيداً ، على غير جوهر من فضل ولا من فضيلة .

ثم إن أولها يملك مستقبل الأجيال والدهور ، أما ثانيهما فلا يملك سوى سكرة الساعات أو الشهور ، وله يوم وأيام من ألم مخبوء في سقر الحياة التي لا تنتهى . ومن يملك السكرة لا يملك السعادة ، لأن سكرة الأشرار غير سعادة الأبرار واطمئنان نفوسهم في سكينته واستقرار ، هذا الاطمئنان الذي لن يناله إنسان إلا عن استحقاق ، والذي يفضل بذاته كل ماديات

الأرض ، وما وسعت من نعم زائف ، قد يخلب أبواب الحق ، وقد يسعدهم فيه ما لا يسعدهم في هدوء البال وراحة الضمير .

وهذا الفهم لنا موس الجدارة أو الاستحقاق يبعث في نفس العاقل الثقة بأن ماديّات الأرض لا تغني فتيلًا ، فهو على سفر عاجل إلى عالم آخر لا ينفعه فيه إلا ما كسب من اطمئنان وسكينة لأن « كل نفس بما كسبت رهينة » .

وهكذا يظهر كيف أن الطبيعة قد جمعت بين شاطئيهما النقيضين معاً : الإفراط في القسوة والإفراط في الرحمة . وإذا كان الألم يمثل أولها ، فإن الاستحقاق يمثل ثانيهما . وإذا كانت قسوة الطبيعة قد تصل أحياناً إلى حد اليأس منها ، فإن نور رحمتها هيات أن ندركه ونحن في ظلام قسوتها . لكن هذه هي بعينها سنة التطور والارتقاء ... ولن تجد لسنة الله تبديلاً ... فالألم يمهّد للارتقاء ، والارتقاء يفتح أبواب السعادة الواحد بعد الآخر . ولا يفتح باب إلا لمن تحمل وعناء الطريق واجتاز صعابه حتى وصل إليه فاستحق أن يفتح له ...

ورسالة الموت هي أن يفتح باب الأبدية حتى يغمر نورها من قاسي من ظلام دنياه وظلمها ، فيتفياً ظلال رحمتها من قاسي من آلام دنياه ، وما أفدح وطأتها ... وذلك إلى المدى الذي قد يصدق عليه قول سولون Solon مشرع الإغريق العظيم « لا يدهى إنسان سعيداً إلا عند موته » ... فمن يدري ؟ لعل سولون أشار إلى حقيقة البقاء ، لا إلى خوف الفناء ... وإلى ما يعرفه الآن علماء الروحية من أن عوائق السعادة هنا للنفس الراقية تتجاوز كثيراً عوائقها هناك .

ولعل إلى هذا المعنى أيضاً أشار القائلون بأن الموت والحرية مرتبطان وثيق ارتباط ، وبأن قدرة الإنسان على الموت هي أعلى درجات الحرية ، وهو ما عبر عنه الشاعر الفيلسوف إنجلز Angelus Silesius عندما قال « إن الموت أحسن شيء في الأشياء ، لأنه وحده يجعلني حراً ... » .

فلم الحزن أو اليأس ؟ ... حتى لو عة الفراق علينا أن نتحملها بشجاعة...
لأن أغلب آلام الحياة الدنيا وما سببها أوجب للحزن منها وأدعى ... هذا
لوعي الناس حقيقة هذا الانتقال من حياة مقيدة إلى حياة حرة، ومن حياة
دنيا إلى حياة عليا ... وحقيقة هذه الصلات التي لا تنقطع بين من انتقلوا،
ومن هم في طريق الانتقال .

الموت . الألم . الاستشفاء . في رسائل بعض الأرواح

ولعل خير ما نختتم به الفصل الخالي عن « الموت والألم » هو هذه
الفقرات من رسالة جميلة بعث بها من هناك بجائة روى يدعى ألفريد بنزيك
A. Bénézech إلى وسيطة روحية فيها تلخيص لمعاني هذا الفصل يغني بذاته
عن كل تعليق « إنى أناديك مرة أخرى قائلاً: ثقة : إنك تسيرين نحو النور
الأسمر ونحو متع نقية عميقة متدفقة بما ليس بمقدورك أن تتخيليه . والويل
للأشرار وللأذئاب وللرايين ، لأن ما يسيبونه من آلام سيتحملون مقابلها
أضعافاً . فشجاعة وثقة ، إذ ماذا تعد آلام دنيا كم أيتها الابنة الطيبة بجانب
نعم هذه الدنيا ؟

لتعلمي جيداً أنه لا يستحق أى إنسان أجراً غير ذلك الذى يحصل
عليه . فعيشى عادلة ولا تفكرى فى غدك كثيراً ، وإياك أن تطيلى الآنين
من محن الحياة . كلا بل فليكن لديك من الشجاعة ما يجعلك تباركين هذه
المحن . وإذا ما امتحنت فانهضى واقفة رغم الامتحان كما تزودادين قوة وبها .
وقرباً من السعادة التى تنتظر الإنسان العادل عند دخوله القبر ، والتى تعجزون
عن إدراكها فى أرضكم .

اقبر ؟ ... كلا بل إنه باب الحياة الحقبة التى تتفتح فيها زهرة الذات ،
فارفعى رأسك وسيرى قدماً لأنك تسيرين نحو الهدف الحق والواحد ...
أموت ؟ ... كلا بل إنه الحياة فى أقوى وأروع ما يؤدى إليه اللفظ، ولكن
لمن عرف كيف يجعل من حياته الأرضية أهلاً لها ...

... إنك قبل دخولك إلى عالمنا ستقتنعين بحقيقة الحياة بعد الموت .
ولست أخدعك إذ أؤكد لك من جديد ما لم أنقطع عن تأكيده طيلة حياتي
من أن النصر للخير ، والرفعة للجهد المبذول . وإذا كان الوصول إليهما مؤلماً
في المعتاد ، ولعله شاق على الدوام ، فإن ذلك للجهد هو مصدر قوته ومبعث
عصمته .

ودعى الضعفاء - الذين يجدون أن من الأيسر لهم أن يسلبوا أنفسهم
لغرائزهم وشهواتهم - يقولون ما يشاءون لقد كان بمقدوري أن أسميهم
بالأقوياء بدلا من الضعفاء ، لكن كان بمقدوري أيضاً أن أضيف أن أقوياء
الأرض سيصبحون هم ضعفاء الأثير .

فثق في كلامي وفي تأكيدي المتوالية ، وواصل حياة النقاء وتأدية
الواجب ، فسينتظرك حينذاك النعيم الأسمى للجسد والروح والنفس ، النعيم
الذي لا يمكن لأى شيء في عالمكم أن يعطيك فكرة عنه . وعيشي في هذا
الآمل الحق رائية لحال أولئك الذين يقضون حياتهم كيفما اتفق ، ورغم
كل اعتبار ، مطرحة جانباً اعتراضاتهم وشكوكهم .. وإني لا أجد عبارات
أعبر بها عن فكري كما أتصوره ، (١) .

وفي نفس هذا الاتجاه أيضاً تقول الروح جوليا A. Julia في دروسها
من العالم الآخر ، : « في وسط الحياة نحن موتى » . إني أريد أن أوضح
الحقيقة الغريبة التي يتضمنها هذا القول ، لكن علينا أن ننظر إليه من زاوية
تخالف تماماً تلك التي يفسر بها معناه غالباً . فنحن من هذا الجانب نرى الناس
في العالم المادى يسرون في ردائهم اللحمي وكأنهم موتى ، وجوهرهم من

(١) عن مؤلف للأستاذ شارل بيزيك المستشار الفخري بمحاكم الاستئناف الفرنسية عنوانه
« الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر » La Vie Terrienne Et La Vie D'Outre Tombe ،
والمؤلف هو ابن صاحب هذه الرسالة ، وتلقاها منه في جلساته العائلية .

كل جانب وبغير أن يشعروا توجد الحياة ، الحياة المشرقة تماماً آتية من الجانب الروحي .

إن العالم الأرضي مليء برجال ونساء قتل الجوع أرواحهم وأنفسهم ، ومع ذلك فهم يحيون - كما يعتقدون - في الحياة . آه لو تعلمون أيها الأصدقاء الأعزاء ، أى موت هو هذه الحياة ! الموت لكل ما هو روحي . الموت هو المعنى الحقيقي لهذه الحياة ، والموت وسط روائع الحياة .

تأملوا هذه الكلمات ، وسط الموت نحن نحيا ، وفكروا فيها من جانب الحياة التي نحياها . تمثلوا في أذهانكم إشراق الألوان ، وأنغام الموسيقى الجميلة ، والمدينة العظمى البيضاء التي تبعث ضوءها إلى العالم باحثاً عن القلب الذي يمكنه أن يتقبله .

فكروا فيمن يعملون لأجل إله المحبة ، مشرقين جميعهم برغبة مساعدة الإنسان ورفعته شأنه ، وقدروا أليست هذه هي الحياة ؟ . فكروا في المنازل التعيسة التي لا تجارب بينها وبين هذه الحياة ، لا المنازل الفقيرة بحسب المعنى المادى ، بل المنازل وأحياناً القصور التي يسكنها الإنسان الدنيوى ، والتي فيها يحاول الغنى المزعوم أن يحيا حياة غير خلقية سعياً وراء الملذات ، واسكنها خالية من حقائق الروح . هذا هو الموت كما نراه . هذه هي المفارقة الالهية في الحياة . ومع هاتين الصورتين وجموا عقولكم نحو ضرورة تعليم هذه الحقيقة حيثما تذهبون قائلين : إننا في وسط الحياة نحن موتى .

هنا العمل المتدفق لكل خادم يريد أن يخدم الله ، وكل ابن وضع في عقله هدف خير إنسانية . ونحن مشوقون الآن أكثر من أى وقت مضى لأن نحرر عالمكم من الموت ، وقد كان لذلك صداه على كل مستوى من مستويات الفكر . وحين نجمع هذا العمل في رفع الكثيرين من الاهتزازات المنخفضة وأطلعهم على الحياة ، فقد كان له أثر عكسي في الأرواح السيئة الفهم التي تحيا لا الإنسانية ولا الله ، بل لإشباع حاجيات الجسد .

علموا حيثما استطعتم أيها الأصدقاء الأعزاء أن الحصاد كثير ، أما
الفعلة قليلون . . .

إن سلام هذه الحياة يتجاوز مدى فهمكم إلى أن تحضروا وتختبروه
بأنفسكم ، كما أن القلق الخفيف ، للموت في الحياة الدنيا ، يتجاوز أفهام من
لا يلبسونه بأنفسهم . ولكن لسكل هؤلاء يمكن أن يوجد السلام عند
الوصول إلى هذه الحياة ينبغي أن تنبذوا حاجيات الجسد . . . إن حاجيات
الجسد لن تشبع أبداً ، وإنما التطلع إلى الروح هو الذي يرفع صاحبه من
عالم الموت .

إذا ما عدتم إلى ممالك الروح بعد انقضاء الأجل المحتوم على الأرض
ماذا سيكون إحساسكم ؟ وأين ستكونون قد شيدتم مناركم ؟ إن ذلك
يتوقف على الطريقة التي تكونون قد قهرتم بها عالم الموت ، وبها حققتم
معنى الحياة . . . إنى أترك هذه الأفسكار لأولئك من بينكم الذين يقومون
بالتعليم ، والذين يرغبون في التقدم ، والذين يشعرون بالحاجة الملحة لتعلم
الحياة الحقة ، (١) .

تم تستطرد جوليا - في الفصل التالي - قائلة : « الحياة في الموت
والموت في الحياة ، هذا هو ما نحن بصدد التفكير فيه . والآن فلنقدم
مساعدة عملية ، وإنى أريد منكم أن تتابعوني عندما نبحث كيف نتابع الحياة
بكل مغزاها خلال سدود الموت كيما نعدم الموت ونجعل الحياة ظافرة ،
ليس على جانبنا فحسب ، بل على مستواكم الأرضي أيضاً .

(١) Lessons From The Beyond ص ١١١ - ١١٤ .

وهذه الدروس أمتها جوليا في سنة ١٩٢٧ على وسيطة تدعى كوريللي جرين
Corelli Green إذ أن وسيطها السابق وهو سير و . ت . ستيد كان قد انتقل إلى عالم
الروح منذ سنة ١٩١٢ ، وأخذ يعمل من هناك كروح . مرشد لداثرته التي أعيد افتتاحها منذ
سنة ١٩١٤ تحت اسم W. T. Stead Borderland And Library ومقرها
٥ ميدان سميث بلندن 5. Smith Square .

ولا يمكننى فى الوقت الحاضر أن أحدثكم عن الحالة الدنيا للحياة التى هى أسوأ من الموت ، بل أسألكم الآن أن تدرسوا الحياة من ممالكنا العليا ، وأن تدعوا اهتزازاتكم الخاصة تستجيب إلينا عن طريق الانتصار على الموت فى عالمكم .

ولأنى أتحدث عن "مستويات" جانبكم لأنه توجد درجات متعددة من النشاط العقلى عندهم ، إلى حد أنه يوجد فعلا عدد وافر من المستويات التى نسميها - بغير تمييز فيما بينها - الكوكب الأرضى . فهل بمقدوركم أن تلاحظوا الدرجات الكثيرة المتنوعة من الحالات العقلية والروحية ، وتفكرون فى كل درجة منها بوصفها تمثل مستوى على حدة ؟ نعم إن لديكم عددا وافرأ من المستويات على الأرض . وبعضها أسهى من المستويات الكوكبية الأولى ، كما أن بعضها الآخر أدنى منها .

وفى ظروفكم الحالية يمكنكم أيها الأصدقاء الأعزاء أن تشاهدوا الموت فى حياتكم ، ولكن ما علينا أن نضعه فى الاعتبار هو إمكان إلغاء الموت على مستوياتكم ، وينبغى النظر إلى الموضوع من زاويتين : زاوية موت الجسد ، وزاوية موت النفس ، أو المظهر الخارجى للروح . وإلى أن يتحقق الإنسان من فاقة تطور العقل وتعاسته ، فلا يمكننا أن نتوقع أن نعالج هذه الحالة من ضربة الفاقة ، وبالتالى أن نلغى موت الروح الذى يجىء عن الظروف المظلمة لها . وهذه الدروس ينبغى أن تدرس ، ويمكن للجميع أن يدرسوها ، ولأنى أعلم أن أولئك الذين يمكنهم قبول كلماتى مع إمعان النظر فيها يتعلمون أكثر مما يمكن للكلمات أن تعطيه .. (١) .

(١) المرجع السابق ص ١١٥ ، ١١٦ .

الباب الخامس

في الروح بين العلم والاعتقاد

نصير

تقوم كافة العقائد على أمور مشتركة كثيرة ، منها الإيمان بأن الروح غير الجسد وأنها لا تفنى بفنائمه . وبوجود عالم أو عوالم أخرى غير العالم المادى تحيا فيها الأرواح بعد الموت ، . فهى تلتقى كلها عند أخطر حقيقة يقوم عليها علم الروح الحديث ، وهى التسليم بدوام الحياة بعد موت الجسد ، وبوجود عالم آخر خير وأبقى من عالم الشهادة ، وتحتوى كلها على اتجاهات روحية مشتركة واضحة فى هذا المعنى .

كما تلتقى كافة العقائد عند جوهر الفضائل كالحب والرحمة والمغفرة والعفو عند المقدرة والإيمان والتقوى والصدق والأمانة والقناعة والشجاعة والإخلاص والإحساس بالمسئولية وأداء الواجب والاستقامة والاعتدال ... وكلها تنبع كما قلنا من مصدر واحد وهو إنكار الذات ، وتسلم بأن أضرار هذه الفضائل رذائل يحمل بالعاقل تجنبها . وتلتقى أيضاً عند التسليم بأن لكل فضيلة ثوابها ولكل رذيلة عقابها .

وحتى فى النواحي اللاهوتية الصرف تلتقى العقائد الكبرى للمعاصرة فى كليات كثيرة : منها التسليم بوجود خالق واحد لهذا الكون ، وبصفاته غير المحدودة من القدرة والعدالة والجلالة والرحمة والمغفرة والحكمة وبهيمنته على نوااميس الحياة ، وبأزليته ، وبوجوب الصلاة أو الضراعة والصوم ، وبوجود أنبياء كثيرين ووسل وملائكة ، وبالمعجزات فى صور شتى . أما بالنسبة للجزئيات فإنها قد تختلف اختلافاً طبيعياً بين عقيدة وأخرى ، وبين مذهب وآخر ، بل وبين إنسان وآخر من نفس المذهب والعقيدة ،

لأن لكل واحد طريقته الخاصة في فهم عقيدته ، والتي تناسب تكوينه العقلي والخلقي والروحي . وقد يكون الإنسان راقياً من هذه النواحي الثلاث بغير تعمق في أمور عقيدته ، أو بسبب تعمقه فيها . لكن الفضيلة الحقة هي التي تربط في النهاية برباط لا ينفصم من الفهم المتبادل والولاء الوثيق بين الأشخاص الذين قد ينتمون إلى عقائد شتى ، على النحو الذي عبر عنه الفيلسوف رالف إمرسون R. Emerson (١٨٠٣-١٨٨٢) عندما قال إن الرجال الأفاضل من كل دين يدينون بدين واحد .

وأي إنسان يبحث في العلم الروحي الحديث - ولو قليلاً - يجد نفسه إناء حقيقة كونية قد ثبتت تماماً - بقدر ثبوت الحياة بعد الموت - وهي أنه لا يوجد أي فارق يفرق أمام نوااميس الطبيعة بين البشر بسبب العقيدة أيأ كانت ، وذلك لأن عدالة الله اقتضت أن تكون محبته فوق المذاهب وطرق العبادة، وأن تكون نعمته جزءاً من الميراث الإلهي المقدس الشائع يتقاسمه البشر على حد سواء . وهذا هو جوهر البحث الحديث في الروح ولب لباب ما وصل إليه من نتيجة بعد بحوث قرن وربع من الزمان ، وذلك في شتى البيئات التي أخذت على عاتقها أمانة إجراء هذا النوع من البحث بطريقة علمية محايدة .

فلم يعد الأمر إذاً محض اجتهاد ، أو محض رأى فلسفي لباحث دون آخر ، بل أصبح حقيقة مقررة كأية حقيقة أخرى ، وعلى نفس المستوى . وهي حقيقة بسيطة ورائعة ، لو وعاماها الناس جيداً لكانت كفيلة بأن تبدد من ضماثرهم قرينة ظالمة طالما وجهت تصرفاتهم نحو الخطأ ، وطالما أوغرت الصدور ، ودفعت العقول المظلمة - ولا تزال تدفعها - إلى أن تتصرف بغرائز الغابة . وهي تحسب أنها تتصرف بضمير القاضى وحكمة صاحب السلطان الحكيم . . . بل طالما أشغلت نيران الحروب في عصور ماضية لغير سبب قائم ولا هدف يرجى إلا إشباع نزعة التسلط في الإنسان - تحت ستار العقيدة - ويا لها من نزعة .

وهذه الحقيقة الكونية الكبرى في مساواة الناس أمام نوااميس الطبيعة لها محور فلسفي في غاية البساطة وهو أنه لو تواضع الإنسان قليلاً ، وبحث بروح علمية محايدة ، لتبين له على الفور أن الحقيقة المطلقة ليست ملكاً لأى من الناس ، بل ملك لجميع الأجناس . وهذه النفسية في معارف أى إنسان وإدراكه للأمور تعد الآن حقيقة رياضية ، قبل أن تكون فلسفة نظرية . ولعل هذه النفسية هى التى قصدتها ابن الهيثم (توفى سنة ١٠٤٠هـ) بقوله بأنه موافق « بأن الحق واحد ، وأن الاختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه »^(١) . لذا كان الطابع المميز للبحث الروحى الراقى هو تناوله المصير الإنسانى بأفق واسع وصدر رحب يتسع فى محبة حقيقية لجميع العقائد ومعتقديها ، بما لا يكاد يجد له الإنسان نداءً فى أى مجال آخر .

فلو أن أولئك الذين تعودوا — بغير ما بحث ولا تجريب — على توجيه سهام النقد المخرضة الطائشة إلى الروحانيين ، وإلى الروحية فى كشفها وفلسفتها ومبادئها الإنسانية ، وجهوا عشر معشار هذا النقد إلى ما قد يعتمل فى أذهانهم من خواطر فجّة كثيرة عن الحياة والموت ، والثواب والعقاب ، وعن الإنسان من ناحية صلته بالله وبأخيه الإنسان ، لما تبقى فى أذهانهم بعد شيء يستحق الاستمساك به والذود عنه بكل هذا الحماس ، ولشعروا هم أنفسهم أنهم بحاجة إلى تفهم هذا الموضوع الخطير ، بدلا من المكابرة فيه بغير معرفة ، وبغير غاية مشروعة .

وفى هذا الصدد يرد الأستاذ جيمس آرثر فندلاى — مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — على المعارضين بما رده به باستير Pasteur فى رده على أولئك الذين أنكروا كشفه الخطير لدنيا الميسكروبات لأسباب دينية عندما قال لهم « ليست المسألة فى هذا كله مسألة دين أو فلسفة أو إلحاد أو مادية أو روحية ، وإنما هى بأسرها مسألة أمر واقع ،

ثم يضيف فندلاى قائلاً « والحقائق ماثلة موجودة لا يغيرها أن يرفض البعض مواجهتها . وإذا كان أى فرد قد كون لنفسه نظاماً من الاعتقاد

(١) فى كتابه « مقالة فيما صنعه وصنّفه من علوم الأوائل » .

يتعارض مع هذه الحقائق فالواجب أن يتغير عنده هذا النظام حتى يلام هذه الحقائق ، وذلك لأن الحقائق لا يمكن أن تتغير لكي تلائم نظاماً خاصاً من نظم الاعتقاد والإيمان . وفي اعتقادي أن العلم والدين لا بد متحدان إذا قبلا هذه الحقائق ، فيخطو بنو الإنسان إلى الأمام خطوة واسعة من حيث النمو العقلي، وعلى قدرها ستشتد أو أواصر الإنسانية وترتبط برابط من الإخاء المنسق المنظوم ... (١) .

ولا ريب أن اتصال هذا النوع من البحث ببعض جوانب الاعتقاد كان من أقوى العوامل التي أثارت في وجهه غباراً - عند بعض المزمتمين والحرفيين - ولا تزال تثيره . حتى لقد جاء وقت حاول فيه بعض الهيئات أن يفرض عليه نوعاً من الوصاية التي كان يفرض مثلها فيما مضى على بعض أنواع المعرفة فكانت وصاية للجهالة على العرفان ، بل وصاية لغرور التزمت على تواضع الإيمان... فما بالك يبحث يتناول أسرار الانتقال إلى العالم الآخر، وطبيعة الحياة فيه ، والصلات بين العالمين ... وهذه كلها نواح طامسناخاض فيها شراح النصوص بطريقة المحيط بكل شيء العالم بأسرار الكون وبجميع خفائيه . فلما جاءت بحوث علم الروح كما تورد بعض الرواسب الغبية في نومها العميق كثر المعترضون والمقاومون بغير بحث ولا اطلاع ، ولكن في عنف وشراسة . فأيهما أولى بالاتباع أسلوب العلم أم أسلوب الاعتقاد ؟ للإجابة على هذا التساؤل الهام نجد أنفسنا إزاء نفس المشكلة القديمة ، وهي مشكلة كيفية التوفيق بين العلم والاعتقاد ، والتي يحسن أن نعالجها في الباب الحالي إجمالاً من زاوية الصلة بين علم الروح الحديث وبين العقيدة باعتبارها فرعاً من أصل وجزءاً من كل . وذلك في فصلين : -

الفصل الأول عنوانه : «البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد» .

والفصل الثاني عن : «دوره في توضيح بعض جوانب الاعتقاد» .

(١) «على حافة العالم الأثيري» الترجمة العربية للرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير

الفصل الأول البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد

البحث الروحي الحديث هو سبيل من سبيل المعرفة ببعض قوانين الحياة . فهو علم وليس عقيدة ، لأن أسسه كلها مستمدة من محض تجارب عملية تقبل بطبيعتها الخضوع لأساليب النقاش العلمي للحكم لها أو عليها ، للخروج منها بدلالة أو بأخرى . وقد عبر عن ذلك النائب البريطاني جورج روجرز G. Rogers في خطاب بجمعية ماريلبون الروحية قائلاً : « ليس من حقنا أن نصف أنفسنا بأننا أصحاب دين قائم بذاته . ذلك لأن معظم الديانات الكبرى بدأت بظهور معلمين لها يرسمون للناس سبل الحياة . ولستكنا لا نكاد نرى شيئاً من ذلك في الروحية . فليست لنا فلسفة جديدة ، وكل ما عندنا هو حركة كشف القناع عن براهين جديدة لتلك الحقائق التي ثبتت قديماً . فالروحية على ذلك امتداد لمعرفتنا بالله » (١) .

هذا من جانب ، ومن جانب ثانٍ فإن كافة العقائد تقوم على الإيمان بأمور شتى ، أما البحث الروحي فلا يعرف الإيمان ، مفروضاً بأي أمر من الأمور . ومن جانب ثالث فإن معنى الانضمام إلى عقيدة معينة هو قبول عدد كبير من نظرياتها ومن شعائرها وطقوسها ، والارتباط مقدماً بما قد تقتضيه ، أما البحث الروحي فلا يعرف شيئاً من هذا القبيل فهو محض بحث علمي ، حتى وإن أصبح عند بعض الناس أساساً لأسلوب أو آخر من أساليب الحياة القائمة على الاقتناع بثبوت الحياة بعد الموت ، وبإمكان الاتصال بأرواح تقطن عالماً غير عالم المادة .

(١) مجلة « عالم الروح » عدد إبريل سنة ١٩٥٣ ص ٩ عن مجلة السايتك نيوز .

موضعه من العلوم الأخرى

ومن ناحية موضعه بين العلوم الأخرى ، وصلاته بها ، يتعذر اعتبار علم الروح الحديث فرعاً من علم معين دون غيره ، وإن كان وثيق صلة بعدد منها ، وهو ما يدعو إلى اعتباره علماً قائماً بذاته له كل خصائص الذاتية ، مهما تعددت صلاته بهذه العلوم الأخرى : —

— فهو مثلاً ذو وثيق صلة — ابتداءً — بالفيزياء من عدة نواحٍ مثل اتصاله بنظرية الاهتزاز vibrational system والأمواج والأثير ، وبنظرية النسبية ، وبحقائق الطاقة والمادة وبمعنى الزمان والمكان . وذلك بالإضافة إلى صلاته بالمجالات المغناطيسية والكهربائية الاستاتيكية على الأحياء بوجه عام والوسطاء بوجه خاص .

— كما هو ذو صلة بالسيكولوجيا ، وبفرع الباراسيكولوجى بوجه خاص ، بل لقد بينا كيف أن هذا الفرع يعد الآن الوسيلة العلمية لدراسة كافة الظواهر الوسائطية ومن ضمن ظواهر الباراسيكولوجى هذه التلباثى (التخاطر) ، والاستشفاف ، والتجسد ، والسيكومتري^(١) ، والطرح الروحى والتنبؤ بالمستقبل ، والغيوبة الوسائطية ... فضلاً عن اتصاله بموضوعات التنويم المغناطيسى ، وبنظريات العقل والتحليل النفسى والعلاج الإيحائى .

— وهو ذو صلة بالفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) من ناحية انبعاث مادة الأكتوبلازم وعودتها وطبيعتها. والظواهر الفيزيائية وما يتصل بها من تجسّدات جزئية أو كلية ، والتغيرات التى لوحظ أنها تلحق أجسام الوسطاء أثناء الجلسات فى شأن النبض والتنفس ودرجة الحرارة ... بالإضافة إلى دراسة كوامن البشرة الكهربائية skin potentials وغيرها .

(١) ظاهرة يطلق عليها بالانكليزية كلمة Psychometry وهى تعنى أثر الإنسان فى الزمان والمكان . وقد فضل شارل ريشيه أن يستعمل بدلاً من هذا الوصف وصفاً آخر وهو بالفرنسية La cryptesthésie (راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٣٤٣) .

— وهو بالإضافة إلى ذلك ذرصلة بعلم الأحياء والبيولوجيا، إلى حد أن بعض العلماء يعتبره من صميم موضوعاتها لأن الروح من خصائص الأحياء دون غيرها، وبخاصة وثيق صله بالمجالات الحية الذاتية living autonomous fields التى تعين بطبيعتها الفطرية تكوين الكائنات الحية ووظائفها . والنرى بعض العلماء — مثل الدكتور جوستاف سترومبيرج Gustaf Stromberg بمرصد ويلسون بكاليفورنيا — أن دراستها تصل مباشرة إلى إقرار الرأى القائل بخلود نفس الإنسان عن طريق عدم فناء وعيه .

ولعل أقوى رابطة تربط بين علوم السيكولوجيا والفسولوجيا والبيولوجيا فى نطاق هذا العلم هى دراسة الجسد الأثيرى أو اللامادى للإنسان . ذلك أن الجسد اللامادى هذا هو الذى يحمل عقل الإنسان الذى اصطلح العلماء على تسميته بالواعى وهو يعمل عن طريق المخ ، ومن ورائه الآخر — الاكثر منه اتساعاً وشمولاً والأصعب منه فى فهمه ودراسته — وهو الفوق الواعى الذى يعمل عن غير طريق المخ ، والذى يمثل من الشجرة جذورها الدفينة التى تستمد منها الحياة ، وهو الذى يوجه مشاعر الإنسان وعواطفه وغرائزه ويتحكم فيها . وهو من هذه الزاوية يتبع النفس بمفهومه التقليدى .

وفى نفس الوقت نجد أن هذا الجسد اللامادى هو الذى يتحكم فى وظائف الأعضاء وإفرازات الغدد الصماء وغير الصماء ، ودورة الدم وحركة التنفس ، وهو من هذه الزاوية يتبع علم الفسيولوجيا أو علم وظائف الأعضاء .

وهو الذى يهب الحياة للجسد المادى ويمسك بذراته بما فيها من كهارب سالبة وموجبة ، ويوجهه نحو النمو فالشيخوخة منذ أن يكون الإنسان جنيناً فى بطن أمه ، إلى أن يصبح بانفصاله عن الجسد المادى جنيناً لحياة جديدة فى بطن الطبيعة ، وهو من هذه الزاوية يتبع البيولوجيا أو علم الأحياء (١) .

ومثل هذا القول يصدق أيضاً على دراسة الصلة بين المخ والعقل — حينما

تتصل وحينما تنفصل انفصالا تاماً أو جزئياً - فهو موضوع مشترك بين
السيكولوجيا والفسيولوجيا والبيولوجيا ، وفي نفس الوقت يمثل مفتاحاً
من أهم المفاتيح التي أدت إلى اقتناع عدد من العلماء بحقيقة الروح وعالم الروح
عن طريق الاقتناع بعدم الارتباط المحتوم بين المخ والعقل ، وبالتالي بين
المخ والحياة نفسها . وكذلك عدم الارتباط المحتوم بين الإحساس
وأعضاء الإحساس (١) .

فالدراسات الموضوعية المحايدة في هذه الموضوعات العويصة لعبت -
مع دراسة الظواهر الواسطية - الدور الأكبر في إقامة دعائم هذا العلم
الوليد على أسس علمية واضحة تقبلتها أذهان الباحثين والعلماء للصلات
المتعددة بينها وبين حقائق العلوم الأخرى .

- وهو ذو صلات شتى بالفلك (من ناحية الفضاء السكوني واحتمال
تعدد العوالم المادية) وغيرها وبالطب (من ناحية العلاج الروحي)
وبالكيمياء (من ناحية بعض التحاليل) ، بالإضافة إلى أن تحقيق قيمة بعض
الرسائل الروحية كثيراً ما يتطلب إلماً خاصاً بالأدب أو التاريخ أو اللغات
المختلفة أو غيرها بحسب الأحوال .

- وهو أيضاً ذو صلة وطيدة بعلم الأخلاق Ethics من ناحية اتصاله
بالقوانين الخلقية المختلفة بما في ذلك تحديد ماهيتها وآثارها .

- وهو ذو صلة بعلم العقائد المقارنة ، من ناحية دراسة الثواب
والعقاب والخلود . وكافة ما يتصل فيها بموضوع الروح .
- وهو ذو صلة بعلم ما وراء الطبيعة وفلسفاته .

ومن مجموع هذه الصلات يتضح تماماً كيف أن البحوث الروحية متى
جرت على نمط علمي منظم كان لها كل خصائص العلم القائم بذاته ، لأن صلة
هذه الموضوعات بعضها ببعض الآخر تنظمها رابطة مشتركة ، أو بالأدق
نظرية روحية واحدة . وهذا هو الاعتبار الذي دفع بعض كبرى الجامعات

في العالم إلى إنشاء كراسي أستاذية للبحث في جل فروع هذا العلم، ومنها جامعات عريقة تعودت أن تأخذ الأمور الجدية مأخذاً جدياً .

كما دفعها إلى إنشاء معامل معدة أحسن إعداد لتحقيق الظواهر الواسطية وتسجيلها متى حدثت ، وقد يشترك في بحثها إلى جانب العالم الروحي عدد من الاختصاصيين - يتفاوت نوعاً ومقداراً بحسب نوع هذه الظواهر - منهم الفسيولوجي والسيكولوجي والطبيب والكيميائي وأخصائي الرسومات الدماغية وخبير في التصوير بالأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، وأحياناً خبير في الأرصاد من أصحاب الخبرة الخاصة في هذه الموضوعات .

فإذا ما اجتمع العدد المطلوب منهم واصلوا البحث لسنين كافية قبل تكوين الرأي في نتائج بحثهم ، فمن الخطورة تطبيق نظرية الاحتمالات أثناء فحص عملية محاولة ذات عوامل متعددة يزيد بعضها أو يقل من تأثير معين ، ولا يجوز الاستنتاج إلا ببقاء النسب ثابتة بين تلك العوامل المختلفة أثناء التجارب الكثيرة .

ولنضرب مثلاً بشخص أو وسيط قادر على استعراض ظاهرة معينة لمدة أسبوع في السنة فنتيجة توفر عاملها الخاص المطلوب فإننا لو أجرينا التجارب يومياً (دون معرفة هذه الحقيقة) سنحصل على نتائج إيجابية في ٧ أيام فقط من ٣٦٥ يوماً أي بنسبة نحو ٢ ٪ . فإذا ما حدثت هذه الظاهرة في نفس الأسبوع من كل عام ، فإننا بعد سنوات من التجارب سنقبل هذه الظاهرة كحقيقة واقعة ١٠٠ ٪ ، ولكن لو تغيرت هذه الفترة بدون نظام لعوامل خارجية مختلفة فإننا بلا شك سننكر هذه الظاهرة على أساس نظرية الاحتمالات ... (١) .

(١) راجع مقالاً في هذا الموضوع عنوانه « البحث الروحي » للأستاذ محمد حسن السكري في مجلة « عالم الروح » عدد مايو سنة ١٩٥٣ ص ٩ - ١٧ . وهو يحيل القاري إلى Harry Price : Fifty Years Of Psychical Research . وإلى S. W. Tromp : Psychical Physics وإلى (م ٣٣ - الإنسان روح : ج ٢)

نبويب

ولولا الارتباط الوثيق بين موضوعات علم الروح الحديث وبعض العلوم الأخرى — وبخاصة علوم المادة — لما وجد هذا العلم الناشئ من الفلاسفة أو من العلماء — الذين يصدق عليهم هذا الوصف — من يقبل أن يواصل بحثه لسنوات طوال ثم يسلم بصحته وينصب نفسه مدافعاً عن وسائله ونتائجها، مع أنهم يمثلون أعلاماً في علوم شتى .

فكل واحد من هؤلاء يمثل في ناحيته مستوى خاصاً من العمق والاطلاع لا يدانيه فيه كثيرون . وأى واحد منهم لم يكن عنده أى استعداد للاقتناع الروحي إذا لم يعرف أولاً كيف يوفق توفيقاً تاماً بين هذه الحقائق الكونية الخطيرة التي تكشف عنها هذا العلم ، وبين معلوماته الخاصة في فرع تخصصه . وبيان ذلك يقتضي لنا وقفة قصيرة عند كل منهم لتوضيح هذه الحقيقة الهامة في مغزاها في جانب علم الروح .

وستتناول ذلك في مباحث ثلاثة على النحو الآتي : —

المبحث الأول : في موقف بعض الفلاسفة : وسنختار طائفة من آراء وأقوال هنري برجسون ، ووليام جيمس ، وكامى فلاماريون .

المبحث الثاني : في موقف بعض علماء المادة : وسنختار طائفة من أقوال وآراء سير أوليفر لودج ، وسير وليام باريت ، وآرثر كومبتون ، وسير ألفرد راسل والاس .

المبحث الثالث : في موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس : وسنختار طائفة من آراء وأقوال جوستاف جيلي ، وهانز دريش ، وبروض ، وشارل ريشيه .

وكل هؤلاء فلاسفة كبار ، وعلماء جادون ، وبحاث مادة ونفس ، من أعلى طراز عرفته الإنسانية في مجالات الفلسفة والتفكير العلمي المترابط العميق .

المبحث الأول

موقف بعض الفلاسفة

من علم الروح الحديث

موقف برجسون

يعد هنري برجسون H. Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١) - بغير ريب -
أعظم فلاسفة هذا القرن، وأعظم فيلسوف فرنسي منذ ديكارت Descartes ،
وقد بحث الظواهر الواسطية في باريس على عدد من الوسطاء ، وفي لندن
عندما اختير في سنة ١٩١٣ رئيساً « لجمعية البحث الروحي » S.P.R. وهي
أكاديمية كبرى للبحث المتحرر على نطاق دولي ، لأنها تنظم لقيفاً من كبار
العلماء التابعين لدول مختلفة (١) .

ومن الجلي أن مثل برجسون لا يقبل لفلسفته أن تدافع عن
نتائج هذه البحوث - على خطورتها البالغة - مالم يقتنع تماماً بصحتها ،
ومالم يرواها تماماً فيها وبين آرائه السيكولوجية والفلسفية الكثيرة العميقة
عن النفس والعقل .

وقد بينا كيف أنه راح يعلن بكل حزم « أني أريد أن أكشف وراء
اعتراضات البعض وسخریات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستترة غير
واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالي متقلبة ، غير واعية وبالتالي عاجزة عن
أن تتكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديدة بهذا
الاسم . وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلسفة هو العادة

(١) راجع ما سبق في شأنها في الجزء الأول من ١٩٦ - ٢٠٧ .

التي تعودها الفكر الإنساني منذ زمن طويل ، وأن ذلك هو السبب في بقائها وانتشارها بين الناس ، . وراح بعدئذ يزيح النقاب عن هذه الأفكار المادية المعترضة على البحوث الروحية والساخرة منها ، ويقابلها وجهاً لوجه ويتبين مالها من قيمة ... ، على حد تعبيره (١) .

وأعظم من ذلك في الدلالة على قيمة رأى برجسون في هذه البحوث أنه أخذ يوفق كما قلنا بين نتائجها وبين فلسفته ، أو بالأدق أخذ يشيد عليها فلسفة روحية عظمى . فنجد مثلاً في رسالة في المعطيات المباشرة للشعور (٢) ، ينكر قيمة المعرفة المادية وحدها في استكناه أسرار الحياة « فلا بد لنا من معرفة أخرى تمسكنا من هذا الفهم ، وتلك هي المعرفة الحدسية . ونحن بالحدس intuition ندرك المطلق ونفهم الحياة في أعماق معنى لها .

« فنحن هنا إزاء إحساس بالذات وهي تنبض بالحياة . إننا نتتبع النفس في تموجات حركتها وتدفع حالتها . نحن هنا أمام نمط من التجربة المباشرة له صبغة كلية شاملة للوجدان فيها الغلبة للعقل . إن كل من يتأمل نفسه متحرراً من التحليل مستغنياً عن وسائل العلم المألوفة يمكنه أن ينطلق إلى الوجود المطلق الذي نجده في أنفسنا كما نجده في جميع الأشياء . والحدس ليس بمثابة امتلاك المرء لوجدانه لحسب prise de conscience وإنما هو أيضاً تعاطف عقلي sympathie intellectuelle يفتح لنا مغاليق الموجودات الأخرى مثلاً يكشف لنا عن مكنون نفوسنا ، (٣) .

ويرى برجسون في شأن «التطور الخالق» (٤) ، أن المبادئ الآلية التي

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٢٠٠ - ٢٠٤ .

(٢) Essai Sur Les Données Immédiates De La Conscience

(٣) من « المعرفة » للدكتور محمد فتحي الشاطي طبعة ٣ سنة ١٩٦٢ ص ١٩٤ .

(٤) L'Évolution Créatrice.

يقابلها الإنسان عند لامارك وداروين وسبنسر تعجز عجزاً تاماً عن تفسير



التطور في العالم لأنهم هؤلاء قد
انحصر في بحث المادة وحدها فلم
ينفذوا إلى جوهر التطور ، الذي
هو في رأيه عبارة عن وثبة حية
Elan Vital أشبه ما تكون بانطلاق
الحياة وتدفعها ، وليس التطور إذن
وليد الصدفة ولا ثمرة الآلية ، وليس
التطور نابهاً من وراء خصائص
يكتسبها الكائن أصلاً بالعادة وإنما
التطور يتم دفعة واحدة على قفزات

برجسون

مباغنة sauts brusques . التطور ينجم من الباطن ولا يأتي من الخارج .
ينجم عن هذه الدفعة الباطنية التي تولد كل جديد وتبتدع كل طريف ، فالعقل
في نظر برجسون ليس غريزة مصقولة مستكملة ، وليست الغريزة بقية
موروثة من عادات الجنس البشري ركزت في الأفراد على مر الأجيال .
لأن الإنسان والحيوان لا يقفان على خط واحد في التطور ... فالطبيعة
شامت أن تجعل الإنسان كائناً مبتكراً مبدعاً فزودته بعقل قادر على كل
شيء صالح لكل شيء . إلا أن الإنسان كثيراً ما يتعثر في مجالات التجربة
وكثيراً ما يقع في الخطأ . وبين الغريزة الحيوانية والعقل الإنساني فارق
طبيعي ، بالرغم مما نلاحظه هنالك من ظل عقلي يحوط الغريزة وظل غريزي
يكتنف العقل .. (١) .

والحاسة الدينية عند برجسون هي الإلهام أو الكشف الذي يصل بين
الملمه وبين هذه الوثبة الحية أو دفعة الحياة ... وهي تظهر على أوضاعها

(١) من الدكتور الفيلسوف المرجع السابق ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

في بديهة النخبة المختارة من كبار العباقرة الروحانيين ... وإذا كانت للخلقية قوة كونية تظهر لبعض كبار الملهمين ، فلم إذا تكون هذه الحاسة الدينية وهماً مصطنعاً أو خرافة ؟ ولا تكون من قبيل الشعور البديهي بتلك القوة الكونية . أو من قبيل الاهتداء التدريجي في طريق البحث الصحيح عن هذه الحقيقة المجهولة ؟ ...

كما يقول برجسون في «التطور الخالق» ، « من الواجب أن تقتصر الفلسفة هذه الضروب الشاردة من الحدس والتي لا تضيء إلا على مسافات بعيدة ، لكي تدعمها أولاً ، ثم لكي تمتد في أجلها وتوفق تبعاً لذلك فيما بينها . وكلما تقدمت الفلسفة في هذا العمل أدركت أن الحدس هو الروح نفسها ، وأنه الحياة نفسها بمعنى عام ، أما العقل فإنه يقتطع من هذه الروح بعملية تحاكي العملية التي أدت إلى نشأة المادة . وهكذا تظهر وحدة الحياة العقلية ، فلا يمكن التعرف على هذه الحياة إلا إذا نظرنا إليها من وجهة نظر الحدس لكي ننتقل منه إلى العقل ، ذلك لأنه لا يمكن أن ننتقل أبداً من العقل إلى الحدس .

وعلى هذا النحو تقودنا الفلسفة إلى الحياة الروحية ، وهي تكشف لنا في الوقت نفسه عن الصلة بين حياة الروح وحياة الجسد . إن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه المذاهب الروحية إنما يرجع إلى أنها كانت تعتقد أنها إذا فصلت الحياة الروحية عن كل ما عداها ، وإذا ما علقتها في أعلى درجة بمكانة من الفضاء فوق الأرض فإنها تجعلها بآمن من كل اعتداء ، متناسية أنها تنتهي بكل بساطة إلى جعل تلك الحياة تبدو في نظر المرء بمظهر السراب !

نعم ، لقد كانت هذه المذاهب على حق في استماعها إلى الشعور عندما كان الشعور يؤكد الحرية الإنسانية ، لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول إن السبب يحدد نتيجته ، وإن المثل شرط في وجود المثل ، وإن كل شيء معاد ، وإن كل شيء موجود من قبل . وقد كانت هذه المذاهب على

حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة ، وباستقلال الفرد تجاه المادة ، لكن العلم مائل هنا ليعين لنا التضامن بين الحياة الشعورية والحياة العصبية .

وقد كانت هذه المذاهب على حق عندما نسبت إلى الإنسان مكاناً ممتازاً في الطبيعة ، وقالت بأن المسافة التي تفصل الإنسان عن الحيوان مسافة لا نهاية لها ، غير أن تاريخ الحياة يأتي هنا ليعرض علينا نشأة الأنواع بطريق التحول التدريجي ، ويبدو أنه يدمج الإنسان بهذه الطريقة في السلسلة الحيوانية .

وإذا نادى إحدى الغرائز القوية بإمكان خلود النفس كانت تلك المذاهب الروحية على حق عندما لم تصم آذانها عن سماع صوت هذه الغريزة . ولكن إذا وجدت نفوس تستطيع البقاء في حياة مستقلة فمن أين جاءت ؟ ومتى وكيف ؟ ولماذا تنطرق إلى هذا الجسم الذي نراه تحت أعيننا ، والذي يصدر بطريقة طبيعية جداً من خلية مشتركة انحدرت من جسم والديه ؟

إن جميع هذه الأسئلة ستظل معلقة دون جواب وستكون فلسفة الحدس إنكاراً للعلم ، وسوف يكتسحها العلم في طريقه إن عاجلاً وإن آجلاً إذا هي لم تعقد العزم على النظر إلى حياة الجسم حيثما وجدت هذه الحياة حقيقة ، أى في الطريق الذي يقود إلى حياة الروح . لكنها لن تعبأ في عزمها هذا بتلك السمكائن الحية المحددة . فإن الحياة بأسرها ابتداء من الدفعة المبدئية التي قذفت بها في العالم ، سوف تبدو لتلك الفلسفة كما لو كانت موجة صاعدة تعترضها في طريقها حركة المادة الهابطة ...

إلى أن يقول : إن الشعور متميز عن الجسم الذي يبعث فيه الحياة ، على الرغم من أنه يكابد بعض ضروب التدهور بسبب ذلك . وكما أن الأفعال الممكنة التي تنطوي حالة شعورية على رسمها تستقبل بدءاً من

التنفيذ في المراكز العصبية في كل لحظة ، فإن الدماغ يحدد المقاطع الحركية للحالة الشعورية في كل لحظة ، لكن تتوقف هنا التبعية المتبادلة بين الشعور والدماغ ، إذ أن مصير الشعور ليس مرتبطاً بهذا السبب بمصير المادة الدماغية . وأخيراً فإن الشعور حر بحسب جوهره ، بل هو الحرية ذاتها ، لكنه لا يستطيع اجتياز المادة دون أن يهبط عليها ودون أن يتكيف بها ، وهذا التكيف هو ما يسمى بالعقل . وإذا استدار العقل إلى الشعور الفعال أي الحر فإنه يدخله بطبيعة الأمر في الحدود التي ألف أن يرى دخول المادة فيها ...

ثم يقول : وكما أن أصغر ذرة من الهباء تتضامن مع مجموعتنا الشمسية بأسرها ، وتنساق معها في هذه الحركة الهابطة غير المنقسمة وهي المادة نفسها كذلك نجد أن جميع الكائنات العضوية من أشدها تواضعاً إلى أكثرها رقياً ، ومن الأصول الأولى للحياة حتى العصر الذي نعيش فيه ، وفي جميع الأمكنة وجميع الأزمنة أيضاً ، لا تفعل سوى أن توضح في أعيننا وجود دفعة وحيدة تسير في اتجاه مضاد لحركة المادة ، وغير منقسمة في ذاتها .

جميع الأحياء متماسكة ، وهي تفسح طريقها أمام نفس الدفعة الهائلة . فالحيوان يعتمد على النبات والإنسان يعلو الحيوانية ، والإنسانية بأسرها من حيث المكان والزمان جيش ضخم يجب إلى جانب كل امرئ منا وأماننا وخلفنا خبأ جارفاً يستطيع إزاحة جميع ضروب المقاومة واجتياز عدد كبير من العقبات ، بل ربما اجتاز الموت أيضاً ، (١) .

وفي ختام مؤلفه يتحدث الفيلسوف العظيم عن الخلق والإفناء قائلاً :
إنهما خاصان بالحركة أو بالطاقة ، لا بالوسط الأثيري الذي ربما تسرى فيه الطاقة والحركة ، لكن ما عسى أن يبقى من المادة عندما نجردها من كل ما يحدد من الطاقة والحركة علي وجه الدقة ؟ فيجيب قائلاً : علي الفيلسوف

(١) من « التطور الخالق » ترجمة الدكتور محمود محمد قاسم ص ٣٠٤ — ٣٠٧ .

أن يذهب إلى حد أبعد مما يذهب إليه العالم ، فإذا صرف النظر تماماً عما ليس إلا رمز خيالي رأى أن العالم المادى ينحل إلى مجرد تيار وسريان متصل وصيرورة . وهكذا سيتخذ أهفته للعثور على الديمومة الحقيقية في المجال الذى يكون العثور عليها فيه أكثر فائدة ، أى في مجال الحياة والشعور .

ثم يختتمه بالعبارات الآتية : « فإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو لم تنحصر فحسب في عودة الروح إلى نفسه ، أو في التطابق بين الشعور الإنسانى والمبدأ الحى الذى يفيض منه ، أو في الاتصال بالمجهود الخالق ، وإنما هي التعمق في الصيرورة العامة ، وهي المذهب التطورى الحق ، ومن ثم فهي الامتداد الحقيقى للعلم ، ولكن بشرط أن يفهم العلم على أنه يضم مجموعة من الحقائق المشاهدة ، أو تلك التى قام البرهان عليها ، لا على أنه نوع جديد من التفكير المدرسى Scolastique الذى نما في النصف الثانى من القرن التاسع عشر حول علم الطبيعة الذى أنشأه جاليليو ، كما نما التفكير المدرسى القديم حول أرسطو ، .

وهكذا انتهى برجسون إلى تأسيس التطور على أسس عقلية مختلفة تماماً عن الأسس الآلية التى كان يقول بها التطوريون الماديون من قبل ، أسس عقلية استمدتها ابتداء من إيمانه بالروح عن طريق تجارب معملية — كما قال وصرح مراراً — ومن تسليمه بأن حياة النفس الإنسانية عبارة عن ديمومة *durée* وصيرورة *devenir* . فالروح من معدن غير معدن المادة لأنها صاعدة حرة ، والمادة هابطة مقيدة ولذا كانت الروح في هذا التطور الخالق هي أصل المادة ولم تكن المادة هي أصل الروح ، ولم تكن العين هي أصل النظر بل النظر هو أصل العين ، والعضو بوجه عام ليس هو أصل الوظيفة ، بل الوظيفة أيا كان نوعها هي أصل العضو (١) . مما يتفق في جملته وتفاصيله مع الروحانية

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٤٣٩ .

التجريبية الحديثة ولا يتفق مع غيرها ، وما يغفل صحة النتائج التي وصلت إليها ويؤيدها . فكان موقفه يشبه إلى حد كبير موقف ألفريد راسل والاس عندما أسس فهمه الجديد للتطور هو أيضا على أسس روحانية تجريبية تخالف أيضا التفسير الآلى له ، وكل ذلك في ضوء الكشف الروحية وحدها ، وللتوفيق بينها وبين نظرية التطور التي دعمتها حقائق كثيرة لا محل لإنكارها على ما سيلي في نهاية المبحث المقبل .

ثم انظر برجسون وهو يتحدث عن الصلة بين الروح والجسد قائلا في محاضرة له في ٢٨ أبريل سنة ١٩١٣ ظهرت مع دراسات أخرى لعدة مؤلفين في كتاب عنوانه « المادية الحاضرة » ماذا تقول لنا التجربة في الواقع ؟ انها تبين لنا أن حياة النفس ، وإن شئت فقل حياة الروح ، مرتبطة بحياة الجسد وأن هناك تضامنا بينهما ولا شيء غير ذلك . لكن هل هناك من أنكر هذه النقطة ؟

إلا أنه شتان بين ان نقرر ذلك وبين أن نقول إن الدماغ معادل العقلي ، وإن في الإمكان أن نقرأ في الدماغ كل ما يجري في الشعور المقابل . إن الثوب الذي عاق على مسمار متضامن مع هذا المسمار ، فإذا وقع المسمار وقع هو معه ، وإذا اهتز اهتز ، وإذا كان رأس المسمار حاداً تمزق الثوب ، ولكن ليس ينتج عن هذا أن كل جزء من أجزاء المسمار يقابل جزءاً من أجزاء الثوب ، ولا أن المسمار معادل للثوب ، ولا أن المسمار والثوب شيء واحد . نعم إن الشعور معلق بدماغ ، ولكن ليس ينتج عن ذلك أبداً أن الدماغ يرسم كل تفاصيل الشعور ، ولا أن الشعور وظيفة للدماغ . وكل ما تسمح لنا المشاهدة والتجربة بتقريره هو أن هناك علاقة بين الدماغ والشعور . . ولاحظ إصرار برجسون على أن يوضح أن هذه النتائج

ليست نظرية بل أنه خرج بها من « التجربة في الواقع » ومن « المشاهدة والتجربة » .

كما يعود كما « يقرر تجريبياً » في نفس المحاضرة : « إن حياة الفكر لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد ، بل إن الجسد ما هو إلا خادم للفكر ، وأنه لا يسوغ لنا والحال هذه أن نفترض أن الجسد والروح مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطاً لا انفصام له . وطبيعي أنني إن أقطع في نصف الدقيقة الباقية (من المحاضرة) برأى في مسألة هي أخطر ما طرح على الإنسانية من مسائل على الإطلاق ، ولكنني لا أستطيع كذلك أن أنهرب منها . من أين أتينا ؟ وماذا نعمل هاهنا على هذه الأرض ؟ وإلى أين المصير ؟

وإذا كان صحيحاً أن ليس لدى الفلسفة ما تجيب به على هذه الأسئلة الحيوية الهامة ، أو كانت غير قادرة على أن توضحها بالتدريج كما توضح مسألة بيولوجية أو تاريخية ، أي إذا كانت لا تستطيع أن تجعلها تستفيد من تجربة ما تنفك تتسع ، وملاحظة ما تزال تدق ، إذا كان عليها أن تقتصر على مهاجمة أولئك الذين ينكرون الخلود لأسباب مستمدة مما يفرضونه للنفس والجسد من جوهر . . . فإنه لعلى جانب عظيم من الأهمية أن نستطيع منذ الآن أن نقرر - تجريبياً - أن البقاء إلى زمن ما يمكن بل محتمل . وندع لغير الفلسفة أمر القطع بأن هذا الزمن محدود أو غير محدود . وأعتقد أن المسألة الفلسفية المتعلقة بمصير النفس إذا اقتصرنا منها على هذه الأجزاء المتواضعة قابلة لأن تحل . . .

إلى أن يقول بكل صراحة « وإذا كانت الحياة النفسية كما حاولنا أن نبرهن على ذلك تتجاوز الحياة الدماغية ، وكان الدماغ لا يزيد عن أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجري في الشعور فإن البقاء يصبح عندئذ معقولاً جداً بحيث يقع واجب البرهان عندئذ على عاتق من ينكر لا على عاتق من

يدعى ...^(١)، ولذلك كان من الطبيعي أن يؤكد برجسون في فلسفته عن الخلود أنه مسألة لا ينفيها العقل ، وأن تحقيقها بالأسانيد العلمية ليس بعيداً عن تناول الدراسات الروحية .

موقف وليام جيمس

ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن موقف عالم النفس الشهير والفيلسوف الأمريكي وليام جيمس W. James (١٨٤٢ — ١٩١٠) من نتائج بحوثه الروحية التي دفعته إلى التسليم التام بوجود عالم للروح وتأثيره الذي لا ينقطع في عالم المادة ، فإن وليام جيمس وأضرابه لا يعطون شهادتهم لأى أمر فى يسر وسهولة كما قد يتصور المعارض المتسرع . ومثله لا ينضم بسهولة « لجمعية البحث الروحي » ، بلندن S.P.R. ويحمل ضميره عبء الدفاع عن نتائج بحوثها ، ثم يدفعه الاقتناع إلى أن يؤسس لها فرعاً أمريكياً ويؤسس على نتائج بحوثها فلسفة روحية مترابطة طابعها الواقعية الفكرية التي كان يمثلها جيمس أصدق تمثيل بطريقته^(٢) .

ومن ضمن أسس هذه الفلسفة الروحية إثبات العقل المجرد ، وإنكار ما كان يذهب إليه بعض علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا — وما يزالون — من أن العقل من عمل المخ . فالملخ عند جيمس — كما هو عند برجسون وريشيه وكلود برنار ومكدوجال وهانز دريش وراين وغيرهم ممن سلموا بوجود عالم الروح — جهاز العقل فحسب لا مصدره . ولذا كانت ظواهر العقل فى الإنسان غير ظواهر الغرائز فى الكائنات السفلى ، وكانت ظواهر المادة عند وليام جيمس غير ظواهر الحياة .

وفلسفة وليام جيمس تشبه فلسفة برجسون من ناحية ما قرره كل منهما

(١) ترجمة الأستاذ سامى الدروبي فى كتاب « الطاقة الروحية » ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) راجع ما سبق عن وليام جيمس فى الجزء الأول ص ١٥٤ — ١٦٢ ، ١٩٧ .

وأكد من أنه يشيد آراءه على تجارب علمية مستمدة من الملاحظة والتجريب .



وليام جيمس

وذلك لأن جيمس وهو من أصحاب مذهب البراجماتية خير من يعلم أنه ينبغي ألا يفوتنا دائماً أن نتحقق من صحة الأفكار كما نتحقق من صحة الأوراق المالية وبعدها عن التزيف ، وإلا كان مصير أفكارنا الانهيار — كما ينهار نظام مالي . إن ما هو حقيقى لمو بمثابة مرشد فى طريق السلوك . وتعدو الأفكار صادقة حين تعييننا على أن نربط بسائر أجزاء تجربتنا التى

نعيشها ارتباطاً نرضى عنه . إن أية فكرة تؤدى إلى ازدهار حياتنا وتحملنا من جزء إلى آخر غير تجاربنا وتربط بين الأشياء ربطاً نرضى عنه ، وتعمل فى أمان وبساطة ، وتوفر علينا المجهود والمشقة ، هى فكرة صحيحة سليمة صادقة معاً (١) .

ثم انظر جيمس وهو يقيم الأدلة الموفورة على وجوب الإيمان بالله تعالى ، وعلى أن العقائد الدينية لا ترضى لحسب ميولنا الوجدانية ، بل أيضاً عقلنا ومنطقنا ، لأن الإيمان بالله مكاناً طبيعياً فى نفوسنا ، فتبقى النفس مضطربة وثائرة حتى تصل إليه وتدركه ، حينئذ تمتلئ هدوءاً وطمأنينة ، وفى يقين أن حياة التدين خير من جميع أنواع الحياة الأخرى فى هذه الدنيا وفى غيرها : فهى التى تقتل روح التشاؤم ، وتملأ النفس ثقة وأملاً ، وهى

(١) عن «المعرفة» للدكتور محمد فتحى الشلبلى ص ٢١٠ .

التي تجعل الجهاد في الحياة حلو المذاق، وهي التي تجعل هذا العالم عالماً يستحق أن يعيش فيه الإنسان، (١) .

وفي بعض هذه المعاني يقول جيمس «إننا مضطرون لأن نعتبر أن الإله هو الموضوع الطبيعي للاعتقاد العقلي، لأن كل نظرية تؤدي إلى موضوع أقل من الإله لا يمكن أن ترضى المنطق أو تشبع العقل، إذا أخذت كلمة المنطق بمعناها السكامل ووضعها الصحيح، بينما أن كل نظرية تذهب أبعد من الإله تكون أمراً محالاً في نظر العقل.... لأن المذاهب المادية ومذاهب الشك وكل ما هو أقل من مذهب التأليه غير مقبولة عقلاً، لأنها ليست بواعث كافية وليست ملائمة لطبيعة الإنسان العملية...»

ويكفي المرء أن يعرف أنه نفسه موجود، وأنه يحتاج إلى الإله، وأن هناك وراء هذا العالم إلهاً أزلياً أبدياً، وأنه يسمع نداءه واستغاثاته. وفي الإيمان بتلك الحقائق التجريبية من غير تفلسف أو نظر في مباحث الوجود، ومن غير فيض ميتافيزيقي أو خلق ليبررها أو ليجعلها مستساغة لدى العقل، وفي السعادة الناشئة عن مجرد الاعتراف بها موجودة، توجد طمأنينة المرء وقوته التي يرغب فيها، وتتفتح له أبواب طوفان الحياة على مصراعها فتصر منها التيارات بقوة وبشدة (٢)....»

وقد انتهت بحوثه العملية إلى التسليم بوجود عالم الغيب، بل لقد راح يؤكد «قد افترضت أن عقيدتنا في عالم الغيب هي التي تلهمنا وتبعث فينا هذا الصبر، وتلك المحاولات التي تجعل عالم الشهادة عالماً صالحاً لأن يعيش فيه الرجل الخلق. فعقيدتنا أن هذا النظام المشاهد خير وحسن - وليس للخيرية

(١) عن «العقل والدين»، وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد، ترجمة الدكتور محمود حب الله من ١٨٩٠.

(٢) عن المرجع السابق من ١٠١ - ١٠٣.

والحسين هنا من معنى إلا الصلاحية والمناسبة لحياة ناجحة خلقياً ودينياً —
عقيدتنا هذه تبرهن على صحة نفسها من حيث أنها معتمدة على اعتقادنا
في عالم الغيب... (١) من إن مذهب البراجماتية هذا يقوم على الاعتقاد
بأن الوجود في العالم المادى لا بد أن يكون وسيلة لوجود آخر كجزء من
الإيمان لدى أصحابه بأن كل شيء لا بد أن يكون وسيلة لشيء آخر أسى
منه... فهل من المنطق العلى في شيء أن نهدر أمثال هذه الشهادات
المستمدة من تجارب معملية على أسس علمية قام بها فلاسفة من طراز برجون
ووليام جيمس؟

موقف لامي فلوماريون

وهذا الذى قلناه عن الارتباط الوثيق بين علم الروح الحديث وبين العلوم
المختلفة، يصدق أيضاً على علم الفلك، وإلا لما وجدنا عالماً فلكياً كبيراً
من طراز كامى فلوماريون Camille Flammarion الذى يعد في نفس الوقت
فيلسوفاً من أبرز فلاسفة عصره — وقد انتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٢٥
— يدافع حتى تاريخ انتقاله عن البحوث الروحية ونتائجها ويسهم فيها فيهما
عدداً من أجل المؤلفات فيها حتى الآن مثل «الموت وغامضه»، في ثلاثة
اجزاء، ومثل «المنازل المسكونة»، ومثل «المجهول والمشكلات الروحية»،
و «قوى الطبيعة المجهولة»، وغيرها. وكلها روائع فلسفية في العلم الطبيعي
وما وراء الطبيعي ترجمت إلى أغلب اللغات الحية (٢).

ويكفى أن تنصت إليه وهو يقدم مؤلفه في «الموت وغامضه» (١٩٢٣)
كما تدرك أنك إزاء عالم فيلسوف متشكك، مدقق في بحوثه إلى أقصى مدى،
عندما يقول «لقد قررت أن أقدم اليوم لاهتمام الأشخاص المفكرين

(١) عن المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٢) راجع منه ما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٢، ٢٧٣ .

مؤلفاً بدأته منذ أكثر من نصف قرن . ومع ذلك فأنا غير راض عنه تماماً ،



الاماريون

فإن الأسلوب العلمي التجريبي ،
وهو الوحيد الذى يصلح للبحث
عن الحقيقة ، له مطالبه التى لا يمكن
ولا تقدر أن نروغ منها . والمشكلة
الكبرى التى تعرض لها هذا البحث
هى أكثر المشكلات تعقيداً ،

وتمثل بالنسبة للتكوين العام
للكون ، كما تمثل للتكوين العام للسكان الإنسانى ، ما يمثلته الجوىء
الصغير فى الكل العظيم .

ولقد بدأت هذه الدراسات التى لا تنتهى منذ سنى الشباب ، لأنه فى هذه
السن لا يشك الإنسان فى شىء ، ولأنه يجد أمامه حياة طويلة مستقيمة ،
ولكن هذه الحياة تمر مهما كان طولها ، كحلم له أضواؤه وله ظلاله . وإذا
كان بمقدورنا أن نكون أمنية ما خلال هذا الوجود فهى أن نكون قد
خدمنا بصورة ما التقدم البطلء ، ولو أنه تحقيق للإنسانية ، هذا الجنس
العجيب ، الذى يجمع بين سرعة التصديق والتشكك ، وبين عدم الاكتراث
وحب الاستطلاع ، والطيبة والشر ، والفضيلة والجريمة ، هذا الجنس غير
المتناسق والجاهل فى مجموعته ، والذى خرج بالكاد من إسار أصله
الحيوانى

والإنسان ، هذه الذرة المفكرة التى تحملها ذرة مادية عبر السدم
الشاسعة ، يمكنه أن يسأل نفسه عما إذا كان تافهاً بالروح بمقدار تفاهته
بالجسد ، وعما إذا كان لقانون التطور أن يرتفع به فى صعود لانهاى ،
وعما إذا كان يوجد نظام لعالم خلقى مترابط فى تناسق مع العالم المادى .

أليست الروح أسمى من المادة ؟ وماهى طبيعتنا الحقيقية ؟ وما هو

مصيرنا في المستقبل ؟ وهل نحن لسنا إلا شعلات عابرة تومض لحظة كما تنطفئ نهائياً ؟ وهل لن نرى أبداً أولئك الذين أحببناهم ، والذين سبقونا إلى العالم الآخر ؟ وهل انفصالنا عنهم أبدي ؟ وهل يموت فينا كل شيء ؟ وإذا كان يتبقى فينا شيء ، فما مصير هذا الشيء الذي لا يوزن ولا يُرى ولا يخضع للحواس ، ولكنه مع ذلك واع ويكون شخصيتنا الدائمة ، وهل سيبقى بعد الموت لأمد طويل ؟ وهل سيبقى بعد الموت للأبد ؟

أن نكون أم لا نكون ؟ هذا هو السؤال العظيم الذي وضعه الفلاسفة والمفكرون ، والباحثون في جميع العصور وجميع العقائد . هل الموت نهاية أم هو تحول ؟ وهل توجد أدلة وبيّنات على حياة الكائن الإنساني بعد انهيار أعضائه الحية ؟ ولغاية هذه الأيام ظل هذا الموضوع خارج إطار المشاهدات العلمية ، فهل من الجائز أن نتناوله بمبادئ الأسلوب التجريبي الذي تدين له الإنسانية بكل التقدم الذي أحرزته العلوم ؟ وهل تكون المجادلة منطقية ؟ أسنا إزاء أسرار عالم غير منظور مختلف عن هذا العالم الذي يخضع لحواسنا ، ولا يمكن اختراقه بأساليبنا في التحقيق الوضعي ؟ ألا يصح أن يحاول الإنسان أن يبحث فيما إذا كانت هناك وقائع معينة ، متى خضعت للملاحظة الصحيحة الآمنة يمكن أن تقبل التحليل العلمي ، وتقبل بوصفها حقائق عن طريق أشد صور النقد صرامة ؟ فنحن لا نريد بعد مجرد عبارات ، ولا « ما وراء الطبيعة » ، بل وقائع ووقائع !!

والأمر متعلق بمصيرنا ، بقدرنا ، بمستقبلنا الشخصي ، وبوجودنا . وليس هو وحده العقل الفاتر الذي يتساءل ، ولا الروح وحدها ، بل أيضاً هو الإحساس وهو القلب .

ولأنه لمن التفاهة الصيانية وحب الظهور أن يخرج الإنسان إلى خشبة المسرح ، ولأنه قد يكون الامتناع عن ذلك صعباً أحياناً . وبما أن ذلك يجري بوجه خاص لمواجهة آلام القلوب الكسيرة ، التي لأجلها تابعت هذه البحوث المضنية ، فإنه يبدو لي أن التقديم المنطقي أكثر من غيره لهذا (م ٣٤ — الإنسان روح : ج ٢)

الكتاب ينبغي أن يصدر من بعض الأسرار التي لا تحصى والتي حصلت عليها منذ نصف قرن للوصول في لهفة إلى حل لهذا اللغز ... ،

وبهذه الروح الناقدة المثابرة ، يستعرض فلا ماريون بحوثه في الظواهر المتصلة بخلود الإنسان ، في ثلاثة أجزاء ، تلك البحوث التي حملته على أن يقرر صحة الخلود ، وصحة الظواهر الوسايطية ، والصلات بين أحياء الأرض وأحياء الأثير . ثم يختتمها بالعبارات الصريحة الآتية : لقد فكرت في أن أنهي هذا المؤلف المصنئ بهذا الجزء الثالث منه ، ولكن عدداً من القراء يطالبني كيلا أتجاهل الوقائع الهامة التي بعد أن جمعتها كان على أن استبعدها من هذا الكتاب أثناء طباعته لكي أخفف من طوله . ومنها ظهور أشباح الموتى بجانب أسرة المحتضرين ، والصور الفوتوغرافية الثابتة للأشباح^(١) photographies authentiques de fantomes ، وظواهر المنازل المسكونة ، والأشباح ، والظواهر الواردة في التاريخ المقدس منذ عهد صموئيل إلى عهد المسيح ، وكذلك في التاريخ العادي ، وتعدد وجود الروح بحسب وجهة النظر الفلسفية . وبالإضافة إلى ذلك فيما يتعلق بالظواهر وراء الروحية ، الوثائق ، والاتصالات التي تصان يومياً بغير انقطاع من جميع أركان العالم . إن هذه الوقائع أكثر بكثير مما يظن الإنسان عادة ، ففي كل مرة يتحدث فيها لإنسان سيجد أن بين مستمعيه من يعرفون وقائع مماثلة (وهذه ملحوظة لها دلالتها) . إن الأمر كان متعلقاً في هذا المؤلف قبل كل شيء بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق مشاهدات وضعية ، متعددة ، مترابطة ، وهو ما ثبت فعلاً . والآن يمكن إضافة هذه الوثائق التكميلية إليه ، وتقديمها للقراء الراغبين في معرفتها ، وأولئك أيضاً الذين يرغبون في أن يجدوا فيها بسهولة النماذج المميزة ، والأشخاص الذين استعرضناهم في هذا المؤلف وفمارس أبجدية للموضوعات وللمؤلفين المشار إليهم ... وهذا الجزء الرابع سيكون عنوانه « على هامش الموت وغامضه » .

(١) راجع نماذج منها في الجزء الأول من ٤٨٣ - ٤٩٧ .

وأية كانت الإضافات التي يصح أن تضاف إلى المشاهدات السابقة فإننا نملك منذ الآن اليقين العلى لدوام حياة الروح بعد أن تلفظ النفس الأخير على الأرض ، فالروح مستقلة عن الأعضاء المادية وتواصل حياتها بعد الموت .

ويقین أننا بعيدون عن معرفة كل شيء ، فهناك صعوبات وطلاسم وأمور يتعذر فهمها كما يعصى حلها على ملسكاتنا الإنسانية ، إذ يغلفنا « مجهول » لا حدود له ولن نصل إلى حقيقته ، ولسكننا إذا ما اقتربنا منه ولو قليلا فلنرض بذلك ، وبدلا من النوم في الظلمة نكون قد استيقظنا في الفجر ...

وبما أنه لم يصل أى إنسان حتى الآن إلى رفع النقاب عن إيزيس ، فلا أجرؤ على الزعم بأنى قد حللت حلا تاما هذه المشكلة العظمى ، ولكننى أومل ألا يكون عملى هذا مجدياً ، فإننى لم أفعل شيئاً سوى تعبيد الأرض وفتح الطريق أمام علم المستقبل ، وسيحكم المستقبل عن نتائج هذا المجهود ، فقد طبقنا عملياً دعوة المسيح « أبحثوا تجدوا » ، وأياً كان مدى تقدم الكشفوف المستقبلية فإن الفقه الذى حصلنا عليه يتلخص منذ الآن في هذه الكلمات : إن الجسد يمضى ، ولكن الروح تحيا حياة أزلية فيما لا حدود له ، (١) .

فهل يتصور العقل أن مثله يغامر بكلمة واحدة في مجال هذه الروحانية التجريبية إلا إذا كان - فضلا عن اقتناعه بصحة الظواهر التى حققها بنفسه وعظم دلائها - قد وجدها تلتئم تماماً مع معلوماته الواسعة في الفلسفة والفلك ؟ ... ومع ذلك فلسنا نطالب القارىء بالاعتناع الحتمى والنهائى الآن ، وإنما ندعوه فحسب إلى مزيد من الاطلاع في هذا الموضوع المفرد في أهميته كما يقدر بنفسه كيف أن كفة القول بالثبوت قد رجحت تماماً كفة الإنكار ، وأن المكابرة هنا خطأ يتعذر تبريره أو تفسيره - أية كانت بواعثه - إلا بعدم الاطلاع الكافى .

المبحث الثانى

موقف بعضه علماء المادة

من علم الروح الحديث

موقف أوليفر لودج

ثم ننتقل إلى موقف سير أوليفر لودج — وهو عالم كبير الشأن فى الآثار واللاسلكى — فنجد أنه لا يعلن اقتناعه لأول مرة بصحة موضوع الخلود والصلات بين أرواح الأموات والأحياء إلا بعد بحوث وأصلها لسنين طويلة جاوزت الخمس والعشرين ، وإلا بعد أن ربط ربطاً تاماً بين معارفه فى الآثار والفضاء الكونى والمادة والطاقة ، وبين ما أسفرت عنه تجاربه العديدة مع بعض الوسطاء الكبار .

فقدان هذا الموقف السليم المتحفظ من عالم كبير — ومدير لجامعة عريقة حتى سنى حياته الأخيرة — بموقف الارتجال الذى يقفه بعض المعارضين عندما لا يجد أية حجة أخرى يحاول أن يدحض بها قيمة هذه البحوث المتواصلة العميقة إلا بالقول بأن أوليفر لودج لما فقد ابنه ريموند فقد معه صوابه ، فراح يهرف بما لا يعرف عن عالم الروح والاتصال بالأرواح ، وذلك مع أن ريموند هذا لقي مصرعه فى الحرب العالمية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩١٥ ، حين أن والده كان عضواً مؤسساً « بجمعية البحث الروحى » ، بلندن منذ سنة ١٨٨٢ ، واختير رئيساً لها منذ سنة ١٩٠١ حتى سنة ١٩٠٣ ، ووضع أول مؤلف له عن « حياة الإنسان بعد الموت » ، منذ سنة ١٩٠٩^(١) . وأخذ يحاضر فى موضوع ثبوت الاتصال بالأرواح لمدة سنين طويلة قبل مصرع ابنه^(٢) ،

(١) راجع ما سبق عنه أيضاً فى الجزء الأول ص ٢١٥ — ٢٢٠ ، ٤٢٨ — ٤٣٠ .

(٢) فضلاً عن مجلة المقتطف عدد فبراير سنة ١٩١٥ محاضرة طويلة لسير لودج عن ثبوت الاتصال بأرواح الموتى ، وقد أشرنا إلى بعض فقرات منها فى الجزء الأول ص ٢١٨ و ٢٠٧ — ٢٠٨ . وفى هذا الجزء ص ٣١ ، حين أن ابنه ريموند لقي مصرعه فى شهر سبتمبر من سنة ١٩١٥ وتلقى والده هذا النبأ فى ١٧ منه . (راجع كتاب ريموند أو الحياة والموت ص ١٩٣) .

ثم واصل لودج بحوثه بعد مصرعه وهذا أمر طبيعي .
وفي الفصل الأخير ، من كتاب «حياة الإنسان بعد الموت» (١) هذا ، يقرر لودج بعد بحثه الشاق المثابر «لأننا نكتشف أن أصدقاء موتى من بينهم عدد من كانوا معروفين لنا جيداً وساهموا بدور إيجابي في أعمال جمعية البحث الروحي» (٢) أثناء حياتهم ، خصوصاً منهم جيري وميرز (٣) وهودجسون (٤) ، يزعمون على الدوام أنهم متصلون بنا يدفعهم قصد مستقر تماماً على أن يثبتوا شخصياتهم بعد الموت في أناة ، وهم يعطوننا «مراسلات متبادلة» (٥) ، عن طريق وسطاء متعددين . كما نكتشف أنهم يجيبون أيضاً على أسئلة محددة بطريقة مميزة لشخصياتهم المعروفة ، وتكشف عن معلومات كانت خاصة بهم .

وإني أقدم هذا الإقرار لا بسهولة ولا قبل الأوان . فبالرغم من محادثات طويلة مع تلك الكائنات التي تزعم أنها تمثل الذكاء الذي تبقى بعد موت أولئك الأصدقاء والباحثين ، فإننا لم نقنع بشخصياتهم — على أي وجه كان الاقتناع — عن طريق مجرد محادثة عامة ، حتى ولو كانت ذات صبغة ودية وشخصية ، كذلك التي تكفي لإقناعنا في المعتاد ، وبغير تردد ممكن ، بشخصية الأصدقاء الذين نحادثهم في التليفون مثلاً ، أو يكتبوننا عن طريق خطابات الآلة الكاتبة — بل تطلبنا منهم دليلاً محدداً لا يمكن دحضه ، دليلاً صعباً في تصويره بقدر ما هو صعب في تقديمه .

ويدرك المرسلون الظاهرون من الأرواح بقدر ما ندرك نحن ضرورة هذا الدليل ، وقد بذلوا غاية ما في وسعهم لإرضاء مطلبنا المعقول هذا ، ويعتقد

Survival Of Man .

(١)

وله ترجمة فرنسية عنوائها La Survivance Humaine - عن الطبعة الثالثة الإنجليزية بقلم الدكتور هـ . بوربون H. Bourbon .

(٢) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٤) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ١٩٨ — ٢٠٠ .

(٥) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ٢٢١ ، ٣٩٦ .

البعض منا أنهم قد نجحوا فعلا في تقديم هذا الدليل ، حين لا يزال البعض الآخر منا متشككاً (لاحظ أن هذا القول يرجع إلى سنة ١٩٠٩) . . .

« إن الحاجز بين الحالتين المعروفة وغير المعروفة لا يزال سميكا ، ولكنه قد رق في بضعة مواضع . وإننا وسط هدير المياه والصخب الآتي من ألف مصدر آخر نعمل كعمال يحفرون نفقا من طرفيه ، ونحاول من آن لآخر أن نستمع إلى طرقات معاول زملائنا الذين يعملون في الجانب الآخر .

وعندما نخرج من نفقنا إلى ضوء النهار نبلغ ما سمعناه إلى عالم متشكك منهمك ، وأحيانا سريع التصديق أكثر مما ينبغي . ولا نأمل أن يصدقنا الناس ، ولا نعدم من يقول لنا إن أخبارنا ليست طازجة ، وإن المسالك إلى الجانب الآخر من الجبل موجودة منذ القدم ، وإن النفق الذى شيدناه بعناء عديم الجدوى . . .

نحن لا نعلن نبأ غير مألوف ، ولا سييلا جديدا للاتصال ، ولكننا نعلن فحسب مجموعة من أدلة لإثبات الشخصية أقيمت بعناية وبوسائل متقدمة وإن كانت قديمة . أدلة أكثر صوابا ، وربما أقرب إلى السكال من الأدلة التى تم الحصول عليها حتى الآن . وأنا أقول أدلة أقيمت بعناية لائق البراعة التى تم بها إعدادها متوافرة لدى عقول الجانب الآخر من الحاجز بقدر ما هى متوافرة لدى هذا الجانب . فقد جرى البحث فى جو من التعاون الواضح بين أولئك الذين لا يزالون فى المادة وأولئك الذين ليسوا فيها .

فمن حقنا أن نعلن — إن لم يكن كإقرار نهائى — فبالأقل كمنظرية شائعة صحة الاعتقاد القديم بإمكان التراسل بين العقول فى الأسلوب المادى للوجود وأسلوب آخر له ، أثيرى فيما يبدو .

ولا يمكننا مع ذلك أن نقبل القول بأن أولئك الذين اختفوا من على

كوكبنا ، لم يعد المكان أى معنى عندهم . لا ريب أنهم لم يعودوا متصلين بالمادة ، وبالتالي لا يمكنهم بعد أن يلجأوا إلى أعضاء إحساسنا كما كانوا يفعلون عندما كانت لهم أجساد معدة خصيصاً لهذا الغرض . ومع ذلك فبقدر ما سمح لنا أن نعرف فإنه من الجائز أن يوجدوا فى الفضاء ، وأن تتوافر لديهم معرفة بالمكان مثلنا ، وبحقائق الهندسة إن لم يكن الجغرافيا . ولا داعى لأن نجزم بأن الظروف والوسط الذى يوجدون فيه ، أمور مختلفة اختلافاً أساسياً ومطلقاً عن الظروف وعن الوسط الذى تتحرك فيه الإنسانية . فإن هذا أمر من الأمور التى يمكننا تدريجياً كشف عدم صحتها .

وفى انتظار ذلك ماذا يمكن أن نستنتج مؤقتاً من التعاليم الجادة التى يعطينا إياها التقرير بصحة هذه المراسلات ؟

أول شيء نتعلمه وأوضحه معرفة هو الدوام ، فلا يوجد فى ظروف التواجد أى انقطاع مباغت مما كان من السهل توقعه . ولا يوجد أى تصدع فى الذات الواهية الباقية ذات الخصائص المميزة والشخصية . فصفاتهم الأساسية : مثل الذاكرة والتربية والتعليم والعادات والميول والعواطف ، كل هذا يحتفظ به . بل وربما يتم أيضاً الاحتفاظ — إلى مدى معين — بنفس الذوق والاهتمامات مهما حدث . أما المشاغل الأرضية ، مثل الأموال المادية ، والآلام البدنية والعاهات ، فإنها فى جانبها الأقوى تترك جانباً .

ثم يختتم لودج مؤلفه بهذه الكلمات وإن روى سويدنبرج (١) إذا — جردناها من رداء الغلو — ليست كلها غير حقيقية ولا كلها خاطئة تماماً . فإن فيما ألقى إلينا من معلومات عن طريق وسطاء متعددين يوجد نوع من التوافق

(١) راجع جانباً من رفاة وأقواله فى هذا الجزء لى ص ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٦١، ١٦٤ .

معها ، وأن عملي مقصور على تقديم شهادتي في جانب صحة التصوير المعقول للأفكار العامة عن الكون التي وضعها مايرز وغيره في مؤلفه الممتلئ بلاغة وعظمة . .

وهكذا يختم لودج أول مؤلفاته عن الخلود ، والذي يتضمن نتيجة بحوثه لمدى أكثر من ربع قرن وحتى سنة ١٩٠٩ ، أى قبل أن يصاب بصدمة مصرع نجله في سبتمبر من سنة ١٩١٥ التي أفقدته صوابه ، كما يقول المعارضون .

* * *

ومثل هذا الاعتراض المتسرع الذي يقابله القارىء أحياناً في كتب المعارضين يشير — فضلاً عن وضوح التحامل المغررض — إلى قيمة بحوث لودج العلمية ، وكيف أنها تحاصر المعارضين بقسوة فلا يجدون منها فكاً كآ إلا بمثل هذا القول الذى يلقى جزافاً . وكأن هذا الأسلوب المحزن من المغالطة — بل المهارة — يوصل إلى أى قدر من الحقيقة العلمية .

ثم هل موضوع الأرواح هو موضوع لودج بمفرده ؟ أم أنه الآن موضوع مئات من أفضل علماء العصر المنتشرين في كل مكان ، وموضوع العشرات من المعاهد العلمية والجامعات العريقة ؟ .

ومن يرجع إلى أى مؤلف لسير أوليفر لودج في موضوع الأرواح والخلود — بالإضافة إلى مؤلفاته في الأثير والفضاء الكوني — يتبين له تماماً كيف أن معلومات لودج في الأثير وفي المادة الصلبة والطاقة وعدم قابليتهما للفناء ، وإمكان تبادل التحول فيما بينهما — عن طريق معادلات رياضية مسلم بصحتها — أوصلته إلى هذا الاقتناع ، على نفس المستوى الذى أوصلته إليه بحوثه الخاصة في الظواهر الواسطية التي أجراها لمدة تجاوزت خمسين عاماً على منهاج علمي بحت . والمنهاج العلمي أساسه النقد المتواصل كما بينا ،

والنأى عن التسليم السهل أو الاقتناع السريع ، وهو وحده الذى يوصل إلى الحقائق العلمية .

وقد بينا كيف تحدث لودج عن الأثير قائلا : « وعندما أستعمل كلمة أثير فإنما أعنى هذا الشيء الذى كان موضوع بحثى طيلة حياتى العلمية . وكل صفات الأثير التى وصلنا إليها تدل على أنه مادة كاملة » . إلى أن يقول « إن هذا الأثير يقوم بعمل أجل شأناً مما يعمله الناس من أمره ، وينبغى علينا أن نفكر فيه إذا أردنا أن نحصل على علم كامل ، (١) .

وبنفس هذا الموضوع يتحدث عن الأرواح فى محاضرة له فى سنة ١٩١٧ قائلا : « إنى كما تعلمون انضممت بصفة نهائية إلى جانب المقتنعين بدوام الوجود . وقد وصلت إلى هذا الاقتناع مستنداً إلى وقائع وتجارب لا تثبت فحسب حياة غامضة غير محددة بعد الموت ، بل تثبت نظرية بقاء الشخصية والذاكرة بعد الانفصال الذى نسميه موتاً .

فبعد فحص عدد كبير من الحالات وجدت نفسى مضطراً بالبيئة المقنعة إلى الاعتراف بالحقيقة البسيطة عن إمكان التحدث — متى توافرت شروط خاصة — مع أشخاص عاشوا حديثاً على الأرض ، وإمكان تلقى اتصالات ورسائل ، رغم أن هؤلاء الأشخاص فقدوا بالموت الوسائل المألوفة لإظهار أنفسهم . وإنى أقدر كل ما لهذا الذى وصلت إليه من أهمية ، ومن جسامه كفيلة بأن تضفى عليه نتائج تتجاوز فى خطورتها كل قياس فى اليوم الذى يتقبلها الجنس الإنسانى ويقرها ، إذا قدر لهذا اليوم أن يحى . . فى الواقع إن هذا الكشف إذا ما تقبله الناس غيّر مصائر البشرية .

ومن الأمور الحقيقية أن الحياة بعد الموت والاتصال بالأرواح كانا

(١) رأى ما سبق أيضاً فى ص ٣١ وما بعدها .

معترفا بهما منذ أقدم العصور عند البعض ، لكن استمرار الوجود لم يعتبر أبداً حقيقة وضعية للحياة ، وقد أحاطت الاعتقادات الوقائع بغلالة كثيفة صناعية لها مظهر من الحقيقة جعلت هذه الحقائق تبدو غير مقبولة ، ومخيبة للأمال ومصدراً للاضطراب^(١) ، ...

فهل كان يتأتى لمثله أن يقتنع روحياً ما لم يقتنع ابتداءً اقتناعاً علمياً مطابقاً تماماً لمعلوماته الواسعة في الأثير وفي الفضاء الكوني ؟ وأن يتحدث في الموضوعين معاً بكل هذا الاطمئنان إلى صواب ما وصل إليه من نتائج بعد فحص عدد كبير من الحالات كما قال . .

* * *

وبنفس هذا الاقتناع المؤيد بأسانيد العلمة نجد لودج يتحدث في مؤلفه « لماذا أؤمن بالخلود الشخصي »^(٢) ، الذي ظهر في سنة ١٩٢٨ أى بعد حوالى خمسين عاماً من مواصلة بحوثه الروحية قائلاً : « إن اقتناعى مستقر برمته على أساس من التجربة ، وعلى قبول طائفة من الوقائع التى يمكن أن يحققها الآخرون لو تكبدوا مشقة التحقيق . وإنى أعلم كم تساوى كلمة « حقيقة علمية » ، وإنى أقرر بغير ما تردد أن دوام الوجود الإنسانى حقيقة قد ثبتت . وقد وصلت إلى هذا الاقتناع خلال دراسة بعض الملكات الإنسانية الغامضة التى قد لا يعترف بها حتى الآن العلم الحرفى ، والتى لم يقرها اللاهوتيون بعد كقاعدة عامة . ولذلك قد يجوز لى — بل قد يتحتم على — أن أقدم من آن إلى آخر بعض التبرير والعذر على مثابرتى الثابتة فى البحث ، وعلى اقتناعى بالنتائج .

ومن الواضح أن كلمة « خلود » المستعملة فى العنوان مستخدمة بمعناها الاصطلاحي ، لأن تأكيد « اللانهاية » لا يمكن أن يدخل فى نطاق بحثنا ...

(١) راجع جوزيف ميرا Joseph Mira المرجع السابق ص ١٣ ، ١٤ .
(٢) Why I Believe In Personal Immortality.

فكل ما نملك عنه بينات خاصة هو دوامنا كأفراد بعد الانفصال عن الجسد المادى . أما ماذا يحدث فى المستقبل البعيد السحيق فإنه لا يمكن الادعاء بمعرفته ، وليست بنا حاجة لأن نفكر فيه منذ الآن . بل يكفيننا الآن أن نعلم أن الحياة الحاضرة ليست نهاية الوجود لنا كأفراد ، وأتينا إذا أحسننا استخدامها فى المرحلة المبكرة لفرصة من الوجود الطويل لخدمة متزايدة على الدوام ، من نوع متناسق مع طبيعتنا الحقة ، ولذا فهى ملازمة للحرية التامة

ثم تأمل ملياً كيف يلخص لودج فى مؤلفه الأنف الإشارة إليه سبع نتائج رئيسية وحصل إليها من بحوثه الطويلة فى موضوع الروح ، وكل نتيجة منها أصبحت تمثل الآن حقيقة علمية بالغة أقصى درجات الخطورة ، وهذه النتائج هى : —

أولاً : أن نشاط العقل ليس محصوراً فى دائرة التعبيرات الجسدية *bodily manifestations* برغم أنه من الصواب القول بأن هناك آلية مادية لازمة كما تظهر نشاطه بالنسبة إلينا هنا الآن .

ثانياً : أن آلية المخ والأعصاب والعضلات مع سائر الجسد المادى تكون جهازاً من صنع الحياة والعقل وسيطرتهما ، ولخدمتهما ، جهازاً قد يصبح غير ملائم أو مستهلكاً إلى الحد الذى يحول دون إمكان السيطرة عليه بمعرفة المكنن المسيطر العادى ، وأن علامات الاستهلاك أو التلف قد تصبح واضحة بغير أن تسمح لنا بأن نخرج منها بآية دلالة، إلا بأن الرابطة أو الصلة بين العقل والمادة قد أصبحت ضعيفة أو معيبة .

ثالثاً : أنه لا الحياة ولا العقل يزولان من الوجود عند انفصالهما عن العضو أو الجهاز المادى ، بل يتوقفان فحسب عن العمل فى المحيط المادى كما كانا يفعلان من قبل عندما كان الجهاز العضوى فى حالة طيبة . والواقع أنه لا شئ يزول من الوجود بل يغير شكله فحسب . فقد تختفى الأشياء من

ناظرينا وتخرج عن نطاق حواسنا ، ولكن ذلك لا يثبت أنها اختفت من الوجود . وهذا الأمر الحقيقي الواضح بالنسبة للمادة وللطاقة حقيقي أيضاً «في تقديرى» بالنسبة للوجود الحيوى والروحى . وليس «لدينا» أساس لافتراض أن أى شىء حقيقى يمكن أن يتوقف عن الوجود ، حتى وإن جاز أن يختفى ويبعد عن إمكان الوصول إليه بحواسنا .

رابعاً : أن ما نسميه «فرداً» هو تجسد محدد ، أو ارتباط المادة بعنصر حيوى أو روحى له فى ذاته وجود دائم . فالذات Identity ، أو فى طورها للأمام هى الشخصية Personality لا تعتمد بيقين على ذاتية جزئيات المادة التى تظهر هذا العنصر ، والتى لا يمكن إلا أن تعتبر فحسب من نتائج السكائن المهيمن Controlling Entity الذى يجمع هذه الجزئيات إلى حين ، ولذا كان هذا السكائن قادراً «فما نعلم» على طردها ، وعلى تجديدها فى المجرى العادى للحياة ، بدون أن يؤثر ذلك فى دوام وجوده^(١) .

خامساً : أن قيمة التجسد تتحصل فى الفرصة التى يقدمها فى تكوين الشخصية ، ونمو جانب من العقل تدريجياً بحيث يتم عزله وتنقيته من محيطه الفطرى السكونى Pristine Cosmic Surroundings ، وتمكينه من إنماء شخصية ستصبح مميزة لهذه الأعضاء الخاصة .

سادساً : أنه عندما تصبح الفردية أو الشخصية individuality or personality حقيقية فهناك كل سبب لافتراض أنها - ككل كائن حقيقى آخر - ينبغي أن تبقى ، وأن تحيا بعد انفصالها عن الأعضاء المادية التى ساعدت فى عزلها ، وجعلت من الممكن أن تصنع لنفسها خصائص فردية ، أو طباعاً مميزة .

وما إذا كانت الطباع الفردية التى تم تكوينها عن هذا الطريق تبقى

(١) يتحدث لودج عن تجدد الخلايا والأنسجة الحية خلال الحياة الأرضية ، فى كل كائن حي من طريق الجسد الأثيرى .

كفرد يحمل معه الذّاكرة والخبرة والعواطف، التي تشكلت تحت فرص الارتباط بالجسد المادى ومزاياه أثناء الحياة الأرضية، فهذا تساؤل ينبغى أن تكون الإجابة عليه عن طريق الملاحظة المباشرة والاختبار. وذلك يقودنى إلى اقتناعى الأخير وهو :

سابعاً : أن البيئة التي أمكن الحصول عليها فعلاً تكفى كيما تثبت أن طباع الفرد وذاكرته تبقى، وأن الشخصيات التي غادرت هذه الحياة مستمرة بمعلوماتها وخبرتها التي حصلت عليها هنا، وأنه تحت ظروف معينة عرفت جزئياً، أمكن لأصدقائنا الموتي أن يظهروا لنا دوام حياتهم الحقيقية وشخصياتهم بعد الموت^(١).

وإعاجل لودج بالتفصيل هذه النتيجة الأخيرة، وهي أخطرها كلها، مبيناً مدى ضحتها من واقع تجارب عديدة يسردها عن اتصالاته بأرواح معينة، من بينها روح عالم النفس فردريك ف. و. ه. مايرز، ومعزراً إياها بالأسانيد التي يتعذر إهدارها إلا بمن أعد نفسه مقدماً ونهائياً للسكرابرة عن غير علم ولا تجريب.

موقف وليام باريت

وهذا الذى ذكرناه عن لودج يكاد يصدق بحذافيره على موقف سير وليام باريت (١٨٤٥ - ١٩٢٦) الذى كان مثل لودج عالماً كبيراً فى الفيزياء، وعضواً بالجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى) وأستاذاً بجامعة دبلن Dublin. فإنه ظل يواصل بحوثه على منهاج علمى صرف لمدى عشرات من السنين قبل أن يصل إلى إقرار ثبوت دوام الحياة بعد موت الجسد المادى، وقيام صلات بين أحياء العالمين المنظور وغير المنظور.

ففى مؤلفه «على عتبة غير المنظور»^(٢)، نجده يقرر «أن القارىء

(١) عن الترجمة السابق ص ١٣ - ١٥.

(٢) On The Threshold of the Unseen (1917).

(٢)

سيلاحظ أن النتائج التي وصلت إليها ليست ثمرة امتحان عاجل سطحي ،
فها قد مضى على أكثر من أربعين عاماً ، وأنا أدرس بروح متحررة تماماً
وبغير مصلحة خاصة ، الظواهر المسماة بالفوق العادية . ولما أصبح من
الضروري تأسيس جمعية تكفل دوام التحقيق وتقيم أسلوباً كاملاً للتجريب
أسست منذ سنة ١٨٨٢ جمعية البحث الروحي ، بمساعدة صديق أو صديقين .
ونشرت الجمعية حتى الآن (في سنة ١٩١٧) ستة وأربعين مجلداً من مضابطها
وجريدتها^(١) . كما دعوت لتأسيس شقيقتها الجمعية الأمريكية التي تأسست
منذ سنة ١٨٨٩ بمعرفة بعض أصدقائي من بوسطن وهارفارد ، وقد
ملأت أيضاً مضابطها وجريدتها مكتبة عظيمة^(٢) . وهكذا تترك مجموعة
ضخمة من شهادات انتزعت بعناية سيصبح لها في دراساتنا قيمة ضخمة
كوثائق يرجع إليها .

وفيما يتعلق بالظواهر الفيزيائية للروحية الموصوفة في الجزء الثاني ،
فإنها مهما بدت غريبة ، صارخة أحياناً ، غير مفهومة إلا باعتبارها ظواهر
لذكاء أو لمقدرة مجهولين ، إلا أن الشهادات التي أشرت إليها لا تقبل الجدل
فيما يبدو لي ، ومع ذلك فإن بعض قرائي ربما يترددون في قبولها . وإذا
كان الشك الأمين مرغوباً فيه بغير نزاع ، فإن النظر إلى المجريين العلميين
المتنازين الممثلين حذراً باعتبارهم معتوهين أو مخرفين ، عمل — بكل بساطة —
صيباني ، وكذلك أيضاً النظر إلى رجال أذكاء وأمناء مثل الأسقف
ستانتون موزس S. Moses^(٣) .

ثم انظر باريت وهو يبنى على هذه البحوث نتائجها الفلسفية ، عندما

(١) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٩٦ — ٢٠٧ .

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٥٣ — ١٥٦ .

(٣) الوسيط الشهير الذي كان أستاذاً بجامعة لندن (راجع ما سبق عنه في الجزء الأول

من ٢٦٣ — ٢٦٥) .

يقول : إن الأهمية الرئيسية للبحوث الروحية تتحصل في تقويم العقلية الغربية لدى الأفراد المتوسطين ، من ناحية أنها مستقرة على أن الجانب الفيزيقي يمثل كل الطبيعة ، أو بالأقل يمثل من الكون جانبه الوحيد الذي يهنا حقيقة . إن هذه النظرية الزائفة المميتة تجعل ضئيلة جميع وجهات النظر ، ومجربة جميع مدارك الروح ، ...

ثم يقول إن هناك عدداً متزايداً من الأشخاص أصبح يقدر — على حد تعبير الأستاذ هنري سدجويك^(١) H.Sidgwick — أن من المخجل أن نرى أشخاصاً لا يزالون يناقشون صحة الظواهر الرائعة للروحانية ، وسيكون من المحال مع ذلك ألا نتهم بالمغالاة في تقدير أهميتها العلمية لو أمكن لأي إنسان أن يعرض فحسب عشر الشهادات الجديرة بالثقة فيها ، ..

ثم يضيف قائلاً : ومع ذلك فإن تحولاً يجري الآن في آراء النخبة بشأن هذا الموضوع . فإن عدداً من أصحاب أكثر النفوس ثقافة ، ومن الباحثين اليقظين قد اقتنعوا في هذه السنوات الأخيرة بصحة الظواهر الروحية ، أو بالأقل بجدية الأسباب التي تحمل على دراستها ، وتأثروا تأثراً عميقاً بما يولده القبول العام لهذه الظواهر من اتساع في الأفق ومن نشاط واسع في التفكير .

كما يقول : وإنه هذا الاتساع في أفق التفكير هو الذي سمح للرواد الشجعان للروحانية أن يغامروا بسمعتهم ، وأن يتحدثوا ما أثارته تحقيقاتهم من سخرية ومن لوم . فإنهم عندما حصلوا على ما بدا لأعينهم الدليل الكافي على موضوعية هذه الظواهر ، نشروا آراءهم بشجاعة نادرة . وفي الصف

(٢) أستاذ فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج ، وكان حتى انتقاله في سنة ١٩٠٠ رئيساً « لمجوعة البحث الروحي » بـلندن (راجع ما سبق منه في الجزء الأول ص ١٥٥) .

الأول منهم يبرز الرياضى العظيم الأستاذ دى مورجان De Morgan الذى كتب منذ سنة ١٨٦٣ يقول : «أنى مقتنع تماماً بأنى رأيت وسمعت فى ظروف تجعل رفض التصديق مستحيلاً أشياء موصوفة بالروحانية لا يمكن لأى كائن عاقل أن يفسرها بالتدليس أو بالتعاصر الزمنى أو بالخطأ»^(١). وقد قدم شهادات مماثلة الدكتور ألفرد راسل والاس A.R. Wallace (٢) وعدد آخر من الشخصيات المبرزة . وفى النهاية إن الكافة يعرفون تجارب سير وليام كروكس المعروفة^(٣).

ولم يقتنع هؤلاء الرجال المبرزون وحدهم بصحة الوقائع ، بل إن جمهوراً من الرجال والنساء وصل إلى نفس الاقتناع فى العالم أجمع ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور والاس منذ زمن طويل فى موسوعة تشامبر Chamber's Encyclopaedia قائلا : «لقد تقدمت الروحانية إلى حد أنها وصلت — رغم التهم والاستحقاف والاضطهاد — إلى إقناع أشخاص من جميع الطبقات الاجتماعية ، وفى جميع أركان العالم المتحضر»^(٤).

ثم يضيف باريت قائلا : «لقد تدينوا بأنفسهم وجود ظواهر مجهولة تماماً من العلم الحديث ، ويفسرها بكل بشاشة افتراض وجود عالم روحى تقطنه كائنات ذكية ، قادرة فى لحظات معينة ، وبوسائل معينة ، على الاتصال بنا . ولم يتمكن أى شيء من زعزعة إيمان كهذا يرجع إلى الماضى العريق ... وقد نمت قوة هذا الاعتقاد بسبب تسكيس الشهادات عن الوقائع التى تحدث من وقت لآخر هنا وهناك .

(١) راجع ما سبق عنه فى الجزء الأول ص ٢٠٨ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى الجزء الأول ص ٢١١ .

(٣) راجع ما سبق عنه ومنها فى الجزء الأول ص ٢١٠ ، ص ٣١٣ — ٣٣١ .

(٤) من الترجمة الفرنسية وعنوانها Au Seuil De L'Invisible بمعرفة «المكتبة

الدولية للعلم الروحى » . الناشر : Payot طبعة ١٩٢٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ .

لقد قال فيخت Fichte : إن كل ما هو عظيم وطيب في وجودنا الحاضر يرجع — بحسب — إلى أن رجالا نبلاء حكماء قد تنازلوا عن متع الحياة في سبيل التعلق بالأراء ، . إن ما يؤكد رجلا واحدا هو عبارة عن الفكرة التي اعتنقها ، وهو أمر يسترعى الاهتمام ويستحق الإصغاء إليه . أما ما يؤكد عدد وافر من الرجال ، ويستمررون في تأكيده دون أن ينال منهم أى اضطهاد أو معارضة ، فهذا هو الموضوع الذي يستحق تماماً التفات الباحث المخلص .

وما قد ينكره الناس هو من جانب آخر إما لا قيمة له ، وإما دليل على ندرة — أو على جدة — الأمر الذي ينكرونه ، مالم يكن الإنكار سبيلا لإثبات حقيقة أخرى ، كإنكار الحركة الأزلية للكون ، أو كإنكار التليفون الذي صدر من بعض العلماء أمامى في سنة ١٨٧٧ ، ولم تكن له أدنى قيمة إزاء الشهادة الصادقة بمن شاهدوا التليفون وسمعوه ، (١) .

* * *

وأخطر من كل ذلك هذه النتائج العلمية الضخمة التي أخذ باريت يقيمها الواحدة بعد الأخرى ، كما يفسر بها من جهة هذه الظواهر التي حقق صحتها بنفسه ، وكما يربط من جهة أخرى بينها وبين الحقائق الأخرى للحياة .

فنجده يقرر في إحداها ، أنه يمكننا القول مع أفلاطون بأن العالم المحسوس ليس سوى صورة لأفكار موجودة في عالم يقع وراء الحس ، وأن المحسوسات ليست سوى وجود مستعار من حقائق أزلية ، أى من أفكار يحتويها غير المنظور . وذلك يشبه كثيراً ما كان يقول به سوينبرج من أن أشياء عالمنا ليست سوى آثار ، أو مقابلات زائلة — أكثر منها

(١) المرجع السابق ص ٢٧ — ٢٩ .

(م ٣٥ — الإنسان روح : ج ٢)

حقيقية - اعالم روحى ندخله بعد الموت، وبالتالي فلسنا سوى أشباح متجسدة.
لكائناتنا الحقيقية ، ومن صور مادية عابرة لشخصيتنا الحقيقية الباقية .

ولنعد لموضوعنا ، فاية نظرية أخرى يمكن أن تقترح لتفسير الظواهر
الفيزيكية التى تبدو صادرة عن مصادر وعى نشطة غير منظورة ؟ إن النظرية
الشائعة للروحيين هى أن هذه الظواهر تعزى إلى نشاط كائنات إنسانية
تحررت من أجسادها ، وتحاول أن تفهمنا بهذه الطريقة استمرار وجودها .
ولكن إذا كانت هذه الظواهر (المادية) تبدو صادرة عن ذكاء غير منظور،
فإنها لا تعطينا الدليل على دوام حياة الإنسان بعد الموت . وسنعالج فيما بعد
أدلة هذا الدوام منتزعة من ظواهر روحية أخرى ، وفى انتظار ذلك تبدو
النظرية الروحية أكثر التفسيرات بساطة ، برغم أن بعض الوقائع
العجيبة التى شوهدت فى حضور الوسيط هوم D.D.Home تظل بمثابة
الغاز (١).

ومع ذلك فمكن افتراض أن الحياة موجودة فى صورة ما فى الأثير
المضىء (أو فى أى وسط غير منظور) وأن قانون التطور ، وهو القانون
المقدس للتقدم ، يعمل عمله منذ قرون لا تحصى ، بل ربما قبل نشوء أرض
مسكونة . وإذا كانت مادتنا الخام يمكن أن تكون مركبة للحياة تستجيب
لاهتزازات الروح الإلهية ، فإن المادة الأثيرية ، وهى أكثر منها
رقة ومرونة يمكن أن تكون أكثر مناسبة لهذا الغرض ، وأسهل
استجابة للقدرة العظمى المختفية وراء ظواهر الحياة . وليس
فى هذا الافتراض ما يجافى الصواب أو ما يعارض علمنا الحالى .

ثم يتساءل سيرباريت تأسيساً على ذلك إذا كانت هذه الكائنات الذكية

(١) الحديث هنا يشير إلى الظواهر المادية التى كانت تحدث فى حضور الوسيط هوم وغيره
مثل تحريك الأجسام الصلبة ، والارتفاع عن الأرض بغير وسيلة مادية ، والإمساك بالمار المشتعلة
وغیر ذلك (راجع ما سبق منه فى الجزء الأول ص ٣١٤ ، ٣١٥) .

موجودة بيننا منذ قرون ، ألم يكن لها أى دور فى تاريخ أرضنا ؟ ، ثم يجب
• إننا نعلم كيف نجح الإنسان فى تغيير بعض معالم الطبيعة باستخدام ذكائه
وإرادته . وإذا كان بمقدورنا أن ندخل تغييرات على النباتات والحيوانات
عن طريق الانتخاب الصناعى ، فليس من عدم الصواب أن نفترض أن
التأثير الروحى للعقول التى نجملها أمكنه أن يؤثر فى التطور عبر العصور .
وهكذا تبدو مشكلات عديدة لم يحلها فقه التطور قابلة لأن تنتقل من عالم
الحواس والمادة الخام إلى العالم الغير المنظور الذى يحيط بنا ، أسوة بنا
عندما ننقل تدريجياً فى نطاق الفيزياء تفسيرنا الأخير للأشياء المحسوسة إلى
الآثير . وسيظل المصدر الأعظم الأول دائماً فى غير متناول حواسنا ،
ولكن العلم الذى يعنى بالمصادر الثانوية للأشياء يقرر أن العالم المنظور لا يبدو
قادراً على أن يعطينا أى حل مرض لعدد من الأسئلة الغامضة .

ووجود بعد رابع ألا يفسر مصدر ظواهر الروحية ؟ فهذه نظرية رياضية
تبين أن هذه الظواهر فى مقدور كائنات من البعد الرابع بشرط أن تصل
إلى إحداث نتائج منظورة منا نحن كائنات البعد الثالث^(١) . ولنبين مقدماً
ونظرياً بعض هذه النتائج التى منها مثلاً مرور المادة الصلبة فى المادة الصلبة^(٢) .
ومثل عمل عقدة فى حبل بدون إمساك بأطرافه ، أو فى قرط أو فى طوق
من جلد . فإن كائناً عاقلاً يمكنه أن يحدث فى هذا الحبل حلقات تنتمى إلى
البعد الرابع ، ويمكنه أن يصنع عقدة أو عدة عقد بدون أن يفك أطراف
الحبل الموضوع عليها الاختام ، أو بدون أن يقطع الحلقة الجلدية . فبالرغم من
أن هذا العمل العجيب يبدو لنا مستحيلاً فقد صدر تأكيد ، بأنه لحسن الحظ
قد تم تنفيذه فى بضع دقائق ، وفى ضوء النهار فى شهر ديسمبر سنة ١٨٧٧
عن طريق وسيط معروف ، وأمام عدد من العلماء الألمان ذوى الروح الناقدة

(١) راجع الماسبق فى هذا الشأن فى ص ١٣٤-١٤٠ عند الكلام فى أسلوب الحياة فى عالم الروح .

(٢) ومنها المجلوبات والمأخوذات الروحية ، وقد حققها علماء كبار وهيئات مبدقة موثوق

فى صحة تحقيقها .

وهم الأساتذة : زولتر Zöllner وويبر Weber وفشنر Fechner وشريبنر Schreibner^(١). ولم تكن هذه تجربة وحيدة ، بل تمت مثلتها في روسيا بنجاح أيضاً ، وشهد أكراكوف Aksakoff^(٢) بأنه قد شاهد عقدة تتم في طوق من جلد بنفس السكيفية

ثم يقول باريت : «إننا نحفر الأساس للمحق جديد ورحب لمعبد العلم . فينبغي أن نتوقع إذاً أن نشاهد أجمة من «سقالات» تعلو في صورة نظريات وافتراضات ، ولا يمكن إلا بهذه الطريقة أن ترتفع الأحجار من الأرض إلى القمة ، حتى يبنى المعبد ، وعندئذ ستنطق مع الوقت الوقائع بذاتها ، وستعطى التفسيرات المطلوبة ، أما الآن فينبغي أن نعمل وأن ننتظر ، »^(٣) (لا حظ أن هذا كله كتب قبل سنة ١٩١٧ ، فما بالك بالحال الآن في سنة ١٩٦٦) .

* * *

وفي موضع آخر من نفس الكتاب يتساءل باريت قائلاً أيضاً : «إن الحجاب الذي يفصلنا عن الموتى يصير تدريجياً أقل كثافة ، وإن كنا نتساءل لماذا يرتفع فحسب ركن أو آخر من الحجاب من أن لاخر بغير أن يعطينا الكشف الكامل للعالم الروحي . ولماذا ما يصل إلينا من هذا الكشف يبدو ناقصاً وغير مرض إلى هذا المدى ؟

فنحن بغير شك لا نرى أبداً ما وراء الحجاب بنفس الوضوح الذي كان سويدنبرج يؤكد أنه كان يحوزه . وربما كان من الحق أن نقرر أنه قد أقنعنا بالعدول عن متابعة خطواته ، وربما هناك أسباب طيبة كما يظل

(١) يحيل المؤلف القارئ إلى كتاب La Physique Transcendentale للعالم الفلكي الألماني المعروف زولتر ، وله ترجمة فرنسية بمعرفة Massey .

(٢) عالم لغوي ووزير روسي سابق .

(٣) عن « على عتبة غير المنظور » المراجع السابق ص ٩٨ — ١٠٢ .

اطلاعا على هذا العالم مضطرباً، ولكننا كما أننا متأكدون من أن النهار سيعقب الليل فليثق كل إنسان بأنه بعد ظلمة الموت العابرة سيدخل في حياة أبدية من الحرية والنور. ولو كانت هذه الحياة مطابقة للوصف الذي يعطيها إياه كثير من الروحيين، فإن عدداً قليلاً منا سيتمنى أن يبقى في عالمنا هذا.

وربما تعتمد كثرة من النفوس المتعبة المعذبة إلى الإلتجاء إلى عقار قاتل كيما تدخل - بغير ألم - في عالم ترجو أن تجد فيه نهاية لآلامها وللأبد، ولكن هذا أمل خائب لأن نحن الحياة الأرضية لازمة لنا، وليس للإنسان أن يؤمل في الوصول إلى حياة أسهى من حياته بغير المرور أولاً بمدرسة الألم والكفاح.

* * *

ثم انظروا وهو يقرر في أحد فصول كتابه الأخيرة : « يوجد بغير ما ريب عالم خارج عن وعينا لسنا معزولين عنه ، لا من ناحية الزمان ولا المكان ، ولكن فحسب عن طريق حاجز من صنع حواسنا . وهذا الحاجز يمثل ما وصف بحق بأنه يمثل عتبة الإحساس ، والقيود الذي يقيد مدى وعينا . وبقدر ما يحولنا التطور من كائنات دنيا إلى كائنات عليا فإن هذه العتبة تغير مكانها ، ولكن بقدر نمو الوعى فينا . فأعضاء القوقعة تكون العتبة التى تحجزها عن الجزء الأكبر من عالمنا المحسوس ، وكذلك أعضاء الإنسان الفيزيكية تكون عتبة تحجزه عن العالم السامى الذى هو جزء منه . وهذه العتبة ليست مع ذلك صامدة ، فهى تغير موضعها فى النبوة الروحية ، وفى الأحلام ، وفى الغيبوبة المغناطيسية ، وتتحرك الروح مؤقتاً فى هوالم لا تدركها الحواس . وكذلك تغير هذه العتبة موضعها فى الجلاء البصرى ، وفى الحالات العميقة للمغناطيسية ، وفى اليقظة النومية الحركية ، فيعبر عن نفسه ذكاء أسهى ، ذو نقاء ومقدرة متناسبة مع توقف وظائف حالتنا اليقظة العادية ووعينا ، وبقدر ما قد يكون هذا التوقف تاماً أو جزئياً (١) .

(١) راجع فى هذا الشأن الجزء الأول ص ٥١١ - ٥١٩ .

وهذا الذكاء يملك قدرات وأحاسيس أكثر اتساعاً وعمقاً مما يملكه الوعي العادى . ولأن استخدام هذه الملائكات يبدو معوقاً بأعضائنا البشرية فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه عند التحرر من هذا القيد الترابى تدخل النفس فى حياتها الأرحب ، ومع ذلك فلا تلغى عتبة الإحساس بغتة عند انطفاء الحواس للأبد . فعندما تغادرنا هذه السكائنات العزيزة علينا يبدو من الجائز إذاً أنها فى أغلب الحالات تستيقظ فى الفجر الذى هو وراء كل فجر آخر، فيوظف فيها تدريجياً الوعي الأرحب والأعمق الذى ينتظرنا جميعنا باليسر أو بالعسر . ويقول الشاعر شيللى Shelley فى هذا الشأن واصفاً انتقال أحد الموتى ، سلاماً سلاماً ، فهو لم يمت ولم ينم ، بل استيقظ من حلم الحياة (٢).

عن اقتناع كوينر

وما يصدق على الاقتناع العلمى المترابط المعزز بأسانيده التجريبية التى حصها سير لودج لمدى أكثر من خمسين عاماً، وسير باريت لمدى أكثر من أربعين عاماً ، وهما عضوان فى المجمع العلمى فى بلادهما وعليان من أعلام الفيزياء فى القرن العشرين، يصدق أيضاً على الاقتناع العلمى بوجود حياة تلى حياة الجسد المادى، وهو الذى نجده عند غيرهما من أقطاب علوم المادة من أشرنا إلى أقوالهم فى مناسباتها . فإن اقتناعهم بوجود عالم للروح كان اقتناعاً علمياً صرفاً مؤسساً على فهمهم لطبيعة المادة الصلبة وللحقائق الرياضية الحديثة . فلم يدفعهم إليه إلا شوقهم للحقيقة وحدها ، لأن الشوق لها هو لب لباب الحياة ، ومحور الوجود الإنسانى منذ نجم من صلب الطبيعة — على حد تعبير العلامة إدنجتون Eddington — هذا الشوق الذى يجعل الإنسان مغيراً كل المغيرة لما حوله من الظواهر الطبيعية ، ويجعله قوة روحية ، . . . وكل ذلك حتى

(٢) «على عتبة غير المنظور» (ترجمة فرنسية) من ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
ول نفس هذا المعنى أيضاً يؤثر عن الإمام على قوله « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »
(عن المقاصد الحسنة للسخاوى) .

بدون بحث في تحقيق الظواهر الواسطية، ولا أية متابعة معروفة لبعضهم فيها. لذا نجد مثلاً الأستاذ آرثر كومبتون Arthur Compton رئيس المجمع العلمي الأمريكي والحائز على جائزة نوبل في الذرة يقرر بدوره : «لست في معمل أعتني بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنني أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلني أحس إزاءها أحياناً أنه يجب أن أركع احتراماً لها . فلو أنني أوقدت شمعة ثم أطفأتها على الفور بنفخة من فمي فإني لا أكون قد أبدت ضوءها .

أنك لن ترى هذا الضوء بعينك الفيزيكية ، ولكن لحب هذه الشمعة الضئيل يظل مجنحاً في الفضاء لمدة سنين ضوئية لاعدادها . فإذا كنت لا أستطيع أن أيد ضوء شمعة ، أوقدتها أنا بنفسى ثم أطفأتها ، فكيف يكون سخيفاً أن نظن أن شخصية الإنسان تنعدم وتفيد بسبب ذلك الموت الفيزيقي .

ثم أنظر كومبتون وهو يكتب عن خلود الإنسان قائلاً : « بالرغم من أهمية الإنسان من الناحية الفيزيكية فإنه كشخص ذي مثل أهمية غير عادية في تخطيط الكون . فلو كان لنا أن نستخدم أفضل ما نملك من وسائل الحكم على الأمور فما هو أهم شيء في الإنسان النبيل ؟ هل هو قوة جسده ، أو بريق وعيه ؟ ألا ينبغي أولاً أن نعتبر جمال أخلاقه ؟ إن جسد الإنسان يبلغ أوجه قبل منتصف العمر ، أما ذكاؤه فهو يبلغ أوجه بعد حوالي منتصف العمر ، ولكن بناء أخلاق الإنسان النبيل يحتاج إلى استنفاد حياته بأسرها .

فران الشباب ، وخضوعه للنظام ، والنضال بفشله ونجاحه ، وآلام النضج ومتعه ، ثم وحدة الشيخوخة وهدوؤها ... هذه هي الأشياء التي تصنع النار التي ينبغي أن يجتازها الإنسان حتى يحصل على الجوهر النقي لروحه ، فإذا تم ذلك على الوجه الأكمل فماذا ستصنع له الطبيعة ؟ هل ستعده ؟ فأى جهد ضائع لا ينقطع هذا ؟ ...

ولأنحدث الآن — لا كعالم — بل حديث إنسان لإنسان . فكيف يمكن لأب يحب أطفاله أن يختار لهم الموت ؟ طالما كان في السماء إله للمحبة فلا بد أن توجد عند إله الأطفال ، حياة لا تنقطع لهم . وهذا ليس فحسب المنطق الفاتر للعلم ، بل هو الإيمان الحار بأب رأى طفله بالفعل وهو على حافة الموت ، (١) .

موقف ألفرد راسل والاس

ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن موقف عالم كبير هو سير ألفرد راسل والاس A. R. Wallace الذي يعد في البيولوجيا نداً لداروين ويعتبر التطور بمفهومه الحديث نظرية شائعة بينهما أعلنها معاً في سنة ١٨٥٨ ، وهي مكتملة لما قال به قبلهما عن التطور لامارك وسبينسر . فما كان يمكن أن يتأني لوالاس أن يسلم بصحة الظواهر الوساطية كحقيقة علمية مقررة ، وبصحة خلود الإنسان ، ويؤلف كتابين معروفين في هذه الموضوعات مالم يوفق أولاً بين نظريته العلمية في التطور وبين هذه الكشوف الروحية الجديدة ، إذ أن علم العالم هو في نفس الوقت عقيدته وهو يبرأسه الوحيد في الحياة .

بل إن من يتأمل قليلاً في حقيقة وجود جسد أثري الإنسان ، يتبين له أن ناموس التطور والارتقاء ، عن طريق الانتخاب الطبيعي ، يصبح غير مفهوم بغير وجود هذا الجسد الأثري المتطور الذي يحمل العقل . فالتطور يبدأ في العقل أولاً ، ثم يفرضه العقل على الجسد الأثري ، ثم يفرضه هذا الأخير على الجسد المادى على الأمد البعيد خلال مصاحبتهما الأرضية اللازمة بحكم الصلة المحتومة بين العقل والمادة ، وقد تبين أنه ليس هناك من كيان متصور لأحدهما بدون الآخر .

(١) عن « الكتاب الذهبي للخلود » (١٩٥٤) .

The Golden Book Of Immortality. Compiled by:
Thomas Curtis Clark and Hazel Davis. Clark:

فالعقل لا يستغنى عن المادة بحكم حاجته لإظهار نفسه ، والمادة لا تستغنى عن العقل للحفاظ عليها في أضعف الفروض ولخلقها في أقواها . والعقل ينمو عن طريق صلته بالمادة ، لأنها تقاومه وتؤثر فيه فتؤلمه وتدعوه إلى العمل الدائب في سبيل التغلب على عقباتها . ثم إنها تفرض عليه بقاء محتوماً في عالم شقي — كأشد ما يكون الشقاء — محكوم بنواميس المادة، وهي شديدة الوطأة على الروح . بما يدفع العقل إلى الفؤ التدريجي البطيء عن طريق الألم الذي يفرضه عليه الالتصاق بالمادة الصلبة والخضوع لنواميس عالمها الأرضي .

كما ينمو العقل من التأمل في حقائق هذا العالم المادي . ومن الخبرة التي يحصل عليها تدريجياً بسبب صلاته المحتمومة بعقول الآخرين، والمحكومة أيضاً بمطالب الجسد المادي الملازم له إلى حين . وذلك قبل أن ينطلق إلى عالم من مادة رقيقة (أثيرية) تخضع لتأثيره المباشر ولا يخضع هو لها فلا يعود يتألم بها . ولا ينشئ من الصلات إلا ما يلتئم مع احتياجاته العقلية دون البدنية .

فكان مادة الجسم الحيواني تتطور عن طريق صلتها بالعقل في تطوره البطيء عندما يحدث تأثيره فيها تدريجياً على مر الحقب والأجيال ، لأن العقل هو الذي يوجه في النهاية المادة الحيوانية التي تعطيها جسماً وشكلاً خارجياً ، مهما بدا محكوماً بها بسبب شديد وطأتها عليه ، ولذا كانت عملية التطور بطيئة غاية البطء . ومن هنا جاء ناموس التطور — عن طريق الانتخاب الطبيعي — واضحاً مفهوماً عن طريق التسليم بالعقل وبالجسد الأثيري وبالخلود ، غامضاً غير مفهوم عن غير هذا الطريق .

ولذا لم يقف فهم التطور لدى ألفرد راسل والاس عند حد التسليم بوجود عوامل روحانية وراء تطور الحياة على هذا الكوكب الضئيل ، بل راج يؤكد أيضاً اقتناعه الصريح بوجود الملائكة — هذا الاقتناع الذي كان يبدو أمام علماء القرن التاسع عشر في أوروبا مبعثاً للسخرية — غير

عابيه بسخريتهم ، بل راح هذا العالم الفيلسوف الذى يوضع على قدم المساواة



الفرد رسل والاس

مع داروين فى إرساء أسس نظرية التطور بمفهومها الحديث ، يؤكد ان للملائكة دورهم فى النشاط السكونى ، بل وفى تفسير سير عجلة الحياة فى العالم . . . وأن مجموع العالم عبارة عن مظهر للقوة العظمى التى تبعث فى السكون الحياة ، وربما لا تبعثها رأساً ، بل عن طريق توسط سفراء لهذه القوة ، وهم الملائكة الذين يعمل كل منهم

بحسب درجة ذكائه وقدرته . . . فلا يمكن أن توجد هوة لانهاية لها بين الإنسان وبين الروح العظمى للعالم ، إن افتراضاً كهذا يبدو غير راجح إلى أقصى الدرجات .

وفى هذا الشأن يقول أيضاً الأستاذ روبرت بروم R. Broom عضو الجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى) وهو من علماء البيولوجيا المعاصرين إن بحوثه الخاصة فى البيولوجيا خلال الخمسين السنة الأخيرة لم تقنعه فحسب أن الصور الحديثة للحياة نجمت عن التطور ، بل أيضاً أن التطور لم يأت عفواً ، لكنه تم بقيادة مصمم روحى أو مصممين عديدين ، وقد وصلت إلى ذلك بالبيئة التى أرضتني . وإن داروين رغم المكانة الكبرى التى سيحتلها دائماً فى تاريخ الحيوان والنبات ، إلا أن نظريته فى الانتخاب الطبيعى تبدو فى تقديرى أبداً ما تكون عن الإرضاء ، بل حتى ألفريد راسل والاس وهو الذى أعلنها مع داروين فى سنة ١٨٥٨ قد عدل عنها فيما بعد . أما أن التطور قد حدث فعلاً فذلك أمر مؤكد ، لكن لا توجد لدينا حتى الآن نظرية مرضية تماماً لتعليله . ونظرية لامارك Lamarck

التي تتضمن الاعتراف بعنصر روحى فى التطور أقرب إلى الصدق من نظرية داروين ، لكنها ليست مع ذلك مرضية تماماً على النحو الذى خلفها لنا فيه لامارك . ثم يضيف بروم قائلاً إن ألفرد راسل والاس انتهى فى أواخر أيامه إلى تعليل مذهبه فى التطور بإيمانه بعدة عوامل روحانية لا تسمو إلى القدرة الكاملة ولا إلى الحكمة الكاملة .

وأمران يبدو أنهما محققان : أحدهما التطور الذى افضى إلى خلق الإنسان من تدبير قدرة روحانية عظيمة . والآخر أن هذا التدبير تتولاه عوامل ثانوية تخطئ فى إنجازها ، ولكن الغاية المطلوبة تتحقق فى النهاية على الرغم من هذه الأخطاء . إن ملاممة الحيوانات لبيئتها ترجع فيما يبدو إلى عنصر روحى غير واع فى الحيوانات . وإن عدداً من علماء الحيوان يعتقد بوجود قوة روحية تقود التطور نحو غاية محددة ، ومنهم روبرت تشامبرز Robert Chambers الذى يبدو أن عنده فكرة واضحة تماماً فيما يبدو أنه الحقيقة ، وكذلك برجسون الذى يبدو أنه قد تأثر ببيانات كثيرة عن وجود قوة موجهة خلف التطور^(١) .

ثم يضيف بروم : وكان راسل والاس فى شيخوخته يعتقد أن الكون المادى هو مظهر للكون الروحانى ، وأن فى الكون الروحانى أنماطاً من العوامل الفعالة من القوى العليا إلى الأرواح الكامنة فى الخلايا الحية . وربما تعذر إثبات هذه التقديرات بالبرهان القاطع ، ولكنها فيما نراه أصلح لتوضيح الوقائع من أى تقدير يأخذ به الماديون . وإن آراء تيندال Tyndall لا تستحق فى هذه الأيام أى اعتبار جدى .

كما أن نظريات داروين وهكسلى ، بل وحتى نظرية داروين المعدلة تبدو بسهولة غير كافية على الإطلاق . بل إن ميفارت Mivart منذ سنوات كثيرة ماضية لم يتردد فى أن يصف نظرية داروين بأنها فرض صيغى ، وينبغى أن أدرج نفسى بين أولئك الذين ينظرون إلى نظرية داروين (عن مادية

(١) راجع ما سبق فى هذا الشأن فى ص ٥١٨ — ٥٢٢ .

التطور) بوصفها نظرية غير مرضية على الإطلاق في أية صورة كانت .
ثم يقول بروم : « ومتى سوغ الباحث لنفسه أن يقتنع بصدور التطور
عن قوة أو قوى توجهه إلى خلق الإنسان — فمن النتائج التي تنساق إليه مع
هذا الاقتناع طواعية أن ظهور كائنات كبيرة الدماغ تسير على قدمين لا يعقل
أن يكون هو غاية القصد من تمهيد ملايين السنين ، وأخرى أن يكون القصد
من هذا التدبير إنشاء كائنات روحية تبقى بعد موت الجسد . وبالتالي ينبغي
أن ينظر إلى جميع الناس بوصفهم إخوة ... »

وهناك نتيجة هامة تبدو مترتبة على دراسة التطور ، وهي أن القوى التي
طورت الإنسان يبدو منها أنها ذات خبرة ، وأنها قادت فيما مضى — وفيما
يبدو كنتيجة محتومة — خطى التطور في أكوان أخرى ، وأن هناك
كائنات لا تخالف الإنسان ينبغي أن تسكن فيما يبدو آلافاً ، وربما ملايين
من الأكوان الأخرى . إن العلم يقود إلى نتائج لا تخالف تلك التي تنجم
عناوصل إليه بالإلهام والكشف المعلمون الدينيون الكبار هذه هي
شهادة بروم عالم البيولوجيا المعروف نعرضها على القارئ بوصفها تمثل
وجهة نظر عالم حديث في البيولوجيا ، كما يتبين لآى مدى بلغ التطور في فهم
نظرية التطور ، وما كان لنظرية التطور أن تصاب بدورها بالجمود والتوقف !!

المبحث الثالث

موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس

ما ذكرناه في المبحث السابق عن موقف بعض علماء المادة من ناحية اقتناعهم
بالتطابق التام بين علومهم وبين كشوف علم الروح الحديث يصدق
أيضا على موقف لفيف من علماء النفس وما وراء النفس والروح ممن قضوا

(١) راجع ص ٢٩ — ٣١ من مجموعة « الروح المصري » بحججه نحو فلسفة الإيمان » الصادرة
في سنة ١٩٥١ .

شطراً كبيراً من حياتهم ، باحثين مدققين في موضوع هذه الظواهر الواسطية بغير ارتباط سابق بأية وجهة نظر في شأن مدى صحتها ومدى دلالتها . فبحوث الباراسيكولوجي - ومثلها تماماً بحوث ما وراء الروح - لها طابع مميز عن بحوث الروحية الصرفة Spiritisme وهو أنها لاتتخذ لها نقطة بداية أساسها التسليم بحياة الإنسان بعد الموت . بل إنها أقرب إلى أن تبدأ منكرة هذا التسليم وتنتهي بعدئذ حينما تقودها نتائج بحوثها . فإذا كانت قد انتهت إلى التسليم بحياة الإنسان بعد الموت وبإسناد عدد من الظواهر الروحية المختلفة إلى أرواح من نسميهم بالموتى كان ذلك أقوى في الدلالة على صحة هذا الموضوع من أي بحث آخر لا يتحفظ مثل هذا التحفظ الهام ، فيبدأ حيث كان ينبغي أن ينتهي .

وقد عبر عن هذا المعنى الدكتور جوستاف جيلي G. Geley^(١) مدير المعهد الدولي لما وراء الروح ، بباريس في خطبة له في مؤتمر دولي للبحوث الروحية عقد بمدينة كوبنهاجن في سنة ١٩٢١^(٢) عندما قال : إن المبدأ الثالث للفلسفة وراء الروحية هو مبدأ تحفظ وحذر يجعلنا نحاط من النظريات المدرسية ومن أنظمة العلوم الخفية Occultisme ومن الشيو صوفية ومن الاسبرتزم . فلا يوجد في أساس علمنا نظريات مقررة أو مفروضة صحتها مقدماً . فإنه إذا كانت حياة الإنسان بعد فناء أعضائه المادية ومصيره هناك من مشكلات ما وراء الروحية ، إلا أن هذه المشكلات الخطيرة لن تحل بحسب ما يبدو لنا إلا في نهاية المطاف ...

إلى أن يقول : إن الإثبات المباشر لحياة الكائنات بعد الموت - إذا كان ممكناً - لن يكون هو أساس البنيان وراء الروحي ، ولكن تنويعاً له . .

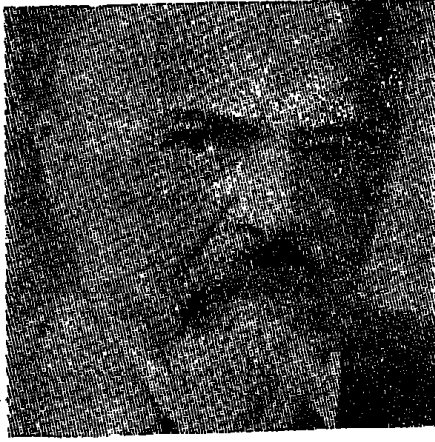
(١) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٧٩ - ٢٨٩ .

Congrès de Recherches Psychiques

(٢)

وما يصدق على مادة ما وراء الروح يصدق على مادة الباراسيكولوجى أيضاً لأن أساسها ليس هو محاولة الاتصال بأرواح الموتى، بل فقط دراسة الظواهر الوسائطية غير المألوفة والخروج منها بدلالاتها المحتومة فما العمل إذا كان العدد الأكبر من علماء المادتين قد انتهى بعد سنين طويلة من البحث إلى تعليل هدد من هذه الظواهر بثبوت حياة الإنسان بعد الموت ، وإسنادها صراحة إلى أرواح الموتى ؟

ولأدع الحديث فى هذا الشأن لهانز دريش H. Driesch (١٨٦٧ - ١٩٤١) أستاذ الفلسفة والسيكولوجيا بجامعة هيدلبرج وكولونيا وليبنرج - وأحد علماء النفس المعدودين ورئيس « جمعية البحث الروحى » بلندن فى وقت ما - وهو يصرح بأن « بعض



الظواهر ما وراء الروحية الاستثنائية يمكن تفسيره بسهولة - فى الوضع الراهن لمعارفنا - بتداخل روح إنسان يواصل حياته بعد الموت أكثر مما يمكن تفسيره بملكات غير عادية لبعض الأحياء» (١).

وكل ذلك كتب وقيل منذ أكثر من أربعين عاماً ، فما بالك بما يكتب

هانز دريش

اليوم ويقال على لسان غيرهم مثل الأستاذ ج. ب. راين B. Rhine رئيس قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بأمريكا ومدير معاملها، وقد أخذ يحاضر

(١) راجع مؤلف « الحقيقة الروحية مصدر سعادة » La verité Spirite Source De Bonheur للأستاذ جوزيف ميرا Joseph Mira باريس ١٩٥٣ . ولهانز دريش مؤلف معروف عنوانه Para Psychology ظهرت طبعته الثالثة فى زيورخ بسويسرا فى سنة ١٩٥٢ .

في ثبوت استمرار الحياة بعد الموت والاتصال بأرواح الموتى في أحسن معاهد أمريكا وإنجلترا معاً (١٩١٤).

* * *

ومثلهم تشارلس بروض Charles Dunbar Broad (ولد في سنة ١٨٨٧) — وهو أكبر فيلسوف بريطاني معاصر — وأستاذ فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كمبريدج Cambridge منذ سنة ١٩٣٣ حتى الآن — عند ما وضع كتابه عن العقل ومكانه في الطبيعة ، وفيه نادى بصحة الظواهر الوسائطية وبدلائلها في الإنشاء عن الحياة بعد الموت ، وسيطرة الأرواح على جسوم الوسطاء ، مبيناً كيف أن العامل الروحي Psychic Factor للإنسان الميت يستحوذ مؤقتاً على جسد الوسيط فينبعث منه عقل كما كانت الحال من قبل ، وهذا العقل ليس هو عقل الوسيط ظالماً كان هو العامل الروحي للإنسان الميت . وهذا العقل يظل فعالاً طيلة مدة الجلسة ، أو إلى الوقت الذي يفيق فيه الوسيط من غيبوبته فتعود روحه الخاصة من جديد للسيطرة على جسده ، وتواصل وجودها بعد انقطاعه (٢).

وقد خطب بروض في المعهد الملكي للفلسفة ، بلندن في شهر مايو من سنة ١٩٤٩ قائلاً إن هناك بعض ظواهر روحية لا يمكن أن تفسرها الفلسفة ، وضرب عدة أمثلة من بينها « أننا حين نفحص حالات التواصل خلال وسطاء الغيبوبة نجد أشياء كثيرة جداً غير عادية . ومن هذه الأشياء تلك الحالات التي تشير إلى أنه قد يكون المتحدث بلسان الوسيط الواقع في الغيبوبة شخص ميت عاد بعد موته كيما يتحدث » .

(١) راجع ما سبق عندي الجزء الأول ص ١٧٥ إلى ١٨٢ ، ٤٦٧ — ٤٧٠ .

(٢) The Mind And Its Place In Nature. 1925

راجع بوجه خاص الفصل السادس ص ١٦٩ — ١٧١ والثاني عشر ص ٥٣٥ — ٥٥٠ .
وراجع أيضاً الدليل إلى الفكر الحديث Guide To Modern Thought . للمسترجود .
C. E. M. Joad طبعة ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

ثم شبه بروض الوسطاء — إلى حد ما — بالحجر المغناطيسي ، فوجود مجال المغناطيسية الأرضية لم يدركه أحد حتى أثبت الحجر المغناطيسي وجوده ، والوسطاء كذلك قد يكونون مدركين لمجالات تحيط بنا ولكننا لا ندركها .



بروس

كما وجه الأنظار إلى النظرية القائلة بأن وظيفة المخ والمجموع العصبي تعمل على حمايةنا بإبعاد المعلومات غير اللازمة وترك ما يكون ذا فائدة ، ويرى أن توسيع هذه النظرية في النواحي الروحية قد يفسح أمامنا مجالاً كبيراً للبحث ...

ثم انظره وهو يقدم كتاباً حديثاً عنوانه « بحجة على بحر السواد »^(١) تلقته — بالجلالة السمي — وسيطة روحية معاصرة وهي السيدة برتا هاريس Bertha Harris ونشرته في شهر يونية من سنة ١٩٦٥ قائلاً « إن هذه المخطوطات خضعت للفحص بمعرفة أعضاء كبار من جمعية البحث الروحي^(٢) . ومنذ هذا الوقت قرأت الأدلة ووجدتها ذات قيمة عظيمة ، ولأنى مقتنع بأن هذه المخطوطات تمثل إضافة هامة جداً للكتلة الضخمة من المواد التي من هذا القبيل ، والتي تشير من أول وهلة وبدرجة قوية إلى أن هناك كائنات إنسانية معينة عاشت بعد موت أجسادها الفيزيائية ، وأمكنها أن تتصل بأشخاص آخرين معينين ممن لا يزالون في أجسادهم ، .

ومثل هذه الشهادة الضخمة لا تعطى في يسر ولا بسهولة ، من فيلسوف معاصر

Swan On A Black Sea.

(١)

(٢) راجع ما سبق عنها في الجزء الأول من ١٩٦ وما بعدها .

صاحب عدة مؤلفات عميقة في العقل والفلسفة والأخلاق^(١) ، بل سبقها
نقص وتحقيق طويلين بمعرفته بالاشتراك - كما قال - مع أعضاء كبار من
« جمعية البحث الروحي » ، بلندن التي انتخب رئيساً لها لمدة أربع سنوات
من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٦ ولا يزال عضواً فيها حتى الآن ، والتي تضم صفوة من
علماء النفس والمادة من عدة دول ... فهل تعادل هذه الشهادة الخطيرة في
كل حرف منها - وأمثالها كثير الآن - ما نقرأه أحياناً من مرتجل
القول من هذا الكاتب أو ذاك ؟ ...

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن موقف الفسيولوجي المعروف شارل ريشيه
Ch. Richet هذا العالم الذي وصفه الأستاذ رينيه سيدر René Sudre
بأنه الرائد الفرنسي العظيم الذي رد إلى علم الغيب التجريبي اعتباره ، فقد
أجرى تجاربه في الظواهر الوسايطية تحت وصف علم « ما وراء الروح » ،
Métapsychique حتى لا يرتبط بالتسليم أيضاً بوجود عالم غير منظور ،
وظل يواصل تجاربه هذه لعشرات من السنين - ثم اختتمها بمؤلف
عنوانه « ثلاثون عاماً من البحث الروحي »^(٢) - وذلك رغم تدفق الظواهر
والبيانات التي سجلها إلى أدق تفاصيلها في مؤلفاته ، دون أن يقيد نفسه بتحليل
صريح إلا في ختام حياته ... لماذا ؟

لأنه أراد أولاً أن يذلل العقبات النظرية التي أثارها في ذهنه معلوماته
الواسعة في الفسيولوجيا ، أي في علم وظائف الأعضاء ، وهو وثيق صلة
بالظواهر الوسايطية ، خصوصاً منها ذلك النوع المسمى بالظواهر الفيزيائية ،
مثل انبعاث مادة الاكتوبلازم في صور كثيرة أثناء الغيبوبة الوسايطية ،
مع اتخاذها أشكالاً مختلفة لإحداثها تحركات شتى ثم عودتها إلى جسم الوسيط
أو الوسيطة بوسائل يكاد يحفلها حتى الآن العلم المادى .

Perception, Physics And Reality (1914).

(١) من مؤلفاته :

Five Types Of Ethical Theory (1930).

Ethics And The History Of Philosophy (1952).

Trente Anneés De Recherches Psychiques.

(٢)

(م ٣٦ - الإنسان روح: ج ٢)

فلما ذل ريشيه هذه العقبات ومعها عقبات أخرى مستمدة من علم النفس ، وكان أيضاً من المبرزين فيه ، وجد أن التعليل الروحي هو التعليل الوحيد الذى يفسر هذه الظواهر مجتمعة على ما أعلنه وتقيد به أمام ضميره ، وأمام العالم العلمى بعد بحوثه الشاقة الطويلة . وبعبارة أخرى أن ريشيه لم يقتنع روحياً إلا بعد أن اقتنع « فسيولوجياً وسيكولوجياً ، أولاً . ولو تعذر عنده الاقتناع الأول لتعذر بالتبعية الاقتناع الثانى ، لأن هؤلاء العلماء لا يعترفون بحقيقة أخرى صحيحة - من الناحية العقلية بالأقل - إلا تلك التى تنجى من ناحية الاقتناع العلمى الذى هو فى تقديرهم أقوى صور الاقتناع وأجدرها بالبحث عنه (١) .

فلم يكن اقتناع ريشيه إذاً سطحياً ولا متبسراً ، بل كان اقتناعاً هادئاً متروى فيه ، وقد تحمل بشجاعة العالم المدقق مسئوليته عندما قدم بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ مؤلفه « فيما ما وراء الروح » (٢) ، فى صورة تقرير إلى أكاديمية العلوم بباريس ، التى كان من أبرز أعضائها .

ويصدق هذا القول حتى على اقتناعه بصحة الظواهر الوساطية الموضوعية التى لاحظ أنها تتعرض أكثر من غيرها للهجوم ، وتقتضى عناية أكثر من غيرها فى تحقيقها والدفاع عنها لأنها نادرة جداً ، وفى الغالب غير مستقرة inconstants ، أى غير خاضعة فى حدوثها لإرادة إنسان ما ، وقد تتأثر برواسب فيزيولوجية أو خلقية عند الوسيط أو الوسيطة .

بل يذهب ريشيه متسائلاً : « ألا توجد درجات فى اليقين ؟ فمثلاً إننى متأكد من أن الأيدروجين يمكن أن يتحد بالأكسجين ، كما أننى متأكد أنه لا يوجد تكاثر ذاتى Generation Spontanée (٣) . هذان يقينان ، ولكن أولهما أقوى

(١) راجع ما سبق عن ريشيه فى الجزء الأول من ٣٤٠ - ٣٥٧ .

(٢) Traité De La Métapsychique .

(٣) أى عن غير طريق التوالد ، وبعبارة أخرى أن الكائنات لا يمكن أى توجود نفسها بنفسها .

من ثانيهما ، وبنفس الطريقة أنا متيقن من أن الظواهر الموضوعية -الوراء
الروحية صحيحة^(١) ، ولكنى أكثر تيقناً من صحة الظواهر الشخصية
الوراء الروحية^(٢) . ثم عاد فى مؤلفه «ثلاثون عاماً من البحث الروحى»
لتسجيل ظواهر موضوعية تيقن منها بكل أساليب التحقيق الصارم .

* * *

وهكذا أصبحت مادتا الباراسيكولوجى وما وراء الروح هما الوسيلة
المعملية المعترف بها علمياً للبحث فى الروح، وفيما يتصل بخصائصها وملكاها
واستقلالها عن الجسد المادى ، و «احتمال» بقائها بعد موت هذا الجسد .
فبحوثهما بدأت غير متقيدة بأى قيد ، لكنها انتهت - عند غالبية
الباحثين الكبار - بأن أثبتت هذا البقاء . وفى ذلك وحده من الضمان العلمى
وبواعث الاطمئنان ما فيه .

كما انتهت - عند إجماعهم - إلى نبذ المدارس السيكلوجية المادية التى
مقتضاها إنكار كل قوة خارج المخ والحواس الفيزيائية نبذاً تاماً ، ومثلها
بالتالى الإصرار على أن فناء المخ يودى بالتالى إلى فناء العقل . فإن من لم
يقتنع حتى الآن اقتناعاً تاماً من علماء الباراسيكولوجى ببقاء الحياة بعد
موت الجسد يقف بالأقل موقفاً محايداً تماماً - لا لإثبات فيه ولا لإنكار -
من هذا الموضوع الخطير ، وهو موقف علمى لا تثريب فيه ، لأن من
الأصول العلمية عدم سهولة الاقتناع .

لكنه على أية حال لا يمس فى شىء قيمة النتائج الإيجابية العديدة التى
وصل إليها بحاث الروح ، بل إن هذا الموقف المحايد يعتبر مكملًا لهذه

(١) ومنها تحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية La Télékinésie وظواهر
الاكتوبلازم والتجسيدات .

(٢) ومنها التلباثنى (أى قراءة الفكر) والسيكومتري Crypthesies والإدراك
عن غير طريق الحواس Perception extra sensorielle وهو الذى عالج به مؤلفه
من حاستنا السادسة Notre Sixième Sens .

البحوث الأخيرة، وخطوة للأمام لا بد منها في طريق التسليم بها عند من يقارن بين هذا الموقف الحالى والموقف الذى كان يميز علم النفس في القرن الماضى ، عندما كانت مدارس السائدة تقف موقفاً عدائياً صريحاً من علم الروح ومن نتائجه لإيجابية .

فعلم النفس الآن لا يقف هذا الموقف العدائى ، بل يقف موقف التسليم الصريح ، أو الحياد الصريح . وهذه ظاهرة من التحول الواضح ينبغى أن نسجلها هنا لمصلحة علم الروح ، ومع مراعاة أن حصول الاتصال بالأرواح في بيئات علمية تحت وصف الباراسيكولوجى أو ما وراء الروح لا يتنى إمكان حصوله في غيرها ، إذ أن دور البحوث العلمية في هذا الشأن ليس هو لإحداث هذه الظواهر الوساطية بأساليب مادية ، أو بأجهزة خاصة ، بل إن دوره هو مجرد إخضاع هذه الظواهر للتحقيق العلمى متى حدثت للثبوت منها ، ولتنفى شبهة التدليس فيها ، ثم لما هو أخطر من ذلك كله وهو الخروج منها بدلالاتها العلمية المحتومة .

ومن ثم يظهر بجلاء صحة ما سبق أن أشرنا إليه من أن نتائج البحوث الروحية قد أصبحت حقائق علمية مترابطة فيما بينها ، وفي نفس الوقت مرتبطة بحقائق الفلسفة ، بل أيضاً بحقائق العلوم الأخرى وثيق ارتباط . تستوى في ذلك حقائق علمى النفس والأخلاق مع حقائق الفيزياء والرياضة . فالمنطق العلمى يأبى التفكك ومقدماته تدل حتماً على نتائجه ، وفي ذلك تتمثل كل قوة العلم العصرى ، وكل ثقة الناس في علوم العلماء وكشوفهم ، وكل النتائج الضخمة التى تكشف عنها ، وما تزال تتكشف كل يوم .

وهكذا يبين أيضاً بوضوح كيف أن اقتناع هؤلاء العلماء الكبار الذين جعلنا عرض موقفهم من العلم الروحى الحديث — ومدى اتصالهم به — هو جوهر الحقيقة التى يقوم عليها المؤلف الحالى لم يكن يمثل عقيدة لديهم موروثة ، بل كان بحثاً علمياً صرفاً ، ولم يكن أمراً هيناً ولا بنياناً سطحيّاً

مؤسساً على دراسة محض ظواهر وساطية مهما كان وضوحها وتدققها .

بل كان اقتناعهم علمياً مترابطاً كأقوى ما يكون الاقتناع قوة ومبعثاً للثقة في مقدماته ونتائجها على السواء ، وبغير ما حاجة إلى الدخول في تفاصيل هذا الاقتناع وجزئياته مهما اختلف الرأي فيها أو اتفق ، ما دمنا لا زلنا في مرحلة التقديم لهذا البحث الناشئ ، وفي معرض إثبات أنه أصبح يمثل علماً حقيقياً له كل خصائص العلوم الأخرى التي اعتاد عليها عقل الإنسان ، بدلالة هذا الدور الضخم الذي قام به فيه بعض أساطين العلوم الأخرى متبعين فيه نفس الأسلوب العلمي الناقد الذي اتبعوه في غيره ، والذي لا يمت بأية صلة إلى أسلوب الاعتقاد الصرف أو التقليد .

وبحوثهم نفسها تقطع بذلك . وقد أشرا إلى ما ذكره برجسون عدة مرات من أنه يستند إلى تجارب واقعية ، ومثله وليام جيمس ، وباقي العلماء والفلاسفة الروحيين المعاصرين . كما أكد أرفيفر لودج - في محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩٣٤ - ذلك عندما قال : إنني لم أصل إلى معتقدي في صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الديني ، وإنما بنيت اعتقادي فيه على نتائج التجارب العلمية التي قمت بها في مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذي ينبغي عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر ، فلا يقصر أمره على ظواهر المادة كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن ، .

ومغزى هذا القول يظهر أكثر وضوحاً إذا ما لاحظنا كيف أن تمحيص هذه الظواهر الوساطية ، بكل عناية وأناة ، لم يكن هو كل نشاط هؤلاء العلماء الكبار فيه ، بل كان أول نشاط لهم فحسب . ذلك أنهم أرادوا في مبدأ الأمر أن يحصلوا على قدر من المعرفة الحسية التي من شأنها كما يقول الفيلسوف ويلهلم ليبنتز Leibnitz (١٦٤٦ - ١٧٢٦) أن تؤدي إلى اليقين أسوة بالمعرفة البرهانية والحدسية لكن بشرط الارتباط بين الظواهر ، ذلك الارتباط الذي يضفي على هذه المعرفة يقيناً مستمداً من يقين المعرفة العقلية .

ولما حصل هؤلاء العلماء على يقين المعرفة العقلية كان عليهم أن ينتقلوا إلى مرحلة أشد مشقة وخطورة ، وهي مرحلة الوصول إلى الارتباط بين الظواهر عن طريق تحليل يرضى منطق علومهم المادية إرضاء تاماً ، ويصمد لأسلوب النقد العلمى . وهذه المرحلة الثانية هي التي اقتضت منهم التآنى في إعلان صحة الظواهر الروحية لمدة سنين طوال قبل أن يغامروا بإعلانها .

وهذه السنون امتدت عندهم إلى عشرات منها ، فوصلت عند بعضهم إلى ثلاثين أو أربعين أو خمسين عاماً قبل إعلان رأيهم حاسماً في هذا الشأن ، كما وضع من نفس تصرّجاتهم في مؤلفاتهم التي أشرنا إليها آنفاً ، وذلك لعدة اعتبارات منها : أولاً : لأنهم بدأوا منكرين هذه الظواهر كما قلنا ، وثانياً : لأنهم أدركوا تماماً مدى خطورة دلالاتها بوصفها حقائق علمية ثابتة على دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، وثالثاً : لأنهم كانوا يعلمون أن هذا الإعلان معناه المحتوم أنهم سير بطون أسماءهم وتاريخهم بهذا الموضوع الروحى الخطير — كحقيقة وضعية مقررة — فى عصر مادى صرف ، وأنهم بذلك إنما يعلنون وثائق بالغة الأهمية عن أفول عصر وشروق آخر جديد على جمهور من العلماء وغير العلماء سيحاسبهم عسير حساب على أساسيد هذا الإعلان الخطير ونتائجه المحتومة .

وسيشعلها هذا الجمهور من العلماء وغيرهم نارا حامية هيئات أن تنطفىء ، وقودها جميع الأساليب العلمية وغير العلمية . وجميع الوسائل الخلقية وغير الخلقية ، كما كان الشأن دائماً فى كل كشف جديد مهما كانت ضلالة قدره . فما بالك بكشف يقلب رأساً على عقب أخطر نظريات الماضى ، ومعها آراء فجأة لا تحصى تقوم عليها ، وذلك بعد أن تمسكنت مع الوقت من عقول العلماء وأفئدتهم ، حتى أن زحزحتها أصبحت تتطلب جهوداً عسيرة قد تمتد إلى عشرات من السنين المقبلة ، كيما تستقر لهذا العصر الروحى دعائمه النهائية فى حقائق العلم الحديث وفى وجدان المجتمع .

الفصل الثاني

دور العلم الروحي الحديث

في توضيح الاعتقاد

أشرنا فيما سبق إلى أن العلم الروحي الحديث قام في توضيح الاعتقاد بدور لا يضارعه فيه أى علم آخر من علوم المادة ، وذلك أمر طبيعي لأن صلة كافة العقائد بالروح أوثق من صلتها بالمادة . وبقي الآن أن نبين كيف قام علم الروح بهذا الدور ، وفي أى نطاق وإلى أى مدى .

ويتعين ابتداءً أن نبين أن ما يصدق على موقف عدد من رجال العلم المادى عندما أمكنهم أن يربطوا بين علومهم ونظرياتهم وبين حقائق الروحية الحديثة ، هو بعينه — من الناحية الفلسفية — موقف بعض كبار رجال العقيدة عندما أمكنهم — هم أيضاً — أن يربطوا بين فهمهم للعقيدة وبين هذه الحقائق . ويصدق ذلك مثلاً على الشيخ طنطاوى جوهرى والعلامة محمد فريد وجدى وغيرهما في بلادنا ، كما يصدق على الأسقفين ستانتون موزس وشارل تويديل وغيرهما في الخارج ، ممن أقبلوا على بحث أمر هذه الحقائق الروحية الحديثة والدفاع عن نتائجها .

فلولا اقتناعهم التام بأن هذه الحقائق متفقة مع جوهر فهمهم للاعتقاد ، بل لولا يقينهم بأنها مكملّة للاعتقاد ومفسرة له ، لما كان من الممكن أن يتحول أيهم إلى باحث فيها وأن ينصب نفسه مدافعاً عن نتائجها متحملاً الكثير من العناء ، ومن تهجم الأدعياء الذين تعودوا أن يتهموا كل صاحب أفق واسع أو رأى متطور أول ما يتهمونه في صحة عقيدته ، إن لم يكن في صحيح إدراكه للأمور .

وذلك يصدق أيضاً على عدد من رجال العقيدة ممن أفتوا فتاوى صريحة

وواضحة إلى جانب صحة علم الروح الحديث واتفاقه مع العقيدة، ومنهم بوجه خاص الشيوخ الأجلاء الأساتذة محمد حسنين مخلوف (مفتى الديار المصرية) ومحمود شلتوت (شيخ الجامع الأزهر) ومحمد نجيت (مفتى الديار المصرية) ومحمد أبو زهرة (أستاذ الشريعة ووكيل كلية الحقوق) .

بل فليتأمل القارىء فيما كتبه الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى وهو يقدم كتاب « حياة محمد » للرحوم الدكتور محمد حسين هيكل قائلاً في تقديمه « وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون . وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها ، وفهم ما تستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد ... » فهل تصدر جزافاً مثل هذه الشهادة الخطيرة فى مثل هذا المقام الخطير من عالم جليل وشيخ الأزهر ، مالم يكن قد اطلع فى هذا العلم الاطلاع الكافى الذى أقنعه بصحة بحوثه واتفاق نتائجها مع فهمه للعقيدة ، حتى وجد أن هذه البحوث على حد تعبيره « تفسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون ، ؟ ... » (١)

فكان المعارض المتسرع لهذا العلم باسم الاعتقاد يتحدى الآن بحوث الباحثين من فلاسفة وعلماء كبار فى كل مكان ومعها — فضلاً عن المنطق السليم — هذه الفتاوى الصريحة الحاسمة لعدد من أبرز رجال الدين ممن يملكون بغير ما ريب صفة الإفتاء الدينى الصحيح فيه ، منتحلاً — فى نفس الوقت — سلطة هذا الإفتاء التى لا يملك منها شيئاً البتة .

بل إنه يتحدى — بالإضافة إلى ما تقدم — آراء الفلاسفة والأئمة الكبار من أمثال الرازى وابن القيم الجوزية والغزالى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن طفيل وابن باجة وقد تحدثوا جميعهم عن خلود الأرواح ،

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٩ — ٣٠٨ . وراجع فى هذا الشأن مؤلفين حديثين صادرين فى سنة ١٩٦٥ ، أحدهما للأستاذ عبد الرزاق نوفل عنوانه « الحياة الأخرى » والآخر للأستاذ مصطفى السكيت عنوانه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » وقد عرضا فيه عرضاً موثقاً عدة جوابات من علم الروح الحديث من وجهة النظر القبلية .

كما تحدث عدد منهم عن الصلات القائمة بين أرواح الأموات وأرواح الأحياء وتلاقيها وتزاورها كحقيقة واقعة. أى أنهم بحثوا في موضوع الروح بأساليب عصرهم ووصلوا فيه إلى نتائج معينة عن طريق التفاسير والفلسفة، فلم يقل واحد منهم إن بحث هذه الصلات أو تحقيقها حرام أو فيه شبهة تحریم^(١). وذلك مع أن هذا البحث والتحقيق هما أصل رسالة العلم الروحى الحديث وجوهره .

فالعلم الروحى الحديث له أصل هام هو بحث هذه الصلات وما يرتبط به بحثها، وما يشير إليه من دلالات، بأسلوب معمل وفلسفى فى آن واحد . فهو فى جوهره دراسة للروح بمعنى الجسد الأثيرى للإنسان فحسب ، لا بمعنى الشعلة القدسية التى هى مصدر الحياة والتى لم يزعم أى عالم أنه عرف حقيقة كنهها ، أو أنه أخضعها لسلطان العلم المادى ، على ما وضعناه بأسانيدنا فى عدة مناسبات^(٢) .

ولم يتغير فى الأمر شيء الآن سوى أن العلماء العصريين يستخدمون فى تحقيق الظواهر الوساطية وسائل آلية حديثة لم تكن معروفة من قبل ، مثل التحاليل الكيميائية ، وأجهزة التصوير العادية والتى تعمل بالأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء ، وبعض أجهزة كهربية وعادية للضبط والقياس والكتابة المباشرة ، بالإضافة إلى اتباع الأساليب الإحصائية والرياضية الحديثة لمعرفة ما يصح أن يعزى إلى المصادفة ، وما قد يفلت من قوانينها . وهذه الوسائل الآلية فى البحث والتحقيق هى كل الأمر الجديد فى الموضوع ، أما أسس البحث فهى نفسها باقية على حالها لم يتغير منها شيء البتة فعلام كل هذا الصخب والعويل باسم الاعتقاد ؟

وما يصدق على المعارض المتسرع باسم الإسلام يصدق - إلى نفس المدى - على المعارض باسم المسيحية ، وقد جاءت أقوال رسلها وآبائها صريحة

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٧٨ - ٨٦ .

(٢) راجع ما سبق فى الجزء الأول من ٩٥ ، ٩٦ ، ٣٠٤ .

وحاسمة أيضا في هذه المعاني ، وفي الدعوة الحارة المستمرة إلى العناية بالمواهب الروحية وتنميتها على ما بيناه في موضع سابق (١) .

ولا ريب أن رجال العقائد الذين بحثوا موضوعات العلم الروحي الحديث ، واقتنعوا بصحة نتائجها إنما أدركوا أيضا أن هذه الحقائق تقيم صلحا حقيقيا بين العلم والاعتقاد ، كما تقيم الصالح المأمول بين كافة الأجناس والأديان (٢) ... وذلك هو بالذات ما تمقته الجمالة والجلود ، وما ينبغي أن يقاوماه بكل ما يملك من أساليب العنف والعدوان .

كما أدركوا حتما أنهم عندما يقبلون على ضمايرهم أن تدافع عن نتائج كشفوا أطمئنا إلى صحتها إنما يثبتون بالإضافة إلى ما تقدم — بطريقة عملية — انتفاء التعارض بين العلم والاعتقاد ، فيحفظون للعقل قيمته وللحرية الفكرية — التي منها يستمد الإنسان جل عناصر وجوده وارتقائه — كل جلالها ، ويقدمون للناس حقائق علمية ودينية ضرورية للإنسان إلى أقصى ما يمكن للإدراك المستنير أن يصل إليه . وهي حقائق أحسن في وصفها الإمام الغزالي عندما لاحظ أنه بالرغم من وجود الروح في البدن فإن عليها أن تبحث عن المعرفة المتصلة بالله وعالم المسكوت . فأصلها من هناك ، وإذا أرادت أن تحيا الحياة التي تليق بها ، فإنها لا تستطيع أن تستقر أو يهدأ لها قرار إلا إذا عرفت ذلك الكون التي تنتمي إليه في جوهرها ... (٣)

ثم إنهم قبل كل اعتبار آخر يقيمون الإيمان المستنير عمده وأسبابه العلمية في نفوس الناس وضمائرهم ، لأنها أكثر اتساقا مع منطق العلوم المختلفة وكشفها الرائعة التي مهدت السبيل أمام الإنسانية في تطورها السريع للأمام ، فضلا عن التثامها مع روح العصر ... ومع ضرورة المعرفة بالله

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٦٥ — ٧٧ .

(٢) راجع ما سبق في هذا الجزء ص ٣٩٥ — ٤٢٢ .

(٣) عن كيمياء السعادة وهي مجموعة «الجواهر الغوالي للإمام الغزالي» القاهرة ١٩٣٤ ص ١٦ .

وبمحكم آثاره كما يكشف عنها العلم الحديث رويداً رويداً ، هذه المعرفة التي هي بذاتها عبادة حقيقية لله تعالى .

وفي هذا الشأن يقول الدكتور أحمد زكي : « فرق هائل بين أن يعبد الجاهل وأن يعبد العالم ... الجاهل الذي يعبد الله ، وهو لا يدري شيئاً عن الله وعن آثاره وعن محكم آثاره كما يكشف عنها العلم كاد أن يعبد الله كما يعبد الصنم ، لأن اقتناعه بقدرة الله وبعظمة الله في أسلوبه وفي منهجه وفي مقداره كمثل اقتناع عابد الوثن بوثنه . ينشأ عابد الوثن على ما نشأ أبواه . قيل له إنه قدير ، فأمن . وإنه يعطي الشر ويعطي الخير فأمن . وحفظاه ما يدفع به نغمته ويستدر نعمته فراح يتلو صباح مساء كالبغاة ... فهذه عبادة الجاهل . قل فيها ما تقول واعتذر عن أهل الجاهل بما تعتذر فلن يغير هذا من الواقع شيئاً .

وغير هذا عبادة العلماء . إن عبادة العلماء ليست عبادة لفظ فحسب وإنما هي عبادة فكر وعبادة تأمل . فهي عبادة فكر أولاً ثم لفظ ثانياً ، واللفظ أفرغ ما يكون إذا لم يملأه معنى ... ،

إلى أن يقول : « فذلك هو العلم الحديث ، علم هذا السكون بالذي فيه من مواد وتوى وظواهر جارية أو ساكنة لهذه المواد والقوى . وهو إلى اليوم أثبت قاعدة يستقر عليها اعتقاد وإيمان ، ما انفسحت تلك القاعدة للعقائد والإيمان ، وهي رقعة تنسح على مر الأيام ، فهي تنفسح غداً لما لم تكن تنفسح له اليوم . فهذا العلم هو سبيل المعرفة بالله . وهو السبيل الأول والأقوم وهو آخر سبيل يجوز أن ترتفع إليه رتبة . والباحث في العلم إذا استهدف ببحثه الكشف ، ولو بعض الكشف ، في بعض جوانب الله فهو أكبر عابد وأكرم قائم وراكم وساجد .

والقارىء للعلم يريد به استكناه حقيقة هذا القائم الأعظم على السكون ، والقائم فيه إنما يعبد الله على أسلوب هو في صنوف العبادات فوق الأساليب ، لأن العقل فيه يتحرك نحو الله عن علم ويمتلىء به قلبه عن معرفة ، ويمتزج

به عقلاً وقلباً ، وجامعهما النور ، والنور لا يكون منه إلا الصفاء ، كما أن الجمالة لا يكون منها إلا العكر ، ومع العكر الظلام ، (١).

نبوب

ودور العلم الروحي الحديث في توضيح رقعة الاعتقاد وتوسيعها وتثبيتها بوجه عام ، دور خطير ، متعدد الزوايا ، يتطلب كثيراً من الأناة في معالجته لفرط اتصاله بعد يد من جوانب الاعتقاد العزيزة على نفس كل إنسان ، وذلك يقتضينا أن نتعرض هنا لبعض موضوعاته موزعة على مباحث أربعة على النحو الآتي : —

المبحث الأول : بين أسلوب العلم والاعتقاد .

المبحث الثاني : بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم الروحي الحديث .

المبحث الثالث : تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ولا ينفيه .

المبحث الرابع : التوفيق ميسور بين الاعتقاد وتطور المعرفة .

المبحث الأول

بين أسلوب العلم والاعتقاد

هناك فارق جوهري ينبغي أن يلاحظ ابتداء بين أسلوب البحث العلمي وأسلوب البحث في الاعتقاد ، ذلك أن أولهما ينقد ، أما ثانيهما فهو يعتقد . فالأول لا يشعر بأن هناك أي قيد يقيد به من ناحية آراء الأولين أو المحدثين مالم يصمد على النقد . أما الثاني فهو يشعر أن الإيمان نفسه يفرض عليه مدى معيناً من التقيد بهذه الآراء السابقة ، فهو لا يحيد عنها أصلاً ، أو قد يحيد عنها ولكن في نطاق معين وإلى حد محدود . ومن ثم إذا فقد العلم قدرته على الانتقاد فقد في نفس الوقت علة وجوده ، وإذا فقدت العقيدة قدرتها على الاعتقاد فقدت هي الأخرى علة هذا الوجود .

ثم إن العقيدة غير مطالبة بالتعليل ، أما البحث العلمي فهو في جوهره

(١) عن مؤلفه « مع الله في السماء » ص ١٨ ، ٢٠٠ .

تعليل للأمور وتأصيل ، ولو كانت واضحة بسيطة لأول وهلة. وهذا التعليل بما يقتضيه من نقد ومن تحليل لكافة الآراء هو البوتقة التي تصهر شتى النظريات العلمية — وما أكثر تمارضها — على نار الحقيقة للتمييز بين الغث منها والثنين . فهي تكشف تدريجياً وفي مشقة بالغة عن حقائق الحياة كما يكشف «حق الدفاع» ، النقاب أمام القاضى عن الأخطاء والباطيل التي لو تركت على حالها لوجهت حكمه أسوأ توجيه ، ولنأت به حتماً عما يتوخاه من يقين .

فالامر الذى يميز العالم الحقيقى عن غيره هو هذه القدرة على النقد الذاتى المتحرر الموضوعى بغية الوصول إلى حقائق الحياة ، وبغير الارتباط مقدماً بوجهة نظر معينة فيها ، مالم تصمد لوسائل التحيص التي وصل إليها العلم فى آخر مراحله . وهذه القدرة أيضاً على أن يفرح — ولا يغضب — عندما يكتشف عيباً أو نقصاً حتى فى نظرياته الخاصة ، وآرائه التى درج عليها والتي كان يؤمن بها إيماناً تاماً فيما مضى ، مهما كبده الوصول إليها من عناء ، وكبده التنازل عنها من شجاعة التسليم العلى بالتراجع للعجز وللقصور .

فالعالم الذى لا يؤمن بتطور مستمر فى الحياة وعلومها ليس من العالم الحقيقى فى شيء . ومثله العالم الذى لا يعرف كيف ينسكب ذاته فى سبيل تحقيق هذا التطور والمساهمة فيه غير مبتغ جزاء من أحد ولا شكوراً ، وسواء أنجح فى ذلك أم فشل ، وكان نجاحه صغيراً أم كبيراً ..

ولما كان الامر كذلك وضع لماذا كان من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد ولم يكن من رسالة الاعتقاد أن يفسر العلم ، ولماذا توقف العلم عن التقدم عندما خضع فى وقت ما لوصاية الاعتقاد خضوعاً تاماً أو جزئياً ، وحصر نفسه فى دائرة من تفكير محدود الأفق لا يجد نفسه مطالباً بأى تأصيل لما قد يعلنه من حلول للمشكلات المختلفة ومن فهم لسنن الطبيعة ، إلا بما قاله الأولون ، متقيداً بنفس ما تقيدوا به من قيود ومن حدود .

وذلك مع أن النقد المتحرر هو — كما قلنا — السبيل الوحيد للوصول إلى حقائق الحياة وهدم أباطيلها ، حتى تلك التي قد تبدو للعقل في رقت ما معصومة أزلية . وهو حتى إذا بدا في بادئ الأمر أمراً غير مقبول ولا معقول ، فإنه سيصبح مع الوقت معقولا ومقبولا . وذلك لأن النقد الخاطيء يذهب جفاء ، ولأنه مهما كان خاطئاً قد لا يخلو من جانب من الصحة يكون له أثره المحتوم في تحرير العقل تدريجياً من آراء كثيرة قد يكون فيها من الخطأ مثلما في النقد الخاطيء ذاته ، وفيها من ضرر أكثر مما قد يكون في توجيه سهام نقد طائشة إليها .

فكم تعرض الاعتقاد — في كل مكان — لصور شتى من النقد المتحرر الخاطيء والصائب معاً ، وقد خرج الاعتقاد في النهاية سليماً في جوهره ، لأنه دعامة الانفعال السامي في الإنسان ، فلا يمكن أن ينتزع منه بالأقوال المليئة أو الجوفاء . بل لقد خرج الاعتقاد أقرب مما كان إلى لب الأمور ، وأوثق مما كان صلة بالله وبالمحبة وبإنكار الذات . وذلك بعد أن كاد يصبح محض تقليد ، ومحض لاهوت قادر على أن يفرق بين قلوب البشر على ضغينة ، أكثر مما يجمع بينها على صفاء .

فمن طريق النقد ، والنقد وحده — حتى ذلك الذي كان يبدو للبعض مفرضاً جائراً — عرف الاعتقاد كيف يشق طريقه إلى القلوب خالصاً نقياً من شوائب كثيرة ، وعرفت القلوب كيف تتحاول أن تعثر على الله بداخلها ، بل عرف الإنسان كيف يعثر على نفسه في الله ، وكيف يشق طريقه في حياة تستحق الحياة بكل ما فيها من متاعب ومن معاناة ...

والنقد هو سبيل المعرفة الصحيحة ، وهو الدفعة التي كانت وراء كل خطوة خطاها بنو الإنسان للأمام . بل هو وراء كل رسالة من رسالات السماء وصلت إلى بنى البشر كيما تثير — في رقعة من رقع هذا الكون أو في

أخرى - نزعة التقدم والارتقاء ، عن طريق النظر بعين النقد إلى أوضاع غير قوية كانت قد استقرت في أذهان بنينا على أنها معصومة أزلية !

ولذا قاوم بنو البشر هذه الرسائل بما وسعهم من وسائل ، وقاسى رسل السماء منهم ما قاسوه من صنوف الاضطهاد وألوان العذاب . ولو كانت رسالاتهم قد انجحت إلى تملق انفعالاتهم عن طريق الدفاع عن آثامهم وآرائهم ، لما قاومها واحد منهم ، ولما خطا بنو الإنسان خطوة تذكر في طريق تقدمهم وصلاح أمرهم .

فلننقد دوره إذا في ناموس الارتقاء ، ما دام له دوره حتى في رسائل السماء وفي كل رسالة لآي تقدم علمي أو اجتماعي . وهو دور لا ينكره إلا منطق التوقف ، إذا صح أن للتوقف منطقاً ما إلا أن يكون هو بعينه منطق تملق «حاضر» الجماهير ، وماضيها إن أمكن ، ثم أقوى انفعالاتها قاطبة وهو التعلق «بالتقاليد» واستنكار كل جديد !

وهذا «التوقف» يرتدى غالباً رداء خلاباً من الفلسفة أو العلم أو الاعتقاد ، وأيا كان رداؤه فهو عقبة كثود تعوق تقدم الحياة ، وذلك لأنه لا يملك وسيلة أخرى لتحقيق ما ربه سوى الأغلال يحاول أن يقيد بها عقول المفكرين ، بل عقول البشر أجمعين لو أمكنه ذلك ، ومعها أرقى النزعات إطلاقاً ، وهي نزعة الارتقاء إذا حاولت أن تجد لها متنفساً هنا أو هناك في رأى مجدد أو في تفكير غير مقلد . وبقدر ما يكون التفكير جامداً «متوقفاً» بقدر ما يكون حرص أصحابه على إنكار التوقف عندهم واستنكاره ، والزعيم بأنهم قد سبقوا عجلة الزمن في انطلاقها ، وفي سرعة تطويرها للقيم والمفاهيم ...

وما أضخم الأغلال التي قد تجيء من ناحية التوقف ، وما أقوى سلطانها على الضمير وعلى الشعور ، خصوصاً عندما يكون التوقف نابعاً في تقدير

أصحابه من هذه الغريزة التي بدأ العلم يكتشفها بعناء ، ويعطيها مكانها الجديرة به في دوافع الإنسان الغلابة ، وهي الغريزة الدينية التي يمكن تعريفها بأنها غريزة الإحساس غير الواعي بعالم الغيب ، والشعور بالارتباط به على وجه من الوجوه .

ومتى صح أن تمت عالماً مجهولاً من حواسنا المادية ، وبالتالي من عقلنا الواعي ، وأن هذا العالم يؤثر — إلى مدى أو إلى آخر — في مشاعرنا وفي أحداث حياتنا ، وأن بمقدورنا عن طريق الإلهام غير الواعي أن نسجل وجوده ، وأن نذعن أحياناً لبعض أوامره ونواهيه ، الصادرة عن بعض مصادر الوعي فيه ، فقد صح التسليم عندئذ بمدى عمق هذه الغريزة في حياة الإنسان وعظيم دورها في توجيه دفة حياته ، وبالتالي في توفير أسباب السعادة له ، ولكن — فحسب — بمقدار قدرتها على تحريره من ترهات التوقف ، ومن أغلال الشهوات ، وهو ما يتوقف في النهاية على موقفها من الروح وموقف الروح منها .

ومتى صح التسليم بذلك فقد صح أيضاً القول بأن من حق العقل الحكيم أن يصقل هذه الغريزة ، كما صقل غيرها من غرائز غير تاريخه الطويل فسمت به وسما بها ، بعد صراع معها طويل رهيب ، وبأن من حق العقل الحكيم أن يوجهها وجهة تعقل الأمور إلى آخر مدى ، حتى تنمو بالعقل وينمو بها العقل ، وتزدهر بها في النفس زهور المحبة والتسامح والتواضع ، وكل خلق كريم يخدم رسالة التطور والارتقاء ، بعد رسالة الجمود والانطواء .

وبالتالي فإن أية مبادئ قوية قد تجيء من هذا الجانب الغلاب في دوافع الإنسان تكون أقوى دفعاً وأعمق أثراً من أية مبادئ قد يتلقاها الإنسان عن سائر مصادر التفكير فيه أو الشعور . فلا ينبغي إذًا التهوين من شأن المبادئ الروحية التي ينبغي أن توجه شعور الإنسان نحو المحبة أو الكراهية ، ونحو التعقل أو الجمود ، ونحو الضمير أو الطقوس ، ونحو عبادة المبادئ

أو عبادة الأشخاص ونحو السلام أو الحرب ، ونحو التواضع أو التعالي ،
ونحو الخدمة أو التسلط ، ونحو إنكار الذات أو إنكار حقوق الآخرين .

وهذه المبادئ القويمة التي ينبغي أن تسيطر على اتجاهات الروح
هي في حقيقتها مبادئ الحياة كما ينبغي أن تكون لا كما هي كائنة بالفعل ،
في غرائز بني البشر وشهواتهم وانفعالاتهم . فإذا كان فهم العقل سليماً لها ، وعرف
كيف يرسم طريقه بينها ، لمساعدته ذلك أكبر مساعدة على تحقيق رسالة
تطوره وارتقائه التدريجي ، فيحسن العقل الحكيم عندئذ السيطرة على
تصرفاته وشهواته ، وهذه هي بعينها الجنة التي يبحث عنها ضمير الإنسان بغير
جدوى ، وطالما بحث عنها الفلاسفة والمصلحون في ضمير هذا الإنسان
بغير جدوى أيضاً !

أما إذا أساء الإنسان فهم مبادئ الحياة هذه ، أو أساء تطبيقها ، فقد
أعوزته هذه القوة الفعالة التي تمكن روحه من السيطرة على غرائزه
وانفعالاته ، وتساعده كيما يشق طريقه في صحراء الحياة مناخلاً
مخارفاً وأخطارها ، فيضيع جهده عبثاً ، ويوشك في كل خطوة أن يسقط
فريسة لاعتداده بذاته ، فإذا به يضرب بلا هدف مشروع ولا غاية صحيحة .

وخلال ذلك كله تبرز خطورة رسالة علم الروح ، الذي هو علم تعبيد
سبل الوصول إلى حقائق الأمور بعد أوهاماها ، ومحاولة استمكشاف بعض
مبادئ الحياة بعد عبادة الأشخاص التي هي مرآة لعبادة الذات ، وتبرز
بالتالي خطورة الحقيقة القائلة بأن من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد .

وهذه الحقيقة لم تبرز أهميتها في أي عصر قدر بروزها في العصر العلمي .
فعندما بدأت العلوم تفسر الاعتقاد بدأ الاعتقاد - في جميع أنحاء المعمورة -
يكتسب مع الوقت عمقاً ، وتأصيلاً ، وأسائيد جديدة للإيمان بالله وبالحياة
الأخرى ، وبمزايا الفضيلة في كافة صورها - وتحت أي شعار جاءت -
وبمساوىء الرذيلة في كافة صورها - وتحت أي ستار استترت .

بل اكتسب الاعتقاد أسانيد جديدة لثقة الإنسان بنفسه — في حاضره ومستقبله — فضلاً عن ثقته بأخيه الإنسان وبقدسية الأواصر التي لا تقصم بين البشر جميعاً من كافة الأديان والألوان ، وهي أسانيد هلمية لم يكن أحد يتصور من قبل إمكان الوصول إليها . وهكذا أصبح أقوى المدافعين عن هذا الإيمان المستنير هم العلماء العلميون على النحو الذى ضربنا له عدة أمثلة فيما سبق (١) .

ومن هنا — أيضاً — نشأ الإحساس القوى — فى كل المجتمعات — بالحاجة إلى رجل الدين العصري ذى الثقافة الكافية فى شتى مناحى المعرفة ، وبوجه خاص فى الفلسفة والفيزياء والروح والنفوس والاجتماع وغيرها ، حتى يكتسب عن طريق ثقافته قدرة على التفكير الموضوعى المتحرر ، ويصبح أقدر بالتالى على أداء رسالته الاجتماعية الهامة بعيداً عن شوائب الغموض أو الجحود .

وذلك إلى المدى الذى يلائم هذا العصر الذى نعيش فيه ، وهو عصر طابعه التطور السريع ، والتفكير الناقد ، ورغبة تعقل كافة الأمور على النحو الذى لن يحققه أمر قدر التوفيق بين العلم والاعتقاد ، بما يرضى عنه المنطق العلمى الناقد . ولعله لهذا السبب قال فولتير Voltaire إن « رجل الدين الغبى الجاهل يثير عدم تقديرنا ، ورجل الدين الرديء الشرير يولد الجزع فى نفوسنا . أما ذلك الناضج المتسامح البعيد عن الخرافات فهو الجدير بحبنا واحترامنا » .

* * *

وهذا الذى نذكره فى شأن الصلة بين الاعتقاد والعلم فى كافة صورته إنما يصدق — من باب أولى — على علم الروح الحديث . فهذا العلم يلعب

(١) راجع ما سبق ص ٣٥٩ — ٣٧٥ وما بعدها .

في توضيح أغلب جوانب الاعتقاد وتفسيرها دوراً لا يضارعه فيه أى علم آخر . كما يلعب نفس الدور في ربط الاعتقاد بحقائق العلوم الأخرى . وذلك لأنه يجعل من أمور كثيرة — كان ينظر إليها فيها مضى على أنها محض عقيدية ، أو محض لا هوتية — حقائق علمية ثابتة بتجارب حسية ، ويتعذر في نفس الوقت فصلها عن حقائق الفيزياء والفسيولوجيا والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة ، على ما يبينه آنفاً (١) .

فعلى من يريد أن يطرق هذا الباب الجديد للمعرفة أن يضع في الاعتبار أنه يقف إزاء بنيان علمي محض يخضع في وسائله ونتائجه معاً للأساليب العلمية المعروفة . فهو ليس قالباً جديداً لللاهوت قديم ، ولا صياغة ذات مظهر علمي لتعالق غامض بالغمييات ، كما قد يفهمه بعض الناس خطأ . وهو يتنافر تماماً مع سرعة التصديق أو سهولة الاقتناع بما قد يقال على ألسنة القائلين من سكان الأرض أو الأثير ، أياً كان شأنهم ، مالم يصمد أولاً لأساليب النقد الصارم الذي لا يرحم ولا يمالئ ، والنقاش العلمي المتحرر من كل قيد ظاهر أو مستتر .

وعليه أيضاً أن يضع في الاعتبار أن من رسالة العلم أن يفسر الاعتقاد ، وليس من رسالة الاعتقاد أن يفسر العلم ، ولا أن يخضعه لأية وصاية كتلك التي كان بعض المعتقدين — وما يزال — يحاول أن يفرضها على شتى العلوم ، بما في ذلك التشريع والفلك والفلسفة

وليتساءل كما تساءل لويل — العالم الفلاسكي — في هذا الصدد وهل يتعرض أى شيء من صنع الله لخطر إذا قدم للفحص ؟ وهل نظام الكون هو الذى ارتعد أمام منظار جاليليو أم نظام الكهنوت ؟ وهل وقفت دورة الفلك لأن نيوتن وضع إصبعه الجريئة على نبضه ؟ ، فما لم يحجب العالم على هذه الأسئلة سلباً وبغير ما تردد فقد خان رسالته العلمية وقبل أن يسلم عقله فريسة لطغيان

التقليد وجبروته — في أية عقيدة كان — فلا أفاد العقيدة ، ولا أفاد في المعرفة شيئاً . وذلك ينتقل بنا إلى الكلام في « بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم الروحي الحديث » .

المبحث الثاني

بعض جوانب الاعتقاد

في ضوء العلم الروحي الحديث

من حق القارىء أن يتسائل قائلاً: لكن ماهى الجوانب التى ألقى عليها علم الروح الحديث أضواء جديدة؟ والجواب أن عدداً من أهمها قد مرت بنا فى مناسبات مختلفة . وقد لمس القارىء بغير ما ريب مدى خطورتها واتساع نطاقها ، وكيف أن هذه الجوانب كانت غامضة فيما مضى ، لأن مسائل العلم كانت قليلة ووسائله قاصرة ، وجهوده فردية ، فشتان بينها وبين ما يملك العلم الحديث من وسائل عصرية ومن تعاون علمى منظم بين عدد كبير من العلماء والباحثين ، فى معاهد وهيئات تملك ما تحتاج إليه من معدات مطلوبة . وتملك قبل أى اعتبار آخر الأسلوب العلمى الناقد المثابر فى البحث والتجريب .

وكان نجاح العلم الروحي الحديث فى تبديد غموض هذه الجوانب فى شأن نواميس الخلود من أحسن العوامل التى بددت فى نفس الوقت شكوك الشاكين التى كادت أن تفتك بالقيم الخلقية والاجتماعية ، وأشبعتم أيضاً حاجة الإنسان الطبيعية إلى المزيد من المعرفة فى بعض جوانب الاعتقاد كلما تقدمت به معارفه فى غيرها ، وهذا حق له مشروع ، فهل فى ذلك ما يستدعى النقد أو المقاومة ؟

وكيما ندرك قيمة هذا القول لنمر الآن مروراً سريعاً على بعض الجوانب

الاعتقادية الغامضة التي كشف النقاب عنها علم الروح الحديث ، أو بالأقل عليها ألقى أضواء جديدة لم تكن معروفة من قبل .

أولاً : في شأنه موقع عالم الروح

فتلأ أين يقع عالم الروح ؟ هل كان بمقدور أى بحث نظرى أن يعطينا جواباً شافياً عنه، مع أن هذا الجواب لاغنى عنه لمن يبحث عن إيمان علمى مترابط بدوام الحياة بعد الموت ؟ أما علم الروح الحديث فقد وضع ذلك توضيحاً مؤسساً على حقائق الفيزياء والرياضة الحديثين، بما أسكت كل مكابر باسم العلم المادى عندما كان علم المادة في طفولة فهمه لها . وقد عالجتنا تفصيلاً موضوع موقع عالم الروح وظروف الحياة فيه في باب على حدة، بما يبين تماماً أية خدمة جليلة أداها هذا العلم للاعتقاد^(١) .

ثانياً : في شأنه ميعاد قيامة الأرواح

وحين اختلف البحوث النظرية في شأن ميعاد قيامة الأرواح وظروفها وطريقتها، إذ بالبحاث العمليين في الروح يثبتون أن هذه القيامة تكون في لحظة الوفاة ، بل وأثناء الاحتضار ، إذ هي ميلاد ثان هناك يتم بمجرد تمام انسلاخ الجسد الأثيرى - حاملاً شعلة العقل - من الجسد المادى . فهو أشبه ما يكون بميلاد فراشة جميلة وظيفتها أن تحلق في الفضاء بين الزهور عندما تنسلخ من جسم شرنقة قبيحة وظيفتها أن تزحف على التراب في الجحور .

وقد يحتاج المولود الجديد هناك إلى فترة كافية من الوقت كيما يسترد وعيه وذاكرته ، خصوصاً إذا كان الميلاد الثانى عقب شيخوخة طويلة أو عقب داء مؤثر في الذاكرة مثل بعض أدواء الدورة الدموية . فشباب العقل والروح يعود هناك إلى صاحبه تدريجياً بحسب الحالة والسن والظروف التي

حدثت فيها الوفاة . وقد عاجل علم الروح موضوع « لحظة الانتقال ، هذه إلى أدق تفاصيلها بأسلوب علمي مترابط ، حين نجد البحث النظري يعطينا في هذا الشأن إجابات متعارضة ، غير مترابطة ، هي أشبه ما تكون بالحلول الارتجالية التي يحاول أصحابها فرضها بغير مقدمات مقبولة . فأين هذا الأسلوب من ذلك في إقناع إنسان القرن الذي نعيش فيه ، وإرضاء منطقته العلمي الناقد ، وهو حق له مشروع ؟ ..

ثالثاً : في شأنه الصلة بين روح المتوفى وجسده

و حين كانت صلة الروح بالجسد بعد عملية الاحتضار غامضة فيما قبل ، إذ بالعلم الروحي يبين بالأسانيد العلمية أن هذه الصلة معدومة عند الإنسان الذي يعرف كيف يقطع صلته بهذا الجسد نهائياً فور تخليه عنه ، وينظر إليه على أنه مجرد رداء بال اقترضه من الأرض إلى حين ، وأصبح الآن ملكاً لأمه الأرض من جديد ، كما يساهم من جديد في بناء الحياة النباتية والحيوانية .

إن جسده الأثيري هو مركبته الوحيدة إلى عالم الروح في المنطقة التي يحددها له قانون التوافق الروحي طبقاً لاهتزاز هذا الجسد ، ولما ينبعث منه من ألوان تشبه ألوان الطيف الشمسي ، وهي التي تحدد بذاتها مدى رقي صاحبها العقلي والروحي وبالتالي مكانه هناك .

كما تبين أن بعض الذين ينتقلون إلى هناك معتقدين أن موضع الروح بعد الموت هو القبر قد يظنون بتأثير فكرتهم الخاطئة هذه ملازمين أجسادهم المادية إلى حين ، لأن العقل وحده هو سبيل الانتقال هناك ، فيقاسون من هذه الملازمة أهوالاً رهيباً بسبب رؤية أجسادهم أثناء تحللها . ولعله لتحاشي مثل هذا الخطر الحقيقي نشأت عادة حرق الجثث عند بعض الشعوب الآسيوية ، وعنهما انتقلت الآن إلى بعض شعوب أوروبية .

كما ذكر بعض الأرواح بعد انتقاله أنه كان يشعر برغبة ملحّة لمشاهدة

جشته أثناء تحملها ، وأن هذه الرغبة كثيراً ما آلمته إلى أن تمكن من التغلب عليها في النهاية . فالإنسان المستنير هو ذلك الذى يعرف كيف يقطع صلته بجسده المادى فور تخليه عنه ، لأن هذه الصلة في الواقع قد انقطعت نهائياً وإلى الأبد، ولأن الجسد الأثيرى صورة له طبق الأصل تغنى عنه، وهى أكثر اكتمالا وأقوى بنياناً وأبقى على الزمن .

رابعاً : فى شأنه أساليب الحياة هناك

وحين يسكت التفكير القديم عن إعطاء بيانات واضحة مترابطة عن طبيعة الحياة هناك ، إذ بهذا العلم الناشئ يقدم هذه البيانات إلى أبعد تفاصيلها وأدقها . فلا يوجد سؤال واحد يثيره ذهن الإنسان حول طبيعة هذه الحياة إلا ويجد المراجع الروحية حافلة بإجابات منطقية مترابطة عنه ، متفقة في كلياتها مهما تنوعت المراجع وتباينت لغاتها . وقد عاجلنا ذلك تفصيلاً فى فصل على حدة (١).

خامساً : فى شأنه الثواب والعقاب

وهل فى كتب البحث النظرى هذه البيانات المحددة الواضحة المترابطة التى تسود نوااميس الثواب والعقاب؟ والتى تربط ربطاً محتوماً بين المقدمات وتتأبجها بمقتضى قوانين طبيعية موضوعية عادلة إلى أقصى درجات العدالة؟ وهى قوانين تعرف كيف تعاقب بذاتها وتثيب بمقتضى رابطة السببية أو ارتباط العلة بالمعلول على نفس النحو المعروف فى علم النفس والأخلاق ، بل على نفس النحو الذى تعرفه قوانين الفيزياء والكيمياء والطب والفلك والبيولوجيا ... والتى اتفقت عليها أيضاً البحوث العلمية فى بلاد مختلفة وبلغات شتى على النحو الذى عرضنا له تفصيلاً فيما مضى (٢) .

(١) راجع ما سبق من ٦٥ - ٢٣٢ .

(٢) راجع ما سبق من ٢٣٣ - ٣٤٦ .

مادسا : في شأنه الصلوات بين عالمي الغيب والشهادة
وقد قام العلم الروحي الحديث أيضاً بدور هام في شأن إثبات وجود
صلات بين العالمين المنظور وغير المنظور ، أعظم مدى وأجل شأنًا بكثير
بما كان يتصور أي إنسان من قبل ، وفي شأن توضيح دررها في النهوض
بالإنسان ورفعته شأنه على مر العصور .

وتأثير العالم غير المنظور في العالم المنظور يقع في الجواهر من العقائد
المختلفة ، وتقوم كلها على أساس من التسليم به حقيقة واقعة ، لأن رسالات
السماء ليست أكثر من تعبير راق عن هذا التأثير عندما يجيء غزيراً
متدفقاً ، وعلى دفعات ، فيحدث أروع الأثر وأبقى في أخلاق الشعوب
واتجاهاتها النفسية والروحية ، وبالتالي في حضاراتها ومصائرهما . وهذا
التأثير يعترف به تماماً علم الروح ويوضح دوره الهام — المفرد في
أهميته — حين لا يوضحه ، وقد لا يعترف به ، أي بحث آخر يجري في نطاق
أي علم من علوم الحياة .

فعلم الروح أصبح يقوم على أساس من التسليم بوجود صلوات طبيعية
لا تتوقف ، وإن تفاوتت في مداها ونوعها ، بين عالمي البقاء والفناء ،
أو عالمي الغيب والشهادة ، أو دارى الحق والباطل . وهى صلوات
طبيعية لأنها لم تتوقف يوماً ، ولا يمكنها أن تتوقف ، بل هى لازمة
للحياة المادية في نشوئها واستمرارها وتقدمها . ولم يكن لعلم الروح
سوى فضل اكتشافها ودراستها على نمط علمي منظم ، والخروج منها
بدلالات بعيدة المدى . وتستوى في ذلك الصلوات الراقية مثل
صلات الحراسة والإرشاد والإلهام والعلاج ، والصلوات غير الراقية
مثل صلوات المس الروحي obsession والاستحواذ possession ،
وما قد يتسبب عن هذه وتلك من أمراض عصبية وجسدية ، وذلك فضلاً

عن صلوات الإرشاد غير الراقى ، وما قد يتسبب عنها من مأس ودماء .

سابعاً : فى شأنه طبيعة الزمان والمكان

وهل فى النظريات التقليدية شىء واضح عن طبيعة الزمان والمكان فى هذه المناطق ؟ إن العلم الروحى يجعل من هذا الموضوع الخطير باباً من أهم أبوابه ، ويقوم فيه فقهاً علياً مؤسساً على أحدث النظريات الرياضية فى البعد الرابع وفى النسبية ، ويبين كيف أن هذا العالم الروحى « زمكانى » منذ أول طبقاته . فهو ذو أبعاد أربعة ، وهى الطول والعرض والارتفاع والزمان . وهو لذلك يختلف فى طبيعته تماماً عن عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة فقط ، وهى الطول والعرض والارتفاع .

ولما كان عالم الروح ذا أبعاد أربعة ، فإن قوى إدراك الأرواح قد تكون رباعية الأبعاد أيضاً . وقد سلم بإمكان ذلك العلامة أينشتاين عندما قال « إذا كانت نظرتى فى النسبية عن السكون صحيحة فلا بد إذن من وجود قوى إدراك رباعية الأبعاد ، أى لا تعترف بفواصل المكان أو الزمان . وقد تعرضنا لذلك فيما سبق (١) .

ثامناً : فى شأنه النوم والارهاق

ومن الألفاظ التى يساهم العلم الروحى الحديث فى حلها لغز النوم ، وقد حار الأقدمون فى تعليقه وتعددت فيه النظريات وتضاربت . أما علم الروح فهو يقرر أن النوم عبارة عن مجرد ارتفاع فى اهتزاز الجسد الأثيرى كما يستريح إلى حين من الاهتزاز المنخفض المتغير لطبيعته ، والذى يفرضه عليه « التصاقه » بالجسد المادى فى ساعات اليقظة ، بما فى ذلك الارتباط المحتوم بين العقل والمخ فى هذه الساعات .

أما أثناء النوم فإنه بسبب اقتراب اهتزاز الجسد الأثيرى — إلى

حد ما - من اهتزاز عالم الروح فتترتب عدة نتائج منها: أن حكم حواس النائم على الزمان والمكان يصبح ، غائراً لحكمها أثناء اليقظة . ومنها احتمال الاتصال ببعض أرواح المنتقلين . ومنها احتمال حصول أحلام صادقة عن أحداث مستقبلية مستقلة عن هواجس العقل الباطن . وهوائف الرغبات المكبوتة .

وذلك لأن معنى المستقبل على مستوى معين من مستويات الوجود يختلف حتماً عن معناه على مستوى آخر . ولذا وصل أينشتين أيضاً إلى أن أحداث الحياة تتحقق في مستوى ما من الكون قبل أن تتحقق مادياً على المستوى الأرضي . بل لقد كان حاسماً فقرر أن هذه الأحداث موجودة في مكان ما من الكون وأنها تمر بها في الوقت المناسب ، ولذا شبه هذه الأحداث بمحطات القطار المعدة لاستقباله مقدماً قبل أن يغادر محطة القيام ، وكل ذلك بغير أن ينفي حرية الإرادة عند الإنسان ، بل في ضوء نظرية النسبية وحدها ، وبعد الربط بينها وبين نظرية « البعد الرابع » .

ثامناً : في شأن التفسير والتفسير

وذلك كله ينتقل بنا إلى كلمة عابرة في مشكلة قديمة واجهها علم الروح الحديث بأساليب أكثر عمقاً وتربطاً من أساليب الماضي ، وهي مشكلة تعيين مدى حرية الاختيار في الإنسان . وما ذكرناه عن نظرية أينشتين في شأن احتمال تحقق الأحداث مقدماً على مستوى معين من الوجود لا يتضمن نفيّاً محتوماً لإرادة الإنسان كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة . فحرية الاختيار في الإنسان قد وجهت « ماضيه » وتوجه أيضاً « حاضره » ، فهي ترسم بالتالي مقدماً خطوط قدره ومصيره التي لا نعلمها نحن ، ولكن يعلمها علام الغيوب . وذلك مع مراعاة أن ألفاظ الماضي والحاضر والمستقبل لا تحمل بذاتها أى معنى متميز في ناموس الطبيعة الأزلى ، مهما كان معناها واضحاً في إحساسنا النسبي بالزمان ، والمرتبط أيضاً بإحساسنا النسبي بالمكان .

أما ناموس الطبيعة العام فيحيا دراماً في إحساس بالحاضر الأزل
أو ما هو في حكم الحاضر بالنسبة لإحساسنا النسبي بالزمان . فإذا
ما قيل إن خطوط « المستقبل » مرسومة في كتاب الطبيعة الخالد ، وإذا
ثبت ذلك بمعادلات رياضية صحيحة ، فلا يعنى ذلك أكثر من إثبات
رابطة السببية ، أو ارتباط العلة بالمعلول بين الماضي والحاضر ، وبين
الحاضر والمستقبل عن طريق معادلات الرياضة ، بعد أن وصلت الفلسفة
إلى هذه الحقيقة ، عن طريق المنطق ، والحكمة عن طريق الإلهام ،
وعرفها الإنسان من قديم مرتبطة بمصير روحه الخالدة تحت وصف
قانون السببية ، أو الفعل ورد الفعل .

ولا يعنى ذلك أيضاً سوى إثبات أن الطبيعة تحيا دائماً في « حاضرها
الخالد » الذى يطوى بذاته صفحات ماضيتها ومستقبلها ، وكأنها في كتاب
مطبوع مقدماً ، ومعد لأن يفهمه العقل تدريجياً كلمة فكلمة جيلاً بعد جيل ،
فالطبيعة تحيا في حاضرها الخالد هذا كما تحيا في مكانها غير المحدود . وذلك
كله يقتضى أيضاً استبعاد فلسفة القدرية المطلقة Fatalisme ، التى ليس لها
الآن من سند علمي ولا رياضي ، لاستبقاء الاعتقاد بالمصير المرسوم
لمستقبلنا المرهون بأعمال حاضرننا ونواياه Detérminisme ، والذى لا يعنى
أكثر من أن مستقبلنا مصنوع بحاضرننا ، ومغروس بجذوره فيه كغرس
النبات في تربته التى يستمد منها أسباب النمو والازدهار ، أو أسباب
الذبول والانحيار .

حاضرننا قائم بذاته مرتبط بماضينا ، ولكنه في ذاته قابل للتعديل
والنمو والتطور ، بقدر ما نحسن استخدام حريتنا الراهنة في الاختيار ، في
كل لحظة وفي أى مكان من الطبيعة وجدنا .

وفي هذا الصدد قد يعرف رجل القانون للواقعة القانونية سبباً مباشراً ،

وسبباً - أو أكثر - غير مباشر ، كما قد يعرف لها سبباً ملائماً أو سبباً - أو أكثر - غير ملائم . فالحلول القانونية تقف حتماً في إسناد النتائج إلى أسبابها عند حد معين ، لأنه بغير هذا الوقوف يفقد القانون سبب وجوده في تيه من البحث عن الأسباب ، التي يعد البحث فيها أقرب إلى الفلسفة منه إلى القانون . والذي يؤدي حتماً إلى توزيع المسؤولية ، بل إلى القضاء عليها بنظريات من الإسناد قد يكون فيها من الفروض والتقديرات ما يعادل تلك التي يقوم عليها التشريع الوضعي في مجملته ، وربما ما يفوقها .

أما التشريع الطبيعي فلا يعرف سبباً مباشراً ، وآخر غير مباشر ، ولا سبباً ملائماً وآخر غير ملائم ، بل جميع الأسباب مسؤولة - في الطبيعة - عن النتيجة . ولكل سبب منها ميزان دقيق ومدى معين محسوب في سفر الحياة . فإذا ما أردنا تعديل نتائج الأحداث لمصلحتنا ، فعلينا أن نعدل أولاً مقدماتها في تصرفاتنا الحاضرة ، فنعدل بذلك أسبابها في عقولنا وضمائرنا . وذلك يتطلب منا ابتداء أن نحسن استخدام ضمائرنا في الحكم على المقدمات وتقدير نتائجها المستقبلية . . في غير أنانية ، وفي غير غلو ، بل في تواضع وروية وإنكار لذواتنا التي غالباً ما تحجب عنا بغلواحقائق الحياة ، كيما نقيم محلها أكداً من أوهام الغرور ، مضللة لتصرفاتنا الحاضرة ، ولضمائرنا في تقديرها لنتائجها المستقبلية .

وهذا النظر لفهم السببية - قانون الطبيعة العادل - يفسح مجالاً واسعاً لدور الإرادة في تسيير دفة حياتنا ، ويسلم بقدر واسع من حرية الاختيار في أمورنا ، كأفراد لنا استقلالنا ، وكأجزاء في مجموعة إنسانية - تحد من هذا الاستقلال إلى حد ما - وإن كانت تنمي فينا شعور التكافل الاجتماعي ، وفي نفس الوقت الإحساس بالاستقلال الكافي عن روح

الجماعة في أوهامها وأخطائها المترابطة بفعل غرائز القطيع (١) .

وإرادة الإنسان تعمل خلال القوانين الطبيعية ، وعن طريقها ، لأنها قانون من ضمن هذه القوانين ، يقع في الأساس منها ، فلا ينبغي التهور من شأنها ، ولا إلغاء دورها حتى عندما نقول إن الإرادة الإنسانية محكومة بالعقل ، وأن هذا العقل قاصر كأشد ما يكون الفصور في حكمه على كافة الأمور ، إلى حد أنه كثيراً ما يخلط بين الخير والشر ، وبين الصداقة والعداوة ، فيحب ما يضره ويكره ما ينفعه . فكل صواب في تعرف إرادة العقل الأعظم يولد حتماً نتائجاً القريبة والبعيدة ، الجسيمة والطفيفة ، وكذلك أيضاً كل خطأ له نتائج المحتومة .

وكثيراً ما تبدو لعقولنا القاصرة أحداث الحياة قاسية ظالمة ، أو مفككة غير مترابطة ، أو مباغته غير متوقعة ، لمجرد عجز عقولنا عن الإحاطة بكل نواميس الطبيعة ، وبكل أحداث الحياة في ماضيها وحاضرها . ولكن الأمر الوحيد الذي لا تعجز عقولنا عن فهمه وعن تصور صحته هو وجود نواميس طبيعية تحكم هذا السكون من أكبر أحداثه إلى أنفهامها : من ميلاد عبقرى إلى ميلاد فراشة ، ومن ازدهار حضارة إلى ازدهار زهرة ، ومن انتهاء دولة إلى موت نملة ، ومن انفجار بركان إلى اشتعال ثقب ، ومن اصطدام كوكب بآخر إلى اصطدام كرة بقدم طفل صغير !

وذلك لأنه إذا كانت هذه النواميس الطبيعية تحكم الكليات الكبرى فهي تحكم الجزئيات الصغرى أيضاً ، وإذا اضطربت الجزئيات الصغرى كان ذلك علامة لا تنقض على الفوضى وعلى أن زمام الحياة قد أفلت ، وأدى إلى خلل الكليات الكبرى فالوجود كله وحدة متناسقة محكومة بالعقل الأعظم . وخلال هذا العقل الأعظم وبواسطته تعمل عقولنا الضئيلة فتوجه

(١) راجع ما سبق في ص ٤٥٥ وما بعدها .

إرادتنا مختارة إلى الصواب مرة، وإلى الخطأ مرات ومرات . وكل خطأ سابق سيصلحه ألم لاحق ، وكل ألم لاحق نتيجة محتومة لخطأ سابق ، وهكذا في حياة لا تقبل الفناء، ولكن تقبل التردد بين السعادة والشقاء، وبين البهجة والعناء ، طبقاً لارتباط النتائج بالمقدمات . وذلك كله ينفي إمكان القول بصحة القدرية المطلقة كحقيقة طبيعية ، أو بها كذهب صالح لتفسير أحداث الحياة ، أو تبريرها من ناحيتي العدالة أو الأخلاق — في «ماضيها» أو في «حاضرها» على السواء .

ولا يبدو لنا مع ذلك أن ثمت تعارضاً محتوماً بين القدرية في مفهومها الصحيح وحرية الاختيار ، فالإنسان في حقيقة الأمر مسير بخير في وقت واحد، وفي لحظة واحدة فهو بخير بقدر ما يملكه من إرادة حرة ، وهو مسير بقدر ما هو محكوم بهذا القانون الذي لا يمكن أن يفلت منه وهو قانون السببية، أو ارتباط النتائج ارتباطاً محتوماً بمقدماتها، وبالتالي ارتباط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل .

فلا محل مطلقاً للقول بالتعارض بين التسيير — في معناه العلي — هذا — والتخيير، إلا إذا صح القول بالتعارض بين القطبين السالب والموجب، مع أن أحدهما يكمل الآخر، وكلا منهما لازم للآخر، واجتماعهما معاً لازم لأي نشاط كهربى، كما أن اجتماع التخيير والتسيير معاً لازم لأي نشاط إرادى في هذا الوجود، وأياً كان مصدر الإرادة بين القوى العاملة في هذا الكون ، وسواء أكانت تنتمي إلى عالم الشهادة أم إلى عالم الغيب . وسواء أكانت تنتمي إلى مستوى الإنسان فيه أم إلى مستوى أسنى منه أم أدنى .

والفصل بين دور التسيير ودور التخيير في هذا المستوى هو أمر من صنع مداركنا القاصرة فحسب ، تشعر به كما تشعر بانعزال الإحساس بالمسكان عن الإحساس بالزمان ، مع أنهما متداخلان معاً في حقائق الطبيعة، ولا يمكن بحال الفصل بينهما، حسبما انتهت إليه حقائق الرياضة في اهتدائها للبعد الرابع

الذى يمثل أسلوب الحياة في عالم الاثير ، وهو رباعى الابعاد كما سبق أن قلنا^(١) . ومثل ذلك يمكن أن يقال عن إحساسنا المنعزل بالمادة عن الفراغ ، مع أن المادة أصبحت تمثل الآن فراغاً أثرياً ، والفراغ الاثيرى أصبح يمثل مادة حقيقية^(٢) . ومثله يمكن أن يقال عن إحساسنا المنعزل بالحركة عن السكون مع أنهما متداخلان معاً ، وما يبدو لنا صلباً ساكناً كالمادة الصلبة متحرك في حقيقته ، في صورة أمواج . فاجتماع الزمان بالمسكان ، واجتماع السكون بالحركة ، لازم للحياة تماماً كاجتماع التسيير بالتخيير ، ولا محل للفصل بينهما ، ولا لأن نتصور أن بينهما تضارباً محتوماً ، فلا يثنى أيهما الآخر إذا ، بل يكمله ويتداخل فيه .

أما القول بالقدرية المطلقة Fatalisme فإنه فضلاً عن تعارضه مع وضوح دور الإرادة في الكثير من تصرفات الإنسان وضوحاً لا يحتاج إلى عناء في استظهاره وفي إثباته ، مهما تفاوتت الرأى في مداه ، فهو يبدو مذهباً غير عادل ولا خلقى متعارضاً تماماً مع ما نلنسه من قيام السكون على نواميس عادلة خلقية . هذا وقد قال في وصفه وليام جيمس بحق إله « يرى في العقل مزاجاً جبرياً ويجعل الكسالى أكثر خضوعاً وكسلاً ، كما يجعل الأقوياء أكثر ظهوراً وبطشاً »^(٣) .

وينفيه أيضاً بطريقة علمية — معملية — ما ثبت من أن العقل يمكنه أن يؤثر في المادة تأثيراً مباشراً ، ففقتضى ذلك بالضرورة أن العقل أسمى من المادة ، وبمقدوره أن يوجه أحداث المادة وما وراء المادة . خصوصاً متى تبين أن المنح نتاج للعقل ، وليس العقل نتاجاً للبخ ، على ما أشرنا إليه في عدة مناسبات سابقة^(٤) . فتيارات العقل الإنسانى توجه إذا توجيهاً

(١) راجع ما سبق في ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(٢) راجع ما سبق في ص ٢٩ — ٣٦ .

(٣) راجع الجزء الأول ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٣٥٢ — ٣٥٧ ، ٤٣٤ — ٤٤٠ .

تأماً عواطفنا وانفعالاتنا ، كيما ترسم لنا خطوط أحداثنا .
ومشاعر العقل الكوني العام إذاً بمثابة قوانين أزلية ترسم خطوط الحياة .
ومشاعرنا قوى دافعة لأحداث حياتنا السعيدة بقدر اتساقها مع هذه
القوانين الأزلية ، ولأحداث حياتنا الشقية بقدر انتفاء الاتساق . ومن ثم
كانت المشاعر والأفكار هي أئمن ما تعرفه الطبيعة من حقائق الوجود ، مادامت
هي القوى المحركة لأحداث الحياة خيرها وشرها معاً . وكان نقاء المشاعر
والأفكار هو أئمن ما ينبغي أن يتطلع إليه أى تعليم خلقى يستحق هذا
الاسم ، وأسمى ما ينبغي أن تصبو إليه الروح فى كل زمان ومكان . فشعور
السلام يولد سلاماً فى النفس وخارجها ، وشعور البغضاء يولد حرباً وشقاء
للنفس وخارجها ، أية كانت البواعث والأسباب . وفى كل ذلك ما ينقى
مذهب التسيير المطلق ويعزز حرية الاختيار فى نطاق التقيد بالاتساق مع
قوانين الحياة الأزلية ، التى تركت لنا حرية الزرع ، وعليه يتوقف نوع الحصاد .

هذا وقد قال بعض مفكرى الروحية إن القوة التى تحدد مصائرنا هي
قوة عقلنا الباطن غير الواعى . ومن هؤلاء موريس ماترلنك M.Maeterlinck
الذى يقول : « إنه ينبغي علينا أن نبحث فى حياتنا الباطنة ، الرجة ، التى
لا تنفذ ، والتى لا يسر غورها ، والمقدسة ، تفسير فرص السعادة والشقاء
التي نمر بها ، » (١) .

ومنهم الدكتور اللندى Allendy الذى يقول عن المصير الذى يوجه
حياتنا إن العامل الأهم كامن فى « روحيتنا ، الباطنة ، فمنها تنبع أعمق
توسلاتنا ، » (٢) .

وعلى هذه الآراء يلاحظ الأستاذ موريس ماجر M. Magre أن العقل الباطن أو غير الواعي ليس سوى عنصر واحد من عناصر مصائرنا، فيه يتمركز قانون الكارما (أى ارتباط النتائج بالمقدمات فى حيوات الروح المتعاقبة)، فهو يمثل خلاصة أعمالنا المتراكمة التى أضحت بمثابة اتجاهات تعد نفسها كما تصبح نتائج وأحداثاً^(١).

ثم يضيف قائلاً إن مصير الإنسان لا يتوقف تماماً على عقله الباطن، بل على الجزء الأسمى من وعيه، هذا الجزء الذى سيصبح يوماً على صلة بالله، والذى يتمثل فى قدرته الفطرية على التمييز، وعلى الحكم على الأمور، وعلى توقعها، وعلى اختيار سبيله. ولا ريب أن العقل الباطن عنصر من عناصر مصيره، ولكن قيمة هذا المصير تتوقف على ملكة سحق العقل الباطن، وتجاوزه، والتصرف رغماً عنه وعن ميوله المظلمة^(٢)...

وما يصفه الناس بالحظ، أو الشعور بأن قوانين الكون إنما تحبك وتنظم نفسها كما تحاييك، هو عبارة عن هبة مجنحة وتجاوب فى النغم مع هذه القوانين التى لا تحبك إلا لأنك تركتها تحملك. وهذه الهبة المجنحة، وهذا المعنى من التناسق قد صار شيئاً واحداً مع وعينا الأسمى. وللحظ صلة معينة بالعبقريّة الفنية، بل هو شقيق لها، لكنه بدلاً من أن يتفرغ لمطاردة الجمال، يرضيه أن يرشد الإنسان فى طريق الحياة، ويغمره بضوء مباغت سرعان ما ينطفىء.

وهذا الضوء المباغت هو مصيرنا، أو بالأدق هو القدر من مصيرنا الذى ينتمى إلينا خاصة، والذى خلقناه بأنفسنا. فنحن مقيدون بحسب لأننا نلتزم إلى أسرة إنسانية. ونحن نخضع لتأثيرات كوكبية لأننا نلتزم إلى نظام

Les Interventions Surnaturelles.

(١) فى وثائقه

(٢) فهو يظفر إلى العقل الباطن من زاوية أنه مقر الفرائز السقى ورواسب ماخينا السعيق وغلوائه.

(م ٣٨ — الإنسان روح: ج ٢)

كوني ، وعلينا أن نتحمل تحركاته العاطفية . ونحن مكيفون بماضيينا وبأنفسنا ، وبالنتيجة المتواضعة لجهودنا ، ومقودون بكل هذه القوى . نحن نشق سبيلنا أحياناً في ومضة من برق ، أو من قرار ، أو من صلاة ، أو من فكرة هي نحن أنفسنا ، وكل ذلك عبارة عن نتيجة لارتباطات ترجع إلى الماضي السحيق . فهل نجد في ذلك وعداً بحريتنا المستقبلية ؟ أو تحقيقاً مبدئياً لها ؟ وهل يمكن للإنسان أن يصف بالحرية نتائج أسباب متعددة كهذه ؟ وفي النهاية لا قيمة لذلك لأن خداع الحرية يساويها !

إن إنساناً ما قد عثر على الحظ - على غير توقع منه أو من غيره ، لأنه قد أطاع أمراً داخلياً أصدره إليه - على غير علم منه - وعيه الاسمى الذي صنع ما كان عليه أن يصنعه كما يكيف الأحداث في صالحه . فالحظ من صنعه غالباً ، ولكن ليس دائماً ، لأن الإنسان ليس بمفرده . حتى إن لم توجد هناك قوى تسهر عليه بعناية ، فمن الجائز مع ذلك أن يحظى بمساعدة قد يكون طلبها ، وقد يزجها إليه صديق غير منظور يرى خيرته . وتكون المساعدة عندئذ فعالة بقدر ما يكون الصديق سامياً في تدرج الكائنات . وأحسن الناس حظاً هو ذلك الذي يكون قد صنع في ماضيه أكثر عدد من الصداقات مع أسمى الأرواح^(١) .

* * *

وأياً كان مقدار الصواب في هذا الرأي أو في ذاك فهناك اتجاه واضح في جميع المدارس الروحية نحو رفض فلسفة القدرية المطلقة التي تفترض رسم خطوط حياتنا مقدماً ونهائياً بغير حساب لدور الإرادة والضمير . وكلها رسخ في الأذهان الاعتقاد بأزلية الحياة الإنسانية ، وبعدم انقطاعها . وبتعدد فرص الوجود هنا وهناك ، كلما اتسع مجال القول بالتخير وأصبح ذهن

(١) عن المرجع السابق ص ١٢٠ - ١٢٣ . وواضح أن المؤلف من أنصار نظرية العودة للتجسد . لأرضي reincarnation التي تكلمنا عنها فيما سبق في ص ٢٤٠ - ٢٥٠ .

المرة قادراً على قبول دور الإرادة والضمير وإيضاحاً قوياً، وبالتالي على تفسير الكثير من صروف الحياة ومفارقات الدهر، التي لا يمكن تفسيرها بغير هذا الإيمان العلى بامتداد الحياة، وبخضوعها لنواميس عادلة عطوفة تفسح المجال الأكبر لدور إرادة الإنسان وعقله الواعى وغير الواعى معاً فى رسم خطوط قدره ومصيره

فما لا يفسره ماضينا القريب قد يفسره ماضينا السحيق، وما لا يتحقق من نتائج - قد تبدو محتومة فى ناموس العدل والأخلاق - فى المستقبل القريب قد يتحقق فى المستقبل البعيد . وما قد تعجز عن تفسيره كلمات مبتورة قد لا تعجز عنه عدة مؤلفات إذا كانت تحيط بجوانب الموضوع كلها، وهيهات لكتاب الطبيعة أن تسقط منه كلمة واحدة قد لا تتسع عقولنا لأكثر منها فى أى مستوى كنا من مستويات الوجود .

عاشراً : فى شأنه مدى إمكانه التنبؤ بالمستقبل

وموضوع التفسير والتخيير وثيق صلة بموضوع مدى إمكان تنبؤ عقل الإنسان بأحداث المستقبل المؤسسة على أحداث الماضى أو الحاضر . وهذا موضوع وثيق صلة بدوره بمعنى الزمان والمكان فى حواسنا من ناحية، وفى ناموس الحياة من ناحية أخرى .

هذا وقد تعرضنا لهذا الموضوع فيما سبق من زاوية مدى علم الأرواح بالمستقبل ونفينا عنها - بصفة عامة - علم الغيب الذى لا يعليه إلا علام الغيوب، ولكن قلنا مع ذلك إن الأحداث المستقبلية قد تلقى ظلالها الباهتة بصورة ما قبل وقوعها، وأن هذه الظلال قد يراها بعض الأرواح أو بالأدق قد يشعر بها بصورة تتفاوت فى وضوحها، فيتوقع أموراً مستقبلية توقعاً قد يصح حيناً وقد يخطئ أحياناً . كما يحدث نفس الأمر على الكوكب الأرضى ولكن بأساليب مختلفة بطبيعة الحال . وكلما ازداد نضج الروح وحسن تقديرها

لأمور الحاضر، ومشاعره وانفعالاته - بوصفها أسباباً - كلما ازداد
فضجها وحسن توقعها لبعض أمور المستقبل بوصفها نتائج محتومة
لأمور الحاضر (١).

وما يصدق في ذلك على الأرواح في عالم الروح يصدق على البشر في عالم
المادة، فالقوانين المسيطرة على «التنبؤ بالمستقبل»، واحدة هنا وهناك،
حتى مع التسليم بأن الشعور بالزمان وبالمكان يختلف هناك عنه هنا، وبأن
حساسية الأرواح وملكانها الذهنية مرتفعة عما يقابلها - في المتوسط
العام - عند الأرضيين.

ذلك لأن إرادة الإنسان بالتالي ترسم له حدود حاضره ومستقبله معاً
لأن نفس الأسباب تولد نفس النتائج. وبالتالي فنحن إذا ما أحطنا
إحاطة تامة بكل عناصر الحاضر لأمكننا من الناحية النظرية وحدها
أن نعرف ولو بعض معرفة عناصر المستقبل، مادامت عدالة الله اقتضت
أن يكون مستقبلنا مرتبطاً بحاضرنا برابطة لا تنفصم هي رابطة السببية.
وبعبارة أخرى أرادت أن يكون مستقبلنا من صنع حاضرنا، كما أن
حاضرنا من صنع ماضينا.

لكن كيف تتأني عملياً هذه الإحاطة التامة بعناصر الحاضر؟ (٢) ...
هذه هي في حقيقتها كل مشكلة التنبؤ باحتمالات المستقبل في اليقظة عن
طريق العقل الواعي، وفي النوم أو الغيبوبة الوساوية أو المغناطيسية عن
طريق العقل الباطن، بعد إعطائه تعريفه الصحيح بوصفه عقل الإنسان الذي
يعمل عن غير طريق المنح، وبغير ارتباط محتوم به.

(١) راجع ما سبق في هذا الجزء ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) يقول الفيلسوف ابن سينا «لو أمكن لإنسان من الناس أن يعرف الحوادث التي
في الأرض والسماء جميعاً وطوائها، لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل».

فمن يطلع على البحوث الروحية يبدو له مفهوماً أمر الأحلام والرؤى الصادقة التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة ، وكذلك أمر الأحلام الصادقة التي تحدث كثيراً لعدد من الناس ، وتقف السيكولوجيا المادية إزاءها حائرة . فهي إما تنكرها رغم تواتر الروايات في شأنها ، وإما تسلم بها دون أن تهملها - سواء أكانت أحلاماً صريحة أم رمزية - وإما قد تعزوها إلى العقل الباطن دون أن تبين كيف يتأتى للعقل الباطن أن يرى المستقبل - في بعض الأحيان - مع أن من المسلم به بحسب هذه السيكولوجيا ذاتها أن كل ما ينزلق إلى العقل الباطن من مشاعر ومعلومات ينبغي أن ينزلق إليه عن طريق العقل الواعي ماراً به أولاً ، وهو ما لا يحدث في بعض الأحلام الصادقة .

فإذا أضيف إلى ما تقدم أن النوم قد يكون في بعض صورهِ غيبوبة وساطية ، أو طرحاً روحياً حقيقياً - بغير انفصام للجبل الأثيري الذي يصل ما بين الجسدين الأثيري والمادي - لتبين إلى أي مدى يفتح العلم الروحي الحديث في مجال النوم والأحلام والتنبؤات أبواباً جديدة للبحث والتحرى لا يدرك شيئاً منها المذهب المادي ، ولا يكفي فيها الوقوف عند ما ورد في بعض مراجع الأولين .

مادى عشر : في شأنه المعجزات والظواهر

كذلك نجح العلم الروحي الحديث في إثبات إمكان حدوث الكثير من المعجزات ، الموصوفة في الكتب المقدسة . فالعلم الروحي لا ينحو نحو العلم المادي من ناحية إنكار كل ظاهرة غير مألوفة يعجز الإدراك المادي عن تصورها أو عن تحليلها . بل إنه قد يسلم بصحة بعض الظواهر غير المألوفة أو غير العادية بشرط أن تصمد للاختبار الكافي ، ولوسائل التحقيق الدقيقة فهو في حقيقته دراسة معملية للظواهر غير المألوفة أو غير العادية بوجه عام ، أساسها هو عدم إنكارها مقدماً لمجرد العجز عن تحليلها تحليلًا مادياً .

وأساس هذه الدراسة هو التسليم بوجود قوى الإدراك رباعية الأبعاد كما قلنا ، أى قد يمتد نطاقها إلى الطول والعرض والارتفاع والزمان في وقت واحد وتجمع بينهما ، فلا تعترف هذه القوى بالتالى بفراصل الزمان أو المكان في عقل الإنسان وحواسه^(١).

والكتب المقدسة تفيض بوصف ظواهر غير مألوفة وغير عادية . بل لا نغالى إذا قلنا إن شتى أنواع الظواهر الروحية موصوفة فيها مثل التجسد ، والطرح بالروح وبالجسد ، والمجلوبات والمأخوذات ، والشفاء المعجز ، والتنبؤات الصحيحة ، والرؤى الرمزية والحرفية ، والجلاء البصرى والسمعى ، والإلهام ، وتأثير العقل المباشر فى المادة ، والصوت المباشر ، وتحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ، وغيرها من الظواهر التى سجلها الباحثون الروحيون فى كل مكان ، والتى أصبحت تجمعها الآن أصول مترابطة ، وتربطها مقدمات ونتائج متشابهة . وقد عني بإيراد هذه الحقيقة نخبه من العلماء والباحثين تحت لواء العلم والاعتقاد معاً ، ممن وجدوا فى العلم الروحى الحديث وسيلة علمية لتوضيح الحقائق العقيدية ، وتقريبها على أسس علمية عصرية يمكن أن تتقبلها عقول السكافة^(٢).

ثاني عشر : فى شأنه مشكلات فلسفية متنوعة

أخيراً - وليس آخراً - لا ينبغي أن يفوتنا أن علم الروح الحديث ، عند ما يخدم قضية الإيمان بالله وبالخلود ويقيم لها عمداً علمية إنما يخدم فى نفس الوقت ونفس الأسباب الاعتقاد الدينى . كما أنه عندما يلتقى أضواء جديدة

(١) بل إنه فى التنويم المغناطيسى توجد درجة - أو أكثر - فيها لا يتحدد إدراك النوم بالزمان ولا بالمكان ويفقد من قام بتنويمه سيطرته عليه تماماً ، وهذه الدرجة ثبت عند غالبية علماء التنويم المغناطيسى أن الإنسان وجوداً روحياً قائماً بذاته ، أو بالأدق أنه عبارة عن روح ترتدى جسداً خارجياً . ولا يرفض هذا الرأى الآن سوى جانب ضئيل من العلماء لاتهمهم المادى المزمع .

(٢) راجع طائفة من أسماء من قاموا بهذه الرسالة فى الجزء الأول ص ٢٦٢ - ٢٦٨ ، ٢٩٩ - ٣٠٨ وهامش ص ٥٦٨ من الجزء الثانى .

على مشكلات فلسفية كثيرة مثل طبيعة الناموس الخلقى، ومثل حقيقة الضمير، ومثل توضيح مغزى رسالة الألم والموت، إنما يخدم نفس هذا الهدف أيضاً. وكذلك عندما يعالج مشكلة التقريب بين المذاهب والعقائد، ودراسة مدى التفسير والتخيير، وغير ذلك من المشكلات المشتركة بين العقيدة والفلسفة، أو بالأدق ذات الزوايا العقيدية والأخرى الفلسفية ...

فإن علم الروح الحديث يلقي بغير ما ريب أضواء جديدة على هذه الزوايا وتلك معاً على نطاق واسع، وإلى المدى الذى لا ينكره إلا من تعود الحرب من مواجهة الأمور خشية أن تدفعه المواجهة إلى شيء من الجهد فى تفهم أخطر حقائق الحياة، أو إلى قدر من التطور فى فهم بعض أصول الاعتقاد، وذلك ينتقل بنا إلى الكلام فى تبيان الرسالة الصحيحة لهذا التطور.

المبحث الثالث

تطور المعرفة يثبت جهول الاعتقاد ولا ينفيه

بينما فى المبحث السابق كيف كان هذا العلم الروحى الوليد مصدر أضواء جديدة على بعض جوانب الاعتقاد، وفى نفس الوقت كان بمثابة دعوة صريحة لإقامة فقه من الإيمان الموضوعى المترابط الذى ينبغى أن تندمج فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء، فلا يعتبران باين للمعرفة منفصلين، بل باباً واحداً، ما دام العلم والاعتقاد معاً هما عبارة عن البحث فى قوانين الله تعالى، وهو واحد لا يتعدد بتعدد نواحي البحث والاستقصاء فى سنته وأحكامه لتفهمها على أصولها الصحيحة، تستوى فى ذلك نواحي البحث فى المادة والطاقة، مع نواحي البحث فى النفس والخلق والروح.

كما بينا خلال البابين السابقين كيف نجح هذا العلم الحديث فى ربط الاعتقاد الدينى برابط لا ينفصم بأوليات العلوم المسلم بها. تستوى فى ذلك أوليات الفيزياء مع الرياضيات مع البيولوجيا مع السيكلولوجيا مع غيرها ..

وذلك بعد أن كان التفكير الديني محدوداً في القرنين الماضيين تفكيراً غير على في أصوله وتفصيله في بعض البيئات العلمية بالأقل .

أما الآن فقد صمدت الأصول العقيدية - والله الحمد - على النقد العلمي وتبين أن التفكير الديني يمكن أن يصبح في جوهره تفكيراً علمياً إذا عرف كيف يتطور - ولو قليلاً - مع تطور المعرفة العلمية - خصوصاً منها المعرفة الروحية - ويتفهم البنيان السماوي في العقائد على نحوه الصحيح . ثم - وهذا هو الأهم - إذا عرف كيف يميزه عن البنيان الإنساني الذي كاد أن يبتلع كل ما عداه ويخفي كل رونقه وبهاءه . فلا ضير إذاً في تعقل العقيدة ولو أدى التعقل إلى مقدار من التطور في فهمنا لها ، ما دام التطور في المعرفة هو سبيل الارتقاء ، بل هو سبيل البقاء في وجود يتنازع البقاء حتماً ، وهذه هي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

عن تطور الاعتقاد

وفي هذا الشأن يلاحظ الفيلسوف وليام جيمس « بأن تاريخ الأديان خير شاهد على التطور ، فيحدثنا بأن كثيراً من الفروض الدينية التي لم تنجح في التطبيق على الحياة العملية قد اندحر عندما واجه المعارف الكونية الرحيبة ، وصار بعد ذلك في حيز النسيان ، في حين أن بعضاً آخر منها احتفظ بكيانه على طول الأيام ، ولم يزد من الأيام إلا جدة وحيوية على الرغم من كل ما لاقى من محن وشدائد . ومهمة علم الأديان أن يبين لنا بإخلاص تلك الفروض التي عاشت وتحدثت الشدائد ... »

« ولا ضير على رجل العلم وعلى مهمته العلمية من الجدل الديني في عصره ، ما دام هناك شيء من الحرية الفكرية ومن العدل والإنصاف ... لذلك وجب على رجل العلم أن يرحب بكل أنواع الجدل الديني . ما دام أن بعض الفروض الدينية قد يكون حقاً ، وأما إذا لم يعترف بهذا القدر فلا كلام معه لأنه يكون بعيداً عن الروح العلمية كذلك ... »

ثم يقول جيمس : « إن أهم الأشياء وأعلاها قيمة للإنسان والأمم وللصور هو مثلها العليا وعقائدها الدينية، ولو كان فيها مقدار كبير من الغلو والإفراط . لأن كل ما كان هنالك فيها من غلو ، نتيجة لفعل بعض الأفراد أو للتطور في بعض العصور ، قد عوض عنه في الجملة وعلى مر الأيام فأصبح في النهاية في صالح النوع الإنساني . لذلك لا يكاد يوجد خلاف بين العلماء في القول بأن الأديان لعبت دوراً مهماً في النهوض بحياة الإنسانية جمعاء » (١) .

وبحسب مذهب جيمس البراجماتيكي - أي المستمد من التجريب الواقعي - تعد ثمرة العقيدة معيار صدقها ... « ونظرتنا إلى الدين ومسائله ينبغي ألا تختلف عن نظرتنا إلى العلوم ومسائلها في شيء ، فكما أن العلوم تبدأ بالفروض التي ترجحها الميول النفسية ثم نختبرها عملياً ، فكذا ينبغي أن يكون الشأن بالنسبة للدين وسائر الاعتقاد، فيبدأ بالفروض ثم بالاختبار العملي لها ... » (٢) .

كما يتحدث الفيلسوف الإيطالي بنديتو كروشي في الفصل الأخير من كتابه عن «مسالك الحياة» قائلاً عن العصر الذي نعيش فيه «لأنه يتهم بهدم الديانات التي أصابت فيها الحياة الإنسانية منطقها وآداب سلوكها ومواطن استقرارها وآمالها . إلا أنها تهمة لا ثبات لها، لأن عصرنا بهذا الذي صنعه قد صنع شيئاً لا قبل له باجتنابه . إذ لم يكن هنالك بد من تساقط بعض الجوانب القيمة من البنية القديمة في خلال تعرية الديانات من جلايب الأساطير .

وفي هذه الجوانب أفكار نفيسة وفضائل لا يسهل تقويمها بما كان متصلاً بالقضايا الأسطورية . ولكن عصرنا قد بادر إلى استخلاص هذه الأفكار والفضائل ووضعها في المكان اللائق بها ، بعد صقلها وتنظيفها وإثباتها في أركان صرح جديد هو أرسنخ وأنبل وأقوى من صرحها المهدوم .

(٢، ١) عن « العقل والدين » وهو السفر الثاني من « إرادة الاعتقاد » ترجمة الدكتور محمود حب الله ص ١٧٧ - ١٧٩ .

ولأنه لفخر عظيم لجيلنا هذا أن يفتح في تأسيس ديانة إنسانية وعقيدة مصفاة تبرز من محض الفكر الصراح ، ولكنه فكر تتجسم فيه الحياة أو يسخر بالجديد من الحياة ، (١) .

وفي نفس هذا الاتجاه يقول الحكيم الهندي يوجي راشارا كما أيضاً : إن من يدرس الديانات يدرك من غير شك أن فكرة الإنسان عن الله تنمو مع الزمن ، فهي يزيد أفقها اتساعاً وتصبح أرق حاشية وأخطر قدراً وأكثر رحمة عاماً بعد عام حتى وقتنا هذا ، اذ امتازت السنوات العشرون الأخيرة بتغير خطير في هذه الناحية ، فلم نعد نسمع بأن الله يحرق صغار الأطفال في نار أبدية ، وازداد ترديد ذكر محبة الله ورحمته بدل الحديث عن نقمته وكرهيته للبشر لأنهم يخطئون . وبدأ التعليم يتجه نحو حب الله بدل الخوف من بطشه .

وهذا التحول يسير حثيثاً نحو أمور خير مما عهدنا ، ولكن يجب ألا ننسى أن كل طريقة من طرق العبادة ، وكل نخلة ، وكل مذهب أياً كان ما يبدو على تعاليمه من البدائية ، لها مكانها في التطور الديني للبشرية ، وأن كلا منها يناسب المؤمنين به ، وعلى هذا فيجب أن يقابل بالاحترام .

وكما تقدم إدراك المؤمنين وارتفع عن مستوى نوع معين من تعاليم دينهم أسقط أئمة ذلك الدين من تلك التعاليم ما لم يعد يتناسب مع حال المؤمنين حتى تستقيم الأمور .

إن الأئمة عادة سباقون لما حوّن يرون ما لا يمتد إليه بصر رعيّتهم ونابعيهم ، فهم أبعد منهم نظراً ، ولكنهم ينتظرون الوقت المناسب لإدخال التعديل بالتدريج ، وأن أشد الديانات محافظة واستمساكاً بقديم شرائعها تبدو في نظر السلف من أئمتها بدعاً لما أدخل عليها ، بل جحوداً وكفراً . إن المذاهب والديانات تتطور فيسقط عنها من المعتقدات والتعاليم ما رث وبلى ، وظهرت للناس عيوبه ، لتحل محلها أخرى يستسيغها الناس ويتقبلونها بقبول حسن .

(١) عن كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٨٠ .

ومع ذلك تتمسك هذه المذاهب والديانات رغم ما يطرأ عليها من التغيير بأسمائها القديمة . مثلها كمثل قصة مدينة الصبي التي تحطم نصلها مرة بعد مرة فركب لها في كل مرة نصلاً جديداً ، ثم تحطم مقبضها مرة بعد مرة فغير لها المقبض في كل مرة ، ومع ذلك فإن صاحبها يعتبرها نفس مديتها القديمة... (١)

* * *

وعلم الروح الحديث ليس بعقيدة ولا بمذهب في عقيدة ، بل إن رسالته الأساسية - شأن بقية العلوم والمعارف - هي توضيح العقائد الدينية ودفعها قدماً في طريق التطور ، هذه العقائد التي هي بحسب تعبير وليام جيمس « أهم الأشياء وأعلىها قيمة للشعوب » ، بجانب مثلها العليا . كما هي أيضاً واستخلاص الأفكار النفسية والفضائل ووضعها في المكان اللائق بها ، على حد تعبير بنديتو كروش .

وذلك يجرى في نطاق الرغبة المشروعة عند الإنسان المستنير للملاءمة بين العلم والعقيدة أياً كان هذا العلم وهذه العقيدة . ومع مراعاة أن المعضلات التي تتضمنها محاولة إيجاد ملاءمة بين الدين والعلم تشابه كثيراً في الإسلام والمسيحية ، على ما لاحظته الدكتور ميلر باروز Miller Burrows الأستاذ بجامعة ييل ، الذي استطرده قائلاً : ومع أن الحواجز القومية قد تفصل بين بعض العلماء وبعضهم الآخر فالعلم نفسه لا يقبل تجزئة مثل هذه ، إذ أن دنيا العلم واحدة ، وإذا كانت دياناتنا مختلفة فالله واحد ، (٢) .

فالله واحد - مطلق ومجرد - وفواميسه تعالى ثابتة - مطلقة أيضاً ومجردة - لا تتغير مهما تغير فهم الناس إياها ، ومهما تشابهت أو تفاوتت في فهمها الفلسفات والآراء ، حتى بين أولئك المعتنقين مذهباً واحداً من عقيدة واحدة ،

(١) عن « فلسفة البوجا » المرحم السابق ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

(٢) Some Suggestions Concerning The Relation Between Religion And Science In Islam.

أو بين أولئك المعتنقين مذاهب شتى من عقائد شتى ... أليس ذلك واضحاً بذاته الواضح الذى يغنى عن كل برهان وبيان ؟ .

ودور علم الروح الحديث بالتالى هو أنه سبيل إلى فهم هذه النواميس المطلقة المجردة، وتنمية المعارف الإنسانية فى شأنها ، وبالتالى سبيل إلى تأكيد جلال العقائد وإبراز رونقها على مر العصور والأجيال، مهما لحق فهم بعض جوانبها من تطور . وشأن البحث فى الروح شأن أى بحث علمى آخر ، لأنه لا يمثل عقيدة جديدة ، ولا هو صياغة حديثة لفقه قديم على أى وجه من الوجوه .

المبحث الرابع

التوفيق مبسور بين الاعتراف وبين تطور المعرفة

سبق أن قلنا إن التطور فى فهم العقيدة قد يحىء عن طريق البحث فى الروح كما قد يحىء عن طريق البحث فى أى جانب من العلوم والمعارف . تستوى فى ذلك علوم الحياة مع علوم المادة غير الحية وعلى نفس المستوى، واستناداً إلى نفس الأسلوب والأسباب ، لأن العقيدة تمثل جزءاً من ضمير الإنسان وإدراكه ، وهما إذا استضاءا بأسلوب البحث العلمى فلا يمكن أن يقبلا الاستضاءة به فى جانب دون آخر ، أو فى رقعة من الضمير دون أخرى ، وهذه خصلة إنسانية حميدة لا حيلة لأحد فيها ، ولا وجه مصلحة فى مقاومتها .

وإذا كان هذا القول صحيحاً فى شأن علوم المادة ، فهو صحيح من باب أولى فى شأن الروح وهى علم العلوم . فلم تبدأ دراسة الروح على نهج علمى إلا عندما عرف العقل سبيله إلى دراسة الظواهر الوسائطية ، التى اصطلاح العلماء ، حتى منتصف القرن الماضى على إهمالها إهمالاً تاماً ، أو على إنكارها بغير بحث ولا دراسة ، وهى نفس خطئة بعض العلماء ، السطحيين

حتى الآن . أما قبل هذا التاريخ فلم يكن الكلام في الروح أكثر من رجم بالغيب في الكثير من جوانبه ، إن أصاب صاحبه مرة فقد أخطأ مرات ومرات .

فإذا أضيف إلى ذلك دور العقل الختمى في الخضوع للخيال الواسع ، خصوصاً فيما لا يمكن أن يخضع لحواسه العادية من أمور ، وما لا يمكن أن يخضع للتفكير غير العلى من قوانين عميقة تحكم هذا الكون مفرطة في عمقها وفي إطلاقها ، وإذا أضيف إليه أيضاً دور العقل الختمى في الخضوع لانفعالات الساعة ، ولروح الجماعة ، ولا اعتبارات الزمان والمكان ، لوضح جلياً أن الحلول غير العلية في موضوع الروح لا تتضمن من صواب إلا بقدر ما في أمثال هذه الحلول من صواب في موضوعات الطب أو الكيمياء أو الفيزياء أو غيرها ، قبل أن تعرف طرائق الاختبار الناقدة ، ومعها أساليب التحليل العلى المتأنى ، الذى مهد - وحده - السبيل لكل الكشف الخطيرة التى ينعم بها الإنسان .

بل إن البحث في الروح يتعثر بعوامل للعتار تتجاوز بكثير العوامل التى يتعرض لها البحث في كافة علوم الحياة والمادة غير الحية ، فهو حتى إن جرى بطريقة موضوعية متحررة - وهو في ذاته أمر من الصعوبة بمكان - فإنه للوصول إلى نتائج يصح وصفها بأنها جدية بالاعتبار يتطلب فضلاً عن التجرد التام ، والأفق الواسع ، والعاطفة النامية ، والخلق الناضج ، إلماً كافياً صحيحاً بأهم مبادئ فروع كثيرة من علوم شتى .

ولهذه الاعتبارات مجتمعة جاء بحث موضوع الروح على أسلوب على متأخراً في الترتيب الزمنى بالمقارنة مع سائر علوم الحضارة المعاصرة . أما في الحضارات القديمة فيبدو أنها قد بدأت به ، وتكاد تكون قد انتهت به أيضاً ، مكثفة بما وصلت إليه فيه على نحو أو على آخر من معرفة محدودة

مرتبطة وثيق ارتباط بمعارف أصحابها المحدودة ، وبتطورهم في العقل وفي الأخلاق .

وكل ذلك يوضح تماماً أية رسالة جليلة أداها - وسيؤديها حتماً للإنسانية جمعاء - البحث في الروح على نهج موضوعي ناقد ، ولوضح تماماً أننا عندما ننكر دور هذه الرسالة إنما ننأى عن الحقائق الناصعة ، وندافع عن الأخطاء لمجرد أنها قد تتعلق فينا الآنانية ، وهي أقوى الدوافع إلى العثار . بل إننا إذ نفعل ذلك إنما ننكر سلطان العقل في التحقيق والاستنباط ، ضارين على غير هدى ، في دروب مقفرة ، لغير حكمة مشروعة ، فنفقد طريقنا إلى تيه لا نخرج منه ، حين يعدو غيرنا عدواً سريعاً نحو هدف واضح وغاية مشروعة .

كما ننكر في نفس الوقت دور التطور ورسائله السامية ، متناسين أنه قانون إلهي ، بغيره تفقد الحياة حكمته ومغزاها . ومتجاهلين أن كل حضارة توقفت عن التقدم كتب عليها أن تفسح المجال لغيرها من حضارات . وما الحضارات سوى نتاج عقولنا ، والتعبير الخارجي لعواطفنا ومشاعرنا . فإذا نما العقل نمت حضارته وكتب لها الازدهار والتفوق ، وإذا توقف العقل عن النمو توقفت الحضارة بدورها ثم تلاشت هباء منثوراً ، لأن عقارب الساعة لا ترجع للوراء في أزلية الحياة ، كما أرادها لها من أبدعها ، وقدر لها أن تسير متطورة في غير ما توقف ، ولا تراجع .

من صفات الماضي

ودراسة أية حضارة مندثرة تليء عن صحة هذه الحقيقة الرهيبة ، وهي أن التوقف معناه الاندثار أية كانت دواعيه في الأخلاق أو العقول . فقد تفانى الفراعنة مثلاً في عبادة وآلهتهم ، واستغرقوا فيها استغراقاً

تماماً ، ولكنهم استغرقوا بنفس المقدار في عبادة أنفسهم أيضاً .
وبسبب الاستغراق الأول وصلوا إلى حقائق هامة كثيرة عن الروح
والثواب والعقاب ، حتى وإن كانت تكتشفها من كل جانب الخرافات
والأساطير . كما وصلوا إلى مبادئ كثيرة صحيحة عن الخلق والفضيلة ،
حتى وإن أعوزها بسبب الاستغراق الثاني كثير من الإخلاص في التطبيق .
وذلك حتى لقد اختفت في حياتهم — أو كادت — كل الصور الواضحة
للتضحية النبيلة أو إنكار الذات ، فاختفت معها في حياتهم — أو كادت —
جل مصادر السعادة الحقيقية للروح .

ووقفت معلوماتهم عن الخلود وعالم الخلود عند حد محدود ، فلم
يعرفوا شيئاً يذكر عن حقائق العقل والمادة والآثير ، ولا عن معنى الحياة
العقلية التي يوفرها تأثير العقل في الآثير ، وبالتالي تأثيره المباشر في كافة
مظاهر الوجود التي من حوله ، حتى تلك التي قد تبدو للحواس مادية صلبة .
ولم يعرفوا معنى الجسد الآثيري ، وعدم حاجة الروح في مستواها الجديد
لجسدها الزاوي ، وإن كانت كل الدلائل تشير إلى أن وسطاءهم كانوا
يرون الأرواح متجسدة وغير متجسدة ، وكانوا ينصتون إليها عن طريق
وساطة الاستشفاف السمعي ، وربما أيضاً عن طريق وساطة الصوت
المباشر .

وقد تصور الفراعنة بسبب ضآلة معلوماتهم في العقل وفي المادة وفي
الآثير ، أن أجساد الأرواح هي نفس أجسادها المادية ، ولهم في ذلك بعض
الغدر ، لأنها — كما قلنا في مناسبة سابقة — صورة طبق الأصل منها ،
ومن هنا جاء اهتمامهم المفرط بتحنيط جثثهم حتى تعود إليها ، السكا ،
أو الروح فتستخدمها من جديد على نحو غامض مجهول حتى منهم (١) ،

(١) حتى يبدو اعتقاد الفراعنة في هذا الشأن أشبه ما يكون بمن يعتقد حتى الآن بقياة
نفس الأجساد الترابية الموق في يوم ما .

ومن هنا اهتموا أيضاً بتشديد قبورهم بمنأى عن عوامل التحلل والفناء ،
وبزويدها بالآثاث الجنائزى الذى ستحتاج إليه الروح حتماً فى عالم الخلد
بعد رحلتها إلى أيدوس — حيث دفنت رأس أوزيريس Osiris ، وبعد
اجتيازها بسلام فى المركب المقدسة لمناطق مخوفة بالآهوال، وذلك فى حراسة
موكب من الأرواح الحارسة التى كانوا يعبرون عنها بالآلهة . وتنوعت
من ثم آلهتهم ورسموها فى صور آدمية وحيوانية شتى ، للتعبير عن أسماؤها
الرمزية ، التى كان بعض الأرواح ينتحلها — فيما يبدو — حتى لا تكشف
عن شخصيتها شأن بعض أرواح اليوم .

وبسبب الاستغراق فى العبادة قضى الفراغة جل حياتهم فى إعداد
مدافنهم ومعابدهم الجنائزية ، فلم يستعدوا للبوت عن طريق البر والحنان،
بقدر ما استعدوا له عن طريق إرهاب رعاياهم وأسراهم فى عمل شاق فى بناء
المدافن والمعابد — لراحة فيه ولاسند له من منطق صحيح ، وإن كانت
أسانيد كثيرة فى منطق الاعتقاد الخاطى والمعرفة المشوهة المبتورة .

ونحن إذ نقرر ذلك لا ننفي عنهم مطلقاً فضل حضارتهم الباهرة —
حتى فى شئون الاعتقاد بالإضافة إلى فنون العمارة والنحت والطب والحرب —
ولكن كل شىء نسبي ، ويكفيهم فى هذا الشأن أن حضارتهم فى هذه الأمور
قد برزت كل حضارة أخرى سابقة لها أو لاحقة عليها، إلى أن ظهرت حضارة
الإغريق . ويكفيهم ما كانوا عليه من ارتقاء فى وقت كان جل العالم من
حولهم يغط فى نوم عميق وجهالة مطلقة . ويكفيهم أن تفوقهم الضخم فى
البناء والنحت، وذوقهم الفنى الرفيع فى الرسم والنقش، أمور لا تزال تخلب
ألباب المتحضرين حتى الآن ، وكذلك إقبالهم الشديد على الحياة ، وعلى
العبادة ، وتعلقهم المفرط بالخلود وبالعالم المجهول .

وقد يقال إن العاملين فى بناء المدافن والمعابد الفرعونية كانوا مقبلين
على عملهم الشاق — فى أتعس الظروف — عن طيب خاطر لإحساسهم

بإرضاء آلهتهم عن هذا السبيل ، فلم يكن عملهم محض سخرة وإرغام كما تصور هيرودوت خطأ . وهذا القول في الدفاع عنهم فيه جانب قوى من الصحة، ويشير إلى صحته ما بذله العاملون من قدرة فنية غارقة للعادة ، ولكنه إن دل على أمر فعلى مدى قوة هذه الغريزة الدينية، وكيف أنها عميقة في الإنسان، قادرة على أن تجعله يصنع المعجزات وقت اللزوم؛ وكيف أنها قادرة أيضاً على أن تصنع من المتعبد إما فرعوناً قاسياً لا يرحم ، وإما عبداً سعيداً بالعبودية والهوان، وذلك إلا إذا شاء له مستوى تطوره أن يرتفع بالتدين من مستوى الغريزة إلى مستوى العقل الناضج ، والعاطفة النامية في الإنسان .

فلم يكن الفراعنة يعوزهم التدين إذاً ، بل لقد كان تدينهم عميقاً إلى آخر مدى ولكن التدين مع نقص المعرفة أو الفضيلة قد يكون شراً من كل صور الإلحاد ! وقد يصنع من الأنانية إلهاً أنانياً، بل موكباً كاملاً من آلهة تعوزها المعرفة والفضيلة ، كتلك الآلهة التي عرفها أيضاً الروم والرومان في أزهي أيام حضارتهم . ومثل ذلك يمكن أن يقال أيضاً عن التدين مع التوقف أو عنه مع الجود ، فإنه يصنع أيضاً آلهة متوقفة جامدة ، لا تعي ولا تسمع حتى توسلات العابدين مهما توسلوا إليهما في حرارة وفي إيمان ! ! ألا ما أعظم العبر التي يمكن أن يعتبر بها العاقل لو نقب قليلاً في صفحات الماضي الحافلة بالعبر في كل زمان ومكان ! ...

نحو حياة أغزر وأغمى

وهكذا جمدت في النهاية عقائد الفراعنة وتوقفت ، فتوقفت معها وبها حضارتهم الباهرة عن المسير ، فبدأ التدهور السريع الذي أطمع فيهم الغزاة والفتاحين ، لنفس الأسباب التي أطمعتهم من قبل في غزو جيرانهم من النوبيين والحيتيين والآشوريين وغيرهم ، وهكذا قامت حضارة بعد حضارة ، واندثرت شتى الحضارات الواحدة بعد الأخرى .

وفي نهاية المطاف أصبح من رسالة الموكب الإنساني أن يتطور بصورة

أوضح نحو تحقيق أوفى لمشاعر أكثر رقة نحو الضعيف والمحروم ، وأكثر تقديرًا لمعاني العدالة والتضحية والتضامن الاجتماعي ، بعد الإفراط في الشعور بالذات وبالآلهة ، والاستغراق في عبادة هذه وتلك معاً . ونحوفهم أصبح لصفات إله المحبة والرحمة بعد آلهة الحروب والذباح .

وأصبح من رسالة الموكب الإنساني أن يتطور بوجه يكاد أن يكتسح ما عداه نحو تمجيد « الفكرة الصائبة » بعد « العزيمة الماضية » ، وبذلك دخل الإنسان تدريجياً في عصور الفلسفة ، والإلهام الراقى ، والكشوف العلمية الرائعة في مجالات المادة وما وراء المادة ، والروح وما وراء الروح ، فبدأ الإنسان يعرف نفسه ويعرف طريقه إلى معرفة نفسه في عزم وفي ثبات ، وإن كان في تردد وفي اضطراب بين ما قد يبدو للعقل أنه حكم المنطق ، وما قد يبدو له أنه حكم الاعتقاد .

وهذه هي الاتجاهات التي تسير فيها حشود البشر تدريجياً ، ويبطء شديد متحدية النسكسة بعد الأخرى ، ولكن هدف التطور واضح ، وطريقه خطته عناية عاقلة وسط الزوابع والأعاصير ، عناية عظمى تقف وراء هذا التطور باذلة ما وسعت نحو تحقيقه للوصول بالإنسان - في حدود طاقته - إلى الغاية النبيلة المعد لها منذ الأزل ، عن طريق إرادة حكيمة من عند عزيز قدير .

وقوى التطور تتصارع مع قوى الجمود والتخلف صراعاً لا يتوقف على هذا المستوى ، وعلى غيره من عوالم المادة وما وراء المادة ، ومن بينها هذا السوكب الذي اتخذته بنو البشر موطناً مؤقتاً لهم . وكأنه منقوش على لوحة القدر بحروف من نور ومن نار ، هذا الشعار الحق الذي ينبغي أن يهيم على موكب الإنسان باستمرار : وهو « نحو حياة أغزر وأعمق » ، ونحو إدراك للحياة أرحب وأصدق .

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق قد يجرى من جانب العلم ،

كما قد يحىء بنفس المقدار من جانب الاعتقاد ، لو عرف البشر أن التوفيق بين جوهر هذا وذاك ليس مستحيلا ، كما يتصور خطأ المتطرفون من « العلبين » ، ومعهم المتطرفون من « المعتقدين » . ومع التطرف لا يصح رأى يستحق الذكر في علم ولا في اعتقاد ، لأن التطرف يؤدي حتماً إلى إهدار الجوهر لحساب المظهر ، والمعنى لحساب اللفظ ، والمعرفة لحساب الأشكال والحركات ، والتقدم لحساب الاعتداد بالرأى وبالذات .

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق يحىء أيضاً من جانب الإيمان المدرّوس بقيمة العلم والاعتقاد معاً في توجيه الروح في رحلتها الطويلة عبر الأبدية . وفي هذا الشأن يقول الأستاذ مصطفى السكيك « فليس من شك في أن حياة الإنسان في عالم المادة وحياته في العالم الآخر حلقتان متصلتان في سلسلة الأبد . ويشبه هذا الاتصال ارتباط الجنين في بطن أمه بحياته الدنيوية التي ينتقل إليها بعد أن يكون أهد لها إعداداً كاملاً . وكما يعد الجنين وهو في بطن أمه إعداداً صالحاً لمواجهة الحياة على الأرض فإن الإنسان يعد في عالم المادة بتحصيل العلم إعداداً صالحاً لمواجهة مشكلات حياته في العالم الآخر . ومعنى ذلك أن مكانة الإنسان في الحياة الثانية متوائمة مع مقدار ما يكسبه لنفسه من العلم وهو على الأرض .

« أما إذا انتقل جاهلاً قليل الحظ من المعرفة فلم يعمل بكل جهده على تحقيق رسالة الحياة فإنه يكون في العالم الآخر أشبه بالجنين المسخ الذي يولد مشوهاً ، أو بالجنين الذي لم يكتمل تكوينه ، وفي الحالتين ينكره أهله وينكره الناس ، ثم هو بعد ذلك ينكر نفسه . ثم يستشهد المؤلف بالآية الكريمة « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » (١) .

كيفية التوفيق

والتوفيق بين جوهر العلم والاعتقاد بوجه عام يمكن أن يتحقق بسهولة

(١) عن مؤلفه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » . ١٩٦٥ م ١٢٨ .

لو فهم العقل الحديث معنى التشبيهات الجميلة في النصوص، والاستعارات والكنائيات والمجازات الرائعة الكثيرة التي حاول بعض «المعتقدين» أن يعطيها دلالات مادية ومفاهيم حرفية. وذلك في حدود ما كان يمكن لعقله أن يدركه من حقائق هذا الكون الهائل ولضميره أن يعيه من أمور ضئيلة القدر محدودة المدى.

ولذا ورد في الحديث الشريف «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم» (١)، فن لا يفعل ذلك إنما يحرج في الماء بل في الهواء! والرسالات لا تعبث، ولا يعبت من بعدها فلاسفتها ومفسروها، لأنهم لو خاطبوا الناس على «غير عقولهم» لاتهموا بالعبث، ولما نجحوا في محاولة توجيه ضمايرهم إلى الإيمان ولا توجيه أخلاقهم إلى الفضيلة.

والإقرار بهذه الحقيقة الواضحة بذاتها أنسب بغير ما يرب لجلال الاعتقاد وأدعى للاجتهاد، وبالتالي للتطور العلمي، من القول بأن البنيان الإنساني يعادل السماوى في مستواه من ناحيتى القوة والعصمة، هذا القول الذى هو سند الحرفيين - من كل عقيدة - وسنادهم سواء أقروا به، أم لم يقرؤا، وإن تركوا ضمايرهم تنصرف على مقتضاه، وتوجههم على هواه فى كل اتجاه إلا اتجاه المنطق المتناسك، والاعتقاد المؤمن بحرية البحث العلمى، التى ليس لها بدورها من سند ولا من سناد إلا حرية الفكرة والحكمة بغير ما قيد ولا تحفظ.

ثم أليست العصمة لله وحده؟.. فلماذا يدعونا التقليد لأن نضفى العصمة أحيانا على كل كلمة قيلت تحت راية الاعتقاد وباسم سلطانه العتيد على النفوس؟ ولأن ننحو نحو الجماهير الصاخبة عندما تستهويها العبارات البراقة التى تتملق مشاعرها وانفعالاتها، أكثر مما يستهويها الإدراك الصحيح لحقائق الأمور، وعندما تنفر من التفكير الهادى. قدر نفورها من الاعتدال والتزوى.

(١) عن «المقاصد الحسنة» للسفاوى ص ٩٣.

وذلك يتعارض - بغير ماريب - مع جلال الاعتقاد ودوره المحتوم في دفع عجلة التطور إلى الأمام ، وفي تلطيف الغرائز والانفعالات الصاخبة صيانة للإنسان في قدره ومصيره ، لا دفعاً به إلى هاوية الحروب والاحتقاد أو الجود والاستبداد ، وكلاهما نتيجة محتومة لانفصال الاعتقاد عن العلم والعلم عن الاعتقاد .

والعقائد تكتسب جلالها أول ما تكتسبه من عقول المعتقدين ، وهذه من حق العلوم والمعارف الثابتة أن توجهها وتضيء جوانبها . كما ترتبط أيضاً بمقدار ما في نفوسهم من فضيلة أو رذيلة . فالإنسان الغردي يعتقد ، غروراً حين يعتقد ، الإنسان الطيب طيبة وسلاماً ، مع أنهما قد ينتميان إلى مذهب واحد من عقيدة واحدة ... فهل نعتقد ، في عصر المعرفة هذا علماً وعرفاناً أم توقفاً وجوداً ؟ . . .

وإذا كانت مدارك الإنسان متطورة بتطور المعرفة ، وفضائله متطورة أيضاً بتطور القيم والأقيسة الاجتماعية ، وينمو العلاقات بين الأفراد والشعوب ، فلا يمكن أن يحمّد فهم الإنسان لسكل جوانب العقيدة عند مستوى ثابت لا يتطور من الإدراك والفضيلة ، وإلا نأت هذه الجوانب عن إدراكه وعن فضائله معاً ، وهذا هو الإنكار لها بعينه .

أر بالآدق هذه هي مراوغة الإنسان المستنير لنفسه التي لا تمنحه نعمة الإيمان المستنير ، ولا نعمة إعمال العقل كما تعود في أخص شئونه وأنبل مشاعره ، فإذا هو في النهاية موزع العقل والضمير تحت وطأة الوقوف عند فهم معين للأمور ، وعند آراء كثيرة قد يضي عليها التوقف - وربما عن شعور غير واع - عصمة لا تختلف في شيء يذكر عن العصمة التي يسلم بها العقل الحكيم لله ، والله تعالى وحده .

بين الموت والتوقف !

وهذه العصمة التي يسلم بها العقل الحكيم لله تعالى وحده مستفادة من

أن حقائق الحياة الأزلية لا تقبل التبديل ولا التغيير ، وإنما هي عقولنا ، وإلهاماتنا ، وأخلاقنا ، ومشاعرنا التي تقبل التبديل والتغيير ، إذا أردنا الارتقاء وسعينا إليه . وهي بذاتها تمثل مسالكنا الوحيدة إلى حقائق الحياة الأزلية ، ولذا تبدو لنا هذه متطورة ، وما التطور إلا في تطور مسالكنا إليها . فإذا ارتقت هذه المسالك فقد ارتقت معها حقائق الحياة ، كيفما كانت الحياة وفي أى مستوى وجدت .

أما إذا تدهورت المسالك في رقعة مامن السكون فقد تدهورت الحياة وسط موكب رائع من النشاط والحركة يحيط بهامن كل جانب ، فإذا بهذه الرقعة تصبح عبئاً ثقيلاً على موكب الحياة ، فيما عرفت كيف تتخلص من تدهورها وإما عرفت الحياة كيف تنحيا جانباً كيما يسير الموكب ظافراً في طريقه ، إلى أن يقدر لهذه الرقعة نشاط بعد خمول ، ولشمس المعرفة فيها شروق بعد أفول .

ولا يكون النشاط بعد الخمول أمراً هيناً ولا عاجلاً ، بل مصحوباً دائماً بالمأسى وبالأحوال ، التي تجيء من ناحية الحماقة لا من ناحية الحكمة ، ومن ناحية الشطط لا من ناحية الاعتدال ، ورغم ذلك تسير الحياة في تقدمها على الدوام ، لأن إرادة الله أرادت أن يجيء تطور الحياة ظافراً في النهاية ومن كل جانب ، حتى من جانب أخطاء الحماقة والاندفاع عندما ترتطم بإرادة التعقل والاعتدال ، أو من جانب الطموح الكاذب عندما يصطدم بحقائق الحياة . وهكذا يجيء الخير من الشر رغماً عنه ، ويتحقق — في النهاية — النهوض والارتقاء ولو في أعقاب دهر مليء بالجموح والأخطاء .

وذلك لأن مسير القافلة — ولو مع الخطأ المتراكم — خير من الرقاد بلا خطأ ولا صواب ، وخير من الاثنين معاً المسير مع كثير من الحكمة وقليل من الحماقة ، هذه الحكمة التي هي أثمن ما ينبغي أن يصبو إليه الإنسان ، لأنها تمثل ذروة اجتماع العقل مع الإلهام ، ونمو الشعور مع الأخلاق ، وهي أمور كلها لا تنبع من التوقف بل من مواصلة السكد والعناء . ولكن بعد أن

يضع الإنسان قدمه في طريق الاستقامة والنقاء ، وبعد أن يعرف كيف يفكر لغيره بعد طول تفكير لنفسه وفي نفسه ! ...

* * *

فالتوقف إذا هو الموت الوحيد للروح الخالدة بطبيعتها ، والتي لا تعرف موتاً غيره ، لأن الإنسان خلق نامياً ساعياً بفطرته للتزود — إلى ما لا نهاية — بحقائق الحياة ، لا بأوهامها . وهذه الحقائق لن تصل إليه إلا إذا وصل هو إليها بفضل نموه في الإدراك وفي العاطفة .

والروح هي الهيكل المقدس للعقل ، كما أن العقل هو المستودع الأمين للعاطفة . والعقل والعاطفة هما القطبان السالب والموجب لحياة الروح . لأنه عن طريق تعقل الأمور — فحسب — تزود الروح بما يلزمها من إلهام ومن عرفان ، وعن طريق العاطفة النقية تشع الروح بما تزودته ضوءاً يرسم اتجاه الطريق — الصحيح — لمن حولها من بني الإنسان .

فكل حصار على نمو العقل والعاطفة إنما هو حرب باغية معلنة على الروح في صلاتها بالعقل الأعظم ، وفي اتجاهها الطبيعي إليه ، وفي روابطها المشروعة بعقول الآخرين . وعن طريق هذه الصلة وتلك الروابط عندما تكون واسعة الأفق ، متخطية السدود ، متحررة من حواجز الضيق والتزمت ، تزدهر حياة الروح في العقل النامي وفي العاطفة النقية . فإذا بها تفكر لغيرها بعد التفكير لنفسها ، وتتجه للمحبة بعد الاتجاه للسيطرة ، وإذا بها تخلق في السماء بعد رقاد بغيض في ظلمة ظلماء ...

وهكذا تنطلق الحياة من إسمار قبرها الوحيد ، وهكذا يصبح للوجود هدف غير هدف إزكاء الغرور والأحقاد ، وغير عبادة الذات واللذات ، ومغزى أسى بكثير من مغزاها الباهت المتداعى ، بل المحزن الأليم في الرقاد والخنول .

وإذا تأملت في معارف إنسان هذا الجيل - وما سبقه من أجيال - بما فيها الطب والفلك والأخلاق والاجتماع والنفوس والتشريع - لوجدتها كلها وقد تعثرت في مبدئها بأوهام «اعتقادية، ضخمة، ووقفت عند حواجز كادت أن تطفى جذوتها للأبد حتى قبل أن تشتعل ، لولا لطف الله بالبشر .

فلما بلغت المعارف ذروتها في الاشتغال اتضح أنها هي بنفسها المشاغل التي تضيء طريق الإيمان النقي المستنير للإنسان ، وليس فيها شيء البتة من النار التي كان يخشى «المتعبد» لهيبتها ويتصور آراءه «المعصومة، لها وقوداً ، بسبب هوائف الضعف أو الخوف الغريزي في النفس من كل أمر ليس في الحسبان .

كما اتضح أنها مشاغل حقيقية للفضيلة وللمحبة وللتواضع ، وأنها تمثل - للروح المتطورة المتلهفة على التزود بالحقائق - الحياة بعد الموت لا الموت بعد الحياة . أو بالأدق تمثل حياة التحرر والانطلاق بعد موت العبودية والاختناق . ولا يحىء الانطلاق بغتة ، ولا يمكن أن يتحمل مسؤوليته كل إنسان ، لأن مسؤوليات الحرية عظمى تتطلب نضجاً في العاطفة ، وشجاعة في الرأي ، وتقديراً سليماً للأمر . وهي تفوق كثيراً مسؤوليات العبودية التي لا تتطلب من صاحبها إلا الطاعة والإذعان ، ومعهما الرقاد والتوقف !

فهل هناك مبرر للتوقف ، ولأن تتصور وجود تعارض بين العلم والاعتقاد؟ نعم إن هذا التعارض سد وسياج منيع لا يمكن اجتيازه في أذهان الحرفيين - من كل عقيدة - وضمايرهم . لكنه سراب لا وجود له - ليس عند الفلاسفة والعلماء وقادة الفكر فحسب ، بل أيضاً عند الإنسان المثقف العادي متى سمح لضياء المعرفة الصحيحة أن يضيء سبيل عليه وعقيدته معاً . فالعلم عند هؤلاء وهؤلاء هو خادم العقيدة الأمين، والمشعل الذي يضيء

سبيل المعتقدين ... فلم التردد أو الوجل، بعد إذ فتح على مصراعيه أوسع باب للرجاء والأمل ١٤ ...

«حقائق الحياة» كما يراها فنندلاي

ولعل خير ما نختتم به الفصل الحالي عن «الروح بين العلم والاعتقاد» هو هذا المقال الضافي عن «حقائق الحياة» الذي استعرض فيه الأستاذ جيمس آرثر فنندلاي J. A. Findlay (١) - مدير المعهد الدولي للبحث الروحي، حتى انتقاله في سنة ١٩٦٤ - وجهة نظر العلم الروحي في إقامة دعائم إيمان مشيد على العلم والتجريب، بخلود الروح رغم فناء الجسد، تقدمه للقارىء عن مجموعة اتجاه الروح الحديثة نحو فلسفة الإيمان، التي اعتبرت فنندلاي أحد أعلام هذا الاتجاه الحديث، وفيه يقول في سطور مليئة بالطمأنينة والعزاء، مفعمة بأسباب السرور والرجاء، وتستحق كثيراً من الأناة في قراءتها والتأمل فيها، ولكن - مع ذلك - بغير ارتباط منا بكل ما فيها من اتجاهات.

«وسط بلبلة العقائد في هذا العصر الذي يتسم بانحلال الإيمان، علام نعتد؟ فكثير مما تعليناه على أنه حقائق مؤكدة نجده، في عصرنا هذا الذي اتسعت معارفه، خطأ يجب تنحيته جانباً. وماذا يتبقى لنا بعد ذلك؟ إن كل شيء له قيمة باقية، وأما الزبد فيذهب هباءً، لذا ينبغي أن نلقيه بعيداً. وكل آمنيات الروح يمكن تحقيقها الآن لا بالإيمان والأمل، بل بالمعرفة... إن أسلافنا، لتقديرهم أن على هذه الأرض يتساوى سلطان الحياة والموت، استلجوا معتقداتهم من الظواهر الطبيعية حولهم، فقالوا إنه مثلما تغرب الشمس لتشرق ثانية، ومثلما يموت النبات لكي يحيا ثانية، هكذا الإنسانية يجب أن تتبع نفس هذا النهج الطبيعي، ومن ثم فإن الموت ما هو إلا عتبة لحياة أخرى.

(١) راجع ما سبق عنه في الجزء الأول من ٢٤٧، ٢٤٨.

وحول هذه العقيدة البديهيّة العامة بأن الموت ليس نهاية الحياة ، نشأت طقوس — بعضها بدائي وقاس — ما لبثت أن أصبحت ديانة لممارسيها . وبملاحظة قوى الطبيعة ، قرر أسلافنا أن هناك قوة أو ذكاء في الطبيعة ، أى خارج قواهم هم . وهكذا تطور ، بطريقة بسيطة ، الاعتقاد بأن ألواناً مستقلة مختلفة من الذكاء تسيطر على العالم .

وكانت آلهتهم بصورة رجالهم ، وقساة مثلهم ، ولكنهم أقوى منهم وأشجع . كذلك التصقت بهم صفات مستقاة من الظواهر الطبيعيّة . وبعد قليل عزبت إلى بعض الرجال البارزين ، بعد وفاتهم ، صفات من صفات الآلهة ، ونسجت حول حياتهم القصص والأساطير التي كانت تروى عن الآلهة^(١) .

وهكذا نصل إلى عصرنا الحديث ، الذي لا تزال الأغلبية فيه تعتقد في صدق هذه القصص التي تروى عن الرجال الآلهة . غير أن البعض قد وجد ، بواسطة البحث ، أساس عقائد العالم ، وبذا تحقق من أن ما كان الكثيرون يؤمنون به كحقائق ما هو إلا أساطير قديمة نسجت لترضى العالم في مرحلة الطفولة من نموه .

وأكثر الناس لا يزالون عبيداً لسيطرة العادة ، متمسكين بحكمة الماضي . فالعادة تشبه السجون الموصدة بواسطة رجال الأزمنة الغابرة ، الذين أخذوا مفاتيح تلك السجون معهم إلى قبورهم . وهكذا يندثر الكثير من الآراء القديمة ، حين أن القليل فقط منها يرى النور . ومع ذلك فلا زالت الجماهير تسجد أمام مذبح كل ما هو أثري ، وتعبد ما تعتقد أنه المحصول المقدس لما هو قديم .

إن الرجل المثقف المفكر الذكي في العصر الحاضر يفكر لنفسه ، ويشفق على ما يرتكبه الناس من أخطاء ومهازل ، ويحاول أن يزيل عقولهم وضمائرهم بالإشارة إلى المستقبل لا إلى الماضي . فالرجل المفكر — والمرأة المفكرة —

(١) يتحدث عن بعض الديانات البدائية المندثرة .

هما اللذان يساعدان العالم على حمل مشعل الحقيقة إلى الأمام ، وهكذا يقرب اليوم الذى يمتلئ به العالم بالنور .

ومتى اختفت كنوز الماضى التى تشبه الأساطير ، فماذا يتبقى لنا ؟ هل سنبقى بدون مشعل لأقدامنا ، وبدون نور لطريقنا ؟ بالتأكيد لا . أليس لدينا الآن المعرفة عوضاً عن الأمل الذى كان يحدو بحدودنا إلى نسج الأساطير والخرافات ، وإلى تنظيم الطقوس التى وصل إلينا — بعضها — فى رداء المعتقدات والمراسيم المقدسة ؟ ...

ماهى إذا الحقائق الثابتة لدينا ؟ ابتداء بخصوص الأسرار العظيمة المتعلقة بالحياة والموت ، قد احتلت المعرفة الآن مكان الإيمان والأمل
ففى بحر السنوات المائة الماضية تم كشف الستار عن أغمض سر كان يجعل الإنسان فى خوف وعبودية مستديمين ، لقد تكلم أبو الهول أخيراً .
فن وراء البحر الشاسع الذى كان يبدو بلا نهاية ، قد وصلتنا — سابحة فوق الأمواج — الفروع والغصون التى تبرهن لنا على أنه توجد حياة فيما وراء الأفق ، وأن البحر الذى يبدو لنا قاسياً عنيفاً ما هو إلا قنطرة تصل بين حياة وحياة . فإلى حيث ذهب الموتى ، يمكن للعقل أن يذهب .
ومن الجانب الآخر قد وصلتنا ، الرؤيا ، فلا داعى للشعور الآن بأن الحياة ماهى إلا وادضيق بين نهايتين غامضتين . ولا داعى لنا الآن لأن نتطلع عبثاً فوق مستوى نظرنا ، ولا لأن نصرخ بصوت عال ثم لا نسمع سوى صدى صراخنا . ولا داعى لأن نقول إنه ان تأتينا من شفاه الموتى الصامتة كلمة تهدىء مخاوفنا .

إننا نعرف الآن أن الحياة شئ أعظم مما كان يخطر ببال جدودنا وأنهم وأنبل من ذلك بكثير . فالحياة ، على ما نعرف الآن ، مزية كبرى .
والعقل الخلاق الذى أبدعها قد رتب أيضاً مستقبلنا بحكمة . وجدير بكل منا أن يحيا حياة لا ثقة بتفكير ذلك العقل وتنسيقه . وبما انه لا يفقد شئ فى

الطبيعة ، فكما نفكر في هذا العالم ، هكذا سنصير في العالم التالى . وستبقى أفكارنا معنا حتى الأبد بمثابة قاض لنا . وبما أن أفكارنا هي أنفسنا ، فسندين أنفسنا بالعدل ، وسيكون المكان الذى نصل إليه هو ذلك المكان الذى أعدنا أنفسنا له ونحن على هذه الأرض .

وعندما ينتهى زمننا هنا ترجع الطبيعة الجسم البالى إلى الأرض ، وتحرر الكيان الروحى الذى كان مرتبطاً بحدودنا الجسمية لإبان حياتنا الأرضية . ولا يمكننا نحن أن نسمع عبارات الترحيب التى تهي الإنسان المحرر ، ولكننا نعرف أنها تقدم له . ولا يمكننا أن نتبع أولئك الذين يغادروننا ، لكن يمكننا أن نتركهم فى عناية أولئك الذين يجتمعون ليرحبوا بهم ، فما يسبب الأسف هنا يكون سبباً للفرح والسعادة هناك .

ورسالتى إلى جميع الأحياء هي التالية : من ذلك العالم الذى سيصير وطننا يوماً ما ، يأتى رسل يحملون رسائل سارة إلى جميع الذين يعيشون فى الأرض ، وهم يقولون لنا إنه ليس علينا إلا أن نؤدى ما علينا على أحسن وجه ممكن ، وإن يطلب منا أكثر من ذلك . ويجب علينا ألا نضيع وقتنا فيما لا ضرورة له ، وأن نشغل أنفسنا فيما هو مفيد لنوعنا وخلقنا ، ولجعلنا جديرين بتلك البلاد التى ستصير وطننا يوماً ما .

إننا لم نخلق لنعيش فقط على هذه الرقعة الضيقة من الحيز التى تدعى الأرض ، بل إن هناك بلاداً عظيمة مجيدة فى انتظارنا بعد الموت . فالعقل لا حدود له وكل منا عقل ... لا أكثر .

وعندما تحل نهاية الحياة الأرضية ، يجب ألا نفكر أننا قد بلغنا الشفق أو أن السماء الذهبية تختفى نحو الغروب لآخر مرة فى حياتنا . يجب ألا نفكر أن الليل قد حل ، بل أن شروقاً أعظم فى انتظارنا وراء القبر ، فنواجه الموت كما نواجه النوم ، موقنين أن الصباح يتبع الليل ، وبهذه الكيفية ندخل الفجر الذى يدعى الموت .

إن أحدا لم ير التركيب الذى وراء تكوين الرجل والمرأة ، ووراء الزهرة والشجرة ، وكل ما نراه هو الرداء الخارجى الذى ترتديه الحياة وتعمل فى إطاره إبان حياة جسمية قصيرة . أما الرجل الحقيقى ، والمرأة الحقيقية ، فهما مخلوقان أبعد كثيراً مما يمكن الحواس الجسمية أن تقدره . فكلنا لنا جسم أبدي آخر يسيطر عليه العقل ولا يمكن لأحد أن يراه أو يلمسه ، إذ أننا لا نرى سوى التعبير المادى لذلك العقل .

إن الجسم المادى ليست له حواس ، وكل مشاعرنا تنبع من جسمنا الأثيرى^(١) . فإن أحدا لم ير النواة التى تعطى الأرض الحياة ، غير أنه من ذلك الجسم المادى الذى تدفقه الأرض وترعاه الشمس والأمطار ، من تلك النطفة الصغيرة التى تشبه التراب ، تنمو زهرة البنفسج والورد . ولم يكن منشأ الحياة هو البذرة المادية ، بل العقل الذى وراء الحياة المادية . وعندما نفهم أن العقل هو كل شيء ، وأن كل شيء هو العقل ، فعندئذ نبدأ أن نفهم ما هو الكون .

إننا نعرف أن الموت لا يرعبنا ، لأنه ليس إلا الاسم الذى يسمى به ذلك الباب الذى ندخل منه لنصل إلى صورة أخرى لوجودنا إلى عالم آخر أحسن وأسعد وأيسر للعيش . والموت ليس سوى تعبير لتقديرنا للتموجات التى يتكون منها الوجود . وبما أن الحال هى كذلك ، فأنا ندرك أن الحياة على الأرض ، بيئاتها وظلالها ، بنشوتها وألمها ، بجلالها ودموعها ، بأكاليها وتيجانها ، بأشواكها وورودها ، بانتصاراتها وهزائمها ، ما هى إلا فترة استعداد ، أو مدرسة يجب أن يجتازها كل إنسان حتى يتعلم درس الحياة ، ذلك الدرس الذى لن ينتهى على الأرض بل يبقى للمرء أن يتعلمه حتى الأبد .

إننا نتعلم ببطء بأن نقدر ذلك الجرى العجيب للحياة ، بشلالاته وبركه ،

(١) راجع ما سبق عنه فى الجزء الأول ص ٤٣٣ - ٤٣٧ .

الذى يصعد في العالم الغير المنظور وينسكب في الأرض ، ثم يرجع ثانية إلى العالم الاثيرى الذى نشأ منه . إنه ذلك الشعاع من الضوء الذى يجرى بين الظلمة والظلمة ، وينير الشريط الرقيق منها برداء من الخضرة لا يخبو أبداً .

إن ما يبدو حلاماً بين شاطئ الميلاذ والموت هو حقيقة عظمى . ومع أننا نبدو وكأننا نقف على جانب من الوقت الزائل ونحب ونؤمل ثم نختفى ، غير أن من أعظم حقائق الحياة هي أن كل حياة فردية لن تموت ، لأننا جميعاً جزء من العقل الروحى الذى لا يموت مطلقاً (١) .

* * *

فهل هناك توفيق بين العلم والاعتقاد أفضل من ذلك الذى جاء به علم الروح الحديث ؟ وهل من حق الإنسان أن يطمع في أن يحصل من جهود العلماء وكفاحهم على رسالة ترضى عقله وضميره ، وتهدى روعه وشعوره بل تقلبهما إلى سرور وجور أكثر من رسالة الروح ، أى معرفته بنفسه ، وهى أئمن ما يصح أن يطمع الإنسان في الوصول إليه إذا اقتنع تماماً بأنه في النهاية روح لا جسد ، أو بالأدق روح باقية لأنها قبس من العقل الذى لا يموت ، وجسد فان لأنه جاء من التراب وإليه يعود ؟ ...

وهل هناك ضربات يمكن أن توجه إلى مدارس الشك والإنكار أقوى من ضربات الروحية الحديثة ، بعد أن قامت على أسس علمية ثابتة الأركان ، عميقة الأثر في تطوير القيم والمفاهيم ، وتوجيه العقول في ثقة ويقين وجهة الإيمان بالله وبالفضيلة والخلود ؟ .. وإذا كان علم الروح قد وصل إلى كل ذلك في حاضره فما الذى ينتظر منه في مستقبله إذا ما عرف كيف يزيل العقبات الضخمة التى لا تزال في طريقه ؟ وذلك ينتقل بنا إلى الكلام في علم الروح بين حاضره ومستقبله .

(١) عن مجموعة

باب ختامي

في علم الروح

بين حاضره ومستقبله

أسانيد بعيدة المدى . هل توافرت لطيفة أخرى مثلها ؟ معرفة
شراذم . معرفة نظام . بعض الدوافع غير العلمية للممارضة .
الاعتراض بشهادة الحواس . في العقبات الحقيقية . المستقبل في
مآرب علم الروح . وبعد ! ...

* * *

أسانيد بعيدة المدى

لقد استطالت صفحات هذا البحث في العلم الروحي الحديث إلى مدى
لم يكن ليخطر لي قط على بال عندما بدأت . ومع ذلك أشعر أنها ينبغي أن
تتسع في النهاية إلى كلمة حق ينبغي أن يقال عن هذا العلم بين حاضره ومستقبله ،
أو بالأدق عن العقبات التي قد تقف في طريق مستقبله في ضوء ما ظهر من
عناصر الرأي في حاضره .

ولست أخال ابتداء أن أي إنسان طالع هذه الصفحات في الروح روح
محايدة — وفي ضوء ما تستحقه خطورة الموضوع من عناية ومن أناة —
إلا وقد وجد فيها أكثر من سبب للاقتناع بجديّة الموضوع ، وبجدوى موالاة
الاطلاع الجاد فيه . إن لم يكن قد وجد فيها أكثر من سبب للاقتناع بأن
الروح قد دخلت بالفعل إلى نطاق الحقيقة العلمية ، بما في ذلك هذه المزية
العظمى التي تميزها عن الجسد الفاني ، وهي انتصارها المحتوم على رهبة
الموت وسلطان الفناء .

ولا أحب أن يعتقد القارىء أن البيانات التى طالعها ، والبيانات المتصلة بها ، تمثل كل ما يملكه هذا العلم الناشئ أو أفضلها . فهى لا تعدو أن تكون عينات من بيانات لعل ما اخترتها إلا لوضوحها ولسهولة عرضها . أما من يريد المزيد فله أن يرجع إلى أى من المراجع الموثوق بقيمتها ، فسيجدها تفيض بالكثير المقنع لمن يريد أن يقتنع بطريقة علمية ، كأشد ما يكون الاقتناع الحكيم فى حذر وأناة .

أما من هيا ذهنه - مقدماً - لعدم الاقتناع ، فلا حيلة لأحد فيه ، لأن صاحبنا من ذلك الطراز الذى ألف الاعتراف بالرأى القديم لا يعدل عنه ، ولو اجتمع له أضعاف القدر المطلوب للعدول . فهو صاحب فكرة ثابتة تعصى على التقويم *dogmatiste incorrigible* على حد وصف الأستاذ هانز دريش Hans Drieck أحد علماء النفس المعدودين فى القرن الحالى وأستاذ الفلسفة بعدة جامعات ألمانية ، وقد خلعه بنفسه على هؤلاء المنكرين للظواهر الروحية - فى محاضرة له بجامعة لندن فى سنة ١٩٢٤ - بعد أن بلغت وثائقها ما بلغته من العدد والقوة ، وقد ساهم بنفسه فى تحقيق بعضها .

كما لا أحب أن يطالع أى إنسان هذا الجهد المتواضع إلا على أنه يمثل حسب « مقدمة للنظرية العامة فى علم الروح الحديث » ، فذلك هو ما توخيته بالفعل منه لاعتقادي أن مثل هذه المقدمة هى التى تلزم الآن القارىء - بصفة عامة - كما يشعر أن الروح - وهى موضوعه الخاص - قد دخلت نطاق الحقيقة العلمية ، وأنها جديرة بالتالى بأن يعرف عنها شيئاً جديداً ومفيداً .

ولاعتقادي كذلك أن الدخول فى جزئيات هذا الموضوع والتغلغل فى أعماقه للموازنة بين بعض الآراء الخلافية فيه - والى لا يخلو منها أى علم آخر - لا يمثل نفس الأهمية التى يمثلها الاقتناع - ابتداءً - بأن الحياة بعد الموت أصبحت حقيقة علمية ، بعد أن كانت فى الماضى مجرد عقيدة قلبية

وفلسفية ، وأن الصلات بين أحياء الأرض وأحياء الأثير أصبحت تبحث على أوسع نطاق بمعرفة جامعات عريقة وريشات علمية جادة تماماً .

ولفرط حرصى فى هذه المقدمة لعلم الروح الحديث على الإحاطة بأهم الجوانب العامة فيه كنت سريـع الانتقال من فصل إلى آخر ، مع أن كل فصل فيه كان يصلح — بغير ماريـب — كما يكون موضوعاً لمؤلف قائم بذاته — وربما من عدة مجلدات — فيما قد يبدو الآن مجرد جزئية صغيرة من جزئيات هذا العلم الوليد الذى تولته منذ نشأته أيد حكيمة كثيرة من كلا الجانبين المادى والروحى ، فجعلته يسبق الزمن فى نموه ، وكأنه على موعد محتوم مع قدر مرسوم يريد أن يجنب أبناء هذا العصر خطر المادية الملحدة التى تقف مكتوفة عاجزة عن أن ترسم للإنسان طريقاً أو هدفاً ، حين تعرف الروحية كيف تحدد له طريقه وأهدافه ، كما يريد أن يجنبه فى نفس الوقت خطر الجهود الضار ، عندما تعرف الروحية كيف تحرره من القيود والإسار ، كما يتعرف طريقه بلا تخطيط ولا عثار ...

هل توافرت طفيفة أخرى مثل هذه الأسانيد ؟

وليثق القارىء أن صاحب هذه الصفحات ليس من صفاته سهولة التصديق ولا سرعة الاقتناع ، فلو لا طبيعة الإنكار الغالبة فيه لما احتاج إلى بذل كل هذا العناء فى التنقيب فى الروحية فى حذر شديد . هذا وقد بدأ اطلاعه المثابر منذ أن كان قاضياً ، ولم يكن الموضوع — برمته — يمثل فى تقديره أكثر من مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، ومن حق المدعين فيها — وما أكثرهم وما أضخم مكانتهم الفلسفية والعلمية — أن تفحص أسانيدهم قبل إبداء الرأى فيها .

فلما كون — ببطء شديد — رأيه طبقاً لنظام إقناعية الدليل ، وكان اقتناعه لا يعوزه التثبيت واليقين من الاطلاع والتجريب معاً ، رأى أن من واجبه أن يسجل فى كتاب خلاصة ملاحظاته من أسانيد اطلاعه خلال حقبة من

الزمن قاربت — الآن — العشرين عاماً ، مصحوبة بما استرعى انتباهه من فلسفات الأقدمين والمحدثين من الروحيين ، بالإضافة إلى خواطره الخاصة في بعض الجوانب العامة المحيطة بالبحوث الروحية . فلعل القارىء يستمد من هذا الاقتناع شعوراً بالسلام والاطمئنان ، كما استمد هو نفس الشعور بعد قلق طويل .

ولم تكن المشكلة الماثلة أمامه في أى وقت مضى هي في أن يقنع أى إنسان أو أن يحاول إقناعه، بل كانت مشكلته الحقيقية هي في أن يقنع نفسه، وأن يصل إلى رأى مترابط يرضى المنطق الناقد لهذا الأمر الغريب ، بل « الخارق للعقل » كما يراه حتماً كل من لم تتح له فرصة اطلاع كاف ، ولا تجريب .

ومع مداومة التساؤل عن مدى صحة هذا الأمر « الخارق للعقل » كان لا يكف أيضاً عن التساؤل عن مدى صحة البنيان العلمى الكامن وراء هذه الظواهر الروحية ، وعن مدى ترابط البنيان الفلسفى المحيط بها ، ومدى اتفاه مع جوهر الاعتقاد ، بل مع جوهر المبادئ اللازمة للنهوض بالإنسان، وهى كلها موضوعات مفرطة في عمقها ودقتها، ولذا تخير مراجعه بعناية شديدة ، حتى لا يقع ضحية تغرير من أقوال سطحية مرتجلة ، أو من تجارب مبتسرة في أى اتجاه كانت .

ومع ذلك فن حق القارىء العزيز — بعد مامر به من بينات كثيرة في هذا المؤلف أو في غيره — أن يختار لنفسه طريق الاقتناع ، أو عدم الاقتناع إذا شاء . وهو سيختار في الواقع بين شهادة الحقائق العلمية التى قتلت بحثاً وتمحيصاً بمعرفة علماء كبار في معاهد جادة تماماً وخارجها ، وبين شهادة حواسه الخاصة . وهو حر في أن يغلب أياً من الشهادتين على الأخرى ، ولكن من حق رأى السليم في هذا الموضوع الخطير — المفرط في خطورته وفي اتساع مداه — أن يطالبه بموالاته الاطلاع في مراجعه العلمية المعتمدة،

وأيضاً بموالاتة التجريب بأسلوب على نافذ، إذا ما توافرت له وسائله بعيداً عن «تجار» الوساطة الروحية وادعائها.

وأيضاً من حق الرأى الصحيح في مثل هذا الموضوع الخطير أن يخاطب في الإنسان الفطرة السليمة قبل الذكاء المتوقد، والآفاق الواسع قبل الرأى المغرض المتحفز. فبغير الفطرة السليمة والآفاق الواسع يكون الذكاء المتوقد ضربة موجهة إلى حقائق الحياة لا سيلاً صحيحاً للوصول إليها. ولذا كانت أغلب حقائق الحياة أقرب إلى النفوس المتواضعة - من البسطاء والعلماء معاً - منها إلى عقول بعض أولئك «العمالقة الكبار» أسرى حواسهم الخاصة - وضحايا تسرعهم في الحكم على الأمور. وهم يحسبون أنهم سادة «الحقائق العلمية»، مع أن الحقائق بعيدة عنهم بعد الأرض عن السماء!

هذا وقد عرضت في صفحات المؤلف الحالى بجزئية جانباً ضئيلاً من أسانيد الحقيقة الخطيرة التى يقوم عليها علم الروح الحديث، وبينت جانباً يسيراً من مراجعه المعتمدة، ومن الأسماء المبرزة فيه، ومن النتائج الواقعية والفلسفية التى وصل إليها. وكنت - كما وعدت - حرصاً على الرجوع لحسب إلى أعمال لقيف من أفضل فلاسفة وعلماء القرنين الماضى والحاضر الموزعين على أرقى البيئات والمعاهد والأكاديميات العلمية فى شتى بلاد العالم، بمن واصلوا تجاربهم لعشرات من السنين، وكانت قدرتهم على النقد الموضوعى المحاييد، وعلى تأصيل الأمور وحسن تحليلها فوق كل شك أو شبهة فى أى ميدان طرقة من ميادين الفلسفة أو العلم التجريبي، ومستبعداً تماماً ما عداها حتى يشعر القارئ فعلاً أننا إزاء حقائق خطيرة موضوعية لا تنال منها تلك الأقوال المرتجلة، ولا اعتراضات لقيف من «الأدباء البلغاء» الذين لا يملكون سوى قدرة على القول المرسل المعاد، دون أية قدرة صحيحة من علم أو من تجريب ماثرب جاد.

وأى إنسان يرغب فى المزيد من المعرفة فيه فليرجع إلى بعض مراجعه

الموثوق فيها وفي أصحابها فإنه سيلحظ أنه يحيا مع عدد من أفضل أصحاب العقول النيرة الناقدة ، ويتبادل الرأي مع أئمة كبار للفلسفة والمعرفة ، ارتبطوا مع ضمائرهم على أمر واحد وهو محاولة الوصول إلى الحقيقة العلمية ولا شيء غيرها ، لأنها في تقديرهم آئن من كل حقيقة أخرى . ومن ثم اتبعوا في البحث عنها أشد الأساليب العلمية الناقدة دقة وصرامة .

كما سيلحظ أن في بحوثهم من الضمان ما يبعث على الاطمئنان التام بأننا إزاء علم صحيح يستمد عناصر وجوده وازدهاره من نفس العناصر التي تستمد منها كافة العلوم الأخرى عناصر وجودها وازدهارها .

بل إن علم الروح الحديث يعرف - بالمقارنة مع العلوم الأخرى - مصادر إضافية لهذه العناصر :

— منها فطرة الإنسان التي فطره الله عليهم، والتي ألهمت عقله دوماً وفي كل مكان أن يعرف طريق الاعتقاد بدوام الحياة بعد الموت بصورة ما، تستوى في ذلك المجتمعات المتحضرة مع تلك التي عاشت - وما تزال - على الفطرة ، ومجتمعات الحضارات المندثرة مع الحضارة المعاصرة . ففطرة الإنسان حملته على أن يشعر في كل زمان ومكان أنه أكثر من مجرد جسد مادي يحوله الموت إلى حفنة من تراب ، لا شعور فيها ولا إدراك .. . فإين ذهب إذا الشعور والإدراك ؟ ..

— ومنها الفلسفة العظمى التي وصل إليها العقل عن خلود الروح منذ أزهى عصوره اتصالاً بالفلسفة وتعلقاً بها حتى الآن ، وبخير توقف ولا انقطاع (١) .

— ومنها رسالات الرسل والأنبياء الذين وجهوا عقائد البشر إلى الخير والنقاء على مر العصور وفي كل الأرجاء . وقد التقت عند جوهر الفضيلة ، كما التقت عند التسليم بأن الإنسان موهوب للبقاء لا للفناء في ماضيه وحاضره ومستقبله على السواء (٢) .

— ومنها — كعلم حديث — هذا التطابق الواضح في الأصول والكتليات، وهذا التوافق الكافي في النتائج والمقدمات، وذلك إلى المدى الذي كان من المحال أن يتحقق — ولو جزئياً — ما لم نكن إزاء علم صحيح له أساسه الراسخة في حقائق الطبيعة ونواميسها الثابتة التي لم يدرك العلم منها شيئاً يذكر بعد .

— ومنها هذا الترابط الواضح بين أصوله وكتلياته وبين أصول العلوم الأخرى وكتلياتها ، من فيزياء وفلك وبيولوجيا وانترولوجيا وفسيولوجيا ونفس وغيرها .

— ومنها هذا التقدم السريع إلى الأمام، وهذه الأرض التي أخذ في العصر الحاضر يغزوها بغير ما توقف في مؤلفات عدد من أفضل العلماء ، وفي أروقة المعاهد والجامعات ، وفي المحافل والمؤتمرات ، وفي الجلسات العلنية في أكبر القاعات .

— ومنها هذا البنيان الفلسفي المترابط الذي شادته بحوث هذا العلم على أروع وجه وأقوى صورة . حتى لم يكن القول بأن الروح كانت عند الإغريق وليدة الفلسفة ، أما الآن فهي عند المحدثين أم لفلسفة حديثة عن الخلود وما يرتبط به من أمور متماسكة فلما تجد لروحها نظير آ بين فلسفات الأرضيين ، على ما لاحظته وشهد به عدد من أفضل الفلاسفة والمفكرين المعاصرين .

فهل اجتمعت لصحة أى علم آخر من علوم الحياة مثل هذه الأسانيد في وضوحها وعمقها وتماسكها وتعددتها ؟ .. وما اسمه وأين يوجد ؟ ...

* * *

لكن مع كل هذه الأسانيد — الواضحة العميقة المتماسكة المتعددة — فإن المعارضين لم يكفوا عن المعارضة مع ذلك ولن يكفوا إلى سنين كثيرة مقبلة فيما نتوقع ، وذلك لأن حقائق الكشوف الروحية أكثر عمقاً — وارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم والاستيعاب . هذا من جانب

أول ، ومن جانب ثانٍ لأنها تتطلب مباشرة وإطلاعاً صحيحاً في فروع كثيرة من العلوم ، وذلك يتطلب أيضاً جهداً يتجاوز قدرة البعض الآخر على البحث والتحصيل . ولذا كثر المقتنعون من الفلاسفة والعلماء الكبار ، وكثر أيضاً المعارضون من أنصاف المتعلمين والكتاب السطحيين الهاربين من البحث ، لأنه يقتضيهم مشقة لا قبل لهم بها . ومن جانب ثالث لأنه ليس من طبيعة الإنسان أن يستسلم بسهولة لحكم البرهان الواضح ولا المنطق الحاسم ، وإلا لما كان هناك صراع خالد بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب ، خصوصاً وأنه في هذا الميدان بالذات قد تعددت الدوافع المحتملة للمكابرة وتضافرت عناصر البهتان .

ولست أقصد البتة أن كل معارض يصدق عليه شيء مما تقدم ، لأنني أعلم جيداً أن هناك من قد يعارض لدوافع لها تقديرها مهما كان الرأي في قيمتها الإقناعية ، كما أن في صفوف غير المقتنعين من يستحق التقدير التام مهما تفاوتت الرأي في هذا الموضوع بينه وبيننا . على أن هذا التقدير الشخصي لا ينبغي حق النقاش النزيه لموضوع خطير غاية الخطورة ، هو ملك الآن للحقيقة العلمية وحدها ، وليس ملكاً لأي إنسان .

فإذا كان الإنصاف يعني بعض هؤلاء المعارضين من تبعة التحامل المفروض فإنه قد لا يعفيهم مع ذلك من تبعة الاعتداد بالرأي القديم لمجرد قدمه ، والتسرع في الحكم على هذا الأمر الروحي الخطير ، لمجرد أنه جديد على علمهم ومعلوماتهم ، والناس أبدأ أعداء ما جهلوا ، بل أعداء كل أمر جديد (١) . ومنهم من قد يكون مثقفاً ، بل عالماً في أي فرع من فروع العلوم ، ولكنه قد يكون رأياً مبتسراً — في موضوع يأبى تماماً لفرط دقته وخطورته الابتسار في الرأي — ومع ذلك يريد أن يعطى رأيه قيمة مطلقة ونهائية .

(١) وقد أوردنا في ص ٦ من الجزء الأول بعض أمثلة العنصرية المقاومة كل أمر جديد مأخوذة من دروس التاريخ الحافل بالمطبات والعبر لمن يريد أن يتغير .

وهذا يصدق بوجه خاص على معارضة بعض السادة من المحللين النفسيين من أبناء مدرسة فرويد التي لا تسلم — بعد — بحياة بعد الموت، ولا بوجود قوة أخرى خارج قوة المنح والحواس الفيزيائية للإنسان لمجرد عجزهم عن تصور إمكان ذلك . ومثل هذه المعارضة لا تضير البحث في الروح بعد المرحلة التي قطعها ، والحقائق التي وصل إليها . فالاحتجاج بملكات العقل الباطن في دحض قيمة الظواهر الروحية أو إضعاف دلالتها قد فقد قيمته نهائياً الآن بعد أن لاحظ أحسن فلاسفة النفس في القرن العشرين أن غالبية ملكات العقل الباطن هذه تثبت استقلال الوعي عن الجسد المادى ، وأن كل ما يثبت هذا الاستقلال يثبت — في نفس الوقت ونفس الأسباب — بقاء الوعي بعد تحلل الجسد المادى ، ولا ينفي هذا البقاء .

وقد أشرنا إلى ما ذكره الفيلسوف هنرى برجسون في هذا الشأن (١) . كما أشرنا إلى آراء صريحة كثيرة لأفضل علماء النفس في جانب علم الروح ، ومنهم بوجه خاص : وليام جيمس (٢) ووليام مكدوجال (٣) وكارنجتون (٤) وراين (٥) في أمريكا . ومنهم فردريك . و . ه . مايرز (٦) ووليام براون (٧) وفلوجل (٨) في إنجلترا ، ويونج في سويسرا (٩) وهانز دريش في ألمانيا (١٠) ولومبر وزو (١١) وبوزانو (١٢) في إيطاليا . فهل هناك من النفسيين من هم أنداد هؤلاء في القرن العشرين ؟ وأين هم ؟

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٠ — ٢٠٥ وفي هذا الجزء من ٥٢٤ — ٥٢٧ .

(٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٥٤ — ١٦٢ .

(٣) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٧٤ — ١٧٥ .

(٤) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٦٥ — ١٦٨ .

(٥) راجع ما سبق في الجزء الأول من ١٧٥ — ١٨٢ .

(٦) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٧) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٦ .

(٨) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٠٧ .

(٩) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٩٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ .

(١٠) راجع ما سبق في هذا الجزء من ٦٢٤ .

(١١) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(١٢) راجع ما سبق في الجزء الأول من ٣٥٨ — ٣٧١ .

وليس الأمر الهام أن هؤلاء قد أبدوا آراء صريحة واضحة في جانب علم الروح ، بل الأخطر من ذلك هو دلالة هذه السيكولوجيا الحديثة التي تشيد الآن على نطاق واسع ، والتي مقتضاها في النهاية — مهما ، تفاوتت في تفاصيلها — أن العقل الواعي يمثل إدراك الإنسان الذي يستخدمه خلال المنع والحواس المادية ، وأن العقل الباطن يمثل الإدراك الذي يقع عن غير طريق المنع والحواس المادية . وهذا العقل الباطن هو في النهاية العقل الحقيقي للإنسان الذي يوجه تصرفاته ويتحكم في ملكاته ، وقد يلزمه بالتالى في رحلة الأبدية . وهذه هي النظرية الروحية بعينها^(١).

لكن كل هذه البحوث العلمية الهادئة الموضوعية المحايدة لا توازى في نظر بعض النفسانيين المحافظين مانادى به فرويد من أنه لا توجد وظائف أخرى خارج المنع ، وما أسسه من نظريات لا محل فيها لإيمان بحياة بعد الموت !! هذا القول الذى قيل في عدة مراجع إنه عدل عنه في سنيه الأخيرة .

بل إن علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والفسولوجيا الذين تعمقوا في بحث الظواهر الوساطية لمدى سنوات امتدت عند بعضهم إلى عشرات قبل أن ينسبوا إلى مصدرها الروحى كانت نصب أعينهم نظريات علم النفس في ملكات العقل الباطن ، وبخاصة في التحليل النفسى والإيحاء والتلبائى وازدواج الشخصية والتنويم المغناطيسى والسيكومتري وغيرها ، لفرط اتصالها بموضوعات بحوثهم في هذه الظواهر .

ومن يراجع ما كتبه أمثال سير وليام كروكس ، أو سير أوليفر لودج ، أو سير ألفرد راسل والاس ، أو سير وليام باريت ، أو الأستاذ شارل ريشيه ، أو غيرهم من أقطاب العلوم المادية العرف — قبل أن يكونوا

(١) من أحدث المؤلفات في هذا الاتجاه مؤلف الأستاذ ج. ب. J. G. Bennett بعنوانه « سيكولوجيا روحية » A Spiritual Psychology صدر في سنة ١٩٦٤ .

من علماء الروح — عن أشرنا إلى بعض بحوثهم وأعمالهم في البابين الثالث والرابع من الجزء الأول ، وفي الباب الخامس من الجزء الثاني . يمكنه أن يتحقق من أن أيهم قد تزود — قبل الإقدام على بحوثه في الظواهر الوساحية — بقدر من المعرفة في السيكلولوجيا يتجاوز ييقين القدر الذي يعرفه بعض هؤلاء السادة من المحللين النفسيين المعترضين بنير ما بحث ولا اطلاع .

معرفة نهراوى

فعلم النفس بمفهومه المادى قد أصبح الآن أطلالاً أو أن شئنا خطأماً لزاء البحوث الروحية الحديثة ، وما تكشفته عنه من بنيان مترابط من الحقائق الخطيرة ، وقد ظهر وما يزال يظهر لعدد من أفضل علماء النفس والفلاسفة علماً بدائياً قاصراً ، حتى أن منهم الآن من يأتى أن يعترف به كعلم له أصوله الصحيحة .

وفي صفحات هذا المؤلف أشرنا إلى أقوال صريحة للفيلسوف وليام جيمس عندما تنكر — بعد بحوثه الروحية — لمؤلفه القديم في مبادئ علم النفس ، وقال فيه ما لم يقله الإمام مالك في الخمر ، ومثل هذه الآراء الحاسمة الصريحة أصبح القارىء يقابلها الآن كثيراً عند عدد من أفضل الفلاسفة والعلماء النفسيين في القرن الحالى . ومنهم عالم النفس والفيلسوف الألمانى المعاصر كارل ياسبر K. Jaspers الذى يقول « كان طبعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدروسته في مجتمع مهزوز مكدود . من الممكن أن نلاحظ أن الناس في عالمنا المقلوب هذا قد أحسوا حاجة شديدة إلى التحرر ، وجاء التحليل النفساني فزودهم بذلك الوهم ، وكا مخادعاً خداع ذلك العالم ذاته إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتى الذى هو نتاج صادق لهذا العصر ... » (١) .

(١) عن « كارل ياسبرز : مستقبل الإنسانية » ترجمة وتقديم الدكتور هيثام أمين . القاهرة

ثم استمع إلى تحية «حارة» إلى السيكولوجيا المادية صادرة عن الطبيب العالم والعالم الفسيولوجي ألكسيس كاريل — وله أكثر من صلة بالبحوث الروحية — في مؤلفه «الإنسان ذلك المجهول» ، عندما يقول «إن باتولوجية العقل تعتمد على السيكولوجيا مثلما تعتمد باتولوجية الأعضاء على الفسيولوجيا... ولكن الفسيولوجيا علم في حين أن السيكولوجيا ليست علماً... إذ مازالت السيكولوجيا تنتظر «كلود برنار» ، أو «باستير» ، آخر... لقد كانت السيكولوجيا موجودة في حالات الجراحة حينما كان الجراحون حلاقين ، وفي الكيمياء قبل «لافوازييه» . ومع ذلك فقد يكون من الظلم أن نتهم النفسيين العصريين ووسائلهم بالنظر إلى الحالة البدائية الحاضرة لعلم النفس ، إذ أن شدة تعقيد هذه المادة هي السبب الرئيسي في جهلهم...» (١) .

كما يقول العالم الشهير في مكان آخر «قد أحدث فرويد أضراراً أكثر من تلك التي أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفاً ، فإن من الكوارث أن نخزل الإنسان إلى جانبه العقلي مثل اخزاله إلى آلياته الطبيعية الكيميائية» ، ثم يستدرك مع ذلك قائلاً «إن استبدال الروحي بالمادى لن يصحح الخطأ الذي ارتكبته النهضة . فاستبعاد المادة سوف يكون أكثر إضراراً بالإنسان من استبعاد العقل .. وإنما سيوجد الخلاص فقط في التنحي عن جميع المذاهب ، وفي القبول التام لمعلومات الملاحظة وإدراك الحقيقة القائلة بأن الإنسان لا يقل ولا يزيد عن هذه المعلومات» (٢) .

ومثل هذه المعاني نقابلها عند الدكتور محمد كامل حسين الجراح المعروف ، ومدير جامعة عين شمس السابق ، عندما يقول أيضاً : «كل هذه الاعتبارات تجعل الباحث يتردد كثيراً في تطبيق الطريقة التحليلية

(١) عن ترجمة الأستاذ عادل شفيق ص ١٢٥ .

(٢) عن المرجع السابق ص ٢١٦ .

على الظواهر النفسية ، بل إن هذه الاعتبارات تجعل الإنسان يكاد يحزم أن تطبيق هذه الطريقة على النفس سيؤدي إلى قيام علم لا أساس له ، كما قام علم الكيمياء (قديماً) كنتيجة لتطبيق طريقة الاستنتاج على الظواهر الطبيعية .

ثم يقول في مكان آخر : هناك فرق كبير بين أن تصف الظاهرة وبين أن تتصورها . الأول حقيقة والثاني خيال . وقد تستعمل طريقة المشابهة لشرح بعض الظواهر القريبة فتشبه بأخرى معروفة لتقريبها إلى الأذهان ، على أن يظل مفهوماً أن الوصف تشبيه ، وليس الأمر كذلك في هذين العلمين الضالين (الكيمياء قديماً والتحليل النفسي حديثاً) . فهما علمان قائمان على تصور الوقائع لا على وصفها ، ويمكن أن توضع للواقع صور كثيرة ، ولكن الوصف الحقيقي لا يكون إلا واحداً . . وفي كلا العلمين غموض قد لا يشعر به المختصون ، ولكنه على الفكر العادي غموض على كل حال ، والغموض صفة ملازمة لكل علم ضال . . والعلم لا يكون غامضاً إلا أن يكون به عيب من خطأ أو قصور . .

ثم يقول أيضاً : ولعلنا إذا وفقنا لمعرفة القيمة الحقيقية للتحليل النفسي نفتح الطريق للباحثين في علم النفس أن لا يركنوا إليه ، بل عليهم أن يلتمسوا طريقة جديدة للبحث في النفس وفهماً جديداً لظواهرها ، كما حدث في علم الكيمياء ، حين لم يتبين الحق في هذا العلم إلا يوم اكتشفت طريقة التجربة والمنطق التحليلي ، وعند ذلك تصبح العلوم النفسية علوماً حقيقية غير ضالة . ولا أظن أن التحليل النفسي سيستطيع أن يصل بنا يوماً إلى هذه الغاية ،^(١).

* * *

وعلم الروح الحديث يعتمد على منطق التجريب التحليلي هذا الذي قاد أوضح خطى التقدم العلمي في العصر الحديث ، ووصل به إلى الكشف

(١) من مقال عنوانه « الكيمياء قديماً والتحليل النفسي حديثاً » منشور في كتابه « متنوعات » طبعة ٢ ص ١٠١ - ١١٠ .

الرائعة التي ينعم بها الإنسان ، سواء في الطب أم في الكيمياء أم في الفيزياء أم في غيرها ، وهذه ضمانات من أكبر ضمانات الثقة في النتائج التي وصل إليها .

وهو من هذه الناحية يقع على النقيض من علم النفس بمعناه التقليدي والمؤسس — حتى الآن — على نظريات افتراضية ، طالما ثبت فشلها الذريع عند ارتطامها بأرض الواقع ومواجهتها لحقائق النفس الإنسانية في الحياة العملية وفي مصحات الأمراض العقلية ، بل وفي عيادات هؤلاء السادة من المحللين النفسيين المعترضين بغير مباحث ولا اطلاع . فعلام كل هذا التعلق بالنظريات البالية ، خصوصاً بعد أن تساقطت أوراقها تدريجياً كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف ، وبدت الجذوع والأغصان ذابلة لا حياة فيها ولا رونق لها ؟

معرفة تمام

ومهما كان الإنسان في حكمه على علم النفس بمفهومه التقليدي فإن هناك — على أية حال — علماً جديداً للنفس يشيد الآن على أنقاضه ، وفي ضوء الكشف الروحية على اختلاف صورها ، علماً تحدث عنه ر . ا . هـ . ليفنسال في سنة ١٩٢٩ قائلاً : « لمدى العشرين العام الماضية كرس علماء النفس وقتهم متأثرين بفرويد في البحث عن العقل الباطن ، وإذا صح أن نظرية العقل الباطن تسيطر اللثام عن كثير من الأحاسيس التي تفسر أعمال البشر ، فإنها لا تكشفها كلها ، فهي تفسر الشاذ منها لا الأعمال الخارقة للعادة . »

وعلم النفس الحديث هذا وقف على منطقة جديدة في الإنسان أطلق عليها وصف الفوق الواعي . وعلى نقيض العقل الباطن أو غير الواعي الذي يمثل التيارات المغمورة لطبيعتنا ، فإنه يكشف ضروب السموات التي يمكن لطبيعتنا بلوغها . والإنسان يتمثل في شخصية ثلاثية لاثنائية لحسب ، فكيف لنا الواعي وتحت الواعي يتوجهما وهي سام

ومنذ سنوات كتب العالم النفسى الروحى المعروف ف . و . ه . مايرز يقول أيضاً ، إن فى أعماق كيانتنا تختبئ كومة من النفايات مع كنز ثمين . وعلى نقيض علم النفس الذى يوجه اهتمامه إلى الإدراك تحت الواعى لطبيعة الإنسان ، فإن علم النفس الحديث للإدراك السامى يركز انتباهه فى ذلك الكنز الذى هو المنطقة التى تلقى دون سواها ضوءاً على أعمال البطولة المجيدة غير الأنانية للبشر ، ... وهذه المنطقة هى بعينها التى تلقى نفس الضوء على أعمال الملهمين والعابرة والوسطاء الكبار ، وهى التى يعنى بها بوجه خاص علم الروح بوصفه أصلاً لعلم النفس الحديث لا فرعاً منه ، رضى بذلك النفسيون المحافظون أم لم يرضوا . . .

وذلك مع العلم بأننا - فى حدود ما نملك من اطلاع محدود - نعلم تماماً بوجود ظواهر نفسية صرف مثل قراءة الأفكار أى التلباتى Telepathie والإيحاء Suggestion والإيحاء الذاتى Auto Suggestion يمكن أن تختلط ببعض ظواهر الوساطة الروحية ، وبأن بعض صور الرؤية التى قد يراها الوسطاء الروحيون عبارة عن محض ظواهر نفسية . فلا ينبغي أن يفوتنا أن الوسيط يملك عقلاً من نفس نوع العقول التى تملكها الأرواح غير المتجسدة ، ويملك بالتالى أن يؤثر بصورة ما فى الوسط الذى يحيط به ، كما يملك أن يتأثر به على نحو أو على آخر ، ومن ذلك أن يتلقى تأثيرات معينة عن طريق التلباتى من عقول بعض الجلساء معه فى الغرفة ، أو من بعض البعدين عنه أيضاً .

ولكن هناك ظواهر روحية صرف لا يمكن تعليلها إلا ببقاء الوعى بعد الموت ، وبإمكان نشوء صلات بين رعى أحد المنتقلين ووعى الوسيط أو الوسيطة ، تماثل إلى حد كبير الصلات التى يمكن أن تنشأ بين عقلى شخصين أو أكثر لا يزالان على قيد الحياة الأرضية ، وقبل التحرر من ربة الجسد المادى .

وذلك لأن كل ما يصح أن يصدر عن عقل الروح المتجسدة incarnated يصح أن يصدر مثله من عقل الروح بعد انفصالها عن الجسد disincarnated . فكل هذه الخصائص النفسية من مميزات الروح لا الجسد ، لأن العقل بشطريه الواعى والباطن موطنه الروح ، أما المخ فموطنه الجسد . بل إن الروح بعد تخليها عن جسدها تكون أقدر غالباً على إحداث هذه التأثيرات « النفسية » منها قبل هذا التخلي وذلك :
أولاً : لأنها تستخدم عقلها متحرراً من قيود الاعتقال في الجسد المادى .

وثانياً : لأنها تستخدم عقلها بالكامل ، أى بشطريه الواعى وغير الواعى مندمجين معاً أحدهما فى الآخر ، لأنه بالتحرر من الجسد المادى لم يعد هناك بعد شطر غير واعٍ من العقل .

وثالثاً : لأنها أسرع انتقالاً بكثير بعد « الوفاة » مما كانت قبلها ، مما يسهل لها أن تنشئ صلات مباشرة مع عقل الوسيط كانت تعجز عن مثلها قبل « الوفاة » .

ورابعاً : لأنها بالنظر إلى إرتفاع اهتزازها تحصل على قدرة من التأثير فى الأثير الرقيق المحيط بها تفوق قدرتها السابقة قبل الوفاة . وكذلك الشأن فى تأثيرها فى أية طاقة قد تنبعث من الوسيط ، أو من أحد الجلساء ، بما فى ذلك احتمال تأثيرها فى الاكثوبلازم ، إذا ما توافرت لها أية وساطة من هذا القبيل (١) .

هذا من جانب ، ومن جانب ثانٍ فإن التمييز عادة يكون ميسوراً بين ما قد يرد إلى عقل الوسيط من عقل كائن لم يتخل بعد عن جسده المادى ، وما قد يرد إليه من عقل كائن تخلى بالفعل عن هذا الجسد . وسبل تحقيق شخصية الروح أصبحت الآن متنوعة ، وقد عرضنا لبعضها فى مناسبتنا (٢) .

(١) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ١١٩ — ١٢٢ ، ١٢٩ — ١٤٠ .

(٢) راجع ما سبق فى الجزء الأول ص ٣٩٥ — ٤٠٠ .

ومن جانب ثالث فإن ثمت ظواهر روحية خالصة لا تملك النظريات النفسية التقليدية أى تعليل لها ، خصوصاً تلك الظواهر الفيزيائية التى أمكن تسجيلها بأجهزة دقيقة أو بالكاميرا ، مثل تجسد الأرواح كلياً وجزئياً ، والصوت المباشر ، والكتابة التلقائية والمباشرة ، وظهور صور وكتابات شتى على الألواح الحساسة ، وتحريك الأجسام الصلبة ، وعلاج بعض الأمراض العضوية التى لا تمت بصلة مباشرة إلى الحالة النفسية أو العقلية للمريض ...

ولقد وصل العلم الآن إلى إمكان التمييز بين الظواهر النفسية الصرف ، وبين ظواهر الوساطة الروحية التى تثبت دوام الوعى بعد التخلل عن الجسد المادى ، بفضل بحوث دقيقة تكفل بها علماء كبار — نفسيون وغير نفسيين — ممن واجهوا بشجاعة مسئولية البحث العلمى المثابر ، متحررين من قيود الماضى وافتراضات المدارس المادية فى علم النفس القديم .

ولحسن الحظ قد انتهى بفضلهم العصر الذى كانت تفسر فيه كل ظاهرة روحية بأنها من نتاج العقل الباطن للإنسان ، وكانت الظواهر كلها قويت وكلما ظهرت دلالتها الصارخة كلما أضفى النفسيون المحافظون على العقل الباطن — تدريجياً ومع الوقت — انساعاً رهيباً لا يمكن أن يعترف به أى بحث علمى محايد . واكتسب العقل الباطن قدرات فى الخلق والإبداع تفوق كل تصور ، فأصبحت ظواهر التجسد الناطقة الواضحة من نتاج العقل الباطن وقدرته الساحقة فى الخلق والإبداع . . . وكل ذلك للتوصل — عن طريق الافتعال المغرض — إلى نفي دلالة الظواهر الواضحة الصريحة ، حتى التجسيدات المادية فى الإنشاء عن دوام الحياة بعد موت الجسد المادى .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ موريس ماجر Maurice Magre قائلاً : يمكن القول بأن فرويد Freud خلط بين الماضى والمستقبل .

إن العقل الباطن (أو غير الواعي *inconscient*) عبارة عن كومة غير مرتبة متبقية من حيواتنا الماضية^(١)، ترتفع منها أحياناً دفعات غامضة وقوى متضاربة إلى عقلنا الواعي، إذ لا يمد العقل الواعي أضواءه إلا على مساحة صغيرة، ولكن أمامه الأرض الواسعة التي للوعي الأسمى *La Conscience Supérieure*، والتي عليه أن يغزوها ولو عن طريق مجهودات مؤلمة. وعن طريق هذا الوعي الأسمى قد تأتي أحياناً ومضة من الضوء، أو شعلة ترسم الطريق يخطونها عادة بما يشير به العقل الباطن، إذ أنه لا شيء يميز عندهم ما هو قادم من فوق بما هو قادم من تحت.

ولذا أسندوا جميع الظواهر التي تتجاوز نطاق القوانين الطبيعية - وبغير أية تفرقة بينها - إلى هذا الذي يسمى بالعقل الباطن، بغير أن يعرفوا ما هي حدوده بالضبط. فأسندوا إلى هذا العقل الباطن قوى أشد إعجازاً بكثير من كل ما يمكن تخيله في نطاق المعجزات. فمثلاً إذا ما أخذ وسيط في غيبوبته في التحدث أو في الكتابة بلغة قديمة - ولو كانت هي اللغة السنسكريتية التي لا يعرفها - فذلك بفضل العقل الباطن !! وإذا ما عمد نفس هذا الوسيط الخاضع لاستحواذ كائن غير معروف أو قوة غير محددة إلى قراءة أفكار غيره، أو إلى الرؤية عن بعد، أو إلى رسم أحداث مضت، أو إلى التنبؤ بأحداث مستقبله تنبؤاً صحيحاً، فكل ذلك يعزى إلى العقل الباطن ! وهكذا - عن طريق تحكم لا يمكن تبريره - افترضوا أن قوى العقل الباطن لانهاية لها.

ومعنى ذلك استبدال صورة من الإعجاز بصورة أخرى تبدو أشد منها غرابة، وأبعد منها عن التصور. ولكن يبدو خطأ فرويد صارخاً أكثر من ذلك في شأن تفسير الأحلام^(٢)...

(١) إذ أن المؤلف من أنصار نظرية تعدد الحيات *Re-incarnation*.

(٢) من مؤلفه عن « التداخلات الغوق الطبيعية » ص ٥٩ ، ٦٠ .

ولقد أخطأ فرويد كثيراً عندما قال باستبعاد التمييز بين العقل الأسمى والعقل الأسفل، لأنه باستبعاد هذا التمييز قد استبعد التفسير الوحيد المقبول لكل الظواهر التي عرض لها، فإن هذا التمييز هو الذى يبرز ذاتية ما هو روى psychique وما هو واعٍ

« إن هناك نوعاً من التعمية الفلسفية وقصوراً في النظر عند القول بأن الإنسان مسير بعقله الباطن الأسمى . إن العقل الباطن يجيء من ناحية أعماق أبعد كثيراً من أعماق الطفولة . إنه عبارة عن كتلة غامضة من تجارب متراكمة من الحيات السابقة ، ومن المستحيل ألا يكون فرويد قد رآها ، ولكن هل كان بمقدور عالم غربي أن يقول بذلك ؟ لقد كان فرويد مقيداً بالفكرة الأولية التي كونها عن النفس الإنسانية ، والتي لا تحمل سوى حياة واحدة ، هي حياتها المنظورة .

ولإنها لفكرة مماثلة لها ، هذه الفكرة التي تميل إلى إنكار كل حياة للنفس بعد موت الجسد ، والتي تحمل عدداً كبيراً من بحاث ما وراء الروح إلى أن يعزوا إلى العقل الباطن كل ظاهرة من الظواهر الفوق الطبيعية .

إن العقل الباطن يصح تشبيهه بالجهل الذى كان يتحدث عنه بوذا ، والذي كان يعلم أنه العدو الأعظم للإنسان ، لأنه عبارة عن « فوضى لا شكل لها chaos informe ، حيث تنصارع الشهوات الحيوانية والخاوف القديمة من العصور المنقضية .

إن دعاة العقل الباطن أخطأوا ، أو بالأدق بالغوا ، لأنهم لم يحسبوا حساب وعينا الأسمى الذى يمثل ذواتنا الحقيقية ، التي صرنا إليها بعناء شديد من حياة إلى حياة ، وخرجنا بها من الانعكاسات السفلى ، هذه الذات التي اعتقد العالم النفسى الممتاز يونج Jung أنه قد اكتشفها أخيراً وأطلق عليها وصف « الإنسان السماوى L'homme Celeste ^(١) » .

* * *

(١) عن المرجع السابق ص ٦٣ ، ٦٤ . وراجع ما سبق عن بعض آراء يونج في الجزء الأول ص ٢٩٤ ، ٤٤٩ — ٤٥١

وليس المقام - مع ذلك - مقام دخول في نقاش مع أى إنسان . إنما بعد البيانات التى سردناها نظن أن من حقنا أن نتطلب فيمن يحاول الجدل أن يطلع أولاً اطلاعاً كافياً في هذا الموضوع المتشعب الأطراف ، وأن يواصل البحث والتجريب لسنين كثيرة ، فإن ذلك أفضل جداً للحقيقة العلمية التى ينبغى أن تكون وحدها رائد الجميع . أما الاعتداد بالرأى ، وأما التمسك بالقديم لمجرد قدمه فهو ليس من سمة العلم الصحيح فى شيء ، ولا هو السبيل الصحيح للوصول إلى أية حقيقة من حقائق هذا الكون غير المحدود ، والتى لا يعرف العلم منها حتى الآن إلا أقل من القليل .

بعض الدوافع غير العلمية للمعارضة

فإذا تركنا معارضة بعض المحللين النفسيين ، وجسدنا دوافع كثيرة غير علمية للمعارضة . منها بوجه خاص الشك المطلق الذى ليس له ما يبرره فى نتائج جميع البحوث العلمية فى الروح مهما كانت أمينة ومحايدة ، ومهما أحيطت بجميع الضمانات المطلوبة للاطئنان إليها . وهذه الطريقة الغريبة من الشك ، أو بالأدق من الإنكار المضطرب ليست من الأسلوب العلمى فى شيء أيضاً ، ولأنكفى لهدم نتائج جميع البحوث العلمية الدقيقة التى أحيطت بالضمانات الكافية ، والتى أسفرت عن كثير من النتائج الإيجابية الحاسمة التى صمدت على أعين وسائل الاختبار والتجريب . بل إنها خطة من المسكوبة تثير من الابتسام أكثر مما تثير من الأسى ، ومن الإشفاق على أصحابها أكثر مما تثير من الضيق أو الغضب .

ذلك لأن الموقف بين القائمين بالشبوت ، وبين أصحاب هذه الخطة من الإنكار مقدماً بغير ما تحفظ ، هو أشبه ما يكون بموقف صاحب دعوى إذا قدم إلى القاضى مائة دليل على صحة دعواه . فإذا فرضنا أن القاضى استبعد تسعة أعشار هذه الأدلة - للشك فيها أو لعدم صحتها - ألا يكفي العشر الباقى وحده - متى صمد لكل وسائل التحقيق والخبرة الفنية - للحكم

للمدعى بصفة دعواه ١٩ بل لنفترض أن هناك دليلاً واحداً فحسب صمد تماماً لأنفسى وسائل التحقيق والخبرة ، وكان منصباً على أصل الحق المدعى به ألا يكفي للقول بثبوته من الناحية المنطقية حتى مع استبعاد كل الأدلة الأخرى ؟

وهنا في مجال الحاجة الروحية لسنا إزاء دليل واحد صمد على أعتى وسائل البحث والتحصيل ، ولا عشرة ولا مائة ولا ألف دليل . بل نحن إزاء أكده من أدلة تم تمحيصها في بيئات علمية ، وبوسائل علمية في أنحاء شتى من العالم ، ولا يمكن لكثرة هذه الأدلة أن يمتد إليها حصر الآن . وهي مترابطة متساندة فيما بينها وفيما بين حقائق العلوم الأخرى ، أفلا يوجد فيها دليل واحد قادر على إقناع صاحبنا هذا المصر مقدماً على إنكاره بغير ما سند ولا سبب ؟ ... فما بالك إذا كانت أمامه الآن أعمال عشرات من الجامعات والمعاهد والهيئات المنتشرة في كل مكان ، والمطروحة على محكمة العلم بكل تفاصيلها وأسانيدها التي تحمل على الثقة فيها ، والمستمدة من الطريقة التي جرت بها وقيمة الأشخاص الذين تأبروا عليها لعشرات من السنين ؟ . والمستمدة قبل كل اعتبار آخر من النتائج المترابطة التي انتهوا إليها في أخطر حقيقة كونية وضع العلم المادى يده عليها حتى الآن .

والأ تساور هذه البحوث مجتمعة معارضة من متسرع ربما تكون كل صلته بهذا الموضوع الخطير أنه قرأ فيه كتابين أو ثلاثة قد يعوزها النهج العلمي ، وكثيراً ما يشوبها الخلط بين العلم والشعوذة ، أو قد تكون محض شعوذة — فما أكثر المشعوذين باسم الروح — فيتصور أن هذا هو علم الروح وأن هذه هي كل أسانيده ؟ وهكذا يكون صاحبنا رأياً لا يحيد عنه يتصور فيه كل العصمة وبيادر إلى الإمساك بالقلم للهجوم على الموضوع كله في جملته وتفصيله ، بغير هوادة ولا رحمة ! !

ويشبهه المعارض الذي حضر بعض جلسات فاشلة ، أو ذلك الذي كان

ضحية دجال باسم « تحضير الأرواح » نخرج باقتناع حاسم بأن الموضوع كله محض دجل . وقياساً على ذلك هل يجوز لمن كان ضحية طبيب فاشل أن يعان أن الطب كله محض خرافة ودجل ؟ وهل يجوز أن نقرر أن الطب كله محض ادعاء لمجرد انتشار ادعاء الطب في كل مكان ؟ ... وهل يكون ذلك من المنطق العلمي في شيء أم يبعدنا حتماً عن ميدان الحقائق النافعة إلى ميدان المهارات الضارة ؟ ..

ويؤسفني أن ألاحظ أن عدداً ما من الذين تصدوا للاعتراض سلم خلال سطور ما يكتب من تحامل قاس بأن بواعث معارضته لا تخرج في النهاية عن بعض هذه البواعث أو كلها . فهل يوصل مثل هذا النوع من الاعتراض إلى أية حقيقة علمية ؟

بل إن منهم من لا يزال يتصور أن الأمر كله عبارة عن محض مباراة كلامية ، وأن العبارات الرنانة — التي قد تتخللها أحياناً ألفاظ منتقاة معاقب عليها قانوناً ، وتسكرها تماماً أساليب النقاش العلمي — كفيلة بأن ترهب المفكرين والعلماء ، وبأن تقوض نهائياً بحوثاً تجرى — منذيف ومائة عام — على أشد المناهج العلمية صرامة بغية الوصول إلى الحقيقة وحدها ، وما أخطرها من حقيقة ! ..

إن كل هذا البيان الشائخ من النتائج الإيجابية التي جمعها العلماء في كد ونصب سيصبح هشيماً تذروه الرياح ، لأن صاحبنا الأديب نزل إلى الميدان منفعلاً بقلمه البليغ في الإنشاء . . أما أن يتهم نفسه بالتسرع في تكوين الرأي ، أو بالاندفاع فيما لا مجال فيه للاندفاع ، فكلأ وألف كلا ، لأن الخطأ ليس من شيمة هؤلاء البلغاء الأذكياء ! لكنه من شيمة جميع الهيئات العلمية ، والجامعات العريقة ، ومن يعملون مثابرين فيها وفي خارجها من مفكرين وعلماء .

بقى من الدوافع غير العلمية للمعارضة عند بعض المعارضين اعتقاده الجازم أنه قد ملك الحقيقة المطلقة كاملة غير منقوصة ، وملك غيره البطلان ! فهو يتوقع من أى باحث أو كاتب أن يردد هذه الحقيقة كما يفهمها بنفس صيغها وحروفها ، وبلا زيادة ولا نقصان. ويريد بالتالى من فلسفة الروحية — أيا كان مصدرها — أن ترضى كبريائه وأن تصور له ناموساً — متحيزاً وغيباً — قدر لشخصه المرموق التفوق والانتصار ، وقدر لغيره الضياع والاندحار !

فإذا بدا من هذه الفلسفة الروحية أى أفق واسع ، أو أية محبة غامرة للبشر أجمعين — وعلى قدم المساواة فيما بينهم — فهذه هى بعينها الطامة الكبرى . وهى بغير ما ريب فلسفة من وحى الجن أو الشياطين ! وبما أن هذه الفلسفة لن ترتفع — أبداً — إلى مستوى فهمه العظيم ، فهو لن ينزل — أبداً — إلى مستوى فهمها العقيم ، الذى يناقض ما رضع لبانه منذ الصغر من فهم — لحقائق الحياة — أليم . . . فهو يملك بالتالى كل سبب يدعوه إلى رفض الموضوع فى جملته وتفصيله .

وهذا الطراز من المعارضة كان — وما يزال — هو الطابع المميز لموقف بعض المعارضين باسم الاعتقاد — بوجه خاص — والمستترين بستاره فى كل مكان ، وذلك منذ بدأت البحوث الروحية فى سنة ١٨٤٦ حتى الآن . والفلسفة الروحية واضحة عرضنا لبعض أجزائها فى الأبواب الثلاثة الأخيرة من الجزء الثانى ، وهى لا تحتاج إلى من يدافع عنها ، أو إلى من يقارن بينها وبين غيرها من فلسفات لكن لنفرض جدلاً أنها بعيدة عن الحق وعن السكال ، هل يكفى ذلك من الناحية المنطقية الصرف لرفض الموضوع جملة وتفصيلاً ؟

لو صح إمكان ذلك من الناحية المنطقية لصح إذأ لمن يقرأ فلسفة لا تعجبه آتية من بلاد الصين أن ينسكّر وجود هذه الفلسفة ، وينسكّر معها

وجود أية صلة ببلاد الصين ، بل أن ينسكز وجود بلاد الصين ذاتها ويقول
لأنها محض خرافة . أو أن يتخذ منها موقف العداء المبين بلا هوادة ولا لين ،
أو أن يصر على أن بلاد الصين هذه لا يقطنها سوى الجن أو الشياطين . .
أليس ذلك من الناحية المنطقية هو بالضبط موقف هذا الصنف من
المعارضين ؟ وهل يؤدي مثل هذا الأسلوب غير العلمى فى بحث الأمور
إلى الوصول إلى أية حقيقة علمية ، ومتى وفى أى مكان نجح فى ذلك ؟ ..

* * *

ومن ضمن وسائل الاعتراض التى يتذرع بها هذا الصنف أيضا تصوير
أخطار وهمية قد تحيط بالبحوث الروحية وبأحشيا ووسطائها ، وذلك لتنفير
الناس من البحث فيها أو الاطلاع عليها . ولندع مناقشة ذلك للروح
الفرعونية القديمة نونا Nona على لسان الوسيطة روزمارى وهى تقول : كل
فرع من فروع البحث له أخطاره . وإنما تأتى المآسى من الأعداء الجاهلة
الذين لا يقدرّون قيمة المواهب الذهبية . كذلك كانت مأساة جان دارك
والتي لم تتضح بعد لمعظم هؤلاء الذين يتشدقون ببطولتها الفريدة . وإذا
كان للوساطة اليوم قيمتها فيجب أن نعين الشجعان من النساء والرجال الذين
يتحملونها ويقاسون عناء حساسيتهم الزائدة فى عالم هو بالنسبة لهم
منخفض الذبذبة .

لقد ذهب الأيام التى كان الجاهل يرفع فيها عقيرته ويوجه فيها التلميحات
للشيطان .. إن هؤلاء الوسطاء هم ملح الأرض .. (١) .
قطعت جبهة قول كل خطيب . . .

الاعتراض بشهادة الخواص

بقى من ضمن دوافع المعارضة غير العلمية عدم الثقة إلا بما قد تنبئ عنه

(١) عن كتاب « مصر القديمة تتحدث » Ancient Egypt Speaks من تأليف
الدكتورين هوارد هيولم H.Hulme العالم فى التاريخ الفرعونى من أكسفورد وفردريك
وود F.Wood .

الحواس المادية والتجارب الشخصية للإنسان . ويصعب أن نتصور وجود معارضة قائمة بذاتها لا تملك من دوافع الاعتراض إلا التذرع بشهادة الحواس وحدها . فإن هذا النوع من المعارضة إنما مكل ومتداخل مع الاعتراض بعدم صحة جميع البحوث التي جرت في هذا الشأن ، وكلا النوعين يستندان في حقيقة الأمر إلى الاعتقاد الجازم الذي يملأ عقول بعض الناس بأنه قد ملك الحقيقة المطلقة كاملة غير منقوصة ، وملك غيره البطلان ! فإن هذا الاعتقاد الجازم ولا شيء غيره هو الحافز الحقيقي الذي يستتر عادة بستار إنكار قيمة بحوث الآخرين ، وعدم التعويل إلا على شهادة الحواس المادية والتجارب الشخصية ، على حساب أن يتردى بذلك مظهرأ علباً مقبولا ...

وهذا الاعتراض بشهادة الحواس لا قيمة له بداهة رغم أن الظواهر الروحية حسية في جوهرها ، لكننا لا نتحدث عند الطلب وليس للعلم المادى عليها من سلطان ، وليس هناك من سبيل لأن تكون كذلك . فهذا الصنف من المعارضين يريد أن يأمر الظواهر الروحية فتأتمر فوراً وتحدث على أقوى صورة قرأ عنها أو سمع ، وإلا فهي غير صحيحة ، وكل من يتحدث عن صحتها ساذج مخدوع ..

وكأنه يريد بمنطقه هذا من قوانين الطبيعة أن تغير من طبيعتها ، وأن تعطل نفسها ، بل أن تلغى وجودها حتى يسلم هو بوجودها وهو غالباً يريد ظواهر مثيرة ، فلا تقنعه الظواهر الهادئة أو البحوث التي تجري في صبر وأناة ، مهما أحيطت بالضمانات الكافية ، ومهما وضحت دلالتها ، لأنه يريد أولاً وقبل كل شيء من عالم الأثير أن يكون طوع بئانه ، وإلا فلن يتنازل بفضل الاعتراف له بأى وجود ، وإن يمنحه هذه النعمة العظمى التي لن يستحقها منه . ولهذا الاعتراض قيمته لو أن الأسلوب التجريبي زعم أنه قد سيطر على الروح وعالم الروح وأخضعهما لسلطانه . لكن أحداً من العلماء لم يزعم ذلك ، بل إنهم كلهم يسلمون بأن الروح هي سيدة المادة وليست

المادة سيدة الروح ، وأن رسالة الروح هي ، أن تعرف لا أن تعرف وأن
تشعر لا أن يشعر بها ، ، كما بينا ذلك في عدة مناسبات (١).

ثم إن عدم خضوع الروح في ظروفها العادية لحواسنا في حالتها الطبيعية
أمر لا ينبغي بذاته صحته وجود الروح ، وصلاتها المحتملة بنا ، لأن حكم الحواس
لا يصح أن يكون هو الفيصل بين الحق والباطل بعد ما ثبت من قصور هذا
الحكم إلى أقصى مدى . أو لنقل مثلما قال المرحوم الأستاذ عباس العقاد بحق
في معرض الدفاع عن الإيمان بالله عن غير طريق الحواس - فهو من الناحية
المنطقية ينطبق إلى نفس المدى على الإيمان بالروح وبالعالم الروح - « إن العلم
براء من هذا التعطيل الذي يشل العقول ويفقدها شجاعة الاعتقاد . فإذا جاز
له أن ينكر فإنما يحوز ذلك بحجة واحدة وهي أنه يجمل وليس أنه يعلم .
ومن الجمل لا من العلم أن نجعل الجمل مرجعاً للوجود من أعلاه إلى أدناه ،
فليقل « العالم » أنه يجمل لأن الأمر أكبر من أن يعرفه ويحيط بحدوده ،
لكن الأمر الذي لا يعرفه ولا يحيط بحدوده موجود لا شك فيه . . » (٢).

ومع ذلك فلسنا - في نطاق علم الروح الحديث - إزاء محض اعتقاد
أو إيمان ، بل نحن إزاء ظواهر حسية خضعت لكل وسائل الاختبار المعمل
كما قلنا ولا تزال تخضع له في كل مكان . وكل ما يميزها عن ظواهر العلم المادى
الصرف هو - لحسب - أنها ليست طوع إرادته ، لأن ظواهر الروحية
خاضعة لنواميس لاسلطان لأحد عليها . لكن من الجائز أن تنجح متى توافرت
لها ظروفها وبعد التقيد بقواعدها . وذلك لا ينفي مطلقاً إمكان صحتها
وصحة دلالتها الخطيرة في الإنباء عن دوام حياة الإنسان بعد موت الجسد ،
وعن الصلات المحتملة بين سكان الأثير وسكان الأرض ، بحسب أى مذهب
في الفلسفة اتخذ الإنسان سبيلاً له إلى أية معرفة صحيحة حتى الآن .

(١) راجع ما سبق في الجزء الأول ص ٩٤ - ٩٩ ، ٣٣٠ .

(٢) عن كتاب « الله » طبعة ٢ ص ٢٩١ .

ويستوى في ذلك مذهب ديكارت Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠) فيلسوف الشك الفرنسي مع غيره . لأن ديكارت وإن كان يستبعد شهادة الحواس ويتذرع بالشك إلا أنه يصل عن طريق الشك إلى اليقين ، فمهما وصل إلى الشك فليس بمقدور أن أشك في أنني أشك ، . ولأنه يسلم بأن بمقدور الإنسان مع تزايد معرفته أن يصل بعقله إلى اليقين في كل ما يستطيع الوصول إليه ، إذ أن العقل السليم هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس . فالمعرفة الواضحة عنده هي المعرفة العقلية ، ما دام أن الله هو الذي يضمن كل معرفة وكل حقيقة وكل علم ، لأنه هو مبدأ المعرفة ومصدر اليقين ، .

وأحب أن يقدر هؤلاء السادة من المعارضين المتسرعين أن جل بحاث العلم الروحي الحديث ورواده لم يبدأوا شاكين ، بل بدأوا منكرين تماماً ، فإذا كانوا قد انتهوا إلى اليقين بعد سنوات طوال من البحث المضني فإن اليقين كان بعد استبعاد شهادة الحواس ، وبعد أن كان سيسلمهم إلى اليقين هو المعرفة العقلية ، خاضعة لسكل وسائل التحييص والنقد الصارم التي يعرفونها .

ولا يقل عن ذلك في الوصول إلى نفس هذه النتيجة مذهب عمانوئيل كنط Emmanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) الفيلسوف الألماني الذي يجعل العلم قادراً على الوصول إلى نتائج يقينية إذا ما درس عالم الظواهر الطبيعية . لأن العقل يزود صاحبه بالعناصر الأولية المطلوبة لتحقيق صحة الظواهر في التجربة . وذلك إذا ما لوحظ ما سبق أن ذكرناه في أكثر من مناسبة من أن محور العلم الروحي الحديث هو دراسة ظواهر معينة مهما كانت غير عادية أو غير مألوفة ، فإنها من ظواهر الطبيعة التي خضعت لوسائل التجربة والتحقيق . لذا يطلق على الروحية الحديثة وصف الروحية التجريبية لتمييزها عن الروحية الفلسفية أو الدينية .

وإذا ذهبنا مذهب أوجست كومت Auguste Comte (١٧٩٨-١٨٥٧) وإمام الفلسفة الوضعية — والذي كان يمت كل تأمل ميتافيزيقي —

لوجدنا أننا هنا إزاء ظواهر لا تمت بصلة إلى التأمل فيما وراء الطبيعة ، بل نحن إزاء بحوث معملية صرف من نوع تلك البحوث التي كان هذا الفيلسوف يطالب بتطبيق المنهاج العلمى عليها على أوسع صورة ، حتى نصل إلى تنمية التراث العلمى ، وتنظيم أوضاع حياتنا على قواعد مدروسة ، ...

فكيفما قلبنا النظر في موقف المعارضين باسم شهادة الحواس لوجدنا أن موقفهم لم يعد مفهوماً من الناحية المنطقية منذ نصف قرن بالآقل ، بعد أن صمدت هذه البحوث لمدة نصف قرن آخر على أدق وسائل البحث الوضعى ، والتمحيص الدقيق داخل بيئات علمية بدأت منكرة للوضوح تماماً .

فى العقبات الحقيقية

لكن مهما كثر معارضو هذا العلم الحديث وتعددت بواعث معارضتهم — كما ترى — فإنى وأيم الحق لا أخشى على مستقبله منهم ، لما بينت من أسباب عن بطلان معارضتهم ومخالفتها لسكل منطق علمى وفلسفى . ولاعتقادى أن مرور الزمن يخدم كل حقيقة علمية مهما كابدت من معارضيتها ، كما كان الشأن دائماً وعلى مر العصور . بل إن الخطر الحقيقى على مستقبله يكمن فى جانب من « الروحانيين » أنفسهم سواء أكانوا من الوسطاء أم من الباحثين السطحيين والكتاب .

وذلك لأن البحث فى موضوع الأرواح يمكن — كماى بحث آخر — أن يجرى على كل مستوى . فهو يمكن أن يرتفع بفضل المنهاج العلمى الصحيح إلى مستوى من « علم أصيل قد لا يدانيه فى عمقه وفى فائدته للإنسان أى علم آخر ظهر على سطح الأرض سواء فى كشفه عن حقيقة الإنسان ، أم عن حقيقة الطبيعة وعن عوالم أخرى ليس عليها إلى الآن أقل إشارة من علم .. » على ما لاحظته عالم من أبرز العلماء فى القرن الماضى ، وهوسير وليام كروكس . أما عند انتفاء المنهاج العلمى بسبب شدة الحماس أو سرعة التصديق فإن هذا البحث ينزل حتماً إلى مستوى من هذر يضر حتماً ولا ينفع أحداً .

فليحذر إذاً كل باحث جاد من سرعة التصديق ، أو من الانقياد وراء
الأوهام والخرافات ، وليضع نصب عينيه أن في ميدان البحث في الروح
بالذات خرافات كثيرة طالما أساءت إليه وألبست الحق بالباطل . وليعلم
أن صلة المشعوذين بالروحيين كصلة أذعياء الطب بالأطباء . وليس هناك من
يفصل بين الحق والباطل في هذا الشأن إلا الأسلوب العلمى الناقد والبحث
المشابر المحايد الذى ينبغى أن يضطلع به عدد كاف من العلماء والاختصاصيين
مجتمعين ، لا يحدوهم هدف سوى رغبة الوصول إلى الحقيقة العلمية وحدها
بصرف النظر عن أى اعتبار آخر . ومهما كبدهم هذه الحقيقة من مشقة
الاطلاع المتواصل ، وعناء التجريب الذى لا يتوقف لسنوات طوال .

* * *

وكذلك من الناحية الخلقية أيضاً ، فإن هذا البحث يمكن أن يرتفع إلى
مستوى من الخدمة الراقية التى ترفع من قدر صاحبها ، ومثله الوساطة الراقية
أيأ كان نوعها . كما يمكن أن ينزل أيهما إلى مستوى من الدجل قد يخضع
لقانون العقوبات ، شأنه في ذلك شأن الطب أو السيكلوجيا أو القانون ،
أو أى علم أو فن آخر عندما يستخدم فى استنزاف مال البسطاء ، أو فى الاتجار
بأحزان الناس وآلامهم .

فعلى القارئ أن يحذر تماماً من قد يحاول إيهامه بأن له أى سلطان على
الأرواح ، أو أن الأرواح تقضى الحاجيات المادية التافهة ، إذ هى لا تعنى بها
ولا تعرف كيف تقضيها ، لأنه يهملها أولاً خلاص نفوسنا وتحريرنا من
التعلق بالحاجيات العابرة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع . فطريق الروح غير
طريق الجسد ، وسبيل الحياة الباقية يقع على النقيض من سبيل الحياة الفانية .
ثم إن قوانين الطبيعة نفسها تجعل نشاط الأرواح محكوماً بهذه القوانين الروحية
إلى آخر مدى ، فلم أقرأ أن روحاً واحدة رغبت فى خدمة مصلحة مادية لأى
إنسان مهما كان وثيق صلة بها ، أو تمكنت من ذلك .

وفي هذا الشأن يروى طبيب لبناني عاش في الولايات المتحدة الأمريكية أنه كان يعاني داء في جسده عندما اتصل بروح والده عن طريق وسيط أمريكي يسأله المشورة في صحة جسده ، وبعد أن قدم له والده عدة شواهد على صحة شخصيته بعث إليه برسالة مسببة قال له فيها « وعلى كل كتبت لك بالإسهاب لأنني أهتم بخلود نفسك وخلاصها أكثر من اهتمامي بجسدك الذي سوف يزول فلا تبقى سوى نفسك الثينة »^(١) . خلاص نفسك الثينة ! هذا هونداء الأرواح الراقية إلى « كل نفس ذائقة الموت » . أما اهتمامات حياتنا ومطالبها الصغرى فقلبا ترد على لسانها أو تثير لديها اهتماماً يذكر ، رغم الأهمية القصوى التي قد نعلقها عليها عن جهالة وضيق أفق ...

* * *

ومن الناحية الدينية يمكن أن يرتفع البحث في الروح إلى مستوى عالٍ من المحبة والسباحة والفهم الصحيح لحكمة تعدد الأديان — إذ لو شاء ربك لوحد الأديان — فيقبلها قبولاً حسناً ، كقبول حكمته تعالى في تعدد الأجناس والأوطان والألوان والأكوان ، هذا التقبل الذي يكسب الإنسان خبرة متزايدة وأفقاً واسعاً تنمو بهما عاطفة المحبة مع التسامح وتعمق على الدوام ، بدلا من نمو الانطواء والغرور اللذين فطرت عليهما نفس الإنسان ، واللذين هما عدوها الأكبر في كل مكان وزمان .

كما يمكن — من نفس هذه الناحية — أن ينزل البحث في الروح إلى مستوى من الانطواء البغيض أو الانقياد الأعمى للغيبيات ، وهما خطر داهم يتهدد حتماً أسلوب التحيص المنطقي الناقد ، ومعه مشعل العرفان الذي قاد خطوات الإنسان نحو كل معرفة صحيحة ، منذ عرف كيف يشق طريقه إلى المعرفة .

(١) عن « بهجة الأرواح في مناجاة الأرواح » للدكتور إبراهيم عرييل ص ١٢٦ .

فأولئك الفلاسفة والعلماء الكبار الذين قبلوا أن يلصقوا أسماءهم بالحركة الروحية قدروا حتماً أى مستوى رفيع يمكن أن يبلغه ما تعلق بها من أمور فى شأن الفلسفة أو الاعتقاد أو البحث العلمى أو الوساطة، وأى هدف نبيل يمكن أن يحققه للإنسانية أى مجهود عاقل قد يبذل فى هذا الميدان . أما لو كان موضوعها يمثل أى مستوى من الانقياد الأعمى ، أو من ضعف العقل أو الخلق ، لما وجدت هذه الحركة عاقلاً واحداً يقبل أن يلصق اسمه بها ، أو أن يهبها لحظة واحدة من وقته ، لأن فلاسفة النفس والأخلاق ، وعلماء المادة والروح ، خيراً من يقدرون للعلم كرامته ، وللوقت قيمته ، وللخلق الراقى عظيم رسالته فى الحياة (١) .

* * *

كما أن هناك خطراً يهدد الحركة الروحية فى جوانبها الراقية من بعض الأرواح غير الراقية ، لأن ملك الله الواسع ملئ بكل الأصناف منها . وجميعنا نعرف أن فى السكون قوى للشر وقوى للخير ، يقول سير أوليفر لودج فى محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ « ولسنا نحن الوسيلة الوحيدة التى يستعملها الله فى هذا السكون . بل له وسائل من مخلوقات غيرنا ، علينا أن نعمل فى جانب قوى الخير ضد قوى الشر التى هى موجودة فعلاً ، لأن المخلوقات أعطيت حرية الإرادة فاستطاعت أن تختار الخير والشر . »

وأقرب الأرواح إلى المستوى الأرضى وأسرعها — أحياناً — إلى تلبية طلب الحضور — عند توافر صورة الوساطة التى تناسبها — هى أبعدنا عن الرقى وأقربها إلى الأنانية . فهى تزعم المعرفة بأشياء كثيرة تجهلها ، وتلقى بنصائح مضللة فيما لا يعنينا . وبذبذبات كاذبة عن خطأ وعن عمد كىما تسخر

(١) من الأمور التى تسترعى الانتباه أن من بين أعلام الروحية الحديثة ثلاثة أساتذة من تماذبوا على شغل كرسى فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج ، وهم سيدجويك (راجع ماسبق منه فى الجزء الأول ص ١٥٥) ، وهودجسون (الجزء الأول ص ١٩٨) وبروس (راجع ماسبق منه فى الجزء الثانى ص ٥٥٩ — ٥١١) .

من الموجودين فتسعد بذلك . وقد تدعى الحكمة ورغبة الخدمة كما تتملق مشاعرهم وانفعالاتهم كما كانت تفعل تماماً قبل انطلاقها من قيود الجسد . وكما تبذر أيضاً بذور الفتنة والحقد والحسد لو أمكنها ذلك... فالموت لا يغير نجاة من شخصية الإنسان ولا يصقلها ، وعدد من ينطلقون يومياً من قيود الجسد في أنحاء العالم الأرضي وحده يبلغ حوالى مائتى ألفاً . فكم منهم انطلق صالحاً حقاً لحياة الروح وأهلاً لها في سموها ونقاها ؟ . . . وكم منهم اكتسب ثقافة حقيقية وخلقاً كريماً قبل انتقاله أو بعده ؟ . .

ومن الأرواح من قد ينتحل أسماء رنانة حتى يثير الاهتمام في نفوس الموجودين . ولذا كان تحقيق شخصية الروح مشكلة من الصعوبة بمكان كبير هذ جميع الباحثين الجادين في هذه الأمور ، وتتطلب في مواجهتها كثيراً من الحذر والأناة . بل إن بعض الأسماء الرنانة على المستوى الأرضي - حتى عندما لا يحدث انتحال كاذب - قد لا يكون على المستوى المطلوب بحسب أقيسة عالم الروح . فليس الاعتبار هناك لمكانة الإنسان السابقة في عالم المادة ، ولا لرأيه في نفسه ، بل الاعتبار الوحيد هو الحقيقة موضعه من ناموس التطور الروحي ، أى العقلي والخلقى أولاً وأخيراً .

والأرواح الراقية لا تتحدث كثيراً عن الخلق الكريم بقدر ماتتقيد به في تصرفاتها وأقوالها . والإنسان الفاضل ليس هو الإنسان الكثير التحدث عن الخصال الكريمة أو عن نسبتها إلى نفسه أو إلى غيره ، بل هو من تنطق تصرفاته بها . .

وحتى أقوال الأرواح الراقية وآراؤها ينبغي أن تكون محلاً للنقاشه وللتمحيص المنطقي لأنها ليست أكثر من وجهات نظر ، أو بالأكثر فلسفات قد تكون لها قيمتها الخاصة ، لكنها تقبل كل ما يقبله غير هامن نقد ومن نقاش . وعلى ضوء هذه الفلسفات والمعلومات قد يصح للإنسان أن يعيد النظر في بعض آرائه ومعلوماته الخاصة لما قد تنسم به في الجملة من أفق أكثر اتساعاً ،

ومن نظرة إلى حقائق الحياة أكثر اطلاعاً ، لكن ليس من شأن ذلك البتة محاولة إضفاء أية عصمة عليها ، لأن العصمة لله تعالى وحده .

فالباحث في الروح ينبغي إذاً أن يكون يقظاً أريباً يحسن التمييز بين التافه والثمين ، وبين الأقوال العلمية المترابطة ، أو الفلسفية الراقية ، وبين الكلام المفكك الذى قد يلقي على عواهنه ، متبعاً نفس المعايير التى يميز بها على هذا المستوى الأرضى بين ما هو راق وغير راق فى كافة تصرفات الأفراد ، وآرائهم وفلسفاتهم . لأن المصدر الروحى لا يضفى بذاته قيمة خاصة على أى رأى أو تصرف قد ينسب إلى روح من الأرواح إن صدقاً أو كذباً .

فإن لم يفعل ذلك وقبل أى رأى — مهما كان روحى المصدر — على أنه أمر ينبغى التسليم بصحته لمجرد أنه يتفق مع هواه ، أو مع كيفية فهمه للأمور ، جنى على أسلوب البحث العلمى وأساء إليه . أليس التسرع فى الحكم على الأمور أو الخطأ فى الاستنتاج يسىء إلى كل علم آخر ؟ فلماذا تكون الحال غير ذلك فى هذا العلم الناشئ الذى يتطلب كغيره أناة وأسلوباً حذراً ناقداً إلى آخر المدى ؟ بل إنه يتطلب أيضاً ما يتطلبه أى علم أو فن آخر من فطرة سليمة ، هذه الفطرة التى هى وحدها مفتاح كل حقيقة وصل إليها عقل الإنسان حتى الآن .

المستقبل فى جانب علم الروح

هذه هى العقبات الحقيقية التى قد تعوق تقدم البحث فى الروح — وهو ما يزال يحبو فى مهده — أما ماعداها فهى أمور سيتكفل الأسلوب العلمى وحده بتذليلها على مر الأيام ، خصوصاً بعد أن رست له أصول علمية ثابتة وقواعد معروفة . وبعد أن أفلت المذاهب المادية فى تعليل الحياة إلى غير رجعة بسبب تقدم العقل فى المعرفة اليقينية عن طريق تقدم الأساليب

الرياضية ، ولا عجب فقد كانت الرياضة منذ عهد الإغريق — وما تزال —
هى المشعل المضى للإنسان طريق كل معرفة علمية صحيحة .

هذا وقد تقدمت فعلاً حركة البحث فى الروح تقدماً واضحاً ، وذلك إلى
الحمد الذى وصفه الأستاذ محمد فريد وجدى وصف صدق عندما قال
« إن حركة الاعتقاد بالروح فى هذا العصر تفوق كل حركة تقدمتها ،
وإن البرهان المحسوس على وجود الروح وخلودها صار على طرف التمام
لكل طالب ، فياليت رسل الظلمة يفتحون أعينهم لمشرق هذا النور
المنبعث فى كل مكان فيقلعون عن تسميم النفوس بكتاباتهم الإلحادية والله
من ورائهم محيط ، (١) .

ولذا فلا نشك فى أن أى اعتراض على هذه البحوث مهما كانت أساليبها
ودواعيها سيخدم جوانبها مستقبلاً كما خدمها فى الماضى ، ما دامت تبلغ هذه
الدرجة من الخطورة ، لأن كل جزئية صغيرة فيها هى فى حقيقة الأمر كلية
كبرى بحاجة إلى من يبحثها بحثاً متواصلاً أميناً . بل إن الاعتراض غير
العلمى — مهما ظهر مغرضاً سطحياً ، أو إنشائياً نظرياً ، أو متناقضاً مع
نفسه غير منطقى — قد لا يخلو من فائدة فى النهاية .

فقد يدفع عجلة البحث فى هذا العلم عن غير قصد منه ، وقد يكون من
عوامل المثابرة فيه والتأنى فى تقدير نتائجه وإعلانها ، كما هو الشأن فى شتى
العلوم والمعارف . فلكل خصلة إنسانية — ولو بدت فى ظاهرها معوقة
ضارة — حكمة فى ناموس الحياة ، لأنها جزء لا يتجزأ من وسائل هذا
الناموس الحكيم بكل ما يملك من وسائل ، وما أكثرها .

فلولا اعتراضات بعض المعترضين لما وصل البحث فى الروح إلى
ما وصل إليه ، ولما وجد فى كل مكان أسمى العقول النيرة التى دفعت عجلته

(١) عن « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى العشرين » طبعة ١٩١٣ مجلد ٤ من ٤٠٠ .
وإذا كانت هذه الشهادة قبلت منذ سنة ١٩١٣ فماذا يمكن أن يقال الآن ؟

كل هذا الدفع الحديث رغم الحرب الباغية الضروس التي أعلنتها عليه بلا رحمة مدارس المادية والجود معاً، فإذا به يخرج منها ظافراً ثم يتبوأ تدريجياً مكانه الخالي الذي يرشحه في نظر كثير من أفضل علماء العصر لأن يصبح في المستقبل القريب علماً للعلوم .

وليس ذلك بحكم حماس أى من العلماء بقدر ما هو بحكم خطورة موضوعاته وعمقها واتساع نطاقها . وبحكم هذه الحقيقة الكونية الكبرى وهي أن الروح هي أصل الحياة ، وأن الحياة هي أصل المادة ، ولذا فإن علم الروح ينبغي أن يعد أصلاً لعلوم الحياة والمادة معاً بحسب وضعه الطبيعي ، الذي لا يلقى اعتراضاً الآن إلا عند من لا يريد أن يحيا مع هذه الحقائق كما أزاح النقاب عنها كفاح العلماء ، بل يريد — عن وعى منه أو عن غير وعى — أن يغفلها أو أن يتغافل عنها .

وهو وضع لا يمارى فيه إلا من قد يمارى أيضاً في أخطر حقائق النفس أو الفيزياء أو الفلك أو البيولوجيا ، لأن حقائق الروح قد ثبتت بنفس الطريقة العلمية وعززتها مشاهدات يقينية لا تحصى . بحيث أن هذه العلوم مجتمعة أصبحت متساندة في الإنباء عن حقيقة وجود الروح ، وعن الخلود ، وعن الصلة الوثيقة بين عالمي الروح والمادة . وهو بنيان منطقي ورياضي في بعض جوانبه وحسى في بعضها الآخر ، فلا يمكن أن يرفضه الآن إلا من تعود الحرب من قيمة الأسلوب العلى في الكشف عن حقائق هذا الكون التي لا يزال عقل الإنسان في طفولته يحبو باحثاً عنها ، ولن تتكشف له إلا تدريجياً . وعن طريق الملاحظة الدقيقة والبحث الناقد المتحرر دون غيرهما .

وبعد ...

وذلك كله يحملنى على الاعتقاد بأن أية ريج المعارضة ، مهما كانت قوتها ، وأياً كان مصدرها ، لاتضير الآن البحث في الروح ، ولا تمس في قليل ولا في كثير شيئاً من أتفه الحقائق الخطيرة التي وصل إليها . أما الأمر (٤٢م — الإنسان روح : ج ٢)

الذى يضير حتماً البحث في الروح ، بل في الواقع يضير تقدم الحياة ونمو المعرفة، فهو تجاهل هذه البحوث الخطيرة كلية ، فهذه هي الجريمة التي لا تغتفر إزاء المعرفة في ذاتها، كما هي جريمة إزاء كل إنسان من حقه أن يطمئن على مصيره المحتوم ، وأن يتعزى عن نكبات الدهر الخثون وما أكرها .

ولكن هذا الموقف السلبي ، لن يكون — فيما أقدر — موقف بلاد الشرق بوجه عام ، وبلاد العروبة العزيزة بوجه خاص ، لأن بلاد العروبة هي موطن الإيمان بالروح ، ومهيطة رسالات السماء ، وليست روحانية الشرق الأصلية بحاجة إلى كبير عناء كيما تشرق من جديد ساطعة مغدقة أسباب الحياة، كما كانت على مر العصور . فما كان الشرق يوماً داعياً للمادية، وما كان لمدارس الإلحاد فيه أى ملجأ ولا ملاذ . وإذا كان الغرب قد نقض عنه نهائياً نير هذه المدارس ، وأزاح سلطانها الهدام لكل فضيلة ولكل رجاء ، فإن للشرق يوماً آت وقريب تبرز فيه شمس هذا العصر الروحي قوية نافذة ، تضيء للعالمين طريق الاطمئنان واليقين .

ولو عقل الناس مبادئ هذه الروحية العلمية الحديثة ، لوجدوا أنها خير تقريب بين الشعوب ، وخير راية للسلام ، وأنه تحت لوائها يمكن أن تسير الإنسانية كأسرة واحدة متفاهمة في السراء والضراء نحو هدف واحد سام رسمته لها سنة اللشوء والارتقاء ، تغذيها مشاعر متبادلة للهبة والإخاء بعد العداوة والبغضاء ... لقد تطورت عقلية الشعوب والأفراد ، وما كان يمكن للإنسان قبوله في ماضيه السحيق رفضه منذ ماضيه القريب ، وما قبله في ماضيه القريب هيئات أن يقبله الآن . وسيجيء له أحفاد ينكرون بشدة أنهم أحفاد إنسان هذا القرن الذى أعمل السيف في رقبة أخيه الإنسان ذبحاً وتقتيلاً في حرب دامية بعد حرب بعد حرب ، وارتكب من الأوزار — وما يزال — ما يندى له جبين الأبالسة السكبار . . .

لقد قال نابليون : لقد اضطررت إلى غزو أوروبا بالسيف وسيغزوها

من يأتي بعدى بالروح ، فالروح دائماً أقوى من السيف ، . . . نعم الروح أقوى من السيف ، لأن السيف أسلوب العنف لا الحجة ، وستار الضعف لا القوة . أما الروح فهي رسالة السماء إلى الأرض ، وتواضع الإيمان إلى غرور العدوان . وهي الرسالة التي يعرف الإنسان بها نفسه ، ويحدد بها مواقع قدميه ، فيتجنب الكثير من أسباب العثار التي طالما ضللت طريقه ، ولطخته بالآثام على مر القرون والأجيال ، بحثاً عن أمجاد مضللة ، أو لها طمع وغرور وآخرها دماء وأرواح .

وغزو الروح — عندما يآزف وقته — معناه أنه قد آن لدولة الحب أن تغزو دولة الحرب ، وللبأس التواضع أن يسحق غرور التسلط . ولا تصدق أبداً أن الحرب أقوى من الحب ، فالحرب موت ، والحب حياة ، وما كان للموت أن يكون أقوى من الحياة ، ولا للتسلط الغرور أن ينتصر على أنبل عاطفة وشعور . . . ومن يعرف سبيل الروح يعرف سبيل الحب ، ويعرف بالتالي كيف يرى عيوبه الخاصة ، وكيف يحاول أن يصلح نفسه لا نفس غيره . ومن يحاول إصلاح نفسه هو البطل المغوار الذي لا تعرف قيم الروح بطلا غيره ، وهو رسول السلام بين نفسه وبين هذه القيم التي لا تفرط في شيء إطلاقاً ، لأنها هي بذاتها قيم الحياة الحرة المتطورة نحو الكمال .

وهذه هي بذاتها رسالة الروح التي تغزو الآن العالم تدريجياً بعظمة وبمهابة لم يعرف نابليون نفسه منهما شيئاً ، لأنه ليس أكثر من أسطورة دامية من أساطير الحرب لا الحب ، ومع هذا الغزو الروحي ستتراجع تدريجياً قوى التسلط مهما ظهرت براقعة لصغار الأحلام ، كيما يشرق من وراء الغمام الكشيف فجر سلام طويل للأنام .

وهذه الاعتبارات مجتمعة تحملني على ألا أدع القلم إلا بعد التعبير عن بالغ أسنى لما يلقاه العلم الروحي الحديث من إهمال في بلادنا ، إلى حد أنه لا يوجد لدينا حتى الآن أى معهد كيمياء يساهم فيه بجهود ما إلى جانب الجهود

السخية التي تبذل في الخارج من جامعات عريقة ومعاهد شتى ، مع أن نتائجه دخلت بالفعل إلى نطاق الحقيقة العلمية التي تحف بها الخطورة من كل جوانبها .

فهل فقدت المعرفة بالروح قيمتها في بلاد يعتبرها العالم أجمع أمّا حضارة الروح والمادة معاً ؟ ... قد يقول البعض إن المعرفة بالمادة أصبحت في هذا العصر هي كل شيء في نهضات الشعوب وبناء الحضارات .. إلا أن هذا وهم خاطيء وخطير ، لأن حقائق التاريخ تحدثنا أن تلازم المعرفتين أمر لازم لكل نهضة حقيقية ، ولكل حضارة إنسانية بقدر ضرورة تلازم الروح والجسد معاً للوجود على هذا المستوى من الوجود ، بل على كل مستوى له .

ولعل إيماني بهذه الحقيقة الكبرى هو الأمر الهام الذي دفعني لأن أحاول أن أشق طريق إلى ميدان من حق القارئ العزيز أن يراني غريباً فيه . فلولا إيماني التام بأنني إنما اخترت بذلك معالجة موضوع على صرف لا يقل خطراً عن كل موضوعات القانون مجتمعة ، وهو في نفس الوقت وثيق صلة بنهضة بلادنا ورفعة شأنها في العالمين ، لما وجدت القدرة ولا الشجاعة على تحمل عناء القيام ببحث شامل فيه مقدراً — منذ بداءته — مشقته ، متحملاً — بسعادة بالغة — مسؤوليته ، ويالهما من مشقة ومن مسؤولية ! ...

ولم يكن لي من قوة محرّكة إلا الإحساس بهذا الشعور ومعه — أيضاً — الإحساس بحاجة القارئ الطبيعية إلى بعض المعرفة اليقينية عن قدره ومصيره ، وإلى بعض الاطمئنان إليهما ، وإلى بعض العزاء عن فراق أحبابه وذويه ... وكل ذلك حق له مشروع وفائدة له عظمى ... فهل كان من كرامة المعرفة التخلي عن تحمل هذه المشقة وتلك المسؤولية ، مهما كان الدافع إليهما قوياً ؟ ... أم أن المعرفة أمانة في العنق ينبغي أن تؤدي إلى من يطلبها مذكّان أداء الأمانة — في كل قانون — حقاً مقضياً ؟ ...

الإنسان رُوح لا جسد

بمُحَثِّ فِي الْعِلْمِ الرُّوحِيِّ الْحَدِيثِ

طبعة ثانية

فهرس

المجزء الثاني

الوضوع	صفحة
من رُوح أمير الشعراء درة جديدة : «تحية وتأييد لكتاب الإنسان	
روح لا جسد ،	٣
— مقدمة	١٧
— تبويب	١٩

الباب الأول

في موقع عالم الروح	٢٢
تمهيد	٢٢
الفصل الأول : أوليات الفيزياء الحديثة تحل مشكلة موقع عالم الروح	٢٧
— في طبيعة المادة الصلبة	٢٧
— في الاهتزاز أو التردد	٢٩
— في الأمواج	٣٣
— بين العقل والمادة	٣٦
— الضوء هو الحقيقة الثابتة الوحيدة	٤٢
— في تبادل التحول بين المادة والطاقة	٤٣

الموضوع	صفحة
— دلالة النفسية	٤٥
— معنى الزمن في الفيزياء والرياضة الحديثتين	٤٦
— اتساع الفضاء السكوني	٤٧
— بين اتساع الفضاء السكوني وعجز العقل	٥٢
الفصل الثاني : عالم الروح متداخل في عالم المادة	٥٦
— رأى جيمس آرثر فندلاي	٥٦
— العالم الحقيقي يشتمل على سبع كرات متداخلة	٥٧
— اتساع عالم الروح	٥٩
— رأى روح وليام جيمس	٦٠
— رسالة لروح ف . و . مايرز	٦١

الباب الثاني

في أسلوب الحياة في بعض مناطق عالم الروح	٦٥
الفصل الأول : بعض المراجع الهامة في وصف عالم الروح	٦٦
الفصل الثاني : طائفة من الأوصاف العامة	٧٣
— من رأى شو دز موند	٧٣
— من رأى لسير آرثر كونان دويل	٧٤
— من وصف أملتة روح سير وليام ستيد	٧٦
— من معلومات جيمس آرثر فندلاي	٨٣
— من معلومات شارل بينزيك	٨٨
الفصل الثالث : أمور يجمع عليها عن أسلوب الحياة في عالم	
« المستوى الثالث »	٩٣
المبحث الأول : في شخصية الإنسان هناك	٩٤

الموضوع	صفحة
— في الوعي	٩٦
— في تطور الوعي : رأى جيلي	٩٩
— : : : : ماترلنك	١٠١
— في تفاعل الشكل مع الوعي	١٠٣
— في الحواس	١٠٥
المبحث الثاني : في الصورة العامة للطبيعة هناك	١٠٥
— أوصاف عامة	١٠٥
— نماذج من صور وساطية لبعض مناظر طبيعية آتية	
من عالم الروح	١٠٨
— في الحياة الحيوانية والنباتية	١١٠
المبحث الثالث : في بعض المميزات العامة للحياة هناك	١١٣
— في تأثير العقل المباشر في المادة	١١٣
— في المباني	١١٧
— في المدن	١٢٠
— في العمل	١٢٢
— في التعليم والتربية	١٢٥
— هل تقرأ الأرواح كتبنا الأرضية ؟	١٢٨
— في التسلية والرياضة واللهو	١٢٩
المبحث الرابع : في الزمان والمكان هناك	١٣٤
— صلة هذا البحث بنظرية النسبية	١٣٤
— بعض الأقوال في الزمن والروح	١٣٦
— الزمن حالة ذهنية	١٣٨
— هل الأرواح تعرف المستقبل ؟	١٤٠

الموضوع	صفحة
— روح جاليليو تتحدث في الزمان والمكان . . .	١٤٢
المبحث الخامس : في الحياة الاجتماعية هناك . . .	١٤٤
— الأرواح تحيا في أمم متعددة	١٤٤
— في أنظمة الحكم	١٤٦
— العلانية أساس الحياة الاجتماعية	١٤٧
— في التوافق الروحي	١٥٠
— في المحبة	١٥٣
— جوليا تتحدث في المحبة	١٥٤
— آيات في المحبة لروح شوقي	١٥٨
— في العبادة	١٥٩
المبحث السادس : في الحياة العائلية هناك	١٦٠
المطلب الأول : من أقوال سويدنبرج في شأن الحياة العائلية هناك	١٦١
المطلب الثاني : من أقوال بعض الأرواح في هذا الشأن	١٦٥
المطلب الثالث : من تجارب مارجرى لورنس في هذا الشأن	١٦٧
المطلب الرابع : شودزمووند العالم الأديب يعالج موضوع الحياة العائلية هناك	١٧٠
— عن مؤلفه : « كيف تحيا عندما تموت » ؟	١٧١
— عن مؤلفه : « الحب بعد الموت » : تلخيص	١٧٥
— لبعض فصوله	١٧٥
— الحب والزواج عندنا ١٧٧ مراحل الزواج الثلاث ١٧٩	١٧٩
— أحلام الحب والخدمة	١٨٣

الموضوع	صفحة
— وجهة النظر السوكبية عن الزواج ١٨٥ . العاطفة ١٨٨	
— العقل والروح في العاطفة . . . ١٩٣	
— الفكر والجمال والموت ١٩٦ فن الحب . ١٩٩	
— قصة حب أثيرية ٢٠٢ . الاتصال السوكبي والميلاد ٢٠٦	
— تلامس الأفكار ٢٠٨ . التناقل المتبادل هناك ٢١١	
— الحب والموسيقى في العالم السوكبي . . ٢١٣	
— في تعليم الحب ٢١٤ . الطفل والأسرة بعد الموت ٢١٧	
— بناء المسكن في العالم الأثيري . . . ٢١٩	
— الحب الأفلاطوني ٢٢٢ جحيم الحب وجناته ٢٢٥	
— الحواجز تنداعى ٢٢٨ . خاتمة . . ٢٣٠	

الباب الثالث

٢٣٣	في الثواب والعقاب
٢٣٣	تمهيد
٢٣٣	— رأى الإمام الغزالي
٢٣٤	— بحوث آلان كاردك تتفق معه
٢٣٦	— نبذة عن كاردك
٢٣٨	— الشيخ طنطاوى جوهرى يدافع عن نتائج هذه البحوث ويتبناها
٢٤٠	الفصل الأول : في مبادئ الثواب والعقاب بوجه عام . .
٢٤٠	— وقفة عند نظرية العودة للتجسد
٢٤٣	— بعض تجارب معملية في جانب هذه النظرية . . .
٢٤٦	— موقف بعض الآراء منها
٢٤٩	— بعض المراجع فيها
٢٥٠	— أساس الثواب والعقاب ارتباط النتائج بمقدماتها . .

الموضوع	صفحة
— مبادئ الثواب والعقاب عند كاردك	٢٥٢
— ماهية هذه المبادئ	٢٥٢
الفصل الثاني : اتصالات بأرواح شتى لتوضيحها	٢٦٣
المبحث الأول : اتصالات بأرواح سعيدة	٢٦٤
المبحث الثاني : اتصالات بأرواح في حالة وسط بين السعادة والشقاء	٢٧٤
المبحث الثالث : اتصالات بأرواح تشكو آلاماً شتى	٢٧٧
المبحث الرابع : اتصالات بمنتهجرين	٢٨٧
المبحث الخامس : اتصالات بأرواح قتلة	٢٩٩
المبحث السادس : اتصالات بأرواح عنيدة	٣٠٨
المبحث السابع : اتصالات بأرواح كفرت عن سيئاتها على الأرض	٣٢٠

الباب الرابع

بعض المشكلات الفلسفية

في ضوء علم الروح الحديث	٣٤٧
تمهيد	٣٤٧
الفصل الأول : في الإيمان بالله وبالخلود	٣٤٨
— رأى لديكارت في الإيمان بالله	٣٤٨
— في عجز مدارس المادة	٣٥١
أولاً : بالنسبة لتقدم الرياضة	٣٥١
ثانياً : بالنسبة لتقدم الفيزياء	٣٥٢
ثالثاً : بالنسبة لتقدم البيولوجيا	٣٥٣
رابعاً : بالنسبة لتقدم البحوث الروحية وما وراء الروحية	٣٥٧
— العلم الحديث يتجه نحو الإيمان بالله وبالخلود	٣٥٩

الصفحة	الموضوع
٣٧٥	— دور الروح في هذا الإيمان العلى
٣٧٦	— من أقوال الأرواح عن الله تعالى
٣٨٩	— في الصلاة والابتهاال
٣٩٥	— لله في تعدد الأديان حكمة سامية
٤٠٠	— من رواسب الجهالة إلى حقائق المعرفة
٤٠٥	— عن الجهاد الأكبر
٤١٠	— الأخوة الإنسانية حقيقة كونية
٤١٢	— إيمان الحرب أم لإحاد السلام ؟
٤١٧	— بين الإيمان الشخصى والموضوعى
٤٢٣	الفصل الثانى : فى الخلق والضمير
٤٢٤	— إنما الأمم الأخلاق
٤٢٧	— السعادة تبعث من داخل النفس
٤٣٠	— الأخلاق = المعرفة فى الفلسفات القديمة
٤٣٥	— هل من نواميس طبيعية للأخلاق ؟
٤٣٩	— فى عراقة الإيمان بالنوانميس الطبيعية
٤٤٢	— السعادة وثيقة صلة بالعقل وبالذافع
٤٤٧	— فى الضمير
٤٥٠	— روح ستيد تتحدث عن الضمير
٤٥٥	— بين قيم الضمير وقيم المجتمع
٤٦٦	الفصل الثالث : فى الموت والألم
٤٧١	— الموت ميلاد ثان
٤٨٤	— الألم مدرسة الحياة
٤٩٢	— خواطر فى الألم والسعادة

الوضوع	صفحة
— قانون الاستحقاق	٤٩٧
— الموت . الألم . الاستحقاق في رسائل بعض الأرواح .	٥٠٠

الباب الخامس

في الروح بين العلم والاعتقاد

تمهيد	٥٠٥
الفصل الأول : البحث الروحي الحديث علم لا اعتقاد	٥٠٩
— موضعه من العلوم الأخرى	٥١٠
— تبويب	٥١٤
المبحث الأول : موقف بعض الفلاسفة من علم الروح	
الحديث	٥١٥
— برجسون	٥١٥
— وليام جيمس	٥٢٤
— كامى فلاماريون	٥٢٧
المبحث الثاني : موقف بعض علماء المادة من علم الروح	
الحديث	٥٣٢
— أوليفر لودج	٥٣٢
— وليام باريت	٥٤١
— كومبتون	٥٥٠
— ألفرد راسل والاس	٥٥٢
المبحث الثالث : موقف بعض علماء النفس وما وراء النفس	
— جيلي	٥٥٧
— هانز دريش	٥٥٨

الوضوح	صفحة
— بروض	٥٥٩
— شارل ريشيه	٥٦١
الفصل الثاني : دور العلم الروحي الحديث في توضيح الاعتقاد	٥٦٧
— تبويب	٥٧٢
المبحث الأول : بين أسلوب العلم والاعتقاد	٥٧٢
المبحث الثاني : بعض جوانب الاعتقاد في ضوء العلم	
الروحي الحديث	٥٨٠
أولاً : في شأن موقع عالم الروح	٥٨١
ثانياً : في شأن ميعاد قيامة الأموات	٥٨١
ثالثاً : في شأن الصلة بين روح المتوفى وجسده	٥٨٢
رابعاً : في شأن أسلوب الحياة هناك	٥٨٣
خامساً : في شأن الثواب والعقاب	٥٨٣
سادساً : في شأن الصلات بين عالمي الغيب والشهادة	٥٨٤
سابعاً : في شأن طبيعة الزمان والمكان	٥٨٥
ثامناً : في شأن النوم والأحلام	٥٨٥
تاسعاً : في شأن التخير والنسيير	٥٨٦
عاشراً : في شأن مدى إمكان التنبؤ بالمستقبل	٥٩٥
حادى عشر : في شأن المعجزات والخوارق	٥٩٧
ثاني عشر : في شأن مشكلات فلسفية متنوعة	٥٩٨
المبحث الثالث : تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ولا ينفيه	٥٩٩
— في تطور الاعتقاد	٦٠٠
— رأى وليام جيمس	٦٠٠
— رأى بنديتو كروش	٦٠١
— رأى يوجى راشاركا	٦٠٢

المنوع	صفحة
المبحث الرابع : التوفيق ميسور بين الاعتقاد وتطور المعرفة	٦٠٤
— من صفحات الماضي	٦٠٦
— نحو حياة أغزر وأعق	٦٠٩
— كيفية التوفيق	٦١١
— بين الموت والتوقف	٦١٣
— حقائق الحياة كما يراها فندلاى	٦١٧

باب ختامى

في علم الروح بين حاضره ومستقبله	٦٢٣
— أسانيد بعيدة المدى	٦٢٣
— هل توافرت الحقيقة أخرى مثلها ؟	٦٢٥
— معرفة تتهاوى	٦٣٣
— معرفة تقام	٦٣٦
— بعض الدوافع غير العلمية للمعارضة	٦٤٢
— الاعتراض بشهادة الحواس	٦٤٦
— المستقبل في جانب علم الروح	٦٥٥
— وبعد !	٦٥٧

فهرس أبجدى للجزئين معا

- ١ -

الجزء الأول

- إهداء ٨٠ . ألكسيس كاريل . رأيه فى تخلف علوم الحياة عن علوم
الجمادى ٣٩ . إغريق : الروح عندهم ٥٩ . أفلاطون : الروح عنده ٦١ .
أرسطو : الروح عنده ٦٢ . إميل لودفيج يتحدث عن المسيح ٦٦ .
أعمال الرسل تتحدث عن الظواهر الوساطية ٧٢ . أوريجانوس ٧٦ .
الفارابى يتحدث عن الروح ٧٨ . ابن سينا ٧٩ . الغزالى ٨٠ - ٨٣ .
ابن رشد ٨٣ . ابن باجة وابن طفيل ٨٤ . ابن القيم ٨٤ . ابن
خلدون ٨٦ . أندروجاكسون دافيز ١٠٢ - ١٠٤ . أسايا
بلادينو ١٠٧ - ١١٠ ، ٣٤١ . إجلنتون ١١٢ . إستيل روبرتس ١١٤ .
إثبات الظواهر الوساطية ١١٥ . آلات تعمل عن طريق الوساطة ١١٦ .
إكتوبلازم ١١٩ . إكتوبلازم بالصور ١٢٠ . اعتراض بالتدليس :
مناقشته ١٢٣ . أوليفر لودج : تجاربه مع ليونورييه ١٢٤ . نبذة عنه
٢١٥ - ٢٢٠ . رأيه فى الجسد الأثيرى ٤٢٨ ، ٤٧٤ . أسماء
ومراجع ١٤٥ . فى أمريكا الشمالية ١٤٩ . إدموندز (جون) ١٥٠ ،
٤١٧ ، ٥٠٠ . أوين (روبرت) ١٥٢ . إدوارد راندال ١٦٥ .
إدوين فردريك باورز ١٦٩ . فى إنجلترا ١٨٩ . آرثر كونان دويل
١٩٣ ، ٢٣٨ - ٢٤٣ ، ٥٠٣ . ألفرد راسل والاس ٢١١ . إدموند
جيرنى ٢٢٢ . ألكساندر كانون ٢٢٦ . إرنست أوتن ٢٤٣ .
ألفرد كيتسون ٢٤٣ . إرنست تومسون ٢٥١ . إيفانز ٢٥٨ .
أولدفيلد ٢٦٢ . إلبوت (موريس) ٢٦٧ .
أسماء ومراجع فى فرنسا ٢٦٩ . أسماء متنوعة ٢٦٩ . ألبير دى
روشا ٢٧١ . أوجين أوستى ٢٨١ . آلان كاردك ٢٨٣ . ألفريد

بينزيك ٢٨٧ . أندريه ديماس ٢٩٠ . إدوار سابي ٢٩١ . أسماء
ومراجع في بلاد شتى ٢٩٢ . — في بلجيكا ٢٩٢ . — في ألمانيا
٢٩٣ . — في سويسرا ٢٩٤ . — في إيطاليا ٢٩٤ . — في
روسيا ٢٩٦ . — في أسبانيا ٢٩٧ . — في تركيا ٢٩٧ . — في مصر
٢٩٩ . أحمد فهمي أبو الخير ٣٠٣ ، ٤٢١ . إرنستوبوزانو ٣٥٨ —
٣٧١ . ارواح حاملة تقيد الأرضيين ٤٠٠ . إشعاعات غريبة تسجلها
الكاميرا ٤٠٥ . أندرو لانج ٤١٩ إندجتون : رأيه في وجود عالم الروح
٤٦٥ . أنطون مسمر ٤٧١ . أدب روحى وإلهام ٥٠١ . أوسكار
وايلد ٥٠٣ . إديسون ١٥٣ ، ٥١٣ . أطفال موهوبون ٥١٩ . إلهام
ثرى راق ٥٢٠ . أميز الشعراء شوقي يبعث بأشعاره ٥٢٨ ، ٣ — ٦٠٥ .

الجزء الثانى

أمير الشعراء يقدم الجزء الثانى ٣ — ١٦ . اهتزاز أو تردد ٢٩ .
أمواج ٣٢ . اتساع الفضاء الكونى ٤٧ . اتساع الفضاء وعجز
العقل ٥٢ . أسلوب الحياة هناك ٦٥ . أوصاف عامة للمستوى
الثالث ٧٣ . أمور يجمع عليها ٩٣ . أينشتين وحقائق الروح ٤٥ —
١٣٤ ، ٥٢ — ١٣٦ . ألكسيس كاريل يتحدث في الزمان والمكان
١٣٦ . وفى الصلاة والابتهاال ٣٩١ . وفى علم النفس ٦٣٤ .
اجتماع فى عالم الروح ١٤٤ . أفرار (روح) يتحدث فى هذا
الشان ١٥٠ . وفى الإيمان بالله ٣٨٢ . اتصال كوكبي ٢٠٦ .
آلان كاردك يعالج الثواب والعقاب ٢٣٥ — ٣٤٥ . اتصالات بأرواح
شتى لتوضيح الثواب والعقاب ٢٦٣ . اتصالات بأرواح سعيدة ٢٦٤ .
اتصالات بأرواح فى حالة وسط بين السعادة والشقاء ٢٧٤ . اتصالات
بأرواح تشكو آلاماً شتى ٢٧٧ . اتصالات بأرواح منتحرين ٢٨٧ .
اتصالات بأرواح قتلة ٢٩٩ . اتصالات بأرواح عنيدة ٣٠٨ .
اتصالات بأرواح كفرت عن سيناتها فى الأرض ٣٢٠ . إيمان بالله
وبالخلود ٣٤٨ . آراء أينشتين ٣٥٩ . آرثر تومسون ٣٦١ . آرثر

- إدنجتون ٣٦١ . إدوارد لوثر كسيل ٣٦٥ . إيرفينج وليام كنوبلوك
٣٦٦ . أندرو كونواي أيفي ٣٦٩ . إدموند . و سينوت ٣٧١ .
أقوال أرواح في الإيمان بالله ٣٧٦ . أجاشا ٣٧٧ . إمبراتور ٣٨٣ .
إبتهال لله ٣٨٩ . أخوة إنسانية ٤١٠ . إيمان الحرب أم إلحاد
السلام ؟ ٤١٢ . إيمان شخصي وموضوعي ٤١٧ . أخلاق
وضمير ٤٢٣ . إنما الأمم الأخلاق ٤٢٤ . أخلاق ومعرفة ٤٣٠ .
ابن سينا : رأيه في المعرفة ٤٣٢ . الغزالي ٤٣٢ . ابن رشد ٤٣٣ .
الأم مدرسة الحياة ٤٨٤ . — خواطر في الألم ٤٨٥ . استحقاق .
— قانونه ٤٩٧ . اعتقاد . صلته بعلم الروح ٥٠٥ . أوليفر لودج . بعض
آرائه ٥٣٢ — ٥٤١ . ألفرد راسل والاس يتحدث في التطور الروحي
٥٥٢ . أسلوب العلم والاعتقاد . مقارنة ٥٧٣ . اعتقاد . بعض جوانبه
في ضوء العلم الروحي ٥٨٠ . انقطاع الصلة بين روح المتوفى وجسده
٥٨٢ . أسانيد بعيدة المدى ٦٢٣ .

— ب —

الجزء الأول

- بولس الرسول يتحدث في الظواهر الروحية ٦٩ . في قيامة الأموات
٧٠ — ٧٢ . باريش ١١٥ . برنس (و فرانكلين) ١٦٩ . باراسيكولوجي ١٨٢ .
برجسون ١٨٣ ، ٢٠٠ — ٢٠٦ ، ٤٣٩ ، باريت (وليام) ٢١٢ ، ٤٧٤ .
برايس (هاري) ٢٢٧ . باربانيل (موريس) ٢٤٥ . بول ميللر ٢٥٤ .
بول برنتون ٢٦٠ . بول جيبييه ٢٧٠ . بينيك (ألفريد) ٢٨٧ .
(شارل) ٢٨٨ . بيير ليسكور ٢٨٨ . بينات ووقائع ٣٠٩ . بوزانو
(إرنستو) ٣٥٨ — ٣٧١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ . بينات . متنوعة علمية وعلاجية ٣٩٥ .
بودنجتون (هاري) ١٢٠ ، ٤٤٢ . برجيك ٤٦٠ . بور سينيل ٤٧٣ . برناردشو
(جورج) ٥٠٤ ، ٥٠٥ . بيير ميل ٥١٤ .

الجزء الثاني

- باراسيكولوجي ٣٥٧ . بول كلارنس البرنولد يتحدث في الإيمان
(٤٣م — الإنسان روح : ج ٢)

بالله ٣٦٥ . بول إرنست أدولف يتحدث فيه ٣٦٩ . برجسون موقفه من علم الروح ٥١٥ - ٥٢٤ . باريت (وليام) موقفه ٥٤١ - ٥٥٠ . بروم يتحدث في التطور الروحي ٥٥٤ . بروض يتحدث في الظواهر الواسطية ٥٥٩ . بنديتو كروش يتحدث في تطور الاعتقاد ٦٠١ .

— ب —

الجزء الأول

تصدير لروح أمير الشعراء ٣ . تبويب للجزئين ٤٦ . تجسّدات جزئية وكاملة ١٢٩ - ١٤٠ ، ٣١٦ - ٣٣٠ ، ٣٤٤ - ٣٤٨ . تجسّدات كاملة وجزئية بالصور : تجسد روحين في حضور إجنتون ٣٣٢ تجسد تام للوجه في المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس ٣٣٣ . تجسدان كاملان في حضور مدام ديسبرانس ٣٣٤ . تجسد تام في الدانمرك ٣٣٥ ، ٣٣٦ . تجسد جزئي واضح في إيطاليا ٢٣٦ . تجسد تام في أمريكا ٣٣٧ . تجسد آخر في أمريكا ٣٣٨ . تجسد في البرازيل ٣٣٨ . شعر ورداء روح متجسدة ٣٣٩ . تويدل (شارل) ٢٦٥ . توماس (درايتون) ٢٦٧ . تنبؤ بالمستقبل ٣٤٣ . تلباثي (تخاطر) ٣٦٦ - ٣٧٠ ، ٣٧٢ - ٣٨٧ تحقيق شخصية الروح ٣٩٥ - ٤٠٠ . تأثير العقل المباشر في المادة ٤٦٤ . تشارلز ديكنز ٥٠٤ . نديسون ٥١٢ .

الجزء الثاني

تصدير لروح أمير الشعراء ٣ - ١٦ . تحول بين المادة والطاقة ٤٣ . تطور الوعي بعد الموت ٩٩ . تفاعل الشكل مع الوعي ١٣٠ . تأثير العقل في المادة ١١٣ . تعليم وتربية في عالم الروح ١٢٥ . تسليّة ورياضة وطقوس ١٣٩ . تويدل يبحث في أسلوب الحياة هناك ١٤٥ ، تلامس الأفكار ٢٠٨ . تأقلم متبادل في الحياة السكوكية ٢١١ تعدد الأديان . حكمته ٣٩٥ . تطور المعرفة ٤٠٠ . تطور خالق ٥١٦ . تسيير وتخيير ٥٨٦ . تنبؤ المستقبل ٥٩٥ . تطور المعرفة يثبت جلال الاعتقاد ٥٩٩ . توفيق بين العلم والاعتقاد ٦٠٤ ، ٦١٦ . توقف المعرفة ٦٠٦ . توقف وموت ٦١٣ .

الجزء الثاني

ثواب وعقاب ٢٣٣ .

— مبادؤه يحسب آلان كاردك ٢٥٢ .

— اتصالات لا يضاعها ٢٦٣ .

الجزء الأول

جاك وبر ١١٣ ، ٤٤٨ . جيمس آرثر فندلاي : تجاربه مع سلون ١٢٥ .

جوستاف جيلي : تجاربه مع فرانك كلاسكي ١٣٧ — ١٤٠ نبذة عنه ٢٧٩ .

جمعية البحث الروحي الأمريكية ١٥٣ . جيمس (وليام) ١٥٦ — ١٦٣ .

جيمس هايسلوب ١٦٣ . جلين هاملتون ١٨٧ جمعية (ال) الجدلية ١٨٩ .

جمعية البحث الروحي بلندن ١٩٦ ، ٢٠٦ . جون رايلي ٢١٤ . جيرني

(إدموند) ٢٢٢ جون هتنجر ٢٢٥ . جيمس آرثر فندلاي ٢٤٧ ، ٤٤٠ ، ٤٦٦

جيرالدين كامينز ٢٥٢ . جيمس كوتس ٢٥٩ . جوزيا أولدفيلد ٢٦٢ .

جون لاموند ٢٦٦ . جورج فيل أوين ٢٦٦ . جان ماير ٢٧١ . جان

ليرميت ٢٧٥ . جابريل ديبلان ٢٨٦ . جوليت بيسون (مدام) ٢٨٦ .

جورج فيتو ٢٩٠ . جورج بارباران ٢٩١ . جوهان زولنر ٢٩٣ . جسد

أثيري للإنسان ٤٢٧ . للحيوان ٤٥٥ . جان جوزيك ٤٥٧ — ٤٦٠ .

جسد أثيري (بالصور) ٤٨٣ — ٤٩٧ . جيمس جينز : رأى له في حقيقة

العالم (لما دى) ٤٦٦ . جوته قول له في الإلهام ٥١٣ .

الجزء الثاني

جاليليو . رسالة له عن الأثير ٣١ . جوليا تتحدث في العلانية ١٤٩ .

في المحبة ١٥٤ . في العاطفة العائلية ١٦٥ . في الإيمان بالله ٣٧٨ ، ٤٤٣ . في

« موتى » الحياة ٥٠١ . جيلي يتحدث في تطور الوعي ٩٩ . في العودة

للتجسد ٢٤٧ . فيما وراء الروح ٥٥٧ . جيمس جينز يتحدث عن الله ٣٦٢ .

جون كليفلاند كوثران يتحدث في الإيمان بالله ٣٦٤ . جورج لميرل دافيز
يتحدث فيه ٣٦٦ . جهاد النفس ٤٠٥ . جيمس فندلاي يتحدث في موقع
عالم الروح ٥٦ - ٥٨ ، في بقاء الشخصية ٩٤ . في العلم والاعتقاد ٥٠٧ .
في حقائق الحياة ٦١٧ .

— ح —

الجزء الثاني

حب بعد الموت ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٥ - ٢٢٨ . حب وموسيقى
في العالم السكوكبي ٢١٣ - تعليم الحب ٢١٤ - جحيم الحب وجناته ٢٢٥ .

— خ —

الجزء الأول

خلود الروح في الديانات القديمة ٤٨ .

الجزء الثاني

خلق وضمير ٤٢٣ .

— د —

الجزء الأول

ديوك : بحوث جامعة ديوك ١٧٥ . دي مورجان ٢٠٨ . ديون ٢٢٥ .
دزموند (شو) ٢٤٨ ، ٢٧٨ . درايتون توماس ٢٦٧ . دي روشا ٢٧١ .
دينين (ليون) ٢٨٤ . ديلان (جابريل) ٢٨٦ . دودنج (لورد مارشال) ٣٨٨ .
دونوهو (مسز) ٤٧٥ . دين (مسز) ٤٧٥ .

الجزء الثاني

دزموند يتحدث في تأثير العقل المباشر في المادة ١١٣ . في التربية
والتعليم هناك ١٢٥ . في الحب بعد الموت ١٧٠ . في الميلاد الثاني ٤٨٢ .
ديكارت : أقوال له في الإيمان بالله ٣٤٨ . دور علم الروح في توضيح
الاعتقاد ٥٦٧ .

الجزء الأول

رسالة علم الروح من ناحيتي المعرفة والعزاء ٢٨ . والإيمان بالله تعالى
وبناموسه الخلق ٣٢ . والاطلاع على الحركة العلية والفكرية ٣٤ .
وتقدير الإنسان حق قدره ٣٥ . الروح عند الفراعنة ٥٢ . عند الهندوس ٥٥ .
عند الإغريق والرومان ٥٩ . عند فلاسفة المسيحية ٦٥ . عند فلاسفة
الإسلام ٧٨ . في عصور أحدث مما تقدم ٨٧ . راين (جوزيف بانكس)
١٧٥ ، ٤٦٧ . رايلي (جون) ٢١٤ . رينيه فاركوليه ٢٨٢ . رينيه سيلر ٢٨٩ .
ريشيه (شارل) ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٤١٨ .

الجزء الثاني

رياضة في عالم الروح ١٣٩ . روبرت موريس بيج يتحدث في الله ٣٦٤ .
روبرت بروم يتحدث في التطور ٣٧٤ . ريشيه يتحدث في الظواهر
الوساطية ٥٦١ .

الجزء الأول

زولنر ٢٩٣ .

الجزء الثاني

زمان ومكان ١٣٤ . الزمن حالة ذهنية ١٣٨ . زودياك يتحدث في
الإيمان بالله ٣٨١ .

الجزء الأول

سقراط : رأيه في الخلود ٥٩ - ٦١ . في الإلهام ٥١٢ . سوافر
(هانن) ٢٤٥ . ستانتون موزس ٢٦٣ . ساج (ميشيل) ٢٨٧ .
سيمون (ج) ٢٨٩ . سيزار دى فيزم ٢٩٠ . سيزار لومبروزو ٢٩٤ .
سويدنبرج ٩٩ - ١٠٢ ، ٤٢٦ . ستيد (وليام) ٢٣٢ - ٢٣٨ ، ٥٠٣ .

سلامة سعد (الدكتور) ٦٠٣ . — السيدة قرينته ٥٢٥ — ٦٠٢ .

الجزء الثاني

سويدنبرج يتحدث عن تطور الروح هناك ٩٧ . وعن الحياة الاجتماعية
في عالم الروح ١٤٤ — عن أنظمة الحكم ١٤٧ — عن العاطفة العائلية ١٦١ .
سيلفر بيرش يتحدث في العلانية ١٤٩ . في الإيمان بالله ٣٨٥ . في الأديان
٣٩٨ . في الدافع ٤٤٢ . في الثواب والعقاب ٤٤٧ . في الخلود ٤٧٠ .
سعادة ٤٢٧ . ستيد (روح) يتحدث عن الضمير ٤٥٠ .

— — —

الجزء الأول

شودزمووند ٧٣ ، ٢٤٧ . شيللر (فرديناند) ١٦٤ . شارل تويديلي ٢٦٥ .
شارل هنري ٢٧٤ . شفروى ٢٨٣ . شازاران ٢٨٧ . شارل لانسلان ٢٨٨ .
شرنك فون نوتزنج ٢٩٣ . شارل ريشيه ٣٤٠ — ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٤١٨ . شغب
مجهول المصدر ٣٤١ ، ٤١٧ — ٤٢٦ . شو (جورج برنارد) ٥٠٤ ، ٥٠٥ .
شوبنهاور ٥١٣ . شكسبير هل كان وسيطاً ملهماً ٥٠٥ ؟ ، ٥٠٦ . شعر
لشوق وحفي ناصف من عالم الروح ٥٢٥ .

الجزء الثاني

شخصية الإنسان بعد الانتقال ٩٤ . شودزمووند يتحدث في تأثير العقل في
المادة ١١٣ — في التعليم والتربية ١٢٥ — في العاطفة ١٧٠ . في الميلاد الثاني ٤٨٢ .

— — —

الجزء الأول : صور

صورة أحمد شوقي ٣ . سويدنبرج ١٠٠ . أندرو جاكسون دافيز ١٠٣ .
هدسون تاتل ١٠٥ . ظواهر في حضور أسايا ١١٠ . مدام ديسبرانس ١١١ .
إجلنتون ١١٢ . باريش وروحه المرشدة ١١٥ . رفلكتوجراف ١١٦ .
كوميو نيجراف ١١٦ . بوق طائر ١١٨ . عدة صور للاكتوبلازم
١٢٠ — ١٢٢ . مارجرى ١٢٩ ، ١٣٢ — ١٣٤ . صور أطراف

- متجسدة ١٣٤ — ١٣٧ . رسم روح متجسدة ١٣٨ . احتفال باليوبيل
 المئوى للعلم الروحى ١٤٤ . مؤتمر العلم الروحى فى سنة ١٩٦٣ : ١٤٤ .
 كارنيجتون ١٦٥ . إيلين جاريت ١٦٦ . هودجسون ١٩٩ . سير وليام
 كوكس ٢١٠ . سير وليام باريت ٢١٢ . سير أوليفر لودج ٢١٥ .
 فريدريك مايرز ٢٢١ . المعمل الوطنى للبحث الروحى ٢٢٨ . سير وليام
 ستيد ٢٣٢ . سير آرثر كونان دويل ٢٣٩ . ألفريد كيتسون ٢٤٤ .
 رسوم أرواح غير متجسدة ٢٥٥ — ٢٥٧ . ستانتون موزس ٢٦٣ .
 جان ماير ٢٧١ . جوستاف جيل ٢٨٠ . رينيه فاركوليه ٢٨٢ . شرنك
 فون نوتزنج ٢٩٣ . لومبروزو ٢٩٥ . طنطاوى جوهرى ٣٠٠ . محمد
 فريد وجدى ٣٠١ . أحمد فهمى أبو الخير ٣٠٣ . على راضى ٣٠٥ .
 هوم ١١٥ . فلورنس كوك ٣١٦ . وجه كاتى كنج ٣١٩ . تجسد كاتى كنج
 بالصور ٣٢١ . تجسد روحين فى وقت واحد ٣٣٢ . تجسد تام للوجه ٣٣٣ .
 تجسد تام فى حضور مدام ديسبرانس ٣٣٤ . تجسد تام للملكة أستريد
 ٣٣٥ . تجسد تام فى حضور أينريالزن ٣٣٦ . تجسد جزئى فى إيطاليا ٣٣٦ .
 تجسد تام فى أمريكا ٣٣٧ ، ٣٣٨ . تجسد تام فى البرازيل ٣٣٨ . خصلة شعر
 متجسدة ٣٣٩ . عينة من رداء روح متجسدة ٣٣٩ . صورة شارل
 ريشيه ٣٤١ . الروح بيان وامتجسدة ٣٤٧ . إرنستوبوزانو ٣٥٨ . لورد
 دودنج ٣٨٩ . ظواهر غريبة داخل الكلية البريطانية للعلم الروحى ، ٤٠٦ .
 هارى إدواردوز ٤٠٨ . العلاج الروحى بالصور ٤١٤ — ٤١٦ . هارى
 برايس يذبح من داخل « منزل مسكون » ٤٢٠ . رسم يمثل الجسدین
 المادى والاثيرى ٤٣١ . هارى بودنجتون ٤٤٣ . رسم إشعاعات
 منبعثة من يدي الوسيط ٤٤٣ . جهاز الكترونى لاستكشاف التواصل
 بالافكار ٤٤٥ . صورة حديثة للمالة ٤٤٦ . الجسد الاثيرى
 لجاك وبر ٤٤٨ . كارل يونج ٤٥٠ . مراكز الطاقة فى الجسد

الآثيرى ٤٥٥ . الجسد الآثيرى لكلب ميت ٤٦٢ . نماذج من
صور وساطية لتوضيح قصة فرعونية ٤٧٦ ، ٤٧٧ . صور أرواح غير
متجسدة فى حضور الوسيط بورسينيل ٤٨٣ - ٤٨٦ . صورة روحية
للسيد واين ٤٨٧ . للسيدة مارى تويديل ٤٨٧ . لسير وليام
كروكس ٤٨٨ . لسير ارثر كونان دويل ٤٨٨ . عدة صور روحية
فى وقت واحد ٤٨٩ . للسيد جون آدامسون ٤٨٩ . لوالدة الوسيط
إدوارد ويلي ٤٩٠ . للسيدة أليس هوايتيسكر ٤٩٠ . للسيد
نيكولسون وآخر ٤٩٠ . للطفلة أجنس سمسون ٤٩١ . للطفل
أليكساندر جرانت ٤٩١ . لطفل صيفى ٤٩٢ . وساطة مارتى ٤٩٢ .
وساطة هوب ٤٩٣ . وساطة دجويد ٤٩٤ . وساطة برمسون ٤٩٤
وساطة دين ٤٩٥ . وساطة دونو هو ٤٩٥ . وساطة جون
مايرز ٤٩٦ . صورة لروح الدكتور كروفورد ٤٩٧ . مضاهاة
الخطوط . صورة خط روح كروفورد ٤٩٨ . خط روح سير آرثر
كونان دويل ٤٩٨ . خطوط وتوقعات لايد غير منظورة ٤٩٩ . خط
وتوقيع روح سويدنبرج ٥٠٠ . ولورد باكون ٥٠٠ . صورة كتابة صينية
للوسيطة مارجرى ٥١٧ . السيدة وسيطة روح أمير الشعراء ٥٢٦ .
الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباطة ٥٨٩ . الدكتور سلامة سعد ٦٠٣ .

الجزء الثانى : صور

صورة أحمد شوقى ٣ رسم لتداخل الأكوان والشموس ٥٨ . صورة
الدكتور بيلز ٦٧ . روح سير ستيد ٧٥ . صورة أخرى له ٧٦ .
صور وساطية لعالم الروح ١٠٨ . صور وساطية لأزهار وفراشات
١١١ ، ١١٢ . آلات موسيقية ١٢٢ . لألعاب للرياضة
والتسلية ١٣٠ . صورة آلان كاردك ٢٣٦ . الدكتور ليتارى ٣٨١
زودياك ٣٨٢ . سيلفريش ٣٨٦ . برجسون ٥١٧ . وليام

— ٦٨١ —

جيمس ٤٢٥ . كامي فلاماريون ٥٢٨ . ألفرد راسل والاس ٥٥٤ .
هانز دريش ٥٥٨ . بروض ٥٦٠ .

— ٧٧ —

الجزء الثاني

ضوء ٤٢ . ضمير وخلق ٤٢٣ . ضمير . تعريفه ٤٤٧ . بين قيم الضمير
وقيم المجتمع ٤٥٥ .

— ط —

الجزء الأول

طنطاوى جوهرى (الشيخ) . رأى له ٤٢ . نبذة عنه ٢٩٩ . طاغور
يتحدث فى الروح ٨٧ — ٨٩ .

الجزء الثانى

طبيعة المادة الصلبة ٢٧ .

— ظ —

الجزء الأول

ظواهر الوساطة الروحية بوجه عام ٩٧ . ظواهر الاكتوبلازم
١٢٠، ١٣٢ . ظواهر تجسد الأيدي والأقدام ١٣٣ — ١٤٠ . ظواهر
التجسد السكلى والجزئى ٣١٦ — ٣٣٩، ٣٤٥ — ٣٤٩ . ظواهر روحية
شتى ٣٦٠ — ٣٨٦ . ظواهر العلاج الروحى ٣٩٠ — ٣٩٤، ٤٠٣ —
٤١٦ . ظاهرة الشغب المجهول المصدر ٤١٧ — ٤٢٦ . ظواهر الطرح
الروحى ٤٣١ — ٤٣٢، ٤٤٧ — ٤٤٩ . ظواهر الصور الروحية
٤٧٣ — ٥٠٠ . ظواهر الأدب الروحى والإلهام ٥٠١ — ٦٠٨ .

— ع —

الجزء الأول

علم الروح بين أنصاره ومناوئيه ١٣ . عصر البحث العلمى للروح ١٥ .
عقبات فى الطريق كانت متوقعة ٢٥ . علم الروح يجعل الخلود حقيقة

علمية ٢٦ . عجلة عن الروح عند الاقدمين ٤٧ : عقل . صلته بالمنح
٣٥٢ — ٣٥٧، ٤٣٥، ٤٣٧ . علاج روحى ٣٩٢ — ٣٩٤، ٤٠٧، ٤١٣ .
علماء كبار يحققون صحته ٤٠٩ — ٤١٣ : علاج روحى بالصور ٤١٤ —
٤١٦ . عقل باطن . صلته بالإلهام ٥١٤ .

الجزء الثانى

عقل ومادة ٣٦ . عالم المادة . اتساعه ٤٧ . عالم الروح . اتساعه
٥٩، ٥٦ . عقل فى عالم الروح ٩٦ . عالم الروح . صور
وساطية له ١٠٨، ١٠٩ . عمل فى عالم الروح ١٢٢ . علانية عالم الروح
١٤٧ . عبادة ١٥٨ . عائلة ١٥٩، ١٦١، ١٦٧، ١٧٠ — ٢١٩ .
عقل وروح فى العاطفة ١٩٣ . عودة للتجسد . وقفة عندها ٢٤٠ .
— تجارب فى جانبها ٢٤٣ . — موقف بعض الآراء منها ٢٤٦ . — رأى
ماترنك فيها ٢٤٧ . عجز مدارس المادة ٣٥١ . عراقة الإيمان
بالتوأميس الطبيعية ٤٣٩ . عقائد . اشتراكها فى كليات كثيرة ٥٠٥ . علم
الروح . صلته بالاعتقاد ٥٠٥، ٥٠٩ . موضعه من العلوم الأخرى ٥١٠ .
عقبات فى طريق علم الروح ٦٥٠ .

— غ —

الجزء الثانى

غزالى : الإمام الغزالى يعالج الثواب والعقاب ٢٣٣ .
المعرفة ٤٣٢ .

— ف —

الجزء الأول

فراغتة . الروح عندهم ٥٢ . فلورنس كوك ١٠٦ . فلو جل ٢٠٧
فردريك مايرز ٢٢١ . فردريك وود ٢٥٨ . فلانماريون (كامى)
١٢٦، ٢٧٢، ٤١٨ . فاركوليه (رينيه) ٢٨٢ . فويوم ٤٥٢ .

الجزء الثاني

فكر وجمال وموت ١٩٦ . فرانك ألن يتحدث في الله ٣٦٤ . فارابي :
رأيه في المعرفة ٤٣١ : فلاسفة . موقف بعضهم من علم الروح
٥١٥ - ٥٣١ . فراغت ٦٠٥ . فندلاي (جيمس) راجع جيمس .

— ك —

الجزء الأول

كارلو ميرابلي ١١٣ . كامى فلاماريون يناقش المعارضين ١٢٦ .
كروكس يناقشهم ١٢٧ . نبذة عن بحوثه ٣١٣ . كارنجتون (هيروارد)
١٦٥ ، ٤١٩ . كارل ويكلاند ١٧٢ . كروفورد ٢٢٤ . كانون
(ألكساندر) ٢٢٦ . كوتس (جيمس) ٤٨٩ - ٤٩٤ . كاردك (آلان) ٢٨٢ .
كارل جوستاف يونج ٢٩٤ . كاتي كنج . تجسدها ٣١٦ - ٣٣٠ .
كاتي كنج بالصور ٣٣١ . كامى فلاماريون ١٢٦ ، ٢٧٢ ، ٤١٨ . كلية (ال)
البريطانية للعلم الروحي ٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٤٨٣ - ٤٨٧ . كامى موكلير ٥١٤ .

الجزء الثاني

كلود هاتاواي يتحدث في الإيمان بالله ٢٦٧ . كامى فلاماريون .
موقفه من علم الروح ٥٢٧ . كومبتون يتحدث في الخلود ٥٥٠ .

— ل —

الجزء الأول

ليونور بير ١١٢ ، ١٢٤ . لاموند (جون) ٢٦٦ . ليرميت
(جان) ٢٧٥ . ليون دينز ٢٨٤ . لانسلان (شارل) ٢٨٨ . ليسكور
(بير) ٢٨٨ . لومبروزو ٢٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٧١ . ليدبيتر ٤٥٥ .

الجزء الثاني

ليتاري يتحدث في الإيمان بالله ٣٨٠ . ليون دينز ٤٣٧ . لويل ٥٧٩ .

الجزء الأول

- مقدمة الطبعة الثانية ٩ . موضوع المؤلف الحالي ٤٤ . محمد فريد
وجدى . رأى له في الإيمان بالخلود ٣٣ . تعليق له على تقرير الجمعية
الجدلية ١٩٥ . صلته بالبحث الروحي ٣٠١ . موضوع العلم الروحي
الحديث ٩٣ . مارجرى ١٢٩ - ١٣٥ ، ٥١٧ . مكدوجال (وليام)
١٧٤ . مايرز (فردريك) ٢٢١ . معمل (ال) الوطني للبحث
الروحي ٢٢٨ . موريس باربانيل ٢٤٥ . ميللر (بول) ٢٥٤ .
موزس ٢٦٣ . موريس إلبوت ٢٦٧ . ماير (جان) ٢٧١ .
معهد (ال) الدولي لما وراء الروح بباريس ٢٧٦ ، ٣٣٣ ، ٤٤٥ . ميشيل
ساج ٢٨٧ . موريس ماجر ٢٩٠ . موريس ماترلنك ٢٩٢ . محمد
حسنين مخلوف (الشيخ) ٣٠٦ . محمد مصطفى المراغى (الشيخ) ٣٠٦ .
محمد شلتوت (الشيخ) ٣٠٧ . محمد أبو زهرة (الشيخ) ٣٠٧ .
منازل مسكونة : ٣٤١ ، ٣٤٢ . مخمدى صلته بالعقل ٣٥٢ - ٣٥٧ ،
٤٣٥ - ٤٣٧ . ماكنزى (هيوأت) ٤٣٠ . مسمر (أنطون) ٤٧١ .
ماملر ٤٧٢ . مضاهاة خطوط الأرواح ٤٩٨ - ٥٠٠ . مورتون
برنس ٥٠٧ .

الجزء الثانى

- مقدمة الجزء الثانى ١٧ . موقع عالم الروح ٢٢ . مشكلة موقع
عالم الروح تحلها أوليات الفيزياء الحديثة ٢٧ . مادة وعقل ٢٦ .
مادة وطاقة التحول بينهما ٤٣ . مستويات عالم الروح ٦٠ - ٦٣ .
مراجع هامة فى وصف عالم الروح ٦٦ . مميزات الحياة فى عالم الروح ١١٣ .
مبانى عالم الروح ١١٧ . مدنه ١٢٠ . موسيقاه ١٢١ . مستقبل
هل تعرفه الأرواح ؟ ١٤٠ . موريس ماترلنك يتحدث عن الموت

والفضاء ٥٢ . — وعن تطور الوعي بعد الموت ١٠١ . — وعن العودة
للتجسد ٢٤٧ . — وعن راحة الموت ٤٧٨ . — وعن السعادة والألم
٤٩٣ - ٤٩٧ . — وعن قوة عقلنا الباطن ٥٩٢ . — بحجة بوجه عام ١٥٢
— الروح جوليا تتحدث في المحبة ١٥٤ . — روح شوقي تتحدث فيها ١٥٨ .
مارجرى لورنس تبحث في الحياة العائلية هناك ١٦٧ . — مايرز (روح)
يتحدث في مراحل التطور الروحي ٦١ . — وفي الجنس بالنسبة للروح ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ . — مبادئ الثواب والعقاب عند كاردك ٢٥٢ . — مشكلات
فلسفية في ضوء علم الروح الحديث ٣٤٧ . — مدارس المادة : عجزها ٣٥١ .
موت وألم ٤٦٦ . — خواطر فيهما ٤٦٨ - ٤٧١ . — الموت ميلاد ثان
٤٧١ . — موت . ألم . استحقاق ٥٠٠ . — موريس ماجر يتحدث عن
المصير ٥٩٣ . — معجزات وخوارق ٥٩٧ . — معارضة غير علمية ٦٤٢ - ٦٥٠ .
مستقبل علم الروح ٦٥٥ .

— ه —

الجزء الأول

نشأة العلم الروحي الحديث ٩١ . — ناندور فودور ١٢٢ ، ٤٢٠

الجزء الثاني

نسبية ٤٥ - ٥٢ ، صلتها بالزمان والمكان هناك ١٣٤ . — نعومي
تتحدث في الحب والزواج ١٦٦ . — نواميس الأخلاق الطبيعية . هل
لها وجود ؟ ٤٣٥ . — نقد . أثره في التقدم ٥٧٣ . — نوم وأحلام ٥٨٥ .

— ه —

الجزء الأول

هندوس . الروح عندهم ٥٥ . هندسون تاتل ١٠٤ - ١٠٦ . هايسلوب
(جيمس) ١٦٣ . — هيروارد كارنيجتون ١٦٥ ، ٤١٩ . — هودجسون
(رتشارد) ١٩٨ . — هتجر (جون) ٢٢٥ . — هاري برايس ٢٢٧ ، ٤٢٠ .
هانن سوافر ٢٤٥ . — هانز دريش ٢٩٣ . — هاري إدواردز ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

٤٠٧، ٤٠٨ . هيات ما كنزى ٤٣٠ . هارى بودنجتون ١٢٠، ٤٤٢ .

الجزء الثاني

هوايت هوك يتحدث فى الايمان بالله ٣٨٠ . هانز دريش يتحدث فى
الظواهر الوسايطية ٥٥٨، ٦٢٤ .

- و -

الجزء الاول

وسطاء متنوعون ٩٩ - ١١٥ . وليام جيمس ١٥٦ - ١٦٣ .
ولتر فرانكلين برنس ١٦٩، ٥٠٧ . ويكلاند (كارل) ١٧٢ . وليام
مكدرجال ١٧٤ . وليام براون ٢٠٦ . وليام كروكس ٢٠٩، ٣٠٩ - ٣٣٠ .
وليام باريت ٢١٢ . وليام ستيد ٢٣٢ - ٢٣٨، ٥٠٣ . واليس ٢٥٠ .
رود (فردريك) ٢٥٩ . وجدى (محمد فريد) ٣٠١ . وقائع لها دلالتها
عن مضابط جمعية البحت الروحى وجريدتها ٣٧٢ . ولتر كيلنر ٤٤١ .
واريك ٤٧٥ .

الجزء الثانى

وعى الإنسان بعد الموت ٩٦ تطوره ٩٩ . أثره فى الشكل ١٠٣ . ولتر
أوسكار لاندبرج يتحدث فى الايمان بالله ٣٦٥ . وليام جيمس . بعض
أقواله فى الالم ٤٨٦ فى الايمان ٥٢٤ ، فى تطور الاعتقاد ٦٠٠ . وليام باريت
بعض آرائه ٥٤١ .

- ى -

الجزء الاول

يوجا : الروح فى هذا المذهب ٥٦ . يونج (كارل جوستاف)
٢٩٤، ٤٤٩ .

الجزء الثانى

يوجا : بعض من حكمة اليوجا ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٨، ٤٧٩، ٦٠٢ .

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
١٦٨	١٤	أنه قد	قد
٢٣٨	١٤	خطر	أخطر
٢٦٠	٧	التخلص	التخلص
٣٠٢	١	هل بهم	هل ترى بهم
٣٣٩	٩	لأنه	لأنك
٤٣٩	٧	المستوى	إلى المستوى
٥١١	١٥	النفس	هلم النفس
٥٢٥	رقم الصفحة	٤٢٥	٥٢٥
٥٢٧	٣	من أن	بل إن
٥٥٤	٢٢	أبد	أبداً

للمؤلف

- ١ — «جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال في القانون المصري». .
ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٣ والثانية في سنة ١٩٥٥ والثالثة في سنة ١٩٥٨ والرابعة في سنة ١٩٦٠ والخامسة في سنة ١٩٦٥.
- ٢ — «جرائم التزييف والتزوير في القانون المصري». . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٣ والثانية في سنة ١٩٥٤ .
- ٣ — «مبادئ الإجراءات الجنائية في القانون المصري». . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٤ والثانية في سنة ١٩٥٦ والثالثة في سنة ١٩٥٩ والرابعة في سنة ١٩٦٢ والخامسة في سنة ١٩٦٤ والسادسة في سنة ١٩٦٦ .
- ٤ — «ضوابط تسبيب الأحكام الجنائية في قضاء النقض المصري». . ظهر في سنة ١٩٥٦ .
- ٥ — «السببية في القانون الجنائي» : دراسة تحليلية مقارنة . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٥٩ والثانية في سنة ١٩٦٦ .
- ٦ — «شرح قانون العقوبات التكميلي» : في جرائم المخدرات. الأسلحة والدخائر. التشرد. الاشتباه. التدليس والغش . تهريب النقد . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦١ والثانية في سنة ١٩٦٥ والثالثة في سنة ١٩٦٦ .
- ٧ — «مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري». . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٢ والثانية في سنة ١٩٦٤ والثالثة في سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .
- ٨ — «المشكلات العملية الهامة في الإجراءات الجنائية» . في جزئين .
ظهر في سنة ١٩٦٣ .
- ٩ — «الإنسان روح لا جسد» . ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٤ والثانية في جزئين في سنة ١٩٦٦ .